سلسلة :﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ (٤٤)

تَكْفِيْرُ الْوَهَّابِيَّةِ

لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِي مِقْدَادِي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإِهْدَاءُ

إِلَى كُلِّ مَنِ ابْتَغَى بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى ...

إِلى كُلِّ مَنِ ابْتَعَدَ عَنِ العَصَبِيَّةِ وَالهَوَى ...

إِلى كُلِّ مَنْ سَعَى لَلمِّ شَعَثِ المُسْلِمِيْن ...

إِلى كُلِّ مَنْ حَمَلَ هَمَّ الدِّيْنِ والأُمَّة ...

إِلَى كُلِّ العَامِلِيْنَ لِلإِسْلَامِ بِصَمْتٍ ...

إِلَى كُلِّ مَنِ ابْتَعَدَ عَنِ التَّنْفِيْرِ وَالتَّكْفِيْر ...

إِلَى كُلِّ مَنْ لَمْ يُعِرْ عَقْلَهُ لِغَيْرِهِ كَيْ يُفَكِّرَ لَهُ فِيْه ...

أُهْدِيْ هَذَا العَمَل ...

عَلي

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لَا إلَه إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أمَّا بعد : فإنَّ مسألة التَّكفير مسألة عويصة ، وهي من الخطورة بمكان ، طالما تعثَّرت بها أقدام ، وزلَّت فيها أقلام ، وضلَّت فيها أفهام ، تشتَّت فيها الآراء ، وتناوشتها الأهواء ، لأنَّ التَّكفير حكم شرعي مردُّه إلى الله ورسوله ، فلا يجوز للمسلم أن يكفِّر أحداً إلَّا ببيِّنة وبرهان قطعي لا تحوم حوله الشُّبهات ، فقد يكون المُكفَّر مُكرهاً ، والله تعالى يقول : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وقد يكون المُكَفَّر غير قاصد الكفر ، بل صدر منه ما به كُفِّر سبق لسان ، فمن لم يقصد الكفر لا يكفر ولو صدر عنه ما يوجب الكفر ، فإن غلط لسانه ونطق بالكفر من غير قصد فإنَّه لا يكفر بذلك ، لما ثبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً ، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ " (١) .

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٤ برقم ٢٧٤٧) .

وقد يكون جاهلاً ، فيُعذر ، لما رواه أَبو وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، فَمَرَرْنَا عَلَى شَجَرَةٍ يَضَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام : ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكُمْ سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " (١) .

وقد يكون المُكَفَّر في حالة وَجَلٍ وخَوفٍ وغيبوبةٍ فتفوَّه بما لم يرده ، بدليل ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فلمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثمَّ اطْحَنُونِي ، ثمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللهِّ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً ، فلمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللهُّ الأَرْضَ فَقَالَ : اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ " وَقَالَ غَيْرُهُ : " مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ " (٢) .

وقد يكون المُكَفَّر ممَّن لم تقم عليهم الحجَّة ، فمن لم تقم عليه الحجَّة ويثبت موجب الكفر عليه ، فلا يجوز تكفيره ، لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: ١٥]

وقد دلَّت آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خطورة التَّكفير ، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٢/ ٦٨٢ برقم ١٤٤٣) ، أحمد في المسند (٥/ ٢١٨ برقم ٢٢٢٤٢) ، الحميدي في المسند (٢/ ٣٧٥ برقم ٨٤٨) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٥/ ١٠١ برقم ٣٨٥٣٠) ، الترمذي (٤/ ٤٥ برقم ٢١٨٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧ برقم ٧٦) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في السنة (١/ ١٧ برقم ٣٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٥/ ٩٤ برقم ٦٧٠٢) ، الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٤ برقم ٣٢٩١) ، أبو يعلى في المسند (٣/ ٣٠ برقم ١٤٤١) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦ برقم ٣٤٨١) ، مسلم (٤/ ٢١١٠ برقم ٢٧٥٦) .

تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] ، قال الإمام الرَّازي : " ... ثمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ . أَرَادَ الانْقِيَادَ وَالاِسْتِسْلَامَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ [النحل: ٨٧] ، أَيِ اسْتَسْلَمُوا لِلأَمْرِ ، وَمَنْ قَرَأَ السَّلام بِالْأَلِفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ : أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّلام الَّذِي يَكُونُ هُوَ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْ : لَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّاكُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ أَنَّه إِنَّما قَالَهَا تَعَوُّذاً فَتُقْدِمُوا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ لِتَأْخُذُوا مَالَهُ ، وَلَكِنْ كُفُّوا وَاقْبَلُوا مِنْهُ مَا أَظْهَرَهُ . وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : لَا تَقُولُوا لِمَنِ اعْتَزَلَكُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ لَسْتَ مُؤْمِناً ، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ السَّلَامَةِ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَ طَالِبٌ لِلسَّلَامَةِ " (١) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ شَيْئاً مِنْ عَلَامَاتِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَحِلَّ دَمُهُ حَتَّى يُخْتَبَرَ أَمْرُهُ ، لِأَنَّ السَّلام تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ هَذِهِ عَلَامَةً "(٢).

وقد جاءت السُّنَّة المطهَّرة بالوعيد الشَّديد لمن تجرَّأ على التَّكفير ، ومن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ " (٣) .

وقال أيضاً : " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا " (٤) .

وقال أيضاً : " لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ " (٥) .

وقال أيضاً : " ... وَمَنْ رَمَى مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ " (٦) .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا سِتْرٌ مِنَ اللهِ ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ هُجْراً هَتَكَ سِتْرَهُ ، وَإِذَا قَالَ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا " (١) . وَعَنْ أَبِي

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٠/ ١٨٩) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٥٩) .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٧٩ برقم ٦٠) ، أحمد في المسند (٢/ ٦٠ برقم ٥٢٥٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٣) ، الطيالسي في المسند (٣/ ٣٧٥ برقم ١٩٥٢) ، ابن المقرئ في المعجم (ص٩٩ برقم ٢٣٢) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٦٤٠ برقم ٥٩٤) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١١٠١ برقم ١٨٩٦) .

(٥) أخرجه البخاري (٨/ ١٥ برقم ٦٠٤٥) ، الأدب المفرد (ص٢٠١ برقم ٤٣٢) ، البغوي في شرح السنة (١٣/ ١٣٢ برقم ٣٥٥٢) .

(٦) أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٥) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٣ برقم ١٦٤٣٢) ، الرُّوياني في المسند (٢/ ٤٣١ برقم ١٤٥٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٧٢ برقم ١٣٢٦) ، البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٤٣ برقم ١٥٨٧٦) ، شعب الإيمان (٩/ ٤٥ برقم ٦٢٣٨) .

سُفْيَانَ قَالَ : سَأَلْتُ جَابِراً وَهُوَ مُجَاوِرٌ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ نَازِلٌ فِي بَنِي فِهْرٍ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُشْرِكاً ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ . قَالَ : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَداً مِنْهُمْ كَافِراً ؟ قَالَ : لَا (٢) .

ومع كلِّ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من التَّحذير من المجازفة في التَّكفير الذي لا يلج بابه ويُسارع فيه إلَّا من لا عنده مسْكَة من ورعٍ ومخافة ... وذلك لما يترتَّب عليه من أحكام عديدة ...

فقد رأينا أقواماً ابتُليت الأمَّة بهم قديماً وحديثاً لا همَّ لهم إلَّا تكفير المخالفين ، ولو كان المُخالف لهم جمهور الأُمَّة ، على ما سترى في هذا الكتاب ... والغريب في الأمر : أنَّك إن حاورت بعضهم في هذه المسألة أنكر واستكبر ، وعبس وبسر ، وقال : نحن لا نكفِّر ... والمخالفون هم من يكفِّروننا ، ويتَّهموننا بالتَّكفير ...

وحتى نضع الأُمور في نصابها الصَّحيح في هذه المسألة ، كان هذا الكتاب الذي ما أردنا منه بعد رضوان الله تعالى إلَّا أن يرعوي هؤلاء ، فيعودوا إلى رشدهم ، ويستنكروا ما في كتبهم من تكفير لعموم أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تناوشها الأعداء من كلِّ حدب وصوب ، وأحاطوا بها إحاطة السِّوار بالمعصم ... وقد جعلته في مقدِّمة ، وتسعة فصولٍ ، وخاتمة :

المُقَدِّمَة : ....

الفَصْلُ الأَوَّلُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لعُمُوْمِ الأُمَّةِ وآحادها فِيْ مَسَائِلَ مُتَفَرِّقَة .

الفَصْلُ الثَّانِي : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة للمُعَيَّن .

الفَصْلُ الثَّالث : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلأَشَاعِرَةِ .

الفَصْلُ الرَّابعُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة للمُتَكَلِّمِيْن .

الفَصْلُ الخَامِسُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلُمتَوَسِّلِيْن .

الفَصْلُ السَّادِسُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة للصُّوْفِيَّة .

الفَصْلُ السَّابِعُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلْعُثْمَانِيِّيْن .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٢٤ برقم ١٠٥٤٤) ، البزار في المسند (٥/ ٢٥٣ برقم ١٨٦٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦٩ برقم ٤٦٦٢ ، وقال : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : " وَنا مَرَّةً أُخْرَى مَوْقُوفاً " قَالَ الشَّيْخ أَحْمَدُ : الصَّوَابُ مَوْقُوفٌ كَمَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٧٣٢ برقم ١٠٠١) .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٠٧ برقم ٤٠٨ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ) .

الفَصْلُ الثَّامِنُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلْمُعْتَزِلَة .

الفَصْلُ التَّاسِعُ : تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلإِبَاضِيَّة .

والله تعالى نسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجمع كلمة المسلمين ، وأن يوحِّد صفَّهم ، ويكبت عدوَّهم ، إنَّه وليّ ذلك والقادر عليه ...

وسبحانك اللهمَّ وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلَّا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك

والحمد لله ربِّ العالمين

Prof.am817@yahoo.co

تَمْهِيْد : الوَهَّابِيَّـــة اسْمٌ هُمْ خَلَعُوْهُ عَلَى أَنْفُسِهِم ...

من المعلوم أنَّ اسم " الوهَّابيَّة " اسم خلعه من يدَّعون السَّلفيَّة على أنفسهم وارتضوا به ، ورأينا جمهورهم يُصرِّح بالتَّسمية باسم الوهَّابيَّة ... وأحبُّوها ، ودافعوا عنها في كُتبهم ومجالس عِلمهم ...

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة" : " ... وصار بعض النَّاس يسمع بنا معاشر الوهَّابيَّة ، ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه " (١) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " الرَّدُّ على من أنكر على أهل الدَّعوة الوهَّابيَّة إنكارهم الشِّرك " (٢) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " فأبيتم هذا كلَّه ، وقلتم هذا دين الوهَّـــابيَّة ، ونعم هو ديننا بحمد الله " (٣) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " فلذلك الوهَّابيَّة ، يسمُّون مذهبهم : عقيدة السَّلف " (٤) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " ومن محاسن الوهَّابيَّة : أنَّهم أماتوا البدع ومحوها " (٥) .

وقال المدعو أحمد بن حجر بن محمَّد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي (١٤٢٣هـ) ، وهو يتكلَّم عن أحد أُمراء الهند واسمه السيِّد أحمد : " فلمَّا التقى بالوهَّابيِّين في مكَّة اقتنع بصحَّة ما يدعون إليه ، وأصبح من دعاة المذهب ، الذين تملَّكهم الإيمان ، وسيطرت عليهم العقيدة ... وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون الوهَّابيُّون أن يقيموا الدَّولة الإسلاميَّة على أساس من المبادئ الوهَّابيَّة ، بجهة البنجاب ، تحت حكم الدَّاعية السيِّد أحمد ، ولم تلبث هذه الدَّولة طويلاً ، حتى قضى عليها الاستعمار الإنكليزي في العقد الرَّابع من القرن التَّاسع عشر. ولكنَّ الدَّعوة الوهَّابيَّة ظلَّت قائمة هناك على يد خلفاء السيِّد أحمد من بعده ، ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها .

ولا يزال الكثيرون من سكَّان هذه المناطق يدينون بالإسلام على المذهب الوهَّابي !!!

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٦٦) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٥١١) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/ ٢٦٧) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٢٨) .

(٥) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٥٣) .

وفي سومطرة ابتدأت الدَّعوة الوهَّابيَّة سنة (١٨٠٣م) على يد أحد الحجَّاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحجّ في نفس السنَّة ، بعد أن التقى بالوهَّابيِّين ، واطَّلع على صحَّة ما يدعون إليه .

فلمَّا عاد إلى وطنه ابتدأ دعوته ، ثمَّ تطوَّرت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين والوهَّابيِّين !!! الذين أصبحوا قوَّة كبيرة في سومطرة ، وبين غير المسلمين من سكانها الأصليِّين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولنديَّة سنة (١٨٢١م) أن تناهض هذه الحركة القويَّة ، محافظة على كيانها ونفوذها هناك " (١) .

فانظر يا رعاك الله إلى أن انتشار الوهَّابيَّة في بلاد أندونيسيا المُسلمة أدَّى إلى نشوب حروب طاحنة بين الوهَّابيَّة وغيرهم من المسلمين ، لأنَّهم جاءوا بما لا تعهده الأجيال ، ولم يُعرف في أوساط المسلمين من قبل ، وهكذا هم على الدَّوام يعتقدون أنَّهم وحدهم فقط من يعرف الدِّين والتَّوحيد ، بل يجزمون أنَّهم وحدهم على الحقِّ بل على الإيمان ومن سواهم كافرٌ مُشرك ...

وهذا هو صنيعهم في كلِّ بلد دخلوه ، وفي كلِّ مكانٍ حلُّوا فيه ... أنَّهم سبب فُرقةٍ واختلاف وفوضى في أغلب الأوطان التي دخلوها ... مع العلم أنَّ الأمن في الأوطان مطلوب من الجميع ... وقد أمر الله تعالى بالاجتماع ونهى عن الفُرقة والاختلاف المبنيّ على العصبيَّة والهوى ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقال : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، ونهى عن الفساد والإفساد في الأرض ونعى على المفسدين ، فقال : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ، فالواجب على المسلم أن يسعى حثيثاً لجمع الكلمة ورصِّ الصُّفوف وتوحيدها ، لأنَّ الشَّارع الحكيم أمر بذلك ...

وكتب الدُّكتور محمَّد بن خليل حسن هرّاس (١٣٩٥هـ) كتاباً بعنوان : " الحركة الوهَّابيَّة " ردَّ فيه على الدُّكتور محمَّد البهي في نقده للوهَّابيَّة .

وكتب المدعو : محمَّد حامد الفقي كتاباً بعنوان : " أثر الدَّعوة الوهَّابيَّة في الإصلاح الدِّيني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها " ...

وكتب الدُّكتور محمَّد الشّويعر كتاباً بعنوان : " تصحيح خطأ تاريخي حول الوهَّابيَّة " ...

---

(١) انظر : محمَّد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (ص٧٨-٧٩) .

وقال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب آل الشَّيخ (١٢٩٣هـ) : " ... فأبيتم علينا هذا كلّه ، وقلتم : هذا دين الوهَّابيَّة ، ونعم ، هو ديننا بحمد الله " (١) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (١٤٢٠هـ) : " الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله الذي تنسب إليه الوهَّابيَّة ، هو رجل قام في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر ، يدعو النَّاس إلى ما قاله الله ورسوله ، يدعو النَّاس إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ، من أتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسَّير على منهج أصحابه في الأقوال والأعمال ، وهو حنبلي المذهب ولكنَّه وفَّقه الله لدعوة النَّاس إلى إصلاح العقيدة ، وترك الشِّرك بالله عزَّ وجلَّ !!! وترك البدع والخرافات التي قام بها وتخلَّق بها المتصوِّفة ، أو أصحاب الكلام ، فهو يدعو إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ، في العمل وفي العقيدة ، وينهى عما عليه أهل الكلام من بدع ، وما عليه بعض الصُّوفيَّة الذين خرجوا عن طريق الصَّواب إلى البدع !! فليس له مذهب يخالف مذهب أهل السنَّة والجماعة ، بل هو يدعو إلى مذهب أهل السنَّة والجماعة فقط ، فإذا دعوت أحدا إلى التَّوحيد ونهيته عن الشِّرك فقالوا الوهَّابيَّة ، قل نعم أنا وهَّابي وأنا محمدي أدعوكم إلى طاعة الله وشرعه ، أدعوكم إلى توحيد الله ، فإذا كان من دعا إلى توحيد الله وهَّابيَّاً فأنا وهَّابي ... " (٢) .

والحقّ أنَّ الوهَّابيَّة جعلت السَّلف الصَّالح شمَّاعة علَّقوا عليها ما يريدون من عقائد وأفكار ، تماماً كما صنع من قبل ابن تيمية ... لأنَّ البحث والاستقراء أثبت أنَّ العديد العديد من الأفكار التي يعتقدها هؤلاء لا تمتُّ بأدنى صلة للسَّلف الصَّالح ، وقد ذكرنا العديد منها في غير هذا الكتاب من كُتبنا ...

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " فالوهَّابيَّة هم هذا ، الوهَّابيَّة دعاة إلى توحيد الله " (٣) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " أمَّا الوهَّابيَّة فهم أتباع الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التَّميمي رحمه الله ، فهو إمام مشهور ... " (١) .

---

(١) انظر : عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/ ٩٦٣) ، وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثالث) (١/ ٤٤١) .

(٢) انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٥٣) .

(٣) انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٥٤) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " وليست الوهَّابيَّة حسب تعبير الكاتب بدعاً في إنكار مثل هذه الأمور البدعيَّة ، بل عقيدة الوهَّابيَّة : هي التَّمسُّك بكتاب الله وسنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسَّير على هديه ، وهدي خلفائه الرَّاشدين ، والتَّابعين لهم بإحسان ، وما كان عليه السَّلف الصَّالح ، وأئمَّة الدِّين والهدى ، أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله ، وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحَّت بها الأخبار النَّبويَّة ، وتلقَّتها صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقبول والتَّسليم . يثبتونها ويؤمنون بها ويمرُّونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ويتمسَّكون بما درج عليه التَّابعون ، وتابعوهم من أهل العلم والإيمان والتَّقوى ، وسلف الأمَّة وأئمَّتها " (٢) .

وجاء في مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز : " س : هل صحيح أنَّ الوهَّابيَّة تناصب آل البيت العداء ، وأنَّها تنتقص من سيد الخلق ، وما حقيقة الدَّعوة الوهَّابيَّة ؟ ولماذا تحارب بهذا الشَّكل ؟

ج : الوهَّابيَّة منسوبة إلى الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله (١٢٠٦هـ) ، وهو الذي قام بالدَّعوة إلى الله سبحانه في نجْد ، وأوضح للنَّاس حقيقة التَّوحيد والشِّرك ، ودعا النَّاس إلى توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه ، وترك التعلُّق على أصحاب القبور ، ممَّن يسمُّون بالأولياء ، ودعاؤهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنَّذر لهم " (٣) .

وجاء في مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز : " كما أنَّ الوهَّابيَّة يسيرون على منهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في العقيدة والقول والعمل ، ويبغضون من خالف سيرتهم ، وخرج عن نهجهم من سائر الطَّوائف ، وهذا هو الحقُّ الذي يجب على كلِّ مسلم أن يسير عليه ، ويعتقده ويدعو إليه ، كما قال الله سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١] (٤) .

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٤) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٢٨) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٩/ ٢٣٠) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٩/ ٢٣١) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " ... وأمَّا ما ذكره من مجادلة الطَّالب له ، وقول بعضهم : إنَّه رجل وهَّابي ، وإنَّ الوهَّابيَّة لا يقرُّون المدائح النَّبويَّة ، وما إلى ذلك ، فإنَّنا نخبره وغيره بأنَّ الوهَّابيَّة – ولله الحمد – كانوا من أشدِّ النَّاس تمسُّكاً بكتاب الله وسنَّة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومن أشدِّ النَّاس تعظيماً لرسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – واتباعاً لسنَّته ، ويدلّك على هذا أنَّهم كانوا حريصين دائماً على اتباع سنَّة الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والتَّقيُّد بها ، وإنكار ما خالفها من عقيدة ، أو عمل قولي أو فعلي " (١) .

وجاء في مجموع فتاوى ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين أيضاً : " وأمَّا قول السَّائل : بأنَّ من فعل هذا كان وهَّابيَّاً ، فإنِّي أبلغ السَّامعين جميعاً بأنَّ الوهَّابيَّة ليست مذهباً مستقلاً أو مذهباً خارجاً عن المذاهب الإسلاميَّة ، بل إنَّما حركة لتجديد ما اندثر من الحقّ !!! وخفي على كثير من النَّاس ، فهم في عقيدتهم متَّبعون للسَّلف ، وفي مذهبهم في الفروع مقلِّدون للإمام أحمد – رحمه الله – ولا يعني ذلك أنَّه إذا تبيَّن الصَّواب لا يدعون من قلَّدوه ، بل هم إذا تبيَّن لهم الصَّواب ، ذهبوا إليه وإن كان مخالفاً لمن قلَّدوه ؛ لأنَّهم يؤمنون بأنَّ المقلَّد عرضة للخطأ ، ولكنَّ النَّصوص الشَّرعيَّة ليس فيها خطأ .

وبهذا تبيَّن أنَّ هذه الدَّعوى التي يقصد بها التَّشويه لا حقيقة لها ، وأنَّ الوهَّابيَّة ما هي إلَّا حركة لتجديد ما اندثر من علم السَّلف في شريعة الله سبحانه وتعالى ، وهي لا تخلو أن تكون دعوة سلفيَّة محضة كما يعرف ذلك من تتبَّعها بعلم وإنصاف " (٢) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ما هي الوهَّابيَّة ؟ السُّؤال الثَّاني من الفتوى رقم (٩٤٥٠) :

س٢: ما هي الوهَّابيَّة ؟

ج٢: الوهَّابيَّة : لفظة يُطلقها خصوم الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله على دعوته إلى تجريد التَّوحيد من الشِّركيَّات ، ونبذ جميع الطُّرق إلَّا طريق محمَّد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومرادهم من ذلك : تنفير النَّاس من دعوته وصدِّهم عمَّا دعا إليه ، ولكن لم يضرها ذلك ، بل زادها انتشاراً في الآفاق وشوقاً إليها ممَّن وفَّقهم الله إلى زيادة البحث عن ماهيَّة الدَّعوة وما ترمي إليه وما تستند عليه من أدلَّة الكتاب والسنَّة الصَّحيحة

(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٣/ ٦٠) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١٣/ ١٤٣) .

فاشتدَّ تمسُّكهم بها ، وعضُّوا عليها ، وأخذوا يدعون النَّاس إليها ولله الحمد . وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وَسَلَّم [1] .

وألَّف إمامهم سليمان بن سحمان كتاباً بعنوان : " الهديَّة السَّنيَّة والتُّحفة الوهَّابيَّة النَّجديَّة" .

جاء فيه : " جواب أهل السنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والزَّيديَّة ، وهو ردٌّ على بعض علماء الزَّيديَّة فيما اعترض به على دعوة التَّوحيد الوهَّابيَّة " .

وجاء فيه أيضاً : فصل الاحتجاج بالمُرْسَل وردّ دعوى تكفير الوهَّابيَّة لمن خالفهم مطلقاً [2] .

وجاء في كتاب " المورد العذب الزُّلال في كشف شُبه أهل الضَّلال " فصلٌ بعنوان : " من يقاتل الوهَّابيَّة ومن يُكَفِّرون ، وفصل آخر بعنوان " الوهَّـــابيَّة لا يكفِّرون إلَّا بما أجمع العلمـــاء على أنَّه كفر " [3] .

وفي كلامه عن ابن جرجيس قال إمامهم عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي (١٢٨٥هـ) : " وادَّعى أنَّ الوهَّابيَّة تكفِّر الأمَّة المحمَّديَّة " [4] .

وجاء في كتاب " صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان " : " عُلم ممَّا أجملناه أنَّ قواعد الجهل التي بنى عليها الشَّيخ أحمد دحلان ردَّه على الوهَّابيَّة " .

وجاء فيه أيضاً : " ... ذكره السيِّد العلَّامة مولانا السيِّد صديق حسن سلَّمه الله تعالى في كتابه " إتحاف النُّبلاء " ما كان عليه الوهَّابيَّة من الاتباع والاجتهاد في الأصول والفروع " [5] .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي : " ولو جهد أعداء الله ممن خالف الوهَّابيَّة أن يستدركوا على

---

[1] انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٥٥) .

[2] انظر : جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع ، القسم الأول) (ص٤٧ ، ص١٠٣ بالترتيب) .

[3] انظر : المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع، القسم الأول) (ص٣٠٠ ، ٣٠٦ بالترتيب) .

[4] انظر : كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس (ص٢٩) .

[5] انظر : صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان (ص١١ ، ص٤٧٣ بالترتيب) .

الوهَّابيَّة في أصول الدِّين وفروعه أنَّهم استدلُّوا على ما يذهبون إليه بحديث موضوع أو ضعيف لا يصحّ الاحتجاج به لما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم " [1] .

قلت : بل استدرك العلماء على الوهَّابيَّة بمئات المصنَّفات ، لا بالحديث الموضوع بل بالقرآن العظيم المسطَّر بلغة العرب التي سلخوا منها المجاز ... فأنكروا المجاز في القرآن ، وبنوا على ما توهَّموا عقائد كفَّروا من خالفها ... وهنا لا يسعنا إلَّا أن نقول لابن سحمان : " مَادِحُ نَفْسهُ يُقْرِئُكَ السَّلام " .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي – أيضاً – : " فمذهب الوهَّابيَّة هو مذهب أهل السُّنَّة المحضة ، كالإمام أحمد وذويه ... " .

وقال أيضاً : " نعم قد اشتملت عقيدة الوهَّابيَّة على إثبات الوجه واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنَّة وأقوال أئمَّة السَّلف ، كما هو معروف مشهور في عقائدهم ، وفيما صنَّفوه من الرَّدّ على الجهميَّة وغيرهم من أهل البدع .

وأمَّا لفظ الجهة ، وجعله سبحانه وتعالى جسماً فهذا من الكذب على الوهَّابيَّة ... " .

وقال أيضاً : " وهذا أيضاً من الكذب على الوهَّابيَّة ، فإنَّهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ... وهذا أيضاً كذب على الوهَّابيَّة ، فإنَّهم لا يكفِّرون المسلمين " .

وقال أيضاً : " فأمَّا كون الوهَّابيَّة أبت إلَّا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه : فنعم ، وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله ".

وقال أيضاً : " فالحمد لله الذي أخذ بنواصي الوهَّابيَّة فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضَّالين !!! " .

وقال أيضاً : " ... بل الوهَّابيَّة يضعون الآيات القرآنيَّة في معانيها الصَّحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمَّة التَّفسير ، ولا يؤوِّلونها على ما يوافق أهواءهم " .

وقال أيضاً : " هذا كذبٌ عليهم ، وما علمنا أحداً قال بهذا من الوهَّابيَّة " [2] .

---

[1] انظر : الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية (ص١٩٧) .

[2] انظر : الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٢٠٥ ، ص٢٠٩ ، ص٢١١ ، ص٢١٥ ، ص٣٠١ ، ص٣٥٧ ، ص٣٥٩ ، بالترتيب) .

وفي الكتاب السَّابق أقرَّ صاحب الكتاب الوهَّابي بتسميتهم بالوهَّابيَّة ...أمَّا المسائل التي نفاها عن الوهَّابيَّة ... فإنِّي أظنُّه كان نعساً أو نائماً يحلم أحلام اليقظة عند كتابته ما كتب ...والعكسُ بعكسِ ما قال ... فهم يكفَّرون الأمَّة بالجُملة ، ويقولون بالجِسميَّة والجهة لله تعالى ، وليسوا أبداً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ويقولون باستقرار الله تعالى على عرشه ، ولا يضعون الآيات القرآنيَّة في معانيها الصَّحيحة ، وهم يؤوِّلونها على ما يوافق أهواءهم ، عصبيَّة للمنهج واتِّباعاً للهوى ...

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي : " وأمَّا الوهَّابيَّة فهم يعلمون ويعتقدون أنَّ الإله هو الذي تألّهه القلوب محبَّة وإجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وتوكُّلاً ... " .

وقال أيضاً : " قدَّمنا حقيقة مذهب الوهَّابيَّة وبينَّا أصوله بالأدلَّة الشَّرعيَّة والبراهين العقليَّة " .

وقال أيضاً : " وأمَّا انتساب الوهَّابيَّة إلى مذهب أحمد فنعم " .

وقال أيضاً : " وإذا كان هذا هو معتقد الوهَّابيَّة فأيّ عيب يوجَّه إليهم وأي بيان أوضح من هذا البيان " .

وقال أيضاً : " وكذلك ما ينسبونه عن الوهَّابيَّة من الأكاذيب التي يشنِّعون بها وينفِّرون بها النَّاس عن الدُّخول في دين الله ورسوله ظلماً وعدواناً " (١) .

وقال المدعو أبو سهل محمَّد بن عبد الرَّحمن المغراوي : " قال رحمه الله – يقصد محمَّد البشير الإبراهيمي (١٣٨٥هـ) – : " أنَّهم موتورون لهذه الوهَّابيَّة التي هدمت أنصابهم ومحت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله ، وقد ضجَّ مبتدعة الحجاز فضجَّ هؤلاء لضجيجهم ، والبدعة رحم ماسة ، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة (وهَّابي) تُقذف في وجه كلّ داعٍ إلى الحقِّ إلَّا نواحاً مُردَّداً على البدع التي ذهبت صرعى لهذه الوهَّابيَّة " (٢) .

---

(١) انظر : كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب (ص٩١ ، ص٩٣ ، ص١١١ ، ص١١٨ ، ص٢٥٣) .

(٢) انظر : موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٤٦٢) .

وجاء في مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجديَّة قولهم : " الرَّدُّ على فِرية : أنَّ الوهَّابيَّة يُلزمون النَّاس تكفير آباءهم وأجدادهم ... " (١) .

فالوهَّابيَّة اسم خلعه أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب على أنفسهم مُرتضين ومُقرِّين به ، وهي في حقيقتها فتنة دهماء ألَّمت بالمسلمين ، أذكاها وزاد من أُوارها المستعمر البغيض ، حتى فعلت من الأفاعيل ما يشيب لهوله الوليد ، وانتسابها للسَّلف الصَّالح مجرَّد انتساب اسم لا انتساب منهج وعقيدة ، لأنَّ أفاعيلهم التي فعلوها منذ نشأتهم تدلُّ دلالة قطعيَّة على أنَّهم لم يسيروا قط على منهج السَّلف الصَّالح ، بل إنَّ الكثير من أفاعيلهم وممارساتهم لا تدلَّ البتَّة على منهج الإسلام وروحه وشريعته ...

يقول عنهم الإمام أحمد زيني دحلان (١٣٠٤هـ) ، مفتي مكَّة المكرَّمة : " ... ولَّما دخلوا الطَّائف قتلوا النَّاس قتلاً عامَّاً ، واستوعبوا الكبير والصَّغير ، والمأمور والأمير ، والشَّريف والوضيع ، وصاروا يذبحون على صدر الأم الطِّفل الرَّضيع ، وصاروا يصعدون البيوت يُخرجون من توارى فيها ، فيقتلونهم ، فوجدوا جماعة يتدارسون القرآن !!! فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعاً ، ثمَّ خرجوا إلى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ، ويقتلون الرَّجل في المسجد وهو راكع أو ساجد ، حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات ، فويلٌ لهم من جبَّار السَّموات ، ولم يبق من أهل الطَّائف شرذمة قدر نيف وعشرين انحازوا إلى البيت الفتني ، وترَّسوه ومنعوه بالرَّصاص أن يصلوه ، وجماعة في بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم بما طال ، وشاغلوهم بكثرة النِّضال ، ثمَّ قاتلوهم في اليوم الثَّاني والثَّالث فعلم ابن شكبان أن لا سبيل إلى هؤلاء إلَّا بالمكر والخديعة ، فراسلهم بالأمان ، وقال لهم : إنَّكم في وجه ابن شكبان وعثمان ، وأعطوهم على ذلك العهود ، فكفُّوا عن القتال ، فأدخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السِّلاح ، وقالوا لهم : حَمْلُهُ للمشركين !! غير مُباح ، ثمَّ أمروهم بالخروج لمقابلة الأمير ، فلمَّا مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعاً ، ففازوا بالشَّهادة ، وكان قتلهم بقوز يسمَّى دقاق اللوز ، وكان جماعة مفرَّقون في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين كانوا مترسين يرمونهم برصاص ، فأخرجوهم أيضاً بالأمان والعهود على سلامة الأرواح والرِّقاب دون بقيَّة الأسباب ، ثمَّ أخرجوهم إلى وادي وج ، وتركوهم في البرد والثَّلج ، وما زالوا مكشوفي السوأتين حتى رموا عليهم أطماراً بالية من الكساء ، وجمعوا بين الرِّجال

---

(١) انظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (الجزء الرابع ، القسم الثاني) (١/ ٨٣٥) .

والنِّساء وصارت المخدَّرات في أسوأ الحالات ، ثمَّ عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوماً على الدُّخول في الطِّين ، فصاروا يتكفَّفون المسلمين ، فيعطون السَّائل الحفنة من الذُّرة ملء الكفِّ يقضمها .

وصار العُربان كلّ يوم يدخلون الطَّائف ، وينقلون الأموال إلى الخارج ، فنهبوا النُّقود ، والعُروض ، والأساس ، والفِراش ، ويتهافتون على ذلك تهافت الفَراش ، فصارت الأموال في مخيَّمهم كأمثال الجبال ، إلَّا الكتب ، فإنَّهم نشروها في تلك البطاح ، وفي الأزقَّة والأسواق ، تعصف بها الرِّياح ، وكان فيها من المصاحف والرّباع ألوف مؤلَّفة ، ومن نسخ البخاري ومسلم وبقيَّة كتب الحديث والفقه والنَّحو ، وغير ذلك من بقيَّة العلوم شيء كثير ، ومكثت أياماً يطؤنها بأرجلهم ، لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة . وأخبرهم بعض شياطينهم أنَّ عزيز الأموال مدفونة في المخابئ ، فحفروا حفيرة في بعض المحال ، فوجدوا فيها عزيز المال مخبَّأ ، فظنُّوا أنَّ جميع الدُّور كذلك ، فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها ، وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات ، فأخربوا تلك الرُّبوع التي كانت عامرة بالأنس والمسامرة ، فسبحان من بيده ملكوت كلّ شيء ، يخرج الحيَّ من الميِّت ، ويخرج الميِّت من الحيّ ، وما هذه الدُّنيا إلَّا موعظة واستبصار لأولي الفكر والاعتبار ، ليعلم أهل الدُّنيا أنَّ نعيمها زوال ، وزخرفها مُحال أيُّ محال ، وأنَّ القاطن فيها على جناح سفر ، فليتخذها جسر ممرّ .

ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصَّة ، فقصَّة الطَّائف كانت على المسلمين أعظم غصَّة ، وكان حصول هذا الشرِّ في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة " [1] .

وإذا ساور أحداً شكٌّ في كلام الإمام أحمد زيني دحلان... فأنا أُحيله إلى كتاب تاريخ الوهَّابيَّة المسمَّى : " عنوان المجد في تاريخ نجد " لإمامهم ومؤرِّخهم عثمان بن عبد الله بن بشر ، عبد الرَّحمن بن عبد اللطيف آل الشَّيخ ... والكتاب أرَّخ لجرائمهم وبطشهم بالموحِّدين في أغلب الدُّول التي دخلوها ، وتعدَّى ذلك إلى وصف المخالفين للدَّعوة الوهَّابيَّة بالمرتدِّين والضُّلَّال ... ولذلك استباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم ...

وقد لَبِسَت الوهَّابيَّة لَبُوْسَ السَّلف ، وادَّعت الحرص على التَّوحيد الذي لا تعرف منه إلَّا اسمه ، والعياذ بالله تعالى ...

---

[1] انظر : أمراء البلد الحرام (ص٢٩٧-٢٩٨) .

نقل الإمام محمَّد صدِّيق خان عن الإمام محمَّد بن ناصر الحازمي أنَّه قال عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " وأشهر ما يُنكر عليه خصلتان كبيرتان : الأُولى : تكفير أهل الأرض بمجرَّد تلفيقات لا دليل عليها ، وقد أنصف السيِّد الفاضل العلَّامة : داود بن سليمان في الردِّ عليه في ذلك .

الثَّانية : التَّجاري على سفك الدَّم المعصوم بلا حجَّة ولا إقامة برهان ، وتتبع هذه جزئيَّات ذكر السيِّد المذكور بعضها وترك كثيراً منها ، وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الأصل وصحَّته " (١) .

وجاء في البدر الطَّالع عن أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وَلَكنهُمْ يرَوْنَ أَنَّ من لم يكن دَاخِلاً تَحت دولة صَاحب نجد وممتثلاً لأوامره ، خَارج عَن الْإِسْلَام . وَلَقَد أخبرني أَمِير حجَّاج الْيمن السيِّد محمَّد بن حُسَيْن المراجل الكبسي أَنَّ جمَاعَة مِنْهُم خاطبوه هُوَ وَمن مَعَه من حجاج الْيمن بِأَنَّهُم كفار وأنَّهم غير معذورين عَن الْوُصُول إِلَى صَاحب نجد لينْظر فِي إِسْلَامهمْ ، فَمَا تخلَّصوا مِنْهُ إِلَّا بِجهْد جهيد " (٢) .

وقال الشَّيخ أحمد بن زيني دحلان (١٣٠٤هـ) : " ... كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدِّرعيَّة ويقول في كلِّ خطبه : " ومن توسَّل بالنَّبي فقد كفر !!! " ، وكان أخوه الشَّيخ سليمان بن عبد الوهَّاب من أهل العلم ، فكان يُنكر عليه إنكاراً شديداً في كلِّ ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء ممَّا ابتدعه ، وقال له أخوه سليمان يوماً : كم أركان الإسلام يا محمَّد بن عبد الوهَّاب ؟ فقال خمسة ، فقال : أنت جعلتها ستَّة ، السَّادس : من لم يتَّبعك فليس بمسلم ، هذا عندك ركنٌ سادس للإسلام .

وقال رجل ءاخر يوماً لمحمَّد بن عبد الوهَّاب : كم يعتق الله كلّ ليلة في رمضان ؟ فقال له : يعتق في كلِّ ليلة مائة ألف ، وفي ءاخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشَّهر كلِّه ، فقال له : لم يبلغ من اتبعك عُشر عُشر ما ذكرت ، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى ، وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتَّبعك ، فبُهت الذي كفر . ولَّما طال النِّزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله ، فارتحل إلى المدينة المنَّورة ، وألَّف رسالة في الردِّ عليه وأرسلها له فلم ينته . وألَّف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الردِّ عليه وأرسلوها له فلم ينته .

وقال له رجل ءاخر مرَّة وكان رئيساً على قبيلة بحيث إنَّه لا يقدر أن يسطو عليه : ما تقول إذا أخبرك رجلٌ صادقٌ ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأنَّ قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني ، فأرسلت ألف

---

(١) انظر : أبجد العلوم (ص٦٧٩-٦٨٠) .

(٢) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٥-٦) .

خيَّال ينظرون القوم الذين وراء الجبل ، فلم يجدوا أثراً ولا أحداً منهم ، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم ، أتصدِّق الألف أم الواحد الصَّادق عندك ؟ فقال : أصدِّق الألف ، فقال له : إنَّ جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذِّبون ما أتيت به ، ويزيِّفونه ، فنصدِّقهم ونكذِّبك ، فلم يعرف جواباً لذلك .

وقال له رجل ءاخر مرَّة : هذا الدِّين الذي جئت به متَّصل أم منفصل ؟ فقال له حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلُّهم مشركون ، فقال له الرَّجل : إذن دينك منفصل لا متَّصل ، فعمَّن أخذته ؟ فقال : وحي إلهام كالخضر ، فقال له : إذن ليس ذلك محصوراً فيك ، كلُّ أحد يمكنه أن يدَّعي وحي الإلهام الذي تدَّعيه ، ثمَّ قال له : إنَّ التَّوسُّل مُجْمَعٌ عليه عند أهل السنَّة ، حتى ابن تيمية فإنه ذكر فيه وجهين ، ولم يذكر أنَّ فاعله يكفر " (1) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه فإنَّ الوهَّابيَّة يزعمون بأنَّهم الفرقة النَّاجية ، وأنَّهم هم الموحِّدون دون سواهم ، وأنَّ ابن عبد الوهَّاب هو من أرسى قواعد التَّوحيد ، وأنَّه شيخ الإسلام والمجدِّد لدين الله تعالى ...

---

(1) انظر : الدرر السنيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة (ص٤٢-٤٣) .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تَكْفِيْرُالوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ وَآحَادِهَا فِيْ مَسَائِلَ مُتَفَرِّقَة

من المعلوم في دين الإسلام أنَّ التَّكفير شرٌّ مستطير ، وخطرٌ كبير ، تتجنَّب ولُوجه القلوبُ المُؤمنة ، وتنفرُ منه النُّفوس السَّاكنة المطمئنَّة ، وما ذلك إلَّا بسبب ما يترتَّب عليه من أحكام مُفزِعة ، من أعظمها : غضبُ الجبَّار والخلود في النَّار ، قال الإمام أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) : " إِدْخَال كافِرٍ فِي المِلَّة وَإِخْرَاج مُسْلِم عَنْهَا عَظِيم فِي الدِّين " (١) .

وقد ذكرنا في المقدِّمة بعضاً من الآيات والأحاديث التي حذَّرت وبيَّنت ما في التَّكفير من خطورة ... وانسجاماً مع ذلكم الوعيد الشَّديد ، فقد حذَّر العلماء الربَّانيُّون من التَّكفير ، فعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : مَا يَضُرُّكَ شَهِدْتَ عَلَى مُسْلِمٍ بِكُفْرٍ أَوْ قَتَلْتَهُ (٢) .

وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البرّ بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " فَالْقُرْآنُ والسُّنَّة يَنْهَيَانِ عَنْ تَفْسِيقِ الْمُسْلِمِ وَتَكْفِيرِهِ بِبَيَانٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظَرِ الصَّحِيحِ الَّذِي لَا مِدْفَعَ لَهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامَ فِي وَقْتٍ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً أَوْ تَأَوَّلَ تَأْوِيلاً فَاخْتَلَفُوا بَعْدُ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكُنْ لِاخْتِلَافِهِمْ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ مَعْنىً يُوجِبُ حُجَّةً ، وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الْإِسْلَامِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ إِلَّا بِاتِّفَاقٍ آخَرَ أَوْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ لَا مُعَارِضَ لَهَا . وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةُ وَهُمْ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ عَلَى أَنَّ أَحَداً لَا يُخْرِجُهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ عَظُمَ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَخَالَفَهُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ ، فَالْوَاجِبُ فِي النَّظَرِ أَنْ لَا يُكَفَّرَ إلا من اتَّفق الجميع على تكفيره أو قام عَلَى تَكْفِيرِهِ دَلِيلٌ لَا مِدْفَعَ لَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوَسُنَّةٍ " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) : " لَا نُكَفِّرُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، أَيْ : لَا نُكَفِّرُهُمْ بِالذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ الْمَعَاصِي كَالزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، خِلَافاً لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَفَّرُوهُمْ بِهَا .

---

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٧٧) .

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٤٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٥) .

(٣) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ٢١-٢٢) .

أَمَّا تَكْفِيرُ بَعْضِ " الْمُبْتَدَعَةِ لِعَقِيدَةٍ تَقْتَضِي " كُفْرَهُ حَيْثُ يَقْتَضِي الْحَالُ الْقَطْعَ بِذَلِكَ أَوْ تَرْجِيحَهُ فَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ بِقَوْلِنَا : بِذَنْبٍ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ بِكُفْرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ بِعَدَمِ كُفْرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مَحِلُّ التَّرَدُّدِ .

فَمِنْ الْأَوَّلِ : تَكْفِيرُ مَنْ صَارَ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ إلَى قِدَمِ الْعَالَمِ " وَإِنْكَارِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَعِلْمِ اللَّهِ " تَعَالَى بِالْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ .

وَقَدْ حَكَى الرُّويَانِيُّ فِي الْبَحْرِ عَنْ الْإِمَامِ " الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَا يُكَفَّرُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إلَّا وَاحِدٌ ، وَهُوَ مَنْ نَفَى عِلْمَ اللَّهِ عَنْ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا فَهُوَ كَافِرٌ .

وَمِنْ الثَّانِي : الْمُبْتَدِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُ بِدْعَتُهُ إنْكَارَ أَصْلٍ فِي الدِّين .

وَمِنْ الثَّالِثِ : مَنْ خَالَفَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْعَقَائِدِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ : فَهَؤُلَاءِ أَمْرُهُمْ فِي مَحِلِّ الِاجْتِهَادِ وَالَّذِي يَنْبَغِي الِاحْتِرَازُ عَنْ التَّكْفِيرِ مَا وَجَدَ إلَيْهِ سَبِيلاً ، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنْ الْمُصَلِّينَ إلَى الْقِبْلَةِ الْمُصَرِّحِينَ بِالتَّوْحِيدِ خَطَأٌ ، وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنْ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " فلعنُ الْمُسلم الْمعِين حرَام وَأَشد مِنْهُ رميه بالْكفْر وَخُرُوجه من الْإِسْلَام ، وَفِي ذَلِك أُمُور غير مرضيَّة مِنْهَا : إشمات الْأَعْدَاء بِأَهْل هَذِه الْملَّة الزكيَّة ، وتمكينهم بذلك من الْقدح فِي الْمُسلمين ، واستضعافهم لشرائع هَذَا الدِّين .

وَمِنْهَا : أَنَّه رُبمَا يقْتَدى بالرَّامي فِيمَا رمى ، فيتضاعف وزره بِعَدَد من تبعه مأثماً ، وَقَلَّ أَن يسلم من رمى بِكفْر مُسلماً ، فقد خرَّج أَبُو حَاتِم محمَّد بن حبَان فِي صَحِيحه عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا أكفر رجلٌ رجلاً إِلَّا بَاء بِأَحَدِهِمَا بهَا ، فَإِن كَانَ كَافِراً وَإِلَّا كفر بتكفيره . وَله شَاهد فِي الصَّحِيحَيْنِ من حَدِيث أبي ذَر وَابْن عمر رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُم . وَفِي صَحِيح البُخَارِيّ لَهُ شَاهد أَيْضاً من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، وَصَحَّ عَن ثَابت ابْن الضَّحَّاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى

(١) انظر : المنثور في القواعد الفقهية (٣/ ٨٧-٨٨) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " وَمن رمى مُؤمناً بِكفْر فَهُوَ كقتله " ، وَخرَّج أَبُو بكر الْبَزَّار فِي مُسْنده عَن عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنْهُمَا ، قَالَ : رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذا قَالَ الرجل لِأَخِيهِ يَا كَافِر فَهُوَ كقتله " .

وروينا من حَدِيث الثَّوْريّ عَن يزِيد ابْن أبي زِيَاد عَن عَمْرو بن سَلمَة ، قَالَ : سَمِعت عبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُول : مَا من مُسلمين إِلَّا وَبَينهمَا ستر من الله عزَّ وَجلَّ ، فَإِن قَالَ أَحدهمَا لِأَخِيهِ كلمة هجر خرق ستر الله الَّذِي بَينهمَا ، وَلَا قَالَ أَحدهمَا : أَنْت كَافِر إِلَّا كفر أَحدهمَا . تَابعه محمَّد بن فُضَيْل ، وَأَبُو إِسْحَاق الْفَزارِيّ ، عَن يزِيد . فَهَل بعد هَذَا الْوَعيد من مزِيد فِي التهديد ؟!! وَلَعَلَّ الشَّيْطَان يزين لمن اتبع هَوَاهُ وَرمى بالْكفْر وَالْخُرُوج من الْإِسْلَام أَخَاهُ أَنَّه تكلم فِيهِ بِحَق ورماه ، وأَنَّه من بَاب الْجرْح وَالتَّعْدِيل لَا يَسعهُ السُّكُوت عَن الْقَلِيل من ذَلِك فَكيف بالجليل .

هَيْهَات هَيْهَات إِن فِي مجَال الْكَلَام فِي الرِّجَال عقبات مرتقيها على خطر ومرتقبها هوى لَا منجى لَهُ من الأثم وَلَا وزر ، فَلَو حاسب نَفسه الرَّامِي أَخَاهُ مَا السَّبَب الَّذِي هاج ذَلِك لتحَقّق أَنَّه الْهوى الَّذِي صَاحبه هَالك " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) في كلامه على حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : بَعَثَ عَلِيٌّ – عَلَيْهِ السَّلام – وَهُوَ بِالْيَمَنِ إِلَى النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِذُهَيْبَةٍ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهَّ : اتَّقِ اللهَّ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ أَوْ لَسْتُ أَحَقُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَّ ، ثمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ فَقَالَ : لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي ، فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاس وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ " : " قَالَ النَّوَوِيُّ بَعْدَ أَنْ صَرَّحَ هُوَ وَالْخَطَّابِيُّ بِأَنَّ الْحَدِيثَ وَأَمْثَالَهُ يَدُلُّ عَلَى كُفْرِ الْخَوَارِجِ ، وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالاً مِنْ سَائِرِ الْمَسَائِلِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا الْمَعَالِي وَقَدْ رَغَّبَ إِلَيْهِ الْفَقِيهُ عَبْدُ الْحَقِّ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ الْغَلَطَ فِيهَا يَصْعُبُ مَوْقِعُهُ ؛ لِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي الْمِلَّةِ وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ مِنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّين . وَقَدْ اضْطَرَبَ فِيهَا قَوْلُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ ، وَنَاهِيك بِهِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ ، وَأَشَارَ ابْنُ الْبَاقِلَّانِيِّ إِلَى أَنَّهَا مِنْ الْمُعَوِّصَاتِ ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُصَرِّحُوا بِالتَّكْفِيرِ ، وإِنَّما قَالُوا قَوْلاً يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ .

---

(١) انظر : الرد الوافر (ص١١–١٣) .

وَأَنَا أَكْشِفُ لَك نُكْتَةَ الْخِلَافِ وَسَبَب الْإِشْكَالِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلِيَّ مَثَلاً إذَا قَالَ إنَّ اللهَّ تَعَالَى عَالِمٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَحَيٌّ وَلَا حَيَاةَ لَهُ وَقَعَ الِاشْتِبَاهُ فِي تَكْفِيرِهِ ؛ لِأَنَّا عَلِمْنَا مِنْ دِينِ الْأُمَّةِ ضَرُورَةَ أَنَّ مَنْ قَالَ إنَّ اللهَّ لَيْسَ بِحَيٍّ وَلَا عَالِمٍ كَانَ كَافِراً ، وَقَامَتْ الْحُجَّةُ عَلَى اسْتِحَالَةِ كَوْنِ الْعَالِمِ لَا عِلْمَ لَهُ ، فَهَلْ يَقُولُ إنَّ الْمُعْتَزِلِيَّ إذَا نَفَى الْعِلْمَ نَفَى أَنْ يَكُونَ اللهُّ عَالِماً ، أَوْ يَقُولُ قَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى عَالِمٌ فَلَا يَكُونُ نَفْيُهُ لِلْعِلْم نَفْياً لِلْعَالِمِ هَذَا مَوْضِعُ الْإِشْكَالِ . قَالَ : هَذَا كَلَامُ الْمَاوَرْدِيِّ وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَجَمَاهِيرِ أَصْحَابِهِ وَجَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ " (١) .

ولذلك يجب على غير العالم أن يبتعد عن دائرة التَّكفير ، بل عن الكلام في المسائل الشَّرعيَّة عامَّة ، كما يجب على العالم – غير المتخصِّص بالأصول – أن يُحيط علماً بشروط التَّكفير حتى لا يقع في المحظور ، لأنَّ الكلام والفتيا في الدِّين هي من الخطورة بمكان ، وهي عبارة عن توقيع بالنِّيابة عن الله تعالى ، " وَإِذَا كَانَ مَنْصِبُ التَّوْقِيعِ عَنْ الْمُلُوكِ بِالْمَحِلِّ الَّذِي لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّاتِ ، فَكَيْف بِمَنْصِبِ التَّوْقِيعِ عَنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ؟ فَحَقِيقٌ بِمَنْ أُقِيمَ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ أَنْ يَعُدَّ لَهُ عِدَّتَهُ ، وَأَنْ يَتَأَهَّبَ لَهُ أُهْبَتَهُ ، وَأَنْ يَعْلَمَ قَدْرَ الْمَقَامِ الَّذِي أُقِيمَ فِيهِ ، وَلَا يَكُونُ فِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالصَّدْعِ بِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَّ نَاصِرُهُ وَهَادِيهِ ، وَكَيْف هُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي تَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ رَبُّ الْأَرْبَابِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ١٢٧] ، وَكَفَى بِمَا تَوَلَّاهُ اللهُّ تَعَالَى بِنَفْسِهِ شَرَفاً وَجَلَالَةً ؛ إذْ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [النساء : ١٧٦] ، وَلِيَعْلَمَ الْمُفْتِي عَمَّنْ يَنُوبُ فِي فَتْوَاهُ ، وَلِيُوقِنَ أَنَّه مَسْئُولٌ غَداً وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ اللهَّ " (٢) .

مع العلم أنَّنا رأينا وسمعنا من لا يحسن الكلام في نواقض الوضوء أو أركان الصَّلاة ... يتجاسر في التَّكفير بل في تكفير عموم الأُمَّة ، والعياذ بالله ...

وفيما يلي عرضٌ لبعض المسائل التي كفَّر الوَهَّابيُّون فيها عموم الأُمَّة ...

الأُوْلَى : اعتبر محمَّد بن عبد الوهَّاب (الفقه) عيْن الشِّرك ، ذلك أنَّه بعد أن ذكر قول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] ، قال : " فسَّرها رسول الله صَلَّى

---

(١) انظر : نيل الأوطار (١/ ٣٩٥) .

(٢) انظر : إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (١/ ٩) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأئمَّة بعده بهذا الذي تُسمُّونه الفقه !!! وهو الَّذي سمَّاه الله شِركاً ، واتِّخاذهم أرباباً ، لا أعلم بين المفسِّرين في ذلك اختلافاً " (١) .

فابن عبد الوهَّاب يعتبرُ كتب الفقه عين الشِّرك ، ويفتري على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه فسَّرها بالفقه... وهنا نسأل فنقول : وأين نجد تفسير الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآية بالفقه ؟!!! بل مَنْ مِنَ المفسِّرين قال بها افتراه محمَّد بن عبد الوهَّاب ؟!!! إنَّه الكذب بعينه وشينه ومينه ... بل الحقُّ أنَّ القرآن الكريم أمَرَ وطالبَ بالتَّفقُّه في الدِّين ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] ، " قَالَ مَالِكٌ : وأنَّه لَيَقَعُ فِي قَلْبِي أَنَّ الْحِكْمَةَ هُوَ الْفِقْهُ فِي دِينِ اللهَّ ، وأمْرٌ يُدْخِلُهُ اللهُّ فِي الْقُلُوبِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ ، وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ ، أَنَّكَ تَجِدُ الرَّجُلَ عَاقِلاً فِي أَمْرِ الدُّنيا ذَا نَظَرٍ فِيهَا ، وَتَجِدُ آخَرَ ضَعِيفاً فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ ، عَالِماً بِأَمْرِ دِينِهِ، بَصِيراً بِهِ ، يُؤْتِيهِ اللهُّ إِيَّاهُ وَيَحْرِمُهُ هَذَا ، فَالْحِكْمَةُ : الْفِقْهُ فِي دِينِ اللهَّ " (٢) .

كما وضَّح الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ التَّفقُّه في الدِّين سبيلٌ للخيريَّة ، فقال : " إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّين " (٣) .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى ، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاس ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " (٤) .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٥٩) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١/ ٧٠٠) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٩٢ برقم ١٦٩٥٩) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٣/ ٤٤٤ برقم ٣٦١٥٧) ، البزار في المسند (٥/ ١١٧ برقم ١٧٠٠) ، أبو يعلى الموصلي في المعجم (١/ ٣٨) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٤٦) ، البيهقي في القضاء والقدر (ص١٨٢ برقم ١٦٤) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٩٧ برقم ٨٧) .

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٧ برقم ٢٢٨٢) ، ابن حبان في الصحيح (١/ ١٧٧ برقم ٤) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٨٧ برقم ٨٧) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١٣/ ٢٩٥ برقم ٧٣١١) ، البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٦٨) .

واستجابة لهذا الهَدي النَّبوي في التَّفقُّه في دين الله تعالى ، فقد نبغ من السَّلف الصَّالح العديد من الفقهاء ، سواء كانوا من الصَّحابة أو التَّابعين أو تابعيهم ... وكان من أبرزهم الصَّحابي الجليل عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما ، الذي نبغ في علوم الشَّريعة وفقهها ببركة دعاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له : " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين ، وَعَلِّمْهُ التَّأويل " [١] .

وقد شارك العديد من فقهاء السَّلف والخلف في صناعة موسوعة فقهيَّة ضخمة ، اعتمدوا في صناعتها على كتاب الله تعالى وسنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهم متَّفقون فيما بينهم على الخطوط الفقهيَّة العريضة ، وإن اختلفوا في بعض الجزئيَّات المتعلِّقة بالحياة اليوميَّة ، قال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمَّد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " فاعلم أنَّ هذا الفقه المستنبط من الأدلَّة الشَّرعيَّة كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم ، خلافاً لا بدَّ من وقوعه لما قدَّمناه . واتَّسع ذلك في الملَّة اتِّساعاً عظيماً ، وكان للمقلِّدين أن يقلِّدوا من شاءوا منهم ، ثمَّ لَمَّا انتهى ذلك إلى الأئمَّة الأربعة من علماء الأمصار وكانوا بمكان من حسن الظَّنِّ بهم ، اقتصر النَّاس على تقليدهم ، ومنعوا من تقليد سواهم ، لذهاب الاجتهاد لصعوبته ، وتشعُّب العلوم الَّتي هي موادّه باتِّصال الزَّمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعــة ... " [٢] .

وبناء على ما قاله ابن عبد الوهَّاب من كون كُتب الفقه " كتب الشِّرك " ، فإنَّ كلَّ من اشتهر بالفقه أو كَتَبَ كُتباً فقهيَّة ، من السَّلف والخلف يُعتبر كافراً مشركاً ، لأنَّه صنَّف كُتُباً شِركيَّة كُفريَّة ، ويدخل في ذلك : الفقهاء السَّبعة الذين اشتهروا بالفقه في المدينة المنوَّرة ، وهم :

(١) الصَّحابي الجليل الفقيه عُروة بن الزُبير بن العوام الأسدي القرشيّ ...

---

[١] أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦ برقم ٢٣٩٧) ، فضائل الصحابة (٢/ ٨٤٦ برقم ١٥٦٠) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٢/ ١١١ برقم ٣٢٨٨٧) ، إسحق بن راهوية في المسند (٤/ ٢٣٠ برقم ٢٠٣٨) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٨٧ برقم ٣٨٠) ، البزار في المسند (١١/ ٢٨٢ برقم ٥٠٧٥) ، ابن حبان في الصحيح (١٥/ ٥٣١) ، الآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٦٦ برقم ١٧٤٨) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٢ برقم ١٤٢٢) ، المعجم الصغير (١/ ٣٢٧ برقم ٥٤٢) ، المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٣ برقم ١٠٦١٤) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦١٥ برقم ٦٢٨٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ٢٢٢ برقم ٢٣٤) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٩٣) .

[٢] انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (١/ ٥٧٧) .

(٢) الصَّحابي الشَّهير الفقيه خارجة بن زيد بن ثابت ...

(٣) التَّابعي الشَّهير الفقيه سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي المُلقّب بـ "عالم أهل المدينة"، وبـ " سيِّد التَّابعين " .

(٤) التَّابعي الشَّهير الفقيه القاسم بن محمد بن أبي بكر التَّيمي البكري ، حفيد الصدِّيق أبو بكر .

(٥) التَّابعي الشَّهير الفقيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذليّ ...

(٦) التَّابعي الشَّهير الفقيه أبو بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، المعروف براهب قريش

.

(٧) التَّابعي الشَّهير الفقيه سليمان بن يسار مولى أُمِّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث ...

ويدخل فيهم – أيضاً – الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشَّافعي ، وأحمد ، وغيرهم من أئمَّة السَّلف والخلف وخاصَّة أصحاب المصنَّفات فيه ...

الثَّانِيَةُ : كفَّروا كلَّ من بلغته دعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب ، ومع ذلك أصرَّ مُناكفاً مُعانداً مُستكبراً ، فقد صرَّح محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّهم – أي الوهَّابيَّة – لا يُكفِّرون " إلَّا من بلغته دعوتنا للحقِّ ، ووضحت له المحجَّة ، وقامت عليه الحجَّة ، وأصرَّ مستكبراً معانداً ، كغالب من نقاتلهم اليوم !!! يصرُّون على ذلك الإشراك !!! ويمتنعون من فعل الواجبات ، ويتظاهرون بأفعال الكبائر والمحرَّمات ... " [١] .

وكفَّروا كلَّ من بلغته دعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب !!! ولم يُسْلم !! [٢] .

والمعنى ... أنَّ من لم ينطو تحت طاعة وإمرة محمَّد بن عبد الوهَّاب فهو كافر ... فمن بلغته دعوته ولم يُسلِّم له القِياد فهو كافر ... لأنَّه صرَّح بأنَّ النَّاس كانوا قبل ظهوره كفَّار ، ولذلك قاتلهم ، فمجرَّد قتاله لهم مبرِّر لتكفيرهم ، لأنَّهم خالفوه ، ومخالفتهم له مبرِّر لقتالهم ، مع العلم أنَّ أغلب علماء عصره خالفوه ، مثل : الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عفالق الحنبلي الإحسائي (١١٦٤هـ) ، والإمام الصَّنعاني (١١٨٢هـ) ، وهو صاحب القصيدة التي تبرَّأ فيها من محمَّد بن عبد الوهَّاب ، ومنها قوله :

رجعت عن النَّظم الذي قلت في النَّجدي ... فقد صحَّ لي عنه خلاف الذي عندي

---

[١] انظر : الدُّرر السنيَّة في الأجوبة النجدية (١/ ٢٣٤) .

[٢] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٤٥) .

ظننت بـــــه خيراً وقلت عسى عسى ... نجـد ناصحـاً يهدي الأنام ويستهدي

فقد خاب فيه الظنُّ لا خاب نصحنا ... وما كـلُّ ظـنٍّ للحقـائق لي مهدي

وقد جاءنا من أرضـــه الشَّيْخ مربد ... فحقَّق من أحواله كـلّ ما يبدي

وقد جـــاءني من تأليفه برسائل ... يكفـرِّ أهـل الأرض على عمد

ولفَّق في تكفيرهم كلّ حجـَّة ... تراها كبيت العنكبوت لذي النقد

تجاري على إجراء دمـــاء كل مسلم ... مُصَلٍّ مُزَكٍّ لا يحول عن العهد

وقد جاءنا عن ربِّنـــا في براءة ... براءتهم عن كلِّ كفر وعن جحد

وإخواننا سمَّـــاهم اللهّ فاستمـع ... لقول الإله الواحد الصمد الفرد

وقد قال خير المرسلين نهيت عن ... فما باله لم ينته الرجل النجدي

وقال لهم لا ما أقاموا الصَّلاة في ... أناس أتوا كل القبائح عن قصد

أبن أبن لي لِــــمْ سفكت دماءهم ... ولمْ ذا نهبت المـال قصداً على عمد

وقد عصمــــوا هذا وهذا بقول لا ... إله سوى اللهّ المهيمن ذي المجد

وممَّن عاش في زمان محمَّد بن عبد الوهَّاب من العلماء وخالفه : الإمام عبد الله بن عيسى المويس التَّميمي (١١٧٥هـ) ، والإمام سليمان بن عبد الوهَّاب النَّجدي (١٢٠٨هـ) ، والإمام محمَّد بن عبد الله بن فيروز الإحسائي (١٢١٦هـ) ، وقد ردَّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب بقصيدة ، قال فيها :

سَلامُ فِرَاق لا سَلامُ تَحِيَّـــةِ ... عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ وَأَرْضِ اليَمَـــامَةِ

لَقَدْ زَعَمُوا أَهْلُ الشَقَاءِ بِأَنَّـهُم ... عَلَى دِيْنِ حَقٍّ وَاصِبٍ وَاسْتِقَـــامَةِ

وَقَالُوا سِوَاهُم كُل مَنْ كَانَ كَافِرَاً ... فَقَد كَذَبُوا وَاللهِ هُـــم في ضَلالَـةِ

وَقِدْ حَاوَلُوا التَعْطِيْلَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ ... وَلَفَّقُوا دِيْنَاً بِدْعَـــةً أَيُّ بِدْعَـةِ

أَضَلُّوْا بِجَهْلٍ هَذِهِ الأُمَّة الّتِي لَقَدْ ... خَرَجَتْ لِلنَّـــاسِ هُم خَيْرُ أُمَةِ

وَبَدَّلُوا أَحْكَامَ الكِتَابِ جَمِيْعًا وَحَلَّلُوا ... شَيْئَاً حُرِّمَت في الشَرِيْعَـــةِ

بِسَفْكِ دِمَـــاءٍ وَانْتِهَاكِ مَحَارِمِ ... وَقَتْلُ مُصَلٍّ مُتَقٍ للهِ قَـــانِتِ

فَأَنْشُدُكم بِاللهِ يَا أَهْلَ دِيْنِـــهِ ... أَيُعْرَفُ هَذَا مِنْ كِتَـــاب وَسُنَّـةِ

بأَيِّ دَلِـيْـلٍ أَمْ بِأَيَّـةِ حُـجَـــــةٍ وَفِي أَيِّ شَرْعٍ بَلْ بِأَيَّـــــةِ مِـلَّـةِ

يُبَـاحُ دِمَاءُ الْمُسْـلِمِيْنَ وَمَالَــهُـم أَئِمَّـةِ دِيْـنِ الله خَيْرِ أَئِمَّـــــةِ

فكم نهبوا مَالاً وَكَم سَـفَكُوا دَمَاً وَكَم هَتـكُـــــوا عَنْ كُلِّ خُوْدٍ جَمِيْلَةِ

فَلا تَـعْبَـئُوا يَا قَوْمُ فِيْهِم فَإِنَّـهُم كِـلابٌ ذِيَابٌ لِلأَنَـــــامِ مُـضِـرَّةِ

فَـوَيْلٌ لَهُم مِنْ فِـعْلِهِم وَفِعَـالِهِم وَوَيْلٌ لَهُم يَوْمَ المَعَـــــادِ بِنِقْـمَـةِ

أَلا فَاخَبِـرُوْنِي أَيُّهَا القَوْم أَنْـتُـمُ عَلَى أَيِّ دِيْنٍ أَم فَمِن أَيّ فِـرْقَـــــةِ

أَوَحْـيٌ إِلَيْكُم جَاء أَم خَـبَرٌ أَتَى بِأَنَّكُمُ خَـيْـرُ القُـرُوْنِ وَقُـــــدْوَةِ

وَأَنْتُم خِيَارُ الخَلْقِ طُـرَّاً بِزَعْـمِكُـــم وَسَاحَتُكُم قَد فُضِّلَت كُلُّ سَـــــاحَـةِ

ومن العلماء الذين عاشوا في زمانه وخالفوه : الإمام سليمان بن سحيم بن أحمد بن سحيم الحنبلي النَّجدي (١٢٣٠هـ) ، والإمام محمَّد بن علي بن سلُّوم (١٢٤٦هـ) ، والإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، صاحب " حاشية ردّ المحتار على الدرِّ المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة " ، فقد قال في حاشيته عنهم : " مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا .

(قَوْلُهُ : وَيُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلِمْت أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مُسَمَّى الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَى سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرَ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهم هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ ، وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " (١) .

والعجيب الغريب ... أنَّ الوهَّابيَّة قاموا بحذف هذه الفقرة وشطبها من " حاشية ابن عابدين " من النُّسخة التي طُبعت على نفقة الوليد بن طلال ، كما تمَّ حذف كتاب " البُغاة " كاملاً من نفس الكتاب من النُّسخة نفسها ... فإلى الله الْمُشتكى ... وهذا هو ديدنهم ، وصنيعهم مع كلِّ ما لا يتوافق مع منهجهم ومعتقدهم ...

---

(١) انظر : حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة (٤/ ٢٦٢) .

كما ردَّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب العديد من كبار علماء الحنابلة وكان أوَّلهم أُخوه الشَّيْخ سليمان بن عبد الوهَّاب ، في كتابَّ سمَّاه : " الصَّواعق الإلهيَّة في الرَّدِّ على الوهابيَّة " ...

فالمُهمُّ في الأمر أنَّ علماء عصره عارضوه ، وحذَّروا منه ، بسبب الفتن الكثيرة التي أحدثها ، ويكفي هنا أن أُشير إلى ما جاء في ترجمة عبد الوهَّاب والد محمَّد بن عبد الوهَّاب ، التي ذكرها الإمام محمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكَّة (١٢٩٥هـ) في كتابه : " السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة " ، قال : " ... وهو والد محمَّد صاحب الدَّعوة التي انتشر شررُها في الآفاق ، لكن بينهما تباينٌ مع أنَّ محمَّداً لم يتظاهر بالدَّعوة إلَّا بعد موت والده ، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمَّن عاصر الشَّيْخ عبد الوهَّاب هذا أنَّه كان غضبان على ولده محمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ، ويتفرَّس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للنَّاس : يا ما ترون من محمَّد من الشرِّ ، فقدَّر الله أن صار ما صار ، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيْخ محمَّد كان منافياً له في دعوته ، وردَّ عليه ردَّاً جيِّداً بالآيات والآثار ، لِكوْنِ المردود عليه لا يقبل سواهما ، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدِّماً أو متأخِّراً ، كائناً من كان غير الشَّيْخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيِّم !!! فإنَّه يرى كلامهما نصَّاً لا يقبل التَّأويل ، ويصول به على النَّاس ، وإن كان كلامهما على غير ما يفهم ، وسمَّى الشَّيْخ سليمان ردَّه على أخيه : " فَصْلُ الخِطَابِ فِي الرَّدِّ عَلَى مُحَمَّد بن عَبْدِ الوهَّاب " ، وسلَّمه الله من شرِّه ومكره مع تلك الصَّولة الهائلة التي أرعبت الأباعد ، فإنَّه كان إذا باينه أحد وردَّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة ، يُرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السُّوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله !!! وقيل : إنَّ مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسِّلاح ، فأمر محمَّد أن يُعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشَّيْخ سليمان وهو في المسجد وحده ، فأُدخل عليه فلمَّا رءاه الشَّيْخ سليمـــان خاف منه ، فرمى المجنونُ السَّيف من يده وصار يقول : يا سليمانُ لا تخف إنَّك من الآمنين ويكرِّرها مراراً ، ولا شكَّ أنَّ هذه من الكرامات " [1] .

فالوهَّابيَّة فتنة دهماء ألَمَّتْ بالمسلمين ... عملت على تعزيز الأنانيَّة والعصبيَّة والتَّفرقة الدِّينيَّة لدرجة أنَّهم غدوا لا يعترفون ببقيَّة المذاهب الإسلاميَّة من حنفيَّة ومالكيَّة وشافعيَّة وحنبليَّة ... وقد عمل المُستعمر البغيض على إذكائها وزاد من أُوارها ...

---

[1] انظر : السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص٢٧٥-٢٧٦) .

وقد لَبِسَت الوهَّابيَّة لَبُوْسَ السَّلف ، وادَّعت الحرص على التَّوحيد الذي لا تعرفُ منه إلَّا اسمه ، والعياذ بالله تعالى ...

جاء في " البدر الطَّالع " عن أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وَلَكنهُمْ يرَوْنَ أَنَّ من لم يكن دَاخِلاً تَحت دولة صَاحب نجد وممتثلاً لأوامره ، خَارج عَن الْإِسْلَام . وَلَقَد أخبرني أَمِيرُ حجاج الْيَمَن السَّيِّد محمَّد بن حُسَيْن المراجل الكبسي أَنَّ جمَاعَة مِنْهُم خاطبوه هُوَ وَمن مَعَه من حجاج الْيمن بأنَّهم كفار وأنَّهم غير معذورين عَن الْوُصُول إِلَى صَاحب نجد لينْظر فِي إسْلَامهمْ ، فَمَا تخلَّصوا مِنْهُ إِلَّا بِجهْد جهيد " (١) .

وقال الشَّيْخ أحمد بن زيني دحلان (١٣٠٤هـ) " ... كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدِّرعيَّة ويقول في كلِّ خطبه : " ومن توسَّل بالنَّبي فقد كفر " ، وكان أخوه الشَّيْخ سليمان بن عبد الوهَّاب من أهل العلم ، فكان يُنكر عليه إنكاراً شديداً في كلِّ ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء ممَّا ابتدعه ، وقال له أخوه سليمان يوماً : كم أركان الإسلام يا محمَّد بن عبد الوهَّاب ؟ فقال خمسة ، فقال : أنت جعلتها ستَّة ، السَّادس : من لم يتَّبعك فليس بمسلم ، هذا عندك ركنٌ سادس للإسلام .

وقال رجل ءاخر يوماً لمحمَّد بن عبد الوهَّاب : كم يعتق الله كلّ ليلة في رمضان ؟ فقال له : يعتق في كلِّ ليلة مائة ألف ، وفي ءاخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشَّهر كلِّه ، فقال له : لم يبلغ من اتبعك عُشر عُشر ما ذكرت ، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى ، وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك ، فبُهت الذي كفر .

ولَمَّا طال النِّزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله ، فارتحل إلى المدينة المنَّورة ، وألَّف رسالة في الردِّ عليه وأرسلها له فلم ينته . وألَّف كثيرٌ من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الردِّ عليه وأرسلوها له فلم ينته .

وقال له رجل ءاخر مرَّة وكان رئيساً على قبيلة بحيث أنَّه لا يقدر أن يسطو عليه : ما تقول إذا أخبرك رجلٌ صادقٌ ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأنَّ قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني ، فأرسلت ألف خيَّال ينظرون القوم الذين وراء الجبل ، فلم يجدوا أثراً ولا أحداً منهم ، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم ، أتصدِّق الألف أم الواحد الصَّادق عندك ؟ فقال : أصدِّق الألف ، فقال له : إنَّ جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذِّبون ما أتيت به ، ويزيِّفونه ، فنصدِّقهم ونكذِّبك ، فلم يعرف جواباً لذلك .

---

(١) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٥-٦) .

وقال له رجل ءاخر مرَّة : هذا الدِّين الذي جئت به متَّصل أم منفصل ؟ فقال له حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلُّهم مشركون ، فقال له الرَّجل : إذن دينك منفصل لا متَّصل ، فعمَّن أخذته ؟ فقال : وحي إلهام كالخضر ، فقال له : إذن ليس ذلك محصوراً فيك ، كلُّ أحد يمكنه أن يدَّعي وحي الإلهام الذي تدَّعيه ، ثمَّ قال له : إنَّ التَّوسُّل مُجْمَعٌ عليه عند أهل السُّنَّة !!! حتى ابن تيمية فإنَّه ذكر فيه وجهين ، ولم يذكر أنَّ فاعله يكفر " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، عند تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر : ٦] : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، يحسبون أنَّهم على شيء ، ألا أنَّهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " (٢) .

وقد عمد المتمسلفون – كعادتهم – إلى شطب هذه الفقرة من " حاشية الصَّاوي على الجلالين " ، من طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! محمَّد عبد السَّلام شاهين ، حيث حرَّفوا النَّصَّ ليُصبح كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيْخ علي محمَّد الضبَّاع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : " وهم فرقة بأرض الحجاز ... يحسبون أنَّهم " . فقد وضعوا مكان الكلام المحذوف نقطاً ، فإلى الله المشتكى من قوم لا يستحون ولا يرعوون ...

(١) انظر : الدرر السنيَّة في الردِّ على الوهابيَّة (ص٤٢-٤٣) .

(٢) انظر : حاشية الصاوي على الجلالين (٥/ ٧٨) .

الثَّالِثَةُ : كفَّروا كلَّ من سمَّاهم بالخوارج ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... من سمَّاهم الخوارج ، فهو الكافر حقَّاً ، الذي يجب قتاله ، حتى يكون الدِّين كلُّه لله ، بإجماع المسلمين كلِّهـــــم... " (١) .

وكفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب كلَّ من يُسمِّي أتباعه : خوارج ، وكلَّ من يقف مع خصومهم ، ولو كانوا لله تعالى موحِّدين (٢) .

الرَّابِعَةُ : كفَّروا من سمُّوه ونعتوه بشيخ الإسلام – ابن تيمية – !!! بطريق غير مُباشرة ... فقد أفتى أعضاء اللجنة الدَّائمة بأنَّ اعتقاد ما جاء في الحديث القدسي : " عبدي أطعني ، أجعلك تقُل للشَّيء كن فيكون " شركٌ وكفرٌ ، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :

س: سمعت من بعض النَّاس يقول حديثاً قدسيَّاً عبارته : " عبدي أطعني تكن عبداً ربَّانيَّاً يقول للشَّيء كن فيكون " ، هل هذا حديث قدسي صحيح أم غير صحيح ؟

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسَّلام على رسوله وآله وصحبه ، وبعد :

ج : هذا الحديث لم نعثر عليه في شيء من كتب السُّنَّة ، ومعناه يدلُّ على أنَّه موضوع ، إذ أنَّه يُنزل العبد المخلوق الضَّعيف منزلة الخالق القوي سبحانه ، أو يجعله شريكاً له ، تعالى أن يكون له شريكٌ في مُلكه ، واعتقاده شركٌ وكفرٌ ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يقول للشَّيء كن فيكون ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] ، وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّه محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء (٣) .

وبغضِّ النَّظر عن صحَّة الحديث ... فإنَّ اللجنة الدَّائمة بهذا تكفِّر ابن تيمية ، لأنَّ الحديث احتجَّ به ابن تيمية من غير تعقيب ولا نكير عليه ، فقد جاء في فتاويه : " وقد جاء في الأثر : يا عبدي أنا أقول للشَّيء كن فيكون ، أطعني أجعلك تقول للشَّيء كن فيكون ، يا عبدي أنا الحيُّ الذي يموت ، أطعني أجعلك حيَّاً لا تموت

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٨٢) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٦٣) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٤/ ٤٧١-٤٧٢ ، فتوى رقم (٢٨٠٨) .

، وفي أثر : إنَّ المؤمن تأتيه التُّحف من الله : من الحيِّ الذي لا يموت إلى الحيِّ الذي لا يموت " ، فهذه غاية ليس وراءها مرمى ، كيف لا وهو بالله يسمع ، وبه يبصر ، وبه يبطش ، وبه يمشي ، فلا يقوم لقوَّته قوَّة " (١) .

الخَامِسَةُ : كفَّروا كلَّ من يستخدم العمَّال في بيوتهم ومكاتبهم وأشغالهم الخاصَّة ، وهم مع ذلك مقصِّرين وتاركين لكثير من الواجبات ، فاعلين لكثير من المحرَّمات ، ومن شكَّ في كفرهم وردَّتهم عن الإسلام فهو مثلهم كافر ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " وإنَّ العُمَّال الموجودين الآن عند الشَّركات الأجنبيَّة على قسمين : الأوَّل : المستخدمين في بيوتهم ومكاتبهم وأشغالهم الخاصَّة ، المحبوسين تحت أوامرهم وسيطرتهم ، خاضعين لهم ذليلين حقيرين ، يتصرَّفون فيهم كيف شاؤوا !!! ومع ذلك هم تاركين لكثير من الواجبات ، فاعلين لكثير من المحرَّمات ، لا يفرِّقون بين الحقِّ والباطل ، ولا يعرفون من الإسلام إلَّا اسمه ، ولا من شهادة أن لَا إلَه إلَّا الله ، وأنَّ محمَّداً رسول الله إلَّا لفظها ، فهؤلاء مثلهم .

ومن شكَّ في ردَّتهم عن الإسلام ، فهو لم يعرف الدِّين الصَّحيح ، ولم يشم رائحة العلم النَّافع ، ومثل هذه الخدمة محرَّمة بنصِّ الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة (٢) ...

ومعلوم لدى الجميع أنَّه يدخل في الكفر تحت هذا النصِّ ما لا يُحصى من المؤمنين ، فمن يستخدم الخدم الكفَّار ... كافر ، ومن شكَّ في كفره ، فهو مثله كافر ... سبحانك ربِّي هذا بهتان عظيم ...

السَّادِسَةُ : كفَّر إمامهم عبدالله ابن الشَّيْخ ، الخوارج ، وأنَّهم خارجون عن الدِّين (٣) .

مع أنَّ الرَّاجح من أقوال العلماء أنَّ الخوارج ليسوا كفَّاراً ، فقد جاء في مصنَّف الصَّنعاني : " أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَمَّنْ سَمِعَ الْحَسَنَ ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْحَرُورِيَّةَ ، قَالُوا : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكُفَّارٌ هُمْ ؟ قَالَ : مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا ، قِيلَ : فَمُنَافِقُونَ ؟ قَالَ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ، وَهَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللهَ كَثِيراً ، قِيلَ : فَمَا هُمْ ؟ قَالَ : قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ فِتْنَةٌ ، فَعَمُوا فِيهَا وَصُمُّوا " (٤) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٧) .

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٨٦) .

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٧٧) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (١٠/ ١٥٠ برقم ١٨٦٥٦) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " قَالَ أَبُو حَامِدٍ – الإسفراييني – ومتابعوه ... والخوارج ليسوا بكفَّار " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأُصُولِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ فُسَّاقٌ ، وَأَنَّ حُكْمَ الْإِسْلَامِ يَجْرِي عَلَيْهِمْ لِتَلَفُّظِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَمُوَاظَبَتِهِمْ عَلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وإِنَّمَا فُسِّقُوا بِتَكْفِيرِهِمُ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى تَأْوِيلٍ فَاسِدٍ ، وَجَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى اسْتِبَاحَةِ دِمَاءِ مُخَالِفِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ وَالشِّرْكِ .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ ضَلَالَتِهِمْ فِرْقَةٌ مِنْ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَجَازُوا مُنَاكَحَتَهُمْ ، وَأَكْلَ ذَبَائِحِهِمْ ، وأَنَّهم لَا يُكَفَّرُونَ مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ عِيَاضٌ كَادَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالاً عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ غَيْرِهَا ، حَتَّى سَأَلَ الْفَقِيهُ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِمَامَ أَبَا الْمَعَالِي عَنْهَا فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي الْمِلَّةِ وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ عَنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّين ، قَالَ : وَقَدْ تَوَقَّفَ قَبْلَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ ، وَقَالَ : لَمْ يُصَرِّحِ الْقَوْمُ بِالْكُفْرِ ، وإِنَّمَا قَالُوا أَقْوَالاً تُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ .

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالزَّنْدَقَةِ : وَالَّذِي يَنْبَغِي الِاحْتِرَازُ عَنِ التَّكْفِيرِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ دِمَاءِ الْمُصَلِّينَ الْمُقِرِّينَ بِالتَّوْحِيدِ خَطَأٌ وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَإِ فِي سَفْكِ دَمٍ لِمُسْلِمٍ وَاحِدٍ . وَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُمْ : قَوْلُهُ فِي ثَالِثِ أَحَادِيثِ الْبَابِ بَعْدَ وَصْفِهِمْ بِالْمُرُوقِ مِنَ الدِّين كَمُرُوقِ السَّهْمِ ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ ، إِلَى أَنْ قَالَ :فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ هَلْ علق بهَا شَيْء . قَالَ بن بَطَّالٍ : ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ غَيْرُ خَارِجِينَ عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ : يَتَمَارَى فِي الْفُوقِ ، لِأَنَّ التَّمَارِي مِنَ الشَّكِّ ، وَإِذْ وَقَعَ الشَّكُّ فِي ذَلِكَ لَمْ يُقْطَعْ عَلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ بِيَقِينٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا بِيَقِينٍ ... " (٢) .

السَّابِعَةُ : صرَّح إمامهم ابن حميد بانقلاب الأكثرين عن الإسلام ، وموالاتهم لعبدة الأوثان ، وأعداء الشَّريعة من الملحدين ، والنَّصارى ، والرَّافضة ، وأنَّ هذا عامٌّ في القُرى ، والأمصار والبوادي (٣) ...

---

(١) انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٤/ ٢٥٤) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٣٠٠) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٧١) .

وهذا اتِّهام خطير من ابن حميد ، فقد اتَّهم أكثر المسلمين بالارتداد عن الإسلام ، وهذا هو المنهج الذي سار عليه محمَّد بن عبد الوهَّاب ، حيث صرَّح في أكثر من موضع من كتبه بأنَّ كلّ من بلغته دعوته ولم يسلم !!! فهو من الكافرين الذين استجاز قتلهم وقتالهم ، لأنَّهم في نظره مرتدُّون عن الإسلام ، والعياذ بالله تعالى ... فقد صرَّح محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ أغلب المسلمين في زمانه لا يعرف من الآلهة المعبودة إلَّا هُبل ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا ... ، فقال : " وكثير من أهل الزَّمان لا يعرف من الآلهة المعبودة إلَّا هُبل ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا ، واللات ، والعزَّى ، ومناة !! فإن جاد فهمُه عرف أنَّ المقامات المعبودة اليوم من الشَّجر ، والبشر ، والحجر ، ونحوها ، مثل : شمسان ، وإدريس ، وأبو حديدة ، ونحوهم منها " (١) .

الثَّامِنَةُ : كفَّروا كلَّ من تشبَّه بالكفَّار ... فقد ذكر ابن حميد أنواعاً من التَّشبُّه بالكفَّار ....، منها : اللباس ، وزيارتهم ، ولين الكلام ، ومدِّ العين إلى زهرتهم ، وتقريبهم في الجلوس ، واستعمالهم في الوظائف ، والدُّخول عليهم ، والبشاشة لهم أو إظهار ولو شيء من البشاشة !! والإكرام العام ، ومعاونتهم ولو بأدنى شيء ، والتزيِّي بزيِّهم ، والسُّكنى معهم في ديارهم ، والميل اليسير إليهم ، فكيف بمجالستهم ، ومؤاكلتهم ، وإلانَة الكلام ، وتقريبهم في الجلوس (٢) ...

وهذا من ابن حميد تضييقٌ لواسعٍ ، وسبيلٌ لإعطاء صورة قاتمة مظلمة سلبيَّة عن الإسلام وأخلاقيَّاته ...

التَّاسِعَةُ : كفَّروا من كان يُسمِّي النَّاس الذين لم يسمعوا الإسلام من محمَّد بن عبد الوهَّاب وعصبته بالمسلمين ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " وما أحسن ما قاله واحد من البوادي ، لَّما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام !!! قال : أشهد أنَّنا كفَّار – يعني هو وجميع البوادي – ، وأشهد أنَّ المطوِّع الذي يسمِّينا إسلاماً أنَّه كافر " (٣) ...

فالأعراب أهل البوادي الأجلاف عند المتمسلفة أقوالهم حجَّة من حُجج الشَّرع ، يحتجُّون بها على عقائدهم ... ولا غرو ... فقد سبق لهم أن احتجُّوا بالدَّجاج والحمير والبقر على عقيدتهم بالعلوِّ المكاني لله تعالى

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١١٧-١١٨) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٧٦-٤٨٢) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ١١٩) .

، خالق الزَّمان والمكان ... بل وصل احتجاجهم لعقائدهم إلى كتب أهل الكتاب المحرَّفة ، فقد احتجُّوا بها على بعض عقائدهم ، وقد ذكرت ذلك في غير ما كتاب من كُتُبي ...

ووصل الأمر بمحمَّد بن عبد الوهَّاب إلى الزَّعم بأنَّ جهَّال الكفَّار أعلم بمعنى لَا إِلَه إِلَّا الله من المسلمين الذين استباح قتالهم وقتلهم ، وفي ذلك يقول : " ... فالعجب ممَّن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهَّال الكفرة ، بل يظنُّ أنَّ ذلك هو التلفُّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني . فلا خير في رجال ، جهَّال الكفَّار أعلم منه بمعنى (لا إله إلَّا الله) !!!... " [1] .

وأضاف محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) واصفاً الموحِّدين المخالفين لدعوته بالمشركين ، فقال : " والعامِّي من الموحِّدين – يقصد أتباعه – يغلب الألف من علماء !!! هؤلاء المشركين " [2] .

العَاشِرَةُ : كفَّروا كلَّ من لم يتبرَّأ من دينه الذي كان عليه قبل التَّعرُّف على دين محمَّد بن عبد الوهَّاب !!! وكذا كلَّ من ادَّعى بأنَّ آباءه الذين توسَّلوا إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ماتوا على الإسلام ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " المسألة الخامسة عَشْرَة : " فيمن عاهد على الإسلام ، والسَّمع ، والطَّاعة ، والمعاداة ، والموالاة ، ولم يفِ بما عاهد عليه من الموالاة ، والمعاداة ، ولا تبرَّأ من دينه الأوَّل !!! ويدَّعي أنَّ آباءه ماتوا على الإسلام ، فهل يكون مرتدَّاً ؟ وهل يحلُّ أخذ ماله وسبيه إن لم يرجع ؟

الجواب : إنَّ هذا الرَّجل ، إن اعتقد أنَّ آباءه ماتوا على الإسلام ، ولم يفعلوا الشِّرك الذي نهينا النَّاس عنه ، فإنَّه لا يحكم بكفره ، وإن كان مراده أنَّ هذا الشِّرك الذي نهينا النَّاس عنه ، هو دين الإسلام ، فهذا كافر ، فإن كان قد أسلم فهو مرتدٌّ ، يجب أن يُستتاب ، فإن تاب وإلَّا قُتل ، وصار ماله فيئاً للمسلمين ، وإن تاب قبل موته أحرز ماله ، والله أعلم " [3] ...

ومقصدهم بالشِّرك الذي نهوا عنه : التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، وسنتكلَّم عن ذلك ضمن فصل خاصٍّ من هذا الكتاب ...

---

[1] انظر : كشف الشبهات (ص٩) .

[2] انظر : كشف الشبهات (ص١٤) .

[3] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٤٣-١٤٤) .

وأفتوا بأنَّ كلّ من أدَّى فريضة الحجّ من أتباعهم قبل انضمامه لدعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب فعليه الإعادة ، لأنَّه كان مشركاً ، وحجُّ المُشرك باطلٌ [1] .

الحَادِيَة عَشْرَة : وصفوا العلوم العصريَّة بأنَّها مبادئ الإلحاد ومقدِّماته ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " وهذه العلوم العصريَّة ، هي مبادئ الإلحاد ومقدِّماته [2] ...

والعلوم العصريَّة التي اعتبروها مبادئ الإلحاد ومقدِّماته ، هي : الفنون ... كالرُّسوم ، والأشغال ، والرِّياضة البدنيَّة ، والألعاب الأُخرى ... " [3] .

الثَّانِيَة عَشْرَة : كفَّروا كلَّ من وصف أهل الحديث بالسُّوء ، فقد جاء في "طبقات الحنابلة " – وهو من كتبهم المعتمدة – : " وأَنْبَأَنَا عمر بن الليث البخاري ، حَدَّثَنَا أبو بكر الحيري الحافظ وأبو محمَّد بن عبد الحميد بْن عَبْدِ الرَّحمن بن أبي عمر والحيرى ، قالا : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ محمَّد بْن عَبْدِ اللهَّ البيع الحافظ ، قَالَ : سمعت أبا الحسين محمَّد بن أحمد الحنظلي ، يقول : سمعت أبا إسماعيل التِّرمذي ، يقول : كنت أنا وأحمد بن الحسن التِّرمذي عند أبي عبد اللهَّ بن محمَّد بن حنبل ، فقال له أحمد بن الحسن التِّرمذي : يا أبا عبد اللهَّ ، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكَّة أصحاب الحديث ، فقال : أصحاب الحديث قوم سوء ، فقام أَبُو عَبْدِ اللهَّ وهو ينفض ثوبه ، ويقول : زنديق ، زنديق ، زنديق ، ودخل البيت " [4] .

والزِّنديق هو الذي يظهر الإسلام ويُبطن الكفر ، قال الإمام ابن قدامة المقدسي : " وَالزِّنْدِيقُ هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيَسْتَسِرُّ بِالْكُفْرِ ، وَهُوَ الْمُنَافِقُ ، كَانَ يُسَمَّى فِي عَصْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقاً ، وَيُسَمَّى الْيَوْمَ زِنْدِيقاً " [5] .

ومن المعلوم أنَّ أهل الحديث الذين ذكرهم أهل العلم بالسُّوء ، وحذَّروا ممَّا جاء في كتبهم ، إنَّما هم الذين اعتمدوا في تقرير العقائد على الرِّوايات الموضوعات ، والمُنكرات ، فالكرَّاميَّة الذين أثنى عليهم ابن تيمية في "

---

[1] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٣٨) .

[2] انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٨٩) .

[3] انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٨٩) ، وانظر : (١٦/ ٥٠) .

[4] انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٣٨) ، (١/ ٢٨٠) .

[5] انظر : المغني (٩/ ١٥٩) .

الموافقة " ، ووصفهم بأنَّهم من نظَّار المسلمين (١) ، كانوا من المشتغلين بالحديث ، ومع هذا كانوا مشبِّهة مجسِّمة ، وبالتَّالي فهم ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ...

ومن أهل الحديث الذين اشتهروا بالتَّجسيم : أبو سعيد الدَّارمي ، الذي كان ابن تيمية يعتمد في تقرير العقائد على ما في كتبه ، ويقول بأنَّ فيها منْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيد ما ليسَ في غيرها ، قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) ، تلميذ ابن تيمية : " وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ يُوصِي بِهَذَيْنَ الْكِتَابَيْنِ – أي : كتابي عثمان بن سعيد الدَّارمي : الردِّ على الجهميَّة ، وكتاب الردّ على بشر المريسي – أَشَدَّ الْوَصِيَّةِ وَيُعَظِّمُهُمَا جَدّاً ، وَفِيهِمَا مِنْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِمَا " (٢) .

وأبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) ، هو غير الدَّارمي صاحب السُّنن المشهور الذي هو أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصَّمد الدَّارمي ، التَّميمي السَّمرقندي (٢٥٥هـ) .

وعثمان الدَّارمي هذا هو القائل : " ... لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ ، ويهبط ويرتفع إِذا شَاءَ ، وينقبض ، وَيَبْسُطُ ، وَيَقُومُ ، وَيَجْلِسُ إِذَا شَاءَ ؛ لِأَنَّ أَمَارَةُ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكَ ، كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ ، وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ لَا مَحَالَةَ " (٣) .

وهذا كلام صريحٌ في التَّجسيم الذي اشتهر به عثمان الدَّارمي ، فالنُّزول ، والمجيء ، والإتيان ، صفات منفيَّة عن الله تعالى من طريق الحركة التي هي انتقال من مكان إلى مكان ، لأنَّ الحركة لا تتمُّ إلَّا من خلال جسم ينتقل من مكان إلى آخر ، والله تعالى ليس جسماً ، وغير حالٍّ في مكان ... كما أنَّ كلامه يحملُ تصريحاً قبيحاً بحلول الحوادث في الله تعالى ، والعياذ بالله ...

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " ... وَادَّعَى الْمُعَارِضُ أَيْضاً أَنَّه لَيْسَ للهَّ حَدٌّ !!! وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ !!! ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بنى عَلَيْهِ جهم ضَلَالَاتِهِ ، وَاشْتَقَّ مِنْهَا أُغْلُوطَاتِهِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّه سَبَقَ جَهْماً إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ " .

---

(١) انظر : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (١/ ١٨١) .

(٢) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٣١) .

(٣) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (١/ ٢١٥) .

والتَّحديد هو عين التَّجسيم ولبُّه ، والعياذ بالله تعالى ...

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " ... بَلْ هُوَ بِائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ بِفُرْجَةٍ بَيِّنَةٍ !!! ، وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ " .

مع أنَّ السَّلف الصَّالح لم يعرفوا مصطلح " بائن من خلقه " البتَّة ، وقد اعترف الألباني بذلك في مختصر العلو ...

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهم حِينَ حَمَلُوا الْعَرْشَ وَفَوْقَهُ الْجَبَّارُ !!! فِي عِزَّتِهِ ، وَبَهَائِهِ ضَعُفُوا عَنْ حَمْلِهِ وَاسْتَكَانُوا !!! وَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ ، حَتَّى لُقِّنُوا : " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ " فَاسْتَقَلُّوا بِهِ بِقُدْرَةِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا اسْتَقَلَّ بِهِ الْعَرْشُ ، وَلَا الْحَمَلَةُ ، وَلَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَا مَنْ فِيهِنَّ ، وَلَوْ قَدْ شَاءَ لَاسْتَقَرَّ عَلَى ظَهْرِ بَعُوضَةٍ !!! فَاسْتَقَلَّتْ بِهِ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ ، فَكَيْفَ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ ؟ وَكَيْفَ يُنْكَرُ أَيُّهَا النفاج أَنَّ عَرْشه يقلّهُ " !!!

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، وعياذاً بالله من هذا الكلام الشَّنيع الفظيع الذي لا يصدر إلَّا من إنسان لا يعرف ما يجب لله وما يجوز ويستحيل عليه ...

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " مَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ لَيْسَ بِأَقْرَبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ أَسْفَلِهِ ؟!!! ؛ لأَنَّه مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ أَقْرَبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَسْفَلِهِ !!! وَأَنَّ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ أَقْرَبُ إِلَى عَرْشِ اللهِ تَعَالَى مِنَ السَّادِسَةِ ، وَالسَّادِسَةَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَامِسَةِ ، ثمَّ كَذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ . كَذَلِكَ رَوَى إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ (٢٣٨هـ) ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) أَنَّه قَالَ : " رَأْسُ الْمَنَارَةِ أَقْرَبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَسْفَلِهِ وَصَدَقَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ إِلَى السَّمَاءِ أَقْرَبُ كَانَ إِلَى اللهِ أَقْرَبَ " (١) .

فهل بعد هذا التَّجسيم تجسيم ؟!! وهل هذا هو لبُّ التَّوحيد الموجود في كتب الدَّارمي السِّجستاني الذي نصح ابن تيمية بقراءة كتبه ؟!! أمَّا ما نسبه هذا الدَّارمي إلى الإمام عبدالله بن المبارك (١٨١هـ) فهو محض تقوُّل وافتراء ، وقد سبق لهم أن أفتروا على ساداتنا العلماء ما شاءوا ، بل وصل بهم الأمر إلى أن يكتبوا كتباً بأسماء كبار علماء الأُمَّة لنصرة مذهبهم في التَّشبيه والتَّجسيم ، وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ، قال الإمام السُّبكي (٧٧١هـ) :

---

(١) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (١/ ٢٢٣) ، (١/ ٤٤١) ، (١/ ٤٥٨) ، (١/ ٥٠٤) بالترتيب .

" وَفِي المبتدعة لَا سِيَمَا المجسِّمة زِيَادَة لَا تُوجد فِي غَيرهم ، وَهُوَ أَنَّهم يرَوْنَ الْكَذِب لنصرة مَذْهَبهم ، وَالشَّهَادَة عَلَى من يخالفهم فِي العقيدة ، بِمَا يسوءه فِي نَفسه وَمَاله بِالْكَذِبِ تأييداً لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقرُّبهم إِلَى اللهَّ بِالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِمِقْدَار زِيَادَته فِي النَّيل مِنْهُم ، فَهَؤُلَاءِ لَا يحلُّ لُمسلم أَن يعْتَبر كَلَامهم ... وَبَلغنِي أَنَّ كَبِيرهمْ استُفتي فِي شَافِعِيّ !!! أيشهد عَلَيْهِ بِالْكَذِبِ ، فَقَالَ : أَلَسْت تعتقد أَنَّ دَمه حَلَال ؟!!! قَالَ : نعم ، قَالَ : فَمَا دون ذَلِك دون دَمه ، فاشهد وادفع فَسَاده عَن المُسلمين " (١) .

فهل اطَّلعت – يا قارئي – على لُبِّ التَّوحيد عند هذا الدَّارمي وعند من امتدح كتبه ، من أمثال ابن تيمية ، وابن قيِّم الجوزيِّة ، ومن سار على منهجهم وسَنَنِهم ؟!! فعثمان بن سعيد ما هو إلَّا واحد من أكبر زعماء المجسِّمة ، الدَّاعين للتَّجسيم والتَّشبيه بما حوته كتبه من الدَّعوة له ...

ولذا ، يجب التَّفريق بين من اشتغل بالحديث ومال إلى التَّجسيم من خلال الاعتماد على الواهيات المنكرات من الرِّوايات ، وبين من اشتغل بالحديث ممَّن وافقوا أهل الحقِّ من أشاعرة وماتريديَّة ... فَمَنْ مِنَ العلماء انتقص أصحاب الكُتب التِّسعة ... ؟!!! مع العلم بأنَّ التَّسمية بأهل السُّنَّة والجماعة تسمية لم يأت النَّصُّ عليها لا في القرآن ولا في السُّنَّة ، وإن كانت هناك تسمية صحيحة ، فالأوْلى أن يتسمَّى أهل الحقِّ بـ : أهل الكتاب والسُّنَّة ... ثمَّ إنَّ بعض المحدِّثين المعتمدين عندهم هم من دفعهم إلى التَّأكيد على هذه التَّسمية ، وذلك بما صنَّفوه من كتب حملت اسم السُّنَّة ... فقد جاء في كتاب السُّنَّة البربهاري : " السُّنَّة هي الإسلام ، والإسلام هو السُّنَّة " (٢) .

وجاء فيه أيضاً : " وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن ، فلا تشكّ أنَّه رجل قد احتوى على الزَّندقة !!! فقُم من عنده ودعه " (٣) .

وأين ذهب القرآن ؟ !!! فلماذا لا يُصار إلى التَّسمية بأهل الكتاب والسُّنَّة ؟ مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّه لا توجد عقائد خاصَّة بأهل الحديث ، لأنَّ أهل الحديث أمَّا أن يكونوا أشاعرة ، أو ماتريديَّة ، أو مجسِّمة ...

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٦) .

(٢) انظر : كتاب شرح السنة ، البربهاري (ص٥٩) .

(٣) انظر : كتاب شرح السنة ، البربهاري (ص٥٤) .

يُضاف لذلك أنَّ المتمسلفة هم من انتقص أهل الحديث المنزِّهين وأخرجوهم من أهل السُّنَّة والجماعة ، وقالوا فيهم كلمة وقالة السُّوء ، أمثال : البيهقي ، والنَّووي ، وابن حجر العسقلاني ... كما ستجد ذلك كلّه وغيره الكثير في هذا الكتاب ...

الثَّالِثَةُ عَشْرَة : كفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب: " من زعم من علماء العارض : أنَّه عرف معنى " لَا إِلَه إِلَّا الله " ، أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت !!! أو زعم من مشايخه أنَّ أحداً عرف ذلك ، فقد كذب وافترى ، ولبَّس على النَّاس ، ومدح نفسه بما ليس فيه " (١) .

والعارض اسم جبل باليمامة و " طرف العارض في بلاد بني تميم في موضع يسمَّى القرنين فثمّ انقطع طرف العارض الذي من قبل مهبّ الشِّمال ثمَّ يعود العارض حتى ينقطع في رمل الجزء " (٢) .

وهو بهذا الكلام يُكفِّر أُلوفاً من الموحِّدين الذين لا ذنب لهم إلَّا معارضته والوقوف في وجه دعوته ، تلكم الدَّعوة التي فرَّقت الأمَّة وجعلتها شِيَعاً وأحزاباً ، وما زالت ...

الرَّابِعَةُ عَشْرَة : كفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب كلَّ من سبَّ صحابيَّاً (٣) .

وكلامه بهذا الإطلاق خطأ ، فمن المعلوم أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين هم خير هذه الأُمَّة ، لا يشكُّ في ذلك إلَّا من في قلبه ضغينة وحقد على دين الله تعالى ، لأنَّهم حَمَلته ، وهُم مَنْ أدَّاه إلينا ، ومن نافح عنه ... ولذلك استحقُّوا ثناء الله تعالى عليهم في غير ما آية من آيات الكتاب الكريم ، وكذا أثنى عليهم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأجمعت الأُمَّة على وجوب احترامهم ومحبَّتهم وتوقيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ

---

(١) انظر : الدرر السنية في الفتاوى النجدية (١٠/ ٥١) .

(٢) انظر : معجم البلدان (٤/ ٦٥) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٣٦٩) .

﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه " (١) .

وروى اللالكائي بسنده عن الْحَارِثِ بْنِ عُيَيْنَةَ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أُتِيَ بِرَجُلٍ سَبَّ عُثْمَانَ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَبَبْتَهُ ؟ قَالَ : أَبْغَضْتُهُ . قَالَ : أَبْغَضْتَ رَجُلاً وَسَبَبْتَهُ . قَالَ : فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ثَلاثِينَ سَوْطاً " (٢) .

قال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) : " فأمَّا من سبَّ أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل بيته وغيرهم ، فقد أطلق الإمام أحمد أنَّه يضرب ضرباً نكالاً ، وتوقَّف عن قتله وكفره .

قال أبو طالب : سألت أحمد عمَّن شتم أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " القتلُ أجبنُ عنه ، ولكن أضربه ضرباً نكالاً " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " فَإِنَّ سَبَّ الْجَمِيعِ لَا شَكَّ أَنَّه كُفْرٌ ، وَهَكَذَا إِذَا سَبَّ وَاحِداً مِنْ الصَّحَابَةِ حَيْثُ هُوَ صَحَابِيٌّ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ الصُّحْبَةِ ، فَفِيهِ تَعَرُّضٌ إِلَى النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ السَّابِّ .

وَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُ الطَّحَاوِيِّ : " وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ " ، فَإِنَّ بُغْضَ الصَّحَابَةِ بِجُمْلَتِهِمْ لَا شَكَّ أَنَّه كُفْرٌ ، وأمَّا إِذَا سَبَّ صَحَابِيّاً لَا مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ صَحَابِيّاً ، بَلْ لِأَمْرٍ خَاصٍّ بِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ مَثَلاً مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ، وَنَحْنُ نَتَحَقَّقُ فَضِيلَتَهُ ، كَالرَّوَافِضِ الَّذِينَ يَسُبُّونَ الشَّيْخَيْنِ ، وَإِنَّهُمَا أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ ، وَإِنَّهُمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٨ برقم ٣٦٧٣) ، أحمد في المسند (٣/ ٦٣ برقم ١١٦٣٠) ، النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٧٢ برقم ٨٢٥٠) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٣٣٨ برقم ٦٥٦٧) ، المعجم الصغير (٢/ ١٧٦ برقم ٩٨٢) ، البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٣٢٠) ، شعب الإيمان (٣/ ٩٠ برقم ١٤٢٠) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٢/ ٣٤٢ برقم ١٠٨٧) .

(٢) أخرجه الالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٣٤٠ برقم ٢٣٨٣) .

(٣) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرَّسول (ص٥٦٧) .

السَّمْعُ وَالْبَصَرُ مِنْ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، رَوَيْنَا فِي كِتَابِهِ بِالْإِسْنَادِ الْمُتَقَدِّمِ إِلَيْهِ .

قَالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، ثنا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُطَّلِبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ ، أَنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقَالَ : " هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ " (١) .

فَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي كُفْرِ مَنْ سَبَّ الشَّيْخَيْنِ وَجْهَيْنِ ، وَوَجْهُ التَّرَدُّدِ مَا قَدَّمْنَاهُ ، فَإِنَّ سَبَّ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ قَدْ يَكُونُ لِأَمْرٍ خَاصٍّ بِهِ ، وَقَدْ يُبْغِضُ الشَّخْصُ الشَّخْصَ لِأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَهَذَا لَا يَقْتَضِي تَكْفِيراً ، وَلَا شَكَّ أَنَّه لَوْ أَبْغَضَ وَاحِداً مِنْهُمَا لِأَجْلِ صُحْبَتِهِ ، فَهُوَ كُفْرٌ بَلْ مَنْ دُونَهُمَا فِي الصُّحْبَةِ إِذَا أَبْغَضَهُ لِصُحْبَتِهِ كَانَ كَافِراً قَطْعاً " (٢) .

الْخَامِسَةُ عَشْرَة : اعتبر إمامهم القنُّوجي تقليد المذاهب الإسلاميَّة لوناً من ألوان الشِّرك ، فقد قال في كتابه المسمَّى : " الدِّين الخالص" : " تقليدُ المذاهبِ من الشِّرك " (٣) .

وهو بذلك يكفِّر عموم الأُمَّة الإسلاميَّة ، لأنَّ عموم الأُمَّة اليوم هم أهل المذاهب الأربعة ... وهذه جرأة على التَّكفير ليس بعدها جرأة ، مع أنَّه وعموم المتمسلفة لا يحيدون عمَّا قاله ابن تيمية قيد أُنملة ، فهم مقلِّدون له ، ومتابعون له حذو القذَّة بالقذَّة ...

السَّادِسَةُ عَشْرَة : وحتى السَّيدة حوَّاء رضي الله عنها لم تسلم من تكفير الوهابيَّة لها ، فقد ذكر إمامهم القنُّوجي في كتابه المسمَّى : " الدِّين الخالص " فقال : " الصَّحيح أنَّ الشِّرك إنَّما وقع من حواء فقط دون ءادم " (٤) .

السَّابِعَةُ عَشْرَة : كفَّر إمامهم البربهاري كلَّ من انتحل شيئاً خلاف ما في كتابه " السُّنَّة " ، وأنَّه ليس يدين لله بدين !!! ، وهو كافر ، وفي ذلك قال البربهاري (٣٢٩هـ) : " ... وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب ، فهو

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٣٢ برقم ٦٨٦) ، الترمذي (٦/ ٥٤ برقم ٣٦٧١ ، وقال : وَهَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ حَنْطَبٍ لَمْ يُدْرِكِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، الآجري في الشريعة (٤/ ١٨٥٣ برقم ١٣٢٢) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٧٣ برقم ٤٤٣٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .

(٢) انظر : فتاوى السبكي (٢/ ٥٧٥) .

(٣) انظر : الدِّين الخالص (١/ ١٤٠) .

(٤) انظر : الدِّين خالص (١/ ١٦) .

عن الله ، وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعن أصحابه وعن التَّابعين ، والقرن الثَّالث إلى القرن الرَّابع ، فاتَّقِ الله يا عبد الله ، وعليك بالتَّصديق والتَّسليم والتَّفويض والرِّضى لما في هذا الكتاب ، ولا تكتم هذا الكتاب أحداً من أهل القبلة ، فعسى يردُّ الله به حيراناً عن حَيْرته ، أو صاحب بدعة من بدعته ، أو ضالَّاً عن ضلالته ، فينجو به .

فاتَّقِ الله ، وعليك بالأمر الأوَّل العتيق ، وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب ، فرحم الله عبداً ، ورحم والديه ، قرأ هذا الكتاب ، وبثَّه وعمل به ودعا إليه ، واحتجَّ به ، فإنَّه دين الله ودين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّه من انتحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب ، فإنَّه ليس يدين لله بدين !!! وقد ردَّه كلَّه ، كما لو أنَّ عبداً آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى ، إلَّا أنَّه شكَّ في حرف ، فقد ردَّ جميع ما قال الله تعالى ، وهو كافر ، كما أنَّ شهادة أن لَا إلَه إلَّا الله لا تقبل من صاحبها إلَّا بصدق النيَّة وخالص اليقين ، كذلك لا يقبل الله شيئاً من السُّنَّة في ترك بعض ، ومن ترك من السُّنَّة شيئاً فقد ترك السُّنَّة كلَّها .

فعليك بالقبول ، ودع عنك المحك واللجاجة ، فإنَّه ليس من دين الله في شيء ، وزمانك خاصَّة زمان سوء ، فاتَّق الله " (١) .

وكتاب البربهاري من الكُتب المعتبرة عندهم في التَّكفير ، وقد اشتمل على ألوان عديدة وفريدة من التَّكفير ... وللعلم ، فإنَّ كتابه " شرح السُّنَّة " قد تضمَّن العديد من الأحاديث الواهية والموضوعة ... ومع ذلك يُطالب بالإيمان بها ، ويُحذِّر من مخالفتها ، بل يعتبر مخالفتها كفراً ، والعياذ بالله ...

الثَّامِنَةُ عَشْرَة : ولَمَّا كان الوهَّابيَّة أتباع ابن تيمية ومحمَّد بن عبد الوهَّاب الذي خرج من نجد من الفِرَق التي تدعو إلى عقيدة تشبيه الخالق بالمخلوق ، كوصف الله بالجلوس والاستقرار على العرش ، ونسبة الجهة والمكان والأعضاء ، والجوارح لله عزَّ وجلَّ ، والعياذ بالله ، عمدوا إلى التَّضليل والطَّعن بعلماء أهل السُّنَّة والجماعة وبالأخصِّ علماء التَّوحيد ، حتى وصل الأمر بالوهَّابيَّة إلى تعليم النَّاس أنَّ هؤلاء العلماء كفَّار عند أهل السُّنَّة ، فقالوا بعد أن ذكروا أنَّ الجهميَّة ينفون أسماء الله ما نصّه : " وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم ، فلهذا كفَّرهم كثيرون من أهل السُّنَّة " (٢) .

---

(١) انظر : شرح السنة ، البربهاري (ص٤٧) .

(٢) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٠١) .

وكلام حفيد محمَّد بن عبد الوهَّاب هذا يحمل دليلاً على أنَّ الوهَّابيَّة يضلِّلون علماء المسلمين من الأشاعرة ، وغيرهم ، منذ مائتي سنة تقريباً ... وزعمه أنَّ أهل السُّنَّة كفَّروا الأشاعرة كذبٌ وزورٌ وبهتانٌ ، فإنَّ أكثر علماء الحديث ، والفقه ، والتَّفسير ، واللغة ، وغيرهم .... من الأشاعرة أو الماتريديَّة ، وقد توسَّعت في هذه المسألة في الفصل الخاصِّ بتكفيرهم للأشاعرة ...

التَّاسِعَةُ عَشْرَة : زعم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ شجرة التَّوحيد زالت من جميع الدُّول العربيَّة **!!!** (1)

.

والمعنى أنَّ أهل جميع البلدان العربيَّة كفرة مرتدُّون عن دين الله ... كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

وجاء في كتاب : " فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد " : "... خصوصاً إذا عرف أنَّ أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التَّوحيد إلَّا ما أقرَّ به المشركون ... " (2) .

العِشْرُوْن : زعم محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ كفَّار قريش مؤمنون ، يعرفون الله ، ويخافونه ، ويرجونه ، ولم يكفروا إلَّا بسبب تقرُّبهم وتوسُّلهم بأصنامهم ، وفي ذلك يقول : " إذا عرف المؤمن أنَّ هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفَّرهم ، يعرفون الله ، ويخافونه ، ويرجونه ، وإنَّما دعوا هؤلاء للقرب والشَّفاعة ، وصار هذا كفراً بالله " (3) .

وقال محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) أيضاً في حديثه عن كفَّار قريش : " وإلَّا فهؤلاء المشركون يشهدون أنَّ الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وأنَّه لا يرزق إلَّا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلَّا هو ، ولا يدبِّر الأمر إلَّا هو ، وأنَّ جميع السَّماوات ومن فيهنَّ ، والأرضين السَّبع ومن فيهنَّ كلُّهم عبيده ، وتحت تصرُّفه وقهره " (4) .

---

(1) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/١٦) .

(2) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٧٦) .

(3) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/١٤٦) .

(4) انظر : كشف الشبهات (ص٤) .

وفي معرض حديثه عن شرك كفَّار قريش ، قال محمَّد بن عبد الوهَّاب : "... خصوصاً إن عرف أنَّ شركهم دون شرك كثير من النَّاس اليوم !!! " (١) .

وهو يعني بقوله : " دون شرك كثير من النَّاس اليوم " ، أي : من غزاهم !!! وقاتلهم ، واستباح دمائهم ، وأموالهم ، وذراريهم ... لأنَّه حكَمَ بكفر جميع من لم يكن معه ... ولذلك قاتلهم ، وسفك دمائهم ، وسلب أموالهم ، وسبى ذراريهم ...

فكفَّار قريش عند محمَّد بن عبد الوهَّاب مؤمنون ، يعرفون الله تعالى ، ويخافونه ، ويرجونه ، ويوحِّدون الله توحيد ربوبيَّة ... لكن مصيبتهم الوحيدة أنَّهم كانوا يتوسَّلون بغيره ، فلم يوحِّدوا الله توحيد أُلوهيَّة ... وكلامه كذب ... بل أنَّه مكذِّب للقرآن الذين أنكروا البعث حين أخبرهم الرَّسول - صلى الله عليه وسلم- بأنهم سيُبعثون بعد الموت وسيُحاسبون على جرائرهم وسوء أعمالهم ، فأنكروا البعث والإحياء بعد الوفاة ، وصرَّحوا بأنَّه لا ثواب ولا عقاب ، ولذلك لم يُبالوا بما يرتكبون من المعاصي والآثام ...

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وقال تعالى مخبراً عن قيل الكفرة من قوم صالح عليه السَّلام : ﴿ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٤ -٣٧] ، وَأَخْبَرَ اللهُ " أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَقُولُونَ : الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُفْنِينَا الدَّهْرُ وَالزَّمَانُ ، ثُمَّ يَسُبُّونَ مَا يُفْنِيهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ بِذَلِكَ الدَّهْرَ وَالزَّمَانَ ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ : أَنَا الَّذِي أُفْنِيكُمْ وَأُهْلِكُكُمْ ، لَا الدَّهْرُ وَالزَّمَانُ ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِذَلِكَ ... فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينَا ، فَقَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ :

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ [الجاثية:٢٤] ، قَالَ : « فَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ » ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الْأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " (١) ،

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٢٠) .

وقال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس : ٧٨] ، واختلفوا في هذا الإنسان من هو ؟ فقال ابن عبَّاس : هو عبد الله بن أبيّ ، وقال سعيد بن جبير : هو العاص بن وائل السَّهمي ، وقال الحسن : هو أميّة بن خلف ، وقال قتادة : أبي بن خلف الجمحي وذلك أنَّه أتى النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بعظم حائل قد بلي فقال : يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ ؟ فقال صلّى الله عليه وسلَّم : « نعم، ويبعثك ويدخلك النار »، فأنزل الله هذه الآية ... (٢) ، وقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] ...

الحَادِيَة والعِشْرُوْن : كفَّروا كلَّ من لم يُدْخِلِ العَملَ في الإيمان ، وفي ذلك قال الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " لا خلاف أنَّ التَّوحيد ، لابدَّ أن يكون بالقلب ، واللسان ، والعمل ، فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرَّجل مسلماً ، فإن عرف التَّوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون ، وإبليس ، وأمثالهما... " (٣) .

وهو بهذا يُدخل العمل في الإيمان ، بمعنى أنَّه إن فُقد العمل ذهب الإيمان ، مع أنَّ الإيمان هو التَّصديق ، وهو عمل القلب ، ولا علاقة للجوارح به ... وكلامه يُدخل مئات الملايين ، بل أغلب الأمَّة في الكفر ، والعياذ بالله تعالى ...

قال الإمام عضد الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد الإيجي (٧٥٦هـ) : " إعلم أنَّ الإيمان في اللغة التَّصديق ، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ [يوسف : ١٧] ، أي : بمصدِّق ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله " (٤) ، أي : تصدِّق .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٢١/ ٩٦-٩٧) ، دار هجر .

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨/ ١٣٧) .

(٣) انظر : كشف الشبهات (ص٥٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ١١٥ برقم ٤٧٧٧) ، الطيالسي في المسند (١/ ٢٤ برقم ٢١) ، أحمد في المسند (١/ ٥١ برقم ٣٦٧) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصَّلاة (١/ ٣٨٣ برقم ٣٧٥) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٠ برقم ١٣٥٨١) ، مسند الشاميين (٣/ ٣٤٤ برقم ٢٤٤٠) ، ابن منده في الإيمان (١/ ١٢٠ برقم ٢) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٣٠ برقم ٢١٨٠) ، أبو نعيم

وأمَّا في الشَّرع ... التَّصديق للرَّسول فيما علم مجيئه به ضرورة ، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً ، وإجمالاً فيما علم إجمالاً ... ثمَّ دلَّل على ما قال ، فقال :

الأَوَّلُ : الآيات الدالَّة على محليَّة القلب للإيمان ، نحو : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] ، ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . ومنه الآيات الدالَّة على الختم والطَّبع على القلوب ، ويؤيِّده دعاء النَّبي : " اللهمَّ ثبِّت قلبي على دينك " (١) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُسامة وقد قَتَل من قالَ لَا إِلَه إلَّا الله : " هلَّا شققت قلبه " (٢) .

الثَّانِي : جاء الإيمان مقروناً بالعمل الصَّالح في غير موضع من الكتاب ، نحو : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة : ٨٢] ، فدلَّ على التَّغاير .

الثَّالِثُ : أنَّه قرن بضدِّ العمل الصَّالح ، نحو : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ [الحجرات : ٩] ، ومنه : مفهوم قوله :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] (٣) .

الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٠٢) ، البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص١٣٢) ، القضاء والقدر (ص١٩٠ برقم ١٨٦) ، شعب الإيمان (١/ ٣٥٠ برقم ١٧٧) ، السنن الصغير (١/ ١٢ برقم ١٠) ، السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٢ برقم ٢٠٨٧١) .

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٦٠ برقم ٣٨٣٤) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١١٦٠ برقم ٧٣٢) ، أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٤٥) .

(٢) رواه بهذا اللفظ : الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٢٢٦ برقم ٥٦٢) ، مسند الشاميين (٤/ ٢٥٨ برقم ٣٢٢١) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٢٥ برقم ٤٥٩٩) ، البغوي في شرح السنة (١٠/ ٢٤٢) ، وروي بلفظ : " أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا " أو قريباً بلفظ منه ، أخرجه مسلم (١/ ٩٦ برقم ١٥٨) ، أحمد في المسند (٥/ ٢٠٧ برقم ٢٢١٤٥) ، ابن ماجة (٢/ ١٢٩٦ برقم ٣٩٣٠) ، أبو داود (٣/ ٤٤ برقم ٢٦٤٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٣ برقم ٨٥٤٠) ، الروياني في المسند (٢/ ١٤٦ برقم ٨٧١) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٦٨ برقم ١٩٢) ، ابن منده في الإيمان (١/ ٢٠٦ برقم ٦١) ، البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٣٨ برقم ٤٩٣٥) ، السنن الصغير (٣/ ٢٨٠ برقم ٣١٧٦) السنن الكبرى (٨/ ٣٣٢ برقم ١٦٨٠٤) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٣/ ٩١ برقم ١٥٢٢) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٥/ ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣٢) .

(٣) انظر : كتاب المواقف (٣/ ٥٢٨-٣٢٩) .

وعليه ، فمعنى قول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عرَّف الإيمان : " أن تؤمن بالله وملائكته ... " ، أي : أن تُصدِّق بقلبك بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشرِّه من الله ... " ، فالإيمان محلُّه القلب ، وعمل القلب ليس كعمل الجوارح ...

قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " وأمَّا الْعَمَلُ ، فَالْمُرَادُ بِهِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لِيَدْخُلَ الِاعْتِقَادُ وَالْعِبَادَاتُ ، وَمُرَادُ مَنْ أَدْخَلَ ذَلِكَ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ وَمَنْ نَفَاهُ ، إِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَالسَّلَفُ قَالُوا : هُوَ اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ ، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ : أَنَّ الْأَعْمَالَ شَرْطٌ فِي كَمَاله ، وَمن هُنَا نشا لَهُم الْقَوْلُ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ " (١) .

وقال الإمام الباجوري (١٢٧٦هـ) : " والعملُ شرطُ كمالٍ من المختار عند أهل السُّنَّة ، فمن أتى به فقد حصل الكمال ، ومن تركه فهو مؤمن ، لكنه فوَّت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشَّارع أو شكٌّ في مشروعيَّته ، وإلا فهو كافر فيما علم من الدِّين بالضَّرورة ... وكذلك قد دلَّت النُّصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنَّواهي ، وعلى أنَّ الإيمان والعمل الصَّالح متغايران ، وعلى أنَّ الإيمان والمعاصي يجتمعان ، كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فإنَّه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصَّوم ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] ، فإنَّ أصل العطف المغايرة ... " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، ملخِّصاً المسألة : " ... قد أُجيب عَن هَذَا الْإِشْكَال بِأَن الْإِيمَان فِي كَلَام الشَّارِع قد جَاءَ بِمَعْنى أصل الْإِيمَان ، وَهُوَ الَّذِي لَا يعْتَبر فِيهِ كَونه مَقْرُوناً بِالْعَمَلِ ، كَمَا فِي قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِيمَان أَن تؤمن بِاللهَّ ، وَمَلَائِكَته ، وبلقائه ، وَرُسُله ، وتؤمن بِالْبَعْثِ ، وَالْإِسْلَام أَن تعبد الله وَلَا تشرك بِهِ ، وتقيم الصَّلَاة ، وتؤتي الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة ، وتصوم رَمَضَان " الحَدِيث . وَقد جَاءَ بِمَعْنى الْإِيمَان الْكَامِل ، وَهُوَ المقرون بِالْعَمَلِ ، كَمَا فِي حَدِيث وَفد عبد الْقَيْس : " أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَان بِاللهَّ وَحده ؟ قَالُوا : الله وَرَسُوله أعلم ، قَالَ : شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله ، وإقام الصَّلَاة ، وإيتاء الزَّكَاة ، وَصِيَام رَمَضَان ، وَأَن تعطوا من الْمغنم الْخمس " .

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٤٦) .

(٢) انظر : شرح جوهرة التوحيد (ص٧٢-٧٣) .

وَالْإِيمَان بِهَذَا الْمَعْنى ، هُوَ الْمُرَاد بِالْإِيمَان الْمَنْفِيّ فِي قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِين يَزْنِي وَهُوَ مُؤمن " الحَدِيث (١) .

وَهَكَذَا كلّ مَوضِع جَاءَ بِمثلِهِ ، فَالْخِلَاف فِي الْمَسْأَلَة لَفْظِي لأَنَّه رَاجع إِلَى تَفْسِير الْإِيمَان ، وأَنَّه فِي أَي الْمَعْنيين مَنْقُول شَرْعِي ، وَفِي أَيهمَا مجَاز ، وَلَا خلاف فِي الْمَعْنى ، فَإِنَّ الْإِيمَان المنجي من دُخُول النَّار هُوَ الثَّانِي بِاتِّفَاق جَمِيع الْمُسلمين ، وَالْإِيمَان المنجي من الخلود فِي النَّار هُوَ الأَوَّل بِاتِّفَاق أهل السُّنَّة ، خلافاً للمعتزلة والخوارج . وَمِمَّا يدلُّ على ذَلِك قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيث أبي ذَر : " مَا من عبد قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله ثمَّ مَاتَ على ذَلِك إِلَّا دخل الْجنَّة ، قلت : وَإِن زنى ، وَإِن سرق ، قَالَ : وَإِن زنى ، وَإِن سرق " الحَدِيث (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٦ برقم ٢٤٧٥) ، مسلم (١/ ٧٦ برقم ١٠٠) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (٨/ ٦ برقم ٢٤٥٤٦) ، إسحاق بن راهويه في المسند (١/ ٣٨٦ برقم ٤١٦) ، أحمد في المسند (١٦/ ١٦١ برقم ١٠٢١٥) ، الدارمي (٢/ ١٣٣٧ برقم ٢١٥٢) ، ابن ماجه (٢/ ١٢٩٨ برقم ٣٩٣٦) ، أبو داود (٤/ ٢٢١ برقم ٤٦٨٩) ، الترمذي (٤/ ٣١١ برقم ٢٦٢٥) ، البزار في المسند (٨/ ٢٨٦ برقم ٣٣٥٤) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصَّلاة (١/ ٤٨٧ برقم ٥٢٠) ، النسائي في السنن الكبرى (٥/ ٩٨ برقم ٥١٤٩) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٥٣ برقم ١٣٧) ، ابن الأعرابي في المعجم (١/ ٩٥ برقم ١٤٢) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٤١٤ برقم ١٨٦) الآجري في الشريعة (٢/ ٥٨٩ برقم ٢٢٢) ، الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ١٧٠ برقم ٥٣٤) ، المعجم الكبير (١١/ ٣٠٠ برقم ١١٧٩٩) ، مسند الشاميين (٢/ ٢٥٩ برقم ١٣٠٠) ، ابن المقرئ في المعجم (ص٤٣ برقم ٤٠) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٥٩٥ برقم ٥١٠) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٢٤ برقم ١٧٣٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٦٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣١٤ برقم ٢٠٧٥٣) ، شعب الإيمان (١/ ١٤٠ برقم ٣٤) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٩٠) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (٢/ ٦٢٣ برقم ٧٦٧) ، ابن الجعد في المسند (ص٥٧ برقم ٢٥٦) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول (١/ ٢٩٠ برقم ٣٠٩) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١١/ ١٨٨ برقم ٦٢٩٩) ، عبد الرزاق الصنعاني في المصنف (٧/ ٤١٥ برقم ١٣٦٨٢) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٧٠٥ برقم ٩٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٩ برقم ٥٨٢٧) ، مسلم (١/ ٩٥ برقم ١٥٤) ، أحمد في المسند (٥/ ١٦٦ برقم ٢١٧٩٨) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٦٤ برقم ٩٥٧) ، البزار في المسند (٩/ ٣٥٤ برقم ٣٩٢٠) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٢٨ برقم ٣٦) ، ابن منده في الإيمان (١/ ٢٢٤ برقم ٨٧) ، البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٥٢٧ برقم ٣٤١) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٩٦ برقم ٥١) .

فَالْحَاصِل أَنَّ السَّلف وَالشَّافِعِيّ إِنَّما جعلُوا الْعَمَل ركناً من الْإِيمَان بِالْمَعْنَى الثَّانِي دون الأَوَّل ، وحكموا مَعَ فَوَات الْعَمَل بِبَقَاء الْإِيمَان بِالْمَعْنَى الأول ، وَبِأَنَّهُ ينجو من النَّار بِاعْتِبَار وجوده ، وَإِن فَاتَ الثَّانِي ، فَبِهَذَا ينْدَفع الْإِشْكَــــال " [1] .

إذا عرفت ذلك فاعلم أنَّ أهل العلم اتَّفقوا على عدد من المعايير التي من خلالها نستطيع الحكم على من يدخل في مسمَّى الإيمان ، ومن لا يدخل :

١. اتَّفقوا على أنَّه لا يدخلُ في مسمَّى الإيمان من أقرَّ بلسانه ظاهراً ، وكذَّبَ بقلبه ، وهؤلاء هم المنافقون ...

٢. واتَّفقوا على أنَّ المعرفة بالقلب لا تكفي في تحقيق اسم الإيمان ، فلا بدَّ من المعرفة والتَّصديق من الإقرار باللسان ...

٣. وأجمعوا على أنَّ الله تعالى يطلب من العباد قولاً وعملاً ...

٤. وأجمعوا على أنَّ العبد لو صدَّق بقلبه وأقرَّ بلسانه ، وامتنع عن العمل بجوارحه ، فإنَّه يكون عاصياً لله ورسوله ، ومستحقَّاً للوعيد الذي ذكره الله تعالى في كتابه ، وأخبر به الرَّسول الكريم عليه أفضل الصَّلاة وأتمّ التَّسليم ...

٥. وأجمعوا أيضاً على أنَّ مرتكب الكبيرة ليس كافراً ما دام غير مستحلٍّ لها ، وإن مات قبل التَّوبة عنها ...

٦. لا خلاف بين أهل السُّنَّة في أنَّ ما تقدَّم من تعريف الإيمان بالقول ، والتَّصديق ، والعمل ، إنَّما هو بالنَّظر إلى ما عند الله تعالى ، واستحقاق دخول الجنَّة ، وعدم الخلود في النَّار [2] ...

وعليه ، فعمل الجوارح هو شرط كمال للإيمان عند الأشـــــاعرة ، وجميع أهل السُّنَّة والجمــــاعة ، وبهذا يختلفون عن المعتزلــــة والخوارج الذين كفَّروا صــــاحب الكبيرة ، لأنَّ العمـــــل عندهم شرط لصحَّة الإيمان ...

الثَّانية والعِشْرُوْن : اعتبروا قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنماً !!! وأنَّ النَّاس بتوسُّلهم إلى الله تعالى به يعبدونه ... فقد أَلَّف أحدُ أدعياء السَّلفيَّة واسمه : عبد العزيز بن يحيى البُرعي اليمني كتاباً سمَّاه : " قوارع

---

[1] انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، العيني (١/ ١٠٤) .

[2] انظر : الإيمان ، محمَّد نعيم ياسين (ص٢٠٥-٢٠٧) .

الأسنَّة في الردِّ على أعداء السُّنَّة " ، قال فيه تحت عنوان : " عُبَّاد الأصنام " : " إنَّ عبادة الأصنام كثيره في زماننا ... ومن تلك الأصنام : قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وهذا فيه قلَّة أدب ، وشتم صريحٌ لسيِّد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دعا ربَّه ، فقال : " اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد " (٢) ، وقال : " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ " (٣) ...

ولذلك سمُّوا كلَّ مُتَوَسَّلٍ به بالصَّنم ... فالبُرعي في كلامه هذا يُسمِّي قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصَّنم ، وهذا كلامٌ خطير يُخشى على صاحبه أن يقع في دائرة ... والمؤلِّف المذكور هو تلميذ للمدعو مقبل الوادعي : صاحب رسالة : " ظلال الجنَّة في الرَّدِّ على أعداء السُّنَّة " !!! ، وهو الذي دعا إلى ضرورة هدم القبَّة الخضراء ، على ساكنها أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام ...

وقال محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٤٢٠هـ) وهو يتكلَّم عن المسجد النَّبوي : " ... قلت : وممَّا يؤسف له أنَّ هذا البناء قد بُني عليه منذ قرون إن لم يكن قد أُزيل تلك القبَّة الخضراء العالية ، وأحيط القبر الشَّريف بالنَّوافذ النُّحاسيَّة والزَّخارف والسُّجف وغير ذلك ممَّا لا يرضاه صاحب القبر نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل قد رأيت حين زرتُ المسجد النَّبويّ الكريم وتشرَّفت بالسَّلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة (١٣٦٨هـ) ، رأيت في أسفل حائط القبر الشِّمالي مِحراباً صغيراً ، ووراءه سدَّة مرتفعة عن أرض المسجد قليلاً ، إشارة إلى أنَّ هذا المكان خاصٌّ للصَّلاة وراء القبر ، فعجبت حينئذ كيف ظلَّت هذه الظاهرة الوثنيَّة !!! قائمة في عهد دولة التَّوحيد ... " (٤) .

فبناء على ما قاله الألباني ، فإنَّ الأُمَّة ظلَّت حامية للوثنيَّة قروناً عديدة ، حتى جاء هذا (السَّاعاتي) المنقذ لها من شرِّ براثن الوثنيَّة التي تعيش فيها ... فهل يجوز وصف الأُمَّة بالضَّلال والشِّرك ، ثمَّ كيف سكت السَّلفُ

---

(١) انظر : قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السنة (ص٢٨) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ برقم ٥٩٣) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦ برقم ١٧٢٧٠) ، البزار في المسند (١٠/ ٦٣ برقم ٤١٢٦) ، الشاشي في المسند (٣/ ٢١٨ برقم ١٣١٧) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٦٨) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨/ ٣٢٤ برقم ٣٩١) .

(٤) انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٦٨) .

الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم على المظاهر الشِّركيَّة التي قال بها من يدَّعون السَّلفيَّة زوراً وعدواناً ، وإثماً وبهتاناً ...

كيف سكت السَّلفُ الصَّالحُ عن وجود القبر داخل المسجد ؟ أليس عمر بن عبد العزيز هو من قام بتوسعة المسجد وضمِّ القبر إليه ؟!!! مع أنَّنا لم نرَ ولم نسمع عن أحدٍ من العالمين أنَّه عبَدَ القبر الشَّريف ، وهذا مِصْداقُ حديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ " (١) .

وقد استجاب الله تعالى لدعاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يجعله وثناً يُعبد من دون الله تعالى ، بالرَّغم من زيارة مئات الملايين لقبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، تلك الزِّيارة التي اعتبرها ابن تيمية ومن معه ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لفتواهم بل ولا لسائر فتاويهم ، وتهافت النَّاس لزيارة قبره الشَّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهافت المحبّ للقيا الحبيب أو كتهافت الظمآن على الماء ، ولسان الحال يقول :

أمرُّ على الدِّيار ديـــــار ليلى   أقبِّـــل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبُّ الدِّيار شغفن قلبي   ولكن حبُّ من سكن الديارا

وقال الشَّاعر عمر بهاء الدِّين الأميري :

الحجرُ الأسودُ قبَّلتُــــــــــهُ   بشفَتَيْ قلبيْ وكُلّي وَلَـــــــــهْ
لا لاعتِقــــــــــادي أنَّه نافعٌ   بل لهُيـــــامي بالّـذي قَبّلَـــــهْ
محمَّدٌ أطهرُ أنفاســــــــــــهِ   كانت على صفْحـــــاتهِ مُرسَلَةْ
قبَّلتُ ما قبَّـــــــــــلهُ ثغرهُ النَّـ   ـــاطِقُ بالوَحي ابتِغــــــاءَ الصِّلَةْ

فما قبَّله هو ولا غيره إلَّا لأنَّ الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبَّله ، ولم نسمع أنَّ أحداً عَبَدَ الحجرَ الأسود أو مقام إبراهيم ، أو حتَّى الكعبة المشرَّفة ...

وممَّا يؤسف له أن يؤكِّد الشَّيْخ ابن باز على فتاويهم السَّابقة ، فقد أفتى بأَنَّ وجود القبَّة الخضراء على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام بدعة !!! فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :

إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست حجَّة : السُّؤال الأوَّل من الفتوى رقم (٦٢٥٨) :

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ برقم ٥٩٣) .

س١: ما هي حقيقة التَّصوُّف ؟ وهل في التَّصوُّف جوانب حسنة وجوانب سيِّئة ؟ هل التَّصوُّف مفصولٌ عن الفقه ؟ أرجو من فضيلتكم التحدُّث إليَّ عن الحضرة النبويَّة التي توجد في المفهوم الصُّوفي ، وهل هي حقيقة ؟ عندي في السُّودان بعض رجال المتصوِّفة يستدلُّون على بناء القباب على الميت بالقبَّة المشيَّدة على قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما حكم الدِّين في ذلك ؟ ما هي حقيقة هذه الأسماء : الغوثي ، والقطبي ، ورجال الكون في المفهوم الصُّوفي ؟

ج١: أولاً : اقرأ في ذلك كتاب : " مدارج السَّالكين " لابن قيِّم الجوزيَّة ، وكتاب : " هذه هي الصُّوفيَّة " لعبد الرَّحمن الوكيل فيما يتعلَّق بمسائل التَّصوُّف .

ثانياً : ليس في إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجَّة لمن يتعلَّل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصَّالحين ؛ لأنَّ إقامة القبَّة على قبره لم تكن بوصيَّة منه ، ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ، ولا من التَّابعين ، ولا أحد من أئمَّة الهُدى في القرون الأولى التي شهد لها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخير ، إنَّما كان ذلك من أهل البدع !!! وقد ثبت أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " (١) .

وثبت عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قال لأبي الهياج : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! ألا تدع تمثالاً إلَّا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلَّا سوَّيته " ، رواه مسلم (٢) ؛ فإذا لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناء قبَّة على قبره ، ولم يثبت ذلك عن أئمَّة الخير ، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك ، لم يكن لمسلم أن يتعلَّق بما أحدثه المبتدعة من بناء قبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٦ برقم ٩٦٩) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٦٤-٢٦٥).

وهنا نسأل ابن باز ، ومعه أعضاء اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء : ما المانعُ الشَّرعيُّ من وجود قبَّة على قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! وأيُّ ابتداع في الدِّين يعنيه وجود القبَّة فوق قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! وما هي المضارّ المترتبة على وجود القُبَّة ؟!!

مع العلم أنَّ الأمر عندهم لم يقف عند وجود قبَّة فوق قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل تعدَّى إلى المطالبة بإخراج القبر الشَّريف خارج المسجد ، فقد صرَّح الألبانيُّ بأنَّ من البدع المذمومة في زماننا : إبقاء قبر النَّبي في مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

وفي دراسة بعنوان : " عمارة مسجد النَّبي عليه السَّلام ودخول الحجرات فيه دراسة عقديَّة " ، قدَّمها المدعو الدُّكتور علي بن عبدالعزيز الشِّبل ، عضو هيئة التَّدريس في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة في الرِّياض ، اقترح فيها نقل قبر النَّبي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحجراته من حرم المسجد النَّبوي الشَّريف ، لتكون الحجرة خارج المسجد الذي تتمُّ فيه الصَّلاة حاليّاً . وطالب فيها بهدم الجدار القبلي العثماني المجيدي ، وتوسيع مقدِّمة المسجد إلى الجنوب ، كما طالب المومى إليه بتشكيل لجنة متخصِّصة من أهل العلم المعروفين ، لدراسة حاجة المسجد النَّبوي الشَّريف !!! وتتبُّع ما فيه من البدع المحدثات ذات الخطر على الدِّين والعقيدة !!! ومن ضمنها أبيات العتبي الشِّعريَّة المكتوبة في محيط الحجرة !!! زاعماً أنَّ ذلك لصفاء التَّوحيد !!! ومنعاً للشِّرك والتَّوسُّل والاستغاثة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره وهو ميِّت .

ونُشرت الدِّراسة المذكورة في المجلَّة العلميَّة المحكَّمة !!!! الصَّادرة عن مركز البحث العلمي وإحياء التُّراث الإسلامي ، التَّابع للرِّئاسة العامَّة لشئون المسجد الحرام والمسجد النَّبوي ، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

وقال الشَّيْخ ابن باز : " ... أمَّا احتجاج بعضُ الجهلة !!! بوجود قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبر صاحبيه في مسجده ، فلا حجَّة في ذلك ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفن في بيته وليس في المسجد ، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن لَمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد ؛ بسبب التَّوسعة ، وغلط في هذا ، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد ؛ حتى لا يحتجَّ الجهلة وأشباههم بذلك ، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا ، ولا يظنُّ ظانٌّ أنَّ هذا من

---

(١) انظر : مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسُّنَّة وآثار السلف وسرد ما ألحق النَّاس بها من البدع (ص٦٠) .

جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد ؛ لأنَّ هذا بيت مستقل أدخل في المسجد ؛ للحاجة للتَّوسعة ، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضرُّه ، وهكذا قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفصول بجدار وقضبان . وينبغي للمسلم أن يبيِّن لإخوانه هذا ؛ حتى لا يغلطوا في هذه المسألة . والله وليُّ التوفيق " (١) .

وجاء في فتاوى ابن باز : " س : قال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا إنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . وله أحاديث تنهى عن بناء المساجد على القبور ، فإذا وجد القبر ، فعلينا التَّسوية ، والمسجد النبوي أسأل الله أن يطعمني زيارته ، ولكن من زار المسجد النبوي ، وجد أنَّ قبر النَّبي بارز غير مسوًّى مع الأرض ، ويصلَّى عليه أحياناً ، أنا أسأل مع السَّائلين هل هناك رخصة لقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط ، وهذا غير وارد . أفتونا جزاكم الله خيراً ؟

ج : النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفن في بيته ، والصَّحابة رأوا دفنه في البيت حتى لا يتَّخذ قبره مسجداً ، هذا هو الأصل ، لكن لَمَّا وسع أمير المؤمنين في وقته الوليد بن عبد الملك في المائة الأولى مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل الحجرة في المسجد ، ومن ذلك الوقت دخلت في المسجد ، وإلَّا فهو مدفونٌ في بيته عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلا حجَّة فيه لأحد من النَّاس ؛ لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يدفن في المسجد ، وإنَّما دُفن في بيته ، ودخلت الحجرة برمَّتها في التَّوسعة .

أمَّا النَّاس فلا يجوز لهم أن يدفنوا في المساجد ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن من فعل ذلك ، قال : " لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " (٢) .

فلا يجوز الدَّفن في المساجد ، ولا يجوز بناء مساجد على القبور ، فكلُّ هذا منكر ، لعنَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله ، والواجب الحذر من ذلك ، أمَّا قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يُدفن في المسجد ، بل دُفنَ في بيته ، ولكن عند التَّوسعة أُدخل البيت في المسجد ، وكان هذا من أخطاء الوليد ، عفا الله عنه " (١) .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (١٣/ ٢٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٢ برقم ١٣٩٠) ، مسلم (١/ ٣٧٦ برقم ٥٢٩) ، إسحاق بن راهويه في المسند (١/ ٣٢٩ برقم ٣١٦) ، أحمد في المسند (١/ ٢١٨ برقم ١٨٨٤) ، النسائي في السنن الصغرى (٤/ ٩٥ برقم ٢٠٤٧) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٦٤) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٢/ ١٥١ برقم ٧٥٤٧) .

قلت : لقد اشتمل كلام ابن باز على ألوان من التَّدليس والتَّلبيس والمراوغة وعدم المصداقيَّة ، وإليك البيان :

أمَّا زعمه بأنَّ من قام بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الوليد بن عبد الملك فكذبٌ صُراح ، لأنَّ التَّاريخ يشهد بأنَّ من قام بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الخليفة الرَّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ... قال الإمام الذَّهبي في ترجمته له : " الإِمَامُ ، الحَافِظُ ، العَلاَّمَةُ ، المُجْتَهِدُ ، الزَّاهِدُ ، العَابِدُ ، السَّيِّدُ ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ حَقّاً ، أَبُو حَفْصٍ القُرَشِيُّ ، الأُمَوِيُّ ، المَدَنِيُّ ، ثمَّ المِصْرِيُّ ، الخَلِيْفَةُ ، الزَّاهِدُ ، الرَّاشِدُ ، ... وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الاجْتِهَادِ ... وَكَانَ ثِقَةً ، مَأْمُوْناً ، لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ وَوَرَعٌ ، وَرَوَى حَدِيْثاً كَثِيْراً ، وَكَانَ إِمَامَ عَدْلٍ – رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ " (٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " ... وَذَكَرَ ابن جرير : أنَّه فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيز يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ يُوَسِّعَهُ مِنْ قِبْلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ ، حَتَّى يَكُونَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، فَمَنْ باعك مِلكه فاشتره مِنْهُ وَإِلَّا فقوِّمه لَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ ثمَّ اهدمه وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَ بُيُوتِهِمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ عُمَرَ ، وَعُثْمَانَ .

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاس وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الْوَلِيدِ ، ... فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ !!! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ . فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدّاً مِنْ هَدْمِهَا ، ... فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ – حُجْرَةَ عَائِشَةَ – فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ .. " (٣) .

فعمرُ بن عبد العزيز هو من أَدْخَلَ القبرَ في المسجد ، وليس الوليد بن عبد الملك ، ولو كان فيه محذور لما أطاع هو ومن معه من الفقهاء أمرَ الوليد بن عبد الملك ، لأنَّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق . مع أنَّ ابن باز – كما جاء في كلامه – يجعل الأمر غلطاً ممَّن قام بعمليَّة ضمِّ القبر للمسجد ، وهذا الكلام يدلُّ دلالة واضحة

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٣٢) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١١٥) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٨٩) .

على أنَّ من حضر من العلماء الذين استشارهم سيِّدنا عمر بن عبد العزيز من الفقهاء والعلماء ما كانوا يفهمون التَّوحيد ، حتى جاء ابن باز ومعه الوهَّابيَّة ليعلِّمهم الخطأ من الصَّواب ، وأنَّهم فيما صنعوا قد ضلُّوا السَّبيل ...

ومن المعلوم يقيناً أنَّ الخليفة الرَّاشد عمر بن عبد العزيز ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، واستشارهم ، وكان لا يقطع أمراً ، ولا يصدرُ إلا عن أمرهم ونُصحهم ، قال تلميذ ابن تيمية الإمام ابن كثير : " وَبَنَى فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ هَذِهِ مَسْجِدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَسَّعَهُ عَنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ لَهُ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ فِيهِ قَبْرُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاس مُعَاشَرَةً ، وَأَعْدَلِهِمْ سِيرَةً ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَيَّنَ عَشْرَة مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْراً بِدُونِهِمْ أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عُرْوَةُ وَعُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُتْبَةَ ، وأبو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وأبو بكر بن سليمان بن خَيْثَمَةَ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ محمَّد بن حزم ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ ، وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وَكَانَ لَا يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ... " (١) .

فهؤلاء هم العلماء الذين وافقوا عمر بن عبد العزيز على ضمِّ القبر الشَّريف إلى المسجد ...

ويُضاف لما سبق : أنَّ الفترة التي أُدخل فيها القبر الشَّريف إلى المسجد كانت ما بين عامي (٨٨هـ-٩١هـ) ، وهي فترة كان فيها بعض الصَّحابة الكرام ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، مثل : سهل بن سعد ، قال ابن عبد البرّ : " وَاختلف في وقت وفاة سهل بن سعد . فقيل : توفِّي سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن ست وتسعين سنة . وقيل : توفِّي سنة إحدى وتسعين ، وقد بلغ مائة سنة " (٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل أنس بن مالك ، قال ابن كثير : " وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ، فَقِيلَ : سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَقِيلَ : إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، وَاللهَّ أَعْلَمُ " (٣) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل عبد الله بْن ثعلبة بْن صغير ، قال ابن عبد البرّ في ترجمته له : " وتوفِّي سنة تسع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وتسعين . وقيل : سنة سبع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وثمانين " (١) .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢١٩) .

(٢) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٦٤) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٩٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب بْن عَبْد اللهَّ بْن وهب بْن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي . قال ابن عبد البرّ في ترجمته له : " مات سنة سبع وثمانين " (٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل عبد الله بْن بسر المازني . قال ابن عبد البرّ في ترجمته له : " مات بالشَّام سنة ثمانين " (٣) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل يوسف بن عبد الله بن سلام . قال ابن عساكر : " قال خليفة بن خيَّاط : توفِّي في خلافة عمر بن عبد العزيز " (٤) .

وعاش فيها أيضاً : الصَّحابي الجليل أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، قال ابن عبد البرّ : " ومات سنة مائة أو نحوها . ويقَالَ : أنَّه آخر من مات ممَّن رأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٥) .

ولم نعلم لهؤلاء الصَّحابة الكرام نكيراً لما صنع عمر بن عبد العزيز من إدخال القبر إلى المسجد . وأمَّا إنكار ابن المسيّب لهدم حجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يكن إنكاره لذات الإدخال ، بل كان لسبب آخر ذكره صاحب الطَّبقات ، قال : " سَمِعْتُ عَطَاءَ الْخُرَاسَانِيَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ يَقُولُ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ : أَدْرَكْتُ حُجَرَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ عَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ . فَحَضَرْتُ كِتَابَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُقْرَأُ يَأْمُرُ بِإِدْخَالِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ بَاكِياً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ عَطَاءٌ : فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : وَاللهَّ لَوَدِدْتُ أَنَّهم تَرَكُوهَا عَلَى حَالِهَا يَنْشَأُ نَاشِئٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْدَمُ الْقَادِمُ مِنَ الأُفُقِ فَيَرَى مَا اكْتَفَى بِهِ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُزَهِّدُ النَّاس فِي التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ " (٦) .

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٦) .

(٢) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٨٢) .

(٣) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٤) .

(٤) انظر : تاريخ دمشق (٧٤/ ٢٤٤) .

(٥) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٩٨) .

(٦) انظر : الطبقات الكبرى ، ابن سعد (١/ ٣٨٧) .

فسعيد بن المسيّب عليه رحمة الله تعالى ما أنكر إدخال القبر إلى المسجد ، وإنَّما كان يرى إبقاء حجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي تكون سبيلاً للزُّهد والتُّقلُّل من الدُّنيا وزينتها ، مع العلم أنَّ من يزعمون السَّلفيَّة لم يُبقوا على أيِّ أثر من آثار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا آثار الصَّحابة الكرام الذين أداروا ظهورهم للدُّنيا زاهدين متقلِّلين ، في الوقت الذي نرى فيه من يدَّعون السَّلفيَّة في بحار الدُّنيا المتلاطمة يسبحون ويمرحون ....

فمن يكون ابن باز إذا وُضع معهم ؟!!! وإنَّني والله أقسم بالله العظيم غير حانث أنَّه لولا الدَّعم المالي والإعلامي منقطع النَّظير لعاش ابن باز وابن عثيمين و... و... و... ولم يسمع بهم أحدٌ من العالمين ... ولله في خلقه شؤون .

من جهة أخرى فإنَّ الدَّفن في المسجد لا يتعلَّق أبداً بسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل شاركه في ذلك العديد من إخوانه الأنبياء ، فقد ذكر أهل العلم أنَّ جمعاً من الأنبياء مدفونون في بيت الله الحرام ، قال الإمام أبو الوليد محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغسَّاني المكِّي المعروف بالأزرقي (٢٥٠هـ) : " حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمُهْدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللهَّ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ محمَّد بْنِ سَابِطٍ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا النَّبي ، وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ فِيهِ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورُهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَجَرِ " (١) .

وقال الإمام الأزرقي أيضاً : " قَالَ محمَّد بْنُ سَابِطٍ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ ، فَتَعَبَّدَ فِيهَا النَّبي وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورَهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ . حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمُهْدِيِّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ أَبِي خَيْثَمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحمن بْنَ سَابِطٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ ضَمْرَةَ السَّلُولِيَّ ، يَقُولُ : مَا بَيْنَ الرُّكْنِ إِلَى الْمَقَامِ إِلَى زَمْزَمَ إِلَى الْحِجْرِ قَبْرُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَبِيّاً ، جَاءُوا حُجَّاجاً فَقُبِرُوا هُنَـالِكَ ، فَتِلْكَ قُبُورُهُمْ غَوْرُ الْكَعْبَةِ " (٢) .

---

(١) انظر : أخبار مكَّة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي (١/ ٦٨) .

(٢) انظر : أخبار مكَّة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي (٢/ ١٣٣) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَالِمٌ الْأَفْطَسُ ، قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَهْرَبُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ يَعْبُدُ رَبَّهَا ، وَإِنَّ حَوْلَهَا لَقُبُورَ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، قَالَ : قَبْرُ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٢) .

وقد أخبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ " فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيّاً " (٣) .

أمَّا ما زعمه ابن باز في قوله : " ... وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا " . فهذا محض كذب وافتراء ... وقد تقدَّم ما قاله ابن كثير من جمعِ عمر بن عبد العزيز للعلماء والفقهاء ، وأنَّه استشارهم في المسألة حتى اتَّفقوا على رأي واحد ، وهو تنفيذ ما أمر به الوليد بن عبد الملك من زيادة مساحة مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وضمِّ القبر الشَّريف إلى المسجد ... ولم يخالف في ذلك أحد ، فكان إجماعاً ...

فكيف سكت علماء الأُمَّة قروناً طويلة على وجود ما ذكره مدَّعو السَّلفيَّة من المظاهر الوثنيَّة في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أليس الأجدر بعلماء الأُمَّة أن ينبِّهوا إلى هذه المسألة الخطيرة ، وأن يعملوا على إزالتها من قديم الزَّمان ؟!!! أم أنَّ التَّوحيد لا يعلمه إلَّا من نسبوا أنفسهم زوراً وبهتاناً إلى السَّلف ؟!!! ألا يعتبر السَّابقون سلفاً لمن طالبوا بإزالة المظاهر الشِّركيَّة الوثنيَّة من مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ !!! ألا يُعتبر زمان سيِّدنا عمر بن عبد العزيز زمن السَّلف ؟!!! أليس هو من قام بضمِّ القبر الشَّريف للمسجد ؟!!! والضَّمُّ كان بموافقة من حضر في ذلك الزَّمان من جهابيذ العلماء وأساطينهم ...

وقال المدعو صالح العصيمي : " إنَّ استمرارَ هذه القبَّةِ على مدى ثمانيةِ قرونٍ لا يعني أنَّها أصبحت جائزة ، ولا يعني أنَّ السُّكوتَ عنها إقرارٌ لها ، أو دليلٌ على جوازها ، بل يجبُ على ولاةِ المسلمين إزالتها ، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه في عهدِ النُّبوَّةِ ، وإزالة القبَّةِ والزَّخارفِ والنُّقوشِ التي في المساجدِ ، وعلى رأسها المسجدُ

---

(١) انظر : الآثار ، محمَّد بن الحسن الشيباني (٢/ ٢٩٠ برقم ٢٦٥) .

(٢) انظر : الآثار ، محمَّد بن الحسن الشيباني (٢/ ٢٩٢ برقم ٢٦٦) .

(٣) أخرجه الفاكهي في أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه (٤/ ٢٣٧ برقم ٢٥٩٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤١٤ برقم ١٣٥٢٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٩٧ برقم ٥٧٦٩ ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ) .

النَّبوي ، ما لم يترتَّب على ذلك فتنةٌ أكبر منه ، فإن ترتَّبَ عليه فتنةٌ أكبر ، فلوليِّ الأمرِ التريُّث مع العزمِ على استغلالِ الفرصة متى سَنَحت " (١) .

وهذه من العصيمي وغيره من المتمسلفة فتوى صريحة لهدم القبَّة الخضراء ، متى سَنَحت الفُرصة لذلك ، دون النَّظر لمشاعر المسلمين جميعاً ، ودون النَّظر لما سيُحدثه الهدم من إساءة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ القبَّة حول قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وما أرى فتاويهم بحقِّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره الشَّريف إلَّا لأنَّ في قلوبهم شيء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام التَّقي الحصني في كلامه عن ابن تيمية : " ... وهذا وغيره يدلُّ على أنَّ عنده ضغينة للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولصاحبيه ، وكذا لأُمَّته ، ليفوِّت عليهم هذا الخير الذي رتَّبه على زيارة قبره عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ، فاحذروه ، واحذروا تزويق مقالته المطوي تحتها أخبث الخبائث ، فإنَّها لا تجوز إلَّا على عاميٍّ أو بليد الذِّهن كالحمار يحمل أسفاراً " (٢) ...

وإلَّا فما معنى أن يعتبر الإمام ابن تيمية في تعليقه على قصَّة العُتبي أنَّ من رأى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ضعيفاً في دينه ، وبه نفاق ، ومن المؤلَّفة قلوبهم ... قال ابن تيمية : " وأمَّا مَا ذكره بعض الْفُقَهَاء من حِكَايَة الْعُتْبِي عَن الْأَعرَابِي الَّذِي أُتِي قبر النَّبِي ، وَقَالَ : يَا خير الْبَرِيَّة إِنَّ الله يَقُول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَإِنِّي قد جِئْت ، وأَنَّه رَأْي النَّبِي فِي الْمَنَام ، وَأمره أَن يبشر الْأَعرَابِي ، فَهَذِهِ الْحِكَايَة وَنَحْوهَا مِمَّا يذكر فِي قبر النَّبِي وقبر غَيره من الصَّالِحين ، فَيَقَع مثلهَا لمن فِي إِيمَانه ضعف ، وَهُوَ جَاهِل بِقدر الرَّسُول وَبِمَا أمر بِهِ ، فَإِن لم يعف عَن مثل هَذَا لِحَاجَتِهِ وَإِلَّا اضْطربَ إِيمَانه وَعظم نفَاقه ، فَيكون فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة الْمُؤَلّفَة بالعطاء فِي حَيَاة النَّبِي ، كَمَا قَالَ : إِنِّي لأتألف رجَالاً بِمَا فِي قُلُوبهم من الْهَلَع والجزع ، وَأكل رجَالاً إِلَى مَا جعل الله فِي قُلُوبهم من الْغنى وَالْخَيْر ، مَعَ أَن أَخذ ذَلِك الْمَال مَكْرُوه لَهُم ، فَهَذِهِ أَيْضاً مثل هَذِه الْحَاجَات " (٣) .

---

(١) انظر : بدعِ القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها ، صالح العصيمي (ص٢٥٣) .

(٢) انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص١١٢) .

(٣) انظر : جامع الرسائل (٢/ ٣٧٨) ، قاعدة في المحبة (ص١٩٢) .

وما معنى أن يُنكر ابن تيمية أن تكون البقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، كما نقل القاضي عياض في " الشِّفا " ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ أَيْضاً : عَنْ رَجُلَيْنِ تَجَادَلَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إنَّ تُرْبَةَ محمَّد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَقَالَ الْآخَرُ : الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ . فَمَعَ مَنْ الصَّوَابُ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ للهَّ ، أَمَّا نَفْسُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا خَلَقَ اللهَّ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . وأَمَّا نَفْسُ التُّرَابِ فَلَيْسَ هُوَ أَفْضَلَ مِنْ الْكَعْبَةِ البيت الْحَرَامِ بَلْ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَضَّلَ تُرَابَ الْقَبْرِ عَلَى الْكَعْبَةِ إلَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلَيْهِ ، وَلَا وَافَقَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَاَللهَّ أَعْلَمُ " (١) .

قلت : وهو في كلامه هذا يَهرُفُ بما لا يَعرف ، فقد نقل القاضي عياض (٥٤٤هـ) الإجماع على أنَّ البقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، ولم يخالفه فيما قال أحدٌ إلَّا ابن تيمية الذي خالف الإجماع في غير ما مسألة ، وممَّا يُثبت هذا ما قاله العلماء في تأييد ما ذهب إليه القاضي عياض ، فقد نقل الإمام النَّووي قول عياض مقرّاً له ، فقال : " وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَجِّ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَرْضِ ، وَأَنَّ الْخِلَافَ فِيمَا سِوَاهُ " (٢) .

وقال الإمام ابن كثير : " وقد حكى ذلك عياض السّبتي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، والله أعلم ، ونقل الاتِّفاق على أنَّ قبره الذي ضمَّ جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض .

وقد سبقه إلى حكاية هذا الإجماع القاضي أبو الوليد الباجي ، وابن بطَّال ، وغيرهما ، وأصل ذلك ما روي أنَّه لما مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا في موضع دفنه ، فقيل بالبقيع ، وقيل بمكة ، وقيل ببيت المقدس ، فقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إنَّ الله لم يقبضه إلَّا في أحبِّ البقاع إليه " (٣) .

وحرَّم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب شدَّ الرِّحـــال إلى قبور الأولياء والصَّالحين ، واعتبروا زيارة قبر النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفر معصية ، لا يجـــوز أن تقصر فيه الصَّلاة ، كما أفتى شيخهم ابن تيمية (١) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨) .

(٢) انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٧/ ٤٧١) .

٣ انظر : الفصول في السيرة (ص٢٩٠) .

وصرَّح الإمام ابن تيمية بأنَّ السَّفر لزيارة قبر نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا غيره من الأنبياء والصَّالحين ، غلط ... فيقول : " ... وَهَذَا ظَنَّ أَنَّ السَّفَرَ إِلَى زِيَارَةِ نَبِيِّنَا كَالسَّفَرِ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَهُوَ غَلَطٌ مِنْ وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّ مَسْجِدَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَالسَّفَرَ إِلَيْهِ مَشْرُوعٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ زِيَارَتَهُ كَمَا يُزَارُ غَيْرُهُ مُمْتَنِعَةٌ ، وإنَّما يَصِلُ الْإِنْسَانُ إِلَى مَسْجِدِهِ ، وَفِيهِ يَفْعَلُ مَا شُرِعَ لَهُ .

الثَّالِثُ : أنَّه لَوْ كَانَ قَبْرُ نَبِيِّنَا يُزَارُ كَمَا تُزَارُ الْقُبُورُ ، لَكَانَ أَهْلُ مَدِينَتِهِ أَحَقَّ النَّاس بِذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ أَحَقُّ بِزِيَارَةِ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ ، فلمَّا اتَّفَقَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الدِّين عَلَى أَنَّ أَهْلَ مَدِينَتِهِ لَا يَزُورُونَ قَبْرَهُ ، بَلْ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَهُ لِلسَّلَامِ إذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَخَرَجُوا . وَإِنْ لَمْ يُسَمَّى هَذَا زِيَارَةً بَلْ يُكْرَهُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ السَّفَرِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَالِكٌ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَفْعَلُونَهُ : عُلِمَ أَنَّ مَنْ جَعَلَ زِيَارَةَ قَبْرِهِ مَشْرُوعَةً كَزِيَارَةِ قَبْرِ غَيْرِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ " (٢) .

هذا ما قاله الإمام ابن تيمية ، وهو كلام خطير لا يقوله إلَّا من كان في قلبه شيء من سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ... مع أنَّ علماء الأُمَّة أجمعوا على استحباب زيارة قبره الشَّريف بأَبي هو وأُمِّي ، قال القاضي عياض : " وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها " (٣) .

وقال الإمام عبد الملك بن محمَّد بن إبراهيم النِّيسابوري الخركوشي ، أبو سعد (٤٠٧هـ) : " ثمَّ إنَّ بلالاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رأى في منامه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أمَّا آن لك أن تزورني يا بلال ؟ قال : فانتبه حزيناً ، وجاء خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجعل يبكي عنده ويمرِّغ وجهه عليه . وأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمُّهما ويقبِّلهما ، فقالا : يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السَّحَر ، ففعل ، وعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلمَّا أن قال : الله أكبر ، الله أكبر ، ارتجَّت المدينة ، فلمَّا أن

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢٠) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٤٣) .

(٣) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٤) .

قال : أشهد أن لَا إلَه إلَّا الله ازدادت رجَّتها ، فلمَّا أن قال : أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله ، خرجن العواتق من خدورهنَّ ، وقالوا : بُعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فما رؤي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك اليوم " (١) .

والأثر صحَّحه غير واحد من العلماء ، منهم : الذَّهبي ، والسَّمهودي ، والشَّوكاني ، والصَّالحي ، والزَّرقاني (٢) ...

ومن الأدلَّة على استحباب زيارة قبره الشَّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " . والحديث حسن (٣) .

وتشجيعاً من ابن تيمية لأتباعه ومريديه كي يهجروا القبر الشَّريف ، فقد أرشدهم وأفتاهم بأنَّ السَّلام على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة يُغنِيْ عن الإتيان إلى القبر للسَّلام عليه ، لأنَّ إتيانه بعد الصَّلاة مرَّة بعد مرَّة يُعتبر ذريعة لاتِّخاذه عيداً ووثناً يُعبد من دون الله تعالى !!! وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وأمَّا إتْيَانُ الْقَبْرِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلاة وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَفِي إتْيَانِهِ بَعْد الصَّلاة مَرَّةً بَعْد مَرَّةٍ ذَرِيعَةً إلَى أَنْ يُتَّخَذَ عِيداً وَوَثَناً !!! " (٤) .

---

(١) انظر : شرف المصطفى (٣/ ١٩٦) ، تاريخ دمشق (٧/ ١٣٧) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٥/ ٧٧٣) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٣٥٥) ، نيل الأوطار (٥/ ١١٤) ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٥٩) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/ ٧١) ، بالترتيب .

(٣) قال الأُستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح : أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢ / ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١ / ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التاريخ (٢ / ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦ / ٢٣٥٠) ، والسبكي في شفاء السقام (ص ٢ – ١٤) . جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصححه أو حسنه السبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممَّن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعللٍ لا يصح منها شيء لكن لا بد من ذكرها ثمَّ الجواب عليها بدون تكلف إن شاء الله تعالى ... انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٢٨٠) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٧) .

ويحضرني في هذا المقام ما قاله أحد طلَّابي من المتمسلفة ، حيث قال : " من فَضْلِ الله عليه أنَّه اعتمر ولم يزُرْ قبر محمَّد " . نعم قبر محمَّد ، ولم يقل : سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الوقت الذي لا ينطقون فيه اسم ابن تيمية إلَّا وينعتونه بشيخ الإسلام ... فإلى الله المشتكى من قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البريَّة ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، غزيرو اللحية ، مقصِّرين الثِّياب ، محلِّقين الرؤوس ، يُحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ...

وفي كلامه السَّابق يزعم ابن تيمية ويفتري أنَّ المؤمنين قد استغنوا !!! عن إتيان القبر للسَّلام عليه بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلاة ، مع أنَّ وفود الحُجاج والمعتمرين تصل في كلِّ عام إلى عشرات الملايين الذين يصرُّون على تكحيل عيونهم بإثمد رؤية قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم ولن يستغنوا كما زعم وادَّعى ابن تيمية ، ومعه سائر مدَّعي السَّلفيَّة ...

وزعم ابن تيمية أنَّ معرفة قبور الأنبياء ، وكذا زيارتها ليس لها فائدة ، فقد قال : " ... وَقَدْ حَصَلَ مَقْصُودُهُمْ وَمَقْصُودُهُ مِنْ السَّلام عَلَيْهِ ، والصَّلاة عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ وَغَيْرِ مَسْجِدِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي إتْيَانِ الْقَبْرِ فَائِدَةٌ لَهُمْ وَلَا لَهُ ، بِخِلَافِ إتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاء ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَهُ كُلَّ سَبْتٍ فَيُصَلُّونَ فِيهِ اتِّبَاعاً لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِنَّ الصَّلاة فِيهِ كَعُمْرَةٍ ، وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الصَّلاة فِي مَسْجِدِهِ يَوْمَ الْجُمْعَةِ إذْ كَانَ أَحَدُ هَذَيْنَ لَا يُغْنِي عَنْ الْآخَرِ ، بَلْ يَحْصُلُ بِهَذَا أَجْرٌ زَائِدٌ . وَكَذَلِكَ إذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إلَى الْبَقِيعِ وَأَهْلِ أُحُدٍ ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ إلَيْهِمْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لَهُمْ كَانَ حَسَناً ، لِأَنَّ هَذَا مَصْلَحَةٌ لَا مَفْسَدَةَ فِيهَا ، وَهُمْ لَا يَدْعُونَ لَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا يُغْنِي عَنْ هَذَا " (1) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وَلَكِنْ لَيْسَ فِي مَعْرِفَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَعْيَانِهَا فَائِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ ، وَلَيْسَ حِفْظُ ذَلِكَ مِنْ الدِّين ، وَلَوْ كَانَ مِنْ الدِّين لَحَفِظَهُ اللهُ كَمَا حَفِظَ سَائِرَ الدِّين ، وَذَلِكَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ إنَّمَا قَصْدُهُ الصَّلاة عِنْدَهَا ، وَالدُّعَاءُ بِهَا ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا " (2) .

فمن خلال النَّصِّ السَّابق نجد أنَّ ابن تيمية يدعو لشحن النَّاس كي لا يزوروا قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه – كما قال – لا توجد ثمَّة فائدة من الزِّيارة ، لأنَّ الزَّائر لا يقصد بزيارته إلَّا البدع المنهي عنها ، كما

(1) انظر : مجموع الفتاوى (27/ 416) .

(2) انظر : مجموع الفتاوى (27/ 444) .

أنَّه لا فائدة شرعيَّة أيضاً في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها ، وقد سبق له أن اعتبر زيارة قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، بل إنَّ ابن تيمية لم يستحب أن يسكن أحد بجوار قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قال : " وَلَا اسْتَحَبَّ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ أَنْ يُجَاوِرَ أَحَدٌ عِنْدَ قَبْرٍ ، وَلَا يَعْكُفَ عَلَيْهِ ، لَا قَبْرِهِ الْمُكَرَّمِ وَلَا قَبْرِ غَيْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَقْصِدَ السُّكْنَى قَرِيباً مِنْ قَبْرٍ أَيَّ قَبْرٍ كَانَ " [1] .

ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نسوق ما رواه ابن حبَّان وغيره بسندهم عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيّاً فَأَكْرَمَهُ ، فقَالَ لَهُ : " ائْتِنَا " ، فَأَتَاهُ ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَلْ حَاجَتَكَ " ، قَالَ : نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا ، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي ، فقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : " إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فقَالَ : مَا هَذَا ؟ فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ : إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقاً مِنَ اللهَّ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا ، قَالَ : فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؟ قَالَ : عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ ، فقَالَ : دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ ، قَالَتْ : حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي ، قَالَ : وَمَا حُكْمُكِ ؟ قَالَتْ : أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ ، فَأَوْحَى اللهَّ إِلَيْهِ : أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا ... " [2] .

فالنَّصُّ السَّابق يردُّ على ما زعمه ابن تيمية من أنَّه لا فائدة في معرفة قبور الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وقد وضَّح النَّصُّ وبرهن على أنَّ معرفة عجوز بني إسرائيل لقبر سيِّدنا يوسف عليه السَّلام تكفَّلت بدخولها الجنَّة ، كرامة لها من الله تعالى ...

الثَّالِثَةُ والعِشْرُوْن : ويستمرُّ مسلسل ابن تيمية بحقِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدرجة أنَّه وصف من صلَّى في بيت لحم حيث وُلد المسيح عليه السَّلام بالضَالِّ الخَارِجُ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، ويُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ ، فيقول : " وأَمَّا زِيَارَةُ " مَعَابِدِ الْكُفَّارِ " مِثْلَ الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّى " بِالْقُمَامَةِ " أَوْ " بَيْتِ لَحْمٍ " أَوْ " صَهْيُون " أَوْ

---

[1] انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣٤) ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧) .

[2] أخرجه ابن حبَّان في الصحيح (٢/ ٥٠٠ برقم ٧٢٣) ، الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص٦٠٣ برقم ٢٤٣٥) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٧٠ برقم ١٧٣٤٨ ، وقال : وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ) .

غَيْرَ ذَلِكَ ؛ مِثْلُ " كَنَائِسِ النَّصَارَى " فَمَنْهِيٌّ عَنْهَا . فَمَنْ زَارَ مَكَاناً مِنْ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ مُعْتَقِداً أَنَّ زِيَارَتَهُ مُسْتَحَبَّةٌ وَالعِبَادَةَ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ الْعِبَادَةِ فِي بَيْتِهِ : فَهُوَ ضَالٌّ خَارِجٌ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ " [١] .

مع أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى في بيت لحم أثناء رحلة الإسراء والمعراج ، فقد روى البزَّار بسنده عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِّ ، كَيْفَ أُسْرِيَ بِكَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ ؟ قَالَ : " صَلَّيْتُ لِأَصْحَابِي صَلَاةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ مُعْتِماً ، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، فَقَالَ : ارْكَبْ ، فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيَّ ، فَأَدَارَهَا بِأُذُنِهَا حَتَّى حَمَلَتْنِي عَلَيْهَا ، فَانْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرَفُهَا ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ ، فَقَالَ : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، ثمَّ قَالَ : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ لِي : أتدري أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللهُّ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ ، ثمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرَفُهَا ، حَتَّى بَلَغْنَا أَرْضاً بَيْضَاءَ ، فَقَالَ لِي : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، ثمَّ قَالَ لِي : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ : تَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللهُّ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ صَلَّيْتَ عِنْدَ شَجَرَةِ مُوسَى ، ثمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا أَوْ يَقَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرَفُهَا ، ثمَّ ارْتَفَعْنَا ، فَقَالَ : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، فَقَالَ : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ لِي : أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللهُّ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... " [٢] .

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن : وكفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب كلَّ من يتحرَّج من تكفير أهل لَا إِلَه إِلَّا الله !!! [٣]...

الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْن : وصرَّح الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي (١٢٠٦هـ) بأنَّ النَّاس الذين كانوا في زمانه أشدّ شركاً من شرك المشركين الأوَّلين ، فقال : " إنَّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوَّلين !!! لأنَّ الأوَّلين ، يشركون في الرَّخاء ، ويخلصون في الشدَّة " [٤] .

فمن يتوسَّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين أغلظ شركاً عند محمَّد بن عبد الوهَّاب ومعه سائر الوهَّابيَّة من المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّهم كما يزعمون : كانوا يوحِّدون الله تعالى توحيد ربوبيَّة ، ولذلك كانوا يشركون في الرَّخاء ، ويخلصون في الشدَّة ... فلا إله إلَّا الله ...

---

[١] انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤) .

[٢] أخرجه البزار في المسند (٨/ ٤٠٩ برقم ٣٤٨٤) .

[٣] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٣٩) .

[٤] انظر : القواعد الأربعة (مطبوع ضمن مؤلفات الشَّيْخ محمد بن عبد الوهاب ، الجزء الأول) (١/ ٥) .

السَّادِسَةُ وَالعِشْرُوْن : قال المدعو : محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيْخ : " إسلام الأَكثر إسلامٌ إسميٌّ ، فإنَّ أَكثر المنتسبين إليه في هذا الوقت يقال لهم المسلمون اسماً ضدَّ اليهود والنَّصارى . من وجد منه ما ينقضه فإنَّه إسلام الاسم ولا حبَّ ولا كرامة .

أفيظنُّ أَنَّ من رضوا بالأَوثان وعبدوها وحاموا دونها وجبوا بها الجبايات وحكَّموا القوانين ، أَفبعد هذا إسلام ؟ هل هذا إلَّا الكفر الذي بعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدمه ؟!!! وأَصغركم يعرف أَنَّ كلَّ من دخل في الإسلام يبقى عليه بكلِّ حال ، بل إذا نقضه خرج . وباب حكم المرتدِّ معروف ومبين من هو بإجماع بين أَهل العلم أَنَّ الردَّة ردَّتان .

لكن وقع ما أَخبر به النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : " يأْتي قوم يستحلُّون الخمر يسمُّونها بغير اسمها " (١) ، وقد وقع ، استحلُّوا الشِّرك وسمُّوه بغير اسمه ، فقالوا : توسُّل واستشفاع ، لكن هو توسُّل المشركين واستشفاعهم " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ من شرب الخمر حتى لو سمَّاها بغير اسمها لا يخرج من دائرة الإيمان ، فهو مؤمن عاص ، بخلاف ما لو استحلَّها ... فالرِّواية التي ساقها محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيْخ محرَّفة ، ولا أدري : هل التَّحريف من أجل نصرة ما يعتقد ، أم هو السَّهو والخطأ ، مع أنَّ الواجب على من نصَّبوا أنفسهم علماء أن يحتاطوا ، وخاصَّة

---

(١) لم يرد الحديث بالنصِّ الذي ذكره محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيْخ وبنى عليه كلامه في التكفير ، بل ورد بلفظ : " " إِنَّ أُنَاساً مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا " قال الشَّيْخ الأرنؤوط في تخريج الحديث : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين . أبو بكر بن حفص : هو عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وابن مُحَيريز : هو عبد الله .

وأخرجه الطيالسي (٥٨٦) ، وأخرجه النسائي في " المجتبى " ٨/ ٣١٢ من طريق خالد بن الحارث ، كلاهما عن شعبة ، بهذا الإسناد .

وأخرجه عبد الرزاق في " مصنفه " (١٧٠٥٥) عن سفيان الثوري ، وابن أبي شيبة ٨/ ١١٢ عن علي بن مسهر ، كلاهما عن أبي إسحاق الشيباني- واسمه سليمان بن أبي سليمان- عن أبي بكر بن حفص ، عن ابن محيريز ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مرسلاً .

وأخرجه الخطيب في " تاريخ بغداد " ٦/ ٢٠٥ من طريق محمَّد بن عبد الواهب أبي شهاب ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن أبي بكر بن حفص ، عن ابن عمر ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وأبو شهاب لم نتبيَّنه .

وأخرجه عبد الرزاق (١٧٠٥٢) من طريق إبراهيم بن أبي بكر ، عن عبد الله ابن محيريز ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرسلاً

(٢) انظر : فتاوى ورسائل سماحة الشَّيْخ محمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشَّيْخ (١/ ٧٧) .

في نقل كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لكن ما حصل هو تحريفٌ بُني عليه حكمٌ بتكفير الكثيرين من أبناء الأُمَّة ، والعياذ بالله تعالى ...

السَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن : قال المتمسلف الوهَّابي المدعو : محمَّد أحمد باشميل تحت عنوان : " توحيد أبي جهل وأبي لهب :

أبو جهل وأبو لهب ومن على دينهم من المشركين ، كانوا يؤمنون بالله ويوحِّدونه في الرُّبوبيَّة خالقاً ورازقاً ، محيياً ومميتاً ، ضارَّاً ونافعاً ، لا يشركون به في ذلك شيئاً ؟؟ عجيب ، وغريب ، أن يكون أبو جهل وأبو لهب ، أكثر توحيداً لله وأخلص إيماناً به من هؤلاء المسلمين الذين يقولون لَا إِلَه إِلَّا الله محمَّد رسول الله " (١) .

وهذه جرأة من هذا الباشميل في التَّكفير ليس لها مثيل ، لم نجد لها نكيراً من أيِّ عالم من علماء الوهَّابيَّة ، ولا غرو ، فقد شجَّعهم محمَّد بن عبد الوهَّاب على عدم الرَّهبة والحرج من تكفير أهل لَا إِلَه إِلَّا الله ، والعياذ بالله تعالى ...

قال الشَّيْخ محمَّد بن ناصر الحازمي في ترجمته لمحمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وأشهر ما ينكر عليه خصلتان كبيرتان : الأولى : تكفير أهل الأرض بمجرَّد تلفيقات لا دليل عليها ، وقد أنصف السيِّد الفاضل العلَّامة : داود بن سليمان في الردِّ عليه في ذلك .

الثَّانية : التَّجاري على سفك الدَّم المعصوم بلا حجَّة ولا إقامة برهان ، وتتبع هذه جزئيَّات ذكر السيِّد المذكور بعضها وترك كثيراً منها ، وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الأصل وصحَّته " (٢) .

الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْن : وصنَّف صاحب كتاب : " جهود علماء الحنفيَّة في إبطال عقائد القبوريَّة " علماء الحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشافعيَّة ، والحنابلة " بأنَّهم قبوريَّة ، يعبدون القبور ... فقال : ... الأَمْرُ التَّاسِعُ : في تحقيق أنَّ كثيراً من المتكلِّمين من الماتريديَّة والأشعريَّة وغيرهم قبوريَّة ، لتأثُّرهم بالفلاسفة ، والمناطقة ، والصُّوفيَّة ، وجعلهم حقيقة توحيد الألوهيَّة عين توحيد الربوبيَّة ، كما سبق على لسان علماء الحنفيَّة .

الأَمْرُ العَاشِرُ : أنَّ كثيراً بل أكثر من ينتمون إلى المذاهب الأربعة من الحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشافعيَّة ، والحنابلة ، قبوريَّة " (١) .

---

(١) انظر : كيف نفهم التوحيد (ص١٢) .

(٢) انظر : أبجد العلوم (١/ ٦٧٩-٦٨٠) .

فصاحب كتاب جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية يكفِّر أكثر من ينتمون إلى المذاهب الأربعة من الحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشافعيَّة ، والحنابلة ، ويعتبرهم عُبَّاد قبور ...

التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْن : جاء في كتاب السُّنَّة للخلَّال : " قَالَ : أَبُو بَكْرٍ : وَسَمِعْتُ هَارُونَ بْنَ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيَّ ، يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ الدَّقِيقِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّضَا الْعَدْلَ حِينَ قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا التِّرْمِذِيِّ الَّذِي رَدَّ فَضِيلَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيثَ ابْنِ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِد . قَالَ : حَدَّثَنَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ، حُكْمُ مَنْ رَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يُنْفَى ، لَا يَرُدُّ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا الزَّنَادِقَة " (٢) .

وقال الإمام ابن تيمية : " ... إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَقَدْ حَدَّثَ الْعُلَمَاءُ الْمَرْضِيُّونَ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمَقْبُولُونَ : أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ . رَوَى ذَلِكَ محمَّد بْنُ فَضِيلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ؛ فِي تَفْسِيرِ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] (٣). فمن لم يؤمن بعقيدة إجلاس الرَّسول على العرش مع الله تعالى ... فهو زنديق كما جاء في رواية الخلَّال ، والعياذ بالله تعالى ...

وأنا أقول للإمام ابن تيمية ولمن يؤمن بعقيدة الإجلاس على العرش : لا ، لم يُحدِّث العلماءُ المرضيُّون ولا أولياؤه المقبولون بأنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجلسه ربُّه على العرش معه ، بل استنكروه واستعظموه ، ورجَّحوا ما جاء في الصَّحيح من تفسير المقام المحمود بالشَّفاعة العظمى ، وهأنذا أسردُ عليك بعضاً من أقوالهم في استنكاره :

قال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النِّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " ... عَلَى هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، أنَّه الشَّفَاعَةُ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠٤هـ) : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ أَنْ يُقْعِدَهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ مُنْكَرٌ !!! فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْخَالِفِينَ : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِهِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلُ مَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ ذَلِكَ ،

---

(١) انظر : جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٤١٩) .

(٢) انظر : السنة للخلال (١/ ٢٤٧ برقم ٢٨٤) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) .

فَصَارَ إِجْمَاعاً فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ والسُّنَّة . ذَكَرَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ شَبَابَةَ عَنْ وَرْقَاءُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : شَفَاعَةُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

وعقيدة الإقعاد أو الإجلاس على العرش عقيدة باطلة ، قال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " فأمَّا قضيَّة قعود نبيِّنا على العرش ، فلم يثبت في ذلك نصٌّ !!! بل في الباب حديث واه " (٢) .

ومجسِّمة الحنابلة هم من قالوا بعقيدة الإقعاد على العرش ، وهي عقيدة مزدكيَّة ، قال الإمام الكوثري (١٩٥٢م) : " ومن معتقد المزدقيَّة منهم – الثنويَّة – أنَّ المعبود قاعد على كرسيِّه في العالم الأعلى على هيئة قعود خسرو (الملك) في العالم الأسفل " (٣) .

ولأجلها أراق مجسِّمةُ الحنابلةِ دماءَ الموحِّدين الرَّافضين لها ، وكفَّروا من لا يؤمن بها ، كما صنعوا مع الإمام التِّرمذي ، الذي أنكر عليهم هذه العقيدة التَّجسيميَّة التَّكفيرية ، فكفَّروه في غير ما مناسبة ، كما تجد ذلك في " كتاب السُّنَّة " للخلَّال ، والعياذ بالله تعالى ...

قال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) في ترجمة الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " ... وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة ، وعن حديث الجلوس على العرش ، فقال أبو جعفر : أمَّا أحمد بن حنبل فلا يعدُّ خلافه ، فقالوا له : فقد ذكره العلماء في الاختلاف ، فقال : ما رأيته روي عنه ، ولا رأيت له أصحاباً يعوّل عليهم ، وأمَّا حديث الجلوس على العرش فمُحال ، ثمَّ أنشد :

سبحان من ليس له أنيس   ولا له في عرشه جليس

فلمَّا سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث ، وثبوا ورموه بمحابرهم ... " (٤) .

---

(١) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٦٤) .

(٢) انظر : مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٨٣) .

(٣) انظر : مقدِّمات الإمام الكوثري (ص٣٨) .

(٤) انظر : معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٦/ ٢٤٥٠) .

وقال الإمام ابن الأثير (٦٣٠هـ) في " الكامل " أحداث سنة (٣١٧هـ) : " وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ (٢٧٥هـ) وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنْدِ فِيهَا ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَرْوَزِيِّ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، هُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُقْعِدُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَقَالَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى : إِنَّمَا هُوَ الشَّفَاعَةُ ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ " (١) .

ولم ينتبه غوغائيُّو الحنابلة إلى أنَّ عقيدة الإقعاد على العرش عقيدة تجسيميَّة بحتة ، خالفوا فيها جمهور الأمَّة الذي ذهب إلى نفيها واستنكارها ، قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) في حوادث سنة (٣١٧هـ) : " وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بكر المروذي الْحَنْبَلِيِّ ، وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَامَّةِ ، اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، فَقَالَتِ الْحَنَابِلَةُ : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ . وَقَالَ الْآخَرُونَ : الْمُرَادُ بِذَلِكَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى ، فَاقْتَتَلُوا بِسَبَبِ ذلك ، وقتل بينهم قتلى ، فإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ : مَقَامُ الشَّفَاعَةِ العظمى ، وهي الشَّفاعة في فصل القضاء بين العباد ، وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ، حَتَّى إبراهيم ، وَيَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " قَالَ بن بَطَّالٍ (٤٤٩هـ) أَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ الشَّفَاعَةَ فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَأَجَابَ أَهْلُ السُّنَّة بِأَنَّهَا فِي الْكُفَّارِ ، وَجَاءَتِ الْأَحَادِيثُ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مُتَوَاتِرَةً ، وَدَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٧٩] ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الشَّفَاعَةُ ، وَبَالَغَ الْوَاحِدِيُّ (٤٦٨هـ) فَنَقَلَ فِيهِ الْإِجْمَاعَ ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَى مَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَزَيَّفَهُ !!! وَقَالَ الطَّبَرِيُّ : قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّأويل : الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ هُوَ الَّذِي يَقُومُهُ النَّبي صَلَّى

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٦/ ٧٤٦) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١١/ ١٦٢) ، دار الفكر .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرِيحَهُمْ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ ، ثمَّ أَخْرَجَ عِدَّةَ أَحَادِيث فِي بَعْضُهَا التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ وَفِي بَعْضِهَا مُطْلَقُ الشَّفَاعَةِ " (١) .

وقال الشَّيْخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٩٩٩م) في مقدِّمة العلو : " لو أنَّ المؤلِّف رحمه الله وقف عند ما ذكرنا لأحسن ، ولكنَّه لم يقنع بذلك ، بل سوَّد أكثر من صفحة كبيرة في نقل أقوال من أفتى بالتَّسليم بأثر مجاهد في تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قال : يُجلسه أو يُقعده على العرش . بل قال بعضهم : أنا منكرٌ على كل من ردَّ هذا الحديث ، وهو عندي رجل سوء متَّهم ... بل ذكر عن الإمام أحمد (٢٤١هـ) أنَّه قال : هذا تلقَّته العلماء بقبول إلى غير ذلك من الأقوال التي تراها في الأصل ، ولا حاجة بنا إلى استيعابها في هذه المقدِّمة . وذكر في " مختصره " المسمَّى بـ " الذَّهبيَّة " أسماء جمع آخرين من المحدِّثين سلَّموا بهذا الأثر ، ولم يتعقَّبهم بشيء هناك . وأمَّا هنا فموقفه مضطربٌ أشدّ الاضطراب !!! فبينما تراه يقول في آخر ترجمة محمَّد بن مصعب العابد عقب قول من تلك الأقوال (ص١٢٦) : فأبصر - حفظك الله من الهوى - كيف آل الفكر بهذا المحدِّث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر " ... فأنت إذا أمعنت النَّظر في قوله هذا ، ظننت أنَّه ينكر هذا الأثر ولا يعتقده ، ويلزمه ذلك ولا يتردَّد فيه ، ولكنك ستفاجأ بقوله (ص١٤٣) بعد أن أشار إلى هذا الأثر عقب ترجمة حرب الكرماني : وغضب العلماء لإنكار هذه المنقبة العظيمة التي انفرد بها سيِّد البشر ، ويبعد أن يقول مجاهد ذلك إلا بتوقيف ... " . ثمَّ ذكر أشخاصاً آخرين ممَّن سلَّموا بهذا الأثر غير من تقدَّم ، فإذا أنت فرغت من قراءة هذا ، قلت : لقد رجع الشَّيْخ من إنكاره إلى التَّسليم به ، لأنَّه قال : أنَّه لا يقال إلا بتوقيف ! ولكن سرعان ما تراه يستدرك على ذلك بقوله بعد سطور : ولكن ثبت في " الصِّحاح " أنَّ المقام المحمود هو الشَّفاعة العامَّة الخاصَّة بنبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . قلت : وهذا هو الحقُّ في تفسير المقام المحمود دون شكٍّ ولا ريب ، للأحاديث التي أشار إليها المصنِّف رحمه الله تعالى ، وهو الذي صحَّحه الإمام ابن جرير في " تفسيره (١٥/ ٩٩) ثمَّ القرطبي (١٠/ ٣٠٩) وهو الذي لم يذكر الحافظ ابن كثير غيره ، وساق الأحاديث المشار إليها . بل هو الثَّابت عند مجاهد نفسه من طريقين عنه عند ابن جرير . وذاك الأثر عنه ليس له طريق معتبر ، فقد ذكر المؤلِّف

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٢٦) .

(ص١٢٥) أنَّه روي عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، وعطاء بن السَّائب ، وأبي يحيى القتَّات ، وجابر بن يزيد " . قلت : والأولان مختلطان ، والآخران ضعيفان ، بل الأخير متروكٌ متَّهم " [١] .

قلت : وفي كتابه : " السُّنَّة " أورد الخلَّالُ (٣١١هـ) عشرات الرِّوايات حولَ هذه المسألة ، حمل بعضُها الإغلاظ على من أنكرها ، وحكمت بعض الرِّوايات بكفر من ردَّها وأنكرها ، بعد أن اعتبروها فضيلة للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أنَّها روايات باطلة مُنْكرة [٢] ...

وقال القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف ابن الفرَّاء (٤٥٨هـ) : " وَذَكَرَ أَبُو عبد اللهَّ بْن بطَّة (٣٨٧هـ) فِي كتاب الإبانة ، قَالَ أَبُو بكر أحمد بْن سليمان النِّجاد (٣٤٨هـ) : لو أنَّ حالفاً حلف بالطَّلاق ثلاثاً : أنَّ اللهَّ تَعَالَى : يُقْعدُ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه عَلَى العرش واستفتاني فِي يمينه لقلت لَهُ : صدقت فِي قولك ، وبررت فِي يمينك ، وامرأتك عَلَى حالها ، فهذا مذهبنا وديننا واعتقادنا !!! وعليه نشأنا !!! ونحن عَلَيْهِ إِلَى أن نموت إن شاء اللهَّ !!! فلزمنا الإنكار عَلَى من ردَّ هَذِهِ الفضيلة الَّتِي قالتها العلماء وتلقُّوها بالقبول ، فمن ردَّها فهو من الفرق الهـــالكة !!! "[٣] .

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، ونعوذ بالله من الخذلان ...

الثَّلَاثُوْن : صرَّحوا بالجسميَّة ، وأنَّ الله تعالى جسم ، وصفاته أجسام ، وكفَّروا كلَّ من لا يقول بذلك واعتبروهم جهميَّة معطِّلة ، قال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ولم يذم أحدٌ من السَّلف أحداً بأنَّه مجسِّمٌ ، ولا ذمّ المجسِّمة ، وإنَّما ذمُّوا الجهميَّة النُّفاة لذلك !!! وغيره ... " [٤] .

جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وسلف الأمَّة وأئمَّتها كفَّروا الجهميَّة " [٥] .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " قال خارجة بن مصعب : الجهميَّة كفَّار ، أبلغ نساءهم أنَّهنَّ طوالق لا يحللن لهم " [٦] .

---

[١] انظر : مقدمة مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٥-١٦) .

[٢] انظر في هذه المسألة : السُّنَّة (١/ ٢١٢-٢٥٩) .

[٣] انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ٤٨٥) .

[٤] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٢) .

[٥] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٣١) .

[٦] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٩٣) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " والموصوف بهذه الصِّفات لا يكون إلا جسماً ، فالله تعالى جسمٌ لا كالأجسام !!! قالوا : وهذا ممَّا لا يمكن النِّزاع فيه !! إذا فهم المعنى المراد بذلك ، لكن أي محذور في ذلك ؟!! وليس في كتاب الله ولا سنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمَّة وأئمَّتها ، أنَّه ليس بجسم ، وأنَّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ؟!! فنفي المعاني الثَّابتة بالشَّرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل ، جهلٌ وضلال " [١] .

قلت : وهذا كلام جدٌّ خطير من ابن تيمية ، فَمَن من السَّلف قال بأنَّ الله تعالى : جسم لا كالأجسام ؟ بل إنَّ عقلاء الحنابلة وغيرهم شنَّعوا على من قال بذلك : قال الإمام أحمد بن حمدان بن سبيب بن حمدان النِّمري الحرَّاني الحنبلي (٦٩٥هـ) : " ... لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، ومن شبهه بخلقه فقد كفر ، نصَّ عليه أحمد . وكذا من جسَّم ، أو قال : أنَّه جسم لا كالأجسام . ذكره القاضي " [٢] .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ : كَقَوْلِهِ جِسْمٌ كَالْأَجْسَامِ) وَكَذَا لَوْ لَمْ يَقُلْ كَالْأَجْسَامِ ، وأَمَّا لَوْ قَالَ لَا كَالْأَجْسَامِ فَلَا يَكْفُرُ لأَنَّه لَيْسَ فِيهِ إلَّا إطْلَاقُ لَفْظِ الْجِسْمِ الْمُوهِمِ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ لَا كَالْأَجْسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مُجَرَّدَ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ " [٣] .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) : " وَالْمُشَبِّهِ إذَا قَالَ : لَهُ تَعَالَى يَدٌ وَرِجْلٌ كَمَا لِلْعِبَادِ فَهُوَ كَافِرٌ مَلْعُونٌ ، وَإِنْ قَالَ : جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ؛ لأَنَّه لَيْسَ فِيهِ إلَّا إطْلَاقَ لَفْظِ الْجِسْمِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مُوهِمٌ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ : لَا كَالْأَجْسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مُجَرَّدَ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ تَنْتَهِضُ سَبَباً لِلْعِقَابِ " [٤] .

فأقلُّ ما قاله العلماء فيمن قال : جسمٌ لا كالأجسام : أنَّه مبتدع عاصٍ يستحقُّ العقاب ، وبعضهم حكم بكفره ، والعياذ بالله ...

---

[١] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٣) .

[٢] انظر : نهاية المبتدئين في أصول الدِّين (ص٣١) .

[٣] انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٥٦١) .

[٤] انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ (١/ ١٣٥).

وقال الإمام ابن تيمية : " وإذا كان كذلك ، فاسم المشبِّهة ليس له ذكرٌ بذمٍّ في الكتاب والسُّنَّة ، ولا كلام أحد من الصَّحابة والتَّابعين ؛ ولكن تكلَّم طائفةٌ من السَّلف مثل عبد الرَّحمن بن مهدي (١٩٨هـ) ، ويزيد بن هارون (٢٠٦هـ) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) ، ونعيم بن حماد ، وغيرهم بذمِّ المشبِّهة ، وبيَّنوا المشبِّهة الذين ذمُّوهم ... " [١] .

وهذا كلام غريب وفذلكة من الإمام ابن تيمية وممَّن يدَّعي السَّلفيَّة ، وإلَّا فبالله عليكم ماذا تُسمُّون من يصحِّح حديث الشابِّ الأمرد في كتابه : " بيان تلبيس الجهميَّة " ؟!! قال الإمام ابن تيمية : " ... وهذا يدلُّ على أنَّه رآه وأخبر أنَّه رآه في صورة شاب دونه ستر وقدميه في خضرة ، وأنَّ هذه الرُّؤية هي المعارضة بالآية والمُجاب عنها بما تقدم فيقتضي أنَّها رؤية عين كما في الحديث الصَّحيح المرفوع !!! عن قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاس قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رأيت ربِّي في صورة شاب أمرد له وفرة جعد قطط في روضة خضراء " [٢] .

وماذا تسمُّون من يقول : إنَّ لله تعالى صورة كصورة الإنسان ؟!! وهذا عنوان كتاب للمدعو حمود التُّويجري اسمه : " عقيدةُ أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الإنسان " ، وقد قرَّظ الكتاب – للأسف – الشَّيخ ابن باز – غفر الله له – ...أليس هذا تشبيهاً لله تعالى بخلقه ...؟!! أم ماذا تسمُّونه يا أهل النُّهى والحجى ؟! ذاب الثَّلج وبان المرج ، ولم يعُد شيء خافيـــاً على ذي لبٍّ ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقيَّة حقيقيَّة ليست فوقيَّة الرُّتبة " [٣] ، فماذا تسمُّون هذا ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " فقوله : " فإذا أنا بربِّي في أحسن صورة " ، صريحٌ في أنَّ الذي كان في أحسن صورة هو ربُّه " [٤] ، فماذا تقولون في هذا التَّشبيه ؟؟

---

[١] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٨٧) .

[٢] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٢٩٠) .

[٣] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٩٠) .

[٤] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٥٨) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... أنَّ حديث أم الطُّفيل نصٌّ في أنَّ الصُّورة كانت للمرئي ، حيث قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر أنَّه رأى ربَّه في صورة شاب موفر ، رجلاه في خضر ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب " (١) .

وهذا أيضاً ... ألا يُعتبر ما تضمَّنه الحديث تشبيهاً لله تعالى بخلقه ؟!! أم ماذا هو ؟!! وألا يعتبر الحديث تحديداً لله تعالى ؟ وألا يشتمل الحديث على كونه تعالى متحيِّزاً ؟!! لأنَّ الشابَّ الأمرد لا يعيش إلَّا ضمن حيِّز ، ثمَّ ألا يُعتبر الحديث لوناً من ألوان التَّجسيم بأبعاده الثَّلاثة من الطُّول والعرض والارتفاع ؟!! . مع أنَّ حديث أم الطُّفيل هذا حديث باطل منكر ، حكم بضعفه الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : " ورأيت فِي مسائل مهنا بن يحيى الشَّامي (٢٦٠هـ) ، قَالَ : سألته يعني أَحْمَد عن حديث رواه ابن وهب ، عن عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أَبِي هلال ، أن مروان بن عثمان حدثه ، عن أم الطُّفيل امرأة أَبِي بن كعب ، أنها قالت : سمعت النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يذكر أنَّه رأى ربَّه فِي المنام فِي صورة شاب موفر رجلاه فِي خضر عليه نعلان من ذهب ، عَلَى وجهه فراش من ذهب " فحوَّل وجهه عني وَقَالَ : هَذَا حديث منكر، وَقَالَ : لا نعرف هَذَا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان ، فظاهر هَذَا التَّضعيف من أَحْمَد لحديث أم الطُّفيل " (٢) .

وقد يرد إشكال مفاده : أنَّ نفي المثل في قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، يوهم وجود المثل ، لأنَّ الكاف بمعنى مثل ، فيصير المعنى : ليس مثل مثله شيء ، فالنَّفي يكون لمثل المثل ...

والجواب على هذا الإشكال بعدَّة أجوبة :

١ . أنَّ الكاف صلة ، أي زائدة لتأكيد نفي المثل ، فالمعنى : انتفى المثل انتفاء مؤكَّداً .

٢ . أنَّ المثل بمعنى الصِّفة ، فالمعنى : ليس كصفة الله تعالى شيء .

٣. أنَّ الآية من باب الكناية ، على حدِّ قولك : (مثلك لا يبخل) ، أي : أنت لا تبخل . ووجه كونها من باب الكناية أنَّه يلزم من نفي مثل المثل نفي المثل ، وهذا هو المراد . فالقصد نفي مثله تعالى على أبلغ وجه ، إذ الكناية أبلغ من التَّصريح لتضمُّنها إثبات الشَّيء بدليله .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٣٦٥) .

(٢) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ١٤٠-١٤١) .

وعليه ، فالآية الكريمة تنفي عن الله تعالى المماثلة لشيء من الحوادث ، ونفي المماثلة يفيد أُموراً عديدة ، منها :

نفي الجسميَّة والعَرَضيَّة والجوهريَّة : لأنَّ الجسم مؤلَّف من جواهر وأعراض ، وهما حادثان . قال السُّبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب : " حكم الجواهر والأعراض كلّها الحدوث ، وعلى هذا إجماع المسلمين ، ومن خالف في ذلك كافر ، لمخالفة الإجماع القطعيّ " [1] .

ولَمَّا كان الجسم يستلزم ما سبق ذكره ... فقد صرَّح علماء الإسلام بأنَّه لا يصحُّ أن يقال عن الله بأنَّه : جسمٌ لا كالأجسام ...

قال الإمام الغزالي : " فإن خطر بباله أنَّ الله جسم مركَّب من أعضاء فهو عابد صنم ، فإنَّ كلَّ جسم مخلوق ، وعبادة المخلوق كفر ، وعبادة الصَّنم كانت كفراً لأنَّه مخلوق ، وكان مخلوقاً لأنَّه جسم ، فمن عبَد جسماً فهو كافر بإجماع الأئمَّة السَّلف منهم والخلف ، سواء كان ذلك الجسم كثيفاً كالجبال الصمِّ الصِّلاب ، أو لطيفاً كالهواء والمـــاء ، وسواء كان مُظلماً كالأرض ، أو مشرقاً كالشَّمس والقمر " [2] .

وقال الإمام الزَّمخشري (٥٣٨هـ) : " الشَّيء أعمُّ العامِّ لوقوعه على كلِّ ما يصحُّ أنَّه يُعلم ويُخبر عنه ، فيقع على القديم ، والجِرم ، والعَرَض ، والمحال ، والمستقيم ، ولذلك صحَّ أن يقال في الله عزَّ وجلَّ : شيء لا كالأشياء ، كأنك قلت : معلومٌ لا كسائر المعلومات ، ولا يصحُّ : جسمٌ لا كالأجسام " [3] .

وفي كلامه على حديث الصُّورة نقل الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) عن الإمام المازري (٥٣٦هـ) قوله : " وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث فأجراه على ظاهره ، وقال : لله صورة لا كالصُّور . وهذا الذي قاله ظاهر الفساد ، لأنَّ الصُّورة تفيدُ التَّركيب ، وكلُّ مركَّب محدَث ، والله تعالى ليس بمحدَث ، فليس هو مركَّباً فليس هو مصوَّراً ، قال : وهذا كقول المجسِّمة : جسم لا كالأجسام لَمَّا رأوا أهل السُّنَّة يقولون : " الباري سبحانه وتعالى شيء لا

---

[1] انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ١٦) .

[2] انظر : إلجام العوام عن علم الكلام (ص٧) .

[3] انظر : الكشاف (٢/ ٩) .

كالأشياء ، طرَّدوا الاستعمال ، فقالوا : جسمٌ لا كالأجسام ، والفرق أنَّ لفظ شيء لا يفيد الحدوث ، ولا يتضمَّن ما يقتضيه ، وأمَّا جسم وصورة فيتضمَّنان التَّأليف والتَّركيب ، وذلك دليل الحدوث " [1] .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن عرفة الدَّسوقي (١٢٣٠هـ) : " واعلم أنَّ من اعتقد أنَّ الله جسم كالأجسام فهو كافر ، ومن اعتقد أنَّه جسم لا كالأجسام فهو عاص غير كافر ، والاعتقاد الحقُّ : اعتقاد أنَّ الله ليس بجسم ولا صفة ، ولا يعلم ذاته إلَّا هو " [2] .

فمن قال : جسم لا كالأجسام ، فهو يعُرف بما لا يعرف ، وهو كلام مَن لم يعرف ولا يفهم لغة العرب ، ذلك " أنَّ الأسماء مأخوذة من الشَّريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض ، وسمك وتركيب ، وصورة وتأليف ، والله سبحانه خارج عن ذلك كلِّه ، فلم يجز أن يُسمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميَّة ، ولم يجيء في الشَّريعة ذلك ، فبطل " [3] ...

فالجسميَّة منتفية عن الله تعالى ، ولذلك شنَّع العلماء على من قال : جسمٌ لا كالأجسام ووصفوه بأنَّه مبتدع عاصٍ يستحقُّ العقاب ، وبعضهم حكم بكفره - كما أسلفنا - ... لأنَّه لو كان جسماً لكان مركَّباً ، ولو كان مركَّباً لكان محتاجاً إلى الأجزاء التي تركَّب وتألَّف منها ، ، ولو كان جسماً لكان متحيِّزاً ومحتاجاً إلى غيره ، والاحتياج أمارة الإمكان والحدوث ، والحدوث عليه مستحيـــل ، فقد ثبت وجـــوب وجوده تعالى ...

وكما انتفت الجسميَّة انتفت العَرَضيَّة ، لأنَّ العَرَض حادث يحتاج إلى مُحدِث ، والله تعالى قديم يستحيل عليه الحدوث ، كما أنَّ العَرَض مُحتاج إلى محلِّه الذي يقوم به ، إذ العَرَض لا يقوم بنفسه ، بل يقوم بغيره ، والافتقار ينافي كونه تعالى واجب الوجود ...

وبناء على ما تقدَّم بيانه ، فإنَّ في نسبة الإمام ابن تيمية لأقواله للسَّلف الصَّالح كذبٌ واضحٌ صريحٌ بيِّنٌ ، فلا هو سلفيٌّ ، ولا يقرُبُ من السَّلف ، والسَّلفُ بريئون من تلبيسه وتدليسه ، وبعيدون عمَّا قاله بُعد الثرى عن الثريَّا ، وقد وضَّحت ذلك وبيَّنته أخذاً من كتبه وكتب أتباعه المتمسلفة في كتاب مستقل خاص بطامَّات وأوابد

---

[1] انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ١٦٦) .

[2] انظر : حاشية الدسوقي على أمِّ البراهين (ص١٢٧) .

[3] انظر : مقدمة الكوثري لكتاب الأسماء والصفات للبيهقي ، فرقان القرآن للقضاعي بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص٥) وانظر للتوسع في نفي الجسميَّة عن الله تعالى : المطالب العالية من العلم الإلهي (٢/ ٢٠ فما بعدها)

من يدَّعون السَّلفيَّة . حيث تبيَّن بالبحث أنَّ الكثير من أقواله وأفكاره هي ممَّا قاله اليهود والفلاسفة ، ويكفي في ذلك أنَّه تتلمذ على مجد الدِّين ابن تيمية الذي أخذ علمه عن غُلاَمُ ابْنِ الْمَنِّيِّ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَلِيٍّ الأَزَجِيُّ الفَيْلَسُوْفُ الذي لَمْ يَكُنْ فِي دِيْنِهِ بِذَاكَ ، وقد تتلمذ عَلَى ابْنِ مرقشٍ النَّصْرَانِيِّ . قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ : سَمِعْتُ منْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ الفَخْرَ صَنَّفَ كِتَاباً سَمَّاهُ (نوَامِيسُ الأَنْبِيَاءِ) ، يذكرُ فِيْهِ أنَّهم كَانُــوا حُكمَاءَ كهُرمسَ وَأَرِسْطُو ، فَسَأَلتُ بَعْضَ تلاَمِذتِهِ الخَصِيصينَ بِهِ عَنْ ذَلِكَ ، فَمَا أَنْكَرَهُ ... " (١) .

وقد نصَّ غيرُ واحدٍ من العلماء على أنَّ الإمام ابن تيمية أحدث فتنة في الوسط الإسلامي كان لها شررٌ مستطير انتشر فيما مضى في جنبات العالم الإسلامي ، ثمَّ أعادها الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب في القرن الثَّاني عشر ، فأعادت إلى السَّاحة الإسلاميَّة فتنة الخوارج الغُلاة ، أهل التَّنطُّع ، الجهلة بأمور الدِّين والدُّنيا ...

قال الإمام محمَّد بن زاهد الكوثري : " ولو قلنا لم يبلَ الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضرُّ من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين لما كنَّا مبالغين في ذلك ، وهو سَهلٌ متسامحٌ مع اليهود ، يقول عن كتبهم : إنَّها لم تحرَّف تحريفاً لفظيَّاً " (٢) ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... فإذا أنا بربِّي في أحسن صورة ، فقال : يا محمَّد ، فقلت : لبَّيك يا ربّ ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : لا أدري ، قالها ثلاثاً ، قال : فرأيته وضع كفَّه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي ... " (٣) .

فماذا تسمُّون هذا ؟!!! مع أنَّ الحديث موضوعٌ تالفٌ وقد ضعَّفه الإمام أحمد كما سبق ، وقال الأستاذ حسن السقَّاف في تخريجه للحديث : " هذا الحديث لا يثبت من ناحية سنده ومتنه من وجوه :

الأوَّل : رواه التِّرمذي في سننه (٥/ ٣٦٦) وحسَّنه ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٨/ ١٥٢) ، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٢٥) ، والطَّبراني في المعجم الكبير (١/ ٣١٧) ، وأورده الحافظ السُّيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٣١) ، وذكر أنَّ في سنده حمَّاد بن سلمة (١٦٧هـ) ، وقد روي الحديث عن حمَّاد بلفظ آخر ، كما قال السُّيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٣١) ، ذكر هذا اللفظ الحافظ الذَّهبي في الميزان ، وابن

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨-٣٠) .

(٢) انظر : الإشفاق على أحكام الطلاق (ص٧٢) .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٢٠٧) .

عدي في الكامل في الضُّعفاء ، ففي الميزان – أعني ميزان الاعتدال – (١/ ٥٩٣) ، قال : رأيت ربِّي جعداً أمرد عليه حلَّة خضراء . قلت : أورد الذَّهبي صدر الحديث الذي نحن بصدده والذي اضطرب فيه الرُّواة وماجوا اضطراباً عجيباً في كتابه القيَّم " سير أعلام النُّبلاء " (١٠ / ١١٣ - ١١٤) من طريق حمَّاد هذا ، وقال : وهو بتمامه في تأليف البيهقي (٤٥٨هـ) ، وهو خبرٌ منكرٌ ، نسأل الله السَّلامة في الدِّين .. ا.هـ . قلت : الإمام الحافظ البيهقي قال في كتابه " الأسماء والصِّفات " (ص ٣٠٠ بتحقيق المحدث الكوثري) : وقد روي من وجه آخر وكلّها ضعيف . ا.هـ قلت : وهذا تصريحٌ من البيهقي بضعف طرق هذا الحديث ، وقول الذَّهبي معه بأنَّه مُنكر ، مع إيراد الحافظ السُّيوطي وابن الجوزي له في " الموضوعات " يثبت وضعه بلا شكٍّ ولا ريب . كما أنَّ الحافظ ابن خزيمة أطال في ردِّ أحاديث الصُّورة في كتابه في " الصِّفات " .

فإن قال قائل : قد حسَّن التِّرمذي الحديث بل قد صحَّحه في بعض الرِّوايات عنه ، قلنا : هذا لا ينفع لوجوه : منها : أنَّ التِّرمذي رحمه الله تعالى متساهل في التَّصحيح والتَّحسين ، مثله مثل الحاكم رحمه الله في " المستدرك " ، يصحِّح الموضوعات ، كما هو مشهور عند أهل الحديث . ومنها : أنَّ تضعيف هؤلاء الحفَّاظ الذين ذكرناهم وهم جهابذة أهل الحديث الذين حكموا على الحديث بأنَّه منكر وموضوع وغير ذلك ، مقدَّم على تحسين التِّرمذي أو تصحيحه . ومنها : أنَّ الثَّابت من كلام التِّرمذي رحمه الله من نسخ سننه أنَّه قال : حسن غريب ، كما نقل ذلك عنه الحافظ المزِّي في تحفة الأشراف (٤ / ٣٨٢ / ٤) ، والمنذري في التَّرغيب والتَّرهيب ، وقد فصَّل القول في المسألة الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في كتابه : " النُّكت الظِّراف " المطبوع مع تحفة الأشراف معلِّقاً على قول التِّرمذي حسن غريب ما نصُّه : " حديث : أتاني ربِّي في أحسن صورة ... الحديث . قلت : قال محمَّد بن نصر المروزي في كتاب " تعظيم قدر الصَّلاة " : هذا حديث اضطرب الرُّواة في إسناده ، وليس يثبت عند أهل المعرفة " . ا.هـ كلام ابن حجر العسقلاني . وقال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التَّهذيب " (٦ / ١٨٥ طبعة دار الفكر) : قال أبو زرعة الدِّمشقي : قلت لأحمد : إنَّ ابن جابر يحدِّث عن ابن اللجلاج عن عبد الرَّحمن بن عائش حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة " ، ويحدِّث به قتادة ، عن أبي قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عبَّاس ، قال : هذا ليس بشيء . ا.هـ وقال ابن الجوزي في كتابه " العلل المتناهية " (١/ ٣٤) عقب هذا الحديث : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة ، قال الدَّارقطني : كلُّ أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح ا.هـ. قلت : والمضطرب من أقسام الضَّعيف كما هو معلوم ...

الوجه الثَّاني : هناك ألفاظ مُنكرة في متن الحديث تؤكِّد وضعه ، منها : إثبات الصُّورة لله تعالى ، وكذلك إثبات الكفِّ له سبحانه وتعالى عن ذلك ، وأنَّها بقدر ما بين كتفي سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإثبات علم ما في السَّماوات والأرض للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وغير ذلك ممَّا لا أودُّ الآن الإطالة بسرده ، فأقول مجيباً عن بعض هذه المسائل : أمَّا الأولى : فالله عزَّ وجلَّ ليست له صورة ، بلا شكٍّ ، وذلك لأنَّه بيَّن أنَّ المخلوقات ، ومنها الإنسان : مركَّبة من صورة ، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، إذ قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨] ، وأجمع أهل السُّنَّة على استحالة الصُّورة على الله عزَّ وجلَّ ، كما نقل ذلك الاجماع الشَّيْخ الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه العظيم " الفرق بين الفرق " (ص ٣٣٢) ، وقال الشَّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى ورضي عنه ، كما في " سير أعلام النُّبلاء " ، و " الحلية " (٩/ ١٠٥) ، و " آداب الشَّافعي " لابن أبي حاتم (٢٣١) ، وغير ذلك : الاجماع أكبر من الحديث المنفرد . ا هـ. أي أنَّ الاجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقط الاحتجاج به ، بل يدلُّ ذلك على وضعه ، وأنَّه لا أصل له ، كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه : " الفقيه والمتفقِّه " (١/ ١٣٢) .

كما أنَّ قوله في الحديث : " فعلمت ما بين السَّماوات والأرض " تنقضه نصوص صحيحة صريحة ، منها : قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، فالله عزَّ وجل أوضح لنا وبيَّن أنَّ علمه بهذه الأشياء الموجودة في ظلمات الأرض ممَّا لا يعلمها إلَّا هو ، وأمَّا الملائكة فكلٌّ منهم موكَّل بشيء محدود معلوم في السَّماء أو في الأرض ، أمَّا علم جميع وظائفهم ، وما في السَّماء والأرض فهو لله عزَّ وجلَّ . ومنها : قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨] ، فلو كان سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ذلك أيضاً لقال : " إنَّ الله ورسوله يعلمان غيب السَّماوات والأرض " . وفي الحديث الصَّحيح : سئل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أي

البقاع خير ؟ فقال : " لا أدري " ، فقال السَّائل : أي البقاع شرّ ؟ فقال : " لا أدري " ، فسأل سيّدنا جبريل ، فقال : لا أدري ، فسأل الله تعالى ، فأوحى إليه : إنَّ خير البقاع المساجد ، وشرّ البقاع الأسواق ... " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " أنا قد قدَّمنا أنَّ جميع ما يذكر من هذه الأدلَّة التي تنفي الجسم على اصطلاحهم ، فإنَّها أدلَّة باطلة ، لا تصلح لمعارضة دليل ظنِّي ولا قطعي " (٢) .

والكلام في مثل هذه المعاني التَّشبيهية يطول ، والغريب أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة لا يحيدون عمَّا قاله ابن تيمية قيد أنمله ، بل يعتقدون ما يعتقد من غير نكير ولا تغيير ، وهو عندهم المرجع الذي لا يُجارى ولا يُبارى ، ومن الأمثلة على متابعة من يدَّعون السَّلفيَّة لإمامهم ابن تيميّة : أنَّ المدعو : عبد الكريم صالح الحميد ، ألَّف كتاباً سمَّاه : " القول المختار لبيان فناء النَّار " ردَّ فيه على الشَّيْخ الألباني الذي عارض الإمامين : ابن تيميَّة وتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة القائلين بفناء النَّار ، مع أنَّ بقاء النَّار من الضَّروريات في دين الله تعالى . وكتاب " عبد الكريم الحميد " هو من (منشورات مطبعة السفير ، الرياض ، ١٤١٢هـ) . مع العلم أنَّ العلماء قديماً ردُّوا على ابن تيمية قوله المخالف لعموم الأمَّة ، انظر مثلاً : " الاعتبار ببقاء الجنة والنَّار " ، لتقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي ، عني بنشره : القدسي ، مطبعة الترقِّي ، دمشق ، " رفع الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار " ، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني ، بتحقيق : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م) ... وقد خالف الإمام ابن تيمية في ذلك الجميع ، انظر مثلاً : " لوامع الأنوار البهيَّة " ، لمحمد بن أحمد السَّفاريني (٢/ ٢٣٥) ، " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين " ، لنعمان بن محمَّد الألوسي (ص٤٢١) ، محمَّد رشيد رضا في مجلته المنار : الجزء الأوَّل والثَّاني ، (المجلد الثاني والعشرون) .

والعجيب أنَّ الألباني مع كونه أثبت هذا القول الفاسد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة ، جعل لهما ثواباً على اجتهادهما !!! في القول بفناء النَّار ، كما تجد ذلك في تعليقه على كتاب " رفع الاستار " (ص٣٢) ، فيا للعجب ...

---

(١) انظر : أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، مطبوع بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (ص٢٨١-٢٨٦ باختصار) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٤٠٧) .

فالقوم لا يعنيهم الدَّليل بقدر ما يعنيهم متابعة مشايخهم الذين قلَّدوهم حذو القذَّة بالقذَّة ، حتى ولو اضطرُّوا للتَّأويل الذي لا يقولون به !!!

ويستشهدون على مقالاتهم الباطلة بكلام ينسبونه ظلماً وزوراً للإمام أحمد بن حنبل ، مع أنَّ سادة الحنابلة نفوا ما ألصقه الآثمون به ، فقد نقل الإمام أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التَّميمي البغدادي ، رئيس الحنابلة ببغداد (٤١٠هـ) عن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه : " أنكر على من يقول بالجسم ، وقال : إنَّ الأسماء مأخوذة من الشَّريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليف ، والله تعالى خارج عن ذلك كلِّه ، فلم يجز أن يُسمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميَّة ، ولم يجيء في الشَّريعة ذلك ، فبطل " (١) .

فهذا رئيس الحنابلة ببغداد يصوِّر العقيدة الحقَّة للإمام أحمد ، وأنَّه أنكر على المجسِّمة ، وأنَّ الجسم هو كلّ ما كان له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ... والله تعالى خارج عن ذلك كلِّه ، ثمَّ حكم ببطلان ذلك كلِّه ...

ونقل الإمام أبو الفضل التَّميمي الحنبلي عن الإمام أحمد أنَّه قال : " والله تعالى لا يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام (٩٧٣هـ) ، حين سئل : " فِي عقائد الْحَنَابِلَة مَا لَا يخفى على شرِيف علمكُم ، فَهَل عقيدة الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كعقائدهم ؟ ، قال : عقيدة إِمَام السُّنَّة أَحْمد بن حَنْبَل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه ، وَجعل جنان المعارف متقلَّبه ومأواه ، وأفاض علينا وَعَلَيهِ من سوابغ امتنانه ، وبوَّأه الفردوس الْأَعْلَى من جِنانه ، مُوَافقَة لعقيدة أهل السّنة وَالْجَمَاعَة من الْمُبَالغَة التَّامَّة فِي تَنْزِيه الله تَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علوّاً كَبِيراً من الْجِهَة والجسميَّة ، وَغَيرهمَا من سَائِر سمات النَّقْص ، بل وَعَن كلِّ وَصْف لَيْسَ فِيهِ كَمَال مُطلق ، وَمَا اشْتهر بَين جهلة المنسوبين إِلَى هَذَا الإِمَام الْأَعْظَم الْمُجْتَهد من أَنَّه قَائِل بِشَيْء من الْجِهَة أَو نَحْوهَا فكذب وبُهتان وافتراء عَلَيْهِ ، فلعن الله من نسب ذَلِك إِلَيْهِ ، أَو رَمَاه بِشَيْء من هَذِه المثالب الَّتِي برَّأه الله مِنْهَا ، وَقد بَيَّن الْحَافِظ الْحجَّة الْقدْوَة الإِمَام أَبُو

---

(١) انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص٤٥) .

(٢) انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص ٣٨ -٣٩) .

الْفرج بن الْجَوْزِيّ (٥٩٧هـ) من أَئِمَّة مذْهبه المبرِّئين من هَذِه الوصمة القبيحة الشَّنيعة ، أَنَّ كلَّ مَا نُسب إِلَيْهِ من ذَلِك كذب عَلَيْهِ وافتراء وبهتان ، وَأَنَّ نصوصه صَرِيحَة فِي بطلَان ذَلِك وتنزيه الله تَعَالَى عَنهُ ، فَاعْلَم ذَلِك فإنَّه مُهمّ . وَإِيَّاك أَنْ تصغى إِلَى مَا فِي كُتب ابْن تَيْمِية وتلميذه ابْن قيِّم الجوزيَّة وَغَيرهمَا مِمَّن اتَّخذ إلهه هَوَاهُ ، وأضلَّه الله على علم ، وَختم على سَمعه وَقَلبه ... " (١) .

فالله تعالى ليس جسماً ، لأنَّ الجسم يتشكَّل من أجزاء ، ولا يقوم بغير أجزائه ، كما أنَّه لا ينفكُّ عن لوازمه من الحركة والسُّكون والاجتماع والافتراق ، وهذه اللوازم كلُّها حادثة لتغيُّرها وتبدُّلها وعدم قيامها بنفسها ، وما لا ينفكُّ عن الحوادث فهو حادث ، ويلزم من القول بالجسميَّة حدوث الله ، والله تعالى واجب الوجود لذاته ، ولو كان جسماً لكان له شبيه ومثيل ، ونحن نعلم أنَّ العديد من آيات القرآن الكريم نفت عن اللهّ تعالى الشَّبيه والمثيل ، فلا يجوز أن يكون جسماً ، والجسم مركَّب وهو مفتقرٌ إلى ما ركِّب منه ، وكذا مفتقر إلى من يركِّبه ، وبالتَّالي فإنَّ واجب الوجود يكون ممكناً ، وهذا يتعارض مع ما ثبت بالضَّرورة أنَّه واجب الوجود ...

قال الإمام فخر الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) : " اعلم أنَّ المشهور عن قدماء الكرَّاميَّة : إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى . إلَّا أنَّهم يقولون : لا نريد به كونه تعالى مؤلَّفاً من الأجزاء ومركَّباً من الأبعاض ، بل نريد كونه تعالى غنيَّاً عن المحلِّ قائماً بالنَّفس ، وعلى هذا التَّقدير ، فإنَّه يصير النِّزاع في أنَّه تعالى جسم أو لا نزاعاً لفظيَّاً ، هذا حاصل ما قيل في هذا الباب .

إلَّا أنَّا نقول : كلُّ ما كان مختصَّاً بحيِّز أو جهة ، ويمكن أن يُشار إليه بالحسِّ ، فذلك المشار إليه أمَّا أن لا يبقى منه شيء في جوانبه السِّت ، وأمَّا أن يبقى ، فإن لم يبقى منه شيء في جوانبه السِّت ، فهذا يكون كالجوهر الفرد ، وكالنُّقطة التي لا تتجزَّأ ، ويكون في غاية الصِّغر والحقارة . ولا أظنُّ أنَّ عاقلاً يرضى أن يقول : إنَّ إله العالم كذلك ، وأمَّا إن بقي شيء في جوانبه الست أو في أحد هذه الجوانب ، فهذا يقتضي كونه مؤلَّفاً مركَّباً من جزأين أو أكثر ، وأقصى ما في الباب أن يقول قائل : إنَّ تلك الأجزاء لا تقبل التفرُّق والانحلال ، إلَّا أنَّ هذا لا يمنع من كونه في نفسه مركَّباً مؤلَّفاً ، كما أنَّ الفلسفي يقول : الفلك جسم ، إلَّا أنَّه لا يقبل الخرق والالتئام ، فإنَّ ذلك لا يمنعه من اعتقاد كونه جسماً طويلاً عريضاً عميقاً .

---

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢٧٠-٢٧١) .

فثبت أنَّ هؤلاء الكرَّاميَّة لما اعتقدوا كونه تعالى مختصَّاً بالحيِّز والجهة ، ومشاراً إليه بحسب الحسِّ ، واعتقدوا أنَّه تعالى ليس في الصِّغر والحقارة مثل الجوهر الفرد والنُّقطة التي لا تتجزَّأ : وجب أن يكونوا قد اعتقدوا أنَّه تعالى ممتدّ في الجوانب ، أو في بعض الجوانب ، ومن قال ذلك فقد اعتقد كونه مركَّباً مؤلَّفاً ، فكان امتناعه عن إطلاق لفظ المؤلَّف والمركَّب ، امتناعاً عن مجرَّد هذا اللفظ مع كونه معتقداً لمعناه ، فثبت أنَّهم أطلقوا لفظ الجسم : لأجل أنَّهم اعتقدوا كونه تعالى طويلاً عريضاً عميقاً ممتدّاً في الجهات . فثبت أنَّ امتناعهم عن هذا الكلام : لمحض التقيَّة والخوف ، وإلَّا فهم يعتقدون كونه تعالى مركَّباً مؤلَّفاً " (١) .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : " لَوْ كَانَ جِسْماً مُتَحَيِّزاً لَكَانَ مُشَارِكاً لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ فِي عُمُومِ الْجِسْمِيَّةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَخْلُو أمَّا أَنْ يَكُونَ مُخَالِفاً فِي خُصُوصِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وأمَّا أن لَا يَكُونُ فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَمَا بِهِ الْمُشَارَكَةُ غَيْرُ مَا بِهِ الْمُمَايَزَةُ ، فَعُمُومُ كَوْنِهِ جِسْماً مُغَايِرٌ لِخُصُوصِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّا إِذَا وَصَفْنَا تِلْكَ الذَّاتِ الْمَخْصُوصَةَ بِالْمَفْهُومِ مِنْ كَوْنِهِ جِسْماً كُنَّا قَدْ جَعَلْنَا الْجِسْمَ صِفَةً ، وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّ الْجِسْمَ ذَاتُ الصِّفَةِ ، وَإِنْ قُلْنَا بِأَنَّ تِلْكَ الذَّاتَ الْمَخْصُوصَةَ الَّتِي هِيَ مُغَايِرَةٌ لِلْمَفْهُومِ مِنْ كَوْنِهِ جِسْماً وَغَيْرَ مَوْصُوفٍ بِكَوْنِهِ جِسْماً ، فَحِينَئِذٍ تَكُونُ ذَاتُ اللهِ تَعَالَى شَيْئاً مُغَايِراً لِلْمَفْهُومِ مِنَ الْجِسْمِ ، وَغَيْرَ مَوْصُوفٍ بِهِ وَذَلِكَ يَنْفِي كَوْنَهُ تَعَالَى جِسْماً ، وأمَّا إِنْ قِيلَ : إِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ كَانَتْ جِسْماً لَا يُخَالِفُ سَائِرَ الْأَجْسَامِ فِي خُصُوصِيَّةٍ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَثَلاً لَهَا مُطْلَقاً ، وَكُلُّ مَا صَحَّ عَلَيْهَا فَقَدْ صَحَّ عَلَيْهِ ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَجْسَامُ مُحْدَثَةً وَجَبَ فِي ذَاتِهِ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ ، فَثَبَتَ أَنَّه تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ ، وَلَا بِمُتَحَيِّزٍ ، وأنَّه لَا يَصِحُّ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ عَلَيْهِ " .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : " لَوْ كَانَ جِسْماً لَكَانَ مُرَكَّباً وَالْمُرَكَّبُ مُمْكِنٌ ، وَأَيْضاً أنَّه أَحَدٌ ، وَالْأَحَدُ لَا يَكُونُ مُرَكَّباً ، وَمَا لَا يَكُونُ مُرَكَّباً لَا يَكُونُ جِسْماً ، وَأَيْضاً أنَّه غني كما قال : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ ﴾ [محمد: ٣٨] ، وَالْغَنِيُّ لَا يَكُونُ مُرَكَّباً ، وَمَا لَا يَكُونُ مُرَكَّباً لَا يَكُونُ جِسْماً . وَأَيْضاً الْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فِي تَمَامِ الْمَاهِيَّةِ ، فَلَوْ كَانَ جِسْماً لَحَصَلَ لَهُ مِثْلٌ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، فَأَمَّا الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ ظَاهِرَةٌ بَاهِرَةٌ قَوِيَّةٌ جَلِيَّةٌ وَالْحَمْدُ للهِ عَلَيْهِ " .

---

(١) انظر : أساس التقديس (ص١٥١-١٥٢) .

وقال الإمام الرَّازي – أيضاً – في شرحه لقوله تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] : " احْتَجَّ عُلَمَاءُ التَّوْحِيدِ قَدِيماً وَحَدِيثاً بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي نَفْيِ كَوْنِهِ تَعَالَى جِسماً مُرَكَّباً مِنَ الْأَعْضَاءِ وَالْأَجْزَاءِ وَحَاصِلاً فِي الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ ، وَقَالُوا : لَوْ كَانَ جِسْماً لَكَانَ مِثْلاً لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ ، فَيَلْزَمُ حُصُولُ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ لَهُ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] ، وَيُمْكِنُ إِيرَادُ هَذِهِ الْحُجَّةِ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ ، فَيُقَالُ : أَمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي مَاهِيَّاتِ الذَّاتِ ، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ فِي الصِّفَاتِ شَيْءٌ ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ ، لِأَنَّ الْعِبَادَ يُوصَفُونَ بِكَوْنِهِمْ عَالِمِينَ قَادِرِينَ ، كَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوصَفُ بِذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ يُوصَفُونَ بِكَوْنِهِمْ مَعْلُومِينَ مَذْكُورِينَ ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوصَفُ بِذَلِكَ ، فَثَبَتَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُمَاثَلَةِ الْمُسَاوَاةُ فِي حَقِيقَةِ الذَّاتِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ شَيْئاً مِنَ الذَّوَاتِ لَا يُسَاوِي اللهَ تَعَالَى فِي الذَّاتِيَّةِ ، فَلَوْ كَانَ اللهُ تَعَالَى جِسْماً ، لَكَانَ كَوْنُهُ جِسْماً ذَاتاً لَا صِفَةً ، فَإِذَا كَانَ سَائِرُ الْأَجْسَامِ مُسَاوِيَةً لَهُ فِي الْجِسْمِيَّةِ ، أَعْنِي فِي كَوْنِهَا مُتَحَيِّزَةً طَوِيلَةً عَرِيضَةً عَمِيقَةً ، فَحِينَئِذٍ تَكُونُ سَائِرُ الْأَجْسَامِ مُمَاثِلَةً لِذَاتِ اللهِ تَعَالَى فِي كَوْنِهِ ذَاتاً ، وَالنَّصُّ يَنْفِي ذَلِكَ فَوَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ جِسْماً " (١) .

ولذلك أجمعت الأُمَّة على تنزيه الله تعالى عن المكان ، ونقل إجمـــاعهم على ذلك غير واحد من العلماء ...

قال الإمام عبد القاهر بن طاهر التَّميمي البغدادي (٤٢٩هـ) : " وأجمعوا على أنَّه لَا يحويه مَكَان ، وَلَا يجرى عَلَيْهِ زمَان " (٢) .

وقال إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُويني الشَّافعي (٤٧٨هـ) ما نصّه : " ومذهبُ أهل الحقِّ قاطبة : أنَّ الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التَّحيُّز والتَّخصُّص بالجهات " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي : " ... فَقَدِ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّه سُبْحَانَهُ لَيْسَ مَعَنَا بِالْمَكَانِ وَالْجِهَةِ وَالْحَيِّزِ " (٤) ...

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٥/ ٣٥٧) ، (١٣/ ٦) ، (٢٧/ ٥٨٢) بالترتيب .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص٣٢١) .

(٣) انظر : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٩) .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٩/ ٤٤٩) .

الحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُوْن : جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " السُّؤال : هل يجوز أكل اللحم الذي يذبح لمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره من الموالد ؟

الجواب: ما ذُبح في مولد نبي أو ولي تعظيماً له فهو ممَّا ذبح لغير الله وذلك شرك ، فلا يجوز الأكل منه، وقد ثبت أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " لعن الله من ذبح لغير الله " ، صحيح مسلم (١٩٧٨) ، سنن النسائي الضحايا (٤٤٢٢) ، مسند أحمد بن حنبل (١/ ١١٨) .

وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة – أيضاً – : " السُّؤال : هل يجوز حضور الاحتفالات البدعيَّة ، كالاحتفال بليلة المولد النَّبوي ، وليلة المعراج ، وليلة النِّصف من شعبان ، لمن يعتقد عدم مشروعيَّتها لبيان الحقّ في ذلك ؟

الجواب : أولاً : الاحتفال بهذه الليالي لا يجوز ، بل هو من البدع المنكرة .

ثانياً : غشيان هذه الاحتفالات وحضورها لإنكارها وبيان الحقّ فيها ، وأنَّها بدعة لا يجوز فعلها – مشروع ، ولا سيما في حقِّ من يقوى على البيان ويغلب على ظنِّه سلامته من الفتن أمَّا حضورها للفُرجة والتَّسلية والاستطلاع فلا يجوز ؛ لما فيه من مشاركة أهلها في منكرهم وتكثير سوادهم وترويج بدعتهم

، وبالله التَّوفيق وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (٢) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة – أيضاً – : " السُّؤال : هل يجوز للدُّعاة أن يدعوا في مكان كان قبل ذلك مكان للبدع مثل الموالد ، فهل يجوز فيه الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ؟

الجواب : إقامة الموالد من البدع الممنوعة ، ولا مانع من استعمال مكان الموالد بعد منعها للأمر بالمعروف والدَّعوة إلى الله جلَّ وعلا .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم (٣) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب : " س : نسألكم عن مولد النَّبي الأعظم محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هل هو بدعة ، وإنِّي سمعت في بعض البلدان ومن بعض العلماء يقولون : إنَّها بدعة حسنة ، والله أعلم . وفَّقكم الله ؟

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدَّائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٢١٧) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدَّائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ٣٧-٣٨) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدَّائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٢/ ٢٦٣) .

ج: الاحتفال بالموالد ممَّا حدث في القرون المتأخِّرة بعد القرون المفضَّلة بعد القرن الأوَّل والثَّاني والثَّالث ، وهو من البدع التي أحدثها بعض النَّاس استحساناً وظنَّاً منهم أنَّها طيِّبة ، والصَّحيح والحقّ الذي عليه المحقِّقون من أهل العلم أنَّها بدعة ، الاحتفالات بالموالد كلُّها بدعة ، ومن جملة ذلك الاحتفال بالمولد النَّبوي ، ولماذا ؟ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ، ولا خلفاؤه الرَّاشدون ، ولا القرون المفضَّلة كلّها لم تفعل هذا الشَّيء ، فالخير في اتباعهم لا في ما أحدثه النَّاس بعدهم ، وقد ثبت عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه قال : " إيَّاكم ومحدثات الأمور " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، أي : مردود . فالنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضَّح الأمر ، وبيَّن أنَّ الحوادث في الدِّين منكرة ، وأنَّه ليس لأحد أن يُحدث في الدِّين ما لم يأذن الله ، وذمَّ الله سبحانه هذا بقوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١] ، والاحتفال أمر مُحدث لم يأذن به الله ولا رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، والصَّحابة أفضل النَّاس بعد الأنبياء ، وأحبّ النَّاس للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسرع النَّاس إلى كلِّ خير ، ولم يفعلوا هذا لا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا بقيَّة العشرة ، ولا بقيَّة الصَّحابة ، وهكذا التَّابعون ما فعلوا هذا ، وإنَّما حدث من بعض الشِّيعة الفاطميين في مصر في المائة الرَّابعة ، كما ذكر هذا بعض المؤرِّخين ، ثمَّ حدث في المائة السَّادسة في آخرها وفي أول السَّابعة ، على يد من ظنَّ أنَّ هذا طيِّب ففعل ذلك ، والحقُّ أنَّه بدعة ، لأنَّها عبادة لم يشرعها الله سبحانه وتعالى ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلَّغ البلاغ المبين ، ولم يكتم شيئاً ممَّا شرعه الله ، بل بلَّغ كَّل ما شرعه الله وما أمر به ، وقال الله سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣] ، فالله قد أكمل الدِّين وأتمَّه ، وليس في ذلك الدِّين الذي أكمله الله الاحتفال بالموالد ، فعلم بهذا أنَّه بدعة منكرة لا حسنة ، وليس في الدِّين بدعة حسنة !!! فكلُّ البدع ضلالة كلُّها منكرة ، النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام يقول : " كلُّ بدعة ضلالة " ، فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يقول : إنَّ في البدع شيئاً حسناً ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " إنَّ كلّ بدعة ضلالة " ؛ لأنَّ هذه مناقضة

ومحادَّة للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد ثبت عنه أنَّه قال : " كلُّ بدعة ضلالة " ، فلا يجوز لنا أن نقول خلاف قوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، وما يظنُّ النَّاس أنَّه بدعة وقد جاء به الشَّرع فهو ليس بدعة ، مثل : كتابة المصاحف ، مثل التَّراويح ، ليست بدعة ، كلّ هذه مشروعة ، فتسميته بدعة لا أصل لذلك ، وأمَّا ما يروى عن عمر أنَّه قال في التراويح : " نعمت البدعة " [1] ، فالمُراد بهذا أنَّها بدعة في اللغة ، ليست من جهة الدِّين ، ثمَّ قول عمر لا يناقض ما قاله الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يخالفه ، وقول الرَّسول مقدَّم عليه ، عليه الصَّلاة والسَّلام : " كلُّ بدعة ضلالة " ، وقال : " وإيَّاكم ومحدثات الأمور " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في خطبة الجمعة : " أمَّا بعد ، فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، هذا حكمه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، رواه مسلم في الصَّحيح ، فلا يجوز لمسلم أن يُخالف ما شرع الله ، ولا أن يُعاند ما جاء به رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام ، بل يجب عليه الخضوع لشرع الله ، والكفّ عمَّا نهى الله عنه من البدع والمعاصي ، نسأل الله للجميع الهداية " [2] .

وكلام ابن باز السَّابق تضمَّن غير ما جاء في النصِّ الأوَّل :

(١) أنَّه استشهد لما ذهب إليه بقول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ " ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " ، " مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " ، أي : مردود .

(٢) أنَّه جعل الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ، ولا خلفاؤه الرَّاشدون ، ولا القرون المفضَّلة ، كلُّها لم تفعل هذا الشَّيء ...

(٣) لا يجوز لأحد من المسلمين أن يقول : إنَّ في البدع شيئاً حسناً ... وما يظنُّ النَّاس أنَّه بدعة وقد جاء به الشَّرع فهو ليس بدعة ، مثل : كتابة المصاحف ، مثل التَّراويح ليست بدعة ، كلُ هذه مشروعة ، فتسميته بدعة

---

[1] أخرجه مالك في الموطأ ، (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة ، (٢/ ٧١٣) ، محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في مختصر قيام الليل ، (ص٢١٧) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان ، (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات ، (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، السنن الصغير ، (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة ، (٤/ ١١٩) .

[2] انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ٥٨-٦٠) .

لا أصل لذلك ، وأمَّا ما يروى عن عمر أنَّه قال في التَّراويح : " نعمت البدعة " ، فالُمراد بهذا أنَّها بدعة في اللغة ، ليست من جهة الدِّين ... وللردِّ على شبهات ابن باز ، نقول :

أمَّا عن استشهاده بقول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وإيَّاكم ومحدثات الأُمور " فاستشهاد في غير محلِّه ، لأنَّ المراد من الحديث : ما أُحدث من الأمور التي لا ترجع إلى أصل شرعي أو دليل شرعي ، فهو من العام الذي أُريد به الخاص ، قال الإمام سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطُّوفي الصرصري أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين (٧١٦هـ) في شرحه للحديث : " ... أي : اتَّقوها واحذروا الأخذ بها فإنَّها بدعة ، والمراد : ما أُحدث من الأُمور غير راجع إلى أصل ، أو دليل شرعيٍّ ، وإلَّا فسنَّة الخلفاء الرَّاشدين من محدثات الأمور ، وقد أمرنا باتِّباعها وسوَّاها بسنَّته في وجوب الاقتداء بها ، وما ذلك إلَّا لرجوعها إلى أصل شرعيٍّ ، واعتمادها على دليلٍ مرعي ، فإذاً قوله : " إيَّاكم ومحدثات الأمور " عامٌّ أُريدَ به الخاص " (١) .

وأمَّا عن استشهاده بقول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ...، فقد ردَّ على هذا الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، فقال : " هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ ، وَالُمرَادُ غَالِبُ الْبِدَعِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : هِيَ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، وَمَنْدُوبَةٌ ، وَمُحَرَّمَةٌ ، وَمَكْرُوهَةٌ ، وَمُبَاحَةٌ ، فَمِنَ الْوَاجِبَةِ : نَظْمُ أدلة المتكلمين لِلرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ ، وَشِبْهُ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمَنْدُوبَةِ : تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ ، وَبِنَاءُ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمُبَاحِ : التَّبَسُّطُ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَالْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ ظَاهِرَانِ . وَقَدْ أَوْضَحْتُ الْمَسْأَلَةَ بِأَدِلَّتِهَا الْمَبْسُوطَةِ فِي " تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ " ، فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ ، وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ . وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ قَوْلُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي التَّرَاوِيحِ : " نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ " ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامّاً مَخْصُوصاً قَوْلُهُ : " كُلُّ بِدْعَةٍ " مُؤَكَّداً بِكُلِّ ، بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٧٢٨هـ) : " والمحدثات بِفَتْحِ الدَّالِّ : جَمْعُ مُحْدَثَةٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا : مَا أُحْدِثَ وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ ، وَيُسَمَّى فِي عُرْفِ الشَّرْعِ : بِدْعَةً ، وَمَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : التعيين في شرح الأربعين (ص٢١٦) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٥٤-١٥٥) .

الشَّرْعُ ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ ، فَالْبِدْعَةُ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مَذْمُومَةٌ بِخِلَافِ اللُّغَةِ ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ يُسَمَّى بِدْعَةً سَوَاءٌ كَانَ مَحْمُوداً أَوْ مَذْمُوماً ، وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْمُحْدَثَةِ وَفِي الْأَمْرِ الْمُحْدَثِ الَّذِي وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " ، كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ وَمَضَى بَيَانُ ذَلِكَ قَرِيباً فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ .

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ الْمُشَارِ إِلَيْهِ : " وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَفِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ : " وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَهُوَ حَدِيثٌ أَوَّلُهُ : " وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً " ، فَذَكَرَهُ ، وَفِيهِ هَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَصَححهُ بن ماجة وبن حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمَعْنَى قَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : مَحْمُودَةٌ ، وَمَذْمُومَةٌ ، فَمَا وَافَقَ السُّنَّة ، فَهُوَ مَحْمُودٌ ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُومٌ . أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ بِمَعْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْجُنَيْدِ عَنِ الشَّافِعِيِّ . وَجَاءَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَيْضاً مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِهِ ، قَالَ : الْمُحْدَثَاتُ ضَرْبَانِ : مَا أُحْدِثُ يُخَالِفُ كِتَاباً أَوْ سُنَّةً أَوْ أَثَراً أَوْ إِجْمَاعاً ، فَهَذِهِ بِدْعَةُ الضَّلَالِ ، وَمَا أُحْدِثُ مِنَ الْخَيْرِ لَا يُخَالِفُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ " [١] .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ يَعْنِي الْمُحْدَثَاتِ الَّتِي لَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ أَصْلٌ يَشْهَدُ لَهَا بِالصِّحَّةِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْبِدَعِ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " [٢] .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وشرّ الأمور مُحدثاتها " بضم الميم وسكون الحاء وفتح الدَّال المخفَّفة المهملتين جمع محدثة ، والمراد بها البدع والضَّلالات من الأفعال والأقوال ، والبدعة كلُّ شيء عمل على غير مثال سابق ، وفي الشَّرع : إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإن كان له أصل يدلُّ عليه الشَّرع فليس ببدعة . قال إمامنا الشَّافعي – رحمه الله – : البدعة بدعتان : محمودة ومذمومة ، فما وافق السُّنّة فهو محمود ، وما خالفها فهو مذموم . وأخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجُنيد عن الشَّافعي . وعند البيهقي في مناقب

---

[١] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٥٢) .

[٢] انظر : حاشية السندي على سنن النسائي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر (٣/ ١٨٨-١٨٩) .

الشَّافعي : أنَّه قال المحدثات ضربان : ما أُحدث مخالفاً كتاباً أو سُنّة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضَّلالة ، وما أُحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك ، فهذه محدثة غير مذمومة " (١) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القارِّي (١٠١٤هـ) : " قَالَ فِي " الْأَزْهَارِ "، أَيْ : كُلُّ بِدْعَةٍ سَيِّئَةٍ ضَلَالَةٌ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا " . وَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ الْقُرْآنَ ، وَكَتَبَهُ زِيدٌ فِي الْمُصْحَفِ ، وَجُدِّدَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ . قَالَ النَّوَوِيُّ : الْبِدْعَةُ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ ، وَفِي الشَّرْعِ إِحْدَاثُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَوْلُهُ : " كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " عَامٌ مَخْصُوصٌ . قَالَ الشَّيْخ عِزُّ الدِّين بْنُ عَبْدِ السَّلام فِي آخِرِ كِتَابِ " الْقَوَاعِدِ " : الْبِدْعَةُ أَمَّا وَاجِبَةٌ كَتَعَلُّمِ النَّحْوِ لِفَهْمِ كَلَامِ اللهَّ وَرَسُولِهِ ، وَكَتَدْوِينِ أُصُولِ الْفِقْهِ ، وَالْكَلَامِ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وأَمَّا مُحَرَّمَةٌ كَمَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ ، وَالْقَدَرِيَّةِ ، وَالْمُرْجِئَةِ ، وَالْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنَ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ ، لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ مِنْ هَذِهِ الْبِدَعِ فَرْضُ كِفَايَةٍ ، وأَمَّا مَنْدُوبَةٌ كَإِحْدَاثِ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ ، وَكُلُّ إِحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ، وَكَالتَّرَاوِيحِ أَيْ بِالْجَمَاعَةِ الْعَامَّةِ وَالْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ الصُّوفِيَّةِ ، وأَمَّا مَكْرُوهَةٌ كَزَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ ، وَتَزْوِيقِ الْمَصَاحِفِ يَعْنِي عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، وأَمَّا عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ فَمُبَاحٌ ، أَمَّا مُبَاحَةٌ كَالْمُصَافَحَةِ عَقِيبِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ أَيْ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ أَيْضاً ، وَإِلَّا فَعِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ مَكْرُوهٌ ، وَالتَّوَسُّعُ فِي لَذَائِذِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ ، وَالْمَسَاكِنِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي كَرَاهَةِ بَعْضِ ذَلِكَ أَيْ كَمَا قَدَّمْنَا . قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : مَا أُحْدِثَ مِمَّا يُخَالِفُ الْكِتَابَ أَوِ السُّنَّةَ أَوِ الْأَثَرَ أَوِ الْإِجْمَاعَ فَهُوَ ضَلَالَةٌ ، وَمَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ مِمَّا لَا يُخَالِفُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ ، وَقَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فِي قِيَامِ رَمَضَانَ : نِعْمَتُ الْبِدْعَةُ . هَذَا هُوَ آخِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ فِي " تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ " وَاللُّغَاتِ . وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : مَا رَأَوْهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهَّ حَسَنٌ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) : " وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا " الْمُرَادُ بِالْمُحْدَثَاتِ : مَا لَمْ يَكُنْ ثَابِتاً بِشَرْعٍ

---

(١) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٠١) .

(٢) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٢٣-٢٢٤) .

مِنْ اللهِ ، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ " وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " . الْبِدْعَةُ لُغَةً : مَا عُمِلَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : مَا عُمِلَ مِنْ دُونِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ شَرْعِيَّةٌ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا سُنَّةٍ .

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، كَحِفْظِ الْعُلُومِ بِالتَّدْوِينِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ . وَمَنْدُوبَةٌ : كَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ . وَمُبَاحَةٌ : كَالتَّوْسِعَةِ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَفَاخِرِ الثِّيَابِ . وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ : وَهُمَا ظَاهِرَانِ . فَقَوْلُهُ : " كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ عَامٌّ مَخْصُوصٌ " (١) .

وأمَّا عن حكمه ببدعية الاحتفال بمولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ، ولا خلفاؤه الرَّاشدون ، ولا القرون المفضلة كلّها لم تفعل هذا الشَّيء ، بمعنى أنَّ الرَّسول ومعه السَّلف الصَّالح تركوا الاحتفال بالمولد ، وتركهم له يعني تحريمه ...

فقد ردَّ هذه الشبهة الإمام أبو الفضل عبد الله محمَّد الصِّدِّيقي الغُماري (١٤١٣هـ) في رسالته : " حسن التفهُّم والدَّرْك لمسألة التَّرك " ، وبيَّن أنَّ ترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشَّيء لا يدلُّ على تحريمه ، فقال : " ما هو التَّرك ؟ نقصد بالتَّرك الذي ألفنا هذه الرِّسالة لبيانه : أن يترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً لم يفعله أو يتركه السَّلف الصَّالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنَّهي عن ذلك المتروك يقتضي تحريمه أو كراهته .

وقد أكثر الاستدلال به كثير من المتأخِّرين على تحريم أشياء أو ذمها ، وأفرط في استعماله بعض المتنطِّعين المتزمتين ، ورأيت ابن تيمية استدلَّ به واعتمده في مواضع سيأتي الكلام عليها بحول الله .

أَنْوَاعُ التَّرْك :

إذا ترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً فيحتمل وجوهاً غير التَّحريم :

١ . أن يكون تركه عادة : قُدم إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضبٌّ مشويٌّ فمدَّ يده الشَّريفة ليأكل منه ، فقيل : أنَّه ضبٌّ ، فأمسك عنه ، فسئل : أحرام هو ؟ فقال : لا ، ولكنَّه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه (٢) ، والحديث في الصَّحيحين ، وهو يدلُّ على أمرين :

---

(١) انظر : سبل السَّلام (١/ ٤٠٢) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٠٩ برقم ٣٥٥٠) ، أحمد في المسند (٤/ ٨٨ برقم ١٦٩٣٧) ، الدارمي (٢/ ١٢٨٢ برقم ٢٠٦٠) ، البخاري (٧/ ٧١ برقم ٥٣٩١) ، مسلم (٣/ ١٥٤٣ برقم ١٩٤٥) ، أبو داود (٣/ ٣٥٣ برقم ٣٧٩٤) ، النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧٨ برقم ٤٨٠٩) ، السنن الصغرى (٧/ ١٩٧ برقم ٤٣١٦) ، أبو عوانة في المستخرج (٥/ ٣٨ برقم ٧٧٠٠) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٣٣٤ برقم

أحدهما : أنَّ تركه للشَّيء ولو بعد الإقبال عليه لا يدلُّ على تحريمه .

والآخر : أنَّ استقذار الشَّيء لا يدلُّ على تحريمه أيضاً .

٢. أن يكون تركه نسياناً ، سها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة فترك منها شيئاً ، فسئل : هل حدث في الصَّلاة شيء ؟ فقال : " إنَّما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكِّروني " [١] .

٣. أن يكون تركه مخافة أن يفرض على أُمَّته ، كتركه صلاة التَّراويح حين اجتمع الصَّحـــابة ليصلُّوها معه .

٤. أن يكون تركه لعدم تفكيره فيه ، ولم يخطر على باله . كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب الجمعة إلى جذع نخلة ، ولم يفكر في عمل كرسيٍّ يقوم عليه ساعة الخطبة ، فلمَّا اقترح عليه عمل منبر يخطب عليه وافق وأقرَّه ، لأنَّه أبلغ في الإسماع . واقترح الصَّحابة أن يبنوا له دكَّة من طين يجلس عليها ليعرفه الوافد الغريب ، فوافقهم ولم يفكر فيها من قِبَلِ نفسه .

٥. أن يكون تركه لدخوله في عموم ءايات أو أحاديث ، كتركه صلاة الضُّحى ، وكثيراً من المندوبات ، لأنَّها مشمولة لقول الله تعالى : ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] ، وأمثال ذلك كثيرة .

٦. أن يكون تركه خشية تغيّر قلوب الصَّحابة أو بعضهم . قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة : " لولا حداثة قومك بالكُفر لنقضت البيت ثمَّ لبنيته على أساس إبراهيم عليه السَّلام ، فإنَّ قريشاً استقصرت بناءه " [٢] ، وهو في الصَّحيحين . فترك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقض البيت وإعادة بنائه حفظاً لقلوب أصحابه القريبي العهد

٣٢٨٥) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٢/ ٦٩ برقم ٥٢٦٣) ، الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠٧ برقم ٣٨١٦) ، مسند الشاميين (٣/ ١٢ برقم ١٧٠٤) ، البغوي في شرح السنة (١١/ ٢٣٧ برقم ٢٧٩٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٥٤٢ برقم ١٩٤١٢) ، السنن الصغير للبيهقي (٤/ ٦٢ برقم ٣٠٦٧)

[١] أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩ برقم ٣٦٠٢) ، مسلم (١/ ٤٠٠ برقم ٥٧٢) ، البزار في المسند (٤/ ٢٩٧ برقم ١٤٧٣) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٥١٥ برقم ١٩٢٧) ، ابن حبَّان في الصحيح (٦/ ٣٨١ برقم ٢٦٥٦) ، الدارقطني في السنن (٢/ ٢٠٩ برقم ١٤٠٨) ، ابن بشران في الأمالي (١/ ٤٠٥ برقم ٩٣٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٤ برقم ٣٨١٨) .

[٢] أخرجه البخاري (٢/ ١٤٦ برقم ١٥٨٥) ، مسلم (٢/ ٩٧٢ برقم ١٣٣٣) ، أبو عوانة في المسند (٢/ ١٦٠ برقم ١٩٤٥) ، ابن الجعد في المسند (١/ ٣٦٧ برقم ٢٥٢٥) ، أحمد في المسند (٦/ ٥٧ برقم ٢٤٨٠١) ، الدارمي (٢/ ١١٨٨ برقم ١٩١٠)

بالإسلام من أهل مكَّة . ويحتمل تركه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوهاً أخرى تُعلم من تتبُّع كتب السُّنَّة . ولم يأت في حديث ولا أثر تصريح بأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك شيئاً لأنَّه حرام .

التَّرْكُ لَا يَدُلُّ عَلَى التَّحْرِيْم :

قرَّرتُ في كتاب : " الردُّ المحكم المتين " أنَّ ترك الشَّيء لا يدلُّ على تحريمه ، وهذا نصُّ ما ذكرته هناك :

والتَّرك وحده إن لم يصحبه نصٌّ على أنَّ المتروك محظور لا يكون حجَّة في ذلك ، بل غايته أن يفيد أنَّ ترك ذلك الفعل مشروع . وأمَّا أنَّ ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً ، فهذا لا يُستفاد من التَّرك وحده ، وإنَّما يُستفاد من دليل يدلُّ عليه .

ثمَّ وجدت الإمام أبا سعيد بن لب ذكر هذه القاعدة أيضاً ، فإنَّه قال في الردِّ على من كره الدُّعاء عقب الصَّلاة : غاية ما يُستند إليه منكر الدُّعاء أدبار الصَّلوات أنَّ التزامه على ذلك الوجه لم يكن من عمل السَّلف ، وعلى تقدير صحَّة هذا النَّقل ، فالتَّرك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلَّا جواز التَّرك وانتفاء الحرج فيه ، وأمَّا تحريم أو لصوق كراهية بالمتروك فلا ، ولا سيَّما فيما له أصل جملي متقرِّر من الشَّرع كالدُّعاء .

وفي (المحلَّى) (ج:٢ ص:٢٥٤) ذكر ابن حزم احتجاج المالكيَّة والحنفيَّة على كراهية صلاة ركعتين قبل المغرب بقول إبراهيم النَّخعي : أنَّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يصلُّونها ، وردَّ عليهم بقوله : لو صحَّ لما كانت فيه حجَّة ، لأنَّه ليس فيهم أنَّهم رضي الله عنهم نهوا عنهما .

قال أيضاً : وذكروا عن ابن عمر أنَّه قال : ما رأيت أحداً يصلِّيهما . وردَّ عليه بقوله : وأيضاً فليس في هذا لو صحَّ نهى عنهما ، ونحن لا ننكر ترك التطوُّع ما لم ينه عنه .

وقال أيضاً في (المحلَّى) (ج٢ ص٢٧١) في الكلام عن ركعتين بعد العصر : وأمَّا حديث علي ، فلا حجَّة فيه أصلاً ، لأنَّه ليس فيه إلا إخباره بما علم من أنَّه لم يرَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاهما ، وليس في هذا نهي عنهما ولا كراهة لهما ، فما صام عليه السَّلام قط شهراً كاملاً غير رمضان وليس هذا بموجب كراهية صوم شهر كامل تطوعاً اهـ. فهذه نصوص صريحة في أنَّ التَّرك لا يفيد كراهة فضلاً عن الحرمة .

وقد أنكر بعض المتنطِّعين هذه القاعدة ، ونفى أن تكون من علم الأصول ، فدلَّ بإنكاره على جهل عريض ، وعقل مريض . وها أنذا أُبيِّن أدلَّتها في الوجوه الآتية :

أَحَدُهَا : أنَّ الذي يدلُّ على التَّحريم ثلاثة أشياء :

(١) النَّهي ، نحو : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

(٢) لفظ التَّحريم ، نحو : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ﴾ [المائدة: ٣] .

(٣) ذمّ الفعل أو التَّوعُّد عليه بالعقاب ، نحو : " من غشَّ فليس منا " [١] ، والتَّرك ليس واحداً من هذه الثَّلاثة ، فلا يقتضي التَّحريم .

ثَانِيْهَا : أنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧] ، ولم يقل وما تركه فانتهوا ، فالتَّرك لا يفيد التَّحريم .

ثَالِثُهَا : قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه " [٢]، ولم يقل : وما تركته فاجتنبوه . فكيف دلَّ التَّرك على التَّحريم ؟

رابِعُهَا : أنَّ الأُصوليِّين عرَّفوا السُّنَّة بأنَّها : قول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفعله وتقريره ولم يقولوا : وتركه ، لأنَّه ليس بدليل .

خَامِسُهَا : تقدَّم أنَّ الحكم خطاب الله ، وذكر الأُصوليِّين : أنَّ الذي يدلُّ عليه قرءان أو سنة أو إجماع أو قياس ، والتَّرك ليس واحداً منها فلا يكون دليلاً .

سَادِسُهَا : تقدَّم أنَّ التَّرك يحتمل أنواعاً غير التَّحريم ، والقاعدة الأصوليَّة : أنَّ ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال ، بل سبق أنَّه لم يرد أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك شيئاً لأنَّه حرام ، وهذا وحده كاف لبطلان الاستدلال به .

---

[١] أخرجه الترمذي (٢/ ٥٩٧ برقم ١٣١٥ ، وقال : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كَرِهُوا الغِشَّ ، وَقَالُوا : الغِشُّ حَرَامٌ) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٦١٦ برقم ٥٥١)

[٢] لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، وإنَّما روي بلفظ : " فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ " ، أخرجه البخاري (٩/ ٩٤ برقم ٧٢٨٨ ، واللفظ له) ، مسلم (٢/ ٩٧٥ برقم ١٣٣٧) ، الشافعي في المسند (ص٢٧٢) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٥٨ برقم ٧٤٩٢) ، البزار في المسند (١٤/ ١٣٨ برقم ٧٦٥٨) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ١٠٩ برقم ١٤٧٢) ، ابن حبان في الصحيح (١/ ٢٠٠ برقم ٢٠) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٢٨ برقم ١٧٦) ، البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٥٧١ برقم ١٨٢٣) ، القضاء والقدر (ص٢٣١ برقم ٢٩٦) ، السنن الصغير (٢/ ١٣٨ برقم ١٤٧٢) ، الحميدي في المسند (٢/ ٤٧٧ برقم ١١٢٥) ، أبو يعلى في المسند (١١/ ١٩٥ برقم ٦٣٠٥)

سَابِعُهَا : أنَّ التَّرك أصل لأنَّه عدم فعل ، والعدم هو الأصل والفعل طارىء والأصل لا يدلُّ على شيء لغة ولا شرعاً ، فلا يقتضي التَّرك تحريماً .

أَقْوَالٌ غَيْر محُرَّرَة :

قال ابن السَّمعاني : إذا ترك الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً وجب علينا متابعته فيه ، واستدلَّ بأنَّ الصَّحابة حيت رأوا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمسك يده عن الضَّبِّ توقَّفوا وسألوه عنه .

قلت : لكن جوابه بأنَّه ليس بحرام – كما سبق – يدلُّ على أنَّ تركه لا يقتضي التَّحريم . فلا حجَّة له في الحديث ، بل الحجَّة فيه عليه .

وسبق أنَّ التَّرك يحتمل أنواعاً من الوجوه ، فكيف تجب متابعته في أمر محتمل لأن يكون عادة أو سهواً أو غير ذلك مما تقدَّم ؟!

كَلَامُ ابْن تَيْمِيَة :

سُئل عمَّن يزور القبور ويستنجد بالمقبور ، في مرض به أو بفرسه أو بعيره ، ويطلب إزالة الذي بهم أو نحو ذلك ؟

فأجاب بجواب مطوَّل ، وكان ممَّا جاء فيه قوله : " ولم يفعل هذا أحد من الصَّحابة والتَّابعين ولا أمر به أحد من الأئمَّة " ، يعني أنَّهم لم يسألوا الدُّعاء من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته كما كانوا يسألونه في حال حياته .

وقلت في الرَّدِّ عليه : وأنت خبير بأنَّ هذا لا يصحُّ دليلاً لما يدَّعيه وذلك لوجوه :

أحدها : أنَّ عدم فعل الصَّحابة لذلك يحتمل أن يكون أمراً اتِّفاقياً ، أي : اتَّفق أنَّهم لم يطلبوا الدُّعاء منه بعد وفاته . ويحتمل أن يكون ذلك عندهم غير جائز ، أو يكون جائزاً وغيره أفضل منه فتركوه إلى الأفضل... ويحتمل غير ذلك من الاحتمالات...والقاعدة أنَّ ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال ، انتهى المراد منه .

قلت : ويؤيِّد أنَّهم لم يتركوه لعدم جوازه أنَّ بلال بن الحارث المزني الصَّحابي ذهب عام الرَّمادة إلى القبر النَّبويِّ ، وقال : " يا رسول الله استسق لأمَّتك ، فأتاه في المنام ، وقال له : " اذهب إلى عمر وأخبره أنكم مُسقون

، وقل له : عليك الكيس الكيس " . فأخبر عمر فبكى ، وقال : " اللهمَّ ما ءالوا إلَّا ما عجزت عنه " [1] ، ولم يعنِّفه على ما فعل ، ولو كان غير جائز عندهم لعنَّفه عمر .

ذِكْرُ حَدِيْث صَحِيْح لَا يَرُدُّ قَوْلَنَا :

قال البخاري في صحيحه : " باب الاقتداء بأفعال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، وروى فيه عن ابن عمر ، قال : اتَّخذ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتماً من ذهب ، فاتَّخذ النَّاس خواتيم من ذهب . فقال : إنِّي اتَّخذت خاتماً من ذهب " . فنبذه ، وقال : " إنِّي لن ألبسه أبداً " ، فنبذ النَّاس خواتيمهم [2] .

قال الحافظ : " اقتصر على هذا المثال لاشتماله على تأَسِّيهم به في الفعل والتَّرك " [3] .

قلت : في تعبيره في التَّرك تجوُّز ، لأنَّ النَّبذ فعل ، فهم تأسَّوا به في الفعل ، والتَّرك ناشئ عنه .

وكذلك لَمَّا خلع نعله في الصَّلاة ، وخلع النَّاس نعالهم ، تأَسَّوا به في خلع النَّعـــل ، وهو فعل نتيجته التَّرك .

وليس هذا محلّ بحثنا كما هو ظاهر .

وأيضاً ، فإنَّنا لا ننكر اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلِّ ما يصدر عنه ، بل نرى فيه الفوز والسَّعادة لكن ما لم يفعله كالاحتفال بالمولد النَّبويِّ وليلة المعراج ، لا نقول أنَّه حرام ، لأنَّه افتراء على الله ، إذ التَّرك لا يقتضي التَّحريم .

وكذلك ترك السَّلف لشيء – أي عدم فعلهم له – لا يدلُّ على أنَّه محظور . قال الإمام الشَّافعي : " كل ما له مستند من الشَّرع ، فليس ببدعة ، ولو لم يعمل به السَّلف " . لأنَّ تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت ، أو لما هو أفضل منه أو لعلَّه لم يبلغ جميعهم علم به .

مَاذَا يَقْتَضِي التَّرْك ؟

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

[2] أخرجه البخاري (٩/ ٩٦ برقم ٧٢٩٨) .

[3] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٧٥) .

بيَّنَّا فيما سبق أنَّ التَّرك لا يقتضي تحريماً ، وإنَّما يقتضي جواز المتروك ، ولهذا المعنى أورده العلماء في كتب الحديث . فروى أبو داود والنَّسائي عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : " كان ءاخر الأمرين من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك الوضوء ممَّا غيَّرت النَّار " (١) .

وأورده تحت ترجمة : ترك الوضوء ممَّا مسَّت النَّار .

والاستدلال به في هذا المعنى واضح ، لأنَّه لو كان الوضوء ممَّا طبخ بالنَّار واجباً ما تركه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحيث تركه دلَّ على أنَّه غير واجب .

قال الإمام عبد الوهَّاب التِّلمساني في مفتاح الوصول : " ويلحق في الفعل بالدِّلالة ، التَّرك . فإنَّه كما يستدلُّ بفعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عدم التَّحريم ، يستدلُّ بتركه على عدم الوجوب . وهذا كاحتجاج أصحابنا على عدم وجوب الوضوء ممَّا مسَّت النَّار به " .

روي أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل كتف شاة ثمَّ صلَّى ولم يتوضأ ، وكاحتجاجهم على أنَّ الحجامة لا تنقض الوضوء ، بما روى أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم ولم يتوضأ وصلَّى (٢) . ومن هنا نشأت القاعدة الأصوليَّة : جائز التَّرك ليس بواجب .

إِزَالَةُ اشْتِبَاه :

قسَّم العلماء ترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيء ما ، على نوعين : نوع لم يجد ما يقتضيه في عهده ثمَّ حدث له مقتض بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذا جائز على الأصل .

وقسم تركه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع وجود المقتضى لفعله في عهده ، وهذا التَّرك يقتضي منع المتروك ، لأنَّه لو كان فيه مصلحة شرعيَّة لفعلـــه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فحيث لم يفعله دلَّ على أنَّه لا يجوز .

ومثل ابن تيمية في ذلك بالأذان لصلاة العيدين الذي أحدثه بعض الأمراء ، وقال في تقريره : فمثل هذا الفعل تركه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع وجود ما يعتقد مقتضياً له ممَّا يمكن أن يستدلّ به من ابتدعه ، لكونه ذكر الله ودعاء للخلق إلى عبادة الله وبالقياس على أذان الجمعة .

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٩ برقم ١٩٢) ، النسائي في السنن الصغرى (١/ ١٠٧ برقم ١٨٢) .

(٢) انظر : مفتاح الوصول (ص٩٣) طبعة مكتبة الخانجي .

فلمّا أمر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأذان للجمعة ، وصلَّى العيدين بلا أذان ولا إقامة ، دلَّ تركه على أنَّ ترك الأذان هو السُّنَّة ، فليس لأحد أن يزيد في ذلك... إلخ كلامه .

وذهب إلى هذا أيضاً الشَّاطبي ، وابن حجر الهيثمي ، وغيرهما ، وقد اشتبهت عليهم هذه المسألة بمسألة السُّكوت في مقام البيان .

صحيح أنَّ الأذان في العيدين بدعة غير مشروعة ، لا لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركه ، ولكن لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن في الحديث ما يعمل في العيدين ولم يذكر الأذان ، فدلَّ سكوته على أنَّه غير مشروع .

والقاعدة : أنَّ السُّكوت في مقام البيان يفيد الحصر .

وإلى هذه القاعدة تشير الأحاديث التي نهت عن السُّؤال ساعة البيان .

روى البزَّار عن أبي الدَّرداء ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال ، وما حرَّم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإنَّ الله لم يكن لينسى شيئاً ، ثمَّ تلا : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] (١) .

قال البزَّار إسناده صالح ، وصحَّحه الحاكم .

وروى الدَّارقطني عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها " (٢) .

في هذين الحديثين إشارة واضحة إلى القاعدة المذكورة . وهي غير التَّرك الذي هو محلُّ بحثنا في هذه الرِّسالة ، فخلط إحداهما بالأخرى ممَّا لا ينبغي .

---

(١) أخرجه البزار في المسند (١٠/ ٢٦ برقم ٤٠٨) ، الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢٠٩ برقم ٢١٠٢) ، الدارقطني في السنن (٣/ ٥٩ برقم ٢٠٦٦) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٤٢ برقم ٣٤٧٧) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهـ) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١ برقم ١٩٧٢٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٢١ برقم ٥٨٩) ، المعجم الأوسط (٧/ ٢٦٥ برقم ٧٤٦١) ، المعجم الصغير (٢/ ٢٤٩ برقم ١١١١) ، مسند الشاميين (٤/ ٣٣٨ برقم ٣٤٩٢) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٣٢٥ برقم ٤٣٩٦) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٧) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤٥ برقم ٢٠١٢) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (٢/ ٩٦٥ برقم ١٢٣٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١ برقم ١٩٧٢٥) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٤٠٧ برقم ٣١٤) .

ولذا بيَّنت الفرق بينهما حتى لا يشتبها على أحد . وهذه فـــائدة لا توجد إلَّا في هذه الرِّسالة والحمد لله .

تَتْمِيْم :

قال عبد الله بن المبارك : أخبرنا سلام بن أبي مطيع عن ابن أبي دخيلة عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر فقال : " نهى رسول الله عن الزَّبيب والتَّمر يعني أن يخلطا " .

فقال لي رجل من خلفي ما قال ؟ فقلت : " حرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّمر والزَّبيب " ، فقال عبد الله بن عمر : " كذبت " ! فقلت : " ألم تقل نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه ؟ فهو حرام " ، فقال : " أنت تشهد بذلك ؟ " قال سلام كأنَّه يقول : ما نهى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أدب .

قلت : انظر إلى ابن عمر – وهو من فقهاء الصَّحابة – كذب الذي فسَّر نهى بلفظ حرَّم ، وإن كان النَّهي يفيد التَّحريم . لكن ليس صريحاً فيه بل يفيد الكراهة أيضاً ، وهي المراد بقول سلام : فهو أدب . ومعنى كلام ابن عمر : أنَّ المسلم لا يجوز له أن يتجرَّأ على الحكم بالتَّحريم إلَّا بدليل صريح من الكتاب أو السُّنَّة ، وعلى هذا درج الصَّحابة والتَّابعون والأئمَّة .

قال إبراهيم النَّخعي وهو تابعي : كانوا يكرهون أشياء لا يحرِّمونها ، وكذلك كان مالك والشَّافعي وأحمد كانوا يتوقَّون وقف إطلاق لفظ الحرام على ما لم يتيقَّن تحريمه لنوع شبهة فيه ، أو اختلاف أو نحو ذلك ، بل أحدهم يقول أكره كذا ، لا يزيد على ذلك .

ويقول الإمام الشَّافعي تارة : أخشى أن يكون حراماً ، ولا يجزم بالتَّحريم يخاف أحدهم إذا جزم بالتَّحريم أن يشمله قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦] .

فما لهؤلاء المتزمِّتين اليوم يجزمون بتحريم أشياء مع المبالغة في ذمِّها بلا دليل إلَّا دعواهم أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّ لم يفعلها ، وهذا لا يفيد تحريماً ولا كراهة ، فهم داخلون في عموم الآية المذكورة .

نماذج من التَّرك :

هذه نماذج لأشياء لم يفعلها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) الاحتفال بالمولد النَّبويِّ .

(٢) الاحتفال بليلة المعراج .

(٣) إحياء ليلة النِّصف من شعبان .

(٤) تشييع الجنازة بالذِّكر .

(٥) قراءة القرءان على الميِّت في الدَّار .

(٦) قراءة القرءان عليه في القبر قبل الدَّفن وبعده .

(٧) صلاة التَّراويح أكثر من ثمان ركعات .

فمن حرَّم هذه الأشياء ونحوها بدعوى أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها فاتل عليه قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩] .

لا يقال : وإباحة هذه الأشياء ونحوها داخلة في عموم الآية لأنَّا نقول : ما لم يرد نهي عنه يفيد تحريمه أو كراهيته ، فالأصل فيه الإباحة لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وما سكت عنه فهو عفو ، أي : مُباح " [١] .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب : " س : هل يجوز الاحتفال بالمولد النَّبوي ، نرجو منكم التَّوجيه ؟

ج : لقد سبق منَّا جوابات كثيرة في هذا البرنامج وفي غيره ، وكتبنا في هذا كتابات كثيرة ، فهذا الاحتفال بالمولد بدعة ، الاحتفال بالمولد بدعة عند أهل العلم ، عند أهل التَّحقيق بدعة الاحتفال بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره فلا يجوز الاحتفال بالموالد لا بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بغيره من الأنبياء والأخيار فما يفعله النَّاس بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو البدوي أو الشَّيْخ عبد القادر أو الحسن أو الحسين أو غيرهم كلّه بدعة لا يجوز .

والواجب الترضِّي عنهم ، واتِّباع طريقهم الطيِّب ، والإكثار من الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واتِّباع سبيله ، والحثّ على سنَّته ، وتعليم دينه ، والقيام بحقِّه من طاعة أمره ، وترك نهيه ، والسَّير على منهاجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو الواجب على المؤمن ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، ما قال: فاتخذوا مولداً لي احتفلوا بي قال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

---

(١) انظر : حسن التفهم والدرك لمسألة الترك (ص١٣٨-١٥٢) .

فعَلَامةُ المحبَّة اتِّباعه وطاعة أوامره وترك نواهيه ، أمَّا إقامة الموالد والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فهذا لا يجوز ، بل هو من وسائل الشِّرك !!! كثير من هؤلاء الذين يتَّخذون الموالد يقعون في الشِّرك في دعاء النَّبي والاستغاثة به ، وبعضهم يقع في بدعة التَّوسُّل بجاهه وبحقِّه ، وهذا لا يجوز . أمَّا التَّوسُّل بمحبَّته والإيمان به لا بأس ، اللهمَّ إنِّي أسألك بمحبَّة نبيِّك والإيمان بنبيِّك أن تغفر لي هذا لا بأس به ، أمَّا التَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي ، هذا بدعة ليس عليه دليل ، بل هو من البدع . والتَّوسُّل بمحبَّته والإيمان به والسَّير على منهاجه ، هذا توسُّل شرعيٌّ ، فالمقصود أنَّ الاحتفال بالموالد من البدع سواء كان ذلك بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بمولد غيره من الأنبياء أو الصَّالحين أو الصَّحابة أو غيرهم كله من البدع ، وهكذا الاحتفال بليلة النِّصف من شعبان أو بليلة تسع وعشرين من رجب يسمُّونها ليلة الإسراء والمعراج ، هذه بدعة أو الاحتفال بأوَّل ليلة من رجب أوَّل ليلة جمعة من رجب يسمَّونها صلاة الرَّغائب بدعة ، المقصود أنَّ الاحتفال بما لم يشرعه الله ، يتقرَّب به إلى الله ، هذا من البدع ، ما فعله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أصدق النَّاس وأنصح النَّاس ، علَّم الأمَّة كلَّ خير ودعاها إلى كلِّ خير ولم يحتفل بمولده في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث في المدينة عشر سنين وهو رئيس المؤمنين وأميرهم ليس له معارض ولم يحتفل بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ثمَّ الصِّدِّيق بعده ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ علي ثمَّ الخلفاء بعدهم ما احتفلوا بالمولد ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، فجميع القرون المفضَّلة لم يحدثوا الموالد ، إنَّما أحدثها الرَّافضة الفاطميُّون في القرن الرَّابع ، ثمَّ تابعهم بعض المسلمين جهلاً منهم وعدم بصيرة " (1) .

وقد تضمَّن كلام ابن باز في الفتوى السَّابقة ما يلي :

١ .أنَّ الكثير من هؤلاء المحتفلين بالموالد يقعون في الشِّرك في دعاء النَّبي والاستغاثة به ، وبعضهم يقع في بدعة التَّوسُّل بجاهه وبحقِّه ، وهذا لا يجوز . فالتَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي هذا بدعة ليس عليه دليل ، بل هو من البدع ...

٢ . أنَّ الاحتفال بميلاد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبميلاد غيره من الأنبياء ، وكذا بميلاد بعض الصَّالحين بدعة ... والواجب التَّرضِّي عنهم ، واتِّباع طريقهم الطيِّب ، والإكثار من الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(1) انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ٦١-٦٢) .

، واتِّباع سبيله ، والحثِّ على سنَّته ، وتعليم دينه ، والقيام بحقِّه من طاعة أمره وترك نهيه ، والسَّير على منهاجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو الواجب على المؤمن ...

وللرَّدِّ على ابن باز في هذه المسألة ، نقول :

أمَّا عن زعمه بأنَّ التَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي هذا بدعة ليس عليه دليل ، بل هو من البدع ... فكلامه هو البدعة ، وهو الباطل ، لأنَّ التَّوسُّل بجاه الرَّسول أمرٌ ثابت لا مطعن فيه ، سار عليه السَّلف والخلف على حدٍّ سواء ، وهو وغيره من المتمسلفة في كلامهم عن التَّوسُّل ومنعه مقلِّدون لابن تيمية وجدّهم محمَّد بن عبد الوهَّاب اللذين لا يحيدُ عن كلامهما مدَّعو السَّلفيَّة ... وهو أمرٌ اضطرني لبحث المسألة ، وقد أفضى البحث إلى ولادة سفرٍ جديد ضخم سمَّيته : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ، ولكون كلام المتمسلفة في هذه المسألة كثير في كلامهم ، أحببت أن أنقل بعضاً ممَّا ذكرته من أقوال أهل العلم في التَّوسُّل ضِمن الحِقب الزَّمانيَّة المختلفة ، وفي ذلك أقول :

قال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (٢٠٧هـ) : " وقال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس ، قلت : وهذا تصحيفٌ ، والصَّواب : أَبُو سبرة بْن أبي رهم بْن عبد العزى بْن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ، وتوفي أَبُو سبرة فِي خلافة عُثْمَان بْن عفان [1] ، وكان من السَّابقين والمتقدِّمين بإيمانهم في الإسلام ، وصاحب الهجرتين جميعاً ، قال : شهدتُ قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وشهدت المشاهد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر ، وفي أحد ، وفي حنين ، وقلت : إنِّي لا أشهد مثلها ، فلمَّا قُبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنتُ عليه ولم أستطع أن أُقيم بالمدينة بعد فقْده ، فقدمت مكَّة ، فأقمتُ بها ، فعوتبتُ في منامي من التَّخلُّف عن الجهاد ، فخرجتُ إلى الشَّام ، وشهدتُ أجنادين ، والشَّام ، وسريَّة خالد خلف توما وهربيس ، وشهدت سريَّة عبد الله بن جعفر ، وكنت معه على دير أبي القدس ... فألجأ إلى الله تعالى أَمْره ، وفوَّضَ إلى صاحب السَّماء شأنه ، ورفع يده إلى السَّماء ، وقال في دعائه : يا من خلق خلقه ، وأبلى بعضهم ببعض ، وجعل ذلك محنة لهم ، أسألك بجاه محمَّد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ما جعلت لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً " [2] .

---

[1] انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٦٦) ، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٤١) .

[2] انظر : فتوح الشام (١/ ٩٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله الواقدي (٢٠٧هـ) أيضاً : " ... فأرسل الكتاب لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقرأه على المسلمين ، واستشارهم في الأمر ، فقال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يا أمير المؤمنين مُر صاحبك أن يصير إلى بيت المقدس ، فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها ، فهو خير الرَّأي وأكبره ، وإذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه إلى قيسارية ، فإنَّها تفتح بعد أن شاء الله تعالى ، كذا أخبرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : صدقت يا أبا الحسن ، فكتب إليه : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم من عبد الله عمر بن الخطَّاب إلى عامله بالشَّام أبي عبيدة ، أمَّا بعد : فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلَّا هو ، وأصلِّي على نبيِّه ، وقد ورد عليَّ كتابك ، وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجَّه إليها ، وقد أشار ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّير إلى بيت المقدس ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك ، والسَّلام عليك ، ثمَّ طوى الكتاب ودفعه إلى عرفجة ، وأمره أن يعجِّل بالمسير فسار حتى قدم على أبي عبيدة ، فوجده على الجابية ، فدفع الكتاب إليه ، فقرأ على المسلمين ، ففرحوا بمسيرهم إلى بيت المقدس ، فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد ، وعقد له راية ، وضمَّ إليه خمسة آلاف فارس من خيل الزَّحف ، وسرَّحه إلى بيت المقدس ثمَّ دعا بيزيد بن أبي سفيان ، وعقد له راية على خمسة آلاف ، وأمره أن يلحق بخالد إلى بيت المقدس ، وقال له : يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلَّا ناصحاً ، فإذا أشرفت على بلد إيلياء ، فارفعوا أصواتكم بالتَّهليل والتَّكبير ، واسألوا الله بجاه نبيِّه ومن سكنها من الأنبياء والصَّالحين ، أن يسهِّل فتحها على أيدي المسلمين ... " (١) .

والواقدي هنا ينقل التَّوسُّل إلى الله تعالى بجاه نبيِّه ومن سكن بيت المقدس من الأنبياء والصَّالحين أن يسهِّل فتحها على أيدي المسلمين عن الصَّحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح ...

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (٢٠٧هـ) أيضاً : " ... ثمَّ إنَّ المغيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دخل إلى خيمته ، ولبس درعه ، وشدَّ وسطه بمنطقته ، وهي من الادم ، وفيها خنجران : واحد عن اليمين ، وواحد عن الشِّمال ، وتقلَّد بسيف من جوهر ، واعتقل برمح أسمر ، وركب جواده الأدهم ، وأخذ كلُّ واحد منهم عبده راكباً على بغلة ، وودَّعهم ، فالتفت الأمير عياض – عياض بن غانم الأشعري (٢٠هـ)- ، وقال للمغيرة : اعرف يا أبا شعبة ما تكلَّم به هذا الملعون ، فما عرفتك إلَّا مفلح الحجَّة ، فادعه إلى الإسلام ، وما فرض عليه من الصَّلاة ، والزَّكاة ، والصِّيام ، والحجِّ ، والجهاد ، وما أبيح من الحلال ،

---

(١) انظر : فتوح الشام (١/ ٩٤) .

وما حرم من الحرام ، فإن أبى فالجزية في كلِّ عام ، فإن أبى فالقتال بحدِّ الحسام ، ونرجو النَّصر من الملك الديَّان ، بجاه محمَّد خير الأنام " [١] .

فالواقديُّ هنا ينقل التَّوسُّل بجاه محمَّد خير الأنام عن الصَّحابي الجليل عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شدَّاد ، أبو سعد الفهري ، وهو ممَّن بايع بيعة الرِّضوان ، واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجرَّاح ، لَّما احتضر ، على الشَّام . وكان خيِّراً صالحاً زاهداً سخيَّاً . وهو الذي افتتح الجزيرة صلحاً . أقرَّه عمر على الشَّام ، فعاش بعد نحواً من عامين . وقيل : عاش ستِّين سنة ، ومات في سنة عشرين بالشَّام .

قال ابن سعد : شهد الحديبية ، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك " [٢] .

وقال الإمام عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) : " ... لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ربّ الْأَوَّلين والآخرين ، وَسَلام على عباده الَّذين اصْطفى ، توسَّلنا إِلَيْك يَا الله بجاه سيدنَا ومولانا محمَّد الْمُصْطَفى وَأَصْحَابه الْخُلَفَاء أَن يرزقنا تَوْبَة وَحسن الْوَفَاء وَالْهِدَايَة " [٣] .

فهذا أحد أعيان السَّلف : عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي (٢٣٨هـ) ، يتوسَّل إلى الله تعالى بجاه سيدنَا ومولانا محمَّد الْمُصْطَفى وَأَصْحَابه الْخُلَفَاء أَن يرزقه تَوْبَة ، وَحسن الْوَفَاء ، وَالْهِدَايَة ...

وجاء في " العلل ومعرفة الرجال " للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) : " سَأَلته عَن الرجل يمس مِنْبَر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتبرَّك بمسِّه ويقبِّله ، وَيفْعل بالقبر مثل ذَلِك أَو نَحْو هَذَا ، يُرِيد بذلك التَّقَرُّب إِلَى الله جلَّ وَعزَّ ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك " [٤] .

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) كما قال ابنه عبد الله رواية عنه : " سَمِعت أبي يَقُول : حججْت خمس حجج ، مِنْهَا ثِنْتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثَة مَاشِياً اَوْ ثِنْتَيْنِ مَاشِياً وَثَلَاثَة رَاكِباً ،

---

[١] انظر : : فتوح الشام (١/ ٢٢٠) .

[٢] انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٤) .

[٣] انظر : (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب (ص١٢١) .

[٤] انظر : العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٤٩٢) .

فضللت الطَّرِيق فِي حجَّة وَكنت مَاشِياً ، فَجعلت أقول : يَا عباد الله دلّونا على الطَّرِيق ، فَلم أزل أقول ذَلِك حَتَّى وَقعت الطَّرِيق اَوْ كَمَا قَالَ أبي " (١) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : " قَالَ ابن عُيَيْنَة : رجلَانِ صالحان يُستسقى بهما : بن عجلَان ، وَيزِيد بن يزِيد بن جَابر " (٢) .

فالنُّصوص السَّابقة تنقل التَّوسُّل عن الإمام أحمد بن حنبل ، هذا الإمام الجليل الذي غلا فيه متمسلفة هذا الزَّمان وكذا أسلافهم من المشبِّهة والمجسِّمة ، ونسبوا إليه أُموراً لم يقلها ، حتى صوَّروا ما قاله وما نسبوه إليه على أنَّه هو الإسلام ، مع أنَّه في الحقيقة أقلّ رتبة ممَّن سبقه من العلماء كـأبي حنيفة ، ومالك ، والشَّافعي ، وغيرهم ، ولعلَّ الفتنة التي تعرَّض لها هي السَّبب الرَّئيس في اشتهاره ، مع أنَّه كان مع أحمد في الفتنة غير واحد من العلماء الحفاظ ، وقد قضى بعضهم تحت التَّعذيب ...

ولا شكَّ في أنَّ من جاد بنفسه من أجل معتقده أفضل من غيره . ومن العلماء الذين امتحنوا في مسألة خلق القرآن : الإمام الحافظ أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغسَّاني (٢١٨هـ) ، الإمام محمَّد بن نوح العجلي (٢١٨هـ) ، الإمام الحافظ أبو نعيم الفضل بن دكين المُلائي (٢١٩هـ) ، الإمام الحافظ أبو عثمان عفَّان بن مسلم البصري (٢٢٠هـ) ، الإمام الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حمَّاد الخزاعي (٢٢٩هـ) ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي (٢٣١هـ) ، الإمام الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيي المصري البويطي (٢٣١هـ) ، الإمام أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن محمَّد الأذرمي (توفي ما بين ٢٤١هـ-٢٥٠هـ) .

فالإمام أحمد بريء كلّ البراءة ممَّا نسب إليه غُلاة الحنابلة الذين غلوا فيه تماماً كغلوِّ الرَّافضة في أئمَّتهم ...

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن العبَّاس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّد بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ الْأُمَوِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ الْعَامِرِيِّ ، قَالَ : ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ (١٠٥هـ) ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً ، كُنَّا بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ أَنَا وَعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ (٧٣هـ) ، وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ (٣هـ) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ فَرَغُوا مِنْ حَدِيثِهِمْ : لِيَقُمْ

(١) انظر : مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص٢٤٥) .

(٢) انظر : العلل ومعرفة الرجال (ص١٦٣) ، (ص٣٧٤) .

رَجُلٌ رَجُلٌ فَلْيَأْخُذْ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ، فَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ ؛ فإنَّه يُعْطِي مِنْ سَعَتِهِ ، قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْهِجْرَةِ ، فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ثمَّ قَالَ : اللهُمَّ إِنَّكَ عَظِيمٌ تُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ، أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَحُرْمَةِ عَرْشِكَ ، وَحُرْمَةِ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوَلِّيَنِي الْحِجَازَ وَيُسَلَّمُ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا مُصْعَبُ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ، فَقَالَ : اللهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ ، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوَلِّيَنِي الْعِرَاقَ وَتُزَوِّجَنِي سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ، فَقَالَ : اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْأَرْضِ ذَاتِ النَّبْتِ بَعْدَ الْقَفْرِ ، أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الْمُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِكَ !!! أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّى تُوَلِّيَنِي شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا ، وَلَا يُنَازِعَنِي أَحَدٌ إِلَّا أُتِيتُ بِرَأْسِهِ ، ثمَّ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمانِيِّ ثمَّ قَالَ : اللهُمَّ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوجِبَ لِيَ الْجَنَّةَ ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَمَا ذَهَبَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدُّنيا حَتَّى رَأَيْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ ، وَبُشِّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِالْجَنَّةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ " (١).

فالرِّواية تدلُّ على أنَّ الله تعالى استجاب لتوسُّلاتهم ، مع أنَّهم توسَّلوا بحُرْمَةِ بَيْتِه تعالى ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِه ... والمتوسِّلون قطعاً هم ممَّن عاش فترة السَّلف الصَّالح ...

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن العبَّاس المكِّي الفاكهي (٢٧٢هـ) : "حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا محمَّد بْنُ جُعْشُمٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، قَالَ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحمن بْنَ طَارِقِ بْنِ عَلْقَمَةَ ، أَخْبَرَهُ عَنْ أُمِّهِ " أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَاءَ مَكَاناً مِنْ دَارِ يَعْلَى – نَسِيَهُ عُبَيْدُ اللهِ – اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ فَدَعَا " وَكُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ كَثِيرٍ ، حَتَّى إِذَا جِئْنَا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَدَعَا ، وَقَالَ : بَلَغَنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ نَبِيٌّ " (٢) .

---

(١) انظر : أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي (١/ ١٤٠) .

(٢) انظر : أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي (٣/ ٢٥٦) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدَّينوري (٢٧٦هـ) : " ... أعادها الله تعالى للإسلام بجاه النَّبي عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (١) .

والإمام ابن قتيبة الدَّينوري (٢٧٦هـ) ، هو من علماء السَّلف الصَّالح ، وهو هنا توسَّل إلى الله تعالى بجاه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وقال الإمام ابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ ، سَمِعْتُ عَنَ كَثِيرِ بْنِ محمَّد بْنِ كَثِيرِ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بِكَ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ الدُّبَيْلَةُ ، فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : اللهُ ، اللهُ ، رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ وَرَبِّي أَنْ يَرْحَمَنِي مِمَّا بِي رَحْمَةً يُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثمَّ دَعَا إِلَى ابْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بَرَأْتَ ، مَا بِكَ عِلَّةٌ "(٢) .

فالإمام الحافظ ابن أبي الدُّنيا ينقل هنا توسُّل الرَّجل وتوجُّهه إلى الله تعالى بِنَبِيِّه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقرَّاً غير معترضٍ ولا مُنكِرٍ ...

قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " ... فَهَذَا الدُّعَاءُ وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّه دَعَا بِهِ السَّلَفُ ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ " (٣) .

فابن تيمية يعترف بأنَّه نُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ ، ولذلك فإنَّ من منع التَّوسُّل إلى الله بالأنبياء ، ليس على منهج أحمد ، وهذه مدعـــاة للمتمسلفة كي يُراجعوا أنفسهم في هذه المسألة وغيرها من المسائل التي خالفوا فيها أحمد وغيره من أساطين العلم ...

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، نَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُقْرِئُ ، نَا الْأَصْمَعِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ غَزَا بِلادَ الرُّومِ ، فَمَاتَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَقُبِرَ مَعَ سُورِ الْمَدِينَةِ وَبُنِيَ عَلَيْهِ ، فلمَّا أَصْبَحُوا أَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الرُّومُ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ! قَدْ كَانَ لَكُمُ

---

(١) انظر : أدب الكاتب (ص١) .

(٢) انظر : مجموعة وسائل ابن أبي الدُّنيا كتاب مجابي الدعوة ، ابن أبي الدُّنيا (١/ ٨٥) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

اللَّيْلَةَ شَأْنٌ . فَقَالُوا : مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَالله لَئِنْ نُبِشَ لا ضُرِبَ بِنَاقُوسٍ فِي بِلادِ الْعَرَبِ . قَالَ : وَكَانَ الرُّومُ إِذَا أَمْحَلُوا كَشَفُوا عَنْ قَبْرِهِ ؛ فَأُمْطِرُوا " (١) .

والرِّواية صريحةٌ في توسُّل الكفرة وتبرُّكهم بقبر الصَّحابي الجليل : أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ المدفون على أسوار القسطنطينيَّة ... فإذا كان الله تعالى قَبِلَ توسُّل الكفرة بقبر أبي أيوب ، فما بالك بالمؤمنين الموحِّدين الذين يتوسَّلون إلى الله تعالى بجاه الصَّالحين مع إيمانهم المطلق بأنَّ المتوسَّل به لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرَّاً ، وأنَّ الله تعالى هو النَّافع الضَّار ...

وقال الإمام محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، في ترجمة علي بن موسى الرضا (٢٠٣هـ) : " ... وقبره بسناباذ خَارج النوقان مَشْهُور يُزار بِجنب قبر الرَّشيد قد زرته مرَاراً كَثِيرَة ، وَمَا حلَّت بِي شدَّة فِي وَقت مقَامي بطوس فزرت قبر عَليّ بن مُوسَى الرِّضَا صلوَات الله على جدِّه وَعَلِيهِ ودعوت الله إِزَالَتهَا عَنى إِلَّا أستجيب لي ، وزالت عَنِّى تِلْكَ الشِّدَّة ، وَهَذَا شَيْء جرَّبته مرَاراً فَوَجَدته كَذَلِك . أماتنا الله على محبَّة المصطفى وَأهل بَيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم أَجْمَعِينَ " (٢) .

وهذا الإمام ابن حبَّان ينقل توسُّله بقبر الإمام علي بن موسى الرِّضا (٢٠٣هـ) ، ويشهد أنَّه مَا حلَّت به شدَّةٌ فِي وَقت مقَامه بطوس ، فزاره ودعا الله إِزَالَتهَا عَنه إِلَّا أستجاب الله له ، وزالت عَنه تِلْكَ الشدَّة ، وَهَذَا شَيْء جرَّبه مرَاراً ، فَوَجَده كَذَلِك ...

وقال الإمام محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التَّيمي ، أبو حاتم، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى محمَّد بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ محمَّد بْنَ إِسْحَاقَ ، يُحَدِّثُ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ (٥٤هـ) يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَقَالَ : تُصَلِّي إِلَى قَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ ، فَقَالَ لَهُ قَوْلاً قَبِيحاً ، ثُمَّ أَدْبَرَ ، فَانْصَرَفَ أُسَامَةُ ، فَقَالَ : يَا مَرْوَانُ إِنَّكَ آذَيْتَنِي ، وَإِنِّي

---

(١) انظر : المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٨٩) ، وانظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٣٨) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٢) .

(٢) انظر : الثقات (٨/ ٤٥٧) .

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، وَإِنَّكَ فَاحِشٌ مُتَفَحِّشٌ " (١)
.

فابن حبَّان وغيره من رواة السُّنَّة هنا ينقلون بسند حسن – على ما قاله الأرنؤوط في تخريجه للأثر – تحرِّي الصَّحابي الجليل أُسَامَة بْنَ زَيْدٍ (٥٤هـ) للصَّلاة عند قَبْرِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً به ...

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " ... أحسن الله عاقبتها بمحمد وآله " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " وَبِاللَّهِ أستعين ، وَعَلِيهِ أتوكل ، وعَلى نبيه أُصَلِّي ، وَبِه أتوسَّل ، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ الْعلي الْعَظِيم " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار البغدادي الدَّارقطني (٣٨٥هـ) : " وأمَّا ذو النُّور ، فهو عبد الرَّحمن بن رَبيعة الباهلي (٣٢هـ) ، استعمله عُمَر على الباب والأبواب وقتال الترك وقتل بِبَلَنْجَر في خلافة عُثْمان في سنة تسع من إمارة عُثْمان ، وكان أمير الجيش والأتراك يستسقون بجسده إلى اليوم ، وجعلوه في سفط ، هو أخو سلمان بن ربيعة الباهلي (٣٠هـ) الذي يَرْوي عن عُمَر بن الخطاب حديثاً رواه عنه أبو وَائِل ، وكان سلمان قاضي الكوفة " (٤) .

---

(١) انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ٥٠٦-٥٠٧ برقم ٥٦٩٤) ، قال الشَّيْخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبَّان : " إسناده حسن ، رجال ثقات رجال الشيخين غير محمَّد بن إسحاق ، فقد روى له البخاري تعليقاً ، ومسلم متابعة ، وأصحاب السنن، وهو صدوق . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٤٠٥) من طريق علي بن المديني ، عن وهب بن جرير ، لهذا الإسناد . ولفظه : رأيت أسامة بن زيد عند حجرة عائشة يدعو ، فجاء مروان فأسمعه كلاماً ، فقال أسامة : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " إن اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُبغض الفاحش البذيء " . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/ ٦٤ وقال : رجاله ثقات . وأخرج المرفوع منه الطبراني في " الكبير " (٣٩٩) و (٤٠٤) ، وفي " الأوسط " (٣٣٠) ، والخطيب في " تاريخ بغداد " ١٣/ ١٨٨ من طريقين عن عثمان بن حكيم ، عن محمَّد بن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أسامة ، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٠٢ عن حسين بن محمَّد ، عن أبي معشر ، عن سليم مولى ليث ، عن أسامة . أبو معشر ضعيف ، وسليم مولى ليث لا يعرف . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/ ٦٤ ، وقال : رواه أحمد والطبراني في " الكبير " و" الأوسط " بأسانيد ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات .

(٢) انظر : بحر العلوم (٣/ ٦١٣) .

(٣) انظر : التعرُّف لمذهب أهل التصوف (ص٢١) .

(٤) انظر : المؤتَلِف والمختَلِف (٢/ ١٠٠٠) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٠) ، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢٥٨) .

وقال الإمام أبو حيَّن التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّس (٤٠٠هـ) : " قال أبو العيناء : حدَّثني حجاج بن نصير ، قال : سمعت إبراهيم بن عبد الله بن حسن (١٤٥هـ) في يوم عيد يخطب ، فقال : اللهمَّ إنَّهذا يوم أنت ذاكر فيه آباء بأبناء بآباء ، فاذكرنا عندك بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (١) .

والأثر يحمل توسُّل إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (١٤٥هـ) ، بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وقال الإمام أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري في ترجمة إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، الأستاذ الإمام ، الإِسْفَرايِيني (٤١٨هـ) : " ... والنَّاس يتبرَّكون ويزورونه ، وتُستجاب عنده الدَّعوات " (٢) .

وقال الإمام منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) : " قَالَ إِبْرَاهِيم بن عبد الله بن حسن : وجدت جَمِيع مَا يطْلب الْعباد من جسيم الْخَيْر عِنْد الله فِي ثَلَاث : فِي الْمنطق وَالنَّظَر وَالسُّكُوت ؛ فَكل منطقٍ لَيْسَ فِيهِ ذكرٌ فَهُوَ لَغْو ، وكل سكوتٍ لَيْسَ فِيهِ تفكرٌ فَهُوَ سهوٌ ، وكل نظر لَيْسَ فِيهِ عِبْرَة فَهُوَ غفلةٌ . فطوبى لمن كَانَ مَنْطِقه ذكراً ، وَنَظره عبراً ، وسكوته تفكُّراً ، ووسعه بَيته، وَبكى على خطيئته ، وَسلم الْمُسلمُونَ مِنْهُ . وَقَالَ فِي خطبَته يَوْم الْفطر : اللَّهُمَّ إِنَّك ذاكرٌ الْيَوْم آبَاءَنَا بأبنائهم وَأَبْنَاءَنَا بآبائهم ؛ فاذكرنا عنْدك بِمُحَمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَا حَافظ الْآبَاء فِي الْأَبْنَاء احفظ ذُرِّيَّة نبيك . قَالَ : فَبكى النَّاس بكاء شَدِيداً " (٣) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُعَدَّلُ الْأَصْبَهَانِيُّ بنَيْسَابُورَ ، ثنا أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ وَمَوْلِدُهُ بأَصْبَهَانَ ، ثنا أَبُو الصَّلْتِ عَبْدُ السَّلام بْنِ صَالِحٍ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا (٢٠٣هـ) ، وَدَخَلَ نَيْسَابُورَ رَاكِباً بَغْلَةً شَهْبَاءَ أَوْ بَغْلاً أَشْهَبَ ، الشَّكُّ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ ، فَعَدَا فِي طَلَبِهِ عُلَمَاءُ الْبَلَدِ يَاسِينُ بْنُ النَّضْرِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَتَعَلَّقُوا بِلِجَامِهِ فِي الْمُرَبَّعِ ، فَقَالُوا : بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ ، حَدِّثْنَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِيكَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي الْعَدْلُ الصَّالِحُ مُوسَى بْنُ

---

(١) انظر : البصائر والذخائر (٤/ ٢٠) .

(٢) انظر : السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِيّ (١/ ١٧٧) .

(٣) انظر : نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (١/ ٢٥٩) .

جَعْفَرٍ ، قَالَ مُوسَى : حَدَّثَنِي أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ محمَّد ، حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو جَعْفَرٍ بَاقِرُ الْعِلْمِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ ، حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحُسَيْنُ ، حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدُ الْعَرَبِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهَّ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : إِنْ قَرَأْتَ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَى مجْنُونٍ بُرِئَ مِنْ جُنُونِهِ ، وَمَا عَيْبُ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا جَوْدَةُ إِسْنَادِهِ " (١) .

والأثر يحمل توسُّل كل من : ياسين بْن النَّضْر ، القاضي أَبُو سعَيد النَّيسابوري (توفي ما بين ٢٥١هـ-٢٦٠هـ) ، وأَحْمد بن حَرْب بن محمَّد الطَّائِي الموصِلِي (٢٦٣هـ) ، يحيى بْن يحيى أَبُو زكريا النيسابُوري التَّميمي (٢٢٦هـ) بِحَقِّ آبَاء الإمام عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا الطَّاهِرِينَ ...

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " أُمُّ حَرَامَ بِنْتُ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةُ خَالَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، كَانَتْ تحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِ الْبَحْرِ ، وَمَاتَتْ بِالشَّامِ ، وَقُبِرَتْ بِقُبْرُسَ ، وَقَصَتْهَا بَغْلَتُهَا فَمَاتَتْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْتَسْقُونَ بِهَا ، يَقُولُونَ : قَبْرُ الْمَرْأَةِ الصَّالحَةِ ، قِيلَ : اسْمُهَا الرُّمَيْصَاءُ ، وَقِيلَ : الْغُمَيْصَاءُ أَيْضاً " (٢) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الله ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ الطُّوسِيُّ ، ثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْعَبْدِيُّ ، ثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، ثنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، ثنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : اسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِحِمْصَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ جُذَيْمٍ الْجُمَحِيُّ ، فلمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حِمْصَ ، قَالَ : يَا أَهْلَ حِمْصَ ، كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَامِلَكُمْ ؟ فَشَكَوْهُ إِلَيْهِ – وَكَانَ يُقَالُ لِأَهْلِ حِمْصَ : الْكُوَيْفَةُ الصُّغْرَى لِشِكَايَتِهِمُ الْعُمَّالَ – قَالُوا : نَشْكُو أَرْبَعاً : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتعَالَى النَّهَارُ ، قَالَ : أَعْظِمْ بِهَا ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً بِلَيْلٍ ، قَالَ : وَعَظِيمَةٌ ، قَالَ: وَمَاذَا ؟ قَالُوا : وَلَهُ يَوْمٌ فِي الشَّهْرِ لَا يَخْرُجُ فِيهِ إِلَيْنَا ، قَالَ : عَظِيمَةٌ ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : يَغْنَظُ الْغُنْظَةَ بَيْنَ الْأَيَّامِ – يَعْنِي تَأْخُذُهُ مَوْتَةٌ – قَالَ : فَجَمَعَ عُمَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَالَ : اللهُمَّ لَا تُقْبَلْ رَأْيِي فِيهِ الْيَوْمَ ، مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى

---

(١) انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) (١/ ١٧٤) ، وانظر : التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٨٢) .

(٢) انظر : معرفة الصحابة ، أبو نعيم الأصبهاني (٦/ ٣٤٧٩) ، وانظر أيضاً : تاريخ دمشق (٧٠/ ٢١٧) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٣٤٠) .

يَتَعَالَى النَّهَارُ ، قَالَ : وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَكْرَهُ ذِكْرَهُ ، لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَعْجِنُ عَجِينِي ثمَّ أَجْلِسُ حَتَّى يَخْتَمِرَ ثمَّ أَخْبِزُ خُبْزِي ، ثمَّ أَتَوَضَّأُ ثمَّ أَخْرَجُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِيكَ بِشَوْكَةٍ ، ثمَّ نَادَى : يَا محمَّد ، فَمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتَرْكِي نُصْرَتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، وَأَنَا مُشْرِكٌ لَا أُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَغْفِرُ لِي بِذَلِكَ الذَّنْبِ أَبَداً ، قَالَ : فَتُصِيبُنِي تِلْكَ الْغِنْظَةُ ... " (١) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، في ترجمة شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيُّ (١٩٤هـ) : " قَالَ عَلِيُّ بْنُ محمَّد بْنِ شَقِيقٍ : كَانَ لِجَدِّي ثَلَاثُمِائَةِ قَرْيَةٍ يَوْمَ قُتِلَ بِوَاشْكَرْدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفَنٌ يُكَفَّنُ فِيهِ ، قَدَّمَهُ كُلُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَثِيَابُهُ وَسَيْفُهُ إِلَى السَّاعَةِ مُعَلَّقٌ ، يَتَبَرَّكُونَ بِهِ " (٢) .

والرِّواية ذكرها الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) في الشُّعب ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، أنا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْفَقِيهُ ، بِبَغْدَادَ ، نا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، يَقُولُ : " حَجَجْتُ خَمْسَ حِجَجٍ ، اثْنَتَيْنِ رَاكِباً ، وَثَلَاثَ مَاشِياً ، أَوْ ثَلَاثَ رَاكِباً ، وَاثْنَتَيْنِ مَاشِياً ، فَضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فِي حَجَّةٍ ، وَكُنْتُ مَاشِياً فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهِ ، دُلُّونِي عَلَى الطَّرِيقِ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " ... ومقبرة باب البردان فيها أيضا جماعة من أهل الفضل . وعند المصلَّى المرسوم بصلاة العيد كان قبره يعرف بقبر النُّذور ، يقال : إنَّ المدفون فيه رجل من ولد عَلِيّ بْن أَبِي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتبرَّك النَّاس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو محمَّد الْحَسَن بْن الحسين بْن محمَّد بْن رامين الإستراباذي ، قَال : أَخبرنا أَحْمَد بْن جعفر بْن حمدان القطيعي ،

---

(١) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٤٦) .

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٥٩) .

(٣) انظر : شعب الإيمان (١٠/ ١٤١) ، وانظر : تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٨) .

(٤) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٢٤٥-٢٤٦) .

قَالَ : سمعت الْحَسَن بْن إِبْرَاهِيمَ أبا عَلِيّ الخلال ، يقول : ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ مُوسَى بْن جعفر ، فتوسَّلت به إلا سهَّل الله تعالى لي ما أحب " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحمن إسماعيل بْن أَحْمَد الحيري الضَّرير ، قَالَ : أخبرنا أَبُو عَبْد الرَّحمن محمَّد بْن الحسين السّلمي ، بنيسابور ، قَالَ : سمعت أبا بكر الرَّازي ، يقول : سمعت عَبْد الله بْن مُوسَى الطلحي ، يقول : سمعت أَحْمَد بْن الْعَبَّاسِ ، يقول : خرجت من بغداد ، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة ، فقال لي : من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد ، خفت أن يخسف بأهلها . فقال : ارجع ولا تخف ، فإنَّ فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا . قلت : من هم ؟ قَالَ : ثمَّ الإمام أَحْمَد بْن حَنْبَل (٢٤١هـ) ، ومعروف الكرخي (٢٠٠هـ) ، وبشر الحافي (٢٢٧هـ) ، ومنصور بْن عمار (٢٢٥هـ) . فرجعت وزرت القبور ، ولم أخرج تلك السَّنة " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْد الله الحسين بْن عَلِيّ بْن محمَّد الصيمري ، قَالَ : أخبرنا عُمَر بْن إِبْرَاهِيمَ المقرئ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مكرم بْن أَحْمَد ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَر بْن إسحاق بْن إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن ميمون ، قَالَ : سمعت الشَّافعي (٢٠٤هـ) ، يقول : إني لأتبرَّك بأبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وأجيء إِلَى قبره في كلِّيوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صلَّيت ركعتين ، وجئت إِلَى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتى تقضى " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : "أَخْبَرَنِي أَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بْن عُمَر البرمكي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الفضل عبيد الله بْن عَبْد الرَّحمن بْن محمَّد الزهري ، قَالَ : سمعت أَبِي يقول : قبر معروف الكرخي (٢٠٠هـ) مجرَّب لقضاء الحوائج ، ويقال : أنَّه من قرأ عنده مائة مرة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وسأل الله تعالى ما يريد ، قضى الله له حاجته" (٤) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٢) ، وانظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٩/ ٨٩) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٣) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، وانظر : مناقب أبي حنيفة ، الإمام الموفق بن أحمد المكي (ص٤٥٣) .

(٤) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، طبقات الأولياء (ص٢٨١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " حَدَّثَني أَبُو عَبْد الله محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِ اللهَّ الصّوري ، قَالَ : سمعت أبا الحسين محمَّد بْن أَحْمَد بْن جميع ، يقول : سمعت أبا عَبْد الله ابْن المحاملي ، يقول : أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهمومٌ إلَّا فرَّج الله همَّه " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ حَمْدَوَيْهِ النَّيْسَابُورِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ محمَّد الْمُذَكِّرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَقِيهُ الرَّازي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ محمَّد بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ طَاهِرٍ ، قَالَ : كُنْتُ وَاقِفاً عَلَى رَأْسِ أَبِي وَعِنْدَهُ أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ حَنْبَلٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ ، وَأَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ ، فَقَالَ أَبِي : لِيُحَدِّثَنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِحَدِيثٍ ؛ فَقَالَ : أَبُو الصلت حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا ، وَكَانَ وَاللهَّ رِضاً كَمَا سُمِّيَ ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ محمَّد ، عَنْ أَبِيهِ محمَّد بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ " .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَا هَذَا الإِسْنَادُ ؟! فَقَالَ لَهُ أَبِي : هَذَا سُعُوطُ الْمَجَانِينِ ، وَإِذَا سَعَطَ بِهِ الْمَجْنُونُ بَرَأَ " (٢) .

وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النِّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " ... وقبر أبي أيوب قرب سورها معلوم إلى اليوم معظم يستسقون به فيسقون " (٣) .

وقال الإمام أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) : " ... ودعوت الله تَعَالَى أَن يوفِّقني لطاعته ، وَأَن يغْفر ذَنبي ، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهدي عباده جَمِيعاً لما يرضاه ، وَيغْفر لَهُم ذنوبهم ، بِحَق محمَّد وَآله الطاهرين " (٤) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (٣/ ٤٢١) .

(٣) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٢٦) ، وانظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ١٢١) ، معرفة الصحابة ، أبو نعيم الأصبهاني (٢/ ٩٣٣).

(٤) انظر : سفر نامه (ص٦٠) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) : " غفر اللهّ لكاتبه ، ونفع به صاحبه ، وألهمه لما فيه ، واستعمله بما يرضيه ، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " (١) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " كتاب أسرار الحج : ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السَّلام ، وزيارة قبور الصَّحابة والتَّابعين ، وسائر العلماء والأولياء ، وكلُّ من يُتبرَّك بمشاهدته في حياته يُتبرَّك بزيارته بعد وفاته . ويجوز شدُّ الرِّحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تُشدُّ الرِّحال إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمُسْجِدِ الحرام ، والمسجد الأقصى " ، لأنَّ ذلك في المساجد ، فإنَّها متماثلة بعد هذه المساجد . وإلَّا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبيـــاء والأولياء والعلمـــاء في أصل الفضل ، وإن كان يتفاوت في الدَّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله" (٢) .

وقال الإمام أمين الدَّولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطَّرابلسي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ) : " نسأل الله توفيقاً لما أغرب عن ذلك المقام ، وأعفى من ذلك الغرام ، ونتوجَّه إليه بمحمَّد وآله عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام . هذا كلام الوزير رحمه الله " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) : " فقدْ مدَدْنا إليْكَ يدَ المسْألَةِ ، وبخَعْنا بالاسْتِكانَةِ لكَ والمَسْكَنةِ ، واستَنْزَلْنا كرَمَك الجَمّ ، وفضْلَكَ الذي عمّ ، بضَراعَةِ الطّلَبِ ، وبِضاعَةِ الأمَلِ ، بالتَّوسُّلِ بمحَمّدٍ سيِّدِ البَشَرِ ، والشَّفيعِ المُشفَّعِ في المحْشَرِ ، الذي ختَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وأعليتَ درجتَهُ في عِلّيّينَ " (٤) .

وقال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، في ترجمة علي بْن محمَّد بْن بشار أَبُو الحسن الزَّاهد العارف : " ... وتُوفي لسبع خلون من شهر ربيع الأوَّل سنة ثلاث عَشْرَة وثلاثمائة ، ودُفن بالعقبة قريباً من النَّجمي ، وقبره الآن ظاهر يتبرَّك النَّاس بزيارته " (٥) .

---

(١) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٢٠٠) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٢٤٧) ، وانظر : (٤/ ٤٩٠) .

(٣) انظر : المجموع اللفيف (ص٢٩) .

(٤) انظر : مقامات الحريري (ص١٢) .

(٥) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) .

وقال الإمام القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) في ترجمة أَبُو جَعْفَر عبد الخالق بْن عيسى بْن أَحْمَد بن محمَّد بْنِ عِيسَى بْن أَحْمَد بْن موسى بْن محمَّد بن إبراهيم بْن عَبْدِ اللهَّ بْن معبد بْن العبَّاس بْن عبد المطَّلب (٤٧٠هـ) : " وحفر لَهُ بجنب قبر إمامنا أَحْمَد ، فدُفن فِيهِ وأخذ النَّاس من تراب قبره الكثير تبرُّكاً به . ولزم النَّاس قبره ليلاً ونهاراً مدَّة طويلة ، ويقرأون ختمات ويكثرون الدُّعاء . ولقد بلغني أنَّه ختم عَلَى قبره فِي مدَّة شهور ألوف ختمات ، وكثرت المنامات من الصَّالحين بالرُّؤى الصَّالحة لَهُ ... " (١) .

وفي كلامه عن فتح أذربيجان ، قال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " ... افتتحها ، يعني : أذربيجان البراء بن عازب ، فهي مختلطة منها عنوة ومنها صلح ، ويقال : افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في زمن عثمان ، ويقال : بل الوليد افتتحها ثمَّ بعث الوليد من فور ذلك سلمان بن ربيعة ، فمات ببلنجر ، فقبره اليوم يستسقون به .

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، أنا رشأ بن نظيف ، أنا أبو محمَّد المصري ، نا أحمد بن مروان ، نا أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، نا ابن سعد ، نا محمَّد بن عمر الأسلمي ، نا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن الفضيل بن أبي عبد الله بن دينار الأسلمي أنَّ سلمان بن ربيعة الباهلي غزا بلاد التُّرك في خلافة عثمان بن عفان ، فقتل بالانجر ، فجعل أهل تلك النَّاحية عظامه في تابوت ، فإذا احتبس عنهم القطر أخرجوه فاستسقوا به ، وقال في ذلك ابن جمانة الباهلي الشَّاعر :

إنَّ لنـــــــــا قبرين قبر بالانجر   وقبراً بأعلى الصِّيـــــــــــن يا لك من قبر

فهذا الذي بالصِّين عمَّت فتوحـــه   وهذا الذي بالتُّرك يسقـــــــــــى به القطر

القبر الذي بالصِّين قبر قتيبة بن مسلم " (٢) .

وقد تكلَّمت بإسهاب كبير في مسألة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين ، في كتاب خاصٍّ سمَّيته : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ، وقد بلغت صفحاته (٦٦٩ صفحة) ... وفي الفصل الخاصِّ بتكفير الوهَّابيَّة للمتوسِّلين من هذا الكتاب ، سنستوفي الكلام في مسألة مشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بإذن الله تعالى ...

---

(١) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤١) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٢١/ ٤٧٤) .

ولم يكتف المتمسلفون بتكفير النَّاس المخالفين لهم في الأصول ، بل تعدَّى ذلك إلى الفروع ... وفيما يلي نماذج لتكفيرهم وتفسيقهم وتبديعهم النَّاس بالفروع ، مع أنَّني خصَّصت كتاباً مستقّلاً ناقشت فيها العديد العديد من فتاويهم الظَّالمة الجائرة ...

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُوْن : زعم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ المنادين بتعليم المرأة هم أفراخ الإفرنج (١) .

الثَّالِثَةُ وَالثَّلاثُوْن : زعم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّـــاب بأنَّ المُطالبين بتعليم المرأة يحاولون بطلبهم إخراج البنات من بيوتهنَّ ، ليتمكَّنـوا من التَّمتُّع بهنَّ بحيلة التَّعليم (٢) .

الرَّابِعَةُ وَالثَّلاثُوْن : اعتبروا فتح المدارس لتعليم البنات مصيبة عظيمة ، وطامَّة كبرى ... فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " إنَّ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة ، كانت - بحمد الله - آمنة مطمئنَّة ، متمسِّكة بشرائع الإسلام ، منفِّذة لتعاليم الدِّين ، متَّبعة للقرآن ، وعاملة بسنن خير المرسلين ؛ ولكن يا للأسف ، دبَّ إليها الشرُّ من حيث لا يعلمون ، واستحكم فيها البلاء من حيث لا يدرون . بسبب بعض التَّعليم الحديث ، وبعض المعلِّمين الأجانب ، ودخول المجلَّات الدَّاعرة ، والصُّحف الفاجرة ، واستماع الإذاعات الملحدة المملوءة بالنَّيل من الدِّين ورجاله ، والطَّعن في الإسلام ونظامه ، والتَّصريح بأنَّ التمسُّك بالدِّين جمود ورجعيَّة ، وأنَّ الانحلال والإلحاد تقدُّمٌ ومدنيَّة .

وبهذه الأمور اختلَّت الأخلاق ، وتغيَّرت الفِطر ، وترك كثير من أوامر الله ، وارتكب كثير من نواهيه ، وبثَّ بعض المعلِّمين الأجانب - الذين لا صلة لهم بالدِّين ولا علاقة - في نفوس كثير من الطلبة كراهة الدِّين وأهله ، وتنقّصهم ، والاستخفاف بهم ؛ حتى أنَّهم يتنقَّصون الحكومة ، وينتقدون الكثير من أعمالها . وتحقَّق ضررُ هؤلاء المعلِّمين الأجانب ، على أبناء هذه المملكة ، وظهر سوء عاقبتهم على الدِّين والأخلاق والحكومة !!! وكنَّا في أمل من حكومتنا - وفَّقها الله - للانتباه والإصلاح ، وتدارك ما حصل بتعديل مناهج الدِّراسة ، على ما يقوم به الدِّين ، وتحصل به منفعة للوطن ، وإبعاد المعلِّمين الأجانب المنحرفين !!! ومنع المجلَّات والصُّحف الضارَّة .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٨١) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٨٢) .

إذ فجأنا خبر فادحٌ ، ومصيبةٌ عظيمةٌ ، وطامةٌ كبرى ؛ ألا وهي فتح مدارس لتعليم البنات في المملكة العربيَّة السعوديَّة على نحو التَّعليم الموجود في البلاد المنحلَّة ، عن الدِّين والأخلاق . وقد عارض بعض المسلمين في تعليم المرأة بهذه الصِّفة ، خوفاً من فتنتها ، وحذراً من ضررها على المجتمع ، في المستقبل بعد مدَّة .

وألفت نظر ولاة الأمور ، إلى أنَّه لا مانع من توسيع تعليم المرأة على المنهج الذي يقرِّه الدِّين وتعاليمه ، مع التمسُّك بالحجاب ، وبالأخلاق الفاضلة ، وكما كان التَّعليم زمن السَّلف الصَّالح ، مثل تعليمها التَّوحيد ، والطَّهارة ، والصَّلاة ، وأحكام الحيض والنُّفاس ، وأمور دينها الواجب عليها ، وكتربية أولادها ، وتدبير منْزلها ، وغير ذلك من الأمور النَافعة لها ؛ وهذا فيما يظهر ونظنّ ، هو هدفُ الحكومة – أيَّدها الله – ورغبتها . ولذا جعلوها منوطة بالمشائخ ، وقد عيَّنوا برياستها شيخاً منهم ، مؤمِّلين فيه السَّير بمدارس البنات على الهدف المنشود ؛ ولكن يا للأسف ! بأوَّل سنة شوهد تبدُّل الأمر ، وسوء الحال : فقد نشرت جريدة البلاد ، بعددها (٧٠٣) في (٣/ ٢/ ١٣٨٠هـ) مقالاً للرَّئيس المذكور ، يتضمَّن عزمه على إدخال مواضيع الحساب ، والهندسة ، والجغرافيا ، بمناهج مدارس البنات ، في السَّنة الدِّراسيَّة القادمة ؛ لأنَّ هذه المواضيع لم تكن تدرَّس في هذه السَّنة . هذا وقد صرَّح الرَّئيس العام لمدارس البنات بأنَّ منهاج مدارس البنات يتألَّف من خلاصة مناهج التَّعليم بالجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة ... إلخ . كما وقد سمعنا أنَّهم سيجلبون معلِّمات صالحات ، من سوريَّة ، ولبنان ، ومصر ، فيا ليت شعري أنَّ الرَّئيس يبيِّن هذا الصَّلاح في تلك النِّسوة ، التي سيجلبهنَّ من الخارج للتَّعليم في هذه المملكة . بل إنَّ الصَّالحات منهنَّ سافرات مائلات مميلات !!! وكأنَّه لا يوجد في المملكة العربيَّة معلِّمات صالحات لتعليم الدِّين النَّافع ، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله .

أيُّها المسلمون ، يا أهل الغيْرة والأنفة ، اسمعوا لهذا التَّصريح الشَّنيع الذي يقصد منه إرغام أهل الخير ، ومجاراة الأُمم المنحلَّة ، في تعليم بناتكم الحساب ، والهندسة ، والجغرافيا ، ما للنَّساء وهذه العلوم ، تضاف إلى ما يزيد عن أحد عشر درساً ، غالباً لا فائدة فيه ؟ إنَّها لمصيبةٌ وخطرٌ عظيمٌ على مجتمعنا . إنَّ تعليم المرأة على هذه الصِّفة ، هو مصدر انحطاط الأُمَّة ، وسقوطها في الهاوية ، إنَّ هذا التَّعليم سببٌ لتمرُّد المرأة ، وخروجها عن تعاليم دينها ، وآداب شرعها ، وعوائد قومها الصَّالحة ، وسفورها ، وتبرُّجها ، واختلاطها مع الأجانب ؛ والسُّفور مدعاة إلى الفُجور ، وفتنة الاختلاط كبيرة " (١) .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٧٧-٨٠) .

وهم يقصدون بالبلاد المنحلَّة عن الدِّين والأخلاق : الدُّول العربيَّة المجاورة لهم ... كما سيأتي قريباً ... كما تضمَّن كلامهم : قذف المعلِّمات المستقدمات لتعليم البنات بأنَّهنَّ سافرات ، مائلات ، مُميلات ... وهذا اتِّهامٌ خطير منهم لمن جاورهم من البلاد العربيَّة ...

وللجواب على ما تضمَّنه كلامهم السَّابق ، نقول : لا شكَّ في أنَّ الإسلام لم يفرِّق بين الرَّجل والمرأة في طلب العلم ، فكما أنَّ طلب العلم واجبٌ على الرَّجل هو كذلك واجبٌ على المرأة ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ " [1] .

وتعلُّل البعض بأنَّ طلب العلم خاصٌّ بالرِّجال دون النِّساء تعلُّلٌ في غير موضعه ، لأنَّ الخطاب الشَّرعيَّ لم يفرِّق بين الرَّجلِ والمرأة ، فعندما يقول الحقُّ جلَّ جلاله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يقصد بالخطاب الرَّجل والمرأة على حدٍّ سواء ، نعم لا نشكُّ في أنَّ العديد من العلوم التي تتعلَّمها المرأة يجب أن تنسجم مع أُنوثتها ، لكن لا يوجد مانعٌ شرعيٌّ يمنع المرأة من تعلُّم المرأة سائر العلوم التي لا تتعارض مع أنوثتها تماماً كالرَّجل ، مثل الطبّ ، والرِّياضيَّات ، والفلك ، بل على العكس ، إنَّ تعلُّم المرأة لِلطبِّ والتَّمريض ... هو من فروض الكفاية ، لانَّ الأَوْلى أن يُطبِّب ويُمرِّض بنات المسلمين طبيبات وممرِّضات ...

كما يجب على القائمين على الجامعات أن يوفِّروا الأجواء الإيمانيَّة داخل الجامعة ، كمنع السُّفور ، والاختلاط ، ... واختيار المدرِّسين والمدرِّسات ، الصَّالحين والصَّالحات ...

الخَامِسَةُ وَالثَّلاثُوْن : زعم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّه لا يرضى بفتح مدارس البنات إلَّا من لا غيْرة عنده !!! ولا رجولة !!! ولا دين !!! والغالب على هؤلاء أنَّهم من دُعاة الفُجور !!! [2] .

---

[1] أخرجه ابن ماجه (١/ ٨١ برقم ٢٢٤) ، البزار في المسند (١/ ١٦٤ برقم ٩٤) ، أبو يعلى الموصلي في المعجم (١/ ٢٥٧ برقم ٣٢٠) ، الدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٧٠٧ برقم ١٢٤٢) ، ابن الأعرابي في المعجم (١/ ١٨٠ برقم ٣١٢) ، الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٧ برقم ٩) ، المعجم الصغير (١/ ٣٦ برقم ٢٢) ، المعجم الكبير (١٠/ ١٩٥ برقم ١٠٤٣٩) ، مسند الشاميين (٣/ ٢٠٢ برقم ٢٠٨٤) ، ابن المقرئ في المعجم (ص٢٥٥ برقم ٨٣٩) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٢٣) ، ابن بشران في الأمالي (ص١١٦ برقم ٢٤٥) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ١٣٥ برقم ١٧٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٩٤ برقم ١٥٤٤) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣ برقم ١٥) ، وكلمة المسلم يدخل فيها الذَّكر والأنثى ، كما هو معلوم .

[2] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٨٤) .

السَّادِسَةُ وَالثَّلاثُوْن : أفتى المدعو : حمود التُّويجري بأنَّ لبس البرنيطة – لباس الرَّأس أو القُبَّعة عند الغربيين – من التَّشبُّه بأعداء الله تعالى ، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النجديَّة " ، تحت عنوان : " قول الشَّيْخ حمود التُّويجري في لبس البرنيطة التي هي من لباس الإفرنج " :

وقال الشَّيْخ حمود بن عبد الله التُّويجري : " ومن التشبُّه بأعداء الله تعالى : لبس البرنيطة التي هي من لباس الإفرنج ، ومن شابههم من أُمم الكفر والضَّلال ، وتسمَّى أيضاً : القبَّعة .

وقد افتتن بلبسها كثيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام !!! في كثير من الأقطار الإسلاميَّة ، ولا سيَّما البلدان التي فشت فيها الحريَّة الإفرنجيَّة ، وانطمست فيها أنوار الشَّريعة المحمَّديَّة !!!

ومن ذلك أيضاً : الاقتصار على لبس السُّترة والبنطلون ؛ فالسُّترة قميصٌ صغيرٌ يبلغ أسفله إلى حدِّ السُّرَّة ، أو يزيد عن ذلك قليلاً ، وهو من ملابس الإفرنج ؛ والبنطلون : اسم للسَّراويل الإفرنجيَّة ، وقد عظمت البلوى بهذه المشابهة الذَّميمة ، في أكثر الأقطار الإسلاميَّة .

ومن جمع بين هذا اللباس ، وبين لبس البرنيطة فوق رأسه ، فلا فرق بينه وبين رجال الإفرنج ، في الشَّكل الظَّاهر ؛ وإذا ضمّ إلى ذلك حلق اللحية ، كان أتمّ للمشابهة الظَّاهرة ، و " من تشبَّه بقومٍ فهو منهم " (١) .

السَّابِعَةُ وَالثَّلاثُوْن : أفتى أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ لبس البنطلون حرام ، لأنَّه من التَّشبُّه بالكفَّار (٢) .

وأترك التَّعليق لك يا قارئي ...

الثَّامِنَةُ وَالثَّلاثُوْن : أفتى أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ الألبسة السَّابقة دسيسة ممَّن يريدون الكيد للإسلام (٣) .

والدَّسيسة هي الأمر الخفيُّ الباطنُ الذي لا يَبِيْن ... فكيف اطَّلع عليه المتمسلفون ؟!!! وأين الخفاءُ والدَّسُّ في أثوابٍ جُعلت ستراً للعورة ... ليس إلَّا ...

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجديَّة (١٥/ ٣٦٧) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٦٧) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٦٦) .

التَاسِعَةُ وَالثَّلاثُوْن : أفتى أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ إقرار الألبسة السَّابقة شعارٌ من شعائر الكفر والشِّرك !!! (١) .

الأَرْبَعُوْن : أفتى مدَّعو السَّلفيَّة بأنَّ لباسَ الشُّرطة لباسٌ محرَّمٌ ، لأنَّ فيه التَّشبُّه بلباس الإفرنج ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة :" الباب السَّابع : لباس الشُّرطة : وهو محرَّم ، لمشابهته لباس الإفرنج ، وفي الحديث : " من تشبَّه بقوم فهو منهم " (٢) ، وقد تعاهد العلماء مع الملك أن لا يلبس الشُّرطة هذا الزِّيَّ المشهور ، من برنيطة وغيرها .

ثم بدئ به شيئاً فشيئاً حتى تمَّ ، فهم يسيرون بذلك بين أظهر المسلمين ، لتعمَّ المعصية كلَّ من رآهم ، ويشابهون الإفرنج في المشية ، بالضَّرب بالرِّجل على الأرض ، والإشارة باليد إلى الوجه بدل السَّلام ، وغير ذلك . نسأل الله أن يوفِّق ولاة المسلمين ، فيزيلوا هذا المنكر عن بلادهم " (٣) .

الحَادِيَةُ وَالأَرْبَعُوْن : أفتى مدَّعو السَّلفيَّة بأنَّ ضرب الشُّرطة بأرجلهم أفحش وأنكر من ضرب البغال والحمير بأرجلها ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة الأجوبة النَّجديَّة " : " وإذا علم فضل السَّلام ، وأنَّه تحيَّة المسلمين في الدَّارين ، فليعلم أيضاً أنَّه لا أسفه رأياً ممَّن رغب عن ذلك ، واستبدل عنه بإشارات الإفرنج وضربهم بالأرجل ، شبه البغال والحمير ، إذا أحست بشيء يدبُّ على أرجلها .

ومن توقَّف في هذه المُشابهة ، فلينظر إلى البغال والحمير إذا كانت في مواضع القردان ، فجعلت تضرب بأرجلها ، ولينظر إلى ضرب الشُّرط بأرجلهم عند أداء تحيَّتهم العسكريَّة ، حتى يرى تمام المشابهة ، من أحد الجنسين للآخر .

بل ضرب الشُّرط بأرجلهم أفحش وأنكر من ضرب البغال والحمير بأرجلها ؛ وكفى بالتَّحيَّة العسكريَّة مهزأة ومنقصة عند كلِّ عاقل سالم ، من أمراض المدنيَّة الإفرنجيَّة وأدناسها " (١) .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٦٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٤ برقم ٤٠٣١) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٨ برقم ٢٩٦٦) ، وقال : وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ حُذَيْفَةَ مُسْنَداً إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ عَلِيِّ بْنِ غُرَابٍ عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ محمَّد ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ مَوْقُوفاً) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٧٩ برقم ٨٣٢٧) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٤٤ برقم ٣٩٠) ، ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ٤٧١ برقم ٣٣٠١٦) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٣٦) .

الثانية والأربعون : أفتى مدَّعو السَّلفيَّة بأنَّ تصفيق الرِّجال في بعض الأوقات من التَّشبُّه بالكفَّار ، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " فصلٌ في أنَّ من أبشع المنكرات تصفيق الرِّجال في بعض الأوقات . قال الشَّيْخ حمود التُّويجري : ومن التَّشبُّه بأعداء الله تعالى ، ما يفعله كثير من الجهَّال ، من التَّصفيق في المجالس والمجامع عند رؤية ما يعجبهم من الأفعال ، وعند سماع ما يستحسنونه من الخطب والأشعار ، وعند مجيء الملوك والرُّؤساء إليه ، وهذا التَّصفيق سخفٌ ورعونةٌ ، ومنكرٌ مردودٌ من عدَّة أوجه:
أحدها : أنَّ فيه تشبُّهاً بأعداء الله تعالى من المشركين ، وطوائف الإفرنج ، وأشباههم ، فأمَّا المشركون فقد قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٥] ، قال أهل اللغة وجمهور المفسِّرين : المكاء : الصَّفير ؛ والتَّصدية : التَّصفيق ، وبهذا فسَّره ابن عمر وابن عبَّاس ، رضي الله عنهم .

فأمَّا ابن عمر رضي الله عنهما ، فرواه ابن جرير عنه ؛ وفيه : أنَّه حكى فعل المشركين فصفَّر وأمال خدَّه وصفَّق بيديه ، وروى ابن أبي حاتم عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قال : أنَّهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ، ويصفِّقون ، ويصفِّرون .

وأمَّا ابن عبَّاس ، رضي الله عنهما ، فرواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الفرج ابن الجوزي عنه ؛ ولفظ ابن أبي حاتم قال : كانت قريش تطوف بالبيت عراة ، تصفِّر وتصفِّق ، والتَّصدية ، فألزمهم ذلك عظيم الأوزار .

وروى الإمام أحمد ، والنَّسائي ، والبيهقي ، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر قريشاً أنَّه أُسري به إلى بيت المقدس ، قالوا : ثمَّ أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مصفِّق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجِّباً للكذب .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٧٩-٣٨٠) .

وأمَّا الإفرنج وأضرابهم ، من أعداء الله تعالى ، فقد ذكر المخالطون لهم أنَّ التَّصفيق من أفعالهم في محافلهم ، إذا أعجبهم كلامٌ ، أو فعلٌ من أحد ، صفَّقوا تعجُّباً وتعظيماً لذلك القول أو الفعل ؛ وقد أخذ سفهاء المسلمين عنهم هذا الفعل السَّخيف ، تقليداً لهم ، وتشبُّهاً بهم .

وقد تقدَّم حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من تشبَّه بقوم فهو منهم " . وتقدَّم أيضاً حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ليس منَّا من تشبَّه بغيرنا ، لا تشبَّهوا باليهود ولا بالنَّصارى " [1] .

وفي هذين الحديثين دليلٌ على المنع من التَّصفيق ، لما فيه من التَّشبُّه بأعداء الله تعالى ... " [2] .

الثَّالِثَةُ والأَرْبَعُوْن : أفتى أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ التَّصوير بكافَّة أشكاله أصلُ الشِّرك !!! [3] .

الرَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : أفتى أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ من أوجه تحريم لعب الكُرة : أنَّ فيها نوعٌ من المرح ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان : ١٨] [4] ، وأنَّها من اللهو الباطل ، [5] ومن الضَّلال [6] ، وأنَّها شرّ من الشَّطرنج [7] ، ومن لعب الشَّطرنج ، فهو فاسق [8] .

فالنَّتيجة : أنَّ كلَّ من يلعب الكُرة بأنواعها المختلفة فاسق ... ولذلك حرَّموا لعب الكُرة بأنواعها المختلفة ، بدعوى أنَّها لم تكن على عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ولا ملوك المسلمين [9] ...

الخَامِسَةُ وَالأَرْبَعُوْن : اعتبروا لعب الكُرة من سُبُل التَّشبُّه بالكفَّار ، وأنَّه لا يمارسها إلَّا السُّفهاء !!! [1]

---

[1] أخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٣ برقم ٢٦٩٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ ، هَذَا الحَدِيثَ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ ، فَلَمْ يَرْفَعْهُ) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٣٨ برقم ٧٣٨٠) ، الشهاب القضاعي في المسند (٢/ ٢٠٥ برقم ١١٩١) .

[2] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٩٧-٣٩٨) .

[3] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٩٥) .

[4] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢١٠) .

[5] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢١٣) .

[6] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٩٥) .

[7] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢١٥) .

[8] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢١٤) .

[9] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٠٠ ، ٢٠٤) .

السَّادِسَةُ وَالأَرْبَعُوْن : أفتى أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ مطالعة الصُّحف من الوسائل العظمى لنقض عُرى الإسلام ، وقد تسرَّبت إليهم من الدُّول العربيَّة المجاورة المنحلَّة !!! أفراخ الإفرنج ، عبَّاد الأولياء والصَّالحين ، العكَّف عند المشاهد ... فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " مطالعة الصُّحف التي تسرَّبت إلى بلاد المسلمين ، فهي من الوسائل العظمى لنقض عُرى الإسلام !!! من الدُّول المجاورة المنحلَّة !!! أفراخ الإفرنج ، عبَّاد الأولياء والصَّالحين ، العكَّف عند المشاهد ، الباذلين عندها نفائس الأموال ، بقصد التبرُّك والنُّذور لها ، التَّاركين لإقامة الصَّلاة ، وإيتاء الزَّكاة ، وغيرهما من شعائر الإسلام ، المشتهرة بينهم شعائر الكفر !!! واستحلال المحرَّمات ، والخلاعة ، وينتسبون إلى الإسلام ، جرأة على الله ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] .

وقد تسرَّبوا إلى بلد الإسلام !!! فأخذ كثير من الشَّباب أخلاقهم المزيَّفة ، وبثُّوا بعض علومهم المحرَّمة ؛ وسرت إلى المسلمين صُحُفهم الخليعة ، وسار على سبيلهم كثير من الشَّباب الزَّائغ ، فنشروا في بلد الإسلام على الصُّحف تلك : الإلحاد ، والزَّندقة ، والخلاعة .

وتعلَّق بها من لا بصيرة له ، ومستحسن ما يتلوه من تلك الصُّحف ، ومن الصُّحف الخارجيَّة ؛ وفسدت أخلاق الكثير ، واعتنقوا الباطل ، وأعرضوا عن الحقِّ ، وتركوا كثيراً ممَّا أمر الله به ، وارتكبوا كثيراً من المنكرات ، ممَّا سلف وغيره (٢) .

وقد تضمَّن كلامهم السَّابق على أنَّ مطالعة الصُّحف التي تسرَّبت إليهم من الدُّول العربيَّة المجاورة من أعظم الوسائل العظمى لنقض عُرى الإسلام ... ووصفوا بلاد المسلمين المجاورة لهم بأنَّها بلاد منحلَّة ، وأنَّ أهلها هم أفراخ الإفرنج ، وأنَّهم عُبَّاد الأولياء والصَّالحين ، الذين لا همَّ لهم إلَّا العُكوف عند المشاهد التي تُبذل عندها كرائم ونفائس الأموال ، بقصد التبرُّك والنُّذور لها ، كما اتَّهموهم بترك الصَّلاة ومنع الزَّكاة ، وغيرهما من شعائر الإسلام ، وأنَّهم اشتهر بينهم شعائر الكفر واستحلال المحرَّمات ، والخلاعة ... ووصفوا بلدهم فقط ببلد الإسلام ... وختموا كلامهم بالاستشهاد بآية سيقت في كتاب الله تعالى في المنافقين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٠٦) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ١٠٠) .

ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] ... وهذا منهم تكفير للأمَّة ... لأنَّ المنافق كافر ... ولا مجال للكلام بقصره على شُعبة من شُعب النِّفاق ... لأنَّهم ذكروا أكثر من شعبة من شُعب النِّفاق ، فقد وصفوهم بفساد الأخلاق ، واعتناق الباطل ، والإعراض عن الحقِّ ، وترك الكثير ممَّا أمر الله به ، وارتكاب الكثير من المنكرات ... ومن المعلوم أنَّ من اشتهر بينهم شعائر الكفر واستحلال المحرَّمات ، فهو كافر بالإجماع ، والعياذ بالله تعالى .

السَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : جاء في فتاوى ابن تيمية : " أَكْلُ الشَّوَى والشَّريح جَائِزٌ سَوَاءٌ غَسَلَ اللَّحْمَ أَوْ لَمْ يَغْسِلْ ؛ بَلْ غَسْلُ لَحْمِ الذَّبِيحَةِ بِدْعَةٌ !!! فَمَا زَالَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - عَلَى عَهْدِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُونَ اللَّحْمَ فَيَطْبُخُونَهُ وَيَأْكُلُونَهُ بِغَيْرِ غَسْلِهِ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ الدَّمَ فِي الْقِدْرِ خُطُوطاً ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ إنَّما حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الدَّمَ الْمَسْفُوحَ ، أَيْ : الْمَصْبُوبَ الْمُهْرَاقَ ، فَأَمَّا مَا يَبْقَى فِي الْعُرُوقِ فَلَمْ يُحَرِّمْهُ " (١) .

الثَّامِنَةُ وَالأَرْبَعُوْن : جاء في فتاوى ابن تيمية : " الْجَهْرُ بِلَفْظِ النِّيَّةِ لَيْسَ مَشْرُوعاً عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فَعَلَهُ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ ذَلِكَ دِينُ اللهِ وأَنَّه وَاجِبٌ ، فإنَّه يَجِبُ تَعْرِيفُهُ الشَّرِيعَةَ وَاسْتِتَابَتُهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ قُتِلَ " (٢) .

التَّاسِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ : عَنْ رَجُلٍ جَارٍ لِلْمَسْجِدِ وَلَمْ يَحْضُرْ مَعَ الْجَمَاعَةِ الصَّلاة وَيَحْتَجُّ بِدُكَّانِهِ .

فَأَجَابَ : الْحَمْدُ للهِ ، يُؤْمَرُ بِالصَّلَاةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ كَانَ لَا يُصَلِّي فإنَّه يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ " (٣) .

فيا للعجب ...

الخَمْسُوْن : منع مدَّعو السَّلفيَّة من كتابة لفظ الجلالة (الله) وبجانبها (محمَّد صلَّى اللهُ عَليْه وَسَلَّم) على الجدار أو على الرِّقاع ، فقد : " سئل الشَّيْخ ابن عثيمين : كثيراً ما نرى على الجدران كتابة لفظ الجلالة " الله " وبجانبها لفظة محمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو نجد ذلك على الرِّقاع ، أو على الكتب ، أو على بعض المصاحف ، فهل موضعها هذا صحيح ؟ فأجاب قائلاً : موضعها ليس بصحيح ؛ لأنَّ هذا يجعل النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٢٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٣٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٥٤) .

وَسَلَّمَ – ندّاً لله مساوياً له !!! ولو أنَّ أحداً رأى هذه الكتابة ، وهو لا يدري من الْمُسمَّى بهما ، لأيقن يقيناً أنَّهما متساويان متماثلان ، فيجب إزالة اسم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ويبقى النَّظر في كتابة : " الله " وحدها ، فإنَّها كلمة يقولها الصُّوفيَّة !!! ويجعلونها بدلاً عن الذِّكر ، يقولون : " الله الله الله " ، وعلى هذا فتُلغى أيضاً ، فلا يكتب " الله " ، ولا " محمَّد " على الجدران ، ولا في الرِّقاع ، ولا في غيره " (١) .

الحَادِيَةُ وَالخَمْسُوْن : حرَّم مدَّعو السَّلفيَّة تعليق الحُرز التي فيها شيء من القرآن ، ويعتبرونه من أنواع الشِّرك ، فقد جاء في فتاوي ابن باز : " ومن المحرَّمات الشركيَّة !!! التي قد وقع فيها كثير من النَّاس : تعليق التَّمائم والحُروز من العظام أو الودع أو غير ذلك ، وتسمَّى : التَّمائم ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له ، ومن تعلَّق تميمة فقد أشرك " ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شرك " . وهذه الأحاديث تعمُّ الحُروز والتَّمائم من القرآن وغيره ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستثن شيئاً ، ولأنَّ تعليق التَّمائم من القرآن وسيلة إلى تعليق غيرها ، فوجب منع الجميع ؛ سدَّاً لذرائع الشِّرك ، وتحقيقاً للتَّوحيد ، وعملاً بعموم الأحاديث " (٢) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب : " حكم تعليق الحُجب والحرز :

س : تعليق الحجاب على الجسم بقصد أنَّه ينفع ، هل هو حلال أم حرام ، وهي آية من الآيات ، وعليها بعض المربعات ، إذا كانت حراما فهل أدفنها أم أقوم بحرقها ؟

ج : تعليق الحُجُب أمرٌ لا يجوز ، سواء من الآيات أو من غير الآيات ، يقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له ، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شرك " .

التَّمائم هي الحُجُب التي تعلَّق على النَّاس ، والرُّقى الشِّركيَّة التي لا نعرف معانيها ، أو بلسان مجهول ، أو فيها إثم ، وتوسُّلات منكرة ، أمَّا الرُّقى الشَّرعيَّة التي ليس فيها منكر فلا بأس أن يرقي أخاه بالآيات ، أو

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل الشَّيْخ محمَّد بن صالح العثيمين (٣/ ٧٦) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٨/ ٣٢) ، وانظر أيضاً : (٢٥/ ٩٧) ، فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى (٤/ ٤٨) .

بالدَّعوات الطيِّبة ، وأمَّا التَّمائم فهي الحُجُب ، لا يجوز تعليقها مطلقاً ، لا على الرقبة ولا في العضد ، ولا في غير ذلك ، ويجب إتلافها بإحراقها أو دفنها في أرض طيِّبة ، إذا كانت آيات " (١) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " حكم تعليق التَّمائم والحلف بغير الله تعالى :

س : عندنا في العراق عندما يمرض شخص يذهب إلى السَّادة ، ويكتبون له أوراقاً يعلِّقونها في رءوسهم، فهل يجوز هذا أم لا ؟

ج : تعليق التَّمائم على الأولاد خوف العين ، أو خوف الجنّ ، أمرٌ لا يجوز ، وهكذا تعليق التَّمائم على المرضى ، وإن كانوا كباراً لا يجوز ! لأنَّ هذا فيه نوعاً من التَّعلُّق على غير الله ، فلا يجوز لا مع السَّادة المنسوبين إلى الحسن والحسين ، أو غيرهما ولا مع غيرهم من العلماء ولا مع غيرهم من العباد ، لا يجوز هذا أبداً ؛ لما ثبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له " . وفي رواية عنه أنَّه قال : " من تعلَّق تميمة فقد أشرك " .

والتَّميمة هي ما يعلَّق على الأولاد ، أو على الكبار عن العين أو عن الجن من خرز أو ودع أو عظام ذئب أو ذيله ، أو أوراق مكتوب فيها كتابات ، حتى ولو من القرآن الكريم !!! على الصَّحيح ، حتى ولو آية الكرسي أو غيرها ، لا يجوز التَّعليق مطلقاً ولو كان من القرآن ؛ لأنَّ الأحاديث عامَّة ، فالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمَّم وأطلق ، ولم يستثن شيئاً ، فدلَّ ذلك على أنَّ التَّمائم كلّها ممنوعة ، وأنَّ ما يعلق على الأولاد عن العين أو عن الجنّ ، أو يعلق على المرضى الكبار كلّه لا يجوز ، والمشروع في هذا أنَّ الإنسان يسأل ربَّه العافية ، ولا بأس أن يقرأ عليه المؤمن العارف بالقراءة يقرأ عليه آيات ، يدعو له بدعوات شرعيَّة ، ينفث عليه برقية طيِّبة ، هذا لا بأس ، أمَّا أن يعلق في قرطاس ، أو في رقعة في عضده ، أو في رقبته هذا لا يجوز ، وهذا من الشِّرك الأصغر !!! وقد يكون من الأكبر إذا اعتقد صاحبه أنَّها تدفع عنه ، وأنَّها تكفيه الشُّرور ، هذا يكون من الشِّرك الأكبر ، أمَّا إذا اعتقد أنَّها من الأسباب فهذا شرك أصغر ، والواجب قطعها وإزالتها ... " (٢) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " بيان حكم التَّمائم :

س : ما حكم الشَّرع في التَّمائم والرُّقى ؟

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٤٣) .

(٢) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٤٠-٣٤١) .

ج : التَّمائم ممنوعة ، وهي ما يعلَّق على الإنسان ، سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن ، والصَّواب منعها إذا كان من غير القرآن فلا خلاف ، تمنع كالطَّلاسم أو أشياء منكرة عن كتابات منكرة أو عظام أو أشياء غير ذلك هذا منكر ، أمَّا إن كانت من القرآن فاختلف فيها العلماء ، والصَّواب أنَّها أيضاً تُمنع لأمرين :

الأَمْرُ الأَوَّلُ : عموم الأحاديث ، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له " ، " من تعلَّق تميمة فقد أشرك " ، هذا عام .

وَالأَمْرُ الثَّاني : أنَّه وسيلة لتعليق التَّمائم الأخرى ، صار وسيلة لتعليق التَّمائم الأخرى ، فإنَّ التَّمييز بين هذا وهذا فيه صعوبة ، فالواجب سدّ الباب ومنع التَّمائم كلّها " (١) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " ما حكم التَّمائم مع ذكر الدَّليل لكي تتَّضح المسألة ؟ جزاكم الله خيراً .

ج : تعليق التَّمائم من المحرَّمات الشِّركيَّة ، والتَّمائم هي ما يكتب في الرِّقاع من خرق أو قراطيس أو رقاع من الجلد ، أو غير ذلك ، يكتب فيها طلاسم لا تعرف معناها ، وربَّما يكتب فيها بأسماء لبعض الشَّياطين ، بعض الجنّ ، وربَّما كتب فيها دعوات أو آيات ، ثمَّ تعلَّق على المريض أو على الطِّفل ، يزعمون أنَّها تدفع عنهم الجنّ ، وبعضهم يعلِّقها لدفع العين ، وكانت الجاهليَّة تفعل ذلك ، تعلِّق التَّمائم على الأولاد والأوتار على الإبل ، ويزعمون أنَّها تدفع عنهم البلادة ، وهذا من الجهل بالله وقلَّة البصيرة ، ولهذا أمر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام بقطع التَّمائم ، وقال : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له " ، " من تعلَّق تميمة فقد أشرك " ، ونهى عن تعليق الأوتار على الدَّواب ، وبعث في الجيوش من يزيل ذلك ، ويقطع الأوتار التي تعلَّق على الإبل أو الخيل ، المقصود أنَّ تعليق الأوتار والتَّمائم أمرٌ كان معروفاً في الجاهليَّة ، فنهى عنه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبطله ، والتَّعليق للتَّمائم والأوتار عند أهل العلم من الشِّرك الأصغر ، إذا كان قصد المعلّق أنَّها سبب ، أمَّا إذا كان قصد المعلِّق أنَّها تدفع بنفسها ، وأنَّها تصرف السُّوء بنفسها فهذا شرك أكبر ، نعوذ بالله ، وهناك مسألة اختلف فيها العلماء ؛ وهي ما إذا كانت التَّمائم من القرآن أو من الدَّعوات الطيِّبة، وليس فيها طلاسم ، ولا شركيَّات ، ولا أشياء منكرة ، هل تجوز أم لا تجوز ؟ أجازها بعض السَّلف ، وقالوا : إنَّها من جنس الرُّقية ، وأجازوا تعليق التَّمائم التي من القرآن ، أو من دعوات لا بأس بها . وقال آخرون من أهل العلم :

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٣٨-٣٣٩) .

لا تجوز ، بل جوازها فتح لباب الشِّرك ، وقالوا : إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن التَّمائم ، وأطلق ولم يخص شيئاً دون شيء ، بل قال : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له " ، " من تعلَّق تميمة فقد أشرك " ، هذا عام ، وقال : " إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شرك " ، فإذا أجزنا التَّمائم من القرآن فقد خالفنا هذه الأحاديث العامة، والعموم حجَّة يجب الأخذ به ، ثمَّ إذا أجزنا هذه التَّمائم من القرآن صار فتحاً لباب الشِّرك ؛ لأنَّها تلتبس الأمور وتختلط هذه بهذه ، ويلبس النَّاس هذه بهذه فيقع الشِّرك ، وقد جاءت الشَّريعة بسدِّ الذَّرائع بأدلَّة كثيرة ، كلُّ شيء يُفضي إلى الشِّرك أو إلى المحرَّمات يمنع ، ولا شكَّ أنَّ تعليق التَّمائم من القرآن ، أو من الدَّعوات المباحة يخالف الأحاديث العامَّة والنَّهي العامّ ، ويسبِّب فتح باب الشِّرك واختلاط الأمور ، فلهذا كان الصَّواب منع الجميع ، الصَّواب منع التَّمائم كلّها من القرآن وغير القرآن ؛ أخذاً بعموم الأحاديث ، وسدَّاً لباب الشِّرك ، والله المستعان " [1] .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " حكم تعليق الحجب من القرآن "

س : هل يجوز لبس الورقة (الحجاب) ؛ وهي عبارة عن ورقة من دفتر عادي ، ويكتب عليها الشَّخص الذي يدعونه ؛ يكتب عليها آية الكرسي ، وسورة الفاتحة ، والمعوِّذتين ؟ جزاكم الله خيراً .

ج : تعليق التَّمائم لا يجوز لا أوراق ولا خرق ولا غير ذلك ؛ وما كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك ، ولم يرشد إلى هذا عليه الصَّلاة والسَّلام ، وإنَّما أرشد إلى القراءة ، قراءة القرآن ، والعلاج بالقرآن بالنَّفث ، بحيث ينفث الإنسان على نفسه ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتكى نفث في كفَّيه ، وقرأ : قل هو الله أحد ، والمعوذتين ثلاث مرَّات ، ثمَّ مسح بذلك ما أقبل من جسده من رأسه ووجهه وصدره ، أمَّا ما يكتب فيها أوراق تعلَّق فهذا لا يجوز ، بل هذا من وسائل الشِّرك !!! والاعتماد على غير الله سبحانه وتعالى ، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له " ، " من تعلَّق تميمة فقد أشرك " .

هذه يقال لها : التَّمائم ، ويقال لها : الحروز ، ويقال لها : الحُجُب ، وليس منها شيء من المباحات ، فكل هذا لا يجوز ، لا يجوز تعليق قرآن ولا غير قرآن ، وإذا كان من غير القرآن صار أشدّ في الإنكار !!! كالطلاسم أو العظام أو الحديد أو ما أشبه ذلك ، وقد رأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إنسان حلقة ، فقال : " ما هذا ؟ قالوا : من الواهنة ، فقال : " انزعها ، فإنَّها لا تزيدك إلا وهناً " .

---

[1] انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٤٤-٣٤٦) .

فالمقصود أنَّ المؤمن يتجنَّب هذه الأشياء ، ولا يعلِّق تميمة ، ولا ورقة ، ولا خرقة ، ولا غير ذلك ، ممَّا يرى أنَّها حرز ينفع من الجن أو ينفع من العين أو ما أشبه ذلك ، ويسمونها الحُروز ، ويسمُّونها التَّمائم ، ويسمُّونها الحُجُب ، كلُّ هذا لا يجوز ، والصَّواب أنَّها لا تجوز حتى ولو كانت من القرآن ، والصَّواب منعها سدَّاً للذَّريعة ، وعملاً بالأحاديث عامَّة ، في منع التَّمائم والتَّعليقات ، وهي من الشِّرك الأصغر ، فإن كان صاحبها يعتقد أنَّها تدفع عنه الشَّر بنفسها ، صار ذلك من الشِّرك الأكبر ، أعوذ بالله من ذلك " (١) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " حُكم تعليق الحرز من القرآن " .

س : يقول السَّائل : أرى بعض النَّاس يكتبون آيات من القرآن ، ويربطونها في أعناقهم ، ويقولون : هذا حجاب من كذا وكذا . هل هذا مشروع ؟ وهل الصَّحابة فعلوا شيئاً من هذا ؟

ج : هذا ليس بمشروع ، هذا يسمَّى التَّميمة ، ويسمَّى الحرز ، يسمِّيه بعض النَّاس الجوامع ، هذا لا يجوز ، فالنَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام يقول : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له " ، فلا يجوز تعليق التَّمائم وهي الحُروز ، وهي أن يكتب آيات أو دعوات أو أحاديث ، ويعلِّقها في عنقه أو في عضده ، هذا لا يجوز ، والواجب الحذر من ذلك ، أمَّا كونه يتعاطى الورد الشَّرعي يقرأ على نفسه عند النَّوم ، ويتعاطى الأوراد الشَّرعيَّة ، هذا مطلوب مأمور به شرعاً ، وعند النَّوم يقرأ آية الكرسي ، ويقرأ قل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ النَّاس ، ثلاث مرَّات عند النَّوم ، كلُّ هذا من أسباب العافية والسَّلامة ، كان يفعله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من قرأ آية الكرسي لا يزال معه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح " .

فأنت استعمل هذا ، تقرأ آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، تقول : " أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق " ثلاث مرَّات ، " بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السَّماء وهو السَّميع العليم " ثلاث مرَّات ، صباحاً ، ومساءً ، تقرأ : قل

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٤٦-٣٤٨) .

هو الله أحد ثلاثاً ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ثلاثاً ، وقل أعوذ بربِّ النَّاس ثلاثاً ، بعد المغرب ، وعند النوم ، وبعد صلاة الفجر ؛ كلُّ هذا من أسباب السَّلامة ، والحمد لله ، والله يغنيك بهذا عن التَّميمة المكتوبة المعلَّقة " (١) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " حكم لبس القلائد من القرآن :

س : يقول السَّائل: ما رأي سماحتكم في القلائد ؛ أي كتابة الآيات القرآنيَّة، ووضعها في قطعة قماش ، وتعليقها على جسم الشَّخص أو تحت الوسادة ؟

ج : تعليق التَّمائم ، ويقال لها : الحُروز ، ويقال لها أيضاً : الجوامع ، لا يجوز ؛ لأنَّ الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام قال : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من علَّق تميمة فقد أشرك " . وقال : " إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شرك " . فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدلُّ على منع التَّمائم ، وأنَّه لا يجوز تعليقها على المريض ولا على الطِّفل ، ولا جعلها تحت الوسائد ، كلُّ ذلك لا يجوز ! لأنَّه من عمل الجاهليَّة ، ولأنَّه يسبِّب تعلُّق القلوب بهذه القلائد وصرفها عن الله عزَّ وجلَّ ، ولأنَّه أيضاً يُفضي إلى التَّعلُّق بها والاعتقاد فيها ، وأنَّها تصرف عنه البلاء ، وكلُّ شيء بيد الله ليس بيد التَّمائم شيء ، بل الله هو النَّافع الضَّارُّ ، وهو الحافظ لعباده ، وهو مسبِّب الأسباب ، فلا يجوز للمسلم أن يتعاطى شيئاً من الأسباب التي يظنُّ أنَّها أسباب إلَّا بإذن الشَّرع كالقراءة على المريض ، والتَّداوي بالأدوية المباحة ، هذه أذن فيها الشَّرع ، أمَّا التَّمائم فلم يأذن فيها الشَّرع ، وتعليقها على الأطفال لم يأذن به الشَّرع ، بل نهى عنه للأسباب التي سبق ذكرها ، واختلف أهل العلم فيما يتعلَّق بالتَّمائم التي تكون من القرآن أو من الدَّعوات المباحة ، هل تجوز أم لا ؟ والصَّواب أنَّها لا تجوز ؛ لأمرين :

أحدهما : أنَّ الأدلَّة التي تمنع التَّمائم مطلقة عامَّة ، ليس فيها استثناء بخلاف الرُّقى ، فإنَّه يجوز منها ما ليس فيه شرك ، لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركاً " . وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الرُّقى ، والتَّمائم ، والتِّولة شرك " . هذا عامٌّ ، لكن جاءت الأحاديث باستثناء الرُّقى التي ليس فيها بأس ، وهي ما يكون من القرآن ومن الدَّعوات الطيِّبة ، تقرأ على المريض هذه لا بأس بها ! لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركاً " ، ولأنَّه رقى ورقي عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلا بأس بذلك ، أمَّا التَّمائم فلم يأت فيها استثناء فتبقى على العموم والمنع ، وهكذا التِّولة وهي نوع من السِّحر يتعاطاه النِّساء ، وتسمَّى الصرف

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٤٨-٣٤٩) .

والعطف ، صرف الرَّجل عن زوجته إلى غيرها ، أو عطفه عليها دون غيرها ، وهو من السِّحر ، وهو منكر ، لا يجوز بل من المحرَّمات الشِّركيَّة ، سواء الصرف أو العطف ، كلُّه من السِّحر لا يجوز ، وأمَّا التَّمائم التي من العظام أو من الودع أو من شعر الذِّئب أو من حيوانات أخرى ، هذه كلُّها محرَّمة لا تجوز ، وليس فيها نزاع بل هي ممنوعة ، وإنَّما النِّزاع والخلاف إذا كانت التَّمائم من القرآن ، أو من دعوات معلومة لا بأس بها ، هذه هي محلُّ الخلاف ، والصَّواب أنَّها ممنوعة أيضاً ، لما تقدَّم من كون الأحاديث عامَّة في منع التَّمائم ، ولم يستثن منها الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام شيئاً .

والأمر الثَّاني : سدُّ الذَّرائع التي تُفضي إلى الشِّرك ، فإنَّه متى سمح للتَّمائم التي من القرآن ، أو الدَّعوات المباحة التبس الأمر وعلِّقت هذه وهذه ، ولم يتميَّز الممنوع من الجائز ، وقد جاءت الشَّريعة بسدِّ الذَّرائع ، والنَّهي عن وسائل الشِّرك كلِّها ، فوجب منع التَّمائم كلّها لهذين المعنيين والسَّببين : لعموم الأدلَّة ، وسدِّ الذَّرائع .

وذكر بعض أهل العلم مانعاً ثالثاً ، وهو : أنَّ تعليقها وسيلة إلى أن يدخل بها صاحبها إلى محلَّات قضاء الحاجة ، ولا يبالي وفيها آيات قرآنية ، فيكون ذلك من أسباب امتهانها ، وعلى كلِّ حال فهذا وجه من المنع ، لكن المعنيين الأوليين أبلغ في الحجَّة ، وأبين في المنع ، وهما عموم الأدلَّة ، وليس هناك استثناء لشيء من التَّمائم ، والمعنى الثَّاني : سدُّ الذَّرائع التي تُفضي إلى الشِّرك ، ولا ريب أنَّ إجازة التَّمائم التي من القرآن ، أو من الدَّعوات المباحة والأسباب المباحة لا شكَّ أنَّها وسيلة إلى تعليق النَّوعين ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله " (١) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب ، أيضاً : " بيان الحكم في تعليق القرآن على المرضى :

س : سائل يقول : إنَّ إمام المسجد متفرِّغ للإمامة ، ويقوم بكتابة القرآن وإعطائه للمرضى ؛ ليلبسوه بما يسمَّى بالحجاب ، وهذه الإمامة متوارثة ، أي عن جدٍّ وأب ، ونفس العمل - أقصد الرُّقى وكتابة القرآن - هو مصدر كسبهم ، فما هو تعليق سماحتكم على هذا ؟ أرجو أن توجِّهونا ، وكيف أتصرَّف فيما إذا كان من قرابتي ؟

ج : تعليق القرآن الكريم على المرضى ، أو على الأطفال كلُّ ذلك لا يجوز في أصحِّ قولي العلماء ، وبعض أهل العلم أجاز ذلك ، ولكن لا دليل عليه ، والصَّواب أنَّه لا يجوز تعليق القرآن ، ولا غيره من الدَّعوات أو الأحاديث لا على الطِّفل ، ولا على غيره من المرضى ، ولا على كبير السنِّ ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن التَّمائم ، والتَّمائم : هي ما يعلَّق على الأولاد أو على الكبار ، وتسمَّى الحُروز ، وتسمَّى الحُجُب ، والصَّواب

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٥٠-٣٥٢) .

أنَّها لا تجوز ؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له " ، " من تعلَّق تميمة فقد أشرك " ، ويقول : " إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شرك " . ولم يستثن شيئاً ، فما قال : إلَّا القرآن ، بل عمَّم عليه الصَّلاة والسَّلام ، فوجب الأخذ بالعموم ، ولأنَّ تعليق القرآن وسيلة إلى تعليق غيره ؛ لأنَّ النَّاس يتوسَّلون بالمباحات إلى ما حرَّم الله ، فكيف بشيء فيه شبهة ، وإن أفتى بذلك بعض أهل العلم ، فهذا يسبب التَّساهل ؛ فالواجب الحذر من ذلك أخذاً بالعموم ، وسدَّاً للذَّرائع ؛ ذريعة الشِّرك ، فإنَّ تعليق التَّميمة من القرآن وسيلة إلى تعليق تميمة أخرى ، هكذا النَّاس لا يقفون عند حدٍّ في الغالب ، والواجب الأخذ بالعموم ، وليس هناك دليل يخصُّ الآيات القرآنيَّة أو يستثنيها ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفصح النَّاس وأنصح النَّاس ، ولو كان يستثني من ذلك شيء لقال : إلا كذا وكذا ، أمَّا الرُّقية فلا بأس ، فيرقي بالقرآن وبالدَّعوات الطيِّبة ، كان النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام يرقي ، وقال : " لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركاً " ، وقوله : " الرُّقى ، والتَّمائم ، والتِّولة شرك " ، يعني : الرُّقى المجهولة ، أو الرُّقى الشِّركيَّة التي فيها التَّوسُّل بغير الله ، أو دعاء غير الله ، فالرُّقى المذكورة في هذا الحديث هي الرُّقى المخالفة للشَّرع ، أمَّا الرُّقى الشرَّعيَّة فلا بأس بها ؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركاً " .

أمَّا التَّمائم فكلُّها ممنوعة سواء كانت من القرآن ، أو من غير القرآن ، هذا هو الأصحُّ من أقوال أهل العلم " (١) .

وكلام ابن باز هنا مجانب للصَّواب ، والحكم الذي ذكره لا يتعلَّق إلَّا بالتَّمائم الشِّركيَّة المشتملة على ألوان من الشِّرك ، أمَّا التَّمائم المتضمّنة آيات من الكتاب العزيز أو من كلام سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا بأس بها ، بل هي مستحبَّة ، فقد جاء في مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السِّجستاني : " رَأَيْتُ عَلَى ابْنٍ لِأَحْمَدَ ، وَهُوَ صَغِيرٌ تَمِيمَةً فِي رَقَبَتِهِ فِي أَدِيمٍ " (٢) .

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٥٣-٣٥٥) .

(٢) انظر : مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (ص٣٤٩ برقم ١٦٧٠) .

وجاء في " العلل ومعرفة الرِّجال " لابن أحمد : " حَدثنِي أبي ، قَالَ : حَدثنَا يحيى بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ ، قَالَ : أَخْبرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ فِرَاسٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : لَا بَأْس بالتَّعويذ بِالْقُرْآنِ يُعَلَّقُ عَلَى الإِنْسَانِ " (١) .

وروى البيهقي في السُّنن الكبرى ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَسَنِ قَالَا : ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ ، ثنا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ ، ثنا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ ، أَنَّه سَأَلَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ عَنِ الرُّقَى وَتَعْلِيقِ الْكُتُبِ ، فَقَالَ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ يَأْمُرُ بِتَعْلِيقِ الْقُرْآنِ وَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ .

قَالَ الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ : وَهَذَا كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّه إِنْ رَقَى بِمَا لَا يُعْرَفُ أَوْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الْعَافِيَةِ إِلَى الرُّقَى لَمْ يَجُزْ ، وَإِنْ رَقَى بِكِتَابِ الله أَوْ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ ذِكْرِ الله مُتَبَرِّكاً بِهِ وَهُوَ يَرَى نُزُولَ الشِّفَاءِ مِنَ الله تَعَالَى فَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَبِالله التَّوْفِيقُ " (٢) .

وجاء في الآداب الشَّرعيَّة لابن مفلح : " قَالَ الْمَرُّوذِيُّ : شَكَتْ امْرَأَةٌ إلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهَا مُسْتَوْحِشَةٌ فِي بَيْتٍ وَحْدَهَا ، فَكَتَبَ لَهَا رُقْعَةً بِخَطِّهِ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ ، وَقَالَ : كَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ الْحُمَّى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمن الرَّحِيم بِسْمِ اللَّهِ وَبِاَللَّهِ ومحمَّد رَسُولُ اللَّهِ : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۞ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩ – ٧٠] ، اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ اشْفِ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ إلَهَ الْحَقِّ آمِينَ .

وَرَوَى أَحْمَدُ أَنَّ يُونُسَ بْنَ حَبَّابٍ كَانَ يَكْتُبُ هَذَا مِنْ حُمَّى الرِّبْعِ .

قَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَة مِنْهَا فِي الرَّجُلِ يَكْتُبُ الْقُرْآنَ فِي إنَاءٍ ثُمَّ يَسْقِيهِ لِلْمَرِيضِ ، قَالَ : لَا بَأْسَ ، قَالَ مِنْهَا ، قُلْت لَهُ : فَيَغْتَسِلُ بِهِ ؟ قَالَ : مَا سَمِعْتُ فِيهِ بِشَيْءٍ .

قَالَ الْخَلَّالُ : إنَّمَا كُرِهَ الْغُسْلُ بِهِ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَاءَ الْغُسْلِ يَجْرِي فِي الْبَلَالِيعِ وَالْحُشُوشِ ، فَوَجَبَ أَنْ يُنَزَّهَ مَاءُ الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا يُكْرَهُ شُرْبُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ الِاسْتِشْفَاءِ .

---

(١) انظر : العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٣٣٨ برقم ٥٤٩٤) .

(٢) انظر : السنن الكبرى (٩/ ٥٩٠ برقم ١٩٦١٢) .

وَقَالَ صَالِحٌ : رُبَّمَا اعْتَلَلْتُ فَيَأْخُذُ أَبِي قَدَحاً فِيهِ مَاءٌ فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ لِي : اشْرَبْ مِنْهُ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ وَيَدَيْكَ .

وَنَقَلَ عَبْدُ اللهَّ أَنَّه رَأَى أَبَاهُ يُعَوِّذُ فِي الْمَاءِ ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَيَشْرَبُهُ ، وَيَصُبُّ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ، قَالَ عَبْدُ اللهَّ : وَرَأَيْتُهُ قَدْ أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلَهَا فِي جُبِّ الْمَاءِ ثمَّ شَرِبَ فِيهَا . وَرَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَشْرَبُ مَاءَ زَمْزَمَ فَيَسْتَشْفِي بِهِ ، وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ .

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى : إنَّ أَبَا عَبْدِ اللهَّ كَانَ يُؤْتَى بِالْكُوزِ وَنَحْنُ بِالْمَسْجِدِ فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيُعَوِّذُ .

قَالَ أَحْمَدُ : يُكْتَبُ لِلْمَرْأَةِ إذَا عُسِرَ عَلَيْهَا وَلَدُهَا فِي جَامٍ أَبْيَضَ أَوْ شَيْءٍ نَظِيفٍ : بِسْمِ اللهَّ الرَّحمن الرَّحِيمِ ، لَا إلَه إلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهَّ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ ﴾ [الأحقاف:٣] ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٦] ، ثمَّ تُسْقَى مِنْهُ ، وَيُنْضَحُ مَا بَقِيَ عَلَى صَدْرِهَا " (١) .

قال الإمام ابن بطَّال مُبيِّناً أنَّ الرُقى المنهي عنها إنَّما هي المشتملة على الشِّرك : " ... أنَّ المراد بذلك رقى الجاهليَّة ومايضاهي السِّحر من الرُّقى المكروهة ، روى ابن وهب عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال : بلغني عن رجال من أهل العلم أنَّهم كانوا يقولون : إنَّ رسول الله نهى عن الرُّقى حتى قدم المدينة ، وكان الرُّقى في ذلك الزَّمان فيها كثير من كلام الشِّرك ... " (٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَالتَّمَائِمُ : جَمْعُ تَمِيمَةٍ ، وَهِيَ خَرَزٌ أَوْ قِلَادَةٌ تُعَلَّقُ فِي الرَّأْسِ ، كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ الْآفَاتِ . وَالتِّوَلَةُ : بِكَسْرِ الْمُثَنَّاةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَاللَّامِ مُخَفَّفاً شَيْءٌ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَجْلِبُ بِهِ مَحَبَّةَ زَوْجِهَا ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ ، وإنَّما كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ لأنَّهم أَرَادُوا دَفْعَ الْمَضَارِّ وَجَلْبَ الْمَنَافِعِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِّ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ بِأَسْمَاءِ اللهَّ وَكَلَامِهِ ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ ... " (٣) .

---

(١) انظر : الآداب الشرعية ، ابن مفلح (٢/ ٢٤٠– ٢٤١) .

(٢) انظر : شرح صحيح البخارى ، ابن بطال (٩/ ٤٣١) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٩٦/١٠) .

وقال الإمام السّندي : " وَالرُّقى : بِضَمِّ الرَّاءِ مَقْصُورٌ جَمْعُ رُقْيَةٍ بِضَمٍّ فَسُكُونِ الْعُوذَةُ ، وَالْمُرَادُ مَا كَانَ بِأَسْمَاءِ الْأَصْنَامِ وَالشَّيَاطِينِ لَا مَا كَانَ بِالْقُرْآنِ وَنَحْوِهِ . وَالتَّمَائِمُ : جَمْعُ تَمِيمَةٍ ، أُرِيدَ بِهَا الْخَرَزَاتُ الَّتِي يُعَلِّقُهَا النِّسَاءُ فِي أَعْنَاقِ الْأَوْلَادِ عَلَى ظَنِّ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ وَتَدْفَعُ الْعَيْنَ . وَالتِّوَلَةُ : بِكَسْرِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقٍ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَاللَّامِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ يَجْلِبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا شِرْكٌ مِنْ أَفْعَالِ الْمُشْرِكِينَ ، أَيْ : لأَنَّه قَدْ يُفْضِي إِلَى الشِّرْكِ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيراً حَقِيقَةً ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ بِتَرْكِ التَّوَكُّلِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ " (١) .

وجاء في " معالم السُّنن " : " قال الشَّيْخ : التِّولة : يقال أنَّه ضرب من السِّحر ؛ قال الأصمعي : وهو الذي يحبِّب المرأة إلى زوجها ، فأمَّا الرُّقى فالمنهيُّ عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب ، فلا يدرى ما هو ، ولعله قد يدخله سحراً أو كفراً ، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى ، فإنَّه مستحبٌّ متبرَّك به ، والله أعلم " (٢) .

ونختم هذه المسألة بما قاله الإمام ابن تيمية في كتابه : " مجموع الفتاوى " ، فقد جاء فيه : " وَيَجُوزُ أَنْ يَكْتُبَ لِلْمُصَابِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْمَرْضَى شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، وَذِكْرُهُ بِالْمِدَادِ الْمُبَاحِ ، وَيُغْسَلُ وَيُسْقَى ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَد وَغَيْرُهُ . قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَد : قَرَأْت عَلَى أَبِي ، ثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ ؛ ثَنَا سُفْيَانُ ؛ عَنْ محمَّد بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ الْحَكَمِ ؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ عَنْ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : إذَا عَسِرَ عَلَى الْمَرْأَةِ وِلَادَتُهَا فَلْيَكْتُبْ : بِسْمِ اللهِ لَا إلَـه إلَّا الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] .

قَالَ أَبِي : ثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ بِإِسْنَادِهِ بِمَعْنَاهُ ، وَقَالَ : يُكْتَبُ فِي إنَاءٍ نَظِيفٍ فَيُسْقَى ، قَالَ أَبِي : وَزَادَ فِيهِ وَكِيعٌ : فَتُسْقَى وَيُنْضَحُ مَا دُونَ سُرَّتِهَا ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : رَأَيْت أَبِي يَكْتُبُ لِلْمَرْأَةِ فِي جَامٍ أَوْ شَيْءٍ نَظِيفٍ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو محمَّد بْنُ أَحْمَد بْنِ حَمْدَانَ الحيري : أَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النسوي ؛ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَد بْنِ شبوية ؛ ثنا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ ؛ ثنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ؛ عَنْ سُفْيَانَ ؛ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ؛ عَنْ الْحَكَمِ ؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ عَنْ

---

(١) انظر : حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) ، السندي (٢/ ٣٦٠) .

(٢) انظر : معالم السنن (٤/ ٢٢٦) .

ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : إذَا عَسِرَ عَلَى الْمَرْأَةِ وِلَادُهَا فَلْيَكْتُبْ : بِسْمِ اللهِّ لَا إلَه إلَّا الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لَا إلَه إلَّا الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ؛ سُبْحَانَ اللهِّ وَتَعَالَى رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؛ وَالْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦] ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۭ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥] . قَالَ عَلِيٌّ : يُكْتَبُ فِي كاغدة فَيُعَلَّقُ عَلَى عَضُدِ الْمَرْأَةِ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَقَدْ جَرَّبْنَاهُ فَلَمْ نَرَ شَيْئاً أَعْجَبَ مِنْهُ ، فَإِذَا وَضَعَتْ تُحِلُّهُ سَرِيعاً ثُمَّ تَجْعَلُهُ فِي خِرْقَةٍ أَوْ تُحْرِقُهُ " (١) .

فمـــا رأي الشَّيخ ابن باز وغيره من المتمسلفة بما قاله الإمام ابن تيمية الذي ينعتونـــه بشيخ الإسلام ؟!!!

الثَّانِيَةُ وَالخَمْسُوْن : أفتى الألباني بالمساواة بين الفقة الحنفي والإنجيل ... فقال : " ... هذا صريحٌ في أنَّ عيسى عليه السَّلام يحكم بشرعنا ، ويقضي بالكتاب والسُّنَّة ، لا بغيرهما من الإنجيل أو الفقه الحنفي ، ونحوه " (٢) .

فلا إله إلَّا الله ... فهل خلا الفقه الحنفي من الاستشهاد بالكتاب والسُّنَّة ، فكيف تقارن به الكتب الشِّركيَّة ؟!!! ومن المعلوم أنَّ العديد من الكُتب المعتبرة عند المتمسلفة قد اشتملت على عشرات بل مئات من الرِّوايات التي حكمت بكفر الإمام الأعظم : أبو حنيفة النُّعمان عليه الرِّضوان ، بل إنَّ بعض المتمسلفة لا ينعته إلَّا بأبي جيفة ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

الثَّالِثَةُ وَالخَمْسُوْن : وحرَّم مدَّعو السَّلفيَّة السَّفر إلى بلاد المشركين للتِّجارة ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " يحرم السَّفر إلى بلاد المشركين للتِّجارة ، إلا أن يكون المسلم قويَّاً ، له منعةٌ ، يقدر على إظهار دينه ، وتكفيرهم !!! وعيب دينهم !!! والطَّعن عليهم !!! والبراءة منهم ، والتحفُّظ من مودَّتهم والرُّكون إليهم ؛ وليس فعل الصَّلاة فقط إظهاراً للدِّين .

وقول القائل : إنا نعتزلهم في الصَّلاة ، ولا نأكل ذبيحتهم ، لا يكفي في إظهار الدِّين ، بل لا بدَّ ممَّا ذكر .

قلت : هو كما تقدَّم : أن يتبرَّأ من المشركين والكفَّار ، وأن يصرِّح لهم بأنَّهم كفَّار ، وأنَّه عدوٌّ لهم ، ويعلمـــون ذلك منه ، فإن لم يحصل ذلك ، لم يكن مظهراً للدِّين " (١) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤-٦٥) .

(٢) انظر : تعليق الألباني على كتاب مختصر صحيح مسلم للمنذري (ص٥٤٨) .

قلت : وبمثل هذه الفتاوى الآثمة شوَّهوا وجه الإسلام المُشرق ... فقد حثُّوا فيها أتباعهم على إعلان تكفير أهل البلاد المستضيفة لهم ، وعيب دينهم !!! والطَّعن عليهم !!! ، ... ونسي هؤلاء أو تناسوا أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث ليتمِّم مكارم الأخلاق ، وأنَّ أعظم البلاد الإسلاميَّة لم يدخلها الفتح الإسلامي العسكري ، وإنَّما أسلم أهلها بسبب أخلاق المسلمين ... وكيف يقولون ما قالوا والله تعالى يخاطبنا بقوله : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ...

الرَّابِعَةُ وَالخَمْسُوْن : وحكم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب بهُجران كلّ من سافر إلى الدُّول المجاورة لتعليم !!! أو تجارة !!! أو غيرها حتى يُظهر التَّوبة (٢) .

فهذه الفتاوى وغيرها ممَّا يشبهها هي التي أخَّرت انطلاق الأُمَّة المتمثِّل بالاستفادة من خبرات وعلوم الآخرين ... وهي سبيل عقيم للانغلاق والانطواء على النفس ... والنَّتيجة : دمار ، وتأخُّر ، وجهل ، وتجهيل ... والبقاء في ذيل الأُمم ، وهذا هو ما يريده منَّا أعداء الله تعالى أن نكون ونبقى عليه ، مع أنَّ الله تعالى سبحانه وتعالى يخاطبنا فيقول : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

الخَامِسَةُ وَالخَمْسُوْن : أفتى مدَّعو السَّلفيَّة ، بأنَّ خروج المرأة إلى العمل يعتبر ضرباً من ضروب الزِّنا !!! فقد صرَّح ابن باز بأنَّ خروج المرأة إلى العمل يعتبر ضرباً من ضروب الزِّنا (٣) .

هكذا تكلَّم على الإطلاق ، ولم يفصِّل بين عمل مشروع ، وآخر ممنوع ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٨٢) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٤٦٢) .

(٣) انظر : جريدة القبس الكويتية ، العدد ٨٢٥٢ ، يوم الجمعة ٢٧ محرم .

السَّادِسَةُ وَالخَمْسُوْن : حرَّم الإمام ابن تيمية دراسة الكيمياء !!! وزعم أنَّ فيها تشبيه صنعة المخلوق بصنعة الخالق ، فقد جاء في فتاويه : وَسُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : عَنْ عَمَلِ " الْكِيمْيَاءِ " هَلْ تَصِحُّ بِالْعَقْلِ أَوْ تَجُوزُ بِالشَّرْعِ ؟

فَأَجَابَ : الْحَمْدُ للهَّ ، مَا يَصْنَعُهُ بَنُو آدَمَ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَالطِّيبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشَبِّهُونَ بِهِ مَا خَلَقَهُ اللهَّ مِنْ ذَلِكَ ؛ مِثْلَ مَا يَصْنَعُونَهُ مِنْ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَمَاءِ الْوَرْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ : فَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ مِثْلَ مَا يَخْلُقُهُ اللهَّ مِنْ ذَلِكَ ؛ بَلْ هُوَ مُشَابِهٌ لَهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ لَيْسَ هُوَ مُسَاوِياً لَهُ فِي الْحَدِّ وَالْحَقِيقَةِ . وَذَلِكَ كُلُّهُ مُحَرَّمٌ فِي الشَّرْعِ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الذَّهَبَ الْمَصْنُوعَ مِثْلُ الْمَخْلُوقِ فَقَوْلُهُ بَاطِلٌ فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ . وَحَقِيقَةُ " الْكِيمْيَاءِ " إنَّمَا هِيَ تَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ وَهُوَ بَاطِلٌ فِي الْعَقْلِ وَاللهَّ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ . فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً يَقْدِرُ الْعِبَادُ أَنْ يَصْنَعُوا مِثْلَ مَا خَلَقَ " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " وَالْكِيمْيَاءُ أَشَدُّ تَحْرِيماً مِنْ الرِّبَا !!! قَالَ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ : مَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ ، وَيُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَنْ مَالِكٍ ، وَالشَّافِعِيِّ " (٢) .

وتابع الإمام ابن القيِّم شيخه في تحريم الكيمياء ، فقال : " وقرأت بِخَط الْفَاضِل جِبْرِيل بن روح الأنباري ، قَالَ : أخبرني بعض من تداول الْمَعَادِن أَنَّهم أوغلوا فِي طلبَهَا إِلى بعض نواحي الْجَبَل ، فَانْتَهوا إِلى مَوضِع وَإِذا فِيهِ أمثال الْجبَال من الْفضَّة ، وَمن دون ذَلِك وَاد يجْري متصلِّباً بِمَاء غزير لَا يدْرك ، وَلَا حِيلَة فِي عبوره ، فانصرفوا إِلى حَيْثُ يعْملُونَ مَا يعبرون بِهِ ، فلمَّا هيَّئوه وعادوا راموا طَرِيق النَّهر ، فَمَا وقفُوا لَهُ على أثر ، وَلَا عرفُوا إِلى أَيْنَ يتوجَّهون ، فانصرفوا آيسين ، وَهَذَا أُحْدُ مَا يدلُّ على بطلَان صناعَة الكيمياء ، وأنها عِنْد التَّحْقِيق زغل وصبغة لَا غير ، وَقد ذكرنَا بُطْلَانهَا وبينَّا فَسَادهَا من أربعين وَجهاً فِي رِسَالَة مُفْردَة " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٦٨) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٦٨) .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٢٢) .

وقال الإمام ابن القيِّم أيضاً : " ... وإن كان غيرهم من الأمم أعلم بالحساب والهندسة ، والكمِّ المتَّصل ، والكمِّ المنفصل ، والنَّبض ، والقارورة ، والبول ، والقسطة ، ووزن الأنهار ، ونقوش الحيطان ، ووضع الآلات العجيبة ، وصناعة الكيمياء ، وعلم الفلاحة ، وعلم الهيئة ، وتسيير الكواكب ، وعلم الموسيقا والألحان ، وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع ، وبين ظنون كاذبة ، وبين علم نفعه في العاجلة ، وليس من زاد المعاد " (١) .

فحسبُنا الله ونعم الوكيل ...

السَّابِعَةُ وَالخَمْسُوْن : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : أنَّ التِّلفزيون آلة بلاء وشرّ ، داعية إلى كلِّ رذيلة ومجون (٢) ، وأنَّ من رأى إباحة التِّلفزيون فقد قذف الشَّيطان بزبده في قلوبهم المظلمة (٣) ، وأنَّهم اتَّبعوا أهوائهم ، وهم قوم ضلُّوا وأضلُّوا من قبل ، وضلُّوا عن سواء السَّبيل (٤) .

فإذا كان التِّلفزيون حراماً كما يقولون ، فلماذا استغلُّوه في نشر فكرهم ، وطامَّاتهم ، التي صرَّحوا في كثير منها بتكفير غيرهم ؟!! بل استغلُّوا منابر الإعلام بكافَّة وسائلة لنشر الكثير من الباطل ...؟ !!! مستغلِّين في ذلك جهل الكثيرين بأحكام الدِّين .

الفَصْلُ الثَّانِي
تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلمُعَيَّن

(١) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٣/ ٢٢٣) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٤٣) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٣٦) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٣٦) .

من المعلوم أنَّ الحُكم على شخص معيَّن بالكفر هو من الخُطورة بمكان ، وقد حذَّرنا ربُّنا في القرآن العظيم من تكفير الآخرين ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] ، وأكَّد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك في العديد من الأحاديث ، وقد سبق ذكرُ بعضها ... وما كان ذلك إلَّا بسبب ما يترتَّب على تكفير المُعيَّن من أُمور عديدة ، وآثار جسيمة ، ، من أهمِّها : الحكم على المُكفَّر بالخلود في النَّار ، والطَّرد من رحمة العزيز الغفَّار ...كما تجب استتابة المُكفَّر ، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه ... والمُكفَّر لا يُغسَّل ، ولا يكفَّن ، ولا يصلَّى عليه ، ولا يُدفن في مدافن المسلمين ، ولا يَرث ، ولا يُورث ، كما يجب التَّفريق بين المُكَفَّر وزوجته فوراً ...

وقد تضافرت أقوال العلماء في التَّحذير من فتنة التَّكفير ، فقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه : الاحتراز من التَّكفير ما وجد إليه سبيلاً . فإنَّ استباحة الدِّماء والأموال من المصلِّين إلى القبلة المصرِّحين بقول لَا إِلَه إلَّا الله محمَّد رسول الله خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم " (١) .

وقال الإمام صدر الدِّين محمَّد بن علاء الدِّين عليّ بن محمَّد ابن أبي العزِّ الحنفي ، الأذرعي الصَّالحي الدِّمشقي (٧٩٢هـ) : " واعلم – رحمك الله وإيَّانا – أنَّ باب التَّكفير وعدم التَّكفير ، باب عظُمت الفتنة والمحنة فيه ، وكثر فيه الافتراق ، وتشتَّتت فيه الأهواء والآراء ، وتعارضت فيه دلائلهم ، فالنَّاس فيه ، في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة ، المخالفة للحقِّ الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر ، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم ، على طرفين ووسط ، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العمليَّة ... فإنَّه من أعظم البغي أن يشهد على معيَّن أنَّ الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلِّده في النَّار ، فإنَّ هذا حكم الكافر بعد الموت " (٢) .

---

(١) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٣٥) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (ص٣١٦-٣١٨ باختصار) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " فلعن المُسلم المْعيَّن حرَام ، وَأَشدُّ مِنْهُ رميه بالْكفْر وَخُرُوجه من الْإِسْلَام ، وَفِي ذَلِك أُمُور غير مرضيَّة ، مِنْهَا : إشمات الْأَعْدَاء بِأَهْل هَذِه الْملَّة الزكيَّة ، وتمكينهم بذلك من الْقدح فِي المُسلمين واشتضعافهم لشرائع هَذَا الدِّين . وَمِنْهَا : أَنَّه رُبمَا يقْتَدى بالرَّامي فِيمَا رمى ، فيتضاعف وزره بِعَدَد من تبعه مأثماً ، وَقلَّ أَن يسلم من رمى بِكفْر مُسلماً " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " اعلم أنَّ الحكم على الرَّجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر ، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلَّا ببرهان أوضح من شمس النَّهار ، فإنَّه قد ثبت في الأحاديث الصَّحيحة المرويَّة من طريق جماعة من الصَّحابة أنَّ : " من قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما " ، هكذا في الصَّحيح ، وفي لفظ آخر في الصَّحيحين ، وغيرهما : " من دعا رجلاً بالكفر أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلَّا حار عليه " ، أي : رجع ، وفي لفظ في الصَّحيح : " فقد كفر أحدهما " ، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر ، وأكبر واعظ عن التَّسرُّع في التَّكفير " (٢) .

وبرغم ما جاء الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة وفي أقوال أساطين العلم من التَّحذير من تكفير المُعيَّن ، فقد جانب مدَّعو السَّلفيَّة الصَّواب ، وحكموا بألوان عديدة من تكفيرات المعيَّن ، سواء كان المعيَّن فرْداً أو مجموعة ...

وتكفيرهم للمُعيَّن أفراداً وجماعات ينتظم في النِّقاط التَّالية :

الأُوْلَى : قال محمَّد بن عبد الوهَّاب (١٢٠٦هـ) في تكفير المعيَّن : " ... بل العبارة صريحة واضحة في تكفيره ، مثل ابن فيروز ، وصالح بن عبد الله وأمثالهما ، كفراً ظاهراً ينقل عن الملَّة ، فضلاً عن غيرهما " (٣) .

مع العلم أنَّ ابن فيروز ، وصالح بن عبد الله ، حنبلِيَّا المشْرَب ، على منهج الإمام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة ...

---

(١) انظر : الرد الوافر (ص١١) .

(٢) انظر : السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص٩٧٨) .

(٣) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١٠/ ٦٣) .

وخلص محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) إلى القول بـ : " أنَّ الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحُّ عقولاً ، وأخفُّ شركاً من هؤلاء ... " (١) .

الثَّانِيَةُ : كفَّروا الإمام الحسين الكرابيسي (٢٤٨هـ) ، فقد جاء في طبقات الحنابلة – وهو من كتبهم المعتمدة – : قال : أحمد بن محمَّد بن الحجَّاج أبو بكر المروذي ، قلت : لأبي عبد الله : إنَّ الكرابيسي يقول : من لم يقل لفظه بالقرآن مخلوق فهو كافر ، فقال : بل هو كافر (٢) .

وجاء في طبقات الحنابلة : " وأنبأنا أبو الحسين بن مهتدي بالله ، عن أبي الحسين بن أخي ميمي ، قال : أخبرنا علي بن محمَّد الموصلي ، حدثنا موسى بن محمَّد الغسَّاني ، حدثنا شاهين بن السّميدع ، قال : سمعت أبا عبد الله ، أحمد بن حنبل ، يقول : الحسين الكرابيسي عندنا كافر " (٣) .

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأحمد إنَّ الكرابيسي ، يقول : لفظي بالقرآن مخلوق ، قال : كذب الخبيث هتكه الله ، قد خلق هذا بشراً المريسي " (٤) .

والسَّبب الذي لأجله كفَّروا الإمام الكرابيسي هو لأنَّه كان يقول : لفظي بالقرآن مخلوق ... وهذا حقٌّ وصدق ... مع العلم أنَّ الكرابيسي كان أحد بحور العلم ، وكان مُصَنِّفاً مُتْقِناً ، ونَظَّاراً جَدَلِيَّاً ، قال الإمام الذَّهبيُّ في ترجمته له : " العَلاَّمَةُ ، فَقِيْهُ بَغْدَادَ ، أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ عَلِيِّ بنِ يَزِيْدَ البَغْدَادِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، تَصَانِيْفُهُ فِي الفُرُوْعِ وَالأُصُوْلِ تَدُلُّ عَلَى تَبَحُّرِهِ ... وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ اللَّفْظَ ... قَالَ حُسَيْنٌ فِي القُرْآنِ : لَفْظِي بِهِ مَخْلُوْقٌ ، فَبَلَغَ قَوْلُهُ أَحْمَدَ ، فَأَنْكَرَهُ ، وَقَالَ : هَذِهِ بِدْعَةٌ .

فَأَوْضَحَ حُسَيْنٌ المَسْأَلَةَ ، وَقَالَ : تَلَفُّظُكَ بِالقُرْآنِ – يَعْنِي : غَيْرَ المَلْفُوْظِ – .

وَقَالَ فِي أَحْمَدَ : أَيُّ شَيْءٍ نَعْمَلُ بِهَذَا الصَّبِيِّ ؟ إِنْ قُلْنَا : مَخْلُوْقٌ ، قَالَ : بِدْعَةٌ ، وَإِنْ قُلْنَا : غَيْرُ مَخْلُوْقٍ ، قَالَ : بِدْعَةٌ .

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص٣٦) .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٦٢) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ١٧٢) .

(٤) انظر : مناقب الإمام أحمد ، ابن الجوزي (ص٢١٢) .

فَغَضِبَ لأَحْمَدَ أَصْحَابُهُ ، وَنَالُوا مِنْ حُسَيْنٍ ... وَلاَ رَيْبَ أَنَّ مَا ابْتَدَعَهُ الكَرَابِيْسِيُّ ، وَحَرَّرَهُ فِي مَسْأَلَةِ التَّلَفُّظِ ، وأنَّه مَخْلُوْقٌ هُوَ حَقٌّ ، لَكِنْ أَبَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ ، لِئَلاَّ يُتَذَرَّعَ بِهِ إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ ، فَسُدَّ البَابُ ؛ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَفْرِزَ التَّلَفُّظَ مِنَ المَلْفُوْظِ الَّذِي هُوَ كَلاَمُ اللهِ إِلاَّ فِي ذِهْنِكَ " (١) .

ومن المعلوم أنَّ السَّلف الصَّالح لم يتطرَّقوا لمسألة اللفظ ، اللهمَّ إلَّا ما نقل عن الإمام أبي حنيفة ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : " ولفظنا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوق وكتابتنا لَهُ مخلوقة وقراءتنا لَهُ مخلوقة وَالْقُرْآن غير مَخْلُوق " (٢) ...

واستمرَّ الحال على ذلك إلى أن جاء الإمام الحسين بن علي الكرابيسي ...

قال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النِّمري القرطبي (٤٦٣هـ) في ترجمته للكرابيسي : " وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ صَدَاقَةٌ وَكِيدَةٌ ، فلمَّا خَالَفَهُ فِي الْقُرْآنِ عَادَتْ تِلْكَ الصَّدَاقَةُ عَدَاوَةً ، فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَطْعَنُ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ كَانَ يَقُولُ : مَنْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ ، وَمَنْ قَالَ الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ وَلا يَقُولُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلا مَخْلُوقٌ فَهُوَ وَاقِفِيٌّ ، وَمَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوق فَهُوَ مُبْتَدع . وَكَانَ الكرابيسي ، وعبد الله بْنُ كُلَّابٍ ، وَأَبُو ثَوْرٍ ، وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وطبقاتهم يَقُولُونَ : إِنَّ الْقُرْآنَ الذى تكلَّم بِهِ الله صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ ، لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَلْقُ ، وَإِنَّ تِلاوَةَ التَّالِي وَكَلامِهِ بِالْقُرْآنِ كَسْبٌ لَهُ وَفِعْلٌ لَهُ ، وَذَلِكَ مَخْلُوقٌ ، وأنَّه حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ ، وَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ ، وَشَبَّهُوهُ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ للهِ ، وَهُوَ غَيْرُ اللهِ ، فَكَمَا يُؤْجَرُ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ فَكَذَلِكَ يُؤْجَرُ فِي التِّلاوَةِ " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ الكرابيسي لم ينفرد بهذا القول ، بل سبقه ووافقه العديد من العلماء ، مثل : البخاري (٢٥٦هـ) ، والحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣هـ) ، ومحمَّد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ) ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخاري ، والحارث بن أسد المحاسبي ، ومحمَّد بن نصر المروزي ، وغيرهم " (٤) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٩-٨٢ باختصار) .

(٢) انظر : الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس) (ص٢٠) .

(٣) انظر : الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم ، ابن عبد البر (ص١٠٦) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي (٢/ ١١٩) .

ثمَّ إنَّ الإمام أحمد كان لا يرى الخوض في هذه المسألة خوفاً من أن يقود البحث فيها إلى القول بخلق القرآن ، خاصة وأنَّ البحث فيها كان حديث السَّاعة ، ولأجلها وفيها امتحن ...

قال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) تلميذ ابن تيمية : " فقد كان هذا الإمام – أي أحمد – لا يرى الخوض في هذا البحث خوفاً من أن يتذرَّع به إلى القول بخلق القرآن ، والكفّ عن هذا أولى...

ومعلوم أنَّ التلفُّظ شيء من كسب القارئ غير الملفوظ ، والقراءة غير الشَّيء المقروء ، والتِّلاوة وحسنها وتجويدها غير المتلو ، وصوت القارئ من كسبه فهو يُحدث التلفُّظ والصَّوت والحركة ، والنُّطق ، وإخراج الكلمات من أدواته المخلوقة ، ولم يحدث كلمات القرآن ، ولا ترتيبه ، ولا تأليفه ، ولا معانيه... " (١) .

وقال الإمام الذَّهبي أيضاً : " كان مسلم بن الحجَّاج يُظهر القول باللفظ ، ولا يكتمه ، فلمَّا استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم الاختلاف إليه ، فلمَّا وقع بين البخاري والذّهلي ما وقع في مسألة اللفظ ، ونادى عليه ، ومنع النَّاس من الاختلاف إليه ، حتى هُجر ، وسافر من نيسابور ، قال : فقطعه أكثر النَّاس غير مسلم ، فبلغ محمَّد بن يحيى ، فقال يوماً : ألا من قال باللفظ فلا يحلُّ له أن يحضر مجلسنا ، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته ، وقام على رؤوس النَّاس ، ثمَّ بعث إليه بما كتب عنه على ظهر جمَّال . قال : وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه " (٢) .

وتحقيقاً للفائدة في مسألة كلام الله تعالى التي طالما كفَّر مدَّعو السَّلفيَّة عموم الأُمَّة بسببها ، أقول : الكلام صفة ذاتيَّة أزليَّة قائمة بذاته تعالى ، ليست بحرف ولا صوت ، منزَّهة عن التَّقدُّم والتَّأخُّر والإعراب والبناء ، ومنزَّهة عن السُّكوت والآفة ، تدلُّ على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، يعبَّر عنها عن طريق الكتابة أو الإشارة أو العبارة ...

وقد جاءت الآيـــات القرآنيَّة تترى تدلِّل على اتصافه الله سبحـــانه وتعـــــالى بصفة الكلام ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦] .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٠) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٢) .

" وعن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما منكم من أحد إلَّا سيكلِّمه ربُّه ، ليس بينه وبين ترجمان ، ولا حجاب يحجُبه " [1] .

" وأجمعت الأُمَّة على أنَّ الله تعالى يتكلَّم بكلام قديم أزلي " [2] .

ومسألة الكلام مسألة عويصة لدرجة أنَّ هذا العلم الشَّريف سُمِّي بعلم الكلام ، لأنَّ مسألة الكلام هي أعوص مسائلة ، وهي المسألة التي افترقت وتباينت فيها الأقوال ، حتى قال القائل : مسألة الكلام حيَّرت عقول الأنام ...

وحتى يسهل الإلمام بجميع جوانب المسألة ، ولأجل تسهيلها ، رأيت أنَّه أسبر غورها عبر نقاط متعاقبة مترتِّبة ، وهي :

١. يرى العلماء أنَّ الكلام على الحقيقة الوجوديَّة يخرج من فم المتحدِّث نتيجة تطابق الهواء الخارج من الصدر من التَّلاحم الحنجري أو الفلكي أو اللساني أو الأسناني أو الشَّفهي [3] ، والله تعالى يتنزَّه عن ذلك كلِّه ...

٢. انقسم النَّاس في مسألة الكلام إلى مقالات عديدة ، من أشهرها :

أولاً: المعتزلة : ويرى المعتزلة أنَّ كلامه تعالى حروف وأصوات يخلفها الله تعالى في غيره كاللوح المحفوظ ، وجبريل ، والشَّجر ، وغير ذلك ، ومن ثمَّ فهي ليست قائمة في ذاته ، وبالتَّالي فليس لله تعالى صفة ذاتيَّة قديمة تسمَّى الكلام ، وإنَّما هو فعلٌ من أفعاله ، وبناء على ذلك قالوا بخلق القرآن [4] .

ثانياً: حشويَّة الحنابلة : وهؤلاء قالوا : إنَّ كلام الله تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتِّبة القديمة القائمة بذاته تعالى ، حتى غالى بعضهم وقال بقِدَم الوَرق والحبر ... فالله تعالى – بحسب رأيهم – يتكلَّم بحروف وأصوات ، وأنَّه يوصف بالسُّكوت ، على ما ذكره ابن تيمية في الفتاوى [5] ، ويقولون بأنَّ هذه الحروف

---

[1] أخرجه البخاري (ص١٦٣٠ برقم٧٤٤٣) ، مسلم (ص٣٩٢ برقم ١٠١٦) .

[2] انظر : تهذيب السنوسية (ص٥٩) .

[3] انظر : مختصر كتاب تصحيح المفاهيم العقديَّة في الصفات الإلهيَّة (ص١٠٧) .

[4] انظر تفصيل ذلك في : شرح الأصول الخمسة ، (ص٥٢٧ فما بعدها) ، المغني في أبواب التوحيد والعدل (٤/ ٣٣ ، ١٣٩ ، ١٧٦) .

[5] انظر :الفتاوى ، (٦/ ١٧٩) ، جمع : عبد الرَّحمن بن محمَّد وولده محمد .

والأصوات تقوم بذاته سبحانه ، فالكلام عندهم صفة ذات باعتبار أصله وصفة فعل باعتبار تعلّقه بالمشيئة والإرادة ، أي : أنَّ الله تعالى يوجد الحروف والأصوات في ذاته بعد أن لم تكن موجودة ، فكلام الله تعالى عندهم قديم النوع حادث الآحاد (١) .

ولم يقتصر الشَّيْخ ابن تيمية – غفر الله له – على ذلك ، بل تعدَّاه إلى تشبيه صوت الله تعالى بأصوات الصَّواعق ، فقد قال في الموافقة المطبوع بهامش منهاج السُّنَّة له : " لَمَّا سمع موسى كلام الله تعالى ، قال : يا ربّ هذا الذي أسمع هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ، وإنَّما كلَّمتك على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلَّمتك بأكثر من ذلك لمتَّ . فلمَّا رجع موسى إلى قومه قالوا له : صِفْ لنا كلام ربِّك ، فقال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟ قالوا : فشبِّهه ، قال : هل سمعتم أصوات الصَّواعق التي تُقبِل في أحلى حلاوة سمعتموها ، فكأنَّه مثله " (٢) .

ثالثاً : الأشاعرة والماتريديَّة : وهؤلاء يقولون بنوعين من الكلام :

الأول : الكلام اللفظي الحادث ، وهو الحروف والأصوات والألفاظ ، وهو لا يقوم بالله تعالى ، ويمثِّله القرآن الكريم ، والتَّوراة ،، والزَّبور ، والإنجيل .

الثاني : الكلام النَّفسي ، وهو الكلام الحقيقي الذي يُعبَّر عنه بالألفاظ ، وهو ما ليس بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير ، ولا تقسيم ، ولا بداية ، ولا نهاية ، ولا يقبل الانفصال عنه والانتقال إلى القلوب والأوراق ، فكلامه سبحانه صفة له وصفاته قائمة بذاته ، لا تقبل الانفصال عنه والافتراق ، يتعلَّق بما يتعلَّق به العلم ، وهو قديم وليس بمخلوق ، وهو الكلام حقيقة ، المعبَّر عنه بالألفاظ .

فالكُتب السَّماويَّة دالَّة على بعض مدلول الكلام النَّفسي ، ولا يحيط بكلِّ مدلوله إلَّا هو سبحانه ... وهذه الكُتب بما اشتملت عليه من عبارات تدلُّ على كلامه القديم الأزلي القائم بذاته ، وتسمَّى هذه العبارات كلام الله ، وهي مُحدثة مخلوقة .

ومن الأدلَّة على إثبات الكلام النَّفسي :

قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ ﴾ [المجادلة:٨] .

---

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ، (٦/ ٢٩١–٢٩٢) ، جمع : عبد الرَّحمن بن محمَّد وولده محمد .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية (٢/ ١٥١) ، المكتبة العلميَّة ، بيروت .

وقوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ ﴾ [ق: ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ [يوسف:٧٧] .

وقوله تعالى في الحديث القدسي : " فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي " (١) .

وذكر عن سيِّدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قال يوم السَّقيفة : " زوَّرت في نفسي مقالة " (٢) .

وقد " شاع فيما بين أهل اللسان إطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القائم بالنَّفس ، يقولون : في نفسي كلام ، وزورَّت في نفسي مقالة ، وقال الأخطل :

إنَّ الكلامَ لَفِي الفُؤاد وإنَّما   جُعل اللسَانُ على الفُؤادِ دليلا (٣)

والكلام النَّفسي ليس من جنس الحروف والأصوات " ، لأنَّ الأحرف والأصوات نعتنا وصفتنا ومنسوبة إلينا ، نقرأ بها كلام الله تعالى ونفهمه بها ، والكاف والنُّون وجميع الحروف ، القراءة والمقروء والمفهوم بها كلامُ الله ، أفهمنا بها كلام الله القديم الأزلي ، كما أفهم موسى بالعبرانيَّة ، وعيسى بالسِّريانيَّة ، وداود باليونانيَّة ...

٣. لا يقال : إنَّ كلام الله عزَّ وجلَّ لغات مختلفة ، لأنَّ اللغات صفات المخلوقين ، بل المفهوم من هذه اللغات كلام الله القديم الأزلي... " (٤) .

٤ . الكلام النَّفسي سابق في الوجود للكلام اللفظي المكوَّن من الحرف والصَّوت... وهو ليس محصوراً بكمٍّ معيَّن ، بل هو لا نهاية له كعلمه ، قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [لقمان: ٢٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (ص١٤١٠ برقم ٧٤٠٥) ، مسلم (ص١٠٧٥ برقم ٢٦٧٥) .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ ، ابن الأثير (ص٢٧٨) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٣) انظر : شرح المقاصد (٤/ ١٥٠) .

(٤) انظر : الإشارة إلى مذهب أهل الحق (ص٢١٤-٢١٥) .

٥. ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ متكلِّم فيما لم يزل ولا يزال ، ومنعوا إطلاق السُّكوت عليه جلَّ جلاله ، لأنَّ السُّكوت عُقيب الكلام من تغيُّر الأحوال ، والله سبحانه لا يتغيَّر ولا يحول ولا يزول " (١) .

وقد لخَّص الإمامُ القُرطبيُّ مذهب أهل الحقّ في كلام الله تعالى ، فقال : " مذهبُ أهل الحقِّ أنَّ كلام الله سبحانه الذي هو القرآن مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصُّدور ، وهو سور وآيات ، وله نصف وربع ، فنصفه آخر سورة الكهف إلى آخر ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] ، وله مع ذلك خُمس ، وسُبع ، وعُشر ، وفي الكتابة الموجودة في المصحف والقراءة الموجودة في الألسنة ، ستَّة آلاف آية ومئتا آية وآية ، وفيها من الحروف ثلاثمائة ألف حرف ، وأحد عشر ألف ومائتان وخمسون حرفاً ، وكلام الله القديم الذي هو صفته تعالى لا نصف له ولا ربع ولا خُمس ولا سُبع ، ولا هو ألوف ولا مئون ولا آحاد ، وإنَّما هو صفة واحدة لا ينقسم ولا يتجزَّأ . وهذا ما يدلُّ على أنَّ التِّلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء .

وقال أبو المعالي : لا استنكار في تسمية عين كلام الله قرآناً ، ولا بُعد في تسمية التِّلاوة والقراءة قرآناً ، وإن لم تكن التِّلاوة عين المتلو ، ومن الدَّليل على أنَّ التِّلاوة تسمَّى قرآناً قول القائل في مرثيَّة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

ضحُّوا بأشمط عنوان السُّجود به   يقطِّع الليل تسبيحاً وقرآناً

ومعناه : يقطِّع الليل تسبيحاً وقراءة ، فإنَّ الشَّاعر رام ذكر عباداته وقراءته ومجاهدته في أوقاته وساعاته ، فذكر من جملة ما ذكر تسبيحه وقرآنه وأراد قراءته للقرآن ، والقرآن القديم لا يكتسبه المكلَّف ، ولا يجلبه ، ولا يعدُّ ممَّا يتكلَّفه من المشاقّ ويعانيه من شاقِّ الأعمال ، ويطلق القرآن والمراد به المصحف نفسه ، وإن اتَّفقت الأُمَّة على أنَّ أجزاء المصحف ليس بكلام الله ، وإنَّما كلام الله المكتوب فيه .

وقال كثير من المفسِّرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨] : أنَّه أراد بالكتاب المكنون المصحف ، ثمَّ المصحف ليس بكلام الله ، لكن المكنون فيه كلام الله تعالى ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو " (٢) ، وأراد النَّهي والزَّجر عن المسافرة بالمصحف إلى بلاد الكفرة ، تحذيراً من تعريض المصحف للوقوع في أيديهم ، وليس الغرض من الحديث النَّهي

---

(١) انظر : الكتاب الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، القرطبي (٢/ ١٥٥) .

(٢) أخرجه مسلم بلفظ : " لا تسافروا بالقرآن ، فإنِّي لا آمن أن يناله العدو " (ص٧٧٩ برقم ١٨٦٩) .

عن نقل كلام الله من قُطر إلى قُطر ، إذ الصِّفة القديمة الأزليَّة يستحيل فيها تقدير النَّقل والتَّحويل ، والتَّرديد والتَّبديل ، ومن الدَّليل على ما قلناه : أنَّ الربَّ سبحانه سمَّى صلاة الفجر قرآناً ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] . وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ المراد به صلاة الفجر ، فإنَّ ملائكة الليل في عروجهم وملائكة النَّهار في نزولهم يشهدونها ، فإذاً لم يبعد تسمية صلاة مشتملة على أركانٍ متغايرة وأفعال وأقوال وقراءة وتسبيح وتمجيد قرآناً ، لم يبق لما استبعده الخصوم وجه " (١) .

وعليه ، فإنَّ القرآن بمعنى الكلام النَّفسي الذي هو صفة الله تعالى قديم ، أمَّا القرآن بمعنى المكتوب في المصحف ، والمحفوظ في المصحف ، والمكوَّن من حروف ، وله بداية ونهاية وأبعاض... فهذا لا شكَّ في أنَّه مخلوق....

قال الإمام أبو اليُّسر محمَّد البزدوي : " والقرآن ذو بداءة ونهاية وذو أبعاض . وهذا من إمارات المخلوق ، وكذا نسخ بعضه ببعض ، وأنَّه أُنزل من اللوح إلى السَّماء ، وهذا لا يتصوَّر إلَّا فيما هو مخلوق ، وكذا هو حروف وبعضه عربي وبعضه عبري ، وهذا كلُّه من صفات المخلوقين ، وكذا يُكتب ويقرأ ويحفظ ويسمع وينقل من موضع إلى موضع ، ويُمحى بعد ما يكتب ، وهذا كلّه من صفات المخلوقين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] ، وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢] ، وقال : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٩٧] ، وقال : ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧] ، والمتشابه من إمارات الحدوث ، وكذلك سمَّاه ذكراً محدثاً ، وذكر أنَّه جُعل قرآناً ، والجعلُ هو الخلق والإيجاد لغة " (٢) .

٦." والدَّليل على أنَّ الحروف مخلوقة : أنَّ الحروف في الحقيقة جوانب الفم ، ثمَّ الأصوات التي تقع على الجوانب تسمَّى حروفاً ، وجوانب الفم والأصوات كلّها مخلوقة ، وما يُكتب على الكاغد (الورق) يُسمَّى حروفاً ، لأنَّها دالَّة على تلك الحروف ، وذلك حبر وهو مصنوع مخلوق ، وأمَّا العربي والعبري فذاك أيضاً صفة المنظوم

---

(١) انظر : الكتاب الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، القرطبي (٢/ ١٩٠-١٩٥) .

(٢) انظر : أصول الدِّين ، البزدوي (ص٦٥) .

لا صفة كلام الله تعالى ، فإنَّ هذا المنظوم الذي هو دالٌّ على كلام الله تعالى عربي وهو القرآن ، والتَّوراة عبري ، وهو المنظوم ، وأمَّا النَّقل من موضع إلى موضع فهو للمنظوم أيضاً لا لكلام الله تعالى " (١) .

" والحروف في الحقيقة أصوات مختلفة ، فإنَّ الكاف صوت يقع على اللهاة ، والحاء صوت يقع في الحلق ، والباء صوت يقع على الشفة ، ولهذا سمِّيت حروفاً ، لأنَّ الحرف هو الجانب ، وهذه الحروف تصير حروفاً بوقوعها على حروف الفم من حيث الصَّوت ، والله تعالى موجد الأصوات وموجد كل حادث ، والصوت عرَض لا يتصوَّر بقاؤه ، فلا يتصوَّر الانتظام ، فكذا الأصوات لا يتصوَّر تقطيعها ، لأنَّها أعراضٌ ، والتَّقطيع لا يُتصوَّر إلَّا في الأجسام ، ولأنَّ الحروف هي الأصوات ... " (٢) .

" فإذا كانت الحروف لا تخرج إلَّا من مخارج ، والربُّ عزَّ وجلَّ منزَّهٌ عن ذلك ، لأنَّه ليس ذا ألفاظ ومخارج يتقدَّم بعضها على بعض ، فإنَّه في حال ما يتكلَّم بالكاف ، النُّون معدومة ، وفي حال ما يوجد النُّون ويتكلَّم بها ، الكاف معدومة ، وما هذه صفته لا يكون إلَّا مخلوقاً ، ولأنَّ هذه الكاف والنُّون نشاهدهما في مصاحفنا أجساماً مخلوقة ، فتارة تكون بالحبر ، وتارة تنقش بالجص والآجر على المساجد وغيرها ، فإذا قلنا بقِدمها ونحن لا نشاهد إلَّا هذه الأجسام والألوان المخلوقة ، فقد قلنا بقِدم العالم ، لأنَّ القديم لا يحلُّ في المحدَث ، ولأنَّ القول بهذا يؤدِّي إلى القول بما يعتقده النصارى ، لأنَّهم يقولون : إنَّ كلمة الله القديمة حلَّت في عيسى ، فصار عيسى قديماً أزلياً ، بل يكون هذا القول أعظم قولاً من قول النصارى لأنَّهم لم يقولوا إلا بقدم عيسى " (٣) .

٧.ومن الأدلَّة على أنَّ القرآن بمعنى الكلام الحسِّي مخلوق : هو أنَّ الله تعالى أنزله إلى اللوح المحفوظ ، فقال سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١-٢٢] ، وهنا نسأل ، هل ما وُضع في اللوح المحفوظ المخلوق الحادث : قديمٌ أم حادث ، والجواب : لا شكَّ بأنَّه حادث ، لأنَّ القديم لا يحلُّ في الحادث....

وإذا ما احترق القرآن أو طُمس أو مُحي ، فهل المُحترق أو المطمُوس الممحي هو الصِّفة القديمة أم الحادث !!!؟

(١) انظر : أصول الدِّين ، البزدوي (ص٧٠) .

(٢) انظر : أصول الدِّين ، البزدوي (ص٦٣-٦٤) .

(٣) انظر : الإشارة إلى مذهب أهل الحق (ص٢١٣) .

كما ونسأل : هل القرآن هو الله ؟ أم غير الله ؟ والجواب قطعاً أنَّه غير الله ، وبديهي أنَّه كلّ ما سوى الله مخلوق .

ثم إنَّ القرآن العظيم هو معجزة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : والمعجزة كما يعرِّفها العلماء : أمرٌ خارقٌ للعادة يُحدثه الله ويُجريه على يد مدَّعي النبوة ... فالقرآن وسائر معجزات الأنبياء أمور مخلوقة حادثة ...

٨.وأخيراً ، فليس من شرط الكلام أن يكون بصوت وحرف ، فإنَّ الله تعالى سمَّى الإشارة كلاماً ، فقال سبحانه مخاطباً سيِّدنا زكريا عليه الصَّلاة والسَّلام : ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] . فالإشارة أو الرَّمز تُعتبر كلاماً ، وقد شــاع في زماننا لغة الصُّم والبكم ، وإشـــارات المرور ، والرُّموز التي تدلُّك على الهيئات والمؤسَّســات العامَّة والخاصَّــة ، والتي على ضوئها ومن خلالها يفهم الإنســان ويعي ما تدلُّ وترشد إليه هذه الإشارة أو تلك ...

وبالإجمالي ، فلو كانت الحروف والألفاظ قديمة كما زعموا ، ما قبلت شيئاً من المحو والنَّسخ والإحراق ، وقد ذكر أنَّ سيِّدنا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحرق جميع المصاحف المخالفة لمصحفه ، فهل حين أحرقها أحرق القرآن بمعنى الصِّفة القديمة ؟!! والجواب كلا ، لأنَّ القديم لا يقبل الزَّوال ، ولا المحو والتَّبديل ، ولا الانقضاء والتَّناهي ، وكلُّ ذلك من إمــــارات الحدث ، وما لا يخلــو عن الحوادث فهو حادث .

٩. وعلى ضوء ما تقدَّم ، فإنَّ أساس الاختلاف بين أهل السُّنَّة والمعتزلة هو في إثبات الكلام النَّفسي ، قال الإمام التَّفتازاني : " وهو – أي الخلاف – في التَّحقيق عائد إلى إثبات كلام النَّفس ونفيه ، وأنَّ القرآن هو المتلو هذا المؤلَّف من الحروف الذي هو كلام حسِّي ، وإلَّا فلا نزاع لنا في حدوث كلام الحسِّ ، ولا لهم في قِدم النفس لو ثبت " (١) .

ولذلك فلن نتوقَّف مع المعتزلة ، وإنَّما وِقفتنا مع الحشويَّة الذين قالوا بإثبات الصَّوت والحروف لله تعالى ...

والنَّاظر في قولهم يجد أنَّهم ما قالوا ذلك إلَّا بسبب قياس الخالق على المخلوق ، وهو قياس فاسد ، لأنَّ الصَّوت عَرَض لا يقوم بنفسه ، كما أنَّه لا يحدث إلَّا عند تضافر عدد من الأجهزة المختلفة التي تتضافر لإخراج

---

(١) انظر : شرح المقاصد (٤/ ١٤٦) .

الصَّوت ، والله تعالى فردٌ صمدٌ أحدٌ ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وليس كمثله شيء ، يضـــاف لذلك أنَّ اللغة العربيَّة مخلوقة كسائر اللغات ، وأنَّى يكون الله تعالى محلًّا للحوادث ...

١٠. النَّاظر كذلك يجد أنَّ القوم استشهدوا على ما ذهبوا إليه من إثبات الصَّوت لله تعالى بثلاثة أحاديث ضعيفة وواهية :

" (الأَوَّلُ) : حديث عبد الله بن أنيس مرفوعاً : " يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ ، أَوِ النَّاسَ ، عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً ، قُلْتُ : مَا بُهْماً ؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ ، أَحْسَبُهُ قَالَ : كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا الْمَلِكُ ... " (١) .

(وَالثَّانِي) : حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، يَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ ... " (٢) .

(الثَّالِثُ) : ما علَّقه البخاري في صحيحه موقوفاً على ابن مسعود ، قال : " إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئاً ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ ، عَرَفُوا أَنَّهُ الحَقُّ وَنَادَوْا : ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سبأ: ٢٣] (٣) .

والجواب على ذلك :

أمَّا الحديث الأوَّل فضعيف . رواه البخاري في كتاب : " خلق أفعال العباد " ، وهذا الكتاب غير كتابه الصَّحيح ، وفيه الضَّعيف والصَّحيح ، وفي سند الحديث : عبد الله بن محمَّد بن عقيل ، وهو ضعيف ، كما تعرف ذلك من ترجمته في " تهذيب التَّهذيب " (٦/ ١٣) . وقال الذَّهبي في " سير أعلام النُّبلاء " (٦/ ٢٠٥) : " قلت : لا يرتقي خبره إلى درجة الصِّحَّة والاحتجاج " .

وفي سند هذا الحديث أيضاً : القاسم بن عبد الواحد ، قال أبو حاتم ما معناه : لا يحتجُّ به . انظر كتاب : " الجرح والتَّعديل " لابن أبي حاتم الرَّازي (٧/ ١١٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٤٤٤ برقم ٩٧٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٩٧ برقم ٤٧٤١) .

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ١٤١) .

وبذلك ثبت ضعف الحديث ، فلا حجَّة فيه ، وخاصة في أبواب العقائد التي لا يحتجُّ فيها بالآحاد " وخاصَّة المعارض الذي ليس له شاهد من القطعيَّات " .

وأمَّا الحديث الثَّاني : فصحيح لكن لا حجَّة فيه ، لأنَّ قوله فيه : " فينادى بصوت " ، أي : ينادي أحد الملائكة بصوت ، لأنَّه جاء في هذا الحديث " إنَّ الله يأمرك " ، فهذا يدلُّ على أنَّه لو كان المنادي هو الله تعالى لم يقل : " إنَّ الله يأمرك" ، بل يقول مباشرة : " آمرك " ، والدَّليل متى طرأه الاحتمال سقط به الاستدلال ، كما هو مقرَّر في علم الأصول . وقد نصَّ على هذا الإمام الحافظ ابن حجر حيث قال في الفتح (١٣/ ٤٦٠) :

" وقع فينادي مضبوطاً للأكثر " يعني : من رواة البخاري " بكسر الدَّال ، وفي رواية أبي ذر " أحد رواة البخاري وليس الصَّحابي " بفتحها على البناء للمجهول " أي : فيُنادَى " ، ولا محذور في رواية الجمهور ، فإنَّ قرينة قوله : " إنَّ الله يأمرك " ، تدلُّ ظاهراً على أنَّ المُنادي مَلَكٌ يأمره الله أن يُنادي بذلك " .

وبذلك ثبت أن لا دلالة في هذا الحديث على إثبات الصَّوت لله تعالى ، لأنَّ الصَّوت هنا لأحد الملائكة .

وأمَّا الحديث الثَّالث ، فلا دلالة فيه أيضاً على إثبات الصَّوت لله تعالى ، وذلك لأنَّ قوله فيه : " فإذا فُزِعَ عن قلوبهم وسكن الصَّوت " ، الصَّوت هنا للسَّماء لا لله تعالى ، والدَّليل على ذلك أنَّ باقي الرِّوايات بيَّنت ذلك ، ففي سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥حديث رقم ٤٧٣٨) ، وغيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن ابن مسعود أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهل السَّماء للسَّماء صلصلة كجر السِّلسلة على الصَّفا فيُصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فزّع عن قلوبهم . فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربُّك ؟ فيقول الحقّ : فيقولون : الحقّ الحقّ " .

أقول : فتبيَّن أنَّ الصَّوت للسَّماء لا لله تعالى ، فلا دلالة في الحديث على إثبات الصَّوت لله ، كما توهَّم الآخرون .

والأحاديث الثَّلاثة من الآحاد أيضاً ، ولا تثبت بها عقيدة ، والحمد لله ربِّ العالمين " [1] .

١١. قد يستدلُّ البعض على الحرف والصَّوت بقول الله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] . ويقولون بأنَّ الفعل إذا أُكِّد بالمصدر كان كلاماً على الحقيقة ؟؟؟

---

[1] انظر : صحيح شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٨٩-٢٩١) .

والحقّ أنَّ " قوله : ﴿ تَكۡلِيمٗا ﴾ مصدر للتَّوكيد ، والتَّوكيد بالمصدر يرجع إلى توكيد النِّسبة وتحقيقها مثل (قَدْ) و(إنّ) ، ولا يقصد به رفع احتمال المجاز ، ولذلك أكَّدت العرب بالمصدر أفعالاً لم تستعمل إلَّا مجازاً ، كقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[الأحزاب: ٣٣] . فإنَّه أراد أنَّه يطهِّرهم الطَّهارة المعنويَّة ، أي الكمال النَّفسي ، فلم يفد التَّأكيد رفع المجاز . وقالت هند بنت النُّعمان بن بشير تذمُّ زوجها روح بن زنباع :

بكى الخزّ من روح وأنكر جلده وعجَّت عجيجاً من جُذام المطارف

وليس العجيج إلَّا مجازاً ، فالمصدر يؤكِّد أي يُحقّق حصول الفعل المؤكَّد على ما هو عليه من المنى قبل التَّأكيد .

فمعنى قوله : ﴿ تَكۡلِيمٗا ﴾ هنا : أنَّ موسى سمع كلاماً من عند الله ، بحيث لا يحتمل أنَّ الله أرسل إليه جبريل بكلام ، أو أوحى إليه في نفسه ، وأمَّا كيفيَّة صدور هذا الكلام عن جانب الله فغرض آخر هو مجال للنَّظر بين الفرق ، ولذلك فاحتجاج كثير من الأشاعرة بهذه الآية على كون الكلام الذي سمعه موسى الصِّفة الذاتيَّة القائمة بالله تعالى احتجاج ضعيف " (١) .

١٢. الصَّحيح في مسألة تكليم الله لسيِّدنا موسى عليه السَّلام – والله أعلم – هو ما ذهب إليه السَّادة الماتريديَّة ، حيث ذهبوا إلى أنَّ الله تعالى خلق صوتاً وحرفاً دلَّ الحرفُ والصَّوتُ على معنى أدركه موسى عليه الصَّلاة والسَّلام ...

وفي تعليقه على السَّيف الصَّقيل للسُّبكي أورد الإمام الكوثري طائفة من فتاوى العلماء التي ردَّت على القائلين بالحرف والصَّوت ، قال الإمام الكوثري : " وأرى من النُّصح للمسلمين أن أنقل هنا أجوبة الإمام العز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، والإمام جمال الدِّين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي (٦٤٦هـ) ، والإمام علم الدِّين أبي الحسن علي بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) مؤلِّف " جمال القرَّاء وكمال الإقراء " ، حينما استفتوا في هذه المسألة ، ومكانتهم السَّامية في العلم معروفة .

ونصُّ السُّؤال : ما يقول السَّادة الفقهاء رضي الله عنهم في كلام الله القديم القائم بذاته ؟ هل يجوز أن يقال : أنَّه عين صوت القارئ وحروفه المقطَّعة ، وعين الأشكال التي يصوِّرها الكاتب في المصحف ؟ وهل يجوز أن

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (٦/ ٣٨) .

يقال : إنَّ كلام الله القديم القائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الظَّاهر فيها ، وأنَّه عين ما جعله الله معجزة لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وما الذي يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغرَّ به ضعفاء المسلمين ؟ وهل يحلُّ للعلماء المعتبرين إذا علموا أنَّ ذلك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحقِّ في ذلك وإظهاره ، والرَّدّ على من أظهر ذلك واعتقده؟ أفتونا مأجورين .

صورة جواب الإمام عزِّ الدِّين بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) رحمه الله :

القرآنُ كلام الله صفة من صفاته ، قديم بقِدمه ، ليس بحروف ولا أصوات ، ومن زعم أنَّ الوصف القديم هو عين أصوات القارئين وكتابة الكاتبين فقد ألحد في الدِّين ، وخالف إجماع المسلمين ، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدِّين ، ولا يحلُّ للعلماء كتمان الحق ، ولا ترك البدع سارية في المسلمين ، ويجب على ولاة الأمر إعانة العُلماء المنزِّهين الموحِّدين ، وقمع المبتدعة المشبِّهين المجسِّمين ، ومن زعم أنَّ المعجزة قديمة فقد جهل حقيقتها ، ولا يحلُّ لولاة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين ، ويجب عليهم أن يلزموهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين ، فإن لم يفعلوا ألجئوا إلى ذلك بالحبس والضَّرب والتَّعزيز ، والله أعلم .

كتبه عبد العزيز بن عبد السَّلام

وصورة جواب الإمام جمال الدِّين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي (٦٤٦هـ) :

من زعم أنَّ أصوات القارئ وحروفه المتقطعة ، والأشكال التي يصوِّرها الكاتب في المصحف هي نفس كلام الله تعالى القديم ، فقد ارتكب بدعة عظيمة ، وخالف الضَّرورة ، وسقطت مكالمته في المناظرة فيه ، ولا يستقيم أن يقال : إنَّ كلام الله تعالى القائم بذاته هو الذي جعله الله معجزة لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّ ذلك يعلم بأدنى نظر ، وإذا شاع ذلك أو سئل عنه العلماء وجب عليهم بيان الحقّ في ذلك وإظهاره ، ويجب على من له الأمر ووفقه الله أخذ من يعتقد ذلك ويغرُّ به ضعفاء المسلمين ، وزجره ، وتأديبه ، وحبسه عن مخالطة من يخاف منه من إضلاله إلى أن يظهر توبته عن اعتقاده مثل هذه الخرافات التي تأباها العقول السَّليمة ، والله أعلم .

كتبه عثمان بن أبي بكر الحاجب

وصورة جواب الإمام علم الدِّين أبي الحسن علي السَّخاوي (٩٠٢هـ) :

كلام الله عزَّ وجلَّ قديمٌ ، صفة من صفاته ليس بمخلوق ؛ وأصوات القرَّاء وحروف المصاحف أمر خارج عن ذلك ، ولهذا يقال : صوتٌ قبيحٌ ، وقراءة غير حسنة ، وخطٌّ غير جيِّد ، ولو كان ذلك كلام الله لم يجز ذمُّه على

ما ذكر ، لأنَّ أصوات القراء به تختلف باختلاف مخارجها ، والله تعالى منزَّه عن ذلك ، والقرآن عندنا مكتوبٌ في المصاحف ، متلوٌّ في المحاريب ، محفوظٌ في الصُّدور ، غير حالٍّ في شيء من ذلك ، والمصحف عندنا معظَّم محترمٌ ، لا يجوز للمحدِث مسُّه ، ومن استخفَّ به أو ازدراه فهو كافر مباح الدَّم ، والصِّفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة ، لأنَّ المعجزة ما تحدَّى به الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وطالب بالإتيان بمثله ، ومعلومٌ أنَّه لم يتحدهم بصفة الباري القديمة ، ولا طالبهم بالإتيان بمثلها ، ومن اعتقد ذلك وصرَّح به أو دعا إليه فهو ضالٌّ مبتدع ، بل خارج عمَّا عليه العقلاء إلى تخليط المجانين ، والواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها وتبيين الحق ، والله أعلم .

علي السَّخاوي

وقد أطنب الإمام الكوثري في ذكر الفتاوى التي وُجِّهت وقيلت في الرَّدِّ على الحرفيَّة والصَّوتيَّة [1]...

وفي مقالاته وتحت عنوان : " بدعة الصَّوتيَّة حول القرآن " قال الإمام الكوثري : " يوجد بين البشر من يرضى لنفسه أن يقول : إنَّ القرآن كلام الله بحرف وصوت ، ومع ذلك فهو غير مخلوق ، وفي هؤلاء يقول الإمام أبو بكر الباقلَّاني في " النقض الكبير " : من زعم أنَّ السِّين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السِّين الواقعة بعد الباء لا أوَّل له ، فقد خرج عن المعقول وجحد الضَّرورة ، وأنكر البديهة ، فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف بأوليَّته ، فإذا ادَّعى أنَّه لا أوَّل له فقد سقطت محاجَّته وتعيَّن لحوقه بالسَّفسطة . وكيف يُرجى أن يُرشد بالدَّليل من يتواقح في جحد الضَّروري . راجع " الشَّامل " لإمام الحرمين ، و" نجم المهتدي " لابن المعلِّم القرشي .

وقال الحليمي في " شُعَبِ الإِيْمان " : ومن زعم أنَّ حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله بذاته ، فقد زعم أنَّ صفة الله قد حلَّت بذاته ومسَّت جوارحه وسكنت قلبه ، وأي فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النَّصارى أنَّ الكلمة اتَّحدت بعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام !!

وبعد إحاطة القارئ علماً بهذا وذاك لينظر قول الموفَّق بين قدامة صاحب المغني – الذي يقول عنه ابن تيمية : أنَّه ما حلَّ دمشق مثله بعد الأوزاعي – في مناظرته مع بعض الأشاعرة في صدد نفي الكلام النَّفسي ، المسجَّلة

---

[1] انظر : السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ص٤٤٦-٤٤٧) ، ضمن مجموعة رسائل للإمام الكوثري بعنوان : العقيدة وعلم الكلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

في المجموعة المحفوظة تحت رقم (١١٦) بظاهريَّة دمشق : " قال أهل الحقّ : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقالت المعتزلة هو مخلوق ، ولم يكن اختلافهم إلَّا في هذا الموجود دون ما في نفس الباري ممَّا لا ندري ما هو ولا نعرفه ". أ. هـ. وله أيضاً " الصِّراط المستقيم في إثبات الحرف القديم " وفيه عجائب ، فيكون اعترف في أوَّل خطوة أنَّ الحقَّ بيد المعتزلة وهو لا يشعر . فإذا كان حال الموفَّق هكذا ، فماذا يكون حال من دونه ؟! نسأل الله الصَّون . وقد أجاد الآلوسي المفسِّر الرَّدَّ عليه وعلى إخوانه من نفاة الكلام النفسي في مقدِّمة تفسيره ، فنستغني بذلك عن الإفاضة فيه هنا .

والواقع أنَّ القرار في اللوح ، وفي لسان جبريل عليه السَّلام ، وفي لسان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسُّنَّة التَّالين وقلوبهم وألواحهم مخلوق حادث محدث ضرورة ، ومن ينكر ذلك يكون مسفسطاً ساقطاً من مرتبة الخطاب ، وإنَّما القديم هو المعنى القائم بالله سبحانه بمعنى الكلام النَّفسي في علم الله جلَّ شأنه في نظر أحمد بن حنبل وابن حزم ، وقد صحَّ عند أحمد قوله في المناظرة : " القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق " أو بمعنى صفة الكلام القائمة بالله سبحانه كقيام صفات العلم والقدرة ونحوهما به جلَّ شأنه على تقدير ثبوت إطلاق القرآن عليها ، فدلالة القرآن على المعنى القائم بالله بالاعتبار الأوَّل دلالة اللفظ على مدلوله الوضعي ، ويشمل وجوده العلمي اللفظ والمعنى في آن واحد ، لأنَّ كليهما في علم الله ، ودلالته على الصِّفة القائمة به سبحانه بالاعتبار الثَّاني تكون دلالة عقليَّة كما لا يخفي . فقولهم : " القرآن مكتوب في مصاحفنا ، محفوظ في قلوبنا ، مقروء بألسنتنا ، مسموع بآذاننا " من وصف المدلول باسم الدَّالّ مجازاً ، كما نصَّ على ذلك السَّعد العلَّامة في " شرح المقاصد " ، بل قال في " شرح النَّسفيَّة " عند شرح قول النَّسفي : " غير حالّ فيها " : أي : مع ذلك ليس حالاً في المصاحف ، ولا في القلوب والألسنة والآذان ، بل هو معنى قديم قائم بذات الله تعالى ، يُلفظ ويُسمع بالنَّظم الدالِّ عليه ، ويحفظ بالنَّظم المخيل ، ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالَّة عليه ، كما يقال : " النَّار جوهرٌ مُحرِق ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ، ولا يلزم منه كون حقيقة النَّار صوتاً وحرفاً " [١] .

ويطيب لي هنا أن أُثبت فتوى الإمام العز بن عبد السَّلام في هذا الشأن كما جاءت في رسالته " الملحة في الاعتقاد " (ص١٩-٢١) ، قال : " فكيف يظنُّ بأحمد بن حنبل وغيره من العلماء أن يعتقدوا أنَّ وصف الله القديم

---

[١] انظر : مقالات الكوثري (ص٥٧-٥٨) .

بذاته هو عين لفظ اللافظين ، ومداد الكاتبين ، مع أنَّ وصف الله قديم ، وهذه الألفاظ والأشكال حادثة بضرورة العقل وصريح النَّقل ، وقد أخبر الله تعالى عن حدوثها في ثلاثة مواضع من كتابه :

المَوْضِعُ الأَوَّلُ : قوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٢ ﴾ [الأنبياء: ٢] ، جعل الآتي محدثاً ، فمن زعم أنَّه قديم فقد ردَّ على الله سبحانه وتعالى ، وإنَّما هذا المحدث دليلٌ على القديم ، كما أنا إذا كتبنا اسم الله عزَّ وجلَّ في ورقة لم يكن الربُّ القديم حالَّاً في تلك الورقة ، فكذلك الوصف القديم إذا كتب في شيء لم يحل الوصف المكتوب حيث حلَّت الكتابة .

المَوْضِعُ الثَّانِي : قوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠] ، وقول الرَّسول صفة للرَّسول ، ووصف الحادث حادث يدلُّ على الكلام القديم ، فمن زعم أنَّ قول الرَّسول قديمٌ فقد ردَّ على ربِّ العالمين .

ولم يقتصر سبحانه وتعالى على الإخبار بذلك حتى أقسم على ذلك بأتمِّ الأقسام ، فقال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، أي : تشاهدون ، ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، أي : ما لا ترونه ، فاندرج في هذا القسم ذاته وصفاته ، وغير ذلك من مخلوقاته .

المَوْضِعُ الثَّالِثُ : قوله جلَّ قوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٥-١٩] .

والعجب ممَّن يقول : القرآن مركَّب من حرف وصوت ، ثمَّ يزعم أنَّه في المصحف ، وليس في المصحف إلَّا حرف مجرَّد لا صوت معه ، إذ ليس فيه حرف متكوِّن من صوت ، فإنَّ الحرف اللفظي ليس هو الشَّكل ، ولذلك يدرك الحرف اللفظي بالآذان ، ولا يشاهد بالعيان ، ويشاهد الشَّكل الكتابي بالعيان ، ولا يسمع بالآذان ، ومن توقَّف في ذلك فلا يعدُّ من العقلاء فضلاً عن العلماء ، فلا أكثر الله في المسلمين من أهل البدع والأهواء ، والإضلال والإغواء " .

١٣. وخلاصة الكلام في هذه المسألة أنَّ القرآن بمعنى الكلام النَّفسي قديم ليس بمخلوق ، ومن قال بخلقه فقد كفر ، وأمَّا القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه والصوت الذي نسمعه ، والورق الذي نحمله فهو

مخلوق ، وهو دالٌّ على معنى كلام الله تعالى " دلالة عقليَّة أو عرفيَّة ، لأنَّ الألفاظ مركَّبة وحادثة ، والصِّفة النَّفسيَّة التي هي الكلام لا يجوز أن تكون كذلك ، لأنَّ الحوادث لا تقوم بالخالق عزَّ وجلَّ " (١) .

لكن هذا لا يقال إلَّا في التَّعليم ، قال الإمام الباجوري : " وأمَّا القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق ، لكن يمتنع أن يقال : القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلَّا في مقام التَّعليم ، لأنَّه ربَّما أوهم أنَّ القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق... " (٢) .

وواصل مدَّعو السَّلفيَّة التَّكفير ...

الثَّالِثَةُ : اعتبروا تأويل الإمام التِّرمذي لحديث : " ولو دلَّيتم بحبل لهبط على الله " من جنس تأويلات الجهميَّة الكافرة بنظرهم ، فقد جاء في " مختصر الصَّواعق " لابن القيِّم : " قوله : " ولو دلَّيتم بحبل لهبط على الله " إذا هبط في قبضته المحيطة بالعالم هبط عليه ، والعالم في قبضته ، وهو فوق عرشه ، ولو أنَّ أحدنا أمسك بيده أو برجله كرة قبضتها يده من جميع جوانبها ثمَّ وقعت حصاةٌ من أعلى الكرة إلى أسفلها لوقعت في يده وهبطت عليه ، ولم يلزم أن تكون الكرة والحصاة فوقه وهو تحتها ، ولله المثل الأعلى ، وإنَّما يؤتى الرَّجل من سوء فهمه أو من سوء قصده من كليهما ، فإذا هما اجتمعا كمل نصيبه من الضَّلال .

وأمَّا تأويل التِّرمذي وغيره بالعلم ، فقال شيخنا : هو ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهميَّة " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ الجهميَّة في معتقدهم كفَّار ، وقد اعتادوا على نعت الأشاعرة ومن وافقهم بأنَّهم جهميَّة ...

الرَّابِعَةُ : اتَّهم أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب الإمام الحاكم ، صاحب " المستدرك على الصَّحيحين " ، بسوء العقيدة (١) .

---

(١) انظر : تهذيب شرح السنوسية أم البراهين (ص٥٧) ، سعيد فودة .

(٢) انظر : تحفة المريد (ص٥٨) ، وللاستزادة في صفة الكلام انظر : أصول الدِّين للبغدادي (ص١٠٦-١٠٨) ، حاشية ابن الأمير (ص١٦٠-١٦٤) ، حاشية الدسوقي على أم البراهين (ص١٧٥-١٨٠) ، الأربعين في أصول الدِّين للرازي (ص٢٤٤- ٢٥٨) ، شرح الفقه الأكبر (ص٧٠-٧٣) ، عون المريد لشرح جوهرة التوحيد (ص٣٦٣- ٣٧٥) ، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (ص١٧٧-١٨٣) ، خير القلائد شرح جواهر العقائد (ص٦٨-٧٦) ، المسامرة بشرح المسايرة (ص٧٨-٩٠) ، أصول الدِّين للغزنوي (ص١٠٠- ١٠٥) ، أبكار الأفكار (١/ ٢٦٥-٣١١) ، الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٤٠- ١٥٤) ، الإشارة إلى مذهب أهل الحق (ص٢١١-٢٣٢) ، الإنصاف للباقلاني (ص٦٨-١٤٢) ، أصول الدِّين للبزدوي (ص٦٢-٧٦) ، المواقف (ص٢٩٣-٢٩٦) ، المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد (ص٦٧-٧٠) .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٨٥) .

الخَامِسَةُ : كفَّر بعضُ أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب أهل دُبي ، وأبو ظبي ، وسمُّوهم بكلاب جهنَّم (٢) .

السَّادِسَةُ : كفَّر أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب الإمـــامَ حسن البنَّا (٣) .

السَّابِعَةُ : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أهلَ الوشم بعامَّة (٤) .

الثَّامِنَةُ : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أهلَ سدير بعامَّة (٥) .

التَّاسِعَةُ : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب المتكلِّمينَ بعامَّة ، وزعم أنَّ الإجماع على ذلك (٦) .

العَاشِرَةُ : زعم محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أنَّ أهل الإحساء يعبدون الأصنام (٧) .

الحَادِيَةُ عَشْر : زعم محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أنَّ أهلَ نجد يعبدون الشَّجر والحجر (٨) .

الثَّانِيَةُ عَشْرَة : نصَّ محمَّدُ بن عبد الوهَّاب على أنَّ إنكار الربِّ هو مذهب ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، وفئات من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله (٩) .

الثَّالِثَة عَشْرَة : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب الإمامَ ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وصرَّح بأنَّه أكفر من فرعون ، وحكم بكفر من لم يكفِّره أو شكَّ في كفره !!! (١٠)

الرَّابِعَةُ عَشْرَة : صرَّح عبدُ اللطيف بن عبد الرَّحمن بأنَّ ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) من أكفر أهل الأرض (١١) .

---

(١) انظر : تطهير الجنان والإيمان عن درك الشرك والكفران (ص٦٤) .

(٢) انظر : إجماع أهل السنه النبويَّة على تكفير المعطلة الجهميَّة (ص ٥١ ، ص١٠١ ، ص١٠٢ ، ص١٢٤) .

(٣) انظر : مجلة المجلة ، عدد كانون الثاني ، (١٩٩٦) عدد (٨٣٠) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٧٧) .

(٥) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٧٧) .

(٦) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٣) .

(٧) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٤) .

(٨) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٥٣-٥٤) .

(٩) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١١٣) .

(١٠) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٢٥) .

(١١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣٦٦) .

الخَامِسَةُ عَشْرَة : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب الإمام فخر الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) صاحب التَّفسير الكبير " مفاتيح الغيب " [1] .

السَّادِسَةُ عَشْرَة : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أهل الشَّام !!! لأنَّهم – كما يزعم – يعبدون الإمام ابن عربي [2] .

السَّابِعَةُ عَشْرَة : كفر محمَّد بن عبد الوهَّاب من شكَّ في كفر أتباع الإمام ابن عربي !!! [3]

الثَّامِنَةُ عَشْرَة : جاء في الدُّرر السنيَّة : " ... فابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن سبعين (٦٦٩هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، لهم عبادات ، وصدقات ، ونوع تقشُّف وتزهُّد ، وهم أكفر أهل الأرض أو من أكفر أهل الأرض !!! [4] .

التَّاسِعَةُ عَشْرَة : في حديثه عن أحد العارفين بالله ، واسمه " عبد الغني" ، قال محمَّدُ بن عبد الوهَّاب : " ... وهذا اشتهر عنه أنَّه على دين ابن عربي ، الذي ذكر العلماء أنَّه أكفر من فرعون !!! حتى قال ابن المقري الشَّافعي (٨٣٧هـ) : من شكَّ في كفر طائفه ابن عربي فهو كافر " [5] .

العِشْرُوْن : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... وتوحيدكم هو التَّعطيل ، ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الربِّ تبارك وتعالى ، كما هو مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، وفئام من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله !!! [6] [6]

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُوْن : حكموا بتكفير ابن عربي في مواطن عديد من دُرَرِهم السَّنيَّة [7] .

---

[1] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٧٢ ، ٢٧٣) .

[2] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٤٥) .

[3] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٤٥) ، (١٠/ ٢٥) .

[4] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣٦٦) .

[5] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٢٥) .

[6] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١١٣) .

[7] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١١٣) ، (٢/ ٤٥) ، (٢/ ٣٠٧) ، (٣/ ٣٤٨) ، (٣/ ٣٩٤) ، (٣/ ٣٥٥) ، (٩/ ٤٢٣) ، (١٠/ ٢٥) ، (١٠/ ٥٤) ، (١٠/ ١٤٨) ، (١/ ١١٣) ، (٢/ ٤٥) ، (٢/ ٣٠٧) ، (٣/ ٣٤٨) ، (٣/ ٣٩٤) ، (٣/ ٣٥٥) ، (٩/ ٤٢٣) ، (١٠/ ٢٥) ، (١٠/ ٥٤) ، (١٠/ ١٤٨) ، (١١/ ٢٤٢) .

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُوْن : زعم محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أنَّ أكثر أهل نجد وأهل الحجــاز يُنكرون البعث (١) .

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُوْن : ولَّما خالفه العالم الحنبلي أحمد بن عبد الكريم ، أرسل له رسالة جاء فيها : "... طحت على ابن غنَّام وغيره ، وتبرَّأت من ملَّة إبراهيم ، وأشهدتهم على نفسك باتِّباع المشركين " (٢) .

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن : كفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب أهل مكَّة ، والمدينة ، وادَّعى أنَّ دينهم هو الدِّين الذي جاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإنذار منه (٣) .

الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْن : صرَّح أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ مكَّة والمدينة ، ديار كفر آبين عن الإسلام !!! (٤)

السَّادِسَة وَالعِشْرُوْن : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب البدو بالجملة (٥) .

السَابِعَة وَالعِشْرُوْن : كفَّر أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب كلَّ من لم يكفِّر أهل مكَّة (٦) .

الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْن : صرَّحوا بأنَّه ليس عندهم من الإسلام شعرة ، وإن نطقوا بالشَّهادتين !! (٧)

التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْن : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب قبيلة عنزة ، وأنَّهم لا يؤمنون بالبعث (٨) .

الثَّلاثُوْن : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب قبيلتا : عنزة ، والظّفير ، فقال :

" إنَّ عنزة وآل ظفير ، وأمثالهم كلّهم ، مشاهيرهم والأتباع ، أنَّهم مقرُّون بالبعث ، ولا يشكُّون فيه ، ولا يقدر أن يقول : أنَّهم يقولون : إنَّ كتاب الله عند الحضر ، وأنَّهم عائفوه ، ومتَّبعوا ما أحدث آباؤهم ، ممَّا يسمُّونه

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٣) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٦٤) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٩١) ، (١٠/ ٨٦) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٨٥) .

(٥) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ١١٧-١١٩) ، (١٠/ ١١٣-١١٤) .

(٦) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٩١) .

(٧) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢ ، ٢٣٨) .

(٨) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١١٣) .

الحقّ ، ويفضِّلونه على شريعة الله ، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض ، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من مائة ناقض " (١) .

الحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُوْن : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أهل العيينة ، والدِّرعيَّة ، الذين عارضوه ، ووقفوا مع ابن سحيم (٢) .

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُوْن : كفَّر محمَّد بن عبد الوهَّاب : سليمان ابن سحيم الحنبلي كُفراً أخرجه به من الملَّة ، ونعته بالبهيم !!!... لأنَّه كان من معارضيه (٣) ... والبهيم هو الدَّابة ... فيا لعذوبة ونظافة الألسنة ...

الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُوْن : صرَّح محمَّدُ بن عبد الوهَّاب بكفر سليمان بن سحيم الحنبلي ....

فقد جاء في رسالة أرسلها إليه :

" نذكر لك أنَّك أنت وأباك ، مصرِّحون بالكفر ، والشِّرك ، والنِّفاق ، ولكن صائر لكم عند " خمامة " في معكال ، قصاصيب وأشباههم ، يعتقدون أنَّكم علماء ، ونداريكم ، نودُّ أن الله يهديكم ويهديهم ، وأنت إلى الآن أنت وأبوك ، لا تفهمون شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله ، أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة ، أنَّك لا تعرفها إلى الآن ، ولا أبوك " (٤) .

الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُوْن : خاطب محمَّدُ بن عبد الوهَّاب ... ابن سحيم بقوله : " وأمَّا الدَّليل على أنَّك رجلٌ معاندٌ ضالٌّ على علم ، مختار الكُفر على الإسلام فمن وجوه ... " (٥) .

الخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُوْن : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب جميع بلاد المسلمين التي لم تدخل تحت طاعته ، وسمَّاها بلاد المشركين (٦) .

السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُوْن : كفَّر محمَّدُ بن عبد الوهَّاب السَّواد الأعظم من المسلمين (٧) .

---

(١) انظر : الدُّرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١١٣) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٥٧) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٦-٤٩) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٣١) .

(٥) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٣١) .

(٦) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٦) .

(٧) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٨) .

السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُوْن : زعم محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أنَّ شرك كفَّار قريش دون شرك كثير من النَّاس في زمانه (١) .

الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُوْن : زعم محمَّدُ بن عبد الوهَّاب أنَّ أكثر النَّاس في زمانه أعظم كفراً وشركاً من المشركين الذين قاتلهم الرَّسول ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) .

التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُوْن : وانطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] حكم محمَّدُ بن عبد الوهَّاب بكفر كلّ من يحكم بغير ما أنزل الله (٣) .

وهذا عمدة من يكفِّرون الحكَّام في هذه الأيام ... : مع أنَّ جمهور أهل العلم لم يحكموا بتكفير من لم يحكم بما أنزل الله إن لم يكن مُنكراً حُكم الله تعالى ، بل قالوا بأنَّه عاصٍ عصياناً ينقص بسببه إيمانه ، فلا يكون كامل الإيمان ، وهذا ما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة ...

لكن إن رغب الحاكم المسلم عن الحكم بما أنزل الله تعالى فأخفاه وحكم بغيره كحكم اليهود في الزَّانيين المحصنين بالتَّحميم والجلد وكتمانهم الرَّجم ، وقضائهم في بعض قتلاهم بديَّة كاملة ، وفي بعضهم بنصف الديَّة ، مع أنَّ الله تعالى قد سوَّى بين الجميع في الحكم ، فأولئك هم الكافرون الذين ستروا الحقَّ الذي كان عليهم كشفه وتبيينه ، وغطُّوه ، وأظهروا لهم غيره وقضوا به (٤) .

فجحود حكم الله تعالى ، والاستهانة به سبيل لكفر الحاكم ، قال الإمام القاسمي : " كفر الحاكم بغير ما أنزل الله بقيد الاستهانة به والجحود له ، هو الذي نحاه كثيرون ، وأثروه عن عكرمة ، وابن عبَّاس " (٥) .

فالأكثرون نحَوا إلى أنَّ الحاكم بغير ما أنزل الله لا يكفر إلَّا إذا استهان بحكم الله أو جحد حكم الله ، أو قدَّم عليه حكماً آخر تفضيلاً منه له عليه ...

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٢٠) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٦٠) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٦٢) .

(٤) انظر : تفسير المراغي (٦/ ١٢٥) .

(٥) انظر : تفسير القاسمي (٤/ ١٣٨٧) .

وبعد أن أبطل الإمام ابن عاشور ما ذهب إليه الخوارج من تكفير صاحب الكبيرة ، بيَّن توجيه الآية عند أهل السُّنَّة فقال : " وأمَّا جمهور المسلمين وهم أهل السُّنَّة من الصَّحابة فمن بعدهم فهي عندهم قضيَّة مُجملة ، لأنَّ ترك الحكم بما أنزل الله يقع على أحوال كثيرة ؛ فبيان إجماله بالأدلَّة الكثيرة القاضية بعدم التَّكفير بالذُّنوب ، ومساق الآية يبيِّن إجمالها . ولذلك قال جمهور العلماء : المُراد بمن لم يحكم هنا خصوص اليهود ، قاله البراء بن عازب ، ورواه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أخرجه مسلم في صحيحه . فعلى هذا تكون (مَنْ) موصولة ، وهي بمعنى لام العهد . والمعنى عليه : ومن ترك الحكم بما أنزل الله تركاً مثل هذا التَّرك ، هو ترك الحكم المشوب بالطَّعن في صلاحيَّته . وقد عرف اليهود بكثرة مخالفة حكَّامهم لأحكام كتابهم بناءً على تغييرهم إيّاها باعتقاد عدم مناسبتها لأحوالهم كما فعلوا في حدِّ الزِّنى ؛ فيكون القَصر إدِّعائياً وهو المناسب لسبب نزول الآيات التي كانت هذه ذيلاً لها ؛ فيكون الموصول لتعريف أصحاب هذه الصّلة وليس معلّلاً للخبر . وزيدت الفاء في خبره لمشابهته بالشَّرط في لزوم خبره له ، أي أنَّ الذين عرفوا بهذه الصِّفة هم الذين إن سألتَ عن الكافرين فهم هُم لأنَّهم كفروا وأساءوا الصُّنع " [1] .

وأضاف: " وقال جماعة : المراد من لم يحكم بما أنزل الله : مَن ترك الحكم به جحداً له ، أو استخفافاً به ، أو طعناً في حقّيته بعد ثبوت كونه حكم الله بتواتر أو سماعه من رسول الله ، سمِعه المكلَّف بنفسه . وهذا مروي عن ابن مسعود ، وابن عبَّاس ، ومجاهد ، والحسن ، فـ (من) شرطيَّة وترك الحكم مُجمَل بيانُه في أدلَّة أخر . وتحت هذا حالة أخرى ، وهي التزام أن لا يحكم بما أنزل الله في نفسه كفعل المسلم الذي تقام في أرضه الأحكام الشرعيَّة فيدخل تحت محاكم غير شرعيَّة باختياره ، فإنَّ ذلك الالتزام أشدّ من المخالفة في الجزئيَّات ، ولا سيَّما إذا لم يكن فعله لجلب منفعة دنيويَّة . وأعظم منه إلزام النَّاس بالحكم بغير ما أنزل الله من ولاة الأمور ، وهو مراتب متفاوتة ، وبعضها قد يلزمه لازم الردَّة إن دلَّ على استخفاف أو تخطئة لحكم الله " [2] .

الأَرْبَعُوْن : كفَّر ابنُ سحمان قبيلة القحطـــان بعامَّة ، بسبب تحاكمهم إلى الأحكام القبليَّة [3] .

الحَادِيَةُ وَالأَرْبَعُوْن : كفَّروا أهل حايل ، وصرَّحوا بأنَّ جهادهم وقتالهم من أفضل الجهاد [1] .

---

[1] انظر : التحرير والتنوير (٥/ ١١٥) .

[2] انظر : التحرير والتنوير (٥/ ١١٦) .

[3] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية(١٠/ ٥٠٣) .

الثَّانِيَةُ وَالأَرْبَعُوْن : كفَّر عبدُ الله بن عبد اللطيف الإباضيَّة بالجملة (٢) .

الثَّالِثَةُ وَالأَرْبَعُوْن : كفَّر أبناء محمَّد بن عبد الوهَّاب ، وحمد بن ناصر ، كلَّ من دخل في دعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب وادَّعى أنَّ آبائه ماتوا على الإسلام ، وهنا يجب أن يُستتاب ، فإن تاب ، وإلَّا ضُربت عنقه (٣) .

الرَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : جاء في الدُّرر السَّنيَّة : "... لما كان أهل الحرمين آبين عن الإسلام !!! وممتنعين عن الانقياد لأمر الله ورسوله ... " (٤) .

الخَامِسَةُ وَالأَرْبَعُوْن : كفَّر أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، النَّاس بالحرمين ، ومصر ، والشَّام ، واليمن ، والعراق ، وحضرموت ، والموصل !!! (٥)

السَّادِسَةُ وَالأَرْبَعُوْن : وفي رسالة أرسلها محمَّدُ بن عبد الوهَّاب لقاضي الدِّرعيَّة في زمانه : عبد الله بن عيسى ، قال محمَّدُ بن عبد الوهَّاب :

" ... وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه ، ولم يميِّزوا بين دين محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ودين عمرو بن لحي ، الذي وضعه للعرب ، بل دين عمرو عندهم دين صحيح ، ويسمُّونه رقَّة القلب ... " (٦) .

السَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : وكفَّروا قبيلة عنزة (٧) .

الثَّامِنَةُ وَالأَرْبَعُوْن : كفَّروا جماعةَ الإخوان المسلمين ... يقول ابن باز شيخ الوهَّابيَّة في حديث لمجلَّة " المجلَّة ": " الإخوان المسلمون لا يعتقدون العقيدة الصَّحيحة " (٨) .

وجاء في نفس المجلَّة أي " المجلَّة " تأييداً لفتوى ابن باز في تكفير الإخوان المسلمين : " إنَّ مرشد الإخوان السَّابق عمر التِّلمساني من الدُّعاة إلى الشِّرك ، ومثله الشَّيْخ حسن البنَّا ، لأنَّه كان صُوفيَّاً من أهل الطَّريقة

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٩١-٢٩٢) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام (١٠/ ٤٣١ ، ٤٣٨) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٤٣) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٨٥) .

(٥) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٨٠ ، ٣٨٥) .

(٦) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٥٧) .

(٧) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١١٣) .

(٨) انظر : مجلة المجلة ، العدد ٨٠٦ بتاريخ ٢٣-٢٩ تموز ١٩٩٥م .

الشاذليَّة ، وكذلك سعيد حوَّى الدَّاعي المشهور من دعاة حزب الإخوان ، لأنَّه مدح الطَّريقة الرِّفاعيَّة ، ومصطفى السِّباعي مرشد الإخوان في سوريا " [١] .

وقال الشَّيخ الألباني : " ليس صواباً أن يقال إنَّ الإخوان المسلمين هم من أهل السُّنَّة ؛ لأنَّهم يحاربون السُّنَّة " [٢] .

ويقول الدَّاعي الوهَّابي عبد الله بن محمَّد بن أحمد الدّويش في كتابه " المورد الزُّلال في التَّنبيه على أخطاء الظِّلال " : " فقد عاب – سيِّد قطب – قول أهل السُّنَّة والجماعة ، وهذا هو مسلك أهل البدع من الجهميَّة والمعتزلة ، وسيجيء من كلامه ما يبيِّن أنَّه سلك مسلكهم . " [٣] .

وقال أيضاً : " وأقول : قوله – سيِّد قطب – في التَّوجُّه إلى الله الذي لا يتحيَّز في مكان ، هذا قول أهل البدع كالجهميَّة والمعتزلة والأشاعرة " . وفي نفس الصَّحيفة قال ذامَّاً من يعتبرهم بزعمه أهل البدع : " ومقصودهم بذلك نفي الصِّفات كالجسم ، والتَّحيُّز !!! " [٤] .

التَّاسِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : كفَّروا جماعة التَّبليغ ... ففي منشور وزَّعه الوهَّابيَّة تحت عنوان " فتاوى أهل السُّنَّة حول ضلالات التَّبليغيين " ، جمع المدعو : ربيع بن هادي المدخلي ، وهو أحد دعاة الوهَّابيَّة ، ما نصّه : " سئل الشَّيْخ عبد العزيز بن باز : حديث النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في افتراق الأمم : " ستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّهم في النَّار إلَّا واحدة " ، فهل جماعة التَّبليغ على ما عندهم من شركيَّات وبدع ، وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزُّب وشقِّ العصا على ولاة الأمور ، وعدم السَّمع والطَّاعة ، هل هاتين الفرقتين تدخل...؟ فأجاب – أي ابن باز – تدخل في الثِّنتين والسَّبعين ، من خالف عقيدة أهل السُّنَّة دخل في الثِّنتين والسَّبعين " .

وفي رسالة للمدعو " عبدالعزيز بن ريس الرَّيِّس " بعنوان : " فتاوى أئمَّة أهل السُّنَّة السَّلفيِّين في جماعة التَّبليغ والإخوان المسلمين " قال المومى إليه : " إنَّ لعلمائنا السَّلفيِّين كالإمام ابن باز فتاوى في التَّبليغ والإخوان

---

[١] انظر : مجلة المجلة ، العدد ٨٣٠ بتاريخ ٧-١٣ يناير ١٩٩٦ ص١٠ و١١ .

[٢] نقلاً عن شريط : فتوى حول جماعة التبليغ والإخوان ، الوجه الثاني .(تسجيلات منهاج السنة، بالرياض .

[٣] انظر : المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال (ص١٠) .

[٤] انظر : المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظِّلال (ص١٩) .

المسلمين يكفي مريد الحق الاطِّلاع عليها ليعلم حقيقة حال هاتين الجماعتين بمنظور علمي لا عاطفي وإليك جملة من فتاويهم :

١/ سماحة الشَّيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– : قال عن جماعة التَّبليغ لَّما سئل عنهم : وأعرض لسموِّكم أنَّ هذه جمعيَّة لا خير فيها ، فإنَّها جمعيَّة بدعة وضلالة . وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضَّلال والبدعة والدَّعوة إلى عبادة القبور والشِّرك الأمر الذي لا يسع السُّكوت عنه . ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرَّد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها . ونسأل الله أن ينصر دينه ويُعلي كلمته . والسَّلام عليكم ورحمة الله .ا.هـ (فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢٦٨) .

٢/ سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– : قال في إجابة سؤال حول جماعة التَّبليغ : وجماعة التَّبليغ عندهم جهل وعندهم عدم بصيرة وإلَّا عندهم تحمُّس – ثمَّ قال – ما عندهم بصيرة في العقيدة ولا ينبغي الانضمام إليهم إلَّا إنسان عنده علم ينضم إليهم ليوجِّههم وليكون معهم في إيضاح الحق أمَّا عامَّة النَّاس لا ... ثم نهى عن الانضمام لجماعة التَّبليغ والإخوان المسلمين، ثم ذكر أنه ليس عند جماعة التَّبليغ دعوة للعقيدة لذا كثر أتباعهم (كانت الإجابة بتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٤١٣هـ راجع شريط بعنوان فتوى حول جماعة التَّبليغ والإخوان المسلمين ، وراجع كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز ابن باز –رحمه الله – (٨/ ٣٣١) .

وقال في إجابة سؤال آخر : لا يصح التعصُّب والتحزُّب لجماعة التَّبليغ ولا الإخوان المسلمين .وقال : أمَّا الانتساب إليهم ، لا ... (كانت هذه الإجابة بتاريخ ٦/ ١٢/ ١٤١٦هـ راجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التَّبليغ) .

وسئل – رحمه الله –: أحسن الله إليك ، حديث النبي صلى الله عليه وسلم في افتراق الأمم : قوله :" ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلَّا واحدة " . فهل جماعة التَّبليغ على ما عندهم من شركيَّات وبدع !!! وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزُّب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم السَّمع والطَّاعة . هل هاتين الفرقتين تدخل في الفرق الهالكة ؟

فأجاب – غفر الله له–: تدخل في الثِّنتين والسَّبعين ، من خالف عقيدة أهل السُّنَّة دخل في الثِّنتين والسَّبعين ، المراد بقوله (أمتي) أي : أمة الإجابة ، أي: استجابوا له وأظهروا اتباعهم له ، ثلاث وسبعين فرقة : النَّاجية السَّليمة التي اتبعته واستقامت على دينه ، واثنتان وسبعون فرقة : فيهم الكافر ، وفيهم العاصي ، وفيهم المبتدع أقسام . فقال السَّائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثِّنتين والسَّبعين ؟ فأجاب : نعم ، من ضمن الثِّنتين

والسَّبعين والمرجئة وغيرهم ، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجي ن، لكن داخلين في عموم الثِّنتين والسَّبعين . ا.هـ (ضمن دروسه في شرح المنتقى في الطَّائف ، وهي في شريط مسجَّل ، وهي قبل وفاته – رحمه الله – بسنتين أو أقل . وراجع شريط القول البليغ في ذم جماعة التَّبليغ ، ومطوية "أقوال علماء السُّنَّة في جماعة التَّبليغ ") .

وسئل/ حركة (الإخوان المسلمون) دخلت المملكة منذ فترة وأصبح لها نشاط واضح بين طلبة العلم ، ما رأيكم في هذه الحركة ؟ وما مدى توافقها مع منهج أهل السُّنَّة والجماعة ؟

الجواب: حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم ، لأنَّه ليس عندهم نشاط في الدَّعوة إلى التَّوحيد وإنكار الشِّرك وإنكار البدع – لهم أساليب خاصَّة ينقصها : عدم النَّشاط في الدَّعوة إلى الله وعدم التَّوجيه إلى العقيدة الصَّحيحة التي عليها أهل السُّنَّة والجماعة .

فينبغي للإخوان المسلمين أن تكون عندهم عناية بالدَّعوة السَّلفيَّة الدَّعوة إلى توحيد الله وإنكار عبادة القبور والتَّعلُّق بالأموات والاستغاثة بأهل القبور كالحسن أو الحسين أو البدوي أو ما أشبه ذلك ، يجب أن تكون عندهم عناية بهذا الأصل الأصيل ، بمعنى لا إله إلَّا الله التي هي أصل الدِّين وأوَّل ما دعا إليه النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم في مكَّة دعا إلى توحيد الله ، إلى معنى لا إله إلَّا الله .

فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر أي عدم النَّشاط في الدَّعوة إلى توحيد الله والإخلاص له ، وإنكار ما أحدث الجهَّال من التَّعلُّق بالأموات والاستغاثة بهم والنَّذر لهم والذَّبح لهم الذي هو الشِّرك الأكبر !!! كذلك ينتقدون عليهم عدم العناية بالسُّنَّة تتبع السُّنَّة والعناية بالحديث الشَّريف وما كان عليه سلف الأمَّة في أحكامهم الشَّرعيَّة ، وهناك أشياء كثيرة أسمع الكثير من الإخوان ينتقدونهم فيها ونسأل الله أن يوفقهم – ا.هـ مجلة "المجلة" عدد (٨٠٦) .

٣/ الشَّيخ العلَّامة المحدِّث الفهَّامة: محمد ناصر الدِّين الألباني –رحمه الله– قال : الذي أعتقده أنَّ دعوة التَّبليغ هي صوفيَّة عصريَّة لا تقوم على كتاب الله وسنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم !!! ثم قال : إنَّ من عجبي أنَّهم يخرجون للتَّبليغ وهم يعترفون أنَّهم ليسوا أهلاً للتَّبليغ ، والتَّبليغ إنَّما يقوم به أهل العلم كما كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يفعل حينما كان يُرسل الرُّسل من أصحابه من أفاضل أصحابه من علمائهم وفقهائهم ليعلِّموا النَّاس الدِّين والإسلام...ا.هـ (شريط القول البليغ في ذم جماعة التَّبليغ) .

و قال الشَّيخ محمد ناصر الدِّين الألباني – رحمه الله - : ليس صواباً أن يقال إنَّ الإخوان المسلمين هم من أهل السُّنَّة !!! لأنهم يحاربون السُّنَّة ا.هـ (شريط " فتوى حول جماعة التَّبليغ والإخوان " الوجه الثاني) .

وقال في قاعدتهم : (نتعاون فيما اتَّفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) : الإخوان المسلمون ينطلقون من هذه القاعدة التي وضعها لهم رئيسهم الأول ، وعلى إطلاقها ، ولذلك لا تجد فيهم التَّناصح المُستقى من نصوص كتاب الله وسنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم ....هذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحو سبعين سنة عمليَّاً ، بعيدين فكرياً عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً !!! وبالتَّالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عمليَّاً ؛ لأنَّ فاقد الشَّيء لا يعطيه .

وقال رحمه الله (في الشَّريط السَّابق): - " العبده صاحب (مجلة البيان) فهما (العبده ومحمد سرور بن نايف زين العابدين) كانا شريكين في إصدار هذه المجلة (البيان) ، ثم لا أدري ما هي أسباب الانفصال بينهما ، حيث استقل العبده بمجلة (البيان)وتفرد سرور بمجلة (السُّنَّة)، وأنا اعتقد أن تسمية هذه المجلة بـ (السُّنَّة)هو من باب : يسمُّونها بغير اسمها .

٤/ الشَّيخ الفقيه الأصولي عبد الرزاق عفيفي –رحمه الله-/ سئل عن خروج جماعة التَّبليغ لتذكير النَّاس بعظمة الله ؟ فقال الشَّيخ –رحمه الله -: الواقع أنهم مبتدعة ومُحرِّفون وأصحاب طرق قادريَّة وغيرهم ، وخروجهم ليس في سبيل الله ، لكنَّه في سبيل إلياس ،هم لا يدعون إلى الكتاب والسُّنَّة ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش ، أمَّا الخروج بقصد الدَّعوة إلى الإسلام فهو جهاد في سبيل الله ، وليس هذا هو خروج جماعة التَّبليغ ، وأنا أعرف التَّبليغ من زمان قديم ، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا هم في مصر وإسرائيل ، وأمريكا، والسّعودية . وكلُّهم مرتبطون بشيخهم إلياس .ا.هـ (فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧٤))

.

٥/ الشَّيخ العلَّامة حمود بن عبد الله التُّويجري –رحمه الله- : (صاحب كتاب عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن !!!) قد ألَّف –رحمه الله- كتاباً خاصَّاً فيهم ، وله فيهم فتوى عظيمة طُبعت مع أوَّل كتابه القول البليغ فلتراجع ، وقد صدّر هذه الفتوى بقوله ص٧ ،٣٠ :

أمَّا جماعة التَّبليغ ، فإنَّهم جماعة بدعة وضلالة وليسوا على الأمر الذي كان عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه والتَّابعون لهم بإحسان ، وإنَّما هم على بعض طرق الصُّوفيَّة ومناهجهم المبتدعة – ثم قال – في

الإجابة عن قول السَّائل: هل أنصحه بالخروج مع التَّبليغيين في داخل البلاد (أي البلاد السّعودية) أو في خارجها أم لا ؟ فجوابه أن أقول : وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من أدناس الشِّرك والغلو والبدع والخرافات أن لا ينظمُّوا إلى التَّبليغيين ، ولا يخرجوا معهم أبداً سواء كان ذلك في البلاد السّعودية أو في خارجها ...- وقد تقدَّم نقلها- ا.هـ

٦/ الشَّيخ العلَّامة صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء – حفظه الله – : قد قدم لكتاب جماعة التَّبليغ في شبه القارَّة الهنديَّة عقائدها –تعريفها . وقدم لكتاب حقيقة الدَّعوة إلى الله تعالى وما اختصَّت به جزيرة العرب للشَّيخ سعد الحصين ، ثم قال في مقدِّمة الكتاب : فقد حاول أعداء هذه الدَّعوة (أي دعوة التَّوحيد) أن يقضوا عليها بالقوَّة فلم ينجحوا ، وحاولوا أن يقاوموها بالتَّشكيك والتَّضليل والشُّبهات ووصفها بالأوصاف المنفِّرة ، فما زادها إلَّا تألُّقاً ، ووضوحاً ، وقبولاً ، وإقبالاً . ومن آخر ذلك ما نعايشه الآن من وفود أفكار غريبة مشبوهة إلى بلادنا باسم الدَّعوة ، على أيدي جماعات تتسمَّى بأسماء مختلفة مثل : جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة التَّبليغ وجماعة كذا وكذا ، وهدفها واحد ، وهو أن تزيح دعوة التَّوحيد وتحل محلها !!! وفي الواقع أنَّ مقصود هذه الجماعات لا يختلف عن مقصود من سبقهم من أعداء هذه الدَّعوة المباركة ، كلّهم يريدون القضاء عليها – لكن الاختلاف اختلاف خطط فقط – ، وإلَّا لو كانت هذه الجماعات حقَّاً تريد الدَّعوة إلى الله فلماذا تتعدَّى بلادها التي وفدت إلينا منها ، وهي أحوج ما تكون إلى الدَّعوة والإصلاح ؟ تتعدَّاها وتغزو بلاد التَّوحيد !!! تريد تغيير مسارها الإصلاحي الصَّحيح إلى مسار معوج ، وتريد التَّغرير بشبابها ، وإيقاع الفتنة والعداوة بينهم .

– ثم قال – وإذا كانت هذه الجماعات قد غرَّرت ببعض شبابنا ، فتأثَّروا بأفكارها ، وتنكَّروا لمجتمعهم ، وتشكَّكوا في قاداتهم وعلمائهم ، وانطفأت الغيرة على العقيدة فيهم ، فتركوا الاهتمام بها وصاروا يهرفون بما لا يعرفون ، وينعقون بما يسمعون .

فإن في هذه البلاد – ولله الحمد – رجالاً يغارون لدينهم ويدافعون عن عقيدتهم ، ويردون كيد الأعداء في نحورهم ، ولا ينخدعون بالأسماء البَّراقة ، ولا يتأثرون بالحماس الكاذب .ا.هـ (حقيقة الدَّعوة إلى الله ص٣-٤) .

سُئل–حفظه الله–: هل هذه الجماعات تدخل في الاثنتين وسبعين فرقة الهالكة ؟

فقال : " نعم، كل من خالف أهل السُّنَّة و الجماعة ممن ينتسب إلى الإسلام في الدَّعوة أو في العقيدة أو في شيء من أصول الإيمان ، فإنَّه يدخل في الاثنتين والسَّبعين فرقة ، ويشمله الوعيد ، ويكون له من الذَّم والعقوبة بقدر مخالفته " .

و سُئل : ما حكم وجود مثل هذه الفرق : التَّبليغ ، والإخوان المسلمين ، وحزب التَّحرير ، وغيرها في بلاد المسلمين عامَّة ؟

فقال : " هذه الجماعات الوافدة يجب ألَّا نتقبَّلها لأنَّها تريد أن تنحرف بنا وتفرقنا وتجعل هذا تبليغيَّاً وهذا إخوانيَّاً وهذا كذا...، لِمَ هذا التفرُّق ؟ هذا كفرٌ بنعمة الله سبحانه وتعالى ، ونحن على جماعةٍ واحدة وعلى بيِّنةٍ من أمرنا ، لماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ لماذا نتنازل عمَّا أكرمنا الله سبحانه وتعالى به من الاجتماع والألفة والطَّريق الصَّحيح ، وننتمي إلى جماعات تفرِّقنا وتشتِّت شملنا ، وتزرع العداوة بيننا ؟ هذا لا يجوز أبداً " . من كتاب الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ، من إجابات الشَّيخ صالح الفوزان .

جملة من المآخذ على التَّبليغيين باختصار :

١/ هذه الجماعة لا تهتم بالدَّعوة إلى توحيد الإلهيَّة (العبادة) وهي الدَّعوة التي من أجلها أرسلت الرُّسل وأنزلت الكُتب وخلق الثقلان ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] ، وقال :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] . ، وهي وإن ذكرت من أصولها الكلمة الطيِّبة (لا إله إلَّا الله ومحمد رسول الله) إلَّا أنها من أبعد الناس عنها !!! وذلك أنَّ التَّوحيد الذي يعتنون به هو توحيد الرُّبوبيَّة الذي أقرَّ به كفَّار قريش ولم يدخلهم في الإسلام دون توحيد الألوهيَّة الذي من أجله أُرسلت الرُّسل .

٢) أنَّ هذه الجماعة قد انغمست في البدع المختلفة فهم يُبايعون العجم ومن يثقون به من العرب على الطُّرق الصُّوفيَّة المبتدعة الأربعة الجشتيَّة والنَّقشبنديَّة والقادريَّة والسَّهروردِيَّة (ذكر هذا الشَّيخ سعد الحصين في رسالته المتضمنة نصيحة لرئيس جماعة التَّبليغ حالياً انظرها مذيلة في آخر الكتاب ، وانظر القول البديع (ص٧-٩، ٢٠٩،١٣٧) .

وكذلك كتابهم المعد لأتباعهم من العجم "تبليغي نصاب " فيه من البدع الكثيرة المُهلكة .

٣) لا يهتمُّ التَّبليغيُّون بالعلم وليس عندهم في مناهجهم العلم بمعناه الحق- معرفة أحكام الشَّرع بأدلَّته- والدِّراسة على العلماء فهم مفرطون في شرط العبادة الثَّاني ، وهو المتابعة لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (انظر كتاب جماعة التَّبليغ ص٤٨ ، وقفات مع جماعة التَّبليغ ص٢٢، ٢٩ ،١٩٩) .

فيا سبحان الله إذا لم يكن عندهم علم فإلى أي شيء يدعون ؟وهل فاقد الشَّيء يعطيه ؟ودعوة الأنبياء دعوة على علم ،قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

فلأجل عدم اهتمامهم بالعلم وقعوا في بدع كثيرة في باب العبادات – زيادة على ما سبق ذكره من البدع – (كتاب الصفات الستة (ص٣١-٣٥ ،٦٠-٦٣)) .

٤) من أصول هذه الجماعة الخروج : وهو السَّفر للدَّعوة إلى الله ، وهذا الأصل محمود مطلوب موجود عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، إذ أرسل جماعات من الصَّحابة للدَّعوة إلى الله ، فأرسل أبا موسى وعليّاً ومعاذاً وأبا هريرة وغيرهم –رضي الله عنهم أجمعين – لكن على غير طريقة التَّبليغيِّين ، فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم يكن يرسل إلَّا العلماء فلم يُرسل غيرهم للدَّعوة إلى الله مع وجود المقتضي والحاجة في زمانه وانتفاء المانع ، وما كانت هذه صورته فحكمه بدعة في الشَّريعة .

فنخلص من هذا أنَّ إرسال الجهال للدعوة إلى الله من جملة البدع ولا يصح لأحد أن يستدلَّ بما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : "بلِّغوا عنِّي ولو آية " .

فيقول : هذا يشمل كلّ من عرف ولو آية واحدة في حالة سفر أو حضر إذ يقال : خير من فهم هذا الكلام وعمل به من تلفّظ به صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومع ذلك لم يفهم أنَّه شامل لما ذكرت إذ لو كان فاهماً ما ذكرت لأرسل حتى غير العلماء من الصَّحابة للدعوة ،فلما لم يفعل مع وجود الحاجة وانتفاء المانع دل على أنَّه غير داخل في مطلق الحديث (أفاده الشَّيخ محمد ناصر الدين الألباني في بعض مسجلاته الصوتية عن هذه الجماعة كشريط القول البليغ في ذم جماعة التَّبليغ) .

ثم إنَّ الجهَّال من التَّبليغيِّين وغيرهم إذا ذهبوا للدَّعوة لا يقتصرون على تلاوة آية أو ذكر حديث .

التَّبليغيُّون في جزيرة العرب :

كثيراً ما يردِّد بعضهم : إنَّ هذا في حقِّ التَّبليغيِّين الهنود والباكستانيِّين ، أمَّا التَّبليغيُّون السّعوديون فلا ينطبق عليهم حكم التَّحريم .

والجواب من أوجه :

١- أنَّ هؤلاء التَّبليغيِّين الهنود ونحوهم مبتدعة – على أقل الأحوال - فالواجب البراءة منهم !!! والتَّحذير من سلوك طريقهم لا الانتساب إليهم والدِّفاع عنهم ، كما هو حال التَّبليغيِّين الموجودبن في جزيرة العرب .

قال الشَّيخ حمود التُّويجري : وأمَّا قول السَّائل :هل أنصحه بالخروج مع التَّبليغيِّين في داخل البلاد - أي البلاد السّعودية – أو في خارجها أم لا ؟ فجوابه أن أقول " إنِّي أنصح السَّائل وأنصح غيره من الذين يحرصون على سلامة دينهم من أدناس الشِّرك والغلو والبدع والخرافات !!! أن لا ينضمُّوا إلى التَّبليغيِّين ،ولا يخرجوا معهم أبداً ، وسواء كان ذلك في البلاد السّعودية أو في خارجها ؛ لأنَّ أهون ما يقال في التَّبليغيين أنَّهم أهل بدعة وضلالة وجهالة في عقائدهم وفي سلوكهم ، ومن كانوا بهذه الصِّفة الذَّميمة ؛ فلا شكَّ أنَّ السَّلامة في مجانبتهم والبُعد عنهم .

-ثم قال – وقد كان السَّلف الصَّالح يحذرون من أهل البدع ، ويبالغون في التَّحذير منهم ، وينهون عن مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم ،ويأمرون بمجانبتهم ومعاداتهم وبغضهم وهجرهم ا.هـ (القول البليغ ٣٠ – ٣١)

قال الشَّيخ إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصابوني في "عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة ": ويجانبون أهل البدع والضَّلالات ، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدِّين ما ليس منه ، ولا يحبُّونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدِّين ولا يناظرونهم ، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان ووقرت في القلوب ؛ ضرت وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة ا.هـ

وقال ""واتَّفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم ، والتَّباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم ، والتَّقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ بمجانبتهم ومهاجرتهم " انتهى .ا.هـ

٢- أنَّ هؤلاء التَّبليغيِّين المنتسبين للعقيدة السَّلفيَّة متشبِّهون بأولئك المبتدعة في الدَّعوة إلى الله وقد ثبت عند الإمام أحمد وأبي داود عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال :"من تشبَّه بقوم فهو منهم "

وهذا نصٌّ عامٌّ يشمل حتى المبتدعة وقد عمَّمه طائفة من أهل العلم حتى على الفسَّاق فكيف بمن هم أشدّ وأضلّ ؟ المبتدعة .

ومن أولئك العلماء : القرطبي والصَّنعاني والنَّووي إذ حرَّم الضرب بالصفاقتين ؛ لأنَّه تشبّه بالمخنَّثين .راجع روضة الطالبين (٨/٢٠٦) وسبل السلام (٤/٢٣٨) وكتاب التشبه المنهي عنه (ص٦٩) .

٣- أنَّهم وإن سلموا مما عندهم من الشركيات إلا أنهم لم يسلموا من الأمور الأخرى البدعية والدَّعوة بجهل، ومن المشاهد لكل ذي بصيرة أنَّ كثيراً منهم جهال ليس لهم عناية بعلم بل شأنهم في المجالس حكاية القصص -التي الله أعلم بصحَّتها- والأمثال وهذا من المشهور المعروف عنهم فهو غني عن البرهان والتَّدليل ، وجهلهم هذا بالشَّرع سبّب لهم أموراً مذمومة من الوقوع في البدع ، وتناقل الأحاديث الضَّعيفة بل ونسبة بعض الأقوال إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ظناً منهم أنَّها من كلامه صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومجالسة أصحاب المنكرات حال تلبسهم بالمنكر وعدم الإنكار عليهم . (القول البليغ (١٣-١٥، ٢٧٥)) .

٤- أنَّهم وقعوا فيما وقع فيه تبليغو الهند وباكستان من الخروج بالجهَّال للدَّعوة إلى الله، وقد سبق أن هذا من البدع ، وأنَّ فاقد الشَّيء لا يعطيه .

٥- أنَّهم سائرون على طريقة تؤدِّي إلى تقسيم المسلمين وجعلهم أحزاباً وشيعاً ، وذلك أنَّهم تسمّوا باسم جديد محدَث جعلهم متميِّزين به عن باقي المسلمين السَّائرين على طريقة السَّلف الماضين ومعلوم كم لهذا من الأثر في تفريق المسلمين وإشعال الخصومة بينهم فصاروا يسمون أصحابهم أحباباً ودروسهم بياناً ومن المتقرِّر في الشَّرع أنَّ ما أدَّى إلى تفريق المسلمين وجعلهم أحزاباً محرم قال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢] .

قال الشَّيخ محمد بن صالح العثيمين : ليس في الكتاب ولا السُّنَّة ما يبيح تعدُّد الجماعات والأحزاب بل في الكتاب والسُّنَّة ما يذمّ ذلك ا.هـ ثم بين خطأ قول القائل : لا يمكن للدَّعوة أن تقوى وتنتشر إلَّا إذا كانت تحت حزب . (كتاب الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ص ١٥٤ ، ١٥٥)

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...عبدالعزيز بن ريِّس الريِّس (١) .

قلت : والكلام برمَّته أقلّ من أن يُردّ عليه ... وهو مُندرجٌ تحت مقولة : " رمتني بدائها وانسلَّت " ... فجميع المعايب التي ألصقوها بجماعة التَّبليغ تنطبق تماماً عليهم هم ... وأنا أعد الجميع – بإذن الله – بنسف ما جاء برسالة " الريِّس " بمجلَّد سيهوي به في مهاوي الرَّدى ...وسيكشف للجميع المزيد والمزيد من عوار مذهبه الصَّدي ...

الخَمْسُوْن : قال ابن باز : " أهل مصر كفَّار ، لأنَّهم يعبدون أحمد البدوي ، وأهل العراق ومن حولهم كأهل عُمان كفَّار ، لأنَّهم يعبدون الجيلاني ، وأهل الشام كفَّار ، لأنَّهم يعبدون ابن عربي ، وكذلك أهل نجد والحجاز ، قبل ظهور دعوة الوهابيَّة ، وأهل اليمن !!! " (٢) .

الحَادِيَةُ وَالخَمْسُوْن : كفَّر ابنُ باز الصَّحابي الجليل بلال بن الحارث المزني !!! كما في تعليقه على فتح الباري .

قال الحافظ ابن حجر : " وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمَّان عن مالك الدَّاري – وكان خازن عمر – قال : " أصاب النَّاس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا رسول الله استسق لأُمَّتك فإنَّهم قد هلكوا ، فأتى الرَّجل في المنام فقيل ... " .

وقد علَّق ابن باز على هذا الأثر ، فقال : " هذا الأثر – على فرض صحَّته كما قال الشَّارح – ليس بحجَّة على جواز الاستسقاء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعلم أنَّ ذلك هو الحقّ ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلى الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك ، وأمَّا تسمية السَّائل في رواية سيف المذكورة " بلال بن حارثة " ففي صحَّة ذلك نظر ، ولم يذكر الشَّارح سند سيف في ذلك ،

(١) فتاوى أئمَّة أهل السُّنَّة السَّلفيِّين في جماعة التَّبليغ والإخوان المسلمين "، عبدالعزيز بن ريس الرَّيِّس ، بلا .

(٢) انظر : فتح المجيد من كلام وتعليق ابن باز (ص٩١) ، (ص٢١٦) .

وعلى تقدير صحَّته عنه لا حجَّة فيه ، لأنَّ عمل كبار الصَّحابة يخالفه ، وهم أعلم بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والله أعلم " [1] .

الثَّانِيَةُ وَالخَمْسُوْن : في " كتاب السُّنَّة " المنسوب لعبد الله بن أحمد – وهو من أهم الكُتب المُعتمدة عندهم – أوردوا عشرات الرِّوايات في تكفير وتفسيق وتبديع الإمام الأعظم أبي حنيفة ، من ذلك :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهَّ بْنُ عَوْنِ بْنِ الْخَرَّازِ أَبُو محمَّد ، وَكَانَ ، ثِقَةً ، ثنا شَيْخٌ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ : قِيلَ لِعَبْدِ اللهَّ بْنِ عَوْنٍ : هُو أَبُو الْجَهْمِ فَكَأَنَّهُ أَقَرَّ أَنَّه قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : قَالَ لِي حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ : اذْهَبْ إِلَى الْكَافِرِ – يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ – فَقُلْ لَهُ : إِنْ كُنْتَ تَقُولُ : إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَلَا تَقْرَبْنَا " [2] .

وحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ الطُّوسِيُّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ يُونُسَ ، عَنْ سُلَيْمٍ الْمُقْرِئِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّاداً ، يَقُولُ : أَلَا تَعْجَبُ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ يَقُولُ : الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ ، قُلْ لَهُ يَا كَافِرُ يَا زِنْدِيقُ !!! [3]

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، حَدَّثَنِي محمَّد بْنُ كَثِيرٍ الصَّنْعَانِيُّ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، أَنَّه ذَكَرَ أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالَ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ يَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ [4] .

وحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْخُرَاسَانِيُّ ، حَدَّثَنَا سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ ، عَنْ محمَّد بْنِ كَثِيرٍ الْمِصِّيصِيُّ ، قَالَ : ذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالَ : هُوَ يَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً [5] .

وحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ ، ثنا أَبُو حَفْصٍ التِّنِّيسِيُّ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، قَالَ : " مَا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مَوْلِدٌ أَشَرُّ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي مُسْلِمٍ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّه وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنِّي خَيْرٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمَا وَأَنَّ لِيَ الدُّنيا وَمَا فِيهَا " [6] .

---

[1] انظر : هامش فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٤٩٥ هامش) .

[2] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١١٨ برقم ٢٤٨) .

[3] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١١٨ برقم ٢٥٠) .

[4] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١١٩ برقم ٢٥٣) .

[5] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١١٩ برقم ٢٥٤) .

[6] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٠ برقم ٢٥٧) .

وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ الْحَرَّانِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ يُونُسَ ، يَقُولُ : خَرَجَ الْأَوْزَاعِيُّ عَلَيَّ وَعَلَى الْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ وَمُوسَى بْنِ أَعْيَنَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِبَيْرُوهَ بِكِتَابِ السِّيَرِ وَمَا رُدَّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ هَذَا الْخَطَأُ فِي أُمَّةِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَوْسَعَهُمْ خَطَأً ، ثمَّ قَالَ : مَا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مَوْلِودٌ أَشْأَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ [1] .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ هَارُونَ أَبُو نَشِيطٍ ، ثنا أَبُو صَالِحٍ الْفَرَّاءُ ، سَمِعْتُ الْفَزَارِيَّ يَعْنِي أَبَا إِسْحَاق ، قَالَ : قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ " إِنّا لَنَنْقِمُ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّه كَانَ يَجِيءُ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُخَالِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ [2]
.

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ هَارُونَ ، ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْفَزَارِيَّ ، يَقُولُ : كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ وَسُفْيَانُ يَقُولَانِ : مَا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَشْأَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ [3] .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهَّ الْمُخَرِّمِيُّ ، نا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَلَّامَ بْنَ أَبِي مُطِيعٍ ، يَقُولُ : كُنْتُ مَعَ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَرَآهُ أَبُو حَنِيفَةَ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، فلمّا رَآهُ أَيُّوبُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قُومُوا لَا يُعْدِنَا بِجَرَبِهِ ، قُومُوا لَا يُعْدِنَا بِجَرَبِهِ [4] .

وحَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ الْهُذَلِيُّ ، قَالَ : حُدِّثْتُ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَيُّوبَ ، يَقُولُ : لَقَدْ تَرَكَ أَبُو حَنِيفَةَ هَذَا الدِّين وَهُوَ أَرَقُّ مِنْ ثَوْبٍ سَابِرِيٍّ [5] .

وحَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ ، ثنا مُؤَمَّلٌ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ ، شَرِيكُ الرَّبِيعِ بْنِ صُبَيْحٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَوْنٍ ، يَقُولُ : " مَا وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ مَوْلُودٌ أَشْأَمَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ [6] .

---

[1] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٠ برقم ٢٥٧) .

[2] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢١ برقم ٢٥٩) .

[3] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢١ برقم ٢٦٠) .

[4] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٢ برقم ٢٦١) .

[5] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٢ برقم ٢٦٢) .

[6] انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢٢ برقم ٢٦٣) .

وحَدَّثَنِي أَبِي ، ثنا شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : مَا أُحِبُّ أَنْ أُوَافِقَهُمْ عَلَى الْحَقِّ . قُلْتُ لِأَبِي رَحِمَهُ اللهُ يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَجُلٌ اسْتُتِيبَ فِي الْإِسْلَامِ مَرَّتَيْنِ ، يَعْنِي : أَبَا حَنِيفَةَ ، قُلْتُ لِأَبِي رَحِمَهُ اللهُ : كَأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ الْمُسْتَتِيبُ ؟ قَالَ : نَعَمْ (١) .

وسَمِعْتُ أَبِيَ رَحِمَهُ اللهُ ، يَقُولُ : أَظُنُّ أَنَّه اسْتُتِيبَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠] ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : هَذَا مَخْلُوقٌ ، فَقَالُوا لَهُ : هَذَا كُفْرٌ فَاسْتَتَابُوهُ (٢) .

وحَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللهُ ، ثنا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ مَرَّتَيْنِ (٣) .

وحدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ ، يَقُولُ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : اسْتَتَابَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ أَبَا حَنِيفَةَ مَرَّتَيْنِ (٤) .

وحَدَّثَنِي عُبَدُ اللهَّ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِيَ يَقُولُ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الْكُفْرِ مَرَّتَيْنِ (٥) .

وحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْخُرَاسَانِيُّ ، نا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ ، نا الْفِرْيَابِيُّ ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنْ كَلَامِ الزَّنَادِقَةِ مِرَاراً (٦) .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، نا هَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ ، حَدَّثَنِي ابْنُ سُمَيْعٍ الْأَشْجَعِيُّ ، يُحَدِّثُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الْكُفْرِ مَرَّتَيْنِ (٧) .

---

(١) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢٦ برقم ٢٧٢) .

(٢) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢٦ برقم ٢٧٣) .

(٣) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢٦ برقم ٢٧٤) .

(٤) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٦ برقم ٢٧٥) .

(٥) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٧ برقم ٢٧٦) .

(٦) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٧ برقم ٢٧٧) .

(٧) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٢٧ برقم ٢٧٩) .

وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ ، نا مُعَاذٌ ، نا سُفْيَانُ ، وَذَكَرَ أَبَا حَنِيفَةَ ، قَالَ : اسْتُتِيبَ أَصْحَابُهُ مِنَ الْكُفْرِ غَيْرَ مَرَّةٍ (١) .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى النَّسَائِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، يُحَدِّثُ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : قَالَ لِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ فَاسْأَلْهُ عَنْ عِدَّةِ أُمِّ الْوَلَدِ إِذَا مَاتَ عَنْهَا سَيِّدُهَا ، فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : لَيْسَ عَلَيْهَا عِدَّةٌ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى سُفْيَانَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ هَذِهِ فُتْيَا يَهُودِيٍّ (٢) .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ عَمْرِو بْنِ عبَّاس الْبَاهِلِيُّ ، ثَنَا الْأَصْمَعِيُّ ، قَالَ : قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : مَا وُلِدَ مَوْلُودُ بِالْكُوفَةِ أَوْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَضَرُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : وَزَعَمَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ اسْتُتِيبَ مَرَّتَيْنِ (٣) .

.

وحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ ، ثنا نُعَيْمُ بْنُ يَحْيَى السَّعِيدِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : مَا وَضَعَ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا وَضَعَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَبُو الْخَطَايَا (٤) .

وحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ ، حَدَّثَنِي عَرَزَةُ الْخُرَاسَانِيُّ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى السِّينَانِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ ، يَقُولُ : ضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ طَاقاً مِنَ النَّار (٥) .

وحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ ، سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ، ذَكَرَ أَبَا حَنِيفَةَ فَذَكَرَهُ بِكَلَامِ سُوءٍ ، وَقَالَ : " كَادَ الدِّين ، وَقَالَ : مَنْ كَادَ الدِّين فَلَيْسَ مِنَ الدِّين " (٦) .

وحَدَّثَنِي مَنْصُورٌ ، مَرَّةً أُخْرَى قَالَ : سَمِعْتُ مَالِكاً ، يَقُولُ فِي أَبِي حَنِيفَةَ قَوْلاً يُخْرِجُهُ مِنَ الدِّين ، وَقَالَ : مَا كَادَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا الدِّين (٧) .

---

(١) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢٨ برقم ٢٨٠) .

(٢) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٢٨ برقم ٢٨١) .

(٣) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيباني (١/ ١٢٩ برقم ٢٨٦) .

(٤) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٠ برقم ٢٨٩) .

(٥) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٠ برقم ٢٩٠) .

(٦) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٣٣ برقم ٣٠٠) .

(٧) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٣ برقم ٣٠١) .

وحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْخُرَاسَانِيُّ ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ ، قَالَ : قَالَ لِي خَالِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ " أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، وَقَالَ مَالِكٌ : أَبُو حَنِيفَةَ يَنْقُضُ السُّنَنَ (١) .

وحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ ، حَدَّثَنِي الْحُنَيْنِيُّ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : مَا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مَوْلُودٌ أَضَرَّ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ يَعِيبُ الرَّأْيَ (٢) .

وحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُزَاحِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْعُذْرِيَّ ، يَقُولُ : قِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ : مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَبَسَ بِهِ بَطْنَ الْأَرْضِ (٣) .

وحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ شَرِيكاً ، يَقُولُ : لَأَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ رَبْعٍ مِنْ أَرْبَاعِ الْكُوفَةِ خَمَّارٌ يَبِيعُ الْخَمْرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَنْ يَقُـــولُ بِقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ (٤) .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ ، ثنا الْأَصْمَعِيُّ ، عَنْ شَرِيكٍ ، قَالَ : أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ أَشَدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنْ لُصُوصِ تَاجِرٍ قَمِيٍّ (٥) .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، ثنا هَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِشَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ ؟ قَالَ : عَلِمَ ذَلِكَ الْعَوَاتِقُ فِي خُدُورِهِنَّ (٦) .

وحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْخُرَاسَانِيُّ ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ : كَانَ شَرِيكٌ سَيِّئَ الرَّأْيِ جِدّاً فِي أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ وَيَقُولُ : مَذْهَبُهُمْ رَدُّ الْأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) .

وحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ شَرِيكاً ، يَقُولُ : اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنْ كُفْرِهِ مَرَّتَيْنِ مِنْ كَلَامِ جَهْمٍ وَمِنَ الْإِرْجَاءِ (٨) .

---

(١) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٣ برقم ٣٠٣) .

(٢) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٣٣ برقم ٣٠٤) .

(٣) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٣٥ برقم ٣١٠) .

(٤) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٧ برقم ٣١٣) .

(٥) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٣٧ برقم ٣١٤) .

(٦) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٣٧ برقم ٣١٥) .

(٧) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٧ برقم ٣١٦) .

(٨) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٣٧ برقم ٣١٧) .

وحَدَّثَنِي هَارُونُ ، حَدَّثَنِي شَاذَانُ ، سَمِعْتُ شَرِيكاً ، يَقُولُ : أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ جَرَبٌ (١) .

وحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ ، ثنا أَبُو تَوْبَةَ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُلْثُومٍ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، أَنَّه لَمَّا مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي أَمَاتَهُ فإِنَّه كَانَ يَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً (٢) .

وحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ ، ثنا أَبُو تَوْبَةَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ ، قَالَ : قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : إِنَّا لَا نَنْقِمُ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ الرَّأْيَ كُلُّنَا نَرَى ، إِنَّمَا نَنْقِمُ عَلَيْهِ أَنَّه يُذْكَرُ لَهُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُفْتِي بِخِلَافِهِ (٣) .

وحَدَّثَنِي أَبُو عَقِيلٍ يَحْيَى بْنُ حَبِيبِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، ثنا غَالِبُ بْنُ فَائِدٍ ، ثنا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يُطَافُ بِهِ عَلَى حِلَقِ الْمَسْجِدِ يُسْتَتَابُ أَوْ قَدِ اسْتُتِيبَ (٤) .

وحَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَحْنَفَ ، قَالَ : قُلْتُ لِشَرِيكٍ كَيْفَ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ فِيكُمْ ؟ قَالَ : كَانَ فِينَا فَاسِداً (٥) .

وحدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ ، قَالَ : قِيلَ لِشَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ مِمَّا اسْتَتَبْتُمْ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ : مِنَ الْكُفْرِ (٦) .

وحدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، وَحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ ، أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا حَنِيفَةَ وَقَدِ اسْتُتِيبَ مِنَ الزَّنْدَقَةِ مَرَّتَيْنِ " (٧) .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ محمَّد ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، وَشَرِيكٌ ، وَحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالُوا : أَدْرَكْنَا أَبَا حَنِيفَةَ وَمَا يُعْرَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْفِقْهِ مَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالْخُصُومَاتِ (٨) .

وحَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ الله ، حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ، وَذَكَرَ أَبَا حَنِيفَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ اسْتَقْبَلَ الْآثَارَ وَالسُّنَنَ بِرَدِّهَا بِرَأْيِهِ (١) .

---

(١) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٣٨ برقم ٣١٨) .

(٢) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤١ برقم ٣٣٢) .

(٣) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤١ برقم ٣٣٤) .

(٤) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤١ برقم ٣٣٥) .

(٥) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٣ برقم ٣٤١) .

(٦) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٤ برقم ٣٤٤) .

(٧) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٤ برقم ٣٤٥) .

(٨) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٤ برقم ٣٤٦) .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رِزْمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا عِنْدَ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فَذَكَرُوا مَسْأَلَةً فَقِيلَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ بِهَا فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ قَوْلُ ذَاكَ الْمَارِقِ (٢) .

وحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ ، سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ، إِذَا ذُكِرَ أَبُو حَنِيفَةَ قَالَ : ذَاكَ أَبُو جِيفَةَ ، قَالَ : وَبَلَغَنِي أَنَّ عُثْمَانَ الْبَتِّيَّ ، كَانَ يَقُولُ : ذَاكَ أَبُو جِيفَةَ (٣) .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ، يَقُولُ عَنْ أَبِي حَنِيفَـــةَ : هَذَا لَيَكُبَّنَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ (٤) .

وحَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، قَالَ : سَأَلْتَ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : ذَاكَ أَبُو جِيفَةَ ، ذَاكَ أَبُو جِيفَةَ سَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْأَرْضَ (٥) .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ أَبِي عَتَّابٍ الْأَعْيَنَ ، ثنا مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ، يَلْعَنُ أَبَا حَنِيفَةَ ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : وَكَانَ شُعْبَةُ يَلْعَنُ أَبَا حَنِيفَةَ (٦) .

وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبُّوَيْهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَانَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ ، يَقُولُ فِي مَسْأَلَةٍ لِأَبِي حَنِيفَةَ : قَطْعُ الطَّرِيقِ أَحْيَاناً أَحْسَنُ مِنْ هَذَا (٧) .

وحَدَّثَنِي محمَّد بْنُ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ ، ثنا سُفْيَانُ ، قَالَ : " مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَجْرَأَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَـــانَ ، فَقَالَ : جِئْتُكَ عَلَى أَلْفٍ بِمِائَةِ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلُكَ عَنْهَا ، فَقَالَ : هَاتِهَا ، قَالَ سُفْيَانُ : فَهَلْ رَأَيْتُـــمْ أَحَداً أَجْرَأَ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا ؟ (٨)

---

(١) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٤ برقم ٣٤٨) .

(٢) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٤ برقم ٣٤٩) .

(٣) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٥ برقم ٣٥٠) .

(٤) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٤٥ برقم ٣٥١) .

(٥) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل (١/ ١٤٥ برقم ٣٥٢) .

(٦) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٥ برقم ٣٥٣) .

(٧) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٤٨ برقم ٣٦١) .

(٨) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٥٠ برقم ٣٦٥) .

وحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ ، نا الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَرَجِ الْخَيَّاطُ ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي سُوَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ، يَقُولُ : أَبُو حَنِيفَةَ هَذَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَارَ جَهَنَّمَ " (١) .

وأُخْبِرْتُ عَنْ مُطَرِّفٍ الْيَسَارِيِّ الْأَصَمِّ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : الدَّاءُ الْعُضَالُ الْهَلَاكُ فِي الدِّين أَبُو حَنِيفَةَ الدَّاءُ الْعُضَالُ (٢) .

وفي كتابه : " نشر الصَّحيفة في ذكر الصَّحيح من أقوال أئمة الجرح والتَّعديل في أبي حنيفة " ، جمع من سمُّوه بمحدِّث الدِّيار اليمنيَّة : مقبل بن هادي الوادعي ، جميع الأقوال التي حواها تاريخ الخطيب البغدادي ، وسنَّة ابن أحمد بن حنبل ، في مثالب أبي حنيفة ، وصحَّح !!! الكثير من الأقوال التي حوتها تلك الكتب ، تماماً كعادتهم في تصحيح كلِّ ما من شأنه أن ينصر مذهبهم ، ولو بالكذب (٣) ...

وقد ذكر الإمام الكوثري أنَّ المدعو : محمَّد حامد الفقي قام بنسخ ترجمة أبي حنيفة من تاريخ بغداد ، من نسخة دار الكتب المصريَّة ، التي انفردت بغالب المثالب في ترجمته ، وبعث بها إلى الهند ، فطُبعت هناك مع ترجمتها إلى اللغة الهنديَّة ، بسعي بعض أغنياء الحشويَّة ، نكاية في الحنفيَّة ، وذلك قبل طبع الكتاب بمصر بسنين ...

وفي آخر الطَّبعة الهنديَّة ذكر من هو السَّاعي في نسخها ، ومن هو القائم بترجمتها ، ومن هو النَّاشر ، ومن هو هذا وذاك وذلك ؟ من المهملَين الفاتنين السَّاعين في تفريق كلمة المسلمين .

ومن غريب ما سمعت من المشرف على طبع التَّاريخ ، أنَّ بعض المستشرقين وأناساً من الذين يدَّعون زوراً الانتماء إلى السَّلف ، أبلغوه أنَّه إذا استمرَّ على طبع الكتاب من نسخة (الكبريلي) ، وهي خلو عن غالب المثالب في ترجمة أبي حنيفة ، يعلنون على الملأ أنَّ الكتاب ناقص منقوص ، فاضطر إلى اتباع نسخة دار الكتب المصريَّة على سقمها ، لوجود تلك المثالب فيها بأكملها ، وفي ذلك ما يكشف الستار عن تآمر الفريقين وتآخيهما في تلك الغاية ، فلتعتبر بذلك المعتبرون " (٤) .

---

(١) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٥٨ برقم ٣٩٢) .

(٢) انظر : السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١/ ١٥٨ برقم ٣٩٤) .

(٣) انظر : نشر الصحيفة في ذكر الصحيح من أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي حنيفة ، مقبل بن هادي الوادعي .

(٤) انظر : هامش تأنيب الخطيب ، الكوثري (ص٢٩-٣٠) .

ولو راجعنا العديد من الكتب المعتبرة عند من يدَّعون السَّلفيَّة لرأيناها مضمَّنة تكفير الإمام الأعظم ، عليه رحمة الله تعالى ... وهم في ذلك ينسون أو يتناسون ما لأبي حنيفة من الفضائل الجمَّة ، وأنَّه من أئمة السَّلف ، حيث ولد في زمن الصحابة عليهم الرضوان ، وقد روى عن العديد منهم ، وأنَّه أوَّل من دوَّن علم الشَّريعة ورتَّبه أبواباً ، وأنَّ١ذه كان زاهداً رفض الوظائف العامَّة ، وكان يعيش بكسب يديه ... فيا ويل من كان أبو حنيفة خصمه يوم القيامة [1] ...

الثَّالِثَةُ وَالخَمْسُون : وفي كتاب السُّنَّة للخلَّال أوردوا عشرات الرِّوايات في تكفير وتفسيق وتبديع الإمام التِّرمذي لأنَّه رفض روايات الإقعاد على العرش ، من ذلك :

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، قَالَ : ثَنَا محمَّد بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : يُقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ ، قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَنْ رَدَّهُ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِفَضِيلَةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ " [2] .

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُزَنِيُّ ، بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَالَ : مَنْ رَدَّ هَذَا فَهُوَ مُتَّهَمٌ عَلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ ، وَزَعَمَ أَنَّ مَنَ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ ثَنَوِيٌّ ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَالتَّابِعِينَ ثَنَوِيَّةٌ ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ زِنْدِيقٌ يُقْتَلُ " [3] .

وَأَخْبَرَنِي محمَّد بْنُ عَبْدُوسٍ ، وَالْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ ، وَبَعْضُهُمَا أَتَمُّ مِنْ بَعْضٍ ، قَالَا : ثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ حَمَّادٍ الْمُقْرِئُ : مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ فَسَكَتَ فَهُوَ مُتَّهَمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَيْفَ مَنْ طَعَنَ فِيهَا ؟، وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الدَّقِيقِيُّ : مَنْ رَدَّهَا فَهُوَ عِنْدَنَا جَهْمِيٌّ ، وَحُكْمُ مَنْ رَدَّ هَذَا أَنْ يُتَّقَى، وَقَالَ عبَّاس الدُّورِيُّ : لَا يَرُدُّ هَذَا إِلَّا مُتَّهَمٌ ، وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : الْإِيمَانُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ ، وَقَالَ إِسْحَاقُ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقُوهُسْتَانِيِّ : مَنْ رَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ ، وَقَالَ عَبْدُ الوهَّاب الْوَرَّاقُ لِلَّذِي رَدَّ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] انظر للاستزادة في مكانة الإمام أبي حنيفة : منن الرَّحمن على التَّابعي الجليل أبي حنيفة النُّعمان ، محمد بن محمود الخوارزمي ، عرض وتعليق وهبي سليمان الألباني ، تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب ، الكوثري .

[2] انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢١٥ برقم ٢٤٦) .

[3] انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢١٥ برقم ٢٤٧) .

وَسَلَّمَ يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ فَهُوَ مُتَّهَمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْأَصْبَهَانِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ حَدَّثَ بِهِ الْعُلَمَاءُ مُنْذُ سِتِّينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ ، قَالَ : وَسَأَلْتُ حَمْدَانَ بْنَ عَلِيٍّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : كَتَبْتُهُ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً يَرُدُّهُ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ ، وَمَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ ، قَالَ هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ : هَذَا حَدِيثٌ يُسَخِّنُ اللهُ بِهِ أَعْيُنَ الزَّنَادِقَةِ ، قَالَ : وَسَمِعْتُ محمَّد بْنَ إِسْمَاعِيلَ السُّلَمِيَّ يَقُولُ : مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَوْجِبْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَالَ مُجَاهِدٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ ، قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْخَفَّافَ يَقُولُ : سَمِعْتُ محمَّد بْنَ مُصْعَبٍ يَعْنِي الْعَابِدَ يَقُولُ : نَعَمْ ، يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ لِيَرَى الْخَلَائِقُ مَنْزِلَتَهُ " (١) .

وحدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ ، عَنِ ابْنِ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ " وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَمَنْ رَدَّ عَلَى مُجَاهِدٍ مَا قَالَهُ مِنْ قُعُودِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَرْشِ وَغَيْرَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ ، وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا التِّرْمِذِيَّ الَّذِي يُنْكِرُ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ قَطُّ فِي حَدِيثٍ وَلَا غَيْرِ حَدِيثٍ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ : أَرَى أَنْ يُجَانَبَ كُلُّ مَنْ رَدَّ حَدِيثَ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَيُحَذَّرُ عَنْهُ ، حَتَّى يُرَاجِعَ الْحَقَّ ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَداً يُذَكَّرُ بِالسُّنَّةِ يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا إِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ تُنْكِرُهُ مِنْ جِهَةِ إِثْبَاتِ الْعَرْشِ ، فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أَمْرَ الْعَرْشِ ، وَيَقُولُونَ : الْعَرْشُ عَظَمَةٌ ، مَعَ أَنَّهم لَمْ يُنْكِرُوا مِنْهُ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ هَذَا التِّرْمِذِيَّ رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ وَرَأَيْتُ مَنْ عِنْدِي مِنْ أَصْحَابِنَا ، يَذْكُرُونَ أَنَّهم لَا يَعْرِفُونَهُ فِي الطَّلَبِ ، وَلَا عَرَفْتُهُ أَنَا ، وَمُجَاهِدٌ كَانَتْ لَهُ جَلَالَةٌ عِنْدَ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ابْنِ عبَّاس وَابْنِ عُمَرَ ، يَأْخُذُ لَهُ بِالرِّكَابِ ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا ، وَعَلَيْكُمْ بِلُزُومِ السُّنَّة ، وَالِاقْتِدَاءِ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، بِأَبِي عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فإِنَّه أَوْضَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَاتِ مَا هُوَ كِفَايَةٌ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ .

قَالَ محمَّد بْنُ إِسْمَاعِيلَ السُّلَمِيُّ : كُلُّ مَنْ ظَنَّ أَوْ تَوَهَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَوْجِبْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فِي حَدِيثِ مُجَاهِدٍ فَهُوَ عِنْدَنَا جَهْمِيٌّ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَذْكُرَ أَحَدٌ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَقْدُمُوا عَلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَلَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْمَرُّوذِيَّ رَحِمَهُ اللهُ اجْتَهَدَ فِي هَذَا لَخِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِنَا وَبِمَنْ يَقْصُرُ عَنْ هَذَا الضَّالِّ الْمُضِلِّ عُقُوبَةٌ، فإِنَّه مِنْ شَرِّ الْجَهْمِيَّةِ مَا يُبَالِي مَا تَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ : لَيْسَ هَذَا

(١) انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢١٧ برقم ٢٥١) .

عَرْشَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ عَرْشِ بِلْقِيسَ ، وَعَرْشٌ مِنَ الْعُرُوشِ شَبَّهَ عَرْشَ الْآدَمِيِّينَ بِعَرْشِ الرَّحمن عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يَرْعَوِي عَنْ دَفْعِ فَضِيلَةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ بَعْدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا شَكَّ فِي تَجَهُّمِهِ ، وَلَا نَقْدِرُ عَلَى أَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّحْذِيرِ وَتَبْيِينِ أَمْرِهِ ، وَنُعَادِي مَنْ يَنْصُرُهُ ، أَوْ يَمِيلُ إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُ بِتَكْفِيرِ مُجَاهِدٍ ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ مُجَاهِدٍ فِي ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، فإِنَّه يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ ، فَقَالَ : هَذَا كُفْرٌ ، وَمَنْ قَالَ : بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ هَارُونُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيُّ : مَنْ رَدَّ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ فَهُوَ عِنْدِي جَهْمِيٌّ ، وَمَنْ رَدَّ فَضْلَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عِنْدِي زِنْدِيقٌ لَا يُسْتَتَابُ ، وَيُقْتَلُ ، لِأَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَضَّلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : " لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي " (١) ... فَمَنْ رَدَّ هَذَا وَحَدِيثَ مُجَاهِدٍ فَلَا يُكَلَّمُ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ . وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيُّ : أَنَّ هَذَا الْمَعْرُوفَ بِالتِّرْمِذِيِّ عِنْدَنَا مُبْتَدِعٌ جَهْمِيٌّ ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ ، فَقَدْ دَفَعَ فَضْلَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ رَدَّ فَضِيلَةَ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ " (٢) .

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَسَمِعْتُ هَارُونَ بْنَ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيَّ ، يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ الدَّقِيقِيَّ محمَّد بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّضَا الْعَدْلَ حِينَ قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى رُءُوسِ النَّاس : مَا تَقُولُ فِي هَذَا التِّرْمِذِيِّ الَّذِي رَدَّ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيثَ ابْنِ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ . قَالَ : حَدَّثَنَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ، حُكْمُ مَنْ رَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يُنْفَى ، لَا يَرُدُّ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا الزَّنَادِقَةُ (٣) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيُّ : لَا أَعْلَمُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ، وَلَا فِي عَصْرِنَا هَذَا إِلَّا وَهُوَ مُنْكِرٌ لِمَا أَحْدَثَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ رَدِّ حَدِيثِ محمَّد بْنِ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ ، فَهُوَ عِنْدَنَا جَهْمِيٌّ ، يُهْجَرُ وَنَحْذَرُ عَنْهُ ، فَقَدْ حَدَّثَنَا

---

(١) لا يصح مرفوعاً ، بل هو من قول مجاهد ، أخرجه الشافعي في مسنده ، (٢/ ١٨٣ برقم ٦٥١) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١٤١٣ برقم ٩٥٣) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٩١) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٠٤ برقم ٢٨) .

(٢) انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢٣٣ برقم ٢٦٨) .

(٣) انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢٤٧ برقم ٢٨٤) .

بِهِ هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا محمد بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : يُقْعِدُهُ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ جَلَّ وَعَزَّ ، فَقِيلَ لِلْجُرَيْرِيِّ : إِذَا كَانَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ فَهُوَ مَعَهُ ، قَالَ : وَيْحَكُمْ ، هَذَا أَقَرُّ لِعَيْنِي فِي الدُّنيا ، وَقَدْ أَتَى عَلَيَّ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَداً رَدَّ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ إِلَّا جَهْمِيٌّ ، وَقَدْ جَاءَتْ بِهِ الْأَئِمَّةُ فِي الْأَمْصَارِ ، وَتَلَقَّتْهُ الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ مُنْذُ نَيِّفٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ هَذَا التِّرْمِذِيَّ ، وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُهُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ ، فَعَلَيْكُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ بِالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ : " لَا أَعْرِفُ هَذَا الْجَهْمِيَّ الْعَجَمِيَّ ، لَا نَعْرِفُهُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ ، وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِنَا ، وَلَا عَلِمْتُ أَحَداً رَدَّ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ" يُقْعِدُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَرْشِ " ، رَوَاهُ الْخَلْقُ عَنِ ابْنِ فُضَيْلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَاحْتَمَلَهُ الْمُحَدِّثُونَ الثِّقَاتُ ، وَحَدَّثُوا بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، لَا يَدْفَعُونَ ذَلِكَ ، يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْقَبُولِ وَالسُّرُورِ بِذَلِكَ ، وَأَنَا فِيمَا أَرَى أَنِّي أَعْقِلُ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَاللهِ مَا أَعْرِفُ أَحَداً رَدَّهُ ، وَلَا يَرُدُّهُ إِلَّا كُلُّ جَهْمِيٍّ مُبْتَدِعٍ خَبِيثٍ ، يَدْعُو إِلَى خِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَشْيَاخُنَا وَأَئِمَّتُنَا ، عَجَّلَ اللهُ لَهُ الْعُقُوبَةَ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ جِوَارِنَا ، فإِنَّه بَلِيَّةٌ عَلَى مَنِ ابْتُلِيَ بِهِ ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَدَلَ عَنَّا مَا ابْتَلَاهُ بِهِ وَالَّذِي عِنْدَنَا ، وَالْحَمْدُ للهِ أَنَّا نُؤْمِنُ بِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ وَنَقُولُ بِهِ عَلَى مَا جَاءَ ، وَنُسْلِمُ الْحَدِيثَ وَغَيْرَهُ مِمَّا يُخَالِفُ فِيهِ الْجَهْمِيَّةَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَالصِّفَاتِ ، وَقُرْبِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ .

وَقَدْ كَانَ كَتَبَ إِلَيَّ هَذَا الْعَجَمِيُّ التِّرْمِذِيُّ كِتَاباً بِخَطِّهِ ، وَدَفَعْتُهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الْمَرُّوذِيِّ ، وَفِيهِ : أَنَّ مَنْ قَالَ بِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ ثَنَوِيٌّ ، وَكَذَبَ الْكَذَّابُ الْمُخَالِفُ لِلْإِسْلَامِ ، فَحَذَرُوا عَنْهُ ، وَأَخْبِرُوا عَنِّي أَنَّه مَنْ قَالَ بِخِلَافِ مَا كَتَبْتُ بِهِ فَهُوَ جَهْمِيٌّ ، فَلَوْ أَمْكَنَنِي لَأَقَمْتُهُ لِلنَّاسِ ، وَنَادَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أُشْهِرَهُ لِيَحْذَرَ النَّاس مَا قَدْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَهَذَا دِينِي الَّذِي أَدِينُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُمِيتَنَا وَيُحْيِينَا عَلَيْهِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ الْقَنْطَرِيُّ : أَمَّا بَعْدُ : فَعَلَيْكُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِهَدْيِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ محمَّد بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فإِنَّه إِمَامُ الْمُتَّقِينَ لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَطَعْنٌ لِمَنْ خَالَفَهُ ، وَأَنَّ هَذَا التِّرْمِذِيَّ الَّذِي طَعَنَ عَلَى مُجَاهِدٍ بِرَدِّهِ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبْتَدَعٌ ، وَلَا يَرُدُّ حَدِيثَ محمَّد بْنِ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : يُقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ " إِلَّا جَهْمِيٌّ يُهْجَرُ ، وَلَا يُكَلَّمُ وَيُحَذَّرُ

عَنْهُ ، وَعَنْ كُلِّ مَنْ رَدَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى هَذَا التِّرْمِذِيِّ أَنَّه جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ ، لَقَدْ أَتَى عَلَى أَرْبَعٍ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، مَا رَأَيْتُ أَحَداً رَدَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ إِلَّا جَهْمِيٌّ ، وَمَا أَعرِفُ هَذَا وَلَا رَأَيْتُهُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ قَطُّ ، وَأَنَا مُنْكِرٌ لِمَا أَتَى بِهِ مِنَ الطَّعْنِ عَلَى مُجَاهِدٍ ، وَرَدَّ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْعِدُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَرْشِ ، وأَنَّه مَنْ قَالَ بِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ ثَنَوِيٌّ ، لَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَذَبَ عَدُوُّ اللهَّ وَكُلُّ مَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ ، فَهُوَ عِنْدَنَا جَهْمِيٌّ يُهْجَرُ وَلَا يُكَلَّمُ ، وَيُحَذَّرُ عَنْهُ " (١) .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَسَمِعْتُ هَارُونَ بْنَ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيَّ ، يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ الدَّقِيقِيَّ محمَّد بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّضَا الْعَدْلَ حِينَ قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى رُءُوسِ النَّاس : مَا تَقُولُ فِي هَذَا التِّرْمِذِيِّ الَّذِي رَدَّ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيثَ ابْنِ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ . قَالَ : حَدَّثَنَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً ، " حُكْمُ مَنْ رَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يُنْفَى ، لَا يَرُدُّ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا الزَّنَادِقَةُ (٢) .

وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : جَاءَنِي كِتَابُ عَلِيِّ بْنِ سَهْلٍ بِخَطِّهِ ، وَفِيهِ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ ، وَخَلَّادُ بْنُ أَسْلَمَ ، قَالَا : ثَنَا محمَّد بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، قَالَ : " يُجْلِسُهُ عَلَى الْعَرْشِ " . وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ رَدَّ فَضِيلَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَلَقَدْ قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ أَبْزَى : قُلْتُ لِأَبِي : لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ مَا كُنْتَ صَانِعاً بِهِ ؟ قَالَ : أَقْتُلُهُ ، قُلْتُ : فَعُمَرَ ، قَالَ : أَقْتُلُهُ ، فَهِيَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَدَّ فَضَائِلَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) .

وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ ، قالِ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ بْنَ عَبْدِ النُّورِ عَنْ فَضِيلَةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيثِ مُجَاهِدٍ ، فَقَالَ : " وَاللهَّ مَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضِيلَةٌ مِثْلُهَا ، أَدْرَكْتُ شُيُوخَنَا عَلَى ذَلِكَ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْقَبُولِ ، وَيُسَرُّونَ بِهَا ، وَلَا يَرُدُّهَا إِلَّا رَجُلُ سُوءٍ جَهْمِيٍّ (٤) .

---

١ انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢٣٢ برقم ٢٦٧) .

٢ انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٢٨٤ برقم ٢٤٧) .

(٣) انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٣٠٤ برقم ٢٥٥) .

(٤) انظر : السنة ، الخَلَّال البغدادي الحنبلي (١/ ٣٠٥ برقم ٢٥٥) .

هذا بعض ما تضمَّنه كتاب السُّنَّة للخلَّال وغيره من كتبهم من تكفير لمن ردَّ أثر مجاهد الذي فسَّر به قول الله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، بإجلاس الله للرَّسول على العرش معه ، مع أنَّه أثرٌ منكرٌ ، معارضٌ لما جاء في الصَّحيح من تفسير المقام المحمود بالشَّفاعة العُظمى ...

وشجَّعهم على هذا التَّفسير المُنكر تبنِّي ابن تيمية له ، فقد قال ابن تيمية في فتاويه : " ... إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَقَدْ حَدَّثَ الْعُلَمَاءُ الْمَرْضِيُّونَ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمَقْبُولُونَ : أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ . رَوَى ذَلِكَ محمَّد بْنُ فَضِيلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ؛ فِي تَفْسِيرِ ﴿وَمِنَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩] (١) .

الرَّابِعَةُ وَالخَمْسُوْن : حكم أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب على المعلِّمين الذين تستقدمهم وزارة المعارف من الدُّول العربيَّة بأنَّهم مُلحدون وزنادقة (٢) .

الخَامِسَةُ وَالخَمْسُوْن : زعم أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ المعلِّمين القادمين من الدُّول العربيَّة ، بأنَّهم جاءوا لشجرة لَا إِلَه إِلَّا الله ، التي جاء بها محمَّد بن عبد الوهَّاب !!! ليقتلعوها من هذا الوطن (٣)...

السَّادِسَةُ وَالخَمْسُوْن : زعم أتباعُ محمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ المعلِّمين القادمين من الدُّول العربيَّة هم أفراخ الإفرنج ، وعبَّاد الأولياء ، ومن تاركي الصَّلاة ، وغيرها من شعائر الإسلام (٤) .

ووصفوا بلادَ المعلِّمين الذين يدرِّسون أبنائهم بأنَّها بلادٌ منحلَّة ، أعرضت عن دين الله وشرعه !!! واشتهرت فيها شعائر الكفر !!! وأنَّ هؤلاء المعلِّمين جاءوا إلى بلادهم لاجتثاث الإسلام من أصله !!! فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " والسَّبب الأعظم لضعف العلم والإسلام ، والكسر الذي لا ينجبر ، والطامَّة الكبرى : استجلاب معلِّمين ملحدين من البلدان المنحلَّة ، لنشر الثَّقافة - يعني الغربيَّة - ورفع الأميَّة .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية الحراني (٤/ ٣٧٤) .

(٢) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١٦/ ٥ ، ١٢) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٨) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ١٠٠) .

ويحملون معهم برنامج التَّعليم الذي يشتمل على فنون محظورة ، من تصوير ، وغيرها ممَّا له معاهد في تلك الأوطان في بلادهم ، التي أعرضت عن دين الله وشرعه ، واشتهرت فيها شعائر الكفر ، ليجتثُّوا الإسلام من أصله ، بسبب ما هم عليه من عداء ، وما في قلوبهم من حقد ..." (١) .

وفي رسالته التي بعث بها عبد الله بن محمَّد بن حميد إلى وزير المعارف ، وصف فيها المعلِّمين المُعارين إلى بلادهم بأنَّهم زنادقة ، جاءوا إلى بلادهم لهدم العقيدة ، قال :

" ... بل لم تقتصروا على ذلك ، حتى كنتم سبباً لإدخال من أراد أن يهدم عقيدتكم ، وعقيدة آبائكم ، وعزّكم وعزّ آبائكم ، وما ذاك إلا باجتلابكم هؤلاء الزَّنادقة ، وبثِّهم في كل صقع من المملكة ، وإغرائهم وتشجيعهم بكثرة المرتَّبات ، وعدم المراقبة عليهم فيما يبثُّون بين النَّشء ، من هذه السُّموم القتَّالة ، من أخلاق منحرفة ، ودعايات سيِّئة ، دعايات المجون والخلاعة ، دعايات الزَّندقة والإلحاد ، دعايات التَّهكُّم بهذا الدِّين ورجاله .

ولقد بلغني أنَّه يوجد في كليَّة الشَّريعة بمكة ، التي أسست لتكون مركزاً لنشر العلم الصَّحيح ، والدِّين القويم ، وتعتبر أرقى مرحلة من مراحل التَّعليم ، والتي تخرِّج رجال القضاء والتَّعليم الدِّيني ، يوجد فيها شخص يسمَّى " الدُّكتور فوزي بشبيشي " قد تجاوز الحدَّ ، وتمادى في الطُّغيان ، وبلبلة أذهان الطلَّاب .

ومع انحلاله من الدِّين ، أصبح أكبر داعية للإلحاد والزَّندقة ، والتَّهكُّم بالدِّين وحملته ، وتلقيبهم بالتَّغفيل والرجعيَّة ، ومع ذلك له سنوات في هذه الكليَّة مكرَّماً ومعزَّزاً " (٢) .

وجاء في رسالة عبد الله بن محمَّد بن حميد لمعالي وزير المعارف ، وصف فيها المعلِّمين القادمين من الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة للعمل عندهم ، بأنَّهم جاءوا إلى شجرة لَا إلَه إلَّا الله التي جاء بها محمَّد بن عبد الوهَّاب !!! ليقتلعوها ... قال :

وفي هذا العصر ضعفت الغَيْرة الدِّينيَّة من الأكثر ، بسبب القادمين من بلاد الخارج ، والتَّابعين لهم ، فجاؤوا إلى شجرة لَا إلَه إلَّا الله ، التي جاء بها وغذَّاها المصلح ، وأيَّدها بسيفه النَّاصر للدِّين ، ليقتلعوها من وطن ازدهرت فيه برهة من الزَّمن . إن لم تدارك بتكاتف العلماء ، ومساعدة الرُّؤساء ، فلسوف تُزال ، كما زالت

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٥) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ١٢) .

من تلك الأمصار !!! التي كانت هي مقرّ الإسلام وولاته ، ومجتمع العلماء ، وتبليغ العلم ؛ وفي انحرافهم لنا عبرة ألَّا نسلك مسالكهم ، وألَّا يتسرَّب إلينا باطلهم " (١) .

السَّابِعَةُ وَالخَمْسُوْن : قال محمَّدُ بن عبد الوهَّاب واصفاً أكثر أهل أرضه وأرض الحجاز بأنَّهم ينكرون البعث :

" ومعلوم : أنَّ أهل أرضنا ، وأرض الحجاز ، الذي يُنكر البعث منهم أكثر ممَّن يقرُّ به ، والذي يعرف الدِّين أقلّ ممَّن لا يعرفه " (٢) .

الثَّامِنَةُ وَالخَمْسُوْن : ذكر أحد أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب ، واسمه : محمود الحدَّاد ، في تعليقه على عقيدة الرَّازيين : أبي حاتم ، وأبي زرعة ، (ص١٣١) ، عند ذكره لشرح ابن حجر العسقلاني لصحيح البخاري " فتح الباري " : يسَّرَ اللهُ مِنْ أَهلِ السُّنَّة من يشْرَحه !!! " . أي : يشرح صحيح البخاري ، بمعنى أنَّ المومى إليه يُنكر أن يكون أحدٌ من شرَّاح البخاري من أهل السُّنَّة ، مع العلم أنَّ صحيح البخاري قد تعاقب على شرحه عشرات العلماء على مرِّ التَّاريخ ...

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على المكانة العظيمة لـ (صحيح البخاري) عند علماء المسلمين ، وهي شروحٌ بعضها اكتمل ، والبعض الآخر لم يكتمل ، حيث عاجلت المنيَّةُ صاحبه قبل إكماله ... ومنها ما وصل إلينا ، ومنها ما لم يصـل ، ومن أهم شُرَّاح صحيح البخاري :

الإمام الخطَّابي (٣٨٦هـ) ، والإمام ابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، والإمام محمَّد بن سعيد بن يحيى بن الدّميثي الواسطي (٦٣٧هـ) ، والإمام محمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، والإمام يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، والإمام ابن المنير الإسكندراني (٦٨٣هـ) ، والإمام علي بن محمَّد اليونيني (٧٠١هـ) ، والإمام عبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) ، والإمام علاء الدِّين مغلطاي (٧٦٢هـ) ، والإمام أحمد بن أحمد الكُردي (٧٦٣هـ) ، والإمام الكرماني (٧٨٦هـ) ، والإمام محمَّد بن بهادر الزَّركشي (٧٩٤هـ) ، والإمام ابن رجب (٧٩٥هـ) ، والإمام الفيروز آبادي (٨١٧هـ) ، والإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، والإمام العيني (٨٥٥هـ) ، والإمام عمر بن علي بن الملقِّن (٨٠٥هـ) ، والإمام عبد الرَّحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (٨٢٤هـ) ، والإمام محمَّد بن أبي بكر الدَّماميني (٨٢٧هـ)

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٨) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٣) .

، والإمام محمَّد بن عبد الدَّائم بن موسى البرماوي (٨٣١هـ) ، والإمام محمَّد بن أحمد بن موسى الكفيري (٨٤٦هـ) ، والإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن موسى الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) ، والإمام السُّيوطي (٩١١هـ) ، والإمام القسطلاني (٩٢٣هـ) ...

فهؤلاء ليسوا من أهل السُّنَّة عند من يدَّعون السَّلفيَّة ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

التَّاسِعَةُ وَالخَمْسُوْن : صرَّح الإمام ابن تيمية بكفر الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) ، وفي ذلك يقول :

" وكذلك ارتدَّ هذا الرَّازي حين أمر بالشِّرك وعبادة الكواكب والأصنام ، وصنَّف في ذلك كتابه المشهور ..." [١] .

وابنُ تيمية هنا يشير إلى كتاب :" السرُّ المكتوم ، في مُخاطبة الشَّمس والقمر والنُّجوم " ، وهو كتابٌ منسوب للإمام فخر الدِّين محمود بن عمر الرَّازي ، قال الإمام ابن كثير : " وَقَدِ اسْتَقْصَى فِي " كِتَابِ السِّرِّ الْمَكْتُومِ ، فِي مُخَاطَبَةِ الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ " الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي ابْنُ خِلِّكَانَ وَغَيْرُهُ ، وَيُقَالُ : أَنَّه تَابَ مِنْهُ . وَقِيلَ : أَنَّه صَنَّفَهُ عَلَى وَجْهِ إِظْهَارِ الْفَضِيلَةِ لَا عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِقَادِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَظْنُونُ بِهِ " [٢] .

وقد ذهب العديد من العُلماء إلى أنَّ الكتاب المُشار إليه موضوع على الإمام الرَّازي ، قال الإمام تاج الدِّين السُّبكي : " وأمَّا كتاب السِّرّ المكتوم فِي مُخَاطبَة النُّجُوم فَلم يَصح أَنَّه لَهُ بل قيل أَنَّه مختلق عَلَيْهِ " [٣] .

وقال الإمام حاجي خليفة : " قيل : أنَّه مختلق عليه ، فلم يصح أنَّه له . وقد رأيت في الكتاب أنَّه : للجوالي ، أبي الحسن : علي بن أحمد المغربي ، المتوفَّى : سنة ... والله – سبحانه وتعالى – أعلم ... قال التَّاج السُّبكي في : (هامشه) : هذا الكتاب المسمَّى : (بالسرِّ المكتوم ، في مخاطبة النجوم) . فلم يصح أنَّه له .

وقيل : أنَّه مُختلق ، وبتقدير صحَّة نسبته إليه ليس بسحر ، فليتأمَّله من يُحسن السِّحر " [٤] .

---

[١] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٤٧٣) .

[٢] انظر : تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٧) .

[٣] انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨٧) .

[٤] انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٩٨٩) .

وقرأت في منتدى الأصلين على الشَّبكة العنكبوتيَّة بقلم الأستاذ جلال علي الجهاني : " فإنَّ من آفات العلم عدم التَّأنِّي في البحث ، واستعجال المرء الوصول إلى النَّتائج والظُّهور بمظهر أهل العلم !! وقد كنتُ قرأتُ قديماً ما كتبه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في " لسان الميزان " ، عن الحافظ الذَّهبي ، عن الإمام فخر الدِّين الرَّازي ، وجاء في ضمن ذلك : وله " كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النُّجوم " سحر صريح ، فلعلَّه تاب من تأليفه إن شاء الله . ولم يطلع الحافظ ابن حجر على هذا الكتاب ، ولا أظنُّ الذَّهبي قد اطلع عليه أيضاً ، وإلَّا ففي دار الكتب المصريَّة عدَّة نسخ من هذا الكتاب ، اطلعتُ على إحداها ، وجاء في مقدِّمتها نصُّ الإمام الرَّازي أنَّه بريء ممَّا في هذا الكتاب !!! وأنَّه أراد فقط جمع ما كتبه أدعياء السِّحر ، وبيان حُججهم بعبارته ، حتى يستطيع المناظر لهم أن يدرك مذهبهم ...

فاعجب أخي بعد ذلك من بعض المعاصرين الحاقدين على أهل السُّنَّة الأشاعرة وعلى أئمَّتهم ، يردِّدون هذه التُّهمة عن إمام من أئمَّة المسلمين ، فالله تعالى حسيبهم ، وهو نِعْمَ الوكيل ...أ.هـ

قُلْتُ : وقد يسَّر الله تعالى للعبد الفقير الاطلاع على مخطوطة الكتاب ، فوجدت ما قاله الأستاذ جلال علي الجهاني حقَّاً وصحيحاً ، فقد جاء في مقدِّمة الكتاب : " الحمدُ لله الذي أحاط بكلِّ شيء علمه ، ونفذ في كلِّ شيء حكمه ، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّ الرَّحمة وشفيع الأمَّة محمَّد وآله الطَّاهرين ، أمَّا بعد : فهذا كتابٌ يجمع فيه ما وصل إلينا من علم الطَّلسمات ، والسِّحريَّات ، والعزائم ، ودعوة الكواكب ، مع التَّبرِّي عن كلِّ ما يُخالف الدِّين ، وسلَّم اليقين .... " . فماذا يقول من كفَّروا الرَّازي ممَّا هو منه بري ...!!!

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " قال شيخ الإسلام رحمه الله : في المحصِّل ، وسائر كتب الكلام المختلف أهلها ، مثل كتب الرَّازي ، وأمثاله ، وكتب المعتزلة ، والشِّيعة ، والفلاسفة ؛ ونحو هؤلاء ، لا يوجد فيها ما بعث الله به رسله ، في أصول الدِّين ، بل وجد فيها حقّ ملبوس بباطل ، انتهى من منهاج السُّنَّة .

قال : وقد قال بعض العلماء في المحصّل :

محصّل في أصول الدِّين حاصلـهُ أصلُ الضَّلالات والشِّرك المبـين
وما من بعد تحصيله جهل بلا دين فيه فأكثـره وحي الشَّيـــاطيـن

وهذا من أجلِّ كتبه ، فكيف تسمح نفس عـــاقل أن يعتمد على قول مثل هؤلاء ؟ !([1]) .

([1]) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية (١٣/ ٢٨) .

والشِّعر المذكور هو لابن تيمية ، ونصُّه الحقيقي هو :

محصّل في أصول الدِّين حاصلـــه — أصل الضَّلالات والشكِّ المبين

فما من بعد تحصيلــه أصل بلا دين — فيه فأكثره وحي الشَّيــــاطين

قال الإمام الكوثري في " تكملة السَّيف الصَّقيل " : " هذا رأي الرَّجل في معتقد أهل السُّنَّة ، ولأهل العلم ردودٌ عليه ، وكنت قلت في معارضته :

محصّل في أصول الدِّين حصَّــله — من اهتدى فغدا محصن الدِّي

أسُّ الهداية والحقّ الصُّراح فمن — يرتاب فيه قفا إثر الشياطيـن

كما قلت فيما سبق في معارضة بعضهم :

إن كان تنزيه الإلــــه تجهُّمـاً — فالمؤمنــــون جميعهم جهمي

جلَّ الإلـه عن الحوادث أن تحلـ — ـل به وعن جهـــة وعن كم

بخلاف زعم زعيمكـــم سفهاً فإن — تابعتمــــوه فكلُّكم تيمـي (١)

(١)

وفي اتِّهامه للرَّازي بالشِّرك ، قال ابن تيمية : " أبو عبد الله الرَّازي : فيه تجهُّم قويٌّ ؛ ولهذا يوجد ميله إلى الدَّهريَّة ، أكثر من ميله إلى السَّلفيَّة ، الذي يقولون : أنَّه فوق العرش ، وربَّما كان يوالي أولئك أكثر من هؤلاء ، ويُعادي هؤلاء أكثر من أولئك ؛ مع اتِّفاق المسلمين على أنَّ الدَّهريَّة كفَّار ، وأنَّ المثبتة للعلو فيهم من خيار المسلمين من لا يحصيه إلَّا الله تعالى ، وقد صنَّف على مذهب الدَّهريَّة المشركين والصَّابئين كتباً حتى قد صنَّف في السِّحر ، وعبادة الأصنام – وهو الجبت والطَّاغوت – وإن كان قد أسلم من هذا الشِّرك وتاب من هذه الأمور ، فهذه الموالاة والمعاداة لعلَّها في تلك الأوقات ... " (٢) .

السِّتُّوْن : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " :

---

(١) انظر : هامش السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للسبكي (ص١٢١-١٢٢).

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٤٠٨-٤٠٩) .

" ... كالفخر الرَّازي ، وأبي معشر البلخي ، ونحوهما ممَّن غلط في التَّوحيد [1] .

الحَادِيَةُ وَالسِّتُّوْن : جاء في الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة :

" ... وبسبب هذا الغلط وقع في الشِّرك من وقع ، كأبي معشر البلخي ، والفخر الرَّازي ، ومحمَّد بن النُّعمان الشِّيعي ، وثابت بن قرَّة وغيرهم ؛ وبهذا الجهل اشتدَّت غربة الإسلام ..." [2] .

الثَّانِيَةُ وَالسِّتُّوْن : وهذا أحد غلمان الوهَابيَّة ويُدعى خالد بن علي المرضي الغامدي يكتب كتاباً بعنوان : " تكفير الأشاعرة " !!! قال فيه : " وقد سبق وأن كتبت رسالة قريبة في موضعها من هذا الكتاب بعنوان : " القول المأمون بتحقّق ردَّة المأمون " حقَّقت فيه تكفير السَّلف للمأمون ، وفي هذا الكتاب مزيد بحث وتحقيق ...

الفَصْلُ الثَّالث

تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلأَشَاعِرَةِ

من المعلوم أنَّ الأشاعرة يشكِّلون مع الماتريديَّة السَّواد الأعظم من أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك أنَّه وبعد ظهور مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ، ومذهب الإمام أبي منصور الماتريدي ، ذهب أغلب النَّاس إليهما ، وقد ثبت بالاستقراء أنَّ أغلب المفسِّرين ، والمحدِّثين ، والفقهاء ، والأصوليِّين ، والمتكلِّمين ، وأهل اللغة

---

[1] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١/ ١٥٠) .

[2] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١/ ٥٢٠) .

، والمؤرِّخين ، والقادة ، والمصلحين ... هم أشاعرة أو ماتريديَّة ، أو موافقين لهم ، وعلى منهجهم ، سواء من تقدَّمهم أو تأخَّر عنهم ، فمن أهل التَّفسير وعلوم القرآن على سبيل المثال لا الحصر :

أبو محمَّد سهل بن عبد الله التُستري (٢٨٣هـ) ، والزَّجَّاج (٣١٠هـ) ، والطَّبراني (٣٦٠هـ) ، والسَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، وابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) ، والماوردي (٤٥٠هـ) ، والقشيري (٤٦٥هـ) ، والواحدي النَّسابوري (٤٦٨هـ) ، وأبو المظفَّر السَّمعاني (٤٨٩هـ) ، وتاج القرَّاء محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني (٥٠٥هـ) ، والبغوي (٥١٦هـ) ، وابن عطيَّة (٥٤٢هـ) ، وابن العربي (٥٤٣هـ) ، وابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، والنَّسفي (٧١٠هـ) ، والخازن (٧٤١هـ) ، وأبو حيَّان (٧٤٥هـ) ، وابن عادل الحنبلي الدِّمشقي النُّعماني (٧٧٥هـ) ، والزَّركشي (٧٩٤هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، وابن الجزري (٨٣٣هـ) ، ونظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) ، والمحلِّي (٨٦٤هـ) ، والثَّعالبي (٨٧٥هـ) ، والبقاعي (٨٨٥هـ) ، ومحمَّد بن عبد الرَّحمن الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وأبو السُّعود (٩٨٢هـ) ، والشِّهاب الخفَّاجي (١٠٦٩هـ) ، والزّرقاني (١١٢٢هـ) ، والبروسوي (١١٢٧هـ) ، والجمل (١٢٠٤هـ) ، وابن عجيبة (١٢٢٤هـ) ، والصَّاوي (١٢٤١هـ) ، والآلوسي (١٢٧٠هـ) ، والمراغي (١٣٧١هـ) ، وسيِّد قطب (١٣٨٥هـ) ، والطَّاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) ، والشَّعراوي (١١٨هـ) ، ووهبة الزحيلي ، وغيرهم كثير ...

ومن أهل الحديث وعلومه : الخطَّابي (٣٨٨هـ) ، والحاكم (٤٠٥) ، وابن فورك (٤٠٦هـ) ، وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، وابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، والبيهقي (٤٥٨هـ) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، والمازري (٥٣٦هـ) ، والقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، وابن عساكر (٥٧١هـ) ، والمنذري (٦٠١هـ) ، ومحمَّد بن سعيد بن يحيى بن الدَّبيثي الواسطي (٦٣٧هـ) ، وابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، وأبو العبَّاس القرطبي (٦٥٦هـ) ، والعزّ بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، ومحمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، وابن المنير (٦٨٣هـ) ، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن الزّملكاني (٧٢٧هـ) ، وابن جماعة (٧٣٣هـ) ، وعبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) ، والمزِّي (٧٤٢هـ) ، والزَّيلعي (٧٤٣هـ) ، وصلاح الدِّين ، خليل بن كيكلدي العلائي (٧٦١هـ) ، وأحمد بن أحمد الكردي (٧٦٣هـ) ، ومحمَّد بن بهادر الزَّركشي (٧٩٤هـ) ، وعمر بن علي بن الملقِّن (٨٠٥هـ) ، والعراقي (٨٠٦هـ) ، والهيثمي (٨٠٧هـ) ، أبو زرعة العراقي (٨٢٦هـ) ، ومحمَّد بن أبي بكر الدّماميني (٨٢٧هـ) ، وأبو عبد الله محمَّد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي (٧٢٨هـ) ، وبرهان الدِّين بن محمَّد بن خليل الحلبي سبط ابن العجمي (٨٤١هـ) ، ومحمَّد بن أحمد بن محمَّد

مرزوق الحفيد (٨٤٢هـ) ، ومحمَّد بن أحمد بن موسى الكفيري (٨٤٦هـ) ، ومحمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن موسى الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، ومحمود بن أحمد العيني بدر الدِّين أبو محمَّد (٨٥٥هـ) ، والسَّخاوي (٩٠٢هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وأحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) ، وابن علَّان (١٠٥٧هـ) ، والمناوي (١٠٣١هـ) ، وعلي القاري (١٠١٤هـ) ، والبيقوني (المتوفى نحو ١٠٨٠هـ) ، والسِّندي (١١٣٦هـ) ، والزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، وعلي بن سليمان البجمعوي المغربي المالكي (١٢٩٨هـ) ، واللكنوي (١٣٠٤هـ) ، وشبير العثماني (١٣٦٩هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن أهل الفقه وأصوله : فمن الحنفيَّة : الجصَّاص (٣٧٠هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، وعبد العزيز البخاري (٤٤٩هـ) ، والبزدوي (٤٨٢هـ) ، والسَّرخسي (٥٥٢هـ) ، والكاساني (٥٨٧هـ) ، والميرغناني (٥٩٣هـ) ، والزَّيلعي (٧٤٣هـ) ، والكمال بن الهمام (٨٦١هـ) ، وابن أمير الحاج (٨٧٩هـ) ، ابن نُجيم (٩٧٠هـ) ، والشّرنبلالي (١٠٦٩هـ) ، والحصكفي (١٠٨٨هـ) ، وابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، وأحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، وغيرهم كثير ....

ومن المالكيَّة : ابن رُشد (٥٢٠هـ) ، وابن الحاجب (٦٤٤هـ) ، والقُرافي (٦٨٤هـ) ، وابن جزِّي (٧٠٨هـ) ، وابن الحاج (٧٣٧هـ) ، والشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، والسَّنوسي (٨٩٥هـ) ، وزرُّوق (٨٩٩هـ) ، والدَّردير (١٢٠١هـ) ، والزَّرقاني (١١٢٢هـ) ، والنَّفراوي (١١٢٥هـ) ، والدَّسوقي (١٢٣٠هـ) ، وابن عليش (١٢٩٩هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن الشَّافعيَّة : ابن النَّقيب (٤٥١هـ) ، والجويني (٤٧٨هـ) ، والغزالي (٥٠٥هـ) ، والاسفرائيني (٤١٨هـ) ، والباقلَّاني (٤٠٣هـ) ، والشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، والمتولِّي (٤٧٨هـ) ، والسَّمعاني (٥٦٢هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والرَّافعي (٦٢٣هـ) ، والآمدي (٦٣١هـ) ، وابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، والعزّ بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن الرُّفعة (٧١٠هـ) ، والسُّبكي تقي الدِّين (٧٥٦هـ) ، وتاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، والأذرعي (٧٨٣هـ) ، والحصني (٨٢٩هـ) ، وابن المقرّي (٨٣٧هـ) ، والرَّملي (٨٤٤هـ) ، والمحلِّي (٨٦٤هـ) ، وزكريَّا الأنصاري (٩٢٦هـ) ، وابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) ، والشَّربيني (٩٧٧هـ) ، والبجيرمي (١٢٢١هـ) ، والبيجوري (١٢٧٦هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن أهل التَّواريخ والسيِّر والتراجم : وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، وابن عساكر (٤٩٩هـ) ، والقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، والسُّهيلي (٥٨١هـ) ، وابن الأثير (٦٣٠هـ) ، وابن خِلِّكان (٦٨١هـ) ،

والمحبّ الطَّبري (٦٩٤هـ) ، والصَّفدي (٦٩٦هـ) ، والمزِّي (٧٤٢هـ) ، والتِّلمساني (٧٧١هـ) ، وابن خلدون (٨٠٨هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، والصَّالحي (٩٤٢هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن أهل اللغة : الجرجاني (٤١٧هـ) ، وابن الأنباري (٣٧٧هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وابن مالك (٦٧٢هـ) ، وابن عقيل (٥١٣هـ) ، وابن هشام (٧٦١هـ) ، وابن منظور (٧١١هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، والزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، وابن الحاجب (٦٤٤هـ) ، والأزهري (٣٧٠هـ) ، وأبو حيَّان (٧٤٥هـ) ، وابن فارس (٣٩٥هـ) ، والكفوي (٩٩٠هـ) ، وابن آجروم (٧٢٣هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن القادة : نور الدِّين الشَّهيد (١١٧٤م) ، وصلاح الدِّين الأيُّوبي (٥٨٩هـ) ، والمظفَّر قُطز (٦٥٨هـ) ، والظَّاهر بيبرس (٦٧٦هـ) ، والسُّلطان محمَّد الفاتح (١٤٨١م) ، وغيرهم كثير ...

فهؤلاء هم الفُحول الذي اعتنقوا عقيدة التَّنزيه التي خالفها وعارضها من يدَّعون السَّلفيَّة ، فإذا استثنينا هؤلاء الصِّيد الميامين وغيرهم الكثير الكثير ممَّن هم على منهجهم ، من أهل الكتاب والسُّنَّة ، فلا يتبقَّى إلَّا الرِّعاع الشَّراذم الذين لا تقوم بهم للدِّين قائمة ، ولا تهتدي بهم في دروب الهلاك هائمة ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

قال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) بعد أن عدَّدَ أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في علم الكلام من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم : "... ثمَّ بعدهم شيخ النَّظر وإمام الآفاق في الجدل والتَّحقيق : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجاً في حلوق القدريَّة ، والنَّجَّاريَّة ، والجهميَّة ، والجسميَّة ، والرَّوافض ، والخوارج ، وقد ملأ الدُّنيا كتبه ، وما رزق أحد من المتكلِّمين من التَّبَع ما قد رزق ، لأنَّ جميع أهل الحديث وكلّ من لم يتمعزل من أهل الرَّأي على مذهبه " [١] .

فالإمام عبد القاهر البغدادي يؤكِّد على أنَّ الإمام الأشعري كان شوكةً في حُلوقِ القدريَّة ، والنَّجاريَّة ، والجهميَّة ، والجسميَّة ، والرَّوافض ، والخوارج ، وكان سبباً في كدرهم وحزنهم ...

ويؤكِّد أيضاً على أنَّ أهل الرَّأْي والحَدِيث على مذهبه ، وأنَّ فقهاء هذَيْن الْفَرِيقَيْنِ وقرَّاؤهم ومحدِّثوهم ومتكلِّموهم متَّفقون على مقَالَة وَاحِدَة فِي تَوْحِيد الصَّانِع وَصِفَاته وعدله وحكمته ، وَفِي أسمائه وَصِفَاته ، وفي أبواب النُّبُوَّة والإمامة ، وفي أحكام العقبى ، وفي سَائِر أصول الدِّين ، وأنَّ اختلافهم منحصر في فروع الحَلَال

---

[١] انظر : أُصول الدِّين (ص٣٠٩-٣١٠) .

وَالْحَرَام ، وأنَّهم يربأوون بأنفسهم عن تضليل وتفسيق بعضهم بعضاً ، وأنَّهم مُجمعون على الإقرار بتوحيد الصَّانِع ، وَقِدَمه ، وَقدم صِفَاته الأزليَّة ، وإجازة رُؤْيَته من غير تَشْبِيه وَلَا تَعْطِيل ، مَعَ الإقرار بكتب الله وَرُسُله ، وبتأييد شَرِيعَة الإسلام ، وإباحة مَا أَبَاحَهُ الْقُرْآن ، وَتَحْرِيم مَا حرَّمه الْقُرْآن ، مَعَ قيود مَا صَحَّ من سنَّة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واعتقاد الْحَشْر والنشر ، وسؤال الْملكَيْنِ فِي الْقَبْر ، والإقرار بالحوض وَالْمِيزَان ، وبالتَّالي فمن كان منهم فهو من الْفرْقَة النَّاجِية إن ختم الله لَهُ بهَا ، وَقد دخل فِي هَذِه الْجُمْلَة جُمْهُور الأُمَّة وسوادها الْأَعْظَم من أصحاب مَالك ، وَالشَّافِعِيّ ، وأبي حنيفَة ، والأوزاعي ، والثَّوري ، وَأهل الظَّاهِر ...

وفي ذلك يقول : " فأمَّا الْفرْقَة الثَّالِثَة وَالسَّبْعُونَ فَهِيَ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة من فريقي الرَّأْي والْحَدِيث دون من يشتري لَهو الحَدِيث . وفقهاء هذَيْن الْفَرِيقَيْنِ وقرَّاؤهم ومحدِّثوهم ومتكلِّمو أهل الحَدِيث مِنْهُم كلُّهم متَّفقون على مقَالَة وَاحِدَة فِي تَوْحِيد الصَّانِع وَصِفَاته وعدله وحكمته ، وَفِي أسمائه وَصِفَاته ، وفي أبواب النُّبُوَّة والإمامة ، وفي أحكام العقبى ، وفي سَائِر أصول الدِّين . وإنَّما يَخْتَلِفُونَ فِي الْحَلَال وَالْحَرَام من فروع الأحكام ، وَلَيْسَ بَينهم فِيمَا اخْتلفُوا فِيهِ مِنْهَا تضليل وَلَا تفسيق ، وهم الْفرْقَة النَّاجِية ، ويجمعها الإقرار بتوحيد الصَّانِع ، وَقِدَمه ، وَقِدم صِفَاته الأزليَّة ، وإجازة رُؤْيَته من غير تَشْبِيه وَلَا تَعْطِيل ، مَعَ الإقرار بكتب الله وَرُسُله ، وبتأييد شَرِيعَة الإسلام ، وإباحة مَا أَبَاحَهُ الْقُرْآن ، وَتَحْرِيم مَا حرَّمه الْقُرْآن ، مَعَ قيود مَا صَحَّ من سنَّة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واعتقاد الْحَشْر والنَّشر ، وسؤال الْملكَيْنِ فِي الْقَبْر ، والإقرار بالحوض وَالْمِيزَان ، فَمن قَالَ بِهَذِهِ الْجِهَة الَّتِي ذَكرنَاهَا وَلم يخلط إيمانه بهَا بِشَيْء من بدع الْخَوَارِج ، وَالرَّوَافِض ، والقدريَّة ، وَسَائِر أهل الأهواء ، فَهُوَ من جملَة الْفرْقَة النَّاجِية إن ختم الله لَهُ بهَا ، وَقد دخل فِي هَذِه الْجُمْلَة جُمْهُور الأُمَّة وسوادها الْأَعْظَم من أصحاب مَالك ، وَالشَّافِعِيّ ، وأبي حنيفَة ، والأوزاعي ، والثَّوري ، وَأهل الظَّاهِر " (١) .

ومن المعلوم أنَّ الإمام عبد القاهر البغدادي كان أحد أساطين العلم وفُحوله ، قال عنه الإمام الذَّهبي : " العَلاَّمَةُ ، البَارِعُ ، المُتَفَنِّنُ ، الأُسْتَاذُ ، أَبُو مَنْصُوْرٍ البَغْدَادِيُّ ، نَزِيْلُ خُرَاسَان ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَةِ ، وَأَحَدُ أَعلاَمِ الشَّافِعِيَّةِ ... وَكَانَ أَكبَرَ تَلاَمِذَةِ إِبِي إِسْحَاق الإِسْفَرَايِيْنِيّ ، وَكَانَ يُدَرِّس فِي سَبْعَةَ عَشَرَ فَنّاً ، وَيُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ ، وَكَانَ رَئِيْساً مُحْتَشِماً مُثرياً ، لَهُ كِتَاب (التَّكملَة) فِي الحسَاب .

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص١٩-٢٠) .

قَالَ أَبُو عثْمَان الصَّابُوْنِيّ : كَانَ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الأُصُوْلِ ، وَصُدُور الإِسْلاَمِ بِإِجمَاعِ أَهْلِ الفَضْل ، بَدِيْعَ التَّرتيب ، غَرِيْبَ التَّأْلِيْفِ ، إِمَاماً مُقَدَّماً مُفَخَّماً ، وَمن خرَاب نَيْسَابُوْر خُرُوْجُه مِنْهَا " [1] .

وقال الإمام البيهقي عن الإمام الأشعري على ما نسبه له السُّبكي في " الطَّبقات " : " ... إِلَى أَن بلغت النَّوبَةُ إِلَى شَيخنَا أَبي الْحسن الْأَشْعَرِيّ رَحمَه الله ، فَلم يحدث فِي دين الله حَدثاً ، وَلم يَأْتِ فِيهِ ببدعة ، بل أَخذ أقاويل الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَمن بعدهمْ من الْأَئِمَّة فِي أُصُول الدِّين ، فنصرها بِزِيَادَة شرح وتبيين ، وَأَنَّ مَا قَالُوا وَجَاء بِهِ الشَّرْع فِي الْأُصُول صَحِيح فِي الْعُقُول ، بِخِلَاف مَا زعم أهل الْأَهْوَاء من أَنَّ بعضه لَا يَسْتَقِيم فِي الآراء ، فَكَانَ فِي بَيَانه وثبوته مَا لم يدلُّ عَلَيْهِ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ، ونصرة أقاويل من مضى من الْأَئِمَّة كأبي حنيفَة ، وسُفْيَان الثوري من أهل الْكُوفَة ، والأوزاعي وَغَيره من أهل الشَّام ، وَمَالك والشافعي من أهل الْحَرَمَيْنِ ، وَمن نحا نَحْوهمَا من أهل الْحجاز ، وَغَيرهَا من سَائِر الْبِلَاد ... " [2] .

وقال الإمام القاضي أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) عن الإمام الأشعري ومذهبه : " صنَّف لأهل السُّنَّة التَّصانيف ، وأقام الحجج على إثبات السُّنَّة ، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته ، وقِدَم كَلَامِه وقدرته قال : تعلَّق بكتبه أهلُ السُّنَّة ، وأخذوا عنه ، ودرسوا عليه ، وتفقَّهوا في طريقه ، وكثر طلبته وأتباعه ، لتعلُّم تلك الطُّرق في الذبِّ عن السُّنَّة ، وبسط الحُجج والأدلَّة في نصر الملَّة ، فسمُّوا باسمه فعرفوا بذلك ـ أي الأشاعرة ... فأهل السُّنَّة من أهل المشرق والمغرب ، بحُججه يحتجُّون ، وعلى مناهجه يذهبون ، وقد أثنى عليه غير واحد منهم ، وأثنوا على مذهبه وطريقه " [3] .

تَنْبِيْه : قام المتمسلفون القائمون على المكتبة الشَّاملة بشطب وحذف هذه الفقرة من كتاب " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " الموجود ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وهذا هو ديدنهم ... فقد عكفوا على شطب وإتلاف كلِّ فقرة أو جملة أو حتى كتاب كامل لا يتناسب مع أفكارهم ومعتقداتهم ... وها هم المتمسلفون في ثوبهم الحقيقي ... خيانة للعلم والعلماء ...

---

[1] انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٢-٥٧٣) .

[2] انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٩٧) .

[3] انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ٥٢٤-٥٢٦ باختصار) .

ونصَّ الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) على أنَّ الإمام الأشعري لم يخترع مذهباً جديداً ، وإنَّما بيَّن ووضَّح مَا أصبح عند المبتدعة مُندثراً مُندرساً ، مُنطمساً مُلتبساً بالباطل ، وأنَّ من انتسب إليه لم ينتسب انتساب المقلِّد ، وإنَّما انتساب الموافق ، لقِيَام الْأَدِلَّة على صِحَّه ما ذهب إليه ، ولكي يتميَّز بذلك عمَّا ذهب إليه الْمُعْتَزلَة ، والجهميَّة المعطِّلة ، والمجسِّمة ، والكراميَّة ، والمشبِّهة السالميَّة ، وَغَيرهم من سَائِر طوائف المبتدعة ، وَأَصْحَاب المقَالات الْفَاسِدَة المخترعة ، وأنَّه لم يخرج فيما قال عمَّا ذهب إليه الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة فِي أصُول الدِّين ، لأنَّ كلمتهم كانت واحدة في وجوب نفي التَّشْبِيه عَن الْقَدِيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . كما أكَّد على أنَّه إذا عُدَّ القَوْل بالتَّنزيه وَترك التَّشْبِيه تمشعُراً ، فالموحِّدون بأسرهم أشعريَّة ، وَلَا يضرُّ عِصَابَة انتمت إِلَى موحِّد مُجَرَّد التَّشنيع عَلَيْهَا بِمَا هِيَ مِنْهُ بَريَّة ...

قال الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ) : " ولسنَا نسلِّم أَنَّ أَبَا الْحسن اخترع مذهباً خَامِساً ، وإنَّما أَقَامَ من مَذَاهِب أهل السُّنَّة مَا صَار عِنْد المبتدعة دارساً ، وأوضح من أَقْوَال من تقدَّمه من الْأَرْبَعَة وَغَيرهم مَا غَدَا ملتبساً ، وجدَّد من معالم الشَّرِيعَة مَا أصبح بتكذيب من اعْتدى مُنطمساً ، ولسنَا ننتسب بمذهبنَا فِي التَّوْحِيد إِلَيْهِ على معنى أَنَا نقلِّده فِيهِ ، ونعتمد عَلَيْهِ ، ولكنَا نوافقه على مَا صَار إِلَيْهِ من التَّوْحِيد ، لقِيَام الْأَدِلَّة على صِحَّته ، لَا لمُجَرّد التَّقْلِيد ، وإنَّما ينتسب مِنَّا من انتسب إِلَى مذْهبه ليتميَّز عَن المبتدعة الَّذين لَا يَقُولُونَ بِهِ من أصنَاف الْمُعْتَزلَة ، والجهميَّة المعطِّلة ، والمجسِّمة ، والكرَّاميَّة ، والْمُشبِّهة السالميَّة ، وَغَيرهم من سَائِر طوائف المبتدعة ، وَأَصْحَاب المقَالات الْفَاسِدَة المخترعة ، لِأَنَّ الْأَشْعَرِيّ هُوَ الَّذِي انتدب للرَّدِّ عَلَيْهِم حَتَّى قمعهم ، وَأظْهر لمن لم يعرف الْبدع بِدَعهم ، ولسنَا نرى الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة الَّذين عنيتم فِي أصُول الدِّين مُخْتَلفين ، بل نراهم فِي القَوْل بتوحيد اللهَّ وتنزيهه فِي ذَاته مؤتلفين ، وعَلى نفي التَّشْبِيه عَن الْقَدِيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُجْتَمعين ، والأشعري رَحمَه اللهَّ فِي الْأُصُول على منهاجهم أَجْمَعِينَ ، فَمَا على من انتسب إِلَيْهِ على هَذَا الْوَجْه جُنَاح ، وَلَا يُرْجَى لمن تَبرَّأ من عقيدته الصَّحِيحَة فلاح ، فَإِن عددتم القَوْل بالتَّنزيه وَترك التَّشْبِيه تمشعُراً ، فالموحِّدون بأسرهم أشعريَّة ، وَلَا يضرُّ عِصَابَة انتمت إِلَى موحِّد مُجَرَّد التَّشنيع عَلَيْهَا بِمَا هِيَ مِنْهُ بَريَّة ... " (١) .

وقال عن الأشاعرة أيضاً : " وهم المتمسِّكون بِالْكتاب والسُّنَّة ، التَّاركون للأسباب الجالبة للفتنة ، الصَّابِرُونَ على دينهم عِنْد الاختبار والمحنة ، الظَّاهرون على عدوِّهم مَعَ إطراح الِانْتِصَار والاحنة ، لَا يتركون التَّمَسُّك بِالْقُرْآنِ والحُجج الأثريَّة ، وَلَا يسلكون فِي المعقولات مسالك المعطِّلة الْقَدَرِيَّة ، لكِنهمْ يجمعُونَ فِي

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٦٠-٣٦٢) .

مسَائِل الْأُصُول بَين الْأَدِلَّة السَّمعيَّة وبراهين الْعُقُول ، ويتجنَّبون إفراط الْمُعْتَزلَة ، ويتنكَّبون طرق المعطِّلة ، ويطرحون تَفْرِيط المجسِّمة المشبِّهة ، ويفضحون بالبراهين عقائد الْفرق المموِّهة ، وَيُنْكِرُونَ مَذَاهِب الْجَهْمِيَّة ، وينفرون عَن الكراميَّة والسَّالميَّة ، ويبطلون مقَالات الْقَدَرِيَّة ، ويرذلون شُبه الجبريَّة ، ويتبرؤن من الرَّوافض والخوارج ، ويظهرون للواقفين عَن الْحَقِّ وُجُوه المخارج ، فمذهبهم أَوسط الْمذَاهب ، وَمَشْرَبهمْ أعذب المشارب ، ومنصبهم أكْرم المنَاصب ، ورتبتهم أعظم الْمَرَاتِب ، فَلَا يُؤثِّر فيهم قدح قَادِح ، وَلَا يظْهر فيهم جُرحُ جَارح ، وَقد ذكرت فِيمَا تقدَّم شرح اعْتِقَادهم ، فَلَا يطعن فيهم إِلَّا الَّذين عمُوا عَن رشادهم " (١) .

وقال أيضاً : " ... وَهل من الْفُقَهَاء من الحنيفيَّة ، والمالكيَّة ، وَالشَّافِعِيَّة إِلَّا مُوَافقٌ لَهُ أَو منتسبٌ إِلَيْهِ ، أَو رَاضٍ بحميد سَعْيه فِي دين اللهَّ ، أَو مُثنٍ بِكَثْرَة الْعلم عَلَيْهِ ، غير شرذمة يسيرَة تُضمرُ التَّشْبِيه ، وتُعادي كلَّ موحِّد يعْتَقد التَّنْزِيه ، وتضاهي أَقْوَال أهل الاعتزال فِي ذمِّه ، وتباهي بِإِظْهَار جهلها بقدرة سَعَة علمه " (٢) .

وهذه شهادات حقٍّ وصدق من حافظٍ جِهبذٍ ، ملأ الدُّنيا عِلماً ، قال فيه الإمام الذَّهبي : " الحافظ الكبير ، محدِّث الشَّام ، فخرُ الأئمَّة ، صاحبُ التَّصانيف ، والتَّاريخ الكبير ... قال السَّمعانيُّ : أبو القاسم حافظ ، ثقة ، متقنٌ ، ديِّن ، خيِّر ، حسن السَّمت ، جمع بين معرفة المتن والإسناد ، وكان كثير العلم ، غزير الفضل ، صحيح القراءة ، متثبِّتاً ، رحل وتعب ، وبالغ في الطَّلب ، وجمع ما لم يجمعه غيره ، وأربى على الأقران .. قال الحافظ عبد القادر : ما رأيت أحفظ من ابن عساكر . وقال ابن النَّجَّار : أبو القاسم إمام المحدِّثين في وقته ، انتهت إليه الرِّياسة في الحفظ والإتقان ، والثِّقة والمعرفة التَّامَّة ... " (٣) .

وقد أكَّد الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) على ما قاله الحافظ ابن عساكر من كون الإمام الأشعري كان على سَنَن الأئمَّة الأربعة الذين اتَّفقت كلمتهم على أصُول الدِّين ، واجتمعت على تنزيه الله تعالى ، وعَلى نفي التَّشْبِيه عنه سبحانه ، فقال : " وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد والمنَّة في العقائد يدٌ واحدة ، إلَّا مَـن لحق منها

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٩٧-٣٩٨) .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٤١٠) .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ (٤/ ٨٢-٨٦) .

بأهل الاعتزال أو التَّجسيم ، وإلَّا فجمهُورها على الحقِّ ، يقرُّون عقيدة أبي جعفر الطَّحاوي التي تلقَّاها العلماءُ سلفاً وخلفاً بالقبول ، ويدينون الله برأي شيخ السُّنَّة أبي الحسن الأشعري ، الذي لم يعارضه إلَّا مبتدعٌ " (١) .

وفي كتابه : " طبقاتُ الشافعيَّة الكبْرى " عقد العلَّامة تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) فصـلاً تحت عنوان : ذكر بَيَان أَنَّ طَرِيقَة الشَّيْخ – يعني الأشعري – هي الَّتِى عَلَيْهَا المعتبرون من عُلَمَاء الْإِسْلَام ، والمتميِّزون من الْمَذَاهب الْأَرْبَعَة في معرفَة الْحَلَال وَالْحَرَام ، والقائمون بنصرة دين سيدنَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قد قدَّمنَا في تضاعيف الْكَلَام مَا يدلُّ على ذَلِك ، وحكينا لَك مقَالَة الشَّيْخ ابْن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) وَمن سبقه إِلَى مثلهَا وتلاه على قَوْلهَا ، حَيْثُ ذكرُوا أَنَّ الشَّافِعِيَّة ، والمالكيَّة ، وَالْحَنَفِيَّة ، وفضلاء الْحَنَابِلَة أشعريُّون ، هَذِه عبارَة ابْن عبد السَّلام شيخ الشَّافِعِيَّة ، وَابْن الْحَاجِب شيخ الْمَالِكِيَّة ، والحصيرى شيخ الْحَنَفِيَّة ، وَمن كَلَام ابْن عَسَاكِر حَافظ هَذِه الْأُمَّة ، الثِّقَة ، الثَّبت : هَل من الْفُقَهَاء الْحَنَفِيَّة ، والمالكيَّة ، وَالشَّافِعِيَّة إِلَّا مُوَافقٌ الأشعري ... ثمَّ قال بعد ذلك : " سَمِعتُ الشَّيْخ الإِمَام رَحمَه الله يَقُول : مَا تضمَّنته عقيدة الطَّحاوي هُوَ مَا يَعْتَقِدهُ الأشعري ، لَا يُخَالِفهُ إِلَّا فِي ثَلَاث مسَائِل ...

قلت : أَنا أعلم أَنَّ الْمَالِكِيَّة كلُّهم أشاعرة ، لَا أستثني أحداً ، وَالشَّافِعِيَّة غالبهم أشاعرة ، لَا أستثني إِلَّا من لحقَ مِنْهُم بتجسيم أَو اعتزال مِمَّن لَا يعبأ الله بِهِ ، وَالْحَنَفِيَّة أَكْثَرهم أشاعرة ، أعني : يَعْتَقِدُونَ عقد الأشعري ، لَا يخرج مِنْهُم إِلَّا من لحق مِنْهُم بالمعتزلة ، والحنابلة أَكثر فضلاء متقدِّميهم أشاعرة ، لم يخرج مِنْهُم عَن عقيدة الأشعري إِلَّا من لحق بِأَهْل التَّجسيم ، وهم فِي هَذِه الْفرْقَة من الْحَنَابِلَة أَكثر من غَيرهم " (٢) .

فالحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشَّافِعِيَّة ، وفضلاء الْحَنَابِلَة أشعريُّون ، أو ماتريديُّون ... ولم يشذ عن ذلك إلَّا الهمج الرِّعاع الذين لا يُسمع قولهم ، ممَّن مالوا إلى التَّجسيم ...

قال الإمام ابن عساكر : " وعَلى الْجُمْلَة ، فَلم يزل فِي الحنَابلة طَائِفَة تغلو فِي السُّنَّة ، وَتدْخل فِيمَا لَا يعنيها حبَّاً للخفوف فِي الْفِتْنَة ، وَلَا عَار على أَحْمد رَحمَه اللهَّ من صنيعهم ، وَلَيْسَ يتَّفق على ذَلِك رأي جَمِيعهم ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بن شاهين (٣٨٥هـ) ، وَهُوَ من أَقْرَان الدَّارَقُطْنِيّ (٣٨٥هـ) : وَمن أَصْحَاب الحَدِيث المتسنِّنين مَا قَرَأت على الشَّيْخ أَبِي محمَّد عبد الْكَرِيم بن حَمْزَة ابْن الْخضر بِدِمَشْقَ عَنْ أَبِي محمَّد عبد الْعَزِيز

(١) انظر : مُعيد النعم ومبيد النقم (ص٢٢-٢٣) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٧٣) ، (٣/ ٣٧٧) .

بن أَحْمَد ،َ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو النجيب عبد الْغفار بن عَبْدِ الْوَاحِدِ الأرموي ، قَالَ : ثَنَا أَبُو ذَر عبد بن أَحْمَدَ الْهَرَوِيّ ، قَالَ سَمِعت ابْن شاهين يَقُول : رجلَانِ صالحان بُليا بأصحاب سوءٍ : جَعْفَر بن محمَّد وأحمد بن حَنْبَل " (١) .

فالإمام أحمد ابتُلي ببعض الأتباع الذين نسبوا إليه ما هو منه براء ... فقد ذكر الإمام عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التَّميمي (٤١٠هـ) أنَّ الإمام أحمد " أنكر على من يقول بالجسم ، وقال : إنَّ الأسماء مأخوذة بالشَّريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كلِّ ذي طول ، وعرض ، وسمك ، وتركيب ، وصورة ، وتأليف ، والله تعالى خارج عن ذلك كله ، فلم يجُز أن يسمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميَّة ، ولم يجيء في الشَّريعة ذلك ، فبطل " (٢) .

وذكر أنَّ من عقيدة الإمام أحمد أنَّه : " لا يجوز أن يقال : استوى بمماسَّة ولا بملاقاة ، تعالى الله عن ذلك علوَّاً كبيراً ، والله تعالى لم يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ، ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش . وكان ينكر على من يقول : إنَّ الله في كلِّ مكان بذاته ، لأنَّ الأمكنة كلّها محدودة ... " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ الإمام أَبُو الفَضْلِ التَّمِيْمِيُّ عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ كان رئيساً للحنابلة في زمانه ، قال الإمام الذَّهبي في ترجمته له : " الإِمَامُ ، الفَقِيْهُ ، رَئِيْسُ الحَنَابِلَة ، أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ الحَارِثِ التَّمِيْمِيُّ ، البَغْدَادِيُّ ، الحَنْبَلِيُّ ... قَالَ الخَطِيْبُ : كَانَ صَدُوْقاً ، دُفِنَ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ الإِمَام أَحْمَد ، وَحَدَّثَنِي أَبِي – وَكَانَ مِمَّنْ شَيَّعَه – أَنَّه صَلَّى عَلَيْهِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِيْنَ أَلْفاً ... " (٤) .

فالإمام أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ الحَارِثِ التَّمِيْمِيُّ ، البَغْدَادِيُّ ، الحَنْبَلِيُّ هو الأقرب زماناً إلى زمن الإمام أحمد من ابن تيمية ، حيث أنَّ الفارق الزَّمني بين وفاة أبي الفضل التميمي وولادة ابن تيمية مائتان وإحدى وخمسين سنة ... وبالتَّالي فهو الأعلم من ابن تيمية وغيره بعقيدة الإمـــــام أحمد ...

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص١٦٤) .

(٢) انظر : اعتقاد الإمام ابن حنبل (ص٢٩٨) .

(٣) انظر : اعتقاد الإمام ابن حنبل (ص٢٩٧) .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٧٣) .

وقال عنه الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " وكانت له يدٌ في علومٍ كثيرة " [١] .

ونقل الإمام بن الجوزي عن الإمام رزق الله بن عبد الوهَّاب التَّميمي (٤٨٨هـ) ، قال : " وكان أحمد لا يقول بالجهة للباري ، لأنَّ الجهات تخلى عمَّا سواها " [٢] .

وما قيل عن الإمام أَبِي الفَضْلِ عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ الحَارِثِ التَّمِيْمِيُّ ، البَغْدَادِيُّ ، الحَنْبَلِيُّ ، يقال عن الإمام رزق الله ابن الإمام أبي الفرج عبد الوهَّاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان التَّميمي ، فهو أعلم بالإمام أحمد من ابن تيمية ، لأنَّ الفارق الزَّمني بين وفاة الإمام رزق الله التَّميمي وولادة ابن تيمية هو مائة وثلاث وسبعين سنة ...

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " اعْلَم أَنَّ أَبَا الْحسن لم يبدع رَأياً ، وَلم ينشئ مذهباً ، وإِنَّما هُوَ مُقرِّرٌ لمذاهب السّلف ، مناضلٌ عَمَّا كَانَت عَلَيْهِ صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالانتسابُ إِلَيْهِ إِنَّما هُوَ بِاعْتِبَار أَنَّه عقد على طَرِيق السَّلف نطاقاً ، وَتمسَّك بِهِ ، وَأَقَام الْحجَج والبراهين عَلَيْهِ ، فَصَارَ المقتدي بِهِ فِي ذَلِك ، السَّالك سَبيله فِي الدَّلَائِل يُسمَّى أشعريَّاً ، وَلَقَد قلتُ مرَّة للشَّيْخ الإِمَام رَحمَه الله : أَنا أعجب من الْحَافِظ ابْن عَسَاكِر فِي عدِّه طوائف من أَتبَاع الشَّيْخ ، وَلم يذكر إِلَّا نزراً يَسِيراً وعدداً قَلِيلاً ، وَلَو وفى الاِسْتِيعَاب حَقَّه لاستوعب غَالب عُلَمَاء الْمذَاهب الْأَرْبَعَة !! فَإِنَّهُم برأي أَبِي الْحسن يدينون الله تَعَالَى ، فَقَالَ : إِنَّما ذكر من اشْتهر بالمناضلة عَن أَبِي الْحسن ، وَإِلَّا فَالْأَمْر على مَا ذكرت من أَنَّ غَالب عُلَمَاء الْمذَاهب مَعَه .

وَقد ذكر الشَّيْخ شيخ الْإِسْلَام عزّ الدِّين بن عبد السَّلام أَنَّ عقيدته اجْتمع عَلَيْهَا الشَّافِعِيَّة ، والمالكيَّة ، وَالْحَنَفِيَّة ، وفضلاء الْحَنَابِلَة ، وَوَافَقَهُ على ذَلِك من أهل عصره شيخُ الْمَالِكِيَّة فِي زَمَانه أَبُو عَمْرو بن الْحَاجِب (٦٤٤هـ) ، وَشَيخ الْحَنَفِيَّة جمال الدِّين الحصيري (٦٣٦هـ) ... " [٣] .

وقال في موضع أخر :

---

[١] انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٦٩٠) .

[٢] انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٣٥) .

[٣] انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٦٥) .

" قَالَ المايرقي : وَلم يكن أَبُو الْحسن أوَّل مُتَكَلِّم بِلِسَان أهل السُّنَّة ، إنَّما جرى على سَنَن غَيره ، وعَلى نُصْرَة مَذْهَب مَعْرُوف ، فَزَاد الْمَذْهَب حُجَّة وبياناً ، وَلم يبتدع مقَالَة اخترعها ، وَلَا مذهباً انْفَرد بِهِ ، أَلا ترى أَنَّ مَذْهَب أهل الْمَدِينَة نسب إِلَى مَالك ، وَمن كَانَ على مَذْهَب أهل الْمَدِينَة ، يُقَال لَهُ : مالكي ، وَمَالك إنَّما جرى على سَنَن من كَانَ قبله ، وَكَانَ كثير الِاتِّبَاع لَهُم ، إِلَّا أَنَّه لما زَاد الْمَذْهَب بَيَاناً وبسطاً عُزي إِلَيْهِ ، كَذَلِك أَبُو الْحسن الأشعري لَا فرق ، لَيْسَ لَهُ فِي مَذْهَب السَّلف أَكثر من بَسطه وَشَرحه وتواليفه فى نصرته ... إلى أن يقول القابسيُّ : وَمَا أَبُو الْحسن إِلَّا وَاحِد من جملَة القائمين فى نصْرَة الْحَقّ ، مَا سمعنَا من أهل الْإِنْصَاف من يُؤَخِّرهُ عَن رُتْبَة ذَلِك ، وَلَا من يُؤثر عَلَيْهِ فى عصره غَيره وَمن بعده من أهل الْحَقّ سلكوا سَبيله ...إِلَى أَن قَالَ : لقد مَاتَ الأشعري يَوْم مَاتَ وَأهل السُّنَّة باكون عَلَيْهِ ، وَأهل الْبدع مستريحون مِنْهُ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن إبراهيم ابن الوزير اليماني (٨٤٠هـ) : " مذهب أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمَّة الحديث ، وهم طائفتان : الطائفة الأولى : أهل الحديث والأثر ، وأتباع السنن ، والسَّلف الذين ينهون عن الخوض في علم الكلام ... ثمَّ قرَّر مذهب أهل الحديث ، وهو أنَّ حقيقة الصِّفات وكُنهها ممَّا استأثر الله بعلمه ، ثمَّ ذكر كلام الغزالي في كتابه : " إلجام العوام " في تقرير عقيدة السَّلف ، ثمَّ تكلَّم في النَّهي عن علم الكلام ، كلُّ ذلك في صفحات طويلة جداً " (٢) .

ثم قال : " هذا آخر ما أردت الإشارة إليه من جملة عقائد المحدِّثين ، وهم الطَّائفة الأولى . الطَّائفة الثَّانية : أهل النَّظر في علم الكلام ، والمنطق ، والمعقولات ، وهم فرقتان : أحدهما : الأشعريَّة ... والفِرقة الثَّانية من المتكلِّمين منهم : الأثريَّة كابن تيمية وأصحابه ، فهؤلاء من أهل الحديث ، لا يخالفونهم إلَّا في استحسان الخوض في الكلام ، وفي التَّجاسر على بعض العبارات ، وفيما تفرَّد به من الخوض في الدَّقائق الخفيَّات ، والمحدِّثون ينكرون ذلك عليهم ، لأنَّه ربَّما أدَّى ذلك إلى بدعةٍ أو قدحٍ في الدِّين " (٣) .

وقال الإمام الجلال الدَّواني (٩١٨هـ) :

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٦٧) .

(٢) انظر : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٣/ ٣٣١-٣٣٢) .

(٣) انظر : العواصم والقواصم ، ابن الوزير اليماني (٤/ ١١٨-١١٩) .

" الفرقة النَّاجية ، وهم الأشاعرة ، أي : التَّابعون في الأصول للشَّيخ أبي الحسن... فإن قلت : كيف حكم بأنَّ الفرقة النَّاجية هم الأشاعرة ؟ وكلُّ فرقة تزعم أنها ناجية ؟ قلت سياق الحديث مشعر بأنَّهم – يعني الفرقة النَّاجية – المعتقدون بما روي عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وذلك إنَّما ينطبق على الأشاعرة ، فإنَّهم يتمسَّكون في عقائدهم بالأحاديث الصَّحيحة المنقولة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أصحابه ، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلَّا لضرورة ، ولا يسترسلون مع عقولهم كالمعتزلة " (١) .

وكلام الإمام الدَّواني يردُّ على من زعم وافترى على الأشاعرة أنَّهم يقدِّمون العقل على النَّقل ، وقد سبقه إلى تفنيد زعمهم غير واحد من رؤوس الأشاعرة ، فهذا الإمام " الغزالي (٥٠٥هـ) يقول موضِّحاً عقيدة الأشاعرة في هذه المسألة : " أمَّا العلوم الشرعيَّة وهي المقصودة بالبيان ، فهي محمودة كلّها ، ولكن قد يلتبس بها ما يظنّ أنَّها شرعيَّة وتكون مذمومة ، فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة ، أمَّا المحمودة فلها أصولٌ ، وفروعٌ ، ومقدِّماتٌ ، ومتمِّماتٌ ، وهي أربعة أضرب :

الضَّرْبُ الأَوَّلُ : الأصول ، وهي أربعة : كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وسنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإجماع الأُمَّة ، وآثار الصَّحابة . والإجماع أصل من حيث أنَّه يدلُّ على السُّنَّة ، فهو أصل في الدَّرجة الثَّالثة . وكذا الأثر فإنَّه أيضاً يدلُّ على السُّنَّة ، لأنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتَّنزيل ، وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه ، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن " (٢) .

وأضاف الإمام الغزالي قائلاً : " الأَصْلُ الثَّامن : أنَّ معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه ، لا بالعقل خلافاً للمعتزلة ... " (٣) .

وقال الإمام الغزالي أيضاً : " ... وتحقَّقوا أن لا معاندة بين الشَّرع المنقول والحقِّ المعقول . وعرفوا أنَّ من ظنَّ من الحشويَّة وجوب الجمود على التَّقليد ، واتباع الظَّواهر ، ما أتوا به إلَّا من ضعف العقول وقلَّة البصائر ، وإنَّ من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرُّف العقل حتى صادموا به قواطع الشَّرع ، ما أتوا به إلَّا من خُبثِ الضَّمائر . فميلُ أولئك إلى التَّفريط ، وميلُ هؤلاء إلى الإفراط ، وكلاهما بعيدٌ عن الحزم والاحتياط ، بل

---

(١) انظر : حاشية الكلنبوي على شرح الدواني (١/ ٣٤-٣٩) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ١٦) .

(٣) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ١١٣) .

الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد ، والاعتماد على الصِّراط المستقيم ؛ فكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، وأنَّى يستتبّ الرَّشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر ، وينكر مناهج البحث والنَّظر ، أو لا يعلم أنَّه لا مستند للشَّرع إلَّا قول سيِّد البشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر ، وكيف يهتدي للصَّواب من اقتفى محض العقل واقتصر ، وما استضاء بنور الشَّرع ولا استبصر ؟ فليت شعري كيف يفزع إلى العقل من حيث يعتريه العيّ والحصر ؟ أو لا يعلم أنَّ العقل قاصر !!! وأنَّ مجاله ضيِّق منحصر ؟ هيهات قد خاب على القطع والبتات ، وتعثَّر بأذيال الضَّلالات من لم يجمع بتأليف الشَّرع والعقل هذا الشَّتات .

فمثال العقل : البصر السَّليم عن الآفات والأذاء . ومثال القرآن : الشَّمس المنتشرة الضِّياء . فاخلق بأن يكون طالب الاهتداء ، المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء ، فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن ، مثاله المتعرِّض لنور الشَّمس مغمضاً للأجفان ، فلا فرق بينه وبين العميان .

فالعقل مع الشَّرع نورٌ على نور ، والملاحظ بالعين العور لأحدهما على الخصوص متدلّ بحبل غرور . وسيتَّضح لك أيُّها المشوق إلى الاطِّلاع على قواعد عقائد أهل السُّنَّة ، المقترح تحقيقها بقواطع الأدلَّة ، أنَّه لم يستأثر بالتَّوفيق ، للجمع بين الشَّرع والتَّحقيق ، فريق سوى هذا الفريق ، فاشكر الله تعالى على اقتفائك لآثارهم ، وانخراطك في سلك نظامهم وعيارهم ، واختلاطك بفرقتهم ؛ فعساك أن تُحشر يوم القيامة في زمرتهم " (١) .

ويضيف الإمام الغزالي قائلاً : " ... ثمَّ كلّ ما ورد السَّمع به ينظر ، فإن كان العقل مجوِّزاً له وجب التَّصديقُ به قطعاً إن كانت الأدلَّة السَّمعيَّة قاطعة في متنها ومستندها ، لا يتطرَّق إليها احتمال ، وجب التَّصديق بها ظنَّاً إن كانت ظنيَّة ، فإنَّ وجوب التَّصديق باللسان والقلب عملٌ يُبنى على الأدلَّة الظَّنِّيَّة كسائر الأعمال ، فنحن نعلم قطعاً إنكار الصَّحابة على من يدَّعي كون العبد خالقاً لشيء من الأشياء وعَرَض من الأعراض ، وكانوا ينكرون ذلك بمجرَّد قوله تعالى : ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، ومعلوم أنَّه عامٌّ قابل للتَّخصيص ، فلا يكون عمومه إلَّا مظنوناً ، إنَّما صارت المسألة قطعيَّة بالبحث على الطُّرق العقليَّة التي ذكرناها ، ونعلم أنَّهم كانوا ينكرون ذلك قبل البحث عن الطُّرق العقليَّة ، ولا ينبغي أن يعتقد بهم أنَّهم لم يلتفتوا إلى المدارك الظَّنِّيَّة إلَّا في الفقهيَّات ، بل اعتبروها أيضاً في التَّصديقات الاعتقاديَّة والقوليَّة .

---

(١) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص٩-١٠) .

وأمَّا ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السَّمع به ، ولا يتصوَّر أن يشمل السَّمع على قاطع مخالف للمعقول ، وظواهر أحاديث التَّشبيه أكثرها غير صحيحة ، والصَّحيح منها ليس بقاطع ، بل هو قابل للتَّأويل ، فإن توقَّف العقل في شيء من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز ، وجب التَّصديق أيضاً لأدلَّة السَّمع " (١) .

وقال الإمام الباجوري (١٢٧٦هـ) في شرح قول الإمام اللقَّاني (١٠٤١هـ) في جوهرة التَّوحيد :

فَكُلُّ مَنْ كُلِّفَ شَرْعاً وَجَبَا عَلَيْه أَنْ يَعْرِفَ مَا قَد وجبا

" فكلُّ من كُلِّف شرعاً : أي وجوب معرفة الله تعالى إنَّما هو بلسان الشَّرع ، وليس بلسان العقل كما ذهب المعتزلة . فكلُّ فرد من المكلَّفين من الإنس والجن يجب عليه أن يعرف ما يجب لله تعالى ، وما يجوز ، وما يستحيل ، وكذلك للرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام... المقصود أنَّ المعرفة وجبت بالشَّرع ، لا بالعقل ، وهذا مذهب الأشاعرة وجمعٌ من غيرهم !!! فمعرفة الله وجبت عندهم وكذلك سائر الأحكام إذ لا حكم قبل الشَّرع لا أصليَّاً ولا فرعيَّاً " (٢) .

ثمَّ إنَّ تقديم العقل على النَّقل عند التَّعارض أمرٌ لم ينفرد به الأشاعرة ، بل هو مما قرَّره واعتمده الجميع لعلمهم ويقينهم أنَّ الشَّرع لم يأت إلا بمجوِّزات العقول ، قال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " باب القول فيما يردُّ به خبر الواحد : وإذا روى الثقة المأمون خبراً متَّصل الإسناد رُدَّ بأمور :

أَحَدُهَا : أن يُخالف موجبات العقول فيُعلم بطلانه ، لأنَّ الشَّرع إنَّما يرد بمجوِّزات العقول ، وأمَّا بخلاف العقول فلا .

وَالثَّانِي : أن يُخالف نصَّ الكتاب أو السُّنَّة المتواترة ، فيُعلم أنَّه لا أصل له أو منسوخ .

وَالثَّالِثُ : أن يُخالف الإجماع ، فيُستدلُّ على أنَّه منسوخ أو لا أصل له ، لأنَّه لا يجوز أن يكون صحيحاً غير منسوخ وتُجمع الأُمَّة على خلافه ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الطَّبَّاعِ فِي الْخَبَرِ الَّذِي سُقْنَاهُ عَنْهُ أَوَّلَ البَابِ .

---

(١) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص١١٥-١١٦) .

(٢) انظر : شرح جوهرة التوحيد ، إبراهيم الباجوري (ص٤٣-٤٧ باختصار) .

وَالرَّابِعُ : أن ينفرد الواحد برواية ما يجب على كافَّة الخلق علمه ، فيدلُّ ذلك على أنَّه لا أصل له ، لأنَّه لا يجوز أن يكون له أصل وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم .

الخَامِسُ : أن ينفرد برواية ما جرت العادة بأن ينقله أهل التواتر ، فلا يُقبل ، لأنَّه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية " (١) .

وقد سلك هذا المسلك أغلب العلماء ، ومنهم ابن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) حيث صرَّح بتقديم العقل على النَّقل بناء على الشُّروط التي ذكرها الإمام الخطيب البغدادي ، فقال : " ... الوجه الخامس : أنَّه إذا علم صحَّة السَّمع ، وأنَّ ما أخبر به الرَّسول فهو حقٌّ ، فإمَّا أن يعلم أنَّه أخبر بمحلِّ النِّزاع ، أو يظنّ أنَّه أخبر به ، أو لا يعلم ولا يظنّ .

فإن علم أنَّه أخبر به امتنع أن يكون في العقل ما ينافي المعلوم بسمع أو غيره ، فإنَّ ما علم ثبوته أو انتفاؤه لا يجوز أن يقوم دليلٌ يُناقض ذلك .

وإن كان مظنوناً أمكن أن يكون في العقل علمٌ ينفيه ، وحينئذ فيجب تقديم العلم على الظنِّ ، لا لكونه معقولاً أو مسموعاً ، بل لكونه علماً ، كما يجب تقديم ما عُلم بالسَّمع على ما ظنَّ بالعقل ، وإن كان الذي عارضه من العقل ظنيَّاً ، فإن تكافآ وقف الأمر ، وإلا قدِّم الرَّاجح .

وإن لم يكن في السَّمع علم ولا ظنٌّ فلا معارضة حينئذ ، فتبيَّن أنَّ الجزم بتقديم العقل مطلقاً خطأ وضلال " (٢) .

مع العلم أنَّه لم يقل واحد من الأشاعرة ما اتَّهمهم به المتمسلفة ، وإنَّما محلُّ النِّزاع قائم عند تعارض النَّقل الصَّحيح مع العقل الصَّريح ، فإذا تعارض الدَّليل العقلي القطعي مع ظاهر الدَّليل النَّقلي ، وجب تأويل ظاهر الدَّليل السَّمعي بما يليق بجلال الله تعالى ، لأنَّ النَّصَّ هنا لا يكون مُحكماً بل مُتشابهاً ، وهو منهج سار عليه الصَّحابة فمن بعدهم ... فمن تأويلات حبر الأُمَّة وترجمان القرآن :

١ .تأويله لـ **الكُرْسِي** الوارد في قوله تعالى : " قَوْلُهُ : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة :٢٥٥] ، بالعلم :

(١) انظر : الفقيه و المتفقه (١/ ٣٥٣) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٧) .

فقد جاء في تفسير الطَّبري (٣١٠هـ) عند تفسيره لآية الكرسي ما نصّه : " اختلف أهل التَّأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنَّه وسع السَّموات والأرض ، فقال بعضهم : هو علم الله تعالى ذكره ... وأمَّا الذي يدُلُّ على ظاهر القرآن فقول ابن عبَّاس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير أنَّه قال : هو علمه ... " [1] .

قلت : وقد تعمَّدت أن أنقل أغلب تأويلات ابن عبَّاس من تفسير الطَّبري ، لأنَّ من المعلوم أنَّ الإمام ابن تيمية زكَّى وامتدح تفسير الإمام الطَّبري ، وذكر أنَّ النَّقل فيه محرَّر ، وأنَّه ينْقل فِيهِ كَلَام السَّلف بِالْإِسْنَادِ [2] .

٢. تأويله لـ **النُّوْر** الوارد في قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] قال الطَّبري : حَدَّثَنِي عَلِيٌّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَوْلُه : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور : ٣٥] ، يَقُولُ : اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " [3] .

٣. تأويله لِـ : **الأَعْيُن** الواردة في قوله تعالى : ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود : ٣٧] ، قال الإمام البغوي (٥١٦هـ) : قَالَ ابْنُ عبَّاس : بِمَرْأًى مِنَّا " [4] .

---

[1] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ٣٩٨) ، وللاستزادة انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٠٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٠) ، بحر العلوم (١/ ١٩٤) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/ ٣٢٦) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ٣٦٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢/ ٤٤١) ، مؤسسة قرطبة ، التحرير والتنوير (٣/ ٢٣) .

[2] راجع : دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧٩) .

[3] انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٧/ ٢٩٥) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ١٠٢) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣٢٠) ، تفسير القرآن ، أبو المظفر منصور بن محمَّد السمعاني (٣/ ٥٢٩) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٦/ ٤٥) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٠) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٥/ ٧٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير(٦/ ٥٧) ...

[4] انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ٤٤٧) ، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٠) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٩) .

٤. تأويله لـ **الأَيْد** الواردة في قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات :٤٧] ، قال الطبري : حدَّثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عبَّاس ، قوله : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ ، يقول : بقوَّة " [١] ...

٥. تأويله لـ **السَّاق** الوارد في قوله تعالى : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ [القلم : ٤٢] : قال الطَّبري : حدَّثني محمَّد بن عبيد المحاربيّ ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن أُسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ ، قال : هو يوم حربٍ وشدَّة

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن عبَّاس ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ ، قال : عن أمر عظيم ، كقول الشَّاعر :

وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ [٢]

٦.تأويله لـ **مَجِيء الرَّبِّ** الوارد في قوله تعالى :﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر : ٢٢] . قال الإمام النَّسفي (٧٠١هـ) : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ ، تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيين آثار قهره وسلطانه ، فإنَّ واحداً من

---

[١] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٤٣٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٨١) ، زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٣٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٢) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٦/ ٢٤٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧/ ٥٧) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٢٠٨) .

[٢] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٥٥٤) ، تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٠٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦) ، بحر العلوم (٣/ ٤٦٣) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ١٨) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن (١٢/ ٧٦٤٤) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٦/ ٧٠) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٣٣٩) ، تفسير القرآن ، السمعاني (٦/ ٢٨) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٧٨) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٤٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٨/ ١٩٩) ، تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس (ص٤٨٢) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٤٧٠) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٢٥٤) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٥/ ٢٧٨) .

الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصِّه ، وعن ابن عبَّاس : أَمره وقضاؤه " (١) .

فهذه باقة من تأويلات حبر الأُمَّة وترجمان القرآن : ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، الصَّحابي الجليل الذي دعـا له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين ، وَعَلِّمْهُ التَّأويل " (٢) .

والجدير بالذِّكر هنا أنَّ ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة والماتريديَّة – الذين يشكِّلون السَّواد الأعظم من كيان الأُمَّة – ومن وافقهم ، في النُّصوص المضافة إلى الله تعالى ، هو عينُ ما نُقل عن ابن عبَّاس وغيره من السَّلف والخلف في التَّأويل ، ولذلك فإنَّ اتِّهامهم بتقديم العقل على النَّقل والابتداع والتَّجهُّم ، هو اتِّهام للسَّلف والخلَف على حدٍّ سواء...

فالاستدلال العقلي هو جزء من المنهج الاستدلالي القرآني ، فقد طالبنا الله تعالى أن نُقيم صرحنا الإيمانيَّ على بصيرةٍ وعلمٍ ، قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠ – ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ

---

(١) انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٦٤١) .

(٢) قال الشَّيْخ شعيب الأرنؤوط : " إسناده قوي على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم ، فمن رجال مسلم ، وهو صدوق ... وأخرجه يعقوب بن سفيان في " المعرفة والتاريخ " ١/ ٤٩٤ من طريقين عن زهير أبي خيثمة، بهذا الإسناد ، وأخرجه الطبراني (١٠٦١٤) من طريق داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، به . قوله : " وعلمه التَّأويل " ، قال السندي : المراد بالتأويل : تأويل القرآن ، فكان يُسمى بحراً ، وترجمان القرآن ، والله تعالى أعلم . انظر هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٤/ ٢٢٥) .

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٣ - ٤] ، وقال تعالى : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١١ - ١٣] ...

وعلى كلِّ حال فالأشاعرة ومن وافقهم هم أهل الحقِّ ، وهم أهل السُّنَّة والجماعة ، وهم السَّواد الأعظم من أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) في كتابه : " الزَّواجر عن اقتراف الكبائر " : " وَالْمُرَادُ بِالسُّنَّةِ مَا عَلَيْهِ إمَامَا أَهْلِ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ : الشَّيْخ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ، وَأَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ " [١] .

وجاء في الفتاوى الحديثيَّة لابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) : " مطلب في من طعن على أبي الحسن وأبي إسحق الأشعريِّين وخلافهم : وسئل نفع الله به ، بما لفظه : طعن بعض النَّاس في أبي الحسن ، وأبي إسحق الأشعريِّين ، والباقلَّاني ، وابن فورك ، وأبي المعالي إمام الحرمين ، والباجي وغيرهم ، ممَّن تكلَّم في الأصول ، وردَّ على أهل الأهواء ، بل ربَّما بالغ بعض الملاحدة فادَّعى كفرهم ، فهل هؤلاء كما قال ذلك الطَّاعن أو لا ؟

فأجاب بقوله : ليسوا كما قال ذلك الخارق ، المارق ، المجارف ، الضَّال ، الغال ، الجاهل ، المائل ، بل هم أئمَّة الدِّين ، وفحول علماء المسلمين ، فيجب الاقتداء بهم لقيامهم بنصرة الشَّريعة ، وإيضاح المشكلات ، وردِّ شُبه أهل الزيغ ، وما يجب في الاعتقادات والدِّيانات ، لعلمهم بالله وما يجب له ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز في حقِّه ، ولا يعرف الوصول إلَّا بعد معرفة الأصول ، ومن ثمَّ فضَّل أقوامٌ علوم القرآن والحديث وقدَّموها على حفظ المسائل الفقهيَّة ، حتى أدَّى ذلك بعض ملوكهم إلى أن توعَّد الفقهاء وأخافهم ، وبعضهم حبس النَّاس على اشتغالهم " بالمدوَّنة " وأحرقها ، حتَّى اجتمع القاضي ابن زرقون (٥٨٦هـ) في حضرة بعض أمرائهم ، فقال : هل بقي أحد ممَّا ينتحل هذا المذهب ، فقال بعض الظاهريَّة : لم يبق منهم إلَّا القليل ، فقال : أنَّهم يحكمون في دين

---

[١] انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٦٥) .

الله بغير دليل ، يقولون في المصلِّي بنجاسة : يُعيْد في الوقت ، لأنَّ النَّجاسة إن كان غسلها واجب أعاد أبداً وإلَّا فلا إعادة عليه ، فالإعادة في الوقت ما قام عليها دليل . فأجابه ابن زرقون فقال له : الأصل في ذلك حديث الأعرابي الْمَشْهُور وَقَوله : " ارْجع فصل فَإِنَّك لم تصلّ " (١) .

، ولم يأت في طرق الحديث أنَّه أمره بإعادة ما مضى ، فاستكان عند ذلك الأمير ، وقال : دعوا النَّاس على مذاهبهم ، والواجب الاعتراف بفضل أُولئك الأئمَّة المذكورين في السُّؤال وسابقيهم ، وأنَّهم من جملة المرادين بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين " (٢) .

فلا يعتقد ضلالتهم إلَّا أحمق جاهل مبتدع زائغ عن الحقِّ ، ولا يسبُّهم إلَّا فاسق ، فينبغي تبصير الجاهل ، وتأديب الفاسق ، واستتابة المبتدع ... " (٣) .

---

(١) قال الشَّيْخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين . يحيى : هو ابن سعيد القطان ، وعبيد الله : هو ابن عمر العمري . وأخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٥٧) و (٧٩٣) و (٦٢٥٢) ، وفي "القراءة خلف الإمام" (١١٣) ، ومسلم (٣٩٧) (٤٥) ، وأبو داود (٨٥٦) ، والترمذي (٣٠٣) ، والنسائي ٢/ ١٢٤، وأبو يعلى (٦٥٧٧) و (٦٦٢٢) ، وابن خزيمة (٤٦١) و (٥٩٠) ، وأبو عوانة ٢/ ١٠٣-١٠٤، والطحاوي ١/ ٢٣٣، وابن حبان (١٨٩٠) ، والبيهقي ٢/ ٨٨ و١١٧ و٣٧١-٣٧٢، وابن حزم في " المحلى " ٣/ ٢٥٦ من طريق يحيى بن سعيد ، بهذا الإسناد . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . واقتصر البخاري في الموضع الثالث من " الصحيح " على قوله : " ثمَّ ارفع حتى تطمئن جالساً " ، واقتصر في " القراءة " على قوله : " إذا أقيمت الصَّلاة فكبر ، ثمَّ اقرأ ، ثمَّ اركع " . ولم يسق البيهقي لفظه في الموضع الأول والثاني . وسقط أبو سعيد المقبري من رواية ابن حبان .

وأخرجه ابن أبي شيبة ١/ ٢٨٧-٢٨٨، والبخاري في "صحيحه" (٦٢٥١) و (٦٦٦٧) ، وفي " القراءة خلف الإمام " (١١٤) و (١١٥) ، ومسلم (٣٩٧) (٤٦) ، وأبو داود (٨٥٦) ، وابن ماجه (١٠٦٠) و (٣٦٩٥) ، والترمذي (٢٦٩٢) ، وابن خزيمة (٤٥٤) ، وأبو عوانة ٢/ ١٠٣-١٠٤ و١٠٤، والبيهقي ٢/ ١٢٦ و٣٧٢، والبغوي (٥٥٢) من طرق عن عُبَيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة " . انظر هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (١٥/ ٤٠٠-٤٠١) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١/ ٢٥ برقم ٢٩٢) ، البزار في المسند (١٦/ ٢٤٦ برقم ٩٤٢٣ ، وقال : وخالد بن عمرو هذا مُنْكَر الحديث قد حدث بأحايث عن الثوري وغيره لم يتابع عليها وهذا مما لم يتابع عليه وإنَّما ذكرناه لنبين العلة فيه) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٧ برقم ٣٨٨٤) ، الآجري في الشريعة (١/ ٢٦٩) ، الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤ برقم ٥٩٩) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول (ص١٠٢٧ برقم ١١٦٣) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ١٩٨ برقم ٣٣) .

(٣) انظر : الفتاوى الحديثيَّة (ص٢٧٣-٢٧٤) .

وقال الإمام أبو إسحق الشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، كما جاء في طبقات الشافعيَّة - : " وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة ، وعامَّة أصحاب الشَّافعي على مذهبه ، ومذهبه مذهب أهل الحقّ " (١) .

وهذه شهادة من الإمام الشِّيرازي ، بأنَّ مذهب الأشعري هو مذهب أهل الحقِّ ، والشِّيرازي كان عيناً من أعيان الشَّافعيَّة ، وكذا من أعيان القرن الخامس الهجري ، قال الإمام الذَّهبي في ترجمته له : " الإمام الشَّيْخ ، الإِمَامُ ، القُدْوَةُ ، المُجْتَهِدُ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، قَالَ السَّمْعَانِيّ : هُوَ إِمَامُ الشَّافِعِيَّة ، وَمُدَرِّس النِّظَامِيَّة ، وَشيخ العَصْر . رَحل النَّاس إِلَيْهِ مِنَ البِلاَد ، وَقَصدُوْهُ ، وَتَفَرَّد بِالعِلْمِ الوَافر مَعَ السِّيرَةِ الجمِيْلَة ، وَالطَّرِيقَةِ المَرْضِيَّة . جَاءته الدُّنيا صَاغرَةً ، فَأَبَاهَا ، وَاقتصر عَلَى خُشونَة العَيْش أَيَّامَ حيَاتِه .

صَنَّف فِي الأُصُوْل وَالفروعِ وَالخلاَفِ وَالمَذْهَب ، وَكَانَ زَاهِداً ، وَرِعاً ، مُتوَاضعاً ، ظَرِيفاً ، كَرِيْماً ، جَوَاداً ، طَلْقَ الوَجْه ، دَائِمَ البِشْر ، مليحَ المُحاورَة ...

حُكِي عَنْهُ قَال : كُنْتُ نَائِماً بِبَغْدَادَ ، فَرَأَيْت النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُوْلَ الله ! بَلَغَنِي عَنْكَ أَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ عَنْ نَاقِلِي الأَخْبَار ، فَأُرِيْد أَنْ أَسْمَع مِنْكَ حَدِيْثاً أَتشرَّف بِهِ فِي الدُّنيا ، وَأَجعله ذُخراً لِلآخِرَة ، فَقَالَ لِي : يَا شَيْخ ! - وَسَمَّانِي شَيْخاً ، وَخَاطبنِي بِهِ . وَكَانَ يَفرح بِهَذَا - قال عَنِّي : مَنْ أَرَادَ السَّلاَمَةَ ، فَلْيَطْلُبهَا فِي سلاَمَةِ غَيْره . قالَ أَبُو بَكْرٍ الشَّاشِيّ : أَبُو إِسْحَاقَ حُجَّةُ الله عَلَى أَئِمَّة العَصْر ، وَقَالَ المُوفَّق الحَنَفِيّ : أَبُو إِسْحَاقَ أَمِيْر المُؤْمِنِيْنَ فِي الفُقَهَاء . كَانَ الوَزِيْرُ ابْنُ جَهِير كَثِيْراً مَا يَقُوْلُ : الإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ وَحيدُ عصره ، وَفرِيْدُ دَهْرِهِ ، وَمُسْتجَابُ الدَّعوَة (٢) .

وقال الإمام عبد الباقي المواهبي الحنبلي (١٠٧١هـ) : " طوائف أهل السُّنَّة ثلاثة : أشاعرة ، وحنابلة ، وماتريديَّة . بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير من الكُتب الكَلاميَّة ، وجميع كُتب الحنابلة !!! " (٣) .

وهذه شهادة حنبليَّة من عالم حنبلي ، بأنَّ الأشعريَّة ، والماتريديَّة ، والأثريَّة ، هم من يشكِّل أهل السُّنَّة والجماعة ....

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٧٦) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٥٣ فما بعدها) .

(٣) انظر : العين والأثر في عقائد أهل الأثر (ص٥٣).

وقال العلَّامة السَّفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ) في كتابه " لوامع الأنوار البهيَّة " : " أَهْلُ السُّنَّة وَالجَمَاعَةِ ثَلَاثُ فِرَقٍ : الْأَثَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَالْأَشْعَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ " (١) .

وقال أيضاً : " قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : هُمْ يَعْنِي الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ ، أَهْلُ الْحَدِيثِ ، يَعْنِي الْأَثَرِيَّةَ ، وَالْأَشْعَرِيَّةَ ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةَ " (٢) .

وهذه شهادة حنبليَّة أخرى من عالم حنبليٍّ محقِّق ، عالم بالحديث والأصول والأدب ، بأنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةَ ، الْأَثَرِيَّةَ هم مجموع أهل السُّنَّة والجماعة ...

وقال الإمام أحمد الدَّردير (١٢٠١هـ) في شرحه على منظومته في العقائد المسمَّاة بـ" خريدة التَّوحيد " : " أئمَّة الأُمَّة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق ، فرقة نصَّبت نفسها لبيان الأحكام الشرعيَّة العمليَّة ، وهم الأئمَّة الأربعة وغيرهم من المجتهدين ، ولكن لم يستقر من المذاهب المرضيَّة سوى مذاهب الأئمَّة الأربعة ، وفرقة نصَّبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السَّلف ، وهم : الأشعري ، والماتريدي ، ومن تبعهما ، وفرقة نصَّبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدِّمتان ، وهم : الإمام أبو القاسم الجُنيد (٢٩٧هـ) ومن تبعه ، فهؤلاء الفرق الثَّلاثة هم خواصُّ الأُمَّة المحمَّديَّة ، ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال ، وإن كان البعض منهم يحكم له بالإسلام ، فالنَّاجي من كان في عقيدته على طبق ما بيَّنه أهل السُّنَّة " (٣) .

وهذه شهادة من عالمٍ فاضلٍ نِحرير مالكيٍّ على أنَّ الفرقة الحقّ في الأصول هي الفرقة التي نصَّبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السَّلف ، وهم : الأشعري ، والماتريدي ، ومن تبعهما . فالأشعري والماتريدي بشهادة الإمام الدَّردير سارا على سَنَن السَّلف الصَّالح فيما ذهبا إليه ...

وقال الإمام الزبيدي (١٢٠٥هـ) في " إتحاف السَّادة المتَّقين " : " إذا أُطلق أهل السُّنَّة والجماعة ، فالمراد بهم الأشاعرة والماتريديَّة . قال الخيَّالي في " حاشيته على شرح العقائد " : الأشاعرة هم أهل السُّنَّة والجماعة ، هذا هو

---

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٧٣).

(٢) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٧٦) .

(٣) انظر : حاشية الشَّيْخ محمَّد نجيب المطيعي على شرح الدردير على الخريدة في علم التوحيد (ص١٩٣-١٩٤) .

المشهور في ديار خراسان ، والعراق ، والشَّام ، وأكثر الأقطار ، وفي ديار ما وراء النَّهر يطلق ذلك على الماتريديَّة أصحاب الإمام أبي منصور ، بين الطَّائفتين اختلاف في بعض المسائل كمسألة التَّكوين وغيرها . اهـ . وقال الكستلي في حاشيته عليه : المشهور من أهل السُّنَّة في ديار خراسان ، والعراق ، والشَّام ، وأكثر الاقطار : هم الأشاعرة ، أصحاب أبي الحسن الأشعري أوَّل من خالف أبا علي الجبائي ورجع عن مذهبه إلى السُّنَّة ، أي : طريق النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجماعة ، أي : طريقة الصَّحابة رضي الله عنهم . وفي ديار ما وراء النَّهر ، الماتريديَّة أصحاب أبي منصور الماتريدي ، تلميذ أبي نصر العياضي ، تلميذ أبي بكر الجوزجاني ، صاحب محمَّد بن الحسن ، صاحب الإمام أبي حنيفة ، وبين الطَّائفتين اختلاف في بعض الأصول ، كمسألة التَّكوين ، ومسألة الاستثناء في الإيمان ، ومسألة إيمان المقلِّد ، والمحقِّقون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضَّلالة . أهـ . قال ابن السُّبكي في " شرح عقيدة ابن الحاجب " : اعلم أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة كلُّهم قد اتَّفقوا على معتقد واحد فيما يجب ، ويجوز ، ويستحيل ، وإن اختلفوا في الطُّرق والمبادئ الموصلة لذلك أو في لمِّيّة ما هنالك ، وبالجُملة فهم بالاستقرار ثلاث طوائف :

الأُوْلَى : أهل الحديث ، ومعتمد مباديهم الأدلَّة السَّمعيَّة ، أعني الكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع .

الثَّانِيَةُ : أهل النَّظر العقليِّ والصناعة الفكريَّة ، وهم الأشعريَّة ، والحنفيَّة ، وشيخ الأشعريَّة أبو الحسن الأشعري ، وشيخ الحنفيَّة أبو منصور الماتريدي ، وهم متَّفقون في المبادئ العقليَّة في كلِّ مطلب يتوقَّف السَّمع عليه ، وفي المبادئ السَّمعيَّة ، فيما يدرك العقل جوازه فقط ، والعقليَّة السَّمعيَّة في غيرها ، واتَّفقوا في جميع المطالب الاعتقاديَّة إلَّا في مسألة التَّكوين ، ومسالة التَّقليد .

الثَّالِثَةُ : أهل الوجدان والكشف ، وهم أهل الصُّوفيَّة ، ومباديهم مبادئ أهل النَّظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النِّهاية ..." [1] .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ : عَنْ مُعْتَقَدِنَا) أَيْ : عَمَّا نَعْتَقِدُ مِنْ غَيْرِ الْمَسَائِلِ الْفَرْعِيَّةِ مِمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ ، بِلَا تَقْلِيدٍ لِأَحَدٍ ، وَهُوَ مَا

---

[1] انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ٦-٧) .

عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَهُمْ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ ، وَهُمْ مُتَوَافِقُونَ إلَّا فِي مَسَائِلَ يَسِيرَةٍ أَرْجَعَهَا بَعْضُهُمْ إلَى الْخِلَافِ اللَّفْظِيِّ كَمَا بُيِّنَ فِي مَحَلِّهِ " (١) .

قُلْتُ : وكعادتهم قام المتمسلفون بحذف هذه الفقرة من كتاب " حاشية ردّ المحتار على الدرِّ المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة " لابن عابدين ، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر ، بيروت ، (١٤٢١هـ) ، (٢٠٠٠م) ، الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، فتبّاً لهم ...

وقال الشَّيْخ محمَّد العربي بن التَّبَّاني (١٣٩٠هـ) شيخ المالكيَّة في الحرم المكِّي : " فُحُول المحدِّثين من بعد أبي الحسن إلى عصرنا هذا أشاعرة ، وكتب التَّاريخ والطَّبقات ناطقة بذلك " (٢).

وقال الأُستاذ حسن أيُّوب : " أهل السُّنَّة هم أبو الحسن الأشعري ، وأبو منصور الماتريدي ، ومن سلك طريقهما ، وكانوا يسيرون على طريقة السَّلف الصَّالح في فهم العقائد ، وقد جعلوا القرآن الكريم المنهل العذب الذي يلجأون إليه في تعرف عقائدهم ، فكانوا يفهمون من الآيات القرآنيَّة مسائل العقائد ، وما أشبه عليهم منها حاولوا فهمه بما توحيه أساليب اللغة ولا تنكره العقول ، فإن تعذَّر عليهم توقَّفوا وفوَّضوا ، وقد سُمِّي أتباع أبي الحسن الأشعري : الأشاعرة ، وأبي منصور الماتريدي بالماتريديَّة " (٣) .

وقالت دائرة الإفتاء في المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة برئاسة سماحة المفتي العام الدُّكتور نوح علي سلمان القضاة في جواب عن سؤال : هل أهل السُّنَّة في الأردن هم الأشاعرة ؟

الجواب : الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله ...

الأشاعرة هم جمهور أهل السُّنَّة والجماعة من المالكيَّة والشافعيَّة ، وأمَّا الحنفيَّة فهم ماتريديَّة ، يتبعون أبا منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) ، والخلاف بينهم وبين الأشاعرة محدود ، وأمَّا الحنابلة فبعضهم أشاعرة ، وبعضهم عُرفوا بـ " الحنابلة " ، وأطلق عليهم فيما بعد اسم " السَّلفيَّة " : وجميع هؤلاء هم أهل السُّنَّة ، ويقابلهم المعتزلة والخوارج .

---

(١) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٤٩) .

(٢) انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (ص١١٢) .

(٣) انظر : تبسيط العقائد الإسلامية (ص٢٩٩) .

ومُجمل العقيدة التي يقرِّرها أهل السُّنَّة مستمدَّة من أصول الكتاب والسُّنَّة ، وأمَّا بعض التَّفاصيل الكلاميَّة فهي مسائل اجتهاديَّة الخلاف فيها سائغ ، ولا ينكر علماء الكلام فيها بعضهم على بعض .

ونسبة الأشاعرة ترجع إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ) رحمه الله ، وهو الإمام الذي سلَّمت الأُمَّة له بالقبول والرِّضا في علوم التَّوحيد ، وأثنى على تقريراته العلماء ، إذ كان صاحب سُنَّة ومنهج معتدل ، حتى روى الإمام البيهقي رحمه الله في " السُّنن الكبرى " (١٠/٢٠٧) أنَّه لَّما قَرُبَ حضور أجل أبي الحسن الأشعري قال لبعض أصحابه : اشهَدْ عليَّ أنِّي لا أكفِّر أحداً من أهل القبلة ، لأنَّ الكلَّ يشيرون إلى معبود واحد ، وإنَّما هذا كلُّه اختلاف العبارات . وقد ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري في زمن استفحل فيه أمر المعتزلة والفلاسفة الذين يُقَدِّمُون معطياتِ عقولهم على نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وكان يقابلهم بعض الحنابلة الذين يُقَدِّمُون ظاهر النُّصوص على معطيات العقول ، فاختطَّ أبو الحسن الأشعري منهجاً يجمع بين العقل والنَّقل ، وقال تلاميذه : الشَّرع كالشَّمس ، والعقل كالعين ، ولا يكون الإبصار إلَّا بهما . وقد ارتضى منهجه كبار علماء المسلمين من الحنفيَّة ، والشافعيَّة ، والمالكيَّة ، وطائفة كبيرة من الحنابلة ، والله أعلم " [1] .

وبرغم ما تقدَّم من كون الأشاعرة يشكِّلون السَّواد الأعظم من أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد عكف المتمسلفون على تكفيرهم وتبديعهم وتفسيقهم ، حتى لم يُبقوا على الإيمان إلَّا من كان منهم أو على شاكلتهم ...

فالمتمسلفة اعتادوا على رمي كلّ من ناوأهم وخالفهم بالبدعة ، سواء كان من المتقدِّمين أو من المتأخِّرين ، حتى وصل الأمر بهم إلى الاعتراض على الصَّحابة ، كما صنع ابن باز في تعقُّبه للحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري حيثُ كفَّر ابنُ باز الصَّحابي الجليل بلال بن الحارث المزني ... وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ... وقد تسنَّى لهم ذلك بعـــد أن اخترعـــوا لأنفسهم تعريفاً خاصَّاً للبدعة ...

وللردِّ عليهم نقول : أمَّا البدعة في الشَّرع ، فقد تباينت أقوال العلماء في تعريفها ، فمنهم من حصرها بالحادث المذموم ... ومنهم من أطلق البدعة على كلِّ مستحدث من الأشياء ، سواء كان ممدوحاً أو مذموماً ، وسواء كان من العبادات أو العادات ، فمن الفريق الأوَّل : الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) ، الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) ، الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، الإمام ابن الأثير (٦٣٠هـ) ، الإمام أبو شامة (٦٦٥هـ) ، الإمام السُّبكي (٧٥٦هـ) ، الإمام العز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) ، الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) ، الإمام التَّفتازاني

---

[1] رقم الفتوى : ٤٨٩ ، التاريخ : ٠٢-٠٢-٢٠١٠ .

(٧٩٢هـ) ، الإمام ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ، الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، الإمام العيني (٨٥٥هـ) ، الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) ، وغيرهم كثير [١] ...

ومن الفريق الثَّاني : الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) ، الإمام الشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، الإمام ابن الوزير (٨٤٠هـ) ، الإمام محمَّد صدِّيق خان (١٣٥٧هـ) ، وغيرهم [٢] .

ولعلَّ من أفضل التَّعريفات التي عرَّف العلماءُ بها البدعة ، ما عرَّفها به الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) ، قال : " ... فكم من مُحدث حسن ، كما قيل في إقامة الجماعات في التَّراويح إنَّها من محدثات عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وأنَّها بدعة حسنة ، إنَّما البدعة المذمومة ما يصادم السُّنَّة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها " [٣] .

" فليس كُلُّ مَا أُبْدِعَ مَنْهِيّاً ، بَلِ الْمَنْهِيُّ بِدْعَةٌ تُضَادُّ سُنَّةً ثَابِتَةً وَتَرْفَعُ أَمْراً مِنَ الشَّرْعِ مع بقاء علَّته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيَّرت الأسبـــــاب " [٤] .

وعلى ذلك ، فإنَّ البدعة تنقسم إلى قسمين : بدعةٌ حسنةٌ ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة سيِّئة ، وهي ما خالف الشَّرع ... وقد فهم العلماء هذا التَّقسيم للبدعة من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " [٥] ، والحديث نصٌّ صريحٌ في أنَّ العمل لا يكون مردوداً إلَّا إذا كان على خلاف الشَّريعة ، أمَّا إذا كان موافقاً للشَّريعة فليس مردوداً ، بل هو من الشَّريعة ، بدليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي

---

[١] انظر بالترتيب : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٧٦) ، تلبيس إبليس (ص١٦) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦) ، الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢-٢٣) ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٣/ ٤١٨) ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٠٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٢) ، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ٧٧) ، شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٢٧١) ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (٢/ ١٢٨) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٥٣) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ١٢٦) .

[٢] انظر بالترتيب : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٦٣) ، الاعْتِصَام (١/ ٥٢ فما بعدها) ، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد (ص١٠٧ ، ٢٢٣) ، الدِّين الخالص (٣/ ٢٠) .

[٣] انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٧٦) .

[٤] انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٣) .

[٥] أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، ١٩٩٨م ، مسلم (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " (١) .

وبناء على ذلك قال الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) : " الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : بِدْعَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَذْمُومَةٌ . فَمَا وَافَقَ السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُودٌ ، وَمَا خَالَفَ السُّنَّة فَهُوَ مَذْمُومٌ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن محمَّد المعافري ، أبو بكر ابن العربي (٥٤٣هـ) : " اعلموا علَّمكم الله أنَّ المُحْدث على قسمين : مُحدث ليس له أصل إلَّا الشَّهوة والعمل بمقتضى الإرادة ، فهذا باطل قطعاً ، ومُحْدث يحمل النَّظير على النَّظير ، فهذه سنة الخلفاء والأئمَّة الفضلاء ، وليس المُحْدث والبدعة مذموماً للفظ مُحْدث وبدعة ، ولا لمعناها ، فقد قال الله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢] ، وقال عمر : " نعمت البدعة هذه " ، إنَّما يذمُّ من البدعة ما خالف السُّنَّة ، ويذمُّ من المحدثات ما دعا إلى ضلالة " (٣) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " الْبِدْعَةُ بِدْعَتَان : بِدْعَةُ هُدًى ، وَبِدْعَةُ ضَلَالٍ ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ ، وَمَا كَانَ وَاقِعاً تَحْتَ عُموم مَا نَدب اللهُ إِلَيْهِ وحَضَّ عَلَيْهِ اللهُ أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كنَوْع مِنَ الجُود وَالسَّخَاءِ وفعْل الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٤٩٤م ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨) .

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) .

(٣) انظر : عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١/ ١٤٩) .

الْمَحْمُودَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَردَ الشَّرْعُ بِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعل لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَاباً " (١) .

والغريب في هذا المقام أن نجد الإمام ابن تيمية الحرَّاني قسَّم البدعة إلى قسمين : بدعة حسنة مستحبَّة ، وهي التي وافقت الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع ، وبدعة سيِّئة مذمومة ، وهي التي خالفت كتاباً أو سنّةً أو إجماعاً أوأثراً عن بعض أصحاب رسول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذه بدعة ضلالةٍ ...

قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبَّة ، فهي بدعة سيِّئة ، وهي ضلالة باتِّفاق المسلمين . ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة ، فإنَّما ذلك إذا قام دليل شرعيٌّ على أنها مستحبَّة ، فأمَّا ما ليس بمستحب ولا واجب ، فلا يقول أحد من المسلمين إنَّها من الحسنات التي يتقرَّب بها إلى الله " (٢) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " ومن هنا يُعرف ضلال من ابتدع طريقاً أو اعتقاداً زعم أنَّ الإيمان لا يتمُّ إلا به ، مع العلم بأنَّ الرَّسول لم يذكره ، وما خالف النُّصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين ، وما لم يعلم أنَّه خالفها ، فقد لا يُسمَّى بدعة ، قال الشَّافعيُّ – رحمه اللهّ –: البدعة بدعتان : بدعة خالفت كتاباً وسنّةً وإجماعاً وأثراً عن بعض أصحاب رسول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذه بدعة ضلالةٍ . وبدعة لم تخالف شيئاً من ذلك ، فهذه قد تكون حسنةً لقول عمر : " نعمت البدعة هذه " . هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصَّحيح في المدخل " (٣) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " إذاً البدعة الحسنة – عند من يقسِّم البدع إلى حسنةٍ وسيِّئةٍ – لا بدَّ أن يستحبَّها أحدٌ من أهل العلم الّذين يُقتدى بـهم ، ويقوم دليلٌ شرعيٌّ على استحبابـها ، وكذلك من يقول : البدعة الشَّرعيَّة كلّها مذمومة لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح : " كلّ بدعةٍ ضلالة " ، ويقول قول عمر في التَّراويح : " نعمت البدعة هذه " إنَّما أسماها بدعةً : باعتبار وضع اللّغة . فالبدعة في الشَّرع عند هؤلاء ما لم يقم دليل شرعيٌّ على استحبابه " (٤) .

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ابن تيمية (١/ ١٦٢) ، جمع وترتيب : عبد الرَّحمن بن محمَّد وساعده ولده محمد .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٢٠/ ١٦٣) ، جمع وترتيب : عبد الرَّحمن بن محمَّد وساعده ولده محمَّد .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٢٧/ ١٥٢) ، جمع وترتيب : عبد الرَّحمن بن محمَّد وساعده ولده محمَّد .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " قال الشّافعيّ " البدعة بدعتان : محمودة ومذمومة ، فما وافق السُّنَّة فهو محمود ، وما خالفها فهو مذموم . أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجُنيد عن الشَّافعيِّ ، وجاء عن الشَّافعيِّ أيضاً ما أخرجه البيهقي في مناقبه ، قال : " المحدثات ضربان : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنّة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضَّلال ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك ، فهذه محدثة غير مذمومة " انتهى . وقسَّم بعض العلماء البدعة إلى الأحكـــام الخمسة ، وهو واضح " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ : مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعاً ، وَإِنْ كَانَ بِدْعَةً لُغَةً " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " والبدعة فِي الأَصْل أَحْدَاث أَمر لم يكن فِي زمن رَسُول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ الْبِدْعَة على نَوْعَيْنِ : إِن كَانَت مِمَّا ينْدَرج تَحت مستحسن فِي الشَّرْع ، فَهِيَ بِدعَة حَسَنَة ، وَإِن كَانَت مِمَّا ينْدَرج تَحت مستقبح فِي الشَّرْع ، فَهِيَ بِدعَة مستقبَّحة " (٣) .

وذهب بعض العلماء إلى تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة : وهي الواجب ، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والحرام .

قال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " الْبِدْعَةُ فِعْلُ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إلَى : بِدْعَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَنْدُوبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُبَاحَةٌ ، وَالطَّرِيقُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ أَنْ تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ : فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِيجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَنْدُوبِ فَهِيَ مَنْدُوبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ ، وَلِلْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثِلَةٌ .

---

(١) انظر : الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشيطان (١/ ١٦٢) .

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (٢/ ١٢٧) .

(٣) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ١٢٦) .

أَحَدُهَا : الِاشْتِغَالُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللهِّ وَكَلَامُ رَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأَتَّى حِفْظُهَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .

الْمِثَالُ الثَّانِي : حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ مِنْ اللُّغَةِ .

الْمِثَالُ الثَّالِثُ : تَدْوِينُ أُصُولِ الْفِقْهِ .

الْمِثَالُ الرَّابِعُ : الْكَلَامُ فِي الْجُرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْ السَّقِيمِ ، وَقَدْ دَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ فَرْضُ كِفَايَةٍ فِيمَا زَادَ عَلَى الْقَدْرِ الْمُتَعَيِّنِ ، وَلَا يَتَأَتَّى حِفْظُ الشَّرِيعَةِ إلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : إحْدَاثُ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ الْقَنَاطِرِ ، وَمِنْهَا كُلُّ إحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ، وَمِنْهَا : صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصَوُّفِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْجَدَلِ فِي جَمْعِ الْمَحَافِلِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَسَائِلِ إذَا قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللهِّ سُبْحَانَهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : زَخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ ، وَمِنْهَا تَزْوِيقُ الْمَصَاحِفِ ، وأَمَّا تَلْحِينُ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ تَتَغَيَّرُ أَلْفَاظُهُ عَنْ الْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ ، فَالْأَصَحُّ أَنَّه مِنْ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُبَاحَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : الْمُصَافَحَةُ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ ، وَمِنْهَا التَّوَسُّعُ فِي اللَّذِيذِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ ، وَلُبْسِ الطَّيَالِسَةِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ . وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ، فَيَجْعَلُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَيَجْعَلُهُ آخَرُونَ مِنْ السُّنَنِ الْمَفْعُولَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الصَّلاة وَالْبَسْمَلَةِ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) في كلامه على قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " : " هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ ، وَالْمُرَادُ غَالِبُ الْبِدَعِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : هِيَ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَام : وَاجِبَةٌ ، وَمَنْدُوبَةٌ ، وَمُحَرَّمَةٌ ، وَمَكْرُوهَةٌ ، وَمُبَاحَةٌ . فَمِنَ الْوَاجِبَةِ : نَظْمُ أدلة المتكلمين لِلرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ وَشِبْهُ ذَلِكَ وَمِنَ الْمَنْدُوبَةِ تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ وَبِنَاءُ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَمِنَ الْمُبَاحِ التَّبَسُّطُ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَالْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ ظَاهِرَانِ وَقَدْ أَوْضَحْتُ

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٠٤-٢٠٥) .

الْمَسْأَلَةَ بِأَدِلَّتِهَا الْمَبْسُوطَةِ فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ قَوْلُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي التَّرَاوِيحِ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ وَلَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامّاً مَخْصُوصاً قَوْلُهُ كُلُّ بِدْعَةٍ مُؤَكَّداً بِكُلِّ بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) أيضاً في كلامه على قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا " : " فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ ، وَسَنِّ السُّنَنِ الْحَسَنَاتِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ . وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّه قَالَ فِي أَوَّلِهِ : فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، فَتَتَابَعَ النَّاس ، وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ ، وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ : الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ ، وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ . وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ الْبِدَعَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ وَاجِبَةٌ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدِّين الكرماني (٧٨٦هـ) أيضاً : " والبدعة كلُّ شيء عُملَ على غير مثالٍ سابقٍ ، وهي خمسةُ أقسامٍ : واجبة ، ومندوبة ، ومحرَّمة ، ومكروهة ، ومباحة ، وحديث كلُّ بدعة ضلالة من العامِّ المخصوص " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " وَالْبِدْعَةُ أَصْلُهَا مَا أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَتُطْلَقُ فِي الشَّرْعِ فِي مُقَابِلِ السُّنَّة ، فَتَكُونُ مَذْمُومَةً . وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَحْسَنٍ فِي الشَّرْعِ ، فَهِيَ حَسَنَة ، وَأَن كَانَت مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَقْبَحٍ فِي الشَّرْعِ ، فَهِيَ مُسْتَقْبَحَةٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ ، وَقَدْ تَنْقَسِمُ إِلَى الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ ... " (٤) .

---

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٥٤-١٥٥) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٠٤) .

(٣) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٩/ ١٥٤) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٥٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) في شرحه لقول عمر : " نَعِمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ " : " ... فَسَمَّاهَا بِدْعَةً لأَنَّه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمْ يَسُنَّ الِاجْتِمَاعَ لَهَا ، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَانِ الصِّدِّيقِ . وَهُوَ لُغَةً مَا أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ ، وَتُطْلَقُ شَرْعاً عَلَى مُقَابِلِ السُّنَّةِ وَهِيَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثُمَّ تَنْقَسِمُ إِلَى الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) : " الْبِدْعَةُ لُغَةً مَا عُمِلَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَا عُمِلَ مِنْ دُونِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ شَرْعِيَّةٌ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا سُنَّةٍ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) .

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ : كَحِفْظِ الْعُلُومِ بِالتَّدْوِينِ ، وَالرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ .

وَمَنْدُوبَةٌ : كَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ . وَمُبَاحَةٌ : كَالتَّوْسِعَةِ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَفَاخِرِ الثِّيَابِ .

وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ : وَهُمَا ظَاهِرَانِ . فَقَوْلُهُ : كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ عَامٌّ مَخْصُوصٌ " (٢) .

قال الإمام محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي ابن عابدين (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ أَيْ صَاحِبُ بِدْعَةٍ) أَيْ : مُحَرَّمَةٍ ، وَإِلَّا فَقَدْ تَكُونُ وَاجِبَةً ، كَنَصْبِ الْأَدِلَّةِ لِلرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ ، وَتَعَلُّمِ النَّحْوِ الْمُفْهِمِ لِلْكِتَابِ والسُّنَّة وَمَنْدُوبَةً كَإِحْدَاثِ نَحْوِ رِبَاطٍ وَمَدْرَسَةٍ وَكُلِّ إحْسَانٍ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ، وَمَكْرُوهَةٍ كَزَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ . وَمُبَاحَةٍ كَالتَّوَسُّعِ بِلَذِيذِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالثِّيَابِ " (٣) .

وبناء على تعريف العلماء للبدعة ، يتبيَّن لنا أنَّهم فهموا أنَّ البدعة المذمومة هي ما أُحدث على غير مثال سابق ممَّا يضادّ الدِّين ، أمَّا ما كان موافقاً للأصول فلا يُعتبر بدعة ... قال الإمام أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطَّابي (٣٨٨هـ) : " وقوله : " كلُّ محدثة بدعة " ، فإنَّ هذا خاصٌّ في بعض الأمور دون بعض ، وكلُّ شيء أُحدث على غير أصل من أصول الدِّين وعلى غير عياره وقياسه . وأمَّا ما كان منها مبنيّاً على قواعد الأصول ومردودٌ إليها ، فليس ببدعة ، ولا ضلالة ، والله أعلم " (٤) .

---

(١) انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/ ٤١٨) .

(٢) انظر : سبل السَّلام (١/ ٤٠٢) .

(٣) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٥٦٠) .

(٤) انظر : معالم السنن (٤/ ٣٠١) .

وممَّا يدلُّ على البدعة الحسنة : قوله تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٧] ، " قال أبو أُمامة الباهلي وغيره : معنى الآية : لم نكتبهاعليهم ، ولم يبتدعوها إلَّا ابتغاء رضوان الله ، فعاتبهم الله بتركها .

قال الحارث : وهذا أولى التَّفسيرين بالحقِّ ، يريد قول أبي أمامة ، قال : وعليه أكثر العلماء ، وقال الحارث : فذمَّهم الله عليه بترك رعاية ما ابتدعوا ، فكيف بمن ضيَّع رعاية ما وجب الله عليه ... ثمَّ قال : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ﴾ [الحديد : ٢٧] ، أي : فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسوله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرَّهبانيَّة ثوابهم على فعلهم " (١) .

هذا مع العلم أنَّ السَّلف الصَّالح ابتدعوا العديد من الأمور الحسنة ...

ومن البدع الحسنة الممدوحة التي أحدثها المسلمون بعد انتقال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرَّفيق الأعلى :

أَوَّلاً : نَقْطُ الْمُصْحَف : فمن المعلوم أنَّ المصاحف كُتبت بلا نقط ، وأنَّ أوَّل من نقط المصحف أحد التَّابعين ، واسمه : يحيى بن يعمر (٣١٦هـ) ، فقد روى ابن أبي داود السِّجستاني في كتاب المصاحف بسنده إلى هارون بن موسى ، قَالَ : " أَوَّلُ مَنْ نَقَّطَ الْمُصَاحِفَ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ " (٢) .

ثَانِياً : إِحْدَاثُ خُبَيْبٍ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَمَا قُدِّمَ لِلقَتْلِ : فقد روى البخاري وغيره بسندهم إلى أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : " قَالَ بَعَثَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَة رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْناً ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ ، وَهْوَ بَيْنَ عُسْفَانَ ومكَّة ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو لِحْيَانَ ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيباً مِنْ مِئَتَي رَجُلٍ ، كُلُّهُمْ رَامٍ ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ ، حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْراً تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ ، فلمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَؤُوا إِلَى فَدْفَدٍ ،

---

(١) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١١/ ٧٣٣٥-٧٣٣٦) ، وللاستزادة انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٤٩) .

(٢) انظر : كتاب المصاحف (ص٣٢٤) .

وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا لَهُمْ : انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ ، وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَداً . قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ : أَمَّا أَنَا فَوَاللهِ لاَ أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِماً فِي سَبْعَةٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ ، وَابْنُ دَثِنَةَ ، وَرَجُلٌ آخَرُ ، فلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللهِ لاَ أَصْحَبُكُمْ إِنَّ فِي هَؤُلاَءِ لأُسْوَةً يُرِيدُ الْقَتْلَى ، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى ، فَقَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَابْتَاعَ خُبَيْباً بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيراً ، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهم حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ، فَأَخَذَ ابْناً لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ ، قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي ، فَقَالَ : تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ . وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ ، وأَنَّه لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ : أَنَّه لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيْباً ، فلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ : ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، فَتَرَكُوهُ ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثمَّ قَالَ : لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً   عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ للهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ   يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْراً ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ فَأَخْبَرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّه قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ ، فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئاً " (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣٠٤٥) ، أحمد في المسند (٢/ ٣١٠ برقم ٨٠٨٢) ، النسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٢٣ برقم ٨٧٨٨) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٥/ ٥١٢ برقم ٧٠٣٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٢١ برقم ٤١٩١) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٣ برقم ٩٧٣٠) .

ثَالِثَاً : جَمْعُ عُمَر بن الخَطَّابِ المُصَلِّيْنَ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ فِي جَمَاعَة : فقد روى البخاري وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ ، أَنَّه قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاس أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ ، لَكَانَ أَمْثَلَ ، ثمَّ عَزَمَ ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، ثمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى ، والنَّاس يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ : نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ ، يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاس يَقُومُونَ أَوَّلَهُ " (١) .

قال الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدِّين الكرماني (٧٨٦هـ) : " وإنَّما دعاها بدعة ، لأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسنّها ، ولا كانت في زمن أبي بكر ، ورغَّب فيها بقوله : " نعم " ليدلَّ على فضلها ، ولئلَّا يمنع هذا اللقب من فعلها . ويقال : نعم كلمة تجمع المحاسن كلّها ، وبئس كلمة تجمع المساوئ كلّها ... " (٢) .

رَابِعَاً : زِيَادَةُ عُثْمَان الأذَان الثَّالِث يوم الجُمُعَة : فقد روى البخاري بسنده عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : " كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى المِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَثُرَ النَّاس زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ " ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : " الزَّوْرَاءُ : مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالمَدِينَةِ " (٣) .

وروى البخاري بسنده عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ " أَنَّ الَّذِي زَادَ التَّأْذِينَ الثَّالِثَ يَوْمَ الجُمُعَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حِينَ كَثُرَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنٌ غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَكَانَ التَّأْذِينُ يَوْمَ الجُمُعَةِ حِينَ يَجْلِسُ الإِمَامُ " ، يَعْنِي عَلَى المِنْبَرِ " (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٥ برقم ٢٠١٠) ، مالك في الموطأ (٢/ ١٥٨ برقم ٣٧٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٦٩٥ برقم ٤٢٧٥) ، شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩ برقم ٩٩٠) .

(٢) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٩/ ١٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨ برقم ٩١٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٨ برقم ٩١٣) .

قال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) : " فِي رِوَايَةِ أَبِي عَامِرٍ عَن بن أبي ذِئْب عِنْد بن خُزَيْمَةَ كَانَ ابْتِدَاءُ النِّدَاءِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَهُ فِي رِوَايَةِ وَكِيع عَن بن أَبِي ذِئْبٍ : كَانَ الْأَذَانُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعمر أذانين يَوْم الْجُمُعَة . قَالَ بن خُزَيْمَةَ : قَوْلُهُ : " أَذَانَيْنِ يُرِيدُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ " ، يَعْنِي : تَغْلِيباً أَوْ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِعْلَامِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَبْوَابِ الْأَذَانِ . قَوْلُهُ : " إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ " ، فِي رِوَايَةِ أَبِي عَامِرٍ الْمَذْكُورَةِ ، إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ وَإِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاة ، وَكَذَا للبيهقي من طَرِيق بن أبي فديك عَن بن أَبِي ذِئْبٍ ، وَكَذَا فِي رِوَايَةِ الْمَاجِشُونِ الْآتِيَةِ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَلَفْظُهُ : وَكَانَ التَّأْذِينُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ يَجْلِسُ الْإِمَامُ ، يَعْنِي : عَلَى الْمِنْبَرِ . وَأَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنِ الْمَاجِشُونِ بِدُونِ قَوْله يَعْنِي وللنسائي من رِوَايَةِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ كَانَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُ إِذَا جَلَسَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَإِذَا نَزَلَ أَقَامَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَحْوُهُ فِي مُرْسَلِ مَكْحُولٍ قَرِيباً . قَالَ الْمُهَلَّبُ : الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ الْأَذَانِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ لِيَعْرِفَ النَّاس بِجُلُوسِ الْإِمَامِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَيُنْصِتُونَ لَهُ إِذَا خَطَبَ ، كَذَا قَالَ ، وَفِيهِ نظر ، فَإِن فِي سِيَاق بن إِسْحَاقَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ بِلَالاً كَانَ يُؤَذِّنُ عَلَى بَاب الْمَسْجِد ، فَالظَّاهِرُ أَنَّه كَانَ لِمُطْلَقِ الْإِعْلَامِ لَا لِخُصُوصِ الْإِنْصَاتِ ، نَعَمْ لَمَّا زِيدَ الْأَذَانُ الْأَوَّلُ كَانَ لِلْإِعْلَامِ ، وَكَانَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيِ الْخَطِيبِ لِلْإِنْصَاتِ .

قَوْلُهُ : فلمَّا كَانَ عُثْمَانُ ، أَيْ : خَلِيفَةً . قَوْلُهُ : وَكَثُرَ النَّاس ، أَيْ : بِالْمَدِينَةِ ، وَصَرَّح بِهِ فِي رِوَايَةِ الْمَاجِشُونِ ، وَظَاهِرُهُ أَنَّ عُثْمَانَ أَمَرَ بِذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ خِلَافَتِهِ ، لَكِنْ فِي رِوَايَةِ أَبِي ضَمْرَةَ عَنْ يُونُس عِنْدَ أَبِي نُعَيْم فِي الْمُسْتَخْرَجِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ مُضِيِّ مُدَّةٍ مِنْ خِلَافَتِهِ . قَوْلُهُ : زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ فِي رِوَايَة وَكِيع عَن بن أَبِي ذِئْبٍ ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِالْأَذَانِ الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُهُ لِلشَّافِعِيِّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا ، لأَنَّه بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مَزِيداً يُسَمَّى ثَالِثاً وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ جُعِلَ مُقَدَّماً عَلَى الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ يُسَمَّى أَوَّلاً ، وَلَفْظُ رِوَايَةِ عَقِيلٍ الْآتِيَةِ بَعْدَ بَابَيْنِ أَنَّ التَّأْذِينَ بِالثَّانِي أَمَرَ بِهِ عُثْمَانُ ، وَتَسْمِيَتُهُ ثَانِياً أَيْضاً مُتَوَجِّهٌ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَذَانِ الْحَقِيقِيِّ لَا الْإِقَامَةِ ... " [١] .

خَامِسَاً : جَمْعُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم لِلقُرْآنِ العَظِيْمِ فِي مُصْحَفٍ وَاحِد : فقد روى البخاري بسنده عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ : إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ ،

---

[١] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٩٣) .

وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ ، قُلْتُ لِعُمَرَ : كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ عُمَرُ : هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ ، قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ ، فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ ، قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، قَالَ : هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، حتى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ " (١) .

فالخير العميم الذي حدث بجمع القرآن العظيم كان بإشارة من فاروق الأُمَّة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بعد أن استحرَّ القتل بالقرَّاء ، أشار به على خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبي بكر ، وعندما استغرب أبو بكر أن يفعل فعلاً لم يفعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واصل عمر في الحثِّ على جمع القرآن حتى شرح الله تعالى صدر أبي بكر لهذا العمل الجليل ... ثمَّ إن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصف ما أشار به على أبي بكر بأنَّه خير ، وخيريَّته منسجمةٌ تماماً مع قول الله تعالى : ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج : ٧٧] .

سَادِسَاً : أَخْذُ الأُجْرَةِ عَلَى الرُّقْيَةِ : فقد روى التِّرمذي بسنده عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَنَزَلْنَا بِقَوْمٍ ، فَسَأَلْنَاهُمُ القِرَى فَلَمْ يَقْرُونَا ، فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْقِي مِنَ العَقْرَبِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ أَنَا ، وَلَكِنْ لاَ أَرْقِيهِ حَتَّى تُعْطُونَا غَنَماً ، قَالُوا : فَإِنَّا نُعْطِيكُمْ ثَلاَثِينَ شَاةً ، فَقَبِلْنَا فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ : الحَمْدُ للهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَبَرَأَ وَقَبَضْنَا الغَنَمَ ، قَالَ : فَعَرَضَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْهَا شَيْءٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٣ برقم ٤٩٨٦) .

فَقُلْنَا : لاَ تَعْجَلُوا حَتَّى تَأْتُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فلمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي صَنَعْتُ ، قَالَ : وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ اقْبِضُوا الغَنَمَ وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ " (١) .

فأبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اجتهد ، وأقرَّه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اجتهاده ، مع أنَّه لم يسمعه قبلُ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإنَّما اعتمد بعد الله تعالى على فهمه الذي أعطاه الله إيَّاه ، وقد جاء في الصَّحيح عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟ قَالَ : لاَ ، إِلَّا كِتَابُ اللهَّ ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . قَالَ : قُلْتُ : فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟ قَالَ: العَقْلُ ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " (٢) .

والفهم الصَّحيح المستقيم لا يتعلَّق بزمان دون زمان ، كما أنَّه لا يتعلَّق بفرد دون فرد ...

وبرغم ما سبق بيانه ... فقد أصرَّ المتمسلفون على تكفير الأشعريَّة ، وحاصل ما ذكروه في ذلك – بحسب علمي – ينتظم في النِّقاط التَّالية :

الأُوْلَى : رفضوا إدخال الأشاعرة في أهل السُّنَّة ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " إذا عرفت ذلك : عرفت خطأ من جعل الأشعريَّة من أهل السُّنَّة !!! كما ذكره السَّفاريني في بعض كلامه ، ويمكن أن أدخلهم في أهل السُّنَّة : مداراة لهم !!! لأنَّهم اليوم أكثر النَّاس ، والأمر لهم ، مع أنَّه قد دخل بعض المتأخِّرين من الحنابلة ، في بعض ما هم عليه " (٣) .

والنَّصُّ اشتمل على عدَّة أُمور ، منها : اعترافهم بأنَّ الأشعريَّة اليوم هم أكثر النَّاس ... وأنَّ بعض الحنابلة يدينون الله تعالى بما عليه الأشعريَّة ... ويتَّهمون الإمام السَّفاريني بأنَّه ما قال ما قال بحقِّ الأشعريَّة إلَّا ملاطفة وملاينة وإرضاء لهم ... وهذا منهم ليٌّ للكلام ، وإخراج له عن مقصده ، وتأويل ... مع أنَّهم لا يقولون به ...

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٦ برقم ٢٠٦٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو نَضْرَةَ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ قُطَعَةَ وَرَخَّصَ الشَّافِعِيُّ لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى تَعْلِيمِ القُرْآنِ أَجْراً ، وَيَرَى لَهُ أَنْ يَشْتَرِطَ عَلَى ذَلِكَ ، وَاحْتَجَّ بِهَذَا الحَدِيثِ وَرَوَى شُعْبَةُ ، وَأَبُو عَوَانَةَ ، وَهِشَام ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٣ برقم ١١١) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (١/ ٣٤٨) .

ومع أنَّهم يعترفون بأنَّ الأشاعرة هم غالب المسلمين مع مَنْ وافقهم ... إلَّا أنَّهم ذهبوا إلى تبديع وتضليل وتكفير الأشعريَّة ...

الثَّانِيَةُ : اتَّهموا الأشاعرة بأنَّه ما منهم من يعرف ما دلَّت عليه كلمة الإخلاص : " لَا إِلَه إِلَّا الله " وأنَّهم لم يعرفوا التَّوحيد ، الذي أثبتته ، ولا الشِّرك ، الذي نفته ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " نقلاً عن ابن تيمية : " ... وذكر رحمه الله : أنَّ هؤلاء كلّهم ، وإن كثرت أبحاثهم ، ومصنَّفاتهم ، فما منهم من يعرف ما دلَّت عليه كلمة الإخلاص : " لَا إِلَه إِلَّا الله " فلم يعرفوا التَّوحيد ، الذي أثبتته ، ولا الشِّرك ، الذي نفته ، هذا : معنى كلامه ؛ ولتلميذه : العلَّامة ابن القيِّم ، في بيان أنواع التَّوحيد ، والرَّدّ على أهل البدع ، المصنَّفات الكثيرة ، المفيدة ، فمن أحسنها : " إغاثة اللهفان " ، وكتاب : " الصَّواعق المرسلة في الردِّ على الجهميَّة والمعطِّلة " .

وللحافظ : ابن عبد الهادي : " الصَّارم المنكي في الردِّ على السُّبكي " ؛ ولهم أصحاب كثير ، أخذوا عنهم ؛ فلمَّا طال الأمد بعدهم ، صارت كتبهم ، في أيدي أُناس جهلة ، وفي خزائن الكتب الموقوفة ، فلم يلتفتوا إليها ، فرجعوا إلى ما كان عليه من قبلهم ، ممَّن مضى من المبتدعة ، وكثر الشِّرك في القرى والأمصار ؛ وصاروا : لا يعرفون من التَّوحيد إلَّا ما تدَّعيه الأشاعرة ، من تأويل صفات الرَّبِّ ، والإلحاد فيها ؛ فصاروا كذلك ، حتى نسي العلم ، وعمَّ الشِّرك ، والبدع ؛ إلى منتصف القرن الثَّاني عشر !!! فإنَّه لا يعرف إذ ذاك ، عالم أنكر شركاً ، أو بدعة ، ممَّا صار في آخر هذه الأُمَّة " (١) .

الثَّالِثَةُ : اتَّهموا الأشاعرة بأنَّهم مُخالفون للكتاب والسُّنَّة وسلف الأُمَّة ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " ... الأشاعرة ، المخالفون للكتاب ، والسُّنَّة ، وسلف الأُمَّة " (٢) .

الرَّابِعَةُ : اتَّهموا الأشاعرة بأنَّهم لا يعرفون التَّوحيد ... فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " ... وقد غلط أكثر الفرق الثَّلاث والسَّبعين في مسمَّى التَّوحيد ؛ وكلُّ فرقة لها توحيد تعتقد أنَّه هو الصَّواب ، حتى الأشاعرة القائلين بأنَّ معنى الإله : الغنيُّ عمَّا سواه ، المفتقر إليه ما عداه ، يقولون أنَّهم أهل السُّنَّة ، وهيهات هيهات . ولم

---

(١) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (٣/ ٢١٦-٢١٧) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (٣/ ٣٥٨) .

يصبر منها على الحقِّ إلَّا فرقة واحدة ، وهم الذين عرفوا التَّوحيد على الحقيقة !!! من الآيات المحكمات ، وصحيح السُّنَّة - جعلنا الله وإيَّاكم من الفِرق النَّاجية- " (١) .

الخَامِسَةُ : اتَّهموا الأشاعرة بأنَّهم تأوَّلوا نصوص الكتاب والسُّنَّة ، بتأويلات أهل الكلام الذين خاضوا مع المعتزلة والجهميَّة ، وأنَّ تأويلاتهم تأويلات اختلقوها من عند أنفسهم !!! وهي مُخالفة لما كان عليه السَّلف ، والأئمَّة الأربعة ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " ... وأمَّا الأشاعرة فتعتقد هم أهل السُّنَّة ، وليسوا كذلك !!! فإنَّهم تأوَّلوا نصوص الكتاب والسُّنَّة ، بتأويل أهل الكلام الذين خاضوا مع المعتزلة والجهميَّة ، فأحدثوا للنُّصوص تأويلات اختلقوها من عند أنفسهم !!! خالفوا فيها السَّلف ، والأئمَّة الأربعة ، وغيرهم من أهل السُّنَّة والجماعة ؛ فتأويلاتهم للكتاب والسُّنَّة ، تأويلات أحدثها أهل الكلام ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ [يوسف: ٤٠] ، وكلُّ صاحب بدعة ، لا يألف إلَّا كتب من هو مثله ، كالأشاعرة ، فإنَّهم لا يألفون من التَّفاسير وغيرها ، إلَّا تفاسير من هو مثلهم في المعتقد ، ممَّن يؤول النُّصوص ، ويصرفها عن مدلولها اللائق بجلال الله ، وعظمته ، ويخالف أهل السُّنَّة في الإيمان ، وحكمة الربِّ تعالى ، ويقول بالجبر ؛ وهذه البدع أخذوها عن أتباع جهم بن صفوان . وكذلك المعتزلة ، لا يقبلون إلَّا تفاسير أمثالهم في المعتقد . وكذلك الباطنيَّة لهم تفاسير خالفوا فيها الجميع " (٢) .

والنَّصُّ السَّابق يُخرج الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، والسَّبب كما يقولون : أنَّهم تأوَّلوا نصوص الكتاب والسُّنَّة ، بتأويل أهل الكلام الذين خاضوا مع المعتزلة والجهميَّة ، فأحدثوا للنُّصوص تأويلات اختلقوها من عند أنفسهم !!! خـــالفوا فيها السَّلف ، والأئمَّة الأربعة ، وغيرهم من أهل السُّنَّة والجماعة ...

وللرَّدِّ على هذا الافتراء ، نقول : ما هي التَّأويلات التي اختلقوها من عند أنفسهم والتي خالفوا فيها السَّلف والأئمَّة الأربعة ، وغيرهم من أهل السُّنَّة والجماعة ... ؟؟؟!!!

وقد سبق أن ذكرنا العديد من تأويلات حبر الأُمَّة وترجمان القرآن الصَّحابي الجليل ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، وأضيف هنا جملة من تأويلات السَّلف ، فأقول :

---

(١) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (١٥/ ٢٣٩) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (١١/ ٣٥٤) .

أوَّل الإمامُ الضَّحَّاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني (تُوفي بعد ١٠٠هـ) **الوَجْهَ** في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] بقوله : إلَّا هو (١) .

وأمَّا **العَيْن** في قوله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه : ٣٩] ، فقد أوَّلَها بالحفظ والحراسة (٢) .

وأوَّل الإمامُ مُجاهد بن جبر المكِّي التَّابعي (١٠٤هـ) **النِّسْيَانَ** في قوله تعالى : ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف : ٥١] ، بقوله : نتركهم في النَّار (٣) .

وأوَّل **الوَجْـهَ** في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، بقوله : إلَّا العلماء فإنَّ علمهم بـاق (٤) .

وأوَّل **السَّاقَ** الوارد في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم : ٤٢] ، فقال : شدَّة الأمر وجدّه (٥) .

وأوَّل الإمامُ قتادة بن دعامة السَّدوسي ، أبو الخطَّاب (١١٨هـ) **السـَّاقَ** في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم : ٤٢] ، بقوله : عن شدَّة الأمر (٦) .

وأوَّل إسماعيل بن عبد الرَّحمن بن أبي كريمة السدِّي ، أبو محمد القرشي الكوفي (١٢٧هـ) **الأَيْدِيْ** في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس : ٧١] ، بقوله : يعني : من فِعْلِنا وعَمَلِنا من غير أن نكله إلى غيرنا (٧) .

---

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ٢٧٣) (ص١١٣) .

(٢) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ٣٨٧) .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٢/ ٤٧٥) .

(٤) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ٢٧٣) .

(٥) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٥٥٥) .

(٦) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٥٥٥) ، تأويل مشكل القرآن (ص٨٩) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٦٦٤) .

(٧) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ٣١) .

وأوَّل **العَيْنَ** في قوله تعالى :﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور: ٤٨] ، أي : بعلمنا (١) .

وأوَّل أبو عبد الله سُفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوري (١٦١هـ) **الوَجْهَ** في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ [القصص : ٨٨] ، بقولـه : إلَّا ما أُريد به وجهه (٢) .

وأخـرج اللالكائي بسنده عن سفيان الثَّوري في المعيَّة الواردة في قوله تعالى :﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد : ٤] ، قال : عِلْمُه (٣) .

وأوَّلَ الإمامُ مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر (اسمه نافع) بن عمرو بن الحارث ، بن غيمان ، بن خُثيل ، بن عمرو ، بن الحارث –ذي أصبح ، بن عوف ، بن مالك ، بن زيد ، بن شدّاد ، بن زرعة الأصبحي (١٧٩هـ) **النُّزُوْلَ** الوارد في الحديث بنزول أمره . فقد روى الحافظ ابن عبد البـر في " التَّمهيد " ، والحافظ الذَّهبي في " السِّير " (٨/ ١٠٥) أنَّ الإمام مالكاً رحمـه الله تعالى أَوَّل النُّزول الوارد في الحديث بنزول أمره سبحانه حيث قال : يتنزَّل ربُّنـا تبارك وتعالى أمره ، فأمَّا هو فدائم لا يزول (٤) .

وأوَّل الإمامُ أبو الحسن النَّضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم المازني التَّميمي البصري (٢٠٤هـ) **القَدَمَ** في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " حتى يضع الجبَّارُ فيها قَدَمَه " (٥) .

وأوّل الإمامُ أبو عبيدة معمر بن المثنَّى التَّيمي بالولاء البصري النَّحوي (٢٠٩هـ) **الوَجْهَ** في قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص : ٨٨] ، بقوله : إلَّا هو (٦) .

---

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ٣٨٧) .

(٢) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣/ ٢٧٣) .

(٣) انظر : : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤٥ برقم ٦٧٢) .

(٤) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٣) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥) .

(٥) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ (١/ ٢٠٧) ، البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٠ برقم ٧٥٦) ، البزار في المسند (١٣/ ٤٢٧ برقم ٧١٦٧) ، بقوله : أي : من سبق في علمه أنَّه من أهل النَّار . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٩٠) .

(٦) انظر : مجاز القرآن (٢/ ١١٢) .

وأوَّل **السَّـاقَ** في قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢] ، قال : إذا اشتدَّ الحرب والأمر قيل : قد كشف الأمر عن ساقه " (١) .

وقال في **الأَيْد** الواردة في قوله تعالى :﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات : ٤٧] ، أي : بقوَّة (٢) .

وأوَّل الإمام أبو زكريَّا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الدّيلمي الكوفي ، مولى بني أسد ، المعروف بالفرَّاء (٢١٥هـ) **اليَمِيْن** في قوله تعالى :﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، بالقوَّة والقُدرة (٣) .

وقـال في **اليَمِيْن** الوارد في قوله تعالى : ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الحاقة : ٤٥] ، أي : بالقُدرة والقوَّة (٤) .

وقـال في **الوَجْه** الوارد في قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص : ٨٨] ، أي : إلَّا هو (٥) .

وقـال في **السَّاقِ** الوارد في قوله تعالى : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم : ٤٢] ، يريد : القيامة والسَّاعة لشدَّتها (٦) .

وقـال في **النِّسْيَانِ** الوارد في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾ [الجاثية : ٣٤] ، أي : نترككم في النَّار كما نسيتم لقاء يومكم هذا (٧) .

ومثل هذا كثير في " معاني القرآن " للفرَّاء ...

---

(١) انظر : مجاز القرآن (٢/ ١١٢) .

(٢) انظر : مجاز القرآن (١/ ٤٦) .

(٣) انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٥٨) .

(٤) انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٥٨) .

(٥) انظر معاني القرآن (٢/ ٣١٤) .

(٦) انظر معاني القرآن (٣/ ١٧٧) .

(٧) انظر معاني القرآن (٣/ ٤٩) .

وأوَّل الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثمَّ البصري الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) **الإِسْتِوَاء** في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ ﴾ [البقرة : ٢٩] ، بقوله : ... فإنَّ ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى لتحوُّل ، ولكنَّه يعني فعله ، كما تقـول : كان الخليفة في أهل العراق يوليهم ، ثمَّ تحوَّل إلى أهل الشَّام ، إنَّما يريد تحوُّل فعله (١) .

وعن **الإِتْيَانِ** في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قال : إلَّا أن يأتيهم الله ، يعني : أمره ، لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يزول ، كما تقول : قد خشينا أن يأتينا بنو أميَّة ، وإنَّما تعني حكمهم " (٢) .

وعن **الإِسْتِوَاءِ** في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، قال : " أي : علا ، ومعنى علا : قَدَرَ ولم يزل قادراً ، ولكن أخبر بقدرته " (٣) .

قلـت : وفيما قاله الأخفش توضيح لمن فسَّر من السَّلف الاستواء بالعلو ، أي : علو القـُدرة ...

وقـال في قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] ، أي : أملَكُ به ، وأقـرب إليه في المقدرة عليه (٤) .

وأوّلَ الإمـام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) **الإِتْيَانَ** في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بقوله : المُراد به : قدرته وأَمره (٥) .

---

(١) انظر : معاني القرآن ، الأخفش الأوسط (١/ ٥٥-٥٦) .

(٢) انظر : معاني القرآن ، الأخفش الأوسط (١/ ١٧٠) .

(٣) انظر : معاني القرآن ، الأخفش الأوسط (٢/ ٤٠٦-٤٠٧) .

(٤) انظر : معاني القرآن ، الأخفش الأوسط (٢/ ٤٨٣) .

(٥) انظر : دفع شبه التشبيه ، ابن الجوزي (ص١٤١) .

" وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ عَنْ حَنْبَلٍ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ تَأَوَّلَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَنَّه جَاءَ ثَوَابُهُ . ثمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ " (١) .

وللحافـظ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) ابن جرير الطَّبري جملة كثيرة من التَّأويلات ، منها : قال في قوله تعـالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] : ... واختلف في معنى قوله : ﴿ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ ، فقال بعضهم : معناه : كلُّ شيء هالك إلَّا هو ، وقـال آخرون : معنى ذلك : إلَّا ما أُريد به وجهه ، واستشهدوا لتأويلهم ذلك بقول الشَّاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيهُ   رَبُّ العِبادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ (٢)

وقـال في قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١٤] : " وقوله : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾، يقول جلَّ ثناؤه : تجري السَّفينة التي حملنا نوحاً فيها بمرأى منَّا ومنظر . وذُكر عن سفيان في تأويل ذلك ما حدَّثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، في قوله : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، يقول : بأمرنا " (٣) .

وأوَّل الإمـام محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي البخاري (٢٥٦هـ) **الوَجْهَ** في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، بقوله : إلَّا ملكه (٤) .

ونقل البيهقيُّ عن البخاري في معنى **الضَّحِك** الوارد في الحديث ، قـال : الرَّحمـة (٥) .

وأكّد ذلـك الإمام الخطَّابي بقوله : " وقد تأوّل البخاري الضَّحك في موضع آخر على معنى الرَّحمة (٦) .

فهذه بعض التَّأويلات التي وردت عن السَّلف الصَّالح ، وهي غيضٌ من فيض . ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام . وما أوردناه كافٍ لإلجام من نفى التَّأويل عن السَّلف بالحُجَّة والبرهان .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٦١) .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ٦٤٣).

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٦٨١) .

(٤) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ٢٧٣) .

(٥) انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي ، (ص٥٩٣) ، تحقيق : الكوثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٦) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، (٦/ ٤٠) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

وأمَّا عن قولهم : " وكلُّ صاحب بدعة ، لا يألف إلَّا كتب من هو مثله ، كالأشاعرة ، فإنَّهم لا يألفون من التَّفاسير وغيرها ، إلَّا تفاسير من هو مثلهم في المعتقد ، ممَّن يؤول النُّصوص ... " فلا يسعنا إلَّا أن نقول : أمَّا أنتم يا من تدَّعون السَّلفيَّة ، فإنَّكم غلوتم بكتب علمائكم كابن تيمية ، وابن قيِّم الجوزيَّة ... ولم تحيدوا عمَّا قالوه قيْد أُنملة ... بل وصل بكم الأمر إلى درجة اعتبار كلام علمائكم مقياساً تقيسون به كلام النَّاس وعقائدهم ، وهذا هو السَّنن الذي سار عليه محمَّد بن عبد الوهَّاب ، قال الإمام محمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي في كلامه عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدِّماً أو متأخِّراً ، كائناً من كان غير الشَّيْخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ، فإنَّه يرى كلامهما نصَّاً لا يقبل التَّأويل ، ويصول به على النَّاس ، وإن كان كلامهما على غير ما يفهم " (١) .

السَّادِسَةُ : زعموا أنَّ الأشاعرة أتباع في أصول الدِّين للفلاسفة والكراميَّة ... وأنَّهم غلطوا على السَّلف ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " في أثناء الكلام عن عقيدة ابن تيمية : " ... وله الكتب المشهورة في أصول الدِّين ؛ وهو الذي ردَّ على الفلاسفة والمعتزلة والجهميَّة ، وأتباعهم من الأشعريَّة والكراميَّة ، والماتريديَّة ، فإنَّ هذه الطَّوائف الثَّلاث ، وافقوا الجهميَّة في الكثير من بدعتهم ، وخالفوهم في شيء، وغلطوا على السَّلف ، وادَّعوا أنَّ مذهبهم الإيمان باللفظ ، وتفويض المعنى ؛ وبيَّن شيخ الإسلام وجه غلطهم على السَّلف ، وأوضح ذلك في أكثر مصنَّفاته " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ الكرَّاميَّة فرقة زائغة تأثَّرت تأثُّراً كبيراً بالعقائد المجوسيَّة كالمانويَّة والديصانيَّة ، وغيرها ، وهي فرقة تؤمن بالحدِّ لله تعالى ... وهو ممَّا أثبته ابن تيمية ، فقال : " ... فهذا كلُّه وما أشبهه شواهد ودلائل على الحدِّ ، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله ، وجحد آيات الله !!! " (٣) .

السَّابِعَةُ : زعموا أنَّ عقيدة الأشاعرة مخالفة للكتاب والسُّنَّة وما عليه جمهور الأُمَة ... فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... قول الأشاعرة المخالف للكتاب والسُّنَّة !!! وما عليه السَّلف والأئمَّة " (٤) .

---

(١) انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص٢٧٥-٢٧٦) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (١٥/ ٣٦٢) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٨).

(٤) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية (١٥/ ٣٦٥) .

الثَّامِنَةُ : أخرجوا الحافظ ابن حجر العسقلاني ، والإمام النَّووي ، وغيرهما من أساطين وجهابيذ العلم من أهل السُّنَّة والجماعة ...

قال إمامهم محمَّد بن صالح العثيمين ، وهو من أبرز دعاة الوهَّابيَّة عندما قيل له : " سؤال : النَّووي وابن حجر ، نجعلهما من غير أهل السُّنَّة والجماعة ؟!

قال العثيمين : فيما يذهبان إليه في الأسماء والصِّفات ، ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ...

سؤال : بالإطلاق ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ؟ قال العثيمين : لا نطلق " ، انتهى بحروفه (١) .

فابن العثيمين يتَّهم الحافِظَين الإمامين : النَّووي وابن حجر العسقلاني بأنَّهما مُبتدعيْن ، وهذا استخفاف بفحلين من فحول العلم وجبلين كبيرين من جبال الأُمَّة ، وجرأة على التَّبديع والتَّضليل والتَّكفير ليس لها نظير ، مع أنَّ لحوم العلماء مسمومة ، قال الإمام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " وَاعْلَم يَا أخي وفَّقنَا الله وَإِيَّاك لمرضاته مِمَّن يخشاه ويتقيه حق تُقَاته : إِنَّ لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة اللهَّ عَلَيْهِم مَسْمُومَة ، وَعَادَة اللهَّ فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة ، لِأَنَّ الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ بَرَاء ، أمره عَظِيم ، والتَّنَاول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مرتعٌ وخيم ، والاختلاق على من اخْتَارَهُ اللهَّ مِنْهُم لنعش الْعلم خُلُقٌ ذميم ، والاقتداء بِمَا مدح اللهَّ بِهِ قَول المتَّبعين من الاسْتِغْفَار لمن سبقهمْ وصفٌ كريم ، إِذْ قَالَ مثنياً عَلَيْهِم فِي كِتَابه وَهُوَ بمكارم الْأَخْلَاق وصدها عليم : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ، والارتكاب لنهي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن الاغتياب وَسَبِّ الْأَمْوَات جسيم ، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] (٢) .

والعبارة قالها الحافظ ابن عساكر في أثناء الذَّبِّ عن الإمام الأشعري ، وعنى بها أوباش الحشويَّة الذين ما فتئوا يُبدِّعون ويُضلِّلون ويُكفِّرون من ليس على شاكلتهم ومنهجهم ، ونظيرهم في زماننا من يدَّعون السَّلفيَّة ، الذين صُنِّف هذا المصنَّف لتبصيرهم بعظيم جُرمهم ، وهم يعكفون على تكفير من سواهم ...

(١) انظر كتاب " لقاء الباب المفتوح " (ص/ ٤٢) .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٢٩-٣٠) .

وينصُّ إمامهم سفر الحوالي على أنَّ الحافظ ابن حجر العسقلاني كان متذبذباً في عقيدته ، فيقول : " ولو قيل : أنَّ الحافظ – رحمه الله – كان متذبذباً في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصَّواب ، كما يدلُّ عليه شرحه لكتاب التَّوحيد (١) .

تَنْبِيه : قامت الأيدي العابثة بشطب هذه الفقرة من نسخة " منهج الأشاعرة في العقيدة " الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... (الإصدار السَّادس) ، وهذه خيانة علميَّة مكشوفة ، وبالتَّالي نحكم بسقوط الأمانة العلميَّة عمَّن يشرفون على المكتبة الشَّاملة ، فليتنبَّه ...

وقال عالمهم : عبد المحسن البدر : " ومن العلماء الذين مَضوا وعندهم خلل في مسائل من العقيدة ، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم ، بل إنَّ مؤلَّفاتهم من المراجع المهمَّة للمشتغلين في العلم ، الأئمة : البيهقي والنَّووي ، وابن حجر العسقلاني (٢) .

واتَّهمت اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء !!! الإمام النَّووي بأنَّ عنده أغلاط في العقيدة ، فلا يُقتدى به ... فقد جاء في فتاويها :

س١٢ : بالنِّسبة للإمام النَّووي بعض الإخوة يقول : أنَّه أشعري في الأسماء والصِّفات فهل يصحُّ هذا ؟!! وما الدَّليل ؟ وهل يصحُّ التَّكلُّم في حقِّ العلماء بهذه الصُّورة ؟ ومنهم من قال : إنَّ له كتاباً يسمى : " بستان العارفين " ، وهو صوفيٌّ فيه ، فهل يصحُ هذا الكلام ؟

ج١٢ : له أغلاط !!! في الصِّفات سلك فيها مسلك المؤوِّلين وأخطأ في ذلك فلا يُقتدى به في ذلك ، بل الواجب التَّمسُّك بقول أهل السُّنَّة : وهو إثبات الأسماء والصِّفات الواردة في الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة المطهَّرة ، والإيمان بذلك على الوجه اللائق بالله جلَّ وعلا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ عملاً بقوله سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، وما جاء في معناها من الآيات ، وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلم (٣) .

---

(١) انظر : منهج الاشاعرة في العقيدة ، سفر حوالي (ص٢٨) .

(٢) انظر : رفقاً أهل السنة بأهل السنة (ص٣٢-٣٣) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ٢٢١-٢٢٢) .

واتَّهم الشَّيْخ ابن باز الإمامين : النَّووي ، وابن حجر العسقلاني – رحمهما الله – بأنَّ لهما أغلاط في العقيدة ، ولذا فهما ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ... فقد جاء في فتاوى ابن باز :

" سائل يقول : هناك من يحذر من كتب الإمام النَّووي وابن حجر رحمهما الله تعالى ، ويقول : إنَّهما ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ، فما الصَّحيح في ذلك ؟

ج : لهم أشياء غلطوا فيها في الصِّفات ، ابن حجر والنَّووي وجماعة آخرون ، لهم أشياء غلطوا فيها ، ليسوا فيها من أهل السُّنَّة ، وهم من أهل السُّنَّة فيما سلموا فيه ولم يحرِّفوه هم وأمثالهم ممَّن غلط " (1) .

وصنَّف المدعو : عبد الله سعدي الغامدي العبدلي كتاباً سمَّاه : " الأخطاء الأساسيَّة في العقيدة وتوحيد الألوهيَّة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، تأليف : أحمد بن حجر العسقلاني .... فيا للعجب ....

التَّاسِعَةُ : وهذا الشَّيْخ ابن عثيمين يُخرج الأشاعرة والماتريديَّة من عموم الأمَّة ، مع العلم أنَّهم يمثِّلون السَّواد الأعظم من علماء الأمَّة ، فقد قال في شرحه للواسطيَّة : " علم من كلام المؤلِّف – رحمه الله – أنَّه لا يُدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم ، فالأشاعرة – مثلاً – والماتريديَّة ، لا يعدّون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب لأنَّهم مخالفون لما كان عليه النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها !!! ولهذا يخطئ من يقول : أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة : سلفيُّون ، وأشعريُّون ، وماتريدون ، فهذا خطأ ، نقول : كيف يمكن الجميع أهل السُّنَّة وهم مختلفون ؟! فماذا بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال؟! وكيف يكونون أهل السُّنَّة وكلُّ واحد يردُّ على الأخر ؟! هذا لا يمكن ، إلَّا إذا أمكن الجمع بين الضدَّين ، فنعم ، وإلَّا فلا شكَّ أنَّ أحدهم وحده هو صاحب السُّنَّة ، فمن هو؟ الأشعريَّة أم الماتريديَّة أم السَّلفيَّة ؟ نقول : من وافق السُّنَّة ، فهو صاحب السُّنَّة ومن خالفها فهو ليس بصاحبها ، فنحن نقول : السَّلف هم أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً ، والكلمات تعتبر معانيها لننظر كيف نسمِّي من خالف السُّنَّة أهل السُّنَّة ؟ لا يمكن ، وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة : أنَّهم مجتمعون ؟ فأين الاجتماع ؟ فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقداً حتى المتأخِّر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه فإنَّه سلفي " (2) .

---

(1) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٢٨/ ٤٧) .

(2) انظر : هامش شرح الواسطية (ص٦٥ – ٦٦) .

العَاشِرَةُ : كفَّر أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب ، الأشاعرة ، وأنَّهم لا يعرفون معنى الشَّهادتين [1] .

الحَادِيَة عَشْرَة : جاء في مجموع فتاوى ابن باز :

" مذهب الأشاعرة هل هو حقٌّ أم ضلال ؟ :

ذكر أنَّ الخلافات في العقيدة ضيِّقة وقال : الذين يقولون بضلال مذهب الأشاعرة نقول لهم ارجعوا إلى فتاوى ابن تيمية واقرءوا ماذا كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعـــــري حتى نفهم أنَّ هؤلاء جهلة) أ.هـ

والجواب أن يقال : لا شكَّ أنَّه ضلَّ بسبب الخلاف في العقيدة فرق كثيرة ، كالمعتزلة ، والجهميَّة ، والرَّافضة ، والقدريَّة وغيرهم ، وأيضاً الأشاعرة ضلُّوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسُّنَّة وما عليه خيار هذه الأمَّة من أئمَّة الهدى من الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين لهم بإحسان والأئمَّة المهتدين فيما تأوَّلوه من أسماء الله وصفاته على غير تأويله ، وأبو الحسن الأشعري – رحمه الله – ليس من الأشاعرة . وإن انتسبوا إليه لكونه رجع عن مذهبهم واعتنق مذهب أهل السُّنَّة ، فمدح الأئمَّة له ليس مدحاً لمذهب الأشاعرة .

ولا يصحُّ أن يرمى من اعترض على الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السُّنَّة بالجهل ، لأنَّ حقيقة الجهل هو القول على الله بغير علم ، أمَّا من أخذ بالكتاب والسُّنَّة وقواعد الشَّرع المعتبرة وسار على طريق سلف الأمَّة وأنكر على من تأوَّل أسماء الله وصفـــــاته أو شيئاً منها على غير تأويلها فإنَّه لا يُرمى بالجهل " [2] .

الثَّانِيَة عَشْرَة : ختم ابن عثيمين كتابه : " القواعد المثلى " بالحُكم على مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أهل الحقِّ بالبطلان ، فيقول :

الخَاتِمَةُ :

إذا قال قائل : قد عرفنا بُطلان مذهب أهل التَّأويل في باب الصِّفات ، ومن المعلوم أنَّ الأشاعرة من أهل التَّأويل لأكثر الصِّفات ، فكيف يكون مذهبهم باطلاً ، وقد قيل أنَّهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين ؟ .

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري ؟ وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأئمَّة المسلمين وعامتهم ؟ .

---

(1) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣١٢) ، (٣٢٠) ، (٣٢٤) ، (٣٦٤) .

(2) انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٣/ ٥٣) .

قلنا : الجواب عن السُّؤال الأوَّل: أنَّنا لا نسلِّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنِّسبة لسائر فرق المسلمين ، فإنَّ هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدَّقيق .

ثمَّ لو سلمنا أنَّهم بهذا القدر أو أكثر فإنَّه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ !!! لأنَّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر .

ثمَّ نقول : إنَّ إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التَّأويل ، فإنَّ السَّلف الصَّالح من صدر هذه الأمَّة ، وهم الصَّحابة الذين هم خير القرون ، والتَّابعون لهم بإحسان وأئمَّة الهدى من بعدهم ، كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصِّفات ، وإجراء النُّصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهم خير القرون بنصِّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإجماعهم حجَّة ملزمة ، لأنَّه مقتضى الكتاب والسُّنَّة ، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرَّابعة من قواعد نصوص الصِّفات .

والجواب عن السُّؤال الثَّاني : أنَّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمَّة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ ، بل لم ينالوا الإمامة في الدِّين إلَّا حين عرفوا قدر أنفسهم ، ونزّلوها منزلتها ، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسُّنَّة ما استحقُّوا به أن يكونوا أئمَّة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] ، وقال عن إبراهيم : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] .

ثم إنَّ هؤلاء المتأخِّرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الإقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه ، وذلك أنَّ أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة :

المرحلة الأولى : مرحلة الاعتزال .

اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً ، يقرِّره ، ويناظر عليه ، ثمَّ رجع عنه ، وصرَّح بتضليل المعتزلة ، وبالغ في الردِّ عليه .

المرحلة الثَّانية : مرحلة بين الاعتزال المحض والسُّنَّة المحضة .

سلك فيها طريق أبي محمَّد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٧١) من المجلد السَّادس عشر من " مجموع الفتاوى " : " والأشعري وأمثاله برزخ بين السَّلف والجهميَّة ، أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ، ومن هؤلاء أصولاً عقليَّة ظنُّوها صحيحة ، وهي فاسدة " [١] .

ولنا على كلام ابن عثيمين الملاحظات التَّالية :

أَوَّلاً : قوله : " أنَّنا لا نسلِّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين ، فإنَّ هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق " .

قلت : قد قدَّمنا الكلام في أنَّه قد ثبت بالاستقراء أنَّ أغلب المفسِّرين ، والمحدِّثين ، والفقهاء ، والأصوليِّين ، والمتكلِّمين ، وأهل اللغة ، والمؤرِّخين ، والقادة ، والمصلحين ... هم أشاعرة أو ماتريديَّة ، أو موافقين لهم ، وعلى منهجهم ، سواء من تقدَّمهم أو تأخَّر عنهم ، وذكرنا العديد العديد من شهادات فُحول العلم وأساطينه على ذلك ، كما اعترف بعض المتمسلفة بذلك ، فهذا الدكتور سفر الحوالي يقول : " ... وَليكن مَعْلُوماً أَن هَذَا الرَّد الْمَوْعُود لَيْسَ مَقْصُوداً بِهِ الصَّابُونِي وَلَا غَيره من الْأَشْخَاص ، فَالْمَسْأَلَة أكبر من ذَلِك وأخطر ، إِنَّهَا مَسْأَلَة مَذْهَب بدعي !!! لَهُ وجوده الواقعي الضَّخم فِي الْفِكر الإسلامي ، حَيْثُ تمتلئ بِهِ كثيرُ من كُتب التَّفْسِير ، وشروح الحَدِيث ، وَكتب اللُّغَة والبلاغة ، وَالْأُصُول ، فضلاً عَن كتب العقائد والفكر ، كَمَا أَن لَهُ جامعاته الْكُبْرَى ومعاهده المنتشرة فِي أَكثر بِلَاد الْإِسْلَام من الفلبِّين إِلَى السَّنغال !!! " [٢] .

ثَانِيَاً : وقوله : " ثمَّ لو سلَّمنا أنَّهم بهذا القدر أو أكثر فإنَّه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ !!! لأنَّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر " .

قلت : وماذا تقولون ، بل ما هو جوابكم عن مخالفات ابن تيمية لإجماع المسلمين ، فقد أحصى عليه علماء الأمَّة مخالفته للإجماع في غير ما مسألة ، قال الإمام ابن حجر الهيتمي في كلامه عن ابن تيمية : " واعْلَم أنَّه خَالف النَّاس فِي مسَائِل نبَّه عَلَيْهَا التَّاج السُّبْكِيّ وَغَيره . فممَّا خرق فِيهِ الْإِجْمَاع : قَوْله فِي : " عليَّ الطَّلَاق " أنَّه لَا يَقع عَلَيْهِ ، بل عَلَيْهِ كَفَّارَة يَمِين ، وَلم يقل بِالْكَفَّارَةِ أحد من الْمُسلمين قبله ، وَأَنَّ طَلَاق الْحَائِض لَا يَقع ، وَكَذَا الطَّلَاق فِي طُهْر جَامع فِيهِ ، وَأَنَّ الصَّلَاة إِذا تُركت عمداً لَا يجب قَضَاؤُهَا ، وَأَنَّ الْحَائِض يُبَاح لَهَا بِالطّوافِ بِالْبَيْتِ وَلَا

---

[١] انظر : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٧٩-٨١) .

[٢] انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني ، سفر بن عبد الرَّحمن الحوالي (ص٧) .

كَفَّارَة عَلَيْهَا ، وَأَنَّ الطَّلَاق الثَّلَاث يُردُّ إِلَى وَاحِدَة ، وَكَانَ هُوَ قبل ادِّعائه ذَلِك نقل أجماع الْمُسلمين على خِلَافه ، وَأَنَّ المكوس حَلَال لمن أقطعها ، وَأَنَّهَا إِذا أخذت من التجَّار أجزأتهم عَن الزَّكَاة ، وَإِن لم تكن باسم الزَّكَاة وَلَا رسمها ، وَأَنَّ الْمَائِعَات لَا تنجس بِمَوْت حَيَوَان فِيهَا كالفأرة ، وَأَنَّ الْجُنُب يصلِّي تطوّعه بِاللَّيْلِ وَلَا يُؤَخِّرهُ إِلَى أَن يغْتَسل قبل الْفجْر ، وإِنْ كَانَ بِالْبَلَدِ ، وَأَنَّ شَرط الْوَاقِف غير مُعْتَبَر ، بل لَو وقف على الشَّافِعِيَّة صرف إِلَى الْحَنَفِيَّة وَبِالْعَكْسِ ، وعَلى الْقُضَاة صُرِف إِلَى الصُّوفِيَّة ، فِي أَمْثَال ذَلِك من مسَائِل الْأُصُول مَسْأَلَة الْحسن والقُبْح الْتزم كل مَا يرد عَلَيْهَا ، وَإِن مُخَالف الْإِجْمَاع لَا يكفر وَلَا يفسق ، وَأَنَّ رَبنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علوّاً كَبِيراً مَحلُّ الْحَوَادِث ، تَعَالَى الله عَن ذَلِك وتقدَّس ، وأَنَّه مُركَّبٌ تفْتَقر ذَاته افتقار الْكلِّ للجزء ، تَعَالَى الله عَن ذَلِك وتقدَّس ، وَأَن الْقُرْآن مُحدث فِي ذَات الله ، تَعَالَى الله عَن ذَلِك ، وَأَنَّ الْعَالم قديم بالنوع ، وَلم يزل مَعَ الله مخلوقاً دَائِماً فَجعله مُوجبا بِالذَّاتِ لَا فَاعِلاً بِالِاخْتِيَارِ ، تَعَالَى الله عَن ذَلِك ، وَقَوله بالجِسْمِيَّة والجهة والانتقال ، وأَنَّه بقَدَر الْعَرْش لَا أَصْغَرَ وَلَا أكبر ، تَعَالَى الله عَن هَذَا الافتراء الشنيع الْقَبِيح ، وَالْكفْر البراح الصَّرِيح ، وخذل مُتَّبعيه وشتَّت شَمْل معتقديه ، وَقَالَ : إِنَّ النَّار تفنى ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاء غير معصومين ، وَأَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا جاه لَهُ وَلَا يتوسَّل بِهِ ، وأَنَّ إِنْشَاء السّفر إِلَيْهِ بِسَبَب الزِّيَارَة مَعْصِيَّة لَا تُقصر الصَّلاة فِيهِ ، وسيحرم ذَلِك يَوْم الْحَاجة ماسَّة إِلَى شَفَاعَته ، وَأَنَّ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل لم تبدَّل ألفاظهما وإِنَّما بُدِّلت معانيهما " [1] .

ثَالِثاً : وقوله : إِنَّ إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التَّأويل ، فإِنَّ السَّلف الصَّالح من صدر هذه الأُمَّة ، وهم الصَّحابة الذين هم خير القرون ، والتَّابعون لهم بإحسان ، وأئمَّة الهدى من بعدهم ، كانوا مُجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصِّفات ، وإجراء النُّصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ...

وكم أتمنَّى أن يأتي واحد من المتمسلفة بنقل صريح صحيح على ما قاله ابن عثيمين ... فمن من الصَّحابة قال بإجراء النُّصوص على ظاهرها ؟!!! مع أنَّ الثَّابت عن السَّلف الصَّالح أنَّهم فوَّضوا الكيف والمعنى ، ولَا يفسِّرون مِنْهَا شَيْئاً ... في الوقت الذي وجدنا فيه ابن تيمية يزعم أنَّ التَّفويض في صفات الله تعالى من شرِّ أقوال

[1] انظر : الفتاوى الحديثية (ص١٥٨-١٥٩) ، وللاستزادة في هذه المسألة انظر : الدرَّة المضيَّة في الردِّ على ابن تيمية ، تقي الدِّين السبكي ، ضمن رسائل المنهج الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني (ص٩٩ فما بعدها) .

أهل البدع والإلحاد ، فقال : " فتبيَّن أنَّ قول أهل التَّفويض الذين يزعمون أنَّهم متَّبعون للسنَّة والسَّلف من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد " (١) .

وفيما يلي سردٌ لبعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة :

جاء في شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (٤١٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ حَفْصٍ ، قَالَ : ثَنَا محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو محمَّد سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَكِيمٍ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ بْنِ يُونُسَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ دَاوُدَ بْنَ طَلْحَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ الدَّوْسِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ محمَّد بْنَ الْحَسَنِ ، يَقُولُ : " اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ ، فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا ، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ثمَّ سَكَتُوا ، فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ؛ لأنَّه قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ " (٢) .

وجاء الأسماء والصِّفات للبيهقي (٤٥٨هـ) : " وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُّ : لِيسَ فِيمَا يُضَافُ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَةِ الْيَدَيْنِ شِمَالٌ ، لِأَنَّ الشِّمَالَ مَحَلُ النَّقْصِ وَالضَّعْفِ ، وَقَدْ رُوِيَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْيَدِ عِنْدَنَا الْجَارِحَةَ ، إنَّما هُوَ صِفَةٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ ، فَنَحْنُ نُطْلِقُهَا عَلَى مَا جَاءَتْ وَلَا نُكَيِّفُهَا ، وَنَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْكِتَابُ وَالْأَخْبَارُ الْمَأْثُورَةُ الصَّحِيحَةُ وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ " (٣) .

وقال الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) في كلامه على حديث : " يَنْزِلُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " . قَالَ رَحِمَهُ اللهُّ : وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ فِيمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ والسُّنَّة مِنْ أَمْثَالِ هَذَا ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي تَأْوِيلِهِ ، ثمَّ أنَّهم عَلَى قِسْمَيْنِ : مِنْهُمْ

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥) .

(٢) انظر : شرح أُصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٨٠) .

(٣) انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٥٨) .

مَنْ قَبِلَهُ وَآمَنَ بِهِ وَلَمْ يُؤَوِّلْهُ وَوَكَلَ عِلْمَهُ إِلَى اللهَّ وَنَفَى الْكَيْفِيَّةَ وَالتَّشْبِيهَ عَنْهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَبِلَهُ وَآمَنَ بِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى وَجْهٍ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي اللُّغَةِ وَلَا يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ " (١) .

وقال الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) : " الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّة وَأَئِمَّةُ الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا الْإِيمَانُ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ، وَالتَّصْدِيقُ بِذَلِكَ ، وَتَرْكُ التَّحْدِيدِ وَالْكَيْفِيَّةِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ . أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَلَفُ بْنُ الْقَاسِمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ أَنَّه سَأَلَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : حَدِيثُ عَبْدِ اللهَّ : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَى أُصْبُعٍ " ، وَحَدِيث : " إِنَّ قلوب بني آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن " ، وَإِنَّ اللهَّ يَعْجَبُ أَوْ يَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ فِي الْأَسْوَاقِ " ، " وأَنَّه عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَنَحْوُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، فَقَالَ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ نَرْوِيهَا ، وَنُقِرُّ بِهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ : وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ محمَّد ، قَالَ : سَمِعْتُ الْهَيْثَمَ بْنَ خَارِجَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ ، وَسُفْيَانَ الثوري ، وملك بْنَ أَنَسٍ ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الصِّفَاتِ ، فَقَالُوا : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ .

وَذَكَرَ عبَّاس الدُّورِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ ، يَقُولُ : شَهِدْتُ زَكَرِيَّا بْنَ عَدِيٍّ سَأَلَ وَكِيعَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ ، يَعْنِي مِثْلَ : الْكُرْسِيُّ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ ، وَنَحْوِ هَذَا ، فَقَالَ : أَدْرَكْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ، وَسُفْيَانَ ، وَمِسْعَراً يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، وَلَا يُفَسِّرُونَ شَيْئاً .

قَالَ عبَّاس بْنُ محمَّد الدُّورِيُّ : وَسَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ وَذَكَرَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة أَنَّه كَانَ يَقُولُ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُرْوَى فِي الرُّؤْيَةِ ، وَالْكُرْسِيِّ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ ، وَضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عباده ، وأَنَّ جهنم لتمتلىء ، وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، وَقَالُوا : إِنَّ فُلَاناً يَقُولُ : يَقَعُ فِي قُلُوبِنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ حَقٌّ ، فَقَالَ : ضَعَّفْتُمْ عِنْدِي أَمْرَهُ ، هَذِهِ الْأَحَادِيثُ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهَا ، رَوَاهَا الثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ إِلَّا أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ لَمْ نُفَسِّرْهَا ، وَلَمْ نَذْكُرْ أَحَداً يُفَسِّرُهَا ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ حَدَّثَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ..." (٢) .

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص١١٦) .

(٢) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٨-١٥٠) .

وقال الإمام السَّمعاني (٤٨٩هـ) في تفسير قَوْله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ﴾[الفرقان: ٥٩] : " قد بينَّا مَذْهَب أهل السُّنَّة فِي الاسْتوَاء ؛ وَهُوَ أَنَّه نؤمن بِهِ وَنكل علمه إِلَى الله تَعَالَى من غير تَأْوِيل وَلَا تَفْسِير " (١) .

وقال البغوي (٥١٦هـ) : " فأمّا أهل السُّنَّة يقولون : الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ للهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ ، يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَيَكِلُ الْعِلْمَ فِيهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَسَأَلَ رَجُلٌ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، كَيْفَ اسْتَوَى ؟ فَأَطْرَقَ رَأْسَهُ مَلِيّاً وَعَلَاهُ الرُّحَضَـــــاءُ ثمَّ قَالَ : الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ ، وَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا ضَالًّا ، ثمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ (٢) .

وجاء في " مشارق الأنوار على صحاح الآثار " للقاضي عياض (٥٤٤هـ) : " ... وَمِنْه قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾[المائدة : ٦٤] ، وَقَوله : كتب التَّوْرَاة بِيَدِهِ ، وَخلق آدم بِيَدِهِ ، وَيقبض السَّمَوَات بِيَدِهِ " ، وَمثل هَذَا مِمَّا جَاءَ فِي الحَدِيث وَالْقُرْآن من إِضَافَة الْيَد إِلَى الله تَعَالَى . اتّفق الْمُسلمُونَ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أَنَّ الْيَد هُنَا لَيست بجارحة ، وَلَا جسم ، وَلَا صُورَة ، ونزَّهوا الله تَعَالَى عَن ذَلِك ، إِذْ هِيَ صِفَات الْمُحدَثين ، وأثبتوا مَا جَاءَ من ذَلِك إِلَى الله تَعَالَى ، وآمنوا بِهِ ، وَلم ينفوه ، وَذهب كثيرٌ من السَّلف إِلَى الْوُقُوف هُنَا ، وَلَا يزِيدُونَ ، ويسلِّمون ، ويكِلون علم ذَلِك إِلَى الله وَرَسُوله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي كلِّ مَا جَاءَ من مثله من الْمُتَشَابه ... " (٣) .

وقال الإمام الشَّهرستاني (٥٤٨هـ) : " اعلم أنَّ جماعة كبيرة من السَّلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزليَّة من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسَّمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، والجود ، والإنعام ، والعزَّة ، والعظمة ، ولا يفرِّقون بين صفات الذَّات وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً ، وكذلك يثبتون صفات خبريَّة مثل : اليدين ، والوجه ، ولا يؤولون ذلك إلا أنَّهم يقولون : هذه الصِّفات قد وردت في الشَّرع فنسميها صفات خبريَّة .

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (٢/ ٣٦٦) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ١٩٧) ، وانظر : (١/ ٢٥) .

(٣) انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٣٠٣) .

ولما كانت المعتزلة ينفون الصِّفات ، والسَّلف يُثبتون ، سُمِّي السَّلف صفاتيَّة ، والمعتزلة معطِّلة ، فبالغ بعض السَّلف في إثبات الصِّفات إلى حدِّ التشبيه بصفات المحدثات ، واقتصر بعضهم على صفات دلَّت الأفعال عليها ، وما ورد به الخبر ، فافترقوا فرقتين :

فمنهم من أوَّله على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم من توقَّف في التَّأويل وقال : عرفنا بمقتضى العقل أنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يُشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ، وقطعنا بذلك ، إلَّا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى :﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، ومثل قوله :﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص : ٧٥] ، ومثل قوله :﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ، إلى غير ذلك . ولسنا مكلَّفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التَّكليف قد ورد بالاعتقاد بأنَّه لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، وذلك قد أثبتناه يقيناً .

ثمَّ إنَّ جماعة من المتأخِّرين زادوا على ما قاله السَّلف فقالوا : لا بدَّ من إجرائها على ظاهرها فوقعوا في التَّشبيه الصّرف وذلك على خلاف ما اعتقده السَّلف .

ولقد كان التَّشبيه صرفاً خالصاً في اليهود لا في كلِّهم ، بل في القرَّائين منهم ، إذ وجدوا في التَّوراة ألفاظاً كثيرة تدلُّ على ذلك ، ثمَّ الشِّيعة في هذه الشَّريعة وقعوا في غلوٍّ وتقصير . أمَّا الغلو : فتشبيه بعض أئمَّتهم بالإله ، تعالى وتقدَّس . وأمَّا التَّقصير : فتشبيه الإله بواحد من الخلق .

ولَّما ظهرت المعتزلة والمتكلِّمون من السَّلف رجعت بعض الرَّوافض عن الغلوِّ والتَّقصير ووقعت في الاعتزال ، وتخطَّت جماعة من السَّلف إلى التَّفسير الظَّاهر ، فوقعت في التَّشبيه ... " [١] .

وقال الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : " ... قَدْ ظَهَرَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ التَّشَابُهَ بِاعْتِبَارِ وُقُوعِ الْأَدِلَّةِ مَعَ مَا يُعَارِضُهَا كَالْعَامِّ وَالْخَاصِّ ، وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ قَلِيلٌ ، وَأَنَّ مَا عُدَّ مِنْهُ غَيْرُ مَعْدُودٍ مِنْهُ ، وإِنَّمَا يُعَدُّ مِنْهُ التَّشَابُهُ الْحَقِيقِيُّ خَاصَّةً . وأمَّا مَسَائِلُ الْخِلَافِ وَإِنْ كَثُرَتْ ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ بِإِطْلَاقٍ ، بَلْ فِيهَا مَا هُوَ مِنْهَا وَهُوَ نَادِرٌ ؛ كَالْخِلَافِ الْوَاقِعِ فِيمَا أَمْسَكَ عنه السَّلف الصَّالح ، فلم يَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِيمَانِ بِغَيْبَةِ الْمَحْجُوبِ أَمْرُهُ عَنِ الْعِبَادِ ؛ كَمَسَائِلِ الِاسْتِوَاءِ ، وَالنُّزُولِ ، وَالضَّحِكِ ، وَالْيَدِ ، وَالْقَدَمِ ، وَالْوَجْهِ ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ .

---

[١] انظر : الملل والنحل (١/ ٩١) .

وَحِينَ سَلَكَ الْأَوَّلُونَ فِيهَا مَسْلَكَ التَّسْلِيمِ وَتُرِكَ الْخَوْضُ فِي مَعَانِيهِ ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ عِنْدَهُمْ فِيهَا ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يُحَاطُ بِهِ جَهْلٌ ، وَلَا تَكْلِيفَ يَتَعَلَّقُ بِمَعْنَاهَا " (١) .

وقال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) : " وأَمَّا جُمْهُورُ الْمُوَحِّدِينَ فَلَهُمْ فِي لَفْظِ الْيَدِ قَوْلَان :

الْأَوَّلُ : قَوْلُ مَنْ يَقُولُ : الْقُرْآنُ لَمَّا دَلَّ عَلَى إِثْبَاتِ الْيَدِ للهِ تَعَالَى آمَنَّا بِهِ ، وَالْعَقْلُ لَمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّه يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ يَدُ اللهِ عِبَارَةً عَنْ جِسْمٍ مَخْصُوصٍ وَعُضْوٍ مُرَكَّبٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَبْعَاضِ آمَنَّا بِهِ ، فَأَمَّا أَنَّ الْيَدَ مَا هِيَ وَمَا حَقِيقَتُهَا فَقَدْ فَوَّضْنَا مَعْرِفَتَهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَهَذَا هُوَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ ... " (٢) .

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٣٠هـ) : " ... قَالَ ابْن وضَّاح : كلُّ من لقِيت من أهل السُّنَّة يصدِّق بهَا لحَدِيث التنزل ، وَقَالَ ابْن معِين : صدِّق بِهِ وَلَا تصفه ، وَقَالَ : أَقروهُ وَلَا تحدُّوه " (٣) .

وجاء في ذمّ التَّأويل أيضاً (٦٣٠هـ) : " أَخبرنِي عَليّ بن عِيسَى أَنَّ حنبلاً حَدَّثهمْ ، قَالَ : سَأَلت أَبَا عبد الله عَن الْأَحَادِيث الَّتِي تُروى : إِنَّ الله تبَارك وَتَعَالَى ينزل كل لَيْلَة إِلَى السمآء الدُّنيا ، وَأَنَّ الله يُرى ، وَإِنَّ الله يضع قَدَمه ، وَمَا أشبهه ، فَقَالَ أَبُو عبد الله : نؤمن بهَا ، ونصدِّق بهَا ، وَلَا كَيفَ وَلَا معنى ، وَلَا نردُّ مِنْهَا شَيْئاً ، ونعلم أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسول حقٌّ إِذا كَانَت بأسانيد صِحَاح ، وَلَا نردُّ على رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْله ، وَلَا يُوصف الله تَعَالَى بِأَكْثَرَ مِمَّا وصف بِهِ نَفسهَ أَو وَصفه بِهِ رَسُوله ، بِلَا حدٍّ ، وَلَا غَايَة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] (٤) .

وقال الإمام ابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " وَفِيمَا ورد من الْآيَات والأخبار المتشابهات أَنَّ الثَّابت فِيهَا فِي نفس الْأَمر كل مَا هُوَ لَائِق فِيهَا بجلَال الله وكماله وتقديسه المطلقين ، وَذَلِكَ هُوَ معتقدنا فِيهَا ، وَلَيْسَ علينا تَفْصِيله وتعيينه ، وَلَيْسَ الْبَحْث عَنهُ من شَأْننَا ، بل نكِل علم تَفْصِيله إِلَى الله تبَارك وَتَعَالَى ، ونصرف عَن الْخَوْض فِيهِ

---

(١) انظر : الموافقات (٣/ ٣١٨-٣١٩) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٢/ ٣٩٥) .

(٣) انظر : ذم التَّأويل (ص٢٣) .

(٤) انظر : ذم التَّأويل (ص٢٢) .

قُلُوبنَا وألسنتنا ، فَهَذَا وَنَحْوه عَن أَئِمَّة الْفَتْوَى هُوَ الصَّوَاب فِي ذَلِك ، وَهُوَ سَبِيل سلف الْأمة ، وأئمة الْمذَاهب الْمُعْتَبرَة ، وأكابر الْفُقَهَاء وَالصَّالِحِينَ ، وَهُوَ أصوب وَأسلم للعامة وأشباههم ... " (١) .

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي (٦٥٦هـ) : " تنبيه : اعلم أنَّ النَّاس قد أكثروا في تأويلات هذه الأحاديث ، فمِن مبعدٍ ومن ومحوِّم ، وما ذكرناه أحسنها وأقربها لمنهاج كلام العرب ، ولأنْ يكون هو المراد . ومع ذلك فلا نقطع بأنَّه هو المراد . والتَّحقيق أن يقال : الله ورسوله أعلم . والتَّسليم الذي كان عليه السَّلف أسلم ، لكن مع القطع بأنَّ هذه الظَّواهر الواردة في الكتاب والسُّنَّة الموهمة للتَّجسيم والتَّشبيه يستحيلُ حملها على ظواهرها ؛ لما يعارضها من ظواهر أُخر ، كما قد قرَّره أئمَّتنا في كُتبهم ، ولما دلَّ العقل الصَّريح عليه " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله القرطبي (٦٧١هـ) : " وقد عرف أنَّ مذهب السَّلف ترك التَّعرُّض لتأويلها ، مع قطعهم باستحالة ظواهرها ، فيقولون : أمرُّوها كما جاءت . وذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها وحملها على ما يصحُّ حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل منها " (٣) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) في كلامه على حديث النُّزول : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَشَبَهِهِ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ :

أَحَدُهُمَا : تَأْوِيلُهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِ اللهِ سبحانه وتعالى ، وتنزيهه من الِانْتِقَالِ ، وَسَائِرِ صِفَاتِ الْمُحْدَثِ ، وَهَذَا هُوَ الْأَشْهَرُ عن الْمُتَكَلِّمِينَ .

وَالثَّانِي : الْإِمْسَاكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِ ، لِقَوْلِهِ تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وَهَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ الْمُتَكَلِّمين ، وَحَاصِلُهُ أَنْ يُقَال : لَا نَعْلَمُ الْمُرَادَ بِهَذَا ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ مَعَ اعْتِقَادِنَا أَنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَهُ مَعْنًى يَلِيقُ بِاَللهِ تَعَالَى ، وَاَللهُ أَعْلَمُ " (٤) .

---

(١) انظر : فتاوى ابن الصلاح (١/ ٨٣) .

(٢) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٤٢) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤) .

(٤) انظر : المجموع شرح المهذب ، مع تكملة السبكي والمطيعي (٤/ ٤٨) .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " قَدْ فَسَّرَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ المُهِمَّ مِنَ الأَلْفَاظِ وَغَيْرَ المُهِمِّ ، وَمَا أَبْقَوْا مُمْكِناً ، وَآيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيْثُهَا لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا أَصْلاً ، وَهِيَ أَهَمُّ الدِّين ، فَلَو كَانَ تَأْوِيْلُهَا سَائِغاً أَوْ حَتْماً ، لَبَادَرُوا إِلَيْهِ ، فَعُلِمَ قَطْعاً أَنَّ قِرَاءتَهَا وَإِمرَارَهَا عَلَى مَا جَاءتْ هُوَ الحَقُّ ، لاَ تَفْسِيْرَ لَهَا غَيْرُ ذَلِكَ ، فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ ، وَنَسْكُتُ اقْتِدَاءً بِالسَّلَفِ ، مُعْتَقِدِيْنَ أَنَّهَا صِفَاتٌ لله – تَعَالَى – اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِ حَقَائِقِهَا ، وَأَنَّهَا لاَ تُشْبِهُ صِفَاتِ المَخْلُوْقِينَ ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ المُقَدَّسَةَ لاَ تُمَاثِلُ ذَوَاتِ المَخْلُوْقِينَ ، فَالكِتَابُ والسُّنَّة نَطَقَ بِهَا ، وَالرَّسُوْلُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَلَّغَ ، وَمَا تَعَرَّضَ لِتَأْوِيْلٍ ، مَعَ كَوْنِ البَارِي قَالَ :﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤] ، فَعَلَيْنَا الإِيْمَانُ وَالتَّسْلِيْمُ لِلنُّصُوْصِ ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ " [١] .

وقال الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) في كتاب العلو : " أخبرنَا يحيى بن أبي مَنْصُور فِي كِتَابه ، أَنبأَنَا عبد الْقَادِر بن عبد الله ، أَنبأَنَا مَسْعُود بن الْحسن ، أَنبأَنَا عبد الوهَّاب بن مَنْدَه ، أَنبأَنَا أبي ، أَنبأَنَا أَحْمد بن مُحَمَّد بن زِيَاد ، حَدَّثنَا عبَّاس الدوري ، سَمِعت يحيى بن معِين ، يَقُول : شهِدت زَكَرِيَّاء بن عدي سَأَلَ وكيعاً ، فَقَالَ : يَا أَبَا سُفْيَان ، هَذِه الْأَحَادِيث مثل حَدِيث الْكُرْسِيّ مَوضِع الْقَدَمَيْنِ ، وَنَحْو هَذَا ، فَقَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيل بن أبي خَالِد ، وَالثَّوْري ، ومسعر يروون هَذِه الْأَحَادِيث لَا يفسِّرون مِنْهَا شَيْئاً " [٢] .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : "المَحْفُوْظُ عَنْ مَالِكٍ – رَحِمَهُ اللهُ – رِوَايَةُ الوَلِيْدِ بنِ مُسْلِمٍ ، أَنَّه سَأَلَهُ عَنْ أَحَادِيْثِ الصِّفَاتِ ، فَقَالَ : أَمِرَّهَا كَمَا جَاءتْ ، بِلاَ تَفْسِيْرٍ " [٣] .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " للأشاعرة قَولَانِ مشهوران فِي إِثْبَات الصِّفَات : هَل تمرّ على ظَاهرهَا مَعَ اعْتِقَاد التَّنْزِيه أَو تؤول . وَالْقَوْل بالإمرار مَعَ اعْتِقَاد التَّنْزِيه هُوَ المعزوّ إِلَى السَّلف ، وَهُوَ اخْتِيَار الإِمَام فِي الرِّسَالَة النِّظاميَّة ، وَفِي مَوَاضِع من كَلَامه ، فرجوعه مَعْنَاهُ الرُّجُوع عَن التَّأْويل إِلَى التَّفْوِيض وَلَا إِنْكَار فِي هَذَا وَلَا فِي مُقَابلَة فإنَّها مَسْأَلَة اجتهاديَّة أَعنِي مَسْأَلَة التَّأْويل أَو التَّفْوِيض مَعَ اعْتِقَاد التَّنْزِيه . إِنَّمَا الْمُصِيبَة الْكُبْرَى والداهية الدَّهياء : الإمرار على الظَّاهِر ، والاعتقاد أَنَّه المُرَاد ، وأَنَّه لَا يَسْتَحِيل على الْبَارِي ، فَذَلِك قَول المجسِّمة

---

[١] انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٦) .

[٢] انظر : العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها (ص١٤٦) .

[٣] انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥) .

عبَّاد الوثن ، الَّذين فِي قُلُوبهم زيغٌ يحملُهم الزّيغُ على اتّبَاع الْمُتَشَابه ابْتِغَاء الْفِتْنَة ، عَلَيْهِم لعائن الله تترى وَاحِدَة بعد أُخْرَى ، مَا أجرأهم على الْكَذِب ، وَأَقلّ فهمهم للحقائق " (١) .

وقال الإمام ابن رجب (٧٩٥هـ) : " ... والصَّواب ما عليه السَّلف الصَّالح من إمرار آيات الصِّفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ، ولا تكييف ، ولا تمثيل : ولا يصحُّ من أحد منهم خلاف ذلك البتَّة ، خصوصاً الإمام أحمد ، ولا خوض في معانيها ، ولا ضرب مثل من الأمثال لها ... " (٢) .

وقال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) : " مِنَ الْمُتَشَابِهِ : آيَاتُ الصِّفَاتِ ، وَلِابْنِ اللَّبَّانِ فِيهَا تَصْنِيفٌ مُفْرَدٌ نَحْوَ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨] ، ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرَّحمن : ٢٧] ، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه : ٣٩] ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح : ١٠] ، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر : ٦٧] ، وَجُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّة مِنْهُمُ السَّلَفُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا وَتَفْوِيضِ مَعْنَاهَا الْمُرَادِ مِنْهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَلَا نُفَسِّرُهَا ، مَعَ تَنْزِيهِنَا لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهَا " (٣) .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري (١٠١٤هـ) : " وَالْحَاصِلُ أَنَّ السَّلَفَ وَالْخَلَفَ مُؤَوِّلُونَ لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ ، وَلَكِنَّ تَأْوِيلَ السَّلَفِ إِجْمَالِيٌّ ، لِتَفْوِيضِهِمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَتَأْوِيلَ الْخَلَفِ تَفْصِيلِيٌّ ، لِاضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ لِكَثْرَةِ الْمُبْتَدِعِينَ " (٤) .

وقال الإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) أيضاً : " قَالَ التِّرْمِذِيّ : وَقد رُوِيَ عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِوَايَات كَثِيرَة فِي مثل هَذَا ، وَالْمذهب فِي هَذَا عَن أهل الْعلم من الْأَئِمَّة ، مثل : سُفْيَان الثَّوْريّ ، وَمَالك بن أنس ، وسُفْيَان بن عُيَيْنَة ، وَابْن الْمُبَارك ، ووكيع ، وَغَيرهم : أَنَّهم قَالُوا : نروي هَذِه الْأَحَادِيث ، ونؤمن بهَا ، وَلَا يُقَال : كَيفَ ، وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ أهل الحَدِيث : أَن يرووا هَذِه

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٩١-١٩٢) .

(٢) انظر : فضل علم السلف على الخلف ، ابن رجب ، (ص٤) ، بلا .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٤) .

(٤) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٦٢) ، وانظر : (٣/ ٩٢٤) .

الْأَشْيَاء كَيفَ جَاءَت ، ويؤمن بهَا ، وَلَا تفسَّر ، وَلَا يتَوَهَّم ، وَلَا يُقَال : كَيفَ . قَالَ : وَهَذَا أَمر أهل الْعلم الَّذِي أختاروه وذهبوا إِلَيْهِ .

وَقَالَ الْخطابِيُّ : كَانَ أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سَلام وَهُوَ أحد أنبياء أهل الْعلم يَقُول : نَحن نروي هَذِه الْأَحَادِيث وَلَا نريغ لَهَا الْمعَانِي .

قَالَ الْخطابِيُّ : وَنحن أَحْرَى أَن لَا نتقدَّم فِيمَا تَأَخَّر عَنهُ من هُوَ أَكثر منا علماً ، وأقدم زَمَاناً وسنّاً ، وَلَكِن الزَّمَان الَّذِي نَحن فِيهِ قد صَار أَهله حزبين : مُنكرٌ لما يرْوى من هَذِه الْأَحَادِيث ، ومكذِّبٌ بِهِ أصلاً ، وَفِي ذَلِك تَكْذِيب الْعلمَاء الَّذين رووا هَذِه الْأَحَادِيث ، وهم أَئِمَّة الدِّين ، وثِقَةُ السّنَن ، والواسطة بَيْننَا وَبَين رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . والطائفة الْأُخْرَى مسلِّمة للرُّواة فِيهَا ، ذَاهِبَة فِي تَحْقِيق الظَّاهِر مِنْهَا مذهباً يكَاد يُفْضِي إِلَى القَوْل بالتَّشبيه ، وَنحن نرغبُ عَن الْأَمريْنِ مَعاً ، وَلَا نرضى بِوَاحِد مِنْهُمَا ، فيحقُّ علينا أَن نطلب لما يرد من هَذِه الْأَحَادِيث إِذا صحَّت من طَرِيق النَّقْل والسند تَأْوِيلاً ..." (١) .

وقال الإمام مرعي بن يوسف الكرمى (١٠٣٣هـ) : " وَجُمْهُور أهل السّنة مِنْهُم السَّلف وَأهل الحَدِيث على الْإِيمَان بهَا وتفويض مَعْنَاهَا الْمُرَاد مِنْهَا إِلَى الله تَعَالَى ، وَلَا نفسِّرها مَعَ تنزيهنا لَهُ عَن حَقِيقَتهَا " (٢) .

وقال الإمام السَّفاريني (١١٨٨هـ) : " فَمَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهم يَصِفُونَ اللهَّ – تَعَالَى – بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَكْيِيفٍ ، وَهُوَ – سُبْحَانَهُ – لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ ، وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصاً أَوْ حُدُوثاً فَاللهَّ – تَعَالَى – مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً ، فإِنَّه – تَعَالَى – مُسْتَحِقُّ الْكَمَالِ الَّذِي لَا غَايَةَ فَوْقَهُ ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ عَدَمُ الْخَوْضِ فِي مِثْلِ هَذَا ، وَالسُّكُوتُ عَنْهُ ، وَتَفْوِيضُ عِلْمِهِ إِلَى اللهَّ – تَعَالَى . قَالَ حَبْرُ الْقُرْآنِ عَبْدُ اللهَّ بْنُ عبَّاس – رَضِيَ الله عَنْهُمَا : هَذَا مِنَ الْمَكْتُومِ الَّذِي لَا يُفَسَّرُ ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُؤْمِنَ بِظَاهِرِهِ ، وَيَكِلَ عِلْمَهُ إِلَى اللهَّ – تَعَالَى . وَعَلَى ذَلِكَ مَضَتْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ ، كَالزُّهْرِيِّ ، وَمَالِكٍ ، وَالْأَوْزَاعِيِّ ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْد ، وَعَبْدِ اللهَّ بْنِ الْمُبَارَكِ ، وَالْإِمَام أَحْمَدَ ، وَإِسْحَاقَ ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ – رَضِيَ الله عَنْهُمْ – يَقُولُونَ فِي الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ : أَمِرُّوهَا كَمَا جاءَتْ . قَالَ سُفْيَانُ بْنُ

(١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص٧٧-٧٨) .

(٢) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص٦٠) .

عُيَيْنَةَ – وَنَاهِيكَ بِهِ : كُلُّ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، فَتَفْسِيرُهُ قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا الله وَرَسُولُهُ . فَهَذَا مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَفُضَلَاءِ الْأَئِمَّــةِ – رَضِيَ الله عَنْهُمْ ... " (١) .

بقي أمر آخر ذكره الإمام الكرمي في أثناء حديثه ، وهو ما نسبه هو وغيره للإمام مالك (١٧٩هـ) في مسألة الاستواء : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ... فهذه العبارة منحولة على مالك ، ورويت كذلك عن ربيعة بن عبد الرَّحمن ، وأمِّ سلمة ، رضي الله عنها ، والحقُّ أنَّ ذلك لم يثبت عنهم ، فقد قال أستاذنا الأُستاذ المحقِّق المدقِّق حسَّان عبد المنَّان – حفظه الله – : " ليس لهذا إسناد يثبتُ وإليك تفصيله :

رواه اللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (٦٦٤) ، وإسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني في " عقيدة السَّلف " (١/ ١١٠-١١١) " من الرَّسائل المنيريَّة " ، وأبو نعيم في " الحلية " (٦/ ٣٢٥-٣٢٦) من طريق سلمة بن شبيب ، عن مهدي بن جعفر عن جعفر بن عبد الله ، عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) .

وتابعه الدَّارمي في " الرَّد على الجهميَّة " (ص٢٨٠) ، فقال : عن مهدي بن جعفر ، عن جعفر بن عبد الله ، عن رجلٍ قد سمّاه لي ، قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس (١٧٩هـ) ... وفي هذا الإسناد ثلاث عِلَلٍ :

رواية الدَّارمي المخالفة لرواية سلمة بن شبيب ، فزاد فيها رجلاً مجهولاً ، وجهالة جعفر بن عبد الله فإن لم أتبيَّنه ، وما عند الدَّارمي في روايته من توثيقه لا يُحسِّنُ أمرَه وحالَه ، وأمَّا مهدي بن جعفر ـ وهو الرَّملي ـ ففيه نظر ، إذ نقلوا أنَّ ابن عدي قال : يروي عن الثِّقات أشياء لا يُتابعُه عليها أحدٌ ، وهذا يُشعر بنكارة حديثه ، وهو ما حكم به البخاري ، فقال : حديثُه منكر . " التَّهذيب " .

ورواه ابن عبد البر في " التَّمهيد " (٧/ ١٥١) من طريق بقي بن مخلد ، حدَّثنا بكار بن عبد الله القرشي ، حدَّثنا مهدي بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، به . وفي هذه الرِّواية وهمٌ وتدليس ، كأنَّه من بكَّر بن عبد الله ، فقد أسقطَ مَنْ بينَ مهدي بن جعفر ومالك ، وقد بيَّنا ذلك في الرِّواية السَّابقة .

ورواه إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني (١/ ١١٠) ، عن أبي الحسن بن إسحاق المدني ، حدَّثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي ، حدَّثنا شاذان ، حدَّثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني ، حدَّثنا جعفر بن ميمون ، قال : سُئل مالك بن أنس ... وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ، فجعفر بن ميمون هو الأنماطي ، وهو ضعيف ، وشاذان وشيخُه لم أعثر لهما على ترجمة !!

---

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٩٦-٩٧) .

ورواه البيهقي (٤٥٨هـ) في " الأسماء والصِّفات " (ص٤٠٨) ، عن أبي عبد الله ، أخبرني أحمد بن محمَّد بن إسماعيل بن مهران ، حدَّثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع ابن أخي رشدين بن سعد ، قال : سمعتُ عبد الله بن وهب ، يقول : كُنَّا عند مالك بن أنس .. فذكره .

وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ـ وإن جوَّد إسناده ابن حجر في " الفتح " (١٣ـ٤٠٧) ، فأبو الربيع لم أعرفه ، وأحمد : لم أعثر له على ترجمة ، وأبوه مترجم في " اللسان " (٥/ ٨١-٨٢) ، وفيه نظرٌ وضعف في آخر ست سنوات من عمره .

ورواه البيهقي (ص٤٠٨) ، عن أبي بكر أحمد بن محمَّد بن الحارث الفقيه الأصفهاني ، أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن جعفر بن حيَّان المعروف بأبي الشَّيْخ ، حدَّثنا أبو جعفر بن زيرك البزي ، سمعتُ محمَّد بن عمرو بن النضر النيسابوري ، يقول : سمعتُ يحيى بن يحيى ، يقول : كُنَّا عند مالك بن أنس فجاء رجل ... فذكره .

وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ، فابنُ زيرك لم أجد له ترجمة ، ومحمَّد بن عمرو بن النضر ذكره ابن حجر في " نزهة الألبـــاب " (٢/ ٩٢) ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وانظر " سير أعلام النُّبلاء " (٨/ ١٠٠-١٠١) .

ورواه ابن عبد البر في " التَّمهيد " (٧/ ١٥١) ، عن محمَّد بن مالك ، قال : حدَّثنا عبد الله بن يونس ، قال : حدَّثنا بقي بن مخلد ، قال : حدَّثنا أيوب بن صلاح المخزومي بالرملة ، قال : كُنَّا عند مالك إذ جاءَه عراقي ، فقال له ... فذكره .

كذا في المطبوع : " أيوب بن صلاح " ، وهو تحريف ، إنَّما هو أيوب بن صالح بن سلمة الحرَّاني المخزومي ، وهو ضعيف ، ضعَّفه ابن معين وغيرُه . انظر ترجمته في " اللسان " (١/ ٤٨٣-٤٨٤) .

وبهذا يتبيَّن لك خطأ الحافظ الذَّهبي في قوله في " العلو " (ص١٤١مختصره) :

" هذا ثابت عن مالك " !! ومن ثمَّ خطأ كُلّ مَن سَلَّمَ بما نُسِبَ إلى الإمام مالك رحمه الله ، لأنَّ أسانيده لا تَقُومُ لذلك .

وقد يَرِدُ علينا أنَّ ذلك بمجموع هذه الطُّرق والأسانيد يصحُّ .

فنقولُ : إنَّ مثلَ هذه الأسانيد لا تتقوَّى ، وليس عجيباً أن تتكثَّرَ ، لأنَّ الفتنة في هذه المسألة قد انتشرت في ذاك الحين ، ونُسِبَ زوراً هذا القول إلى مالك وغيره ، فتناقلَه مجاهيلُ من النَّاس لا يُعرفون بصحيح علمٍ ، ولا

توثيق ، فانتشرت لشائعاتها ، وإلاَّ فقُل لي بربِّكَ ـ : أين الثِّقات من تلامذة الإمام مالك ، وتلامذتهم عن مثل هذه الحادثة وهذا القول ؟! .

وفي الباب مما رُوِيَ بنحوِه :

١.قول أم سلمة : رواه اللالكائي (٦٦٣) ، والصَّابوني في " عقيدة السَّلف " (١/ ١١٠) ، وابن قدامة في " العلو " (٨٢) ، وفي إسنادِه : محمَّد بن أشرس ، وهو متَّهم في الحديث ، وقد تركه غير واحد ، وقال شيخ الإسلام في " الفتاوى " (٥/ ٣٦٥) : وقد رُوِيَ هذا الجواب عن أُم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ، ولكن ليس إسناده ممَّا يُعتمد عليه .

٢. قول ربيعة شيخ الإمام مالك : رواه اللالكائي(٦٦٥) ، والبيهقي (ص٤٠٨-٤٠٩) ، وابن قدامة في " العلو " (٩٠) .. بأسانيد لا تصحُّ .

وعلى أيٍّ فالقضية تبقى رأياً من عالم ، غير ملزمٍ للنَّاس ، ولا قاطع للجدل والفهمِ ، ولا محدِّدٍ لفهمٍ واحدٍ ، بل لكُلٍّ مُتَّسع فيما يرى ... والله أعلم " [١] .

فالكلام المنسوب لمالك ليس دقيقاً ولا صحيحاً ، لأنَّه اقتضى أنَّ لله تعالى كيفيَّة مجهولة ، وهو قول بالتَّجسيم ، قال الإمام المناوي : " الكيف هيئة قارَّة في الشَّيء ، لا تقتضي قسمة ولا نسبة لذاته ، وقال أبو البقاء : الكيفيَّة منسوبة إلى كيف ، وهي معرفة الحال ، لأنَّ كيف سؤال عن الحال ، كيف كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تدرك بالحواس " [٢] .

فهذه هي أقوال علماء الأُمَّة أجمعت على أنَّ السَّلف الصَّالح لم يفسِّروا شَيْئاً مِنْ نصوص الصِّفات ، ولَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا ، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ثمَّ سَكَتُوا وقالوا : كُلُّ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، فَتَفْسِيرُهُ قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا الله وَرَسُولُهُ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ السَّلَفَ وَالْخَلَفَ مُؤَوِّلُونَ لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ ، وَلَكِنَّ تَأْوِيلَ السَّلَفِ إِجْمَالِيٌّ ، فجمهور علماء السَّلف لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيْلِهَا أَصْلاً ، فَلَو كَانَ تَأْوِيْلُهَا حَتْماً ، لَبَادَرُوا إِلَيْهِ ، فَعُلِمَ قَطْعاً أَنَّ قِرَاءتَهَا وَإِمرَارَهَا عَلَى مَا جَاءتْ هُوَ الحَقُّ ، لاَ تَفْسِيْرَ لَهَا غَيْرُ ذَلِكَ ، فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ ، وَنَسْكُتُ اقْتِدَاءً بِالسَّلَفِ ، مُعْتَقِدِيْنَ أَنَّهَا صِفَاتٌ لله – تَعَالَى – اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِ

---

[١] انظر : مجموعة رسائل محمَّد نسيب الرفاعي ، حسان عبد المنان ، (ص٢٨-٢٩) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

[٢] انظر : التوقيف على مهمات التعاريف (ص٦١٤) .

حَقَائِقِهَا ... وقد استوعبتُ ذلك كلِّه فِي رِسَالتي لِدرجَة الماجِسْتير ، وكانت بعنوان : " التَّفْوِيض فِي صِفَات اللهِ تَعالى بيْنَ السَّلف والخَلَف " ....

ومع ذلك كلِّه وغيره الكثير من أقوال العلماء الذين أكَّدوا على أنَّ منهج السَّلف قام على تفويض الكيف والمعنى إلَّا أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة أشاحوا بوجوههم عن الحقِّ مع بياضه وسطوعه ونصاعته ، وأغرقوا أنفسهم في بحار التَّشبيه ، والعياذ بالله تعالى ... حتى بلغ بهم الأمر إلى التَّمادي ...

الثَّالِثَةُ عَشْرَة : في حديثه عن أقسام التَّوحيد !!! اتَّهم المدعو : صالح الفوزان الأشاعرة بأنَّهم يجحدون توحيد الأسماء والصِّفات ، فقال : " والقسم الثَّاني : – وهو توحيد الألوهيَّة – جحده أكثر الخلق ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالدَّعوة إليه ، وقد جحده المشركون قديماً وحديثاً ، وجحودهم له يتمثَّل بعبادة الأشجار ، والأحجار ، والأصنام ، والقبور ، والأضرحة ، وعبادة مشايخ الصُّوفيَّة باعتقاد النَّفع والخير فيهم من دون الله – عزَّ وجلَّ – ممَّن ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً . والقسم الثَّالث – وهو توحيد الأسماء والصِّفات ، ويعني إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النَّقص على حدِّ قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

وهذا القسم قد جحده الجهميَّة وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة ، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الرُّبوبيَّة ، لكن لما كثر منكروه وروَّجوا الشُّبه حوله ؛ أفرد البحث ، وجعل قسماً مستقلاً ، وألفت فيه المؤلَّفات الكثيرة ؛ فألَّف الإمام أحمد ردَّه المشهور على الجهميَّة ، وألَّف ابنه عبد الله كتاب (السنَّة) ، وألَّف عبد العزيز الكناني كتاب (الحيدة) في الرَّدِّ على بشر المريسي ، وألَّف أبو عبد الله المروزي كتاب (السُّنَّة) ، وألَّف عثمان بن سعيد كتاب (الرَّدّ على بشر المريسي) ، وألَّف إمام الأئمة محمَّد بن خزيمة كتاب (التَّوحيد) ، وألَّف غير هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم الرُّدود على هؤلاء ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم ؛ فلله الحمد والمنَّة على بيان الحقِّ ودحض الباطل " (١) .

---

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص١٤٢) .

قلت : أمَّا عن كلام الفوزان عن كتاب " الرَّدّ على الجهميَّة والزَّنادقة " ونسبته للإمام أحمد ، فإنَّ هذا الكتاب مُفترى على الإمام ، ومكذوب عليه ، كتبه ونسبه له من لا يستحي من الله ولا من العباد ... وممَّا جاء في الكتاب من الباطل : " لَّما سمع موسى كلام ربِّه ، قال : يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ، إنَّما كلَّمتك على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلَّمتك بأكثر من ذلك لَمِتَّ . قال : فلمَّا رجع موسى إلى قومه قالوا له : صِفْ لنا كلام ربِّك ؟!!! قال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟! قالوا : فشبِّهه . قال : هل سمعتم أصوات الصواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ، فكأنه مثله " [١] .

أرأيتم كيف نسبَ الصَّوت إلى الله تعالى مع أنَّ الصوت لم تأت إضافته إلى الله تعالى في حديث صحيح ، ثمَّ كيف شبَّه صوت الله تعالى بصوت الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ... !!!

وعن نسبة الكتاب للإمام أحمد قال الإمام الذَّهبي : " ... لاَ كَرِسَالَةِ الإِصْطَخْرِيِّ ، وَلاَ كَالرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ المَوْضُوْعِ عَلَى أَبِي عَبْدِالله ، فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ تَقياً وَرِعاً ، لاَ يَتَفَوَّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ " [٢] .

وقال محقِّق سير أعلام النُّبلاء : " يرى الذَّهبي المؤلِّف أنَّ كتاب " الرَّدُّ على الجهميَّة " موضوعٌ على الامام أحمد . وقد شكَّك أيضاً في نسبة هذا الكتاب إلى الامام أحمد بعض المعاصرين في تعليقه على " الاختلاف في اللفظ ، والردِّ على الجهميَّة " لابن قتيبة . ومستنده أنَّ في السَّند إليه مجهولاً ، فقد رواه أبو بكر غلام الخلَّال ، عن الخلَّال ، عن الخضر بن المثنى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ... والخضر بن المثنى هذا مجهول ، والرِّواية عن مجهول مقدوح فيها ، مطعونٌ في سندها . وفيه ما يخالف ما كان عليه السَّلف من معتقد ، ولا يتسق مع ما جاء عن الإمام في غيره ممَّا صحَّ عنه ، وهذا هو الذي دعا الذَّهبي هنا إلى نفي نسبته إلى الامام أحمد ، ومع ذلك فإنَّ غير واحد من العلماء قد صحَّحوا نسبة هذا الكتاب إليه ، ونقلوا عنه ، وأفادوا منه ، منهم القاضي أبو يعلى ، وأبو الوفاء بن عقيل ، والبيهقي (٤٥٨هـ) ، وابن تيمية ، وتلميذه ابن القيِّم ، وتوجد من الكتاب نسخة خطيَّة في ظاهريَّة دمشق ، ضمن مجموع رقم (١١٦) ، وهي تشتمل على نصِّ " الرَّدّ على الجهميَّة " فقط ، وهو نصف الكتاب ، وعن هذا الأصل نشر الكتاب في الشَّام ، بتحقيق الأستاذ محمَّد فهر الشقفة . ومما يؤكِّد أنَّ هذا الكتاب ليس للإمام أحمد : أننا لا نجد له ذكراً لدى أقرب النَّاس إلى الامام أحمد بن حنبل ممَّن عاصروه وجالسوه ، أو

---

[١] انظر : الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٣٧) .

[٢] انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٦-٢٨٧) .

أتوا بعده مباشرة وكتبوا في الموضوع ذاته ، كالإمام البخاري (٢٥٦هـ) ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، وأبي سعيد الدارمي (٢٨٠هـ) . والإمام أبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الامام أحمد في كتابه : " مقالات الإسلاميِّين " ، ولكنَّه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقاً ، ولم يستفد منه شيئاً " [١] .

وأمَّا عن كلامه على أقسام التَّوحيد !!! ... فتقسيم التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام بدعة مُنكرة لم نرها في كلام أيٍّ من السَّلف ، وهو من تقسيم الحشويَّة الذين كانوا وما زالوا مصيبة وداء عُضالاً حلَّ بأمَة الإسلام ، ومن أفضل الرُّدود على ما قالوه في هذا الباب هو ما جاء في كتاب " براءة الأشعريِّين من عقائد المُخالفين " للعلَّامة محمَّد العربي بن التَّبَّاني ، فإنَّه كفى وشفى ...

أمَّا بقيَّة الكتب التي ذكرها الفوزان ، فسيكون الحديث عنها وعن غيرها من الكتب المعنونة بالسنَّة في دراسة مستقلَّة ضمن كتاب ضخم ، لإطلاع الجميع وإخبارهم في أيِّ فلك يدور من يدَّعون السَّلفيَّة ... وكذا إعلام الجميع بحقيقة السُّنَّة التي إليها ينتسبون ، وإليها يدعون ...

الرَّابِعَةُ عَشْرَة : اتَّهموا الأشاعرة بأنَّهم يصفون الله تعالى بصفات المعدوم والجماد ... فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وهذه الطائفة التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري وصفوا ربَّ العالمين بصفات المعدوم والجماد !!! فلقد أعظموا الفرية على الله ، وخالفوا أهل الحقِّ من السَّلف والأئمَّة وأتباعهم ؛ وخالفوا من ينتسبون إليه ، فإنَّ أبا الحسن الأشعري ، صرَّح في كتابه " الإبانة " ، و " المقالات " ، بإثبات الصِّفات ؛ فهذه الطَّائفة المنحرفة عن الحقِّ قد تجرَّدت شياطينهم لصدِّ النَّاس عن سبيل الله ، فجحدوا توحيد الله في الإلهيَّة ، وأجازوا الشِّرك الذي لا يغفره الله !!! فجوَّزوا أن يعبد غيره من دونه ، وجحدوا توحيد صفاته بالتَّعطيل .

فالأئمَّة من أهل السُّنَّة وأتباعهم لهم المصنَّفات المعروفة في الرَّدِّ على هذه الطَّائفة الكافرة !!! المعاندة !!! كشفوا فيها كلّ شبهة لهم ، وبيَّنوا فيها الحقَّ الذي دلَّ عليه كتاب الله وسنَّة رسوله ، وما عليه سلف الأُمَّة وأئمّتها من كلِّ إمام رواية ودراية " [٢] .

فعلماء نجد الأعلام !!! يُصرِّحون بتكفير الأشعريَّة ، وبتكفيرهم لهم تكفير للسَّواد الأعظم من الأُمَّة ...أمَّا عن حديثهم عن كتاب الإبانة ... فكتابُ " الإبانة " كتابٌ لعبت به الأيدي الأثيمة العابثة ، وقد

---

[١] انظر : هامش سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧) .

[٢] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢٠٦-٢٠٧) .

استوعب المسألة بالدَّليل الأستاذ وهبي غاوجي في رسالته الطيِّبة : " نظرة علميَّة في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن " ، حيث دلَّل وأثبت بأنَّ قسماً لا يُستهان به من الإبانة لا يصحُّ نسبته للإمام الأشعري ...

الخَامِسَةُ عَشْرَة : حكموا بأنَّه لا يمكن البتَّة أن يكون الأشاعرة من أهل السُّنَّة والجماعة ...

فقد جاء في مجموع رسائل ابن عثيمين :

" سئل فضيلة الشَّيْخ : عمَّا يتعلمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلاميَّة من أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو " الإيمان بأسماء الله – تعالى – ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل " . وهل تقسيم أهل السُّنَّة إلى قسمين : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، ومدرسة الأشاعرة والماتريديَّة تقسيم صحيح ؟ وما موقف المسلم من العلماء المئولين ؟

فأجاب بقوله : لا شكَّ أنَّ ما يتعلَّمه الطَّلبة في المدارس من أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو : (الإيمان بأسماء الله – تعالى – ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل) ، هو المطابق للواقع بالنسبة لمذهب أهل السُّنَّة ، كما تشهد بذلك كتبهم المطوَّلة والمختصرة ، وهو الحقُّ الموافق لما جاء في الكتاب والسُّنَّة ، وأقوال السَّلف ، وهو مقتضى النَّظر الصَّحيح ، والعقل الصَّريح ، ولسنا بصدد سرد أفراد الأدلَّة في ذلك ، لعدم طلبه في السُّؤال ، وإنَّما نجيب على ما طلب وهو تقسيم أهل السُّنَّة إلى طائفتين في مدرستين :

إحداهما : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، المانعين لصرف النُّصوص عن ظواهرها .

الثَّانية : مدرسة الأشاعرة والماتريدية ، الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته .

فنقول : من المعلوم أنَّ بين هاتين المدرستين اختلافاً بيِّناً في المنهاج فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته ، فالمدرسة الأولى يقرِّر معلِّموها وجوب إبقاء النُّصوص على ظواهرها فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته ، مع نفي ما يجب نفيه عن الله – تعالى –، من التَّمثيل أو التَّكييف ، والمدرسة الثَّانية يقرِّر معلِّموها وجوب صرف النُّصوص عن ظواهرها فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته .

وهذان المنهاجان متغايران تماماً ، ويظهر تغايرهما بالمثال التالي :

قال الله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] . وقال فيما حكاه عن معاتبة إبليس حين أبى أن يسجد لآدم بأمر الله : ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] . فقد اختلف معلِّمو المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله تعالى لنفسه .

فقال أهل المدرسة الأولى : يجب إبقاء معناهما على ظاهره ، وإثبات يدين حقيقيتين لله تعالى !!! على وجه يليق به .

وقال أهل المدرسة الثَّانية : يجب صرف معناهما عن ظاهره ، ويحرم إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، ثمَّ اختلفوا في المراد بهما هل هو القوَّة ، أو النِّعمة .

وبهذا المثال يتبيَّن أنَّ منهاجي أهل المدرستين مختلفان متغايران ، ولا يمكن بعد هذا التَّغاير أن يجتمعا في وصف واحد ، هو " أهل السُّنَّة " . إذن فلا بدَّ أن يختصَّ وصف أهل السُّنَّة بأحدهما دون الآخر ، فلنحكم بينهما بالعدل ، ولنعرضهما على ميزان القسط وهو كتاب الله تعالى ، وسنَّة رسوله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكلام الصَّحابة ، والتَّابعين لهم بإحسان من سلف الأمَّة وأئمَّتها . وليس في هذا الميزان ما يدلُّ بأي وجه من وجوه الدِّلالة ، المطابقة ، أو التضمُّن ، أو الالتزام صريحاً أو إشارة على ما ذهب إليه أهل المدرسة الثَّانية ، بل في هذا الميزان ما يدلُّ دلالة صريحة ، أو ظاهرة ، أو إشاريَّة على ما ذهب إليه أهل المدرسة الأولى ، وعلى هذا فيتعيَّن أن يكون وصف أهل السُّنَّة خاصاً بهم لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثَّانية ؛ لأنَّ الحكم بمشاركتهم إيَّاهم جور ، وجمع بين الضدَّين ، والجور ممتنع شرعاً ، والجمع بين الضدَّين ممتنع عقلاً " (١) .

وحتى يتَّضح لك الأمر جليَّاً أيُّها القارئ الكريم ... سأضع بين يديك طائفة يسيرة من أقوال علماء الأُمَّة الذين فسَّروا قول الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة: ٦٤] ، لتعلم يقيناً أنَّ الحقَّ هو ما قاله الجمهور الذي خالفه العثيمين وزمرته ...

قال الإمام أبو الحسن المجاشعي بالولاء ، البلخي ثمَّ البصري ، المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ) : " وكذلك ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ، كما تقول : إنَّ لِفُلانٍ عِنْدِي يَداً ، أي : نِعْمَةً " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (٢٨٣هـ) : " قوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ ، قـــال : يعني حكمه وأمره ونهيه نافذ في ملكه " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيْخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١١٥-١١٧) .

(٢) انظر : معاني القرآن (١/ ٢٨٤) .

(٣) انظر : تفسير التستري (ص٥٨) .

وقال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " القول في تأويل قوله : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] ، قال أبو جعفر : وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْ جَرَاءَةِ الْيَهُودِ عَلَى رَبِّهِمْ وَوَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ ، تَوْبِيخاً لَهُمْ بِذَلِكَ وَتَعْرِيفاً مِنْهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِيمَ جَهْلِهِمْ وَاغْتِرَارَهُمْ بِهِ وَإِنْكَارَهُمْ جَمِيعَ جَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ وَكَثْرَةَ صَفْحِهِ عَنْهُمْ وَعَفْوِهِ عَنْ عَظِيمِ إِجْرَامِهِمْ ، وَاحْتِجَاجاً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ لَهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ أَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَنْبَأَهُمْ بِهَا كَانَتْ مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ وَمَكْنُونِهَا الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَضْلاً فَأَطْلَعَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقَرِّرَ عِنْدَهُمْ صِدْقَهُ وَيَقْطَعَ بِذَلِكَ حُجَّتَهُمْ. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤] يَعْنُونَ : أَنَّ خَيْرَ اللهَّ مُمْسَكٌ ، وَعَطَاءُهُ مَحْبُوسٌ عَنِ الِاتِّسَاعِ عَلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي تَأْدِيبِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ، وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَى ذِكْرُهُ الْيَدَ بِذَلِكَ ، وَالْمَعْنَى : الْعَطَاءُ ، لِأَنَّ عَطَاءَ النَّاسِ وَبَذْلَ مَعْرُوفِهِمُ الْغَالِبَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَجَرَى اسْتِعْمَالُ النَّاسِ فِي وَصْفِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً إِذَا وَصَفُوهُ بِجُودٍ وَكَرَمٍ أَوْ بِبُخْلٍ وَشُحٍّ وَضِيقٍ ، بِإِضَافَةِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ ، الْمَوْصُوفِ إِلَى يَدَيْهِ ، كَمَا قَالَ الْأَعْشَى فِي مَدْحِ رَجُلٍ :

يَدَاكَ يَدَا مَجْدٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَكَفٌّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

فَأَضَافَ مَا كَانَ صِفَةَ صَاحِبِ الْيَدِ مِنْ إِنْفَاقٍ وَإِفَادَةٍ إِلَى الْيَدِ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا وَأَمْثَالِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى. فخَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا يَتَعَارَفُونَهُ ، وَيَتَحَاوَرُونَهُ بَيْنَهُمْ فِي كَلَامِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤] يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَّ يَبْخَلُ عَلَيْنَا وَيَمْنَعُنَا فَضْلَهُ فَلَا يَفْضُلُ ، كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْسُطَهَا بِعَطَاءٍ وَلَا بَذْلِ مَعْرُوفٍ. تَعَالَى اللهُ عَمَّا قَالَ أَعْدَاءُ الله . فَقَالَ اللهُ مُكَذِّبُهُمْ وَمُخْبِرُهُمْ بِسَخَطِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [المائدة: ٦٤] يَقُولُ : " أُمْسِكَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ ، وَقُبِضَتْ عَنِ الِانْبِسَاطِ بِالْعَطِيَّاتِ ، وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، وَأُبْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهَّ وَفَضْلِهِ بِالَّذِي قَالُوا مِنَ الْكُفْرِ وَافْتَرَوْا عَلَى اللهَّ وَوَصَفُوهُ بِهِ مِنَ

الْكَذِبِ ، وَالْإِفْكِ ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يَقُولُ : " بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ بِالْبَذْلِ وَالإِعْطَاءِ وَأَرْزَاقِ عِبَادِهِ وَأَقْوَاتِ خَلْقِهِ ، غَيْرُ مَغْلُولَتَيْنِ وَلَا مَقْبُوضَتَيْنِ ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: ٦٤] يَقُولُ : " يُعْطِي هَذَا وَيَمْنَعُ هَذَا فَيُقَتِّرُ عَلَيْهِ . وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ . ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ [المائدة: ٦٤] قَالَ : لَيْسَ يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مُوثَقَةٌ ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ بَخِيلٌ أَمْسَكَ مَا عِنْدَهُ. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾[المائدة: ٦٤] قَالَ : لَقَدْ يَجْهَدُنَا الله يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ إِلَى نَحْرِهِ وَكَذَبُوا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شِبْلٌ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ قَالَ : " الْيَهُودُ تَقُولُ : لَقَدْ يَجْهَدُنَا اللَّهُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ حَتَّى إِنَّ يَدَهُ إِلَى نَحْرِهِ . ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ إِلَى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] ، أَمَّا قَوْلُهُ ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ قَالُوا : اللَّهُ بَخِيلٌ غَيْرُ جَوَادٍ ، قَالَ الله : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطٌ ، عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَلَا يَبْسُطُهَا حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْنَا مُلْكَنَا " وأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ يَقُولُ : يَرْزُقُ كَيْفَ يَشَاءُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثني حَجَّاجٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عِكْرِمَةُ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ الآيَةُ ، نَزَلَتْ فِي فِنْحَاصٍ الْيَهُودِيِّ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو تُمَيْلَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ ، قَوْلُهُ : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يَقُولُونَ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَيْسَ بِجَوَادٍ . قَالَ الله : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أُمْسِكَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ النَّفَقَةِ وَالْخَيْرِ . ثُمَّ قَالَ يَعْنِي نَفْسَهُ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ، وَقَالَ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] يَقُولُ : لَا تُمْسِكْ يَدَكَ عَنِ النَّفَقَةِ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْجَدَلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عُنِيَ بِذَلِكَ نِعْمَتَاهُ ، وَقَالَ : ذَلِكَ بِمَعْنَى : يَدُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ نِعَمُهُ عَلَيْهِمْ ؛ وَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ : لَكَ عِنْدِي يَدٌ ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ : نِعْمَةً . وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ : عَنَى بِذَلِكَ الْقُوَّةَ ، وَقَالُوا : ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾ [ص: ٤٥] ، وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ : بَلْ يَدُهُ مُلْكُهُ ؛ وَقَالَ : مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مُلْكُهُ وَخَزَائِنُهُ . قَالُوا : وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْعَرَبِ لِلْمَمْلُوكِ : هُوَ مِلْكُ يَمِينِهِ ، وَفُلَانٌ بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِ فُلَانَةَ : أَيْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ، وَكَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] ، وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ : بَلْ يَدُ اللَّهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ هِيَ يَدٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ كَجَوَارِحِ بَنِي آدَمَ . قَالُوا : وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ خُصُوصِيَّةِ آدَمَ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ (١) ...

وقال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجّاج (٣١١هـ) : " ... أي : قالوا يده مُمْسِكة عن الاتساع علينَا . كما قال الله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ، تَأويله لا تمسِكها عنِ الإنفاق . قال بعضهم : معنى ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، نعْمَتُه مقبوضة عَنَّا ، وهذا القول خطأ ينقضُه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ، فيكون المعنى : بلْ نِعْمَتَاهُ مبسُوطتانِ ، نِعَمُ اللَّهِ أكثرُ مِن أن تُحصى . وقال بعضهم : وقالوا يَدُ اللَّهِ مغْلُولة عَنْ أعدائنا ، أي لا يُعذِّبُنا . وقال بعض اهل اللغة : إنَّما أَجِيبُوا

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ٤٥٠-٤٥٤ باختصار) .

على قَدْرِ كَلَامِهِمْ . كما قالُوا يدُ الله مغْلُولة ، يريدون به تبخيل اللهَّ . فقيل : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ، أي : هو جَوَاد ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: ٦٤] (١) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ، يقال : أمره ونهيه ، ويقال : نعمتان نعمة الدُّنيا ونعمة الآخرة ، ويقال : نعمتان في السَّماء المطر ، وفي الأرض النَّبات ، يعني : رزقه واسع باسط على خلقه ، ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ يقول : يرزق لمن يشاء مقدار ما يشاء ، فله خزائن السَّموات والأرض . وهذا كما روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " قَالَ الله تَعَالَى : لَوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، سَأَلَ كُلُّ رَجُلٍ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ ، لَمْ يَنْقُصْ ذلك مِنْ خَزَائِنِ مُلْكِي مِقْدَارَ مَا يُغْتَرَفُ مِنَ البَحْرِ بِرَأسِ إبْرَةٍ وَاحِدَةٍ " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن ، محمَّد بن الحسين بن موسى ، الملقَّب بالشَّريف الرضي (٤٠٦هـ) : " ... وهذه استعارة . ومعناها : أنَّ اليهود أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه ، فكذبهم تعالى بقوله : بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ ، وليس المراد بذكر اليدين هاهنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة ، وإنَّما المراد به المبالغة في وصف النِّعمة . كما يقول القائل : ليس لي بهذا الأمر يدان ، وليس يريد به الجارحتين ، وإنَّما يريد المبالغة في نفي القوَّة على ذلك الأمر . وربَّما قيل : إنَّ المراد بذلك نعمة الدُّنيا ونعمة الآخرة " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكِّي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " وقد قيل في قوله : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾: أنَّهما مطر السَّماء ونبات الأرض ، لأنَّ النِّعم (بهما ومنهما) تكون .

قوله : ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ ، أي : من الخير ، ﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ ، أي : أبعدوا من رحمة الله عزَّ وجلَّ لقولهم ذلك . وقيل : غلَّت في الآخرة ، وهو دعاء عليهم .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، الزَّجَّاج ، (٢/ ١٨٩-١٩٠) ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢) انظر : بحر العلوم (١/ ٤٢٧) .

(٣) انظر : تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢/ ١٣٢) .

ثمَّ قال تعالى - رادَّاً لما حكى من قولهم -: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ، أي : بالبذل والإعطاء ، ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ أي : يعطي : فيحرم هذا ويقتِّر عليه ، ويوسع على هذا .

قال عكرمة ومجاهد والضَّحَّاك : قولهم : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ ، معناه : أنَّه بخيل ليس بالجواد . وكذلك معنى قول ابن عبَّاس وغيره .

قوله : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ، قيل : معناه : نعمتاه الظَّاهرة والباطنة على خلقه مبسوطتان . وقيل : معناه : نعمتاه ، يعني نعمته في الدُّنيا ونعمته في الآخرة . والعرب تقول : " لفلان عند فلان يد " ، أي : نعمة . وقيل : عنى بذلك القوَّة ، كقوله : ﴿ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥] ، أي : أصحاب القوَّة والبصائر في الدِّين .

وقد قيل في معنى قولهم : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ ، أي : عن عذابنا ، أي : يده مقبوضة عن عذابنا ، ومعنى ﴿مَبۡسُوطَتَانِ﴾ : مُطْلقتان .

واليد - عند أهل النَّظر والسُّنَّة في هذا الموضع وما كان مثله - صفة من صفات الله ، ليس بجارحة ، فعلينا أن نصفه بما وصف به نفسه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، فلا يحلُّ لأحد أن يعتقد الجوارح لله ، إذ ليس كمثله شيء ، و (أنَّ ما) وقع من ذكر هذا وشبهه ، وذكر المجيء والإتيان ، صفات لله ، لا أنَّها فيها انتقال وحركة وجارحة ، فسبحان من ليس كمثله شيء من جميع الأشياء ، فلو أنَّك أثبتَّ له حركة أو انتقالاً أو جارحة لكنت قد جعلته كبعض الأشياء الموجودة ، وقد قال : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، فاحذر أن يتصوَّر في عقلك أنَّ البارئ جلَّ ذكره يشبه شيئاً من الأشياء التي عقلت وفهمت ، ومتى فعلت شيئاً من هذا فقد ألحدت ، وأهل السُّنَّة يقولون : إنَّ يديه غير نعمته " [1] ...

---

[1] انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٣/ ١٧٩٩-١٨٠١) ، وللاستزادة في هذه المسألة انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٢/ ٥١-٥٢) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٠٧) ، تفسير الراغب الأصفهاني (٥/ ٣٩٣) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل (١/ ٦٨٩) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢١٥-

السَّادِسَةُ عَشْرَة : وهذا دكتورهم سفر حوالي ، يُخرج الأشـــاعرة من أهل السُّنَّة والجماعة ، وفي ذلك يقول :

إِنَّ مصطلح أهل السّنة وَالْجَمَاعَة يُطلق وَيُرَاد بِهِ مَعْنيانِ :

أ . الْمَعْنى الْأَعَمّ : وَهُوَ مَا يُقَابل الشِّيعَة ، فَيُقَال : المنتسبون لِلْإِسْلَام قِسْمَانِ : أهل السُّنَّة والشِّيعة ، مِثْلَمَا عنون شيخ الْإِسْلَام كِتَابه فِي الرَّد على الرافضي " منهاج السُّنَّة " ، وَفِيه بيَّن هذَيْن الْمَعْنيين ، وَصرَّح أَنَّ مَا ذهبت إِلَيْهِ الطوائف المبتدعة من أهل السُّنَّة بِالْمَعْنَى الْأَخَص . وَهَذَا الْمَعْنى يدْخل فِيهِ كل من سوى الشِّيعَة ، كالأشاعرة ، لاسيَّما والأشاعرة فِيمَا يتَعَلَّق بموضوع الصَّحَابَة وَالْخُلَفَاء متفقون مَعَ أهل السُّنَّة ، وهي نقطة الِاتِّفَاق المنهجيَّة الوحيدة !!! كَمَا سَيَأْتِي .

ب . الْمَعْنى الْأَخَص : وَهُوَ مَا يُقَابل المبتدعة وَأهل الْأَهْوَاء ، وَهُوَ الْأَكْثَر اسْتِعْمَالاً ، وَعَلِيهِ كتب الْجرْح وَالتَّعْدِيل . فَإِذا قَالُوا عَن الرجل أَنَّه صَاحب سُنَّة أَو كَانَ سنيَّاً أومن أهل السُّنَّة وَنَحْوهَا ، فَالْمُرَاد أَنَّه لَيْسَ من إِحْدَى الطَّوائف البدعيَّة كالخوارج ، والمعتزلة ، والشِّيعة ، وَلَيْسَ صَاحب كَلَام وَهوى .

وَهَذَا الْمَعْنى لَا يدْخل فِيهِ الأشاعرة أبداً ، بل هم خارجون عَنهُ ، وَقد نَصَّ الإِمَام أَحْمد وَابْن الْمَدِينِيّ على أَنَّ من خَاضَ فِي شَيْء من علم الْكَلَام ، لَا يعْتَبر من أهل السُّنَّة ، وَإِن أَصَاب بِكَلَامِهِ السُّنَّة حَتَّى يدع الجدلي وَيسلِّم للنُّصوص ، فَلم يشترطوا مُوَافقَة السُّنَّة فَحسب ، بل التلقِّي والاستمداد مِنْهَا ، فَمن تلقى من السُّنَّة فَهُوَ من أَهلهَا وَإِن أَخطَأ ، وَمن تلقَّى من غَيرهَا فقد أَخطَأ وَإِن وافقها فِي النَّتيجة . والأشاعرة – كَمَا سترى – تلقّوا وَاسْتَمَدُّوا من غير السُّنَّة ، وَلم يوافقوها فِي النَّتائج ، فَكيف يكون من أَهلهَا ؟!!! " (١) .

السَّابِعَةُ عَشْرَة : قال الدُّكتور سفر حوالي أيضاً : " ... قد أوضحنا فِيمَا سبق أَنَّ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة والأشاعرة فرقتان مُخْتَلِفَتَانِ ، وَهَذَا يسْتَلْزم تَحْدِيد أَيّهمَا الْفرْقَة النَّاجِية ؟ " (٢) .

---

٢١٦) ، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٦٦) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٢/ ٣٩٥-٣٩٧) ، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) (١/ ٣٩٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٣٩) ، أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (٢/ ١٣٥) ، تفسير النسفي (١/ ٢٧٣) ، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٣٨) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٢/ ٧٠-٧٢) ، البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣١٥) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣/ ١٤٦) ، اللباب في علوم الكتاب (٧/ ٤٢٧-٤٢٩) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٦١٤) .

(١) انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني (ص١٥-١٧) .

(٢) انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني (ص٦٩) .

وأضاف قائلاً : " بل نَحن نَزِيدكُمْ إيضاحاً فَنَقُول :

إِنَّ هَذِه العقائد الَّتِي أدخلتموها فِي الْإِسْلَام وجعلتموها عقيدة الْفرْقَة النَّاجِية بزعمكم ، هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فلاسفة اليونان ومشركو الصَّابئة وزنادقة أهل الْكتاب !!!

لَكِن ورثهَا عَنْهُم الجهم بن صَفْوَان ، وَبشر المريسي ، وَابْن كُلَّاب ، وَأَنْتُم ورثتموها عَن هَؤُلَاءِ ، فَهِيَ من تَرِكَة الفلاسفة ، والابتداع ، وَلَيْسَت من مِيرَاث النُّبُوَّة وَالْكتاب .

وَمن أوضح الْأَدِلَّة على ذَلِك : أننا مَا نزال حَتَّى الْيَوْم نردُّ عَلَيْكُم بِمَا أَلّفه أَئِمَّة السُّنَّة الْأَولونَ من كتب فِي الردود على " الْجَهْمِيَّة " كتبوها قبل ظُهُور مذهبكم بِزَمَان ، وَمِنْهُم : الإِمَام أَحْمد ، وَالْبُخَارِيّ ، وَأَبُو دَاوُد ، والدَّارمي ، وَابْن أبي حَاتِم ...

فَدلَّ هَذَا على أَنَّ سلفكم أُولَئِكَ الثَّلَاثَة وأشباههم ، مَعَ مَا زدتم عَلَيْهِم ، وركبتم من كَلَامهم من بدع جَدِيدَة !!! " (١) .

الثَّامِنَةُ عَشْرَة : قال ابن باز : " فالأشاعرة وأشباههم لا يدخلون في أهل السُّنَّة في إثبات الصِّفات ، لكونهم قد خالفوهم في ذلك ، وسلكوا غير منهجهم ، وذلك يقتضي الإنكار عليهم ، وبيان خطئهم في التَّأويل ، وأنَّ ذلك خلاف منهج أهل السُّنَّة والجماعة ، كما تقدَّم بيانه في أوَّل هذه التَّنبيهات ، كما أنَّه لا مانع أن يقال : إنَّ الأشاعرة ليسوا من أهل السُّنَّة في باب الأسماء والصِّفات ، وإن كانوا منهم في الأبواب الأخرى ، حتى يعلم النَّاظر في مذهبهم أنَّهم قد أخطأوا في تأويل بعض الصِّفات وخالفوا أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم بإحسان في هذه المسألة ، تحقيقاً للحقِّ ، وإنكاراً للباطل ، وإنزالاً لكلٍّ من أهل السُّنَّة والأشاعرة في منزلته التي هو عليها " (٢) .

التَّاسِعَةُ عَشْرَة : قال ابن باز أيضاً : " ومن العقائد المضادَّة للعقيدة الصَّحيحة في باب الأسماء والصِّفات !!! عقائد أهل البدع : من الجهميَّة ، والمعتزلة ، ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عزَّ وجلَّ ، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال ، ووصفه عزَّ وجلَّ بصفة المعدومات ، والجمادات ، والمستحيلات ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ويدخل في ذلك من نفى بعض الصِّفات وأثبت بعضها ، كالأشاعرة ، فإنَّه يلزمهم فيما أثبتوه

---

(١) انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني (ص٧١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٣/ ٧٤) .

من الصِّفات نظير ما فرُّوا منه من الصِّفات التي نفوها ، وتأوَّلوا أدلَّتها ، فخالفوا بذلك الأدلَّة السَّمعيَّة والعقليَّة ، وتناقضوا في ذلك تناقضاً بيِّناً " (١) .

العِشْرُوْن : قال المدعو : صالح الفوزان : " وبهذا يعلم أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم ينفرد بقول لم يقم عليه دليلٌ من الكتاب والسُّنَّة ، ولم يقل به أحدٌ من الأئمَّة من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم . ومن أراد الحقَّ في هذا فلينظر في مجموع فتاواه الكبير الذي بلغ خمسة وثلاثين مجلَّداً ، وطبع عدة مرَّات ، ووزِّع على نطاق واسع في العالم الإسلامي ، ولا يصدق ما أشاعه عنه المغرضون ، فإنَّ قول الخصم غير مقبول على خصمه ، وإنَّما يرجع إلى كلام الشخص نفسه ، ويحكم عليه بموجبه ، واليوم والحمد لله كتب شيخ الإسلام وفتاواه قد انتشرت واشتهرت ، وهي تدحض ما افتراه عليه خصومه من الأكاذيب ، ومن رجع إلى هذه المؤلفات القيِّمة ، أدرك أنَّه مفترى عليه ، ووجد في هذه المؤلَّفات العلم الغزير الموروث عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يسع المنصف الخالي من التعصُّب الأعمى إلا أن يقرَّ له بالعلم والفضل .

قالوا أنَّه أفتى بفتاوى تخالف فتاوى الأئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة ، وهذا من الكذب على شيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو لم ينفرد بقول يخالف به الأئمَّة جميعاً ، سواء الأئمَّة الأربعة أو أئمة السَّلف الذين هم قبل الأربعة ، كما سبق بيانه ، فلم يقل قولاً إلا وله سلف فيه من الأئمَّة ، وأهل السُّنَّة والجماعة ، اللهمَّ إلا أن يريد هذا القائل بأهل السُّنَّة والجماعة جماعة الأشاعرة والماتريديَّة - فهذا اصطلاح خاطئ ؛ لأنَّ المراد بأهل السُّنَّة والجماعة حقاً من كان على طريقة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وهم الفرقة النَّاجية ، وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الصَّحابة والتَّابعين ومن سار على نهجهم واتبع طريقهم ، والأشاعرة والماتريديَّة خالفوا الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة الأربعة في كثير من المسائل الاعتقاديَّة وأُصول الدِّين !!! فلم يستحقُّوا أن يلقَّبوا بأهل السُّنَّة والجماعة ، وهؤلاء لم يخالفهم شيخ الإسلام ابن تيمية وحده ، بل خالفهم عامَّة الأئمَّة والعلماء الذين ساروا على نهج السَّلف " (٢) .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (١ / ٢٧) .

(٢) انظر : من مشاهير المجددين في الإسلام (ابن تيمية ومحمَّد بن عبد الوهاب) (ص٣٢) .

الحَادِيَة والعِشْرُوْن : قال المدعو : محمَّد حامد الفقي ، في تحقيقه لكتاب : " فتح المجيد " : " ... فإنَّ جهم بن صفوان ومن تبعه يزعمون أنها لا تدلُّ على صفة قائمة بالله تعالى ، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم .

فلهذا كفَّرهم كثيرون من أهل السُّنَّة !!! قال العلَّامة ابن القيم – رحمه الله تعالى – :

ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في   عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عن   هم بل حكاه قبله الطَّبراني

فإنَّ هؤلاء الجهميَّة ومن وافقهم على التَّعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله " (١) .

الثَّانِيَة وَالعِشْرُوْن : قال ابن عثيمين : " فإذا سئلنا : من أهل السُّنَّة والجماعة ؟

فنقول : هم المتمسِّكون بالإسلام المحض ، الخالص عن الشَّوب . وهذا التَّعريف من شيخ الإسلام ابن تيمية يقتضي أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة ونحوهم ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ، لأنَّ تمسُّكهم مشوبٌ بما أدخلوا فيه من البدع . وهذا هو الصَّحيح ، أنَّه لا يعدُّ الأشاعرة والماتريديَّة فيما ذهبوا إليه في أسماء الله وصفاته من أهل السُّنَّة والجماعة .

وكيف يعدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك مع مخالفتهم لأهل السُّنَّة والجماعة ؟! لأنَّه يقال : أمَّا إن يكون الحقُّ فيما ذهب إليه هؤلاء الأشاعرة والماتريديَّة ، أو الحقُّ فيما ذهب إليه السَّلف !!! ومن المعلوم أنَّ الحقَّ فيما ذهب إليه السَّلف ، لأنَّ السَّلف هنا هم الصَّحابة والتَّابعون وأئمَّة الهدى من بعدهم ، فإذا كان الحقُّ فيما ذهب إليه السَّلف ، وهؤلاء يخالفونهم ، صاروا ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك (٢) .

الثَّالِثَةُ والعِشْرُوْن : قال ابن باز في جوابه على سؤال : هل الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، أرجو التَّوضيح ؟ تحت عنوان : " بيان طائفة الأشاعرة " :

ج : الأشاعرة عندهم أشياء خالفوا فيها أهل السُّنَّة من تأويل بعض الصِّفات ، فهم في بعض التَّأويل ليسوا من أهل السُّنَّة ؛ لأنَّ أهل السُّنَّة لا يؤولون ، وهذا غلط من الأشاعرة ومنكر ، وعندهم مخالفات غير ذلك !!! والواجب على المؤمن هو طريق أهل السُّنَّة والجماعة ، وهو الإيمان بأسماء الله كلها ، وصفاته الواردة في القرآن

---

(١) انظر : هامش كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٠١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيْخ محمَّد بن صالح العثيمين (٨/ ٦٨٥-٦٨٦) .

الكريم ، وهكذا الثابتة في السُّنَّة ، يجب الإيمان بها ، وإمرارها كما جاءت ، بلا تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تأويل ، بل يجب أن تمرَّ كما جاءت ، مع الإيمان بها على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى " (1) .

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن : في كتابه : " تأكيد المسلَّمات السَّلفيَّة في نقض الفتوى الجماعيَّة بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضيَّة " ، ذكر المدعو : عبد العزيز بن ريِّس الريِّس ، أسماء من اشتملت عليه كتبهم في تكفير الأشاعرة ، فقال : " العلماء الذين قرَّروا !!! بأنَّ الأشاعرة مبتدعة من الفرق الهالكة ، وأنَّهم ليسوا من أهل السُّنَّة " :

قد نصَّ غير واحد من أهل العلم على أنَّ الأشاعرة مُبتدعة ، ومعنى هذا أنَّهم ليسوا من أهل السُّنَّة ، وعليه فلا يكونون من الفرقة النَّاجية الطَّائفة المنصورة :

١ . إمام أهل السُّنَّة الإمام أحمد : فقد بدَّع الكُلَّابيَّة ، وشدَّد عليهم ، وهم كالأشاعرة الأوائل ، قال الإمام ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنقل " (٦/٢) : " وأمَّا الحارث المحاسبي ، فكان ينتسب إلى قول ابن كُلَّاب ، ولهذا أمر أحمد بهجره ، وكان أحمد يحذِّر عن ابن كُلَّاب وأتباعه " وقال في الفتاوى (٣٦٨/١٢) : والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمَّة السُّنَّة كانوا يحذِّرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كُلَّاب ويحذِّرون عن أصحابه . وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكُلَّابيَّة .

وقال في كتابه : " الاستقامة " (١٠٥/١) : والكُلَّابيَّة هم مشايخ الأشعريَّة ، فإنَّ أبا الحسن الأشعري إنَّما اقتدى بطريقة أبي محمَّد بن كُلَّاب ، وابن كُلَّاب كان أقرب إلى السَّلف زمناً وطريقة ، وقد جمع أبو بكر بن فورك شيخ القشيري كلام ابن كُلَّاب والأشعري ، وبيَّن اتفاقهما في الأصول ، ولكن لم يكن كلام أبي عبد الرَّحمن السّلمي قد انتشر بعد ، فإنَّه انتشر في أثناء المائة الرَّابعة ، لما ظهرت كتب القاضي أبي بكر بن الباقلاني ونحوه ا.هـ

وقال كما في الفتاوى : (١٧٨/١٢) : وأمَّا قوله : وقوم نحوا إلى أنَّه – أي القرآن – قديم لا بصوت ولا حرف إلا معنى قائم بذات الله ، وهم الأشعريَّة ، فهذا صحيح ، ولكن هذا القول أوَّل من قاله في الإسلام عبدالله بن كُلَّاب ، فإنَّ السَّلف والأئمة كانوا يثبتون لله تعالى ما يقوم به من الصِّفات والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته ، والجهميَّة تنكر هذا وهذا ، فوافق ابن كُلَّاب السَّلف على القول بقيام الصِّفات القديمة ، وأنكر أن يقوم به شيء يتعلَّق بمشيئته وقدرته ، وجاء أبو الحسن الأشعري بعده وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي المعتزلي ثمَّ أنَّه رجع عن مقالة المعتزلة ، وبيَّن تناقضهم في مواضع كثيرة ، وبالغ في مخالفتهم في مسائل القدر ، والإيمان ، والوعد والوعيد

---

(1) انظر : فتاوى نور على الدرب (١٥٦/٣) .

، حتى نسبوه بذلك إلى قول المرجئة والجبريَّة والواقفة ، وسلك في الصِّفات طريقة ابن كُلَّاب ، وهذا القول في القرآن هو قول ابن كُلَّاب في الأصل ، وهو قول من اتبعه كالأشعري وغيره ا.هـ

وقال كما في الفتاوى (١٧/ ١٤٩) : كالكُلَّابيَّة ومن اتبعهم من الأشعريَّة وغيرهم ا.هـ

وقال الإمام أبو بكر ابن خزيمة كما في سير أعلام النُّبلاء : (١٤/ ٣٨٠) لما قال له أبو علي الثَّقفي : " ما الذي أنكرت أيها الأستاذ من مذاهبنا حتى نرجع عنه ؟ قال : ميلكم إلى مذهب الكُلَّابيَّة ، فقد كان أحمد بن حنبل من أشدِّ النَّاس على عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب ، وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره ا.هـ

فكيف لو أدرك من جاء بعدهم من الأشاعرة الذين ازدادوا سوءاً إلى أشاعرة زماننا الذين تميع فيهم هؤلاء المفتون ، وطار بفتواهم إذاعة ونشراً موقع الإسلام اليوم تحت نظر ورعاية من مشرفه سلمان العودة ، فإنَّ الأشاعرة كلما تأخَّروا زادوا بعداً عن السُّنَّة ، قال الإمام ابن تيمية في شرح الأصفهانيَّة : (ص١٠٧-١٠٨) : " فإنَّ كثيراً من متأخِّري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله إلى قول المعتزلة أو الجهميَّة أو الفلاسفة " ، وقال في الدَّرء : (٧/ ٩٧) : " وهذا الكلام في الأصل – أي تقديم العقل على النقل – هو من قول الجهميَّة المعتزلة وأمثالهم ، وليس من قول الأشعري وأئمَّة أصحابه ، وإنَّما تلقَّاه عن المعتزلة متأخِّرو الأشعريَّة ، لَّما مالوا إلى نوع التَّجهُّم بل الفلسفة ، وفارقوا قول الأشعري وأئمَّة أصحابه الذين لم يكونوا يقرُّون بمخالفة النَّقل للعقل ، بل انتصبوا لإقامة أدلَّة عقليَّة توافق السَّمع ، ولهذا أثبت الأشعري الصِّفات الخبريَّة بالسَّمع ، وأثبت بالعقل الصِّفات العقليَّة التي تعلم بالعقل والسَّمع ، فلم يثبت بالعقل ما جعله معاضداً للسَّمع ، بل ما جعله معاضداً له ، وأثبت بالسَّمع ما عجز عنه العقل ا.هـ

٢ . الإمام أبو نصر السّجزي : إذ وصف الأشاعرة بأنَّهم متكلِّمون ، وفرقة محدَثة ، وأنَّهم أشدُّ ضرراً من المعتزلة ، فقال : " فكلُّ مدَّع للسنَّة يجب أن يطالب بالنقل الصَّحيح بما يقوله ، فإن أتى بذلك علم صدقه ، وقبلَ قوله ، وإن لم يتمكَّن من نقل ما يقوله عن السَّلف ، عُلم أنَّه محدث زائغ ، وأنَّه لا يستحق أن يصغا إليه أو يناظر في قوله ، وخصومنا المتكلِّمون معلومٌ منهم أجمع اجتناب النقل والقول به بل تمحينهم لأهله ظاهر ، ونفورهم عنهم بين ، وكتبهم عارية عن إسناد ، بل يقولون : قال الأشعري ، وقال ابن كُلَّاب ، وقال القلانسي ، وقال الجبائي... ومعلوم أنَّ القائل بما ثبت من طريق النَّقل الصَّحيح عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسمَّى محدثاً بل يسمَّى سنيَّاً متَّبعاً ، وأنَّ من قال في نفسه قولاً وزعم أنَّه مقتضى عقله ، وأنَّ الحديث المخالف له لا ينبغي أن

يلتفت إليه ، لكونه من أخبار الآحاد ، وهي لا توجب علماً ، وعقله موجب للعلم يستحق أن يسمَّى محدثاً مبتدعاً ، مخالفاً ، ومن كان له أدنى تحصيل أمكنه أن يفرِّق بيننا وبين مخالفينا بتأمُّل هذا الفصل في أول وهلة ، ويعلم أنَّ أهل السُّنَّة نحن دونهم ، وأنَّ المبتدعة خصومنا دوننا " . انظر : الرَّدّ على من أنكر الحرف والصَّوت (ص١٠٠-١٠١) .

ثم قال (ص٢٢٢- ٢٢٣) : " ثمَّ يلي أهل السُّنَّة بعد هؤلاء ؛ بقوم يدَّعون أنَّهم من أهل الاتباع ، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم ، وهم : أبو محمَّد بن كُلَّاب ، وأبو العبَّاس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري ... وفي وقتنا : أبو بكر الباقلَّاني ببغداد ، وأبو إسحاق الإسفرائني ، وأبو بكر بن فورك بخراسان ، فهؤلاء يردُّون على المعتزلة بعض أقاويلهم ، ويردُّون على أهل الأثر أكثر مما ردُّوه على المعتزلة – ثمَّ قال : وكلّهم أئمّةُ ضَلالة !!! يدعونَ النَّاس إلى مخالفةِ السُّنَّة ، وتركِ الحديث ...." ، وبيَّن – رحمه الله– وجه كونهم أشدّ من المعتزلة ، فقال (ص١٧٧-١٧٨) : " لأنَّ المعتزلة قد أظهرت مذهبها ، ولم تستقف ، ولم تُمَوِّه . بل قالت : إنَّ الله بذاته في كل مكان ، وأنَّه غير مرئي ، وأنَّه لا سمع له ، ولا بصر ، ولا علم ، ولا قدرة ، ولا قوَّة ... فعرف أكثر المسلمين مذهبهم وتجنَّبوهم وعدُّوهم أعداء . والكُلَّابيَّة ، والأشعريَّة قد أظهروا الردَّ على المعتزلة ، والذبّ عن السُّنَّة وأهلها ، وقالوا في القرآن وسائر الصِّفات ما ذكرنا بعضه ا.هـ .

وقال في كتاب " تحريم النَّظر في كتب الكلام " (ص٤٢) : " وقال أحمد بن إسحاق المالكي : أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلِّم من أهل الأهواء والبدع أشعريَّاً كان أو غير أشعري لا تُقبل له شهادة ، ويهجر ، ويؤدَّب على بدعته ، فإن تمادى عليها استتيب منها " ا.هـ

٣. الإمام محمَّد بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي – رحمه الله– : فقد روى عنه ابن عبد البرّ في " جامع بيان العلم وفضله " (٩٦/٢) : " أنَّه قال في كتاب الشَّهادات في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ، قال : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكلُّ متكلِّم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريَّاً كان أو غير أشعري ، ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً !!! ويُهجر ، ويؤدَّب على بدعته ، فإن تمادى عليها استتيب منها .

٤ . ابن قدامة – رحمه الله – : فقد نصَّ على أنَّهم مبتدعة ، فقال في كتاب " المناظرة في القرآن " (ص٣٥) : " ولا نعرف في أهل البدع طــائفة يكتمون مقالتهم ، ولا يتجاسرون على إظهارها إلَّا الزَّنادقة والأشعريَّة " ا.هـ

٥ . أبو حامد الإسفرائني : قال ابن تيمية في " درء التَّعارض " (٩٦/٢) : قال الشَّيْخ أبو الحسن : وكان الشَّيْخ أبو حامد الإسفرايني شديد الإنكار على الباقلَّاني وأصحاب الكلام ، قال : ولم يزل الأئمَّة الشافعيَّة يأنفون ويستنكفون أن يُنسبوا إلى الأشعري ، ويتبرؤن مما بنى الأشعري مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوْم حواليه ، على ما سمعت عدَّة من المشايخ والأئمَّة ، منهم : الحافظ المؤتمن بن أحمد بن على السَّاجي ، يقولون : سمعنا جماعة من المشايخ الثِّقات قالوا : كان الشَّيْخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرايني إمام الأئمَّة الذي طبق الأرض علماً وأصحاباً إذا سعى إلى الجمعة من قطعية الكرج إلى جامع المنصور يدخل الرّباط المعروف بالزوزي المحاذي للجامع ، ويقبل على من حضر ويقول اشهدوا عليَّ بأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، كما قاله الإمام ابن حنبل لا كما يقوله الباقلّاني ، وتكرر ذلك منه جمعات ، فقيل له في ذلك ، فقال حتى ينتشر في النَّاس ، وفي أهل الصَّلاح ، ويشيع الخبر في أهل البلاد أنِّي بريء ممَّا هم عليه – يعني الأشعريَّة – وبريء من مذهب أبي بكر بن الباقلَّاني ، فإن جماعة من المتفقِّهة الغرباء يدخلون على الباقلَّاني خفية ، ويقرؤون عليه ، فيفتنون بمذهبه ، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظنُّ ظانٌّ أنَّهم منِّي تعلَّموه قبله وأنا ما قلته ، وأنا بريء من مذهب البلاقلَّاني وعقيدته .

قال الشَّيْخ أبو الحسن الكرجي وسمعت شيخي الإمام أبا منصور الفقيه الأصبهاني ، يقول : سمعت شيخنا الأمام أبا بكر الزاذقاني ، يقول : كنت في درس الشَّيْخ أبي حامد الإسفرايني ، وكان ينهي أصحابه عن الكلام وعن الدُّخول على الباقلَّاني ، فبلغه أن نفراً من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظنَّ أني معهم ومنهم ، وذكر قصَّة قال في آخرها : إنَّ الشَّيْخ أبا حامد قال لي : يا بُني ، قد بلغني أنك تدخل على هذا الرَّجل – يعني الباقلَّاني – فإيَّاك وإيَّاه فإنَّه مبتدع ؛ يدعو النَّاس إلى الضَّلالة ، وإلا فلا تحضر مجلسي ، فقلت : أنا عائذ بالله ممَّا قيل وتائب إليه ، واشهدوا عليَّ أني لا أدخل إليه . قال الشَّيْخ أبو الحسن : وسمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي ، يقول : سمعت عدة من المشايخ والأئمَّة ببغداد أظنُّ الشَّيْخ أبا إسحاق الشِّيرازي أحدهم ، قالوا : كان أبو بكر الباقلَّانى يخرج إلى الحمام متبرقعاً خوفاً من الشَّيْخ أبي حامد الإسفرايني ، قال أبو الحسن : ومعروف شدة الشَّيْخ أبي حامد على أهل الكلام حتى ميَّز أصول فقه الشَّافعي من أصول الأشعري ، وعلَّقه عنه أبو بكر الزاذاقاني ، وهو عندي ، وبه اقتدى الشَّيْخ أبو إسحاق الشِّيرازي في كتابيه : اللمع ، والتَّبصرة ، حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميَّزه ، وقال : هو قول بعض أصحابنا ، وبه قالت

الأشعريَّة ، ولم يعدّهم من أصحاب الشَّافعي استنكفوا منهم ، ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدِّين .

قلت : هذا المنقول عن الشَّيْخ أبي حامد وأمثاله من أئمَّة أصحاب الشَّافعي ، أصحاب الوجوه ، معروف في كتبهم المصنَّفة في أصول الفقه وغيرها ، وقد ذكر الشَّيْخ أبو حامد ، والقاضي أبو الطيِّب ، وأبو إسحاق الشِّيرازي ، وغير واحد بينوا مخالفة الشَّافعي وغيره من الأئمَّة لقول ابن كُلَّاب والأشعري في مسألة الكلام التي امتاز بها ابن كُلَّاب والأشعري عن غيرهما ، وإلا فسائر المسائل ليس لابن كُلَّاب والأشعري بها اختصاص ا.هـ

٦ . أبو إسماعيل عبد الله بن محمَّد الأنصاري :

ذكر السُّبكي في طبقاته : (٤/ ٢٧٢) أنَّه ذكر في كتابه ذم الكلام أنَّه كان يلعن أبا الحسن الأشعري ، وأنَّه ترك الرِّواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيري لكونه أشعريًّا ا.هـ

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : (١٤/ ٣٥٤) : كأبي إسماعيل الأنصاري الهروي صاحب كتاب ذم الكلام ، فإنَّه من المبالغين في ذمِّ الجهميَّة لنفيهم الصِّفات ، وله كتاب : " تكفير الجهميَّة " ، ويبالغ في ذم الأشعريَّة ، مع أنَّهم من أقرب هذه الطوائف إلى السُّنَّة والحديث !!! وربَّما كان يلعنهم !!! وقد قال له بعض النَّاس بحضرة نظام الملك : أتلعن الأشعريَّة ؟ فقال : ألعن من يقول ليس في السَّموات إله ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، وقام من عنده مغضباً ا.هـ

٧ . محمَّد بن عبد الملك بن محمَّد بن عمر بن محمَّد الكرجي أبو الحسن الشَّافعي .

تقدَّم نقل ابن تيمية كلامه عن الأشعريَّة ، وقد نقل له السُّبكي في طبقاته : (٦/ ١٤٤) أبياتاً في ذم الأشعريَّة ، فقال– رحمه الله – :

وخبث مقال الأشعري تخنُّث ... يضاهي تلويه تلوي الشغازب
يزين هذا الأشعري مقاله ... يقشبه بالسم ياشر قاشب
فينفي تفاصيلا ويثبت جملة ... ناقصه من بعد شدِّ الذوائب
يؤول آيات الصِّفات برأيه ... جرأته في الدِّين جرأة خارب
ويجزم بالتأويل من سنن الهدى ... ويخلب أغماراً فأشئم بخالب

٨ . القحطاني في نونيَّته الرَّائعة !!! إذ قال :

يا أشعريَّة يا أســـــافلة الورى | يا عُمي يا صُم بلا آذان
أني لأبغضكم وأبغض حزبكم | بغضاً أقلُّ قليله أضغـــــــاني
لو كنت أعمى المقلتين لسرَّنــــــي | كيلا يرى إنسانكم إنســـــــــاني

وقال :

يا أشعريَّة يا جميع من ادَّعى | بدعاً وأهواء بلا برهــــــــــان
جاءتكــم سنيَّة مأمــــــــــــونة | من شاعر ذرب اللســــان معان

٩ . الإمام ابن تيمية – رحمه الله – : قد بيَّن أنَّهم مبتدعة بطرق ؛ منها أنَّه نصَّ على ذلك فقال كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٥٠) : كما يقوله بعض المبتدعة الأشعريَّة من أنَّ حروفه ابتداء جبرائيل أو محمَّد مضاهاة منهم فى نصف قولهم لمن قال : أنَّه قول البشر من مشركى العرب ، ممن يزعم أنَّه أنشأه بفضله وقوة نفسه ا.هـ

ومنها : أنَّه جعلهم من المتكلِّمين ، وبجعله لهم من المتكلِّمين أخرجهم من أهل السُّنَّة إلى أهل البدع ، فقال في الدَّرء (٦/ ١٨٣) : وأهل الكلام من الأشعريَّة وغيرهم ا.هـ

وفي أكثر من موضع يذكر أنَّهم أقرب إلى أهل السُّنَّة من غيرهم ، فهذا يدلُّ على أنَّهم ليسوا منهم ، قال في " مجموع الفتاوى " (٦/ ٥٥) : " وأمَّا الأشعريَّة فلا يرون السَّيف موافقة لأهل الحديث ، وهم في الجملة أقرب المتكلِّمين إلى مذهب أهل السُّنَّة والحديث ... " .

وقد نقل في الدَّرء (٦/ ٢٢١) كلام أبي الْوَلِيدِ بن رُشْدٍ الْمَالِكِيُّ في كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بـ " الكشف عن مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ " : والمثل الذي ضربه لخطورة التَّأويل ، ثمَّ قال أبو الوليد : وهذه حال الفرق الحادثة في هذه الشَّريعة ، وذلك أنَّ كلّ فرقة منهم تأوَّلت في الشَّريعة تاويلاً غير التَّأويل الذي تأوَّلته الفرقة الأخرى ، وزعمت أنَّه الذي قصد صاحب الشَّرع حتى تمزَّق الشَّرع كلَّ ممزَّق ، وبعُد جداً عن موضوعه الأوَّل ، ولمَّا علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ مثل هذا يعرض ولا بدَّ في شريعته ، قال : " ستفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النَّار إلَّا واحدة " ، يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشَّرع ولم تؤوِّله تأويلاً صرَّحت به للنَّاس .

قال : وأنت إذا تأمَّلت ما عرض في هذه الشَّريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التَّأويل ، تبيَّنت أنَّ هذا المثال صحيح ، فأوَّل من غيَّر هذا الدَّواء الأعظم هم الخوارج ثمَّ المعتزلة بعدهم ثمَّ الأشعريَّة ثمَّ الصُّوفيَّة ثمَّ جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى ا.هـ

فأبو الوليد بن رشد يقرِّر أنَّ الأشاعرة من عموم الفرق الاثنتين والسَّبعين الضَّالَّة !!! وأقره الإمام ابن تيمية على هذا ، ولم يعترض عليه ، خلافاً لهؤلاء المفتين الفتوى الجماعيَّة البدعيَّة ، ولسلمان العودة النَّاشر لها في موقعه .

١٠ . الإمام ابن القيِّم – رحمه الله – فقد نقل كلام أبي الْوَلِيدِ بن رُشْدٍ الْمَالِكِيُّ المتقدِّم في كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بـ : " الكشف عن مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ " والمثل الذي ضربه لخطورة التَّأويل ، كما في الإعلام : (٤/ ٢٥٤) ، والصَّواعق المرسلة : (٢/ ٤١٧) ، وأقرَّه ولم يخالفه مثل شيخه ابن تيميَّة .

١١ . الشَّيْخ العلَّامة من أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة السَّلفيَّة سليمان بن سحمان – رحمه الله– : فقد ردَّ على السَّفاريني قوله في " لوامع الأنوار " : إنَّ الأشاعرة والماتريديَّة من الفرقة النَّاجية ، كما قال هؤلاء المفتون ، فقال : " هذا مصانعة من المصنِّف – رحمه الله تعالى – في إدخاله الأشعريَّة والماتريديَّة في أهل السُّنَّة والجماعة ، فكيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة من لا يثبت علوَّ الربِّ سبحانه فوق سماواته ، واستواءه على عرشه ، ويقول : حروف القرآن مخلوقة ، وإنَّ الله لا يتكلَّم بحرف ولا صوت ، ولا يثبت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة بأبصارهم ، فهم يقرُّون بالرُّؤية ، ويفسِّرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرائي . ويقول : الإيمان مجرَّد التَّصديق ، وغير ذلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة " . لوامع الأنوار البهيَّة (١/ ٧٣) .

١٢ . الشَّيْخ العلامة من أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة السَّلفيَّة عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين – رحمه الله – : فقد ردَّ على السَّفاريني قوله في " لوامع الأنوار " : إنَّ الأشاعرة والماتريديَّة من الفرقة النَّاجية ، كما قال هؤلاء المفتون ، فقال : " تقسيم أهل السُّنَّة إلى ثلاث فرق فيه نظر ، فالحقُّ الذي لا ريب فيه أنَّ أهل السُّنَّة فرقة واحدة ، وهي الفرقة النَّاجية التي بيَّنها النَّبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حين سئل عنها بقوله : " هي الجماعة " ، وفي رواية : " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " ، أو " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " . وبهذا عرف أنَّهم المجتمعون على ما كان عليه النَّبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وأصحابه ، ولا يكونون سوى فرقة واحدة . والمؤلِّف نفسه يرحمه الله لما ذكر في المقدِّمة هذا الحديث ، قال في النَّظم :

وليس هذا النَّصّ جزماً يعتبر   في فرقة إلَّا على أهل الأثر

يعني بذلك : الأثريَّة . وبهذا عرف أنَّ أهل السنة والجماعة هم فرقة واحدة الأثريَّة ، والله أعلم " . المصدر السَّابق (١/ ٧٣) .

١٣ . الإمام المحدِّث محمَّد ناصر الدِّين الألباني – رحمه الله – في " السِّلسلة الصَّحيحة " (٦/ ٢٨٥) حيث قال : " فإنَّ ما أنا فيه من الاشتغال بالمشروع العظيم – تقريب السُّنَّة بين يدي الأُمَّة – الذي يشغلني عنه في كثير من الأحيان ردود تنشر في رسائل وكتب ومجلَّات من بعض أعداء السُّنَّة من المتمذهبة ، والأشاعرة ، والمتصوِّفة ، وغيرهم ، ففي هذا الانشغال ما يغنيني عن الردِّ على المحبِّين النَّاشئين ، فضلاً عن غيرهم . والله المستعان ، وعليه التكلان " ا.هـ

١٤ . الإمام الفقيه محمَّد بن صالح العثيمين– رحمه الله– : في شرحه للواسطيَّة استدرك في أولها على السَّفاريني لما جعل الأشاعرة والماتريديَّة من الفرقة النَّاجية ، وبيَّن أنَّ الفرقة النَّاجية واحدة ، وهم أهل الحديث أهل السُّنَّة دون الأشعريَّة والماتريديَّة ، وقال (٢/ ٣٧٢) أيضاً : أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة ونحوهم ، ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ا.هـ

١٥ . شيخنا العلامة صالح الفوزان – حفظه الله – سئل : أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة ، وهذا سائل يقول : هل الأشاعرة والماتريديَّة يعدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة ؟

الجواب : لا يعدّون ، لم يعدهم أحد من أهل السُّنَّة والجماعة قط ، لكن هم يسمُّون أنفسهم من أهل السُّنَّة ، وهم ليس من أهل السُّنَّة ا.هـ

تنبيهات :

التَّنبيه الأوَّل : ذكر الإمام ابن تيمية في أكثر من موضع أنَّ الأشاعرة أقرب إلى أهل السُّنَّة ، فقال في نقض التأسيس (٢ /٨٧) : فإنَّهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السُّنَّة والجماعة والحديث ا.هـ ، وليس معنى هذا تزكيتهم وأنَّهم من أهل السُّنَّة ، بل معناه أنَّهم خير من الجهميَّة والمعتزلة على سوئهم الشَّديد !!! كالقول إنَّ النَّصارى أقرب إلى الإسلام من اليهود !!! فليس معنى هذا أنَّ النَّصارى مسلمون ، فالله الذي قال : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ﴾ [المائدة: ٨٢] ، قد نصَّ على أنَّ النَّصارى كفَّار ، كما قال تعالى : ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [المائدة: ٧٣] .

التَّنبيه الثَّاني : شاع في هذا الزَّمن عند كثيرين إدخال الأشاعرة في أهل السُّنَّة ، معتمدين في هذا على كلام لابن تيمية ، وهو أنَّ لأهل السُّنَّة إطلاقين : إطلاقاً عامَّاً ، وهو ما يقابل الرَّافضة ، وإطلاقاً خاصَّاً والمراد بهم أهل الحديث ، فعلى الإطلاق الأول تكون الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، وإذا أرادوا تعليل إدخال الأشاعرة في أهل السُّنَّة ، قالوا : هم أهل السُّنَّة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة ، وقد وقع هؤلاء في خطئين :

الأوَّل : في فهم كلام ابن تيمية ، فإنَّه لما ذكره أراد في استعمال عامَّة النَّاس لا في استعمال الشَّرع ، وكلام العامة لاينبني عليه شرع ، وإنَّما يذكره من باب الإخبار ببغض النَّاس للرَّافضة ثمَّ على فهم هؤلاء لكلام ابن تيمية تكون المعتزلة من أهل السُّنَّة !!

الثَّاني : أنَّه يلزم على تعليلهم إدخال الرَّافضة في أهل السُّنَّة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة . وبعد هذا إليك نصوص الإمام ابن تيمية التي توضِّح مراده ، قال (٤/ ١٥٥) : " فالمقصود هنا أنَّ المشهورين من الطَّوائف بين أهل السُّنَّة والجماعة العامَّة بالبدعة ليسوا منتحلين للسَّلف ، بل أشهر الطوائف بالبدعة الرَّافضة حتى إنَّ العامَّة لا تعرف من شعائر البدع إلَّا الرَّفض ، والسنِّي في اصطلاحهم : من لا يكون رافضياً ، وذلك لأنَّهم أكثر مخالفة للأحاديث النبويَّة ، ولمعاني القرآن ، وأكثر قدحاً في سلف الأُمَّة وأئمتها وطعناً في جمهور الأُمَّة من جميع الطَّوائف ، فلمَّا كانوا أبعد عن متابعة السَّلف ، كانوا أشهر بالبدعة " ا.هـ .

وقال في المنهاج : (٢/ ٢٢١) : " فلفظ أهل السُّنَّة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثَّلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطَّوائف إلَّا الرَّافضة ، وقد يُراد به أهل الحديث والسُّنَّة المحضة ، فلا يدخل فيه إلَّا من يثبت الصِّفات لله تعالى ، ويقول : إنَّ القرآن غير مخلوق ، وإنَّ الله يُرى في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسُّنَّة . وهذا الرَّافضي يعني المصنِّف جعل أهل السُّنَّة بالإصطلاح الأوَّل ، وهو اصطلاح العامَّة كلّ من ليس برافضي قالوا هو من أهل السُّنَّة ، ثمَّ أخذ ينقل عنهم مقالات لا يقولها إلَّا بعضهم مع تحريفه لها ، فكان في نقله من الكذب والإضطراب ما لا يخفى على ذوي الألباب ، وإذا عرف أنَّ مراده بأهل السُّنَّة السنَّة العامَّة " ا.هـ وانظر شرح الواسطيَّة لشيخنا محمَّد بن عثيمين – رحمه الله– (١/ ٥٣) .

التَّنبيه الثَّالث : قال ابن تيميَّة في نقض التَّأسيس : (٢ / ٨٧) : فإنَّهم طوائف أقرب أهل الكلام إلى السُّنَّة والجماعة والحديث ، وهم يعدون من أهل السُّنَّة والجماعة عند النَّظر إلى مثل المعتزلة والرَّافضة وغيرهم ، بل هم أهل السُّنَّة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرَّافضة ونحوهم . اعتمد على هذا النَّص

بعض من في قلبه زيغ لينسب إلى الإمام ابن تيمية القول بأنَّ الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، وهذا من التَّدليس وبيان ذلك من وجهين :

الوجه الأوَّل : أنَّ كلام العالم يفسِّر بعضه بعضاً وقد تقدم كلامه الصَّريح على أنَّ الأشاعرة من أهل البدع ، فكيف يترك منصف كلامه الصَّريح المبين من عدَّة طرق إلى كلام مجمل .

الوجه الثَّاني : أنَّ في الكلام نفسه ما يدلُّ على أنَّ الأشاعرة ليسوا من أهل السُّنَّة عند الإطلاق بل بالنِّسبة إلى غيرهم من المعتزلة ، أمَّا عند الإطلاق فليسوا من أهل السُّنَّة وهو المراد . وإنَّما سمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة بالنسبة للمعتزلة ، وفي البلد التي ليس فيها إلَّا هم لأنَّهم أكثر تمسُّكاً بالسُّنَّة والجماعة منهم " (١) .

الخَامِسَةُ وَالعِشْرُوْن : قال المدعو : صالح الفوزان : " وأوَّل من حفظ عنه مقالة التَّعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المئة الثَّانية ، وأخذ هذا المذهب الخبيث عنه الجهم بن صفوان وأظهره ، وإليه نسبت الجهميَّة ، ثمَّ انتقل هذا المذهب إلى المعتزلة والأشاعرة ، وهذه أسانيد مذهبهم ، ترجع إلى اليهود والصَّابئين والمشركين والفلاسفة !!! وهم في هذا التَّعطيل متفاوتون ، فالجهميَّة : ينفون الأسماء والصِّفات ، والمعتزلة : يثبتون الأسماء مجرَّدة من معانيها وينفون الصِّفات ، والأشاعرة : يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط ؛ هي : العلم ، والحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والسَّمع ، والبصر ، والكلام ، وينفون بقية الصِّفات .

وشبهة الجميع فيما نفوه من الصِّفات أنَّ إثباتها يقتضي التَّشبيه والتَّجسيم بزعمهم ؛ لأنَّه لا يشاهد موصوف بها إلَّا هذه الأجسام ، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ؛ فتعيَّن نفي الصِّفات وتعطيلها ؛ تنزيهاً لله عن التَّشبيه بزعمهم ، ولهذا يسمُّون من أثبتها مشبِّهاً " (٢) .

السَّادِسَةُ وَالعِشْرُوْن : قال الألباني في تعليقه على متن الطَّحاويَّة ، عند قول المؤلِّف : باب الرَّدّ على من تأوَّل صفتي الرِّضا والغضب :

" قال الإمام معلِّقاً على قول صاحب الطَّحاويَّة : " والله يغضب ويرضى ، لا كأحد من الورى " : فيه ردٌّ على المتأوِّلة المعطِّلة من الأشاعرة وغيرهم الذين قالوا بأنَّ المراد بالبغض والرِّضى إرادة الإحسان ، وليت شعري

---

(١) انظر : تأكيد المسلَّمات السلفيَّة في نقض الفتوى الجماعيَّة بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضيَّة (ص١٠-٢٣) .

(٢) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص١٥٨) ، وانظر : انظر : فتاوى الأئمة النجدية حول قضايا الأمة المصيرية ، من شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب إلى سماحة الشَّيْخ ابن باز (١/ ٥١٤) ...

ما الفرق بين تسليمهم بصفة الإرادة وإنكارهم للصِّفتين المذكورتين بتأويلهما ، وهي مثلهما في اتِّصاف العبد بها أيضاً ؟ فهلَّا قالوا فيهما كما قالوا في الإرادة الإلهيَّة : إنَّها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد ، وإن كان كلٌّ منهما حقيقة تناسب الموصوف بها . وقد بسط القول في ذلك الشَّارح رحمه الله فراجعه . " التَّعليق على متن الطَّحاويَّة " (ص١٠٠-١٠١) " (١) .

ومن المعلوم لدى الدَّارسين أنَّ المعطِّلة كفَّار في نظر من تسمَّوا بالسَّلفيَّة ، لدرجة أنَّ أحدهم كتب كتاباً في هذا الباب اسمه : " إجماع أهل السُّنَّة النَّبويَّة على تكفير المعطِّلة الجهميَّة " لمؤلِّفه إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشَّيخ – عبد الله بن عبد اللطيف آل الشَّيخ – سليمان بن سحمان الفزعي الخثعمي ، وهو من تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد ، وهو ضمن السِّلسلة السَّلفيَّة للرَّسائل والكتب النَّجديَّة ...

السَّابِعَةُ وَالعِشْرُوْن : قال المدعو محمَّد خليل هراس : " وَأَهْلُ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ بِإِزَاءِ السُّنَّة الصَّحِيحَةِ فَرِيقَانِ :

١ . فريقٌ لَا يتورَّع عَنْ رَدِّهَا وَإِنْكَارِهَا إِذَا وَرَدَتْ بِمَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ ؛ بِدَعْوَى أَنَّهَا أَحَادِيثُ آحَادٍ لَا تُفِيدُ إلاَّ الظنَّ ، وَالْوَاجِبُ فِي بَابِ الِاعْتِقَادِ الْيَقِينُ ، وَهُؤَلَاءِ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْفَلَاسِفَةُ .

٢ . وَفَرِيقٌ يُثبتها وَيْعْتَقِدُ بِصِحَّةِ النَّقْلِ ، وَلَكِنَّهُ يَشْتَغِلُ بِتَأْوِيلِهَا ؛ كَمَا يَشْتَغِلُ بِتَأْوِيلِ آيَاتِ الْكِتَابِ ، حَتَّى يخرِجَها عَنْ مَعَانِيهَا الظَّاهِرَةِ إِلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْ معانٍ بِالْإِلْحَادِ وَالتَّحْرِيفِ ، وهؤلاء هم متأخِّرو الْأَشْعَرِيَّةِ ، وَأَكْثَرُهُمْ توسُّعاً فِي هَذَا الْبَابِ الْغَزَالِيُّ ، والرَّازي " (٢) .

وقال أيضاً : " وإنَّما سُمِّي أَهْلُ التَّعْطِيلِ جَهْمِيَّةً نِسْبَةً إِلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ التِّرْمِذِيِّ رَأْسِ الْفِتْنَةِ وَالضَّلَالِ ، وَقَدْ تُوُسِّعَ فِي هَذَا اللَّفْظِ حَتَّى أَصْبَحَ يُطلق عَلَى كُلِّ مَنْ نَفَى شَيْئاً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، فَهُوَ شَامِلٌ لِجَمِيعِ فِرَقِ النُّفاة ؛ مِنْ فَلَاسِفَةٍ ، وَمُعْتَزِلَةٍ ، وَأَشْعَرِيَّةٍ ، وَقَرَامِطَةٍ بَاطِنِيَّةٍ " (٣) .

---

(١) انظر : موسوعة العلامة الإمام الألباني " موسوعة تحتوي على أكثر من (٥٠) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد " ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدِّين ، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني ، صَنَعَهُ : شادي بن محمَّد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، صنعاء ، اليمن ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠م .

(٢) انظر : شرح العقيدة الواسطية(ص١٦٣) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص١٨٥-١٨٦) .

الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُوْن : قال ابن عثيمين في كتابه : " القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى " : " ... وبه علم أنَّ طريق الأشاعرة والماتريديَّة في أسماء الله وصفاته وما احتجُّوا به لذلك ، لا تندفع به شُبه المعتزلة والجهميَّة ، وذلك من وجهين : أحدهما : أنَّه طريق مبتدع لم يكن عليه النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ولا سلف الأُمة وأئمَّتها ، والبدعة لا تدفع بالبدعة ، وإنَّما تدفع بالسنَّة " [1] .

التَّاسِعَةُ وَالعِشْرُوْن : سئل عالمهم عبد الرَّحمن بن ناصر البرَّاك : هل يوصف الأشاعرة بالسُّنَّة ؟ ونصُّ السُّؤال هو : هل يوصف الأشاعرة بأنَّهم من أهل السُّنَّة والجماعة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة والجماعة ، وليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة فيما خالفوهم فيه ، أي : لا ينفى عنهم مطلق الوصف ولا يعطون الوصف المطلق ، وكذا غيرها من الجماعات المخالفة للسنَّة ؟

الجواب : الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ، وبعد :

أهل السُّنَّة والجماعة هم الذين اقتفوا طريق السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين وساروا على نهجهم في جميع أصول الإيمان ، فيؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ويؤمنون بالقدر خيره وشرِّه ، ويؤمنون بكلِّ ما يدخل في هذه الأصول مما جاء في الكتاب والسُّنَّة ، فمن استقام على هذا المنهج فهو من أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يخرجه من دائرة أهل السُّنَّة والجماعة أن يخطئ في بعض المسائل ، ومن خالف أهل السُّنَّة في بعض هذه الأصول فليس هو من أهل السُّنَّة والجماعة ، ولو وافق في بعض الأصول ، فلا يقال له من أجل ذلك أنَّه من أهل السُّنَّة في كذا ، بل يقال أنَّه يوافق أهل السُّنَّة ، فإنَّ الموافقة في بعض الأمور لا تصيِّر الرَّجل من الطَّائفة التي وافقها في بعض معتقداتها ، ولو صح هذا لأمكن أن يقال إنَّ المعتزلة من أهل السُّنَّة في إقرارهم بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ومن أهل السُّنَّة لقولهم بأنَّ الإيمان قول وعمل ، وهذا غلط ظاهر ، ولم يقل بهذا أحدٌ من أهل العلم ، لكن الأشاعرة هم أقرب إلى أهل السُّنَّة من المعتزلة ، وهم ينتسبون إلى السُّنَّة في مقابل المعتزلة ، وكيف يكونون من أهل السُّنَّة وهم يخالفونهم في باب صفات الله ، وفي رؤية الله ، وفي كلام الله ، وفي الإيمان ، وفي أفعال العباد ، وفي الحكمة والأسباب ، فلا يصحُّ أن يقال : أنَّهم من أهل السُّنَّة في كذا وليسوا من أهل السُّنَّة في كذا ، لكن يقال : أنَّهم يوافقون أهل السُّنَّة ، وهذا الكلام أكثر ما ينطبق على متأخِّري الأشاعرة ، خصوصاً المعاصرين ، فإنهم أبعد عن مذهب أهل السُّنَّة من أكثر المتقدِّمين ، كيف وبعض

---

[1] انظر : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٤٦-٤٧) .

هؤلاء يتصدَّى لخصومة أهل السُّنَّة ، والتَّشنيع عليهم ، وتلقيبهم بالمجسِّمة والمشبِّهة ، كما صنع بعض أسلافهم ، ومع هذا فلا ينكر ما لبعض العلماء المعدودين من الأشاعرة من آثار حميدة في الدِّين علماً وعملاً ، فرحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وعفا عنَّا وعنهم ، والله أعلم " (١) .

الثَّلاثُوْن : قال إمامهم عبد الرَّحمن بن ناصر البرَّاك في جواب على فتوى ...

عنوان الفتوى : كثرة الأشاعرة هل تدلُّ على أنَّهم على الحقِّ ؟

السُّؤال : المشايخ الأفاضل : نعلم كلُّنا أنَّ من رحمة الله عزَّ وجلَّ بأُمة نبيِّه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّه لم يقبض النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد ترك الأُمَّة على المحجَّة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وتكفَّل ربُّ العزَّة بحفظ هذا الدِّين إلى أن يشاء الله ، فإذا تأمَّلنا هذا الكلام ورجعنا إلى التَّاريخ الإسلامي ، نجد أنَّ السَّواد الأعظم من أهل الإسلام على البيِّنة في أي عصر يعيشه الإسلام منذ الخلافة الرَّاشدة ، ومروراً بكلِّ الدُّول الإسلاميَّة ، وحتى يومنا هذا ، هذا التَّفكير على الرّغم من عقلانيَّته ومنطقيَّته إلا أنَّه غير مُريح ، لأنَّنا إن طبَّقناه على أنفسنا وعقيدتنا ، فسنجد أنَّ مذهب الأشاعرة هو الذي ساد في أهل السُّنَّة طوال هذه السِّنين ، ولم يعرف في عامَّة أهل السُّنَّة شيوع ما نقول عنه أنَّه اعتقاد السَّلف ، فإن كان ما نراه هو اعتقاد الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، والسَّلف ، فلِمَ لَم يظهره الله عزَّ وجلَّ ، وأظهر غيره عليه ؟

الجواب : الحمد لله ، وبعد :

لقد بعث الله نبيَّنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ، وقد تحقَّق هذا كما وعد - سبحانه وتعالى - فلم يزل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سرَّاً وجهراً بقوله وفعله حتى دخل النَّاس في دين الله أفواجاً ، فما مات - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى أكمل الله له ولأُمَّته دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمته ، كما جاء في الآية الكريمة التي نزلت على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو واقف بعرفة ، وقد ترك أُمَّته على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها ، يعني : أنَّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد بيَّن هذا الدِّين أكمل بيان ، فبلغ رسالات ربِّه كما أمره الله بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧] . وأمر صحابته ، رضي الله عنهم ، أن يبلِّغوا فقال

---

(١) المفتي : عبد الرَّحمن بن ناصر البراك ، رقم الفتوى ١٦٠٩٠ ، تاريخ الفتوى ٤/ ٧/ ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦-٠٧-٣٠ .

في خطبته في حجَّة الوداع : " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ " . وقال : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً " . فقام أصحابه ، رضوان الله عليهم ، بالبلاغ والدَّعوة ، والجهاد أسوة بنبيِّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وانتشر الإسلام بالمعمورة شرقاً وغرباً .

وقد أخبر – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنَّه يطرأ على هذه الأُمة افتراق واختلاف ، وبيَّن أنَّ الفرقة النَّاجية هم من كانوا على مثل ما كان عليه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأصحابه ، رضي الله عنهم ، كما أخبر – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنَّ الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وقد وقع الأمر كما أخبر – عليه الصَّلاة والسَّلام – وبدأ الافتراق في الأُمة منذ أن ظهرت الخوارج ، والرَّافضة ، والمرجئة ، والقدريَّة ، ثمَّ تفرَّعت الفرق ، وتعدَّدت ، وظهرت بدعة التَّعطيل التي يعرف أهلها بمؤسسها الجهم بن صفوان ، وهم الجهميَّة ، وتفرَّع عن بدعة التَّعطيل ، فرقٌ شتَّى ، اضطربت مذاهبهم في صفات الله ، وفي كلامه ، وفي القدر ، فغلبت على الأُمَّة هذه المذاهب ، ولكنَّ الله قد ضمن حفظ كتابه ودينه ، فلم يزل في هذه الأُمَّة من يقيم لها أمر دينها بالبيان ، كما جاء في الحديث المشهور : " يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْه انْتِحالَ المُبْطِلِينَ وتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ وتَحْرِيفَ الغَالِينَ " (1) .

وفي الحديث الآخر : " إنَّ اللهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لهذه الأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا " (2) .

ومع هذا الافتراق ، وهذا الاختلاف لا بدَّ من ردِّ ما اختلف فيه النَّاس إلى كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، واعتبار ذلك بما كان عليه الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وأنَّهم كانوا على الهدى المستقيم ، وقد وعد الله بالرِّضا والجنَّة السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتَّبعوهم بإحسان ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] .

---

(1) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١/ ٢٥ برقم ١) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٧ برقم ٣٨٨٤) ، الآجري في الشريعة (١/ ٢٦٩) ، الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤ برقم ٥٩٩) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ١٩٨ برقم ٣٣) .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٦٨ برقم ٨٥٩٣) .

والحقُّ إنَّما يعرف بدلالة كتاب الله ، وسنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام - لا يعرف الحقُّ بالكثرة ، فإنَّ الله تعالى أبطل ذلك ، حيث بيَّن أنَّ الكثرة لا يعوَّل عليها ، كما قال تعالى :﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١] ، وقال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٨] ، وقال تعالى : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦] والسُّنَّة ما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودلَّت عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة ، والأشاعرة فرقة من الفرق الإسلاميَّة ، وهم وإن كانوا ينتسبون إلى السُّنَّة ، فليس مذهبهم موافقاً لما كان عليه الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وما دلَّ عليه القرآن والحديث ، فمذهب الأشاعرة يتضمَّن أموراً مخالفة ، كنفي كثير من الصِّفات ، حيث لا يثبتون إلَّا سبعاً من الصِّفات ، ويقولون : إنَّ الإيمان هو مجرَّد التَّصديق ، ويُخرجون الأعمال عن مسمَّى الإيمان ، وهذا مذهب المرجئة ، ومن أصول مذهبهم : نفي تأثير الأسباب في مسبَّباتها ، ومن ذلك : نفي تأثير قدرة العبد في أفعاله ، ومن ذلك : قولهم بأنَّ كلام الله معنى نفسي لا يسمع من الله ؛ لأنَّه ليس بحرف ، ولا صوت ، وأنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله ، ليس هو كلام الله حقيقة ؛ فموسى لم يسمع كلام الله من الله ، بل إنَّ الذي سمعه كلامٌ خلقه الله في الشَّجرة ، وهو عبارة عن المعنى النَّفسي ، وهذا من أعظم التَّنقُّص لله ، حيث يتضمَّن هذا القول تشبيه الله بالأخرس ، ولا يزكي هذه الأقوال إن قال بها بعض الأكابر والفضلاء من أهل العلم فإنَّهم غير معصومين ، وما قالوه من هذه الأقوال المخالفة لمذهب السَّلف الصَّالح هو مما يعد من أخطائهم التي لا يتابعون عليها ، وهم في ذلك مجتهدون ومأجورون ، والواجب على المسلم أن يحكِّم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، وألَّا يتعصَّب لإمام ، أو مذهب ، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويردّ ، إلَّا الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والله أعلم " (١) .

والظَّاهر أن المدعو عبد الرَّحمن بن ناصر البرَّاك يُخاطب الأطفال ومن لا عقل لهم ... فهذه كُتب التَّفسير أمامنا ، فليقرأ فيها من شاء أن يطَّلع على الحقيقة ، كي يعلم أن البرَاك وشيعته يكذبون ويتحرَّوا الكذب ... ، وقد رددت عليهم بما يشفي الغليل في كتاب : "بَرْدُ الأَكْبَادِ فِي تَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَى عَنِ اليَدِ وَالأَيَاد " ، وكتاب : " إرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ اللهِ عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل " ...

(١) المفتي : عبد الرَّحمن بن ناصر البراك ، رقم الفتوى ١٦٥٥٣ ، تاريخ الفتوى ١٣/ ٩/ ١٤٢٧ هـ — ٠٦-١٠-٢٠٠٦ .

الحَادِيَةُ وَالثَّلاثُوْن : قال عالمهم أحمد بن يَحيى النّجمي في تقريظه لكتاب : " تأكيد المسلَّمات السَّلفيَّة في نقض الفتوى الجماعيَّة بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضيَّة " :

" فقد اطَّلعت على رسالة كتبها الشَّيْخ عبدالعزيز بن ريس الريِّس – جزاه الله خيراً ، وبارك فيه – ؛ ردَّ بها على فتوى كتبها مَجموعة من المشائخ ، زعموا فيها أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة من أهل السُّنَّة ؛ كَبُرت كَلمة تَخرج مِن أفواههم ، والحقُّ الذي لا مِرْيَة فيه ، أنَّ الأشاعرة ، والماتريديَّة ؛ من طوائف أهل البدع ، ولا يَجوز لأحد أن يقول أنَّهم من أهل السُّنَّة ، ومن زعم أنَّ هاتين الطَّائفتين من أهل السُّنَّة والجماعة ، فإنَّه قد أقحم نفسه في خطأ فادح ، وخطر فاضح ، وسيُسأَلُ يوم القيامة عن قِيلِهِ قبل أن يُفرَج له عن سبيله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مَجموع فتاواه في (٣/ ٣٤٧) بعد كلام له في هذا المجال : " وبهذا يتبيَّن أنَّ أحقَّ النَّاس أن تكون هي الفرقة النَّاجية ؛ أهل الحديث والسُّنَّة ؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصَّبون له إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهم أعلم النَّاس بأقواله ، وأحواله ، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها ، وأئمَّتهم فقهاء فيها ، وأهل معرفة بمعانيها ، وأتباع لها ؛ تصديقاً ، وعملاً ، وحباً ، وموالاةً لمن والاها ، ومعاداةً لمن عاداها ... – إلى أن قال : وما تنازع فيه النَّاس من مسائل الصِّفات ، والقدر ، والوعيد ، والأسماء ، والأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر ، وغير ذلك يَرُدُّونَهُ إلى الله ورسوله ، ويُفسِّرون الألفاظ المجملة ؛ التي تَنازع فيها أهل التَّفرُّق والاختلاف ، فما كان من معانيها مُوَافِقاً للكتاب والسُّنَّة أثبتوه ، وما كان منها مُخالفاً للكتاب والسُّنَّة أَبطلوه ، ولا يتَّبعون الظَّن ، وما تهوى الأنفس ، فاتِّباع الظَّنِّ جهلٌ ، واتِّباع هوى النَّفس بغير هدى من الله ظلم ، وجماع الشَّرِّ الجهل والظُّلم ا.هـ

كيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة من يُحكِّمُ العقل في القضايا الإيمانيَّة الثابتة بالكتاب والسُّنَّة ، فما قَبِلَهُ منها قبل ، وما رَدّه منها ردَّ ، ولذلك فإنهم لا يثبتون من الصِّفات إلا سبع صفات ، وما عداها فإنَّه يكون مصيرها التَّأويل ؛ الذي يؤدِّي إلى التَّعطيل .

كيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة من يؤوِّل قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] باستولى ، فيكون كأنَّه مُستولٍ عليه غيره ، ثمَّ استولى عليه بعد ذلك .

كيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة مَن يتأوَّل حديث نُزول الرَبِّ في الثلث الأخير مِن الليل الذي ثبت في قوله : " يَنزل الله عزّ وجلّ كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا لِنِصف الليل الآخر أو لثلث الليل الآخر فيقول : مَن ذا

الذي يَدعوني فأستجيب له ؛ مَن ذا الذي يسألني فأعطيه ؛ مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر " رواه أحمد ، وأصله في الصَّحيحين . فيقول المؤوِّل : ينزل أمره ، مع أنَّ أمر الله عزَّ وجلَّ هو نازل في كلِّ وقت وحين .

كيف يكون مِن أهل السُّنَّة والجماعة مَن يتأوَّل اليدين بالنِّعمتين ، مع أنَّ الله سبحانه وتعالى قد قَرَن ذلك بما يكون من خصائص اليد ، وهو الإنفاق ، فقال جلَّ من قائل : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤] .

عِلماً بأنَّ النِّعم التي يُسديها الربُّ الجليلُ إلى عباده كثيرة لا تُحصى ، قال جلَّ من قـــائل : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[إبراهيم: ٣٤] (١) .

الثَّانِيَةُ وَالثَّلاثُوْن : في معرض آخر أخرج ابن تيمية الأشعريَّة من أهل السنة والجماعة ، واعتبرهم أقرب المتكلِّمين إلى مذهب أهل السنة : " وأمَّا " الْأَشْعَرِيَّةُ " فَلَا يَرَوْنَ السَّيْفَ مُوَافَقَةً لِأَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَهُمْ فِي الْجُمْلَةِ أَقْرَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ إلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّة وَالْحَدِيثِ ، وَ " الْكُلَّابِيَة وَكَذَلِكَ الكَرَّامِيَّة " فِيهِمْ قُرْبٌ إلَى أَهْلِ السُّنَّة ، وَالْحَدِيثِ وَإِنْ كَانَ فِي مَقَالَةِ كُلٍّ مِنْ الْأَقْوَالِ مَا يُخَالِفُ أَهْلَ السُّنَّة وَالْحَدِيثِ " (٢) .

الثَّالِثَةُ وَالثَّلاثُوْن : جاء في " طبقات الحنابلة " التَّصريح بضلال الأشاعرة ، فقد جاء فيه : " حسبك لشيخي الإسلام وإمامي الهدى وخليفتي رسول اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الهاديين الرَّاشدين وتوقُّفهما وإحجامهما عن تفسير آية من كتاب اللهَّ جلَّ وعزَّ ، وهما أعلم الخلق بالله عزَّ وجلَّ بعد رَسُول اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبرسوله وبكتاب اللهَّ وتأويله ، فماذا عسى أن نقول فِي جسارة المعتزلة والأشاعرة وبقيَّة المتكلِّمين الضالِّين فِي تأويل صفات الرَّحمن عزَّ وجلَّ الَّتِي نطق بها القرآن ، ونقلها الأئمَّة الأثبات والعلماء الثِّقات " (٣) .

---

(١) انظر : تقريظ رسالة : تأكيد المسلمات السلفية في نقض الفتوى الجماعية بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضية ، لمؤلفها : للشيخ عبدالعزيز الريس ، بقلم : أحمد بن يحيى النجمي ، ١ / ٨ / ١٤٢٧هـ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى (٢/ ١٤٨) .

الرَّابِعَةُ وَالثَّلاثُوْن : قال سفر حوالي : " موقف الحَنَابِلَة من الأشاعرة أشهر من أَن يذكر ، فمنذ بدَّع الإِمَام أَحْمد " ابْن كُلَّاب " وَأمر بهجره – وَهُوَ المؤسس الْحَقِيقِيّ للْمَذْهَب الْأَشْعَرِيّ– لم يزل الحنَابلة مَعَهم فِي معركة طَوِيلَة ، وَحَتَّى فِي أَيَّام دولة نظام الْملك– الَّتِي استطالوا فِيهَا – وَبعدهَا كَانَ الْحَنَابِلَة يخرجُون من بَغْدَاد كل واعظ يخلِّط قصصه بِشَيْء من مَذْهَب الأشاعرة ، وَلم يكن ابْن الْقشيرِي إِلَّا وَاحِداً مِمَّن تعرَّض لذَلِك ، وبسبب انتشار مَذْهَبهم وَإِجْمَاع عُلَمَاء الدولة سِيمَا الْحَنَابِلَة على محاربته أصدر الْخَلِيفَة الْقَـــادِر منشور " الِاعْتِقَــاد القــادري " أوضح فِيهِ العقيدة الْوَاجِب على الْأمَّـــة اعتقادها سنة (٤٣٣ هـ) .

وكذلك يفعل أتباعهم في عصرنا هذا بمليء خطبهم الحماسيَّة أو مواعظهم وقصصهم ، وما يسمُّونه بالكتب الفكريَّة لثقة قرائهم – من الشَّباب المتحمِّس– العمياء بهم ، ولجهل أكثر هؤلاء الشَّباب بعقيدتهم الصَّحيحة التي كان عليها سلفهم الصَّالح من الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان .

هَذَا وَلَيْسَ ذمّ الأشاعرة وتبديعهم خَاص بأئمَّة الْمَذَاهب المعتبرين ، بل هُوَ مَنْقُول أَيْضاً عَن أَئِمَّة السُّلوك الَّذين كَانُوا أقرب إِلَى السُّنَّة وَاتِّبَاع السّلف ، فقد نقل شيخ الْإِسْلَام فِي الاسْتقَامَة كثيراً من أَقْوَالهم فِي ذَلِك ، وأَنَّهم يعتبرون مُوَافقَة عقيدة الأشعريَّة منافياً لسلوك طَرِيق الْولَايَة والاستقامة ، حَتَّى أَنَّ عبد الْقَادِر الجيلاني ، لما سُئِلَ : " هَل كَانَ لله ولي على غير اعْتِقَـــــاد أَحْمد بن حَنْبَل ؟ قَالَ : مَا كَانَ وَلَا يكون " .

فَهَذَا موجز مُخْتَصر جداً لحكم الأشاعرة فِي الْمَذَاهب الْأَرْبَعَة ، فَمَا ظَنُّك بِحكم رجال الْجرْح وَالتَّعْدِيل مِمَّن يعلم أَنَّ مَذْهَب الأشاعرة هُوَ ردُّ خبر الْآحَاد جملَة ، وأَنَّ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَحَادِيث مَوْضُوعَة أدخلها الزَّنَادِقَة ... وَغَيرهَا من الْعَوام ، وَانْظُر إِن شِئْت تَرْجَمَة إِمَامهمْ الْمُتَأَخر الْفَخر الرَّازِي فِي الْمِيزَان ، ولسان الْمِيزَان .

فَالْحكم الصَّحِيح فِي الأشاعرة أَنَّهم من أهل الْقبْلَـــة لاشكَّ فِي ذَلِك ، أَمَّا أَنَّهم من أهل السُّنَّة فَلَا ... " (١)

.

والحقّ أنَّ كلام سفر الحوالي وغيره من المتمسلفة في مسألة خبر الآحاد مجانب للصَّواب ، لأنَّ جمهور أهل العلم لا يأخذون بخبر الآحاد في العقيدة ، لأنَّ العقيدة لا تُبنى إلا على القطع ، والآحاد ظنِّي ، والظنَّ لا يغني عن الحق شيئاً ، مع العلم أنَّ الجمهور يأخذون بخبر الآحاد إذا كان أصله في محكم القرآن ... وفيما يلي عرض لمذاهب العلماء في مدى حجيَّة خبر الآحاد في العقيدة ...

---

(١) انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني (ص٢٢) .

اختلف العلماء فيما يفيده خبر الواحد العدل الضَّابط في العقيدة ، والمتأمِّل يجد أن كلامهم يدور حول إفادته الحجيَّة وعدمها ، سواء كان بذاته ، أو بانضمام القرائن إليه ، وعليه فإن ملخَّص ما ذهبوا غليه ينتظم في مذهبين :-

المَذْهَبُ الأَوَّلُ : أنَّه ليس حجَّة في العقائد ، وإليه ذهب جمهور الأُصوليِّين ، منهم : الباقلَّاني ، والخطيب البغدادي ، وابن فورك ، والغزالي ، والقاضي عبد الجبَّار ، والرَّازي ، والبيهقي ، والكرماني ، والقاسمي ، والنَّووي ، والكاساني ، وابن عبد البرّ ، وعبد القاهر البغدادي (١) .

ونسبه جماعةٌ إلى الأكثر من أهل الأصول (٢) .

كما نسبه ابن حزم إلى الحنفيَّة ، والشَّافعيَّة ، وجمهور المالكيَّة ، وإلى جميع المعتزلة (٣) .

المَذْهَبُ الثَّانِي : أنَّه حجَّة إذا احتفّت به القرائن ، وإليه ذهب ابن تيمية ، وابن القيِّم ، وابن حزم ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزَّاغوني ، وابن قاضي الجبل ، وحكاه ابن خويز منداد عن مالك ، وهو إحدى الرِّوايتين عن أحمد (٤) .

ومن أشهر القرائن التي ذكرها من ذهب إلى حجيَّة الآحاد في العقيدة :-

---

(١) انظر : بالترتيب : تمهيد الأوائل وترتيب الدلائل (ص ٤٤١) ، الفرق بين الفرق (ص٣٢٥) ، مشكل الحديث وبيانه (ص٢٤) ، المستصفى من علم الأصول (٢/ ١٧٩) ، شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٢) ، أساس التقديس (ص١٩٢) ، الأسماء والصفات (ص٤٥٠) ، صحيح البخاري بشرح الكرماني (٢٥/ ١٤) ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص١٤٧-١٤٨) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ٢٠ ، ١/ ١٣١) ، بدائع الصانع (١/ ٢٠) ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٧) ، أصول الدِّين عبد القاهر البغدادي (ص١٢) .

(٢) انظر : المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٥٦٦) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ، مطبوع بهامش المستصفى ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ١٢٣) ، الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي (٢/ ٤٨) ، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في أصول الفقه (٢/ ٣٥٢) ، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٢/ ٣٥٧) ، أصول السرخسي (١/ ٢٩٢) ، شرح التلويح على التوضيح (٢/ ٤٣١) ، نهاية السول للأسنوي في شرح منهاج الوصول للبيضاوي (١/ ٢٣) .

(٣) انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٧) ، إرشاد الفحول (ص ٤٨) ، المسودة في أصول الفقه (ص٢٤٧/ ٢٤٨) ، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في أصول الفقه (٢/ ٣٤٩-٣٥٠) .

(٤) انظر : المسودة في أصول الفقه (٢٤٧- ٢٤٨) ، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في أصول الفقه (٢/ ٣٤٨-٣٥٠) ، الإحكام لابن حزم (١/ ٧) ، فما بعدها ، أصول السرخسي (١/ ٣٢٩) ، مختصر الصواعق المرسلة (ص ٥٢٨ فما بعدها) ، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص ٤٥ فما بعدها) .

١. ما أخرجه الشَّيخان في صحيحيهما ممَّا لم يبلغ حدّ المتواتر ، فإنَّه احتفَّت به قرائن منها :-
جلالتهما في هذا الشَّأن ، وتقدُّمهما في تميز الصَّحيح على غيرهما ، وتلقِّي الأمَّة لكتابيهما بالقبول (١) .
يقول ابن الصَّلاح : " أنَّ ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج من قبيل ما يقطع بصحَّته لتلقِّي الأمَّة كل واحد من كتابيهما بالقبول ، سوى أحرف يسيرة تكلَّم عليها بعض أهل النَّقد من الحفَّاظ ، كالدَّارقطني وغيره ، وهي معروفة عند أهل هذا الشأن " (٢) .
٢. المشهور إذا كانت له طرق متباينة ، سالمة من ضعف الرُّواة والعلل (٣) .
٣. المسلسل بالأئمَّة الحفَّاظ المتقنين (٤) .
هذه هي أهم القرائن التي ذكروها لإفادة الخبر الحجَّة في العقيدة .
وقد استدلَّ القائلون بأنَّ خبر الآحاد لا يفيد إلَّا الظنّ – وهم الجمهور – بالعديد من الأدلَّة ، من أهمها :-
الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : أنَّ أخبار الآحاد مظنونة ، فلا يجوز التمسُّك بها في معرفة الله تعالى ، وإنَّما قلنا : إنها مظنونة ، وذلك لأنَّا أجمعنا على أنَّ الرُّواة ليسوا معصومين ، وإذا لم يكونوا معصومين كان الخطأ عليهم جائزاً ، والكذب عليهم جائزاً ، وحينئذٍ لا يكون صدقهم معلوماً ، بل مظنوناً ، فثبت أنَّ خبر الواحد مظنون ، فوجب أن لا يجوز التمسُّك به (٥) .
ولَّما كان الاعتقاد يعني التَّصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل ، فإنَّ الواجب يقضي بأن تكون أدلَّة العقيدة قطعيَّة الثُّبوت ، قطعيَّة الدِّلالة ، حتى توجب العلم وتفيد التَّصديق الجازم ، وهذا الشَّرط لا ينطبق إلا على القرآن الكريم ، والحديث المتواتر ، أمَّا الظنِّي فلا مجال له في الاستدلال على مسائل العقيدة ، لأنَّ الظن لا يغني من الحقِّ شيئاً ، لذلك رأينا آيات الكتاب العزيز تذمُّ من يتَّبع الظنَّ ، ومن يتَّبع بغير سلطان مبين ، قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا

(١) انظر : شرح نخبة الفكر في مصطلح الأثر (ص٢٠-٢١) ، مجموع فتاوى ابن تيميه (١٨/ ١٦) .
(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح (ص ١٤-١٥) ، وانظر : مجموع فتاوى ابن تيميه (١٨/ ١٧) ، تدريب الراوي (١/ ١٣٤) .
(٣) انظر : شرح نخبة الفكر في مصطلح الأثر ص ٢٤) ، مجموع فتاوى ابن تيميه (١٨/ ٤٧-٤٨) .
(٤) انظر : شرح نخبة الفكر في مصطلح الأثر (ص ٢٥) ، مجموع فتاوى ابن تيميه (١٨/ ٤٨) .
(٥) انظر : أساس التقديس (ص ١٨٩) .

ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٧ – ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] .

ووجه الدِّلالة من هذه الآيات أنَّها صرَّحت بذمِّ متَّبعي الظُّنون ، وذمُّهم والتّنديد عليهم دليل على النَّهي الجازم عن اتِّباع الظنِّ ، وعلى النَّهي الجازم عن اتباع مالم يقم عليه الدَّليل القاطع في العقيدة ، ذلك أنَّ الآيات السَّابقة حُصرت في العقيدة ، فآية : ﴿ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ في العقيدة ، وآية : ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ وردت في العقيدة ، فقد كانوا يقولون : إنَّ الملائكة وهذه الأصنام بنات الله ، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنَّهم شفعاؤهم عند الله تعالى ، مع وأدهم البنات ، فقيل لهم : ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١] ، والآيات هي : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٣] ، فأوردها الله في موضوع العقائد فنعى نعياً واضحاً على من يتَّبعون الظنَّ في العقائد .. وهذا هو شأن بقيَّة الآيات .

ويضاف لذلك أنَّ آيات القرآن الكريم التي جاءت تنعى على من لا سلطان له ، فإنَّها أيضاً في موضوع العقائد ، وقد وردت كلمتا البرهان والسلطان في موضوع العقائد والإيمان ، وهما كلمتان تفيدان القطع والجزم ، ولا يتأتَّى أن يكون البرهان قد قام على إثبات شيء إلا إذا كان مقطوعاً به ، والظنِّي لا يكون دليلاً ولا برهاناً ، وقد استعمل القرآن كلمتي برهان وسلطان ، ومن تتبَّع كل واحدة منهما في جميع آيات القرآن يتبين أن معناهما الدَّليل المقطوع به ..

قال تعالى : ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، وقال تعالى : ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤] ، إلى غير ذلك من الآيات .. وكلها جاءت بمعنى الدَّليل القاطع ، فالدَّليل من حيث هو لا يكون إلا قطعيَّاً ولم يستعمله القرآن إلا بمعنى

القطعي ، وعلى هذا ، فإنَّه لما كان دليل العقيدة هو دليلُ على المسألة المعيَّنة ، فإنَّ كونه دليلاً أو برهاناً أو سلطاناً يقضي بأن يكون قطعيَّاً .

لقد بينَّت هذه الآيات بأنَّه لا بدَّ من العلم ، وهو القطع واليقين ، وندَّدت عليهم بالظنِّ فقط ، والظنُّ مدلوله في اللغة هو إفادة الاحتمالين مع ترجيح أحدهما ، فكيف يجوز الاستدلال بالاحتمال في الأصول ، والأصول لا يجوز أن يتطرَّق إليها الاحتمال ، وقد قالوا : (ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال) ، وهذه واحدة من القواعد الأصوليَّة المعروفة [1] .

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : أنَّ أجلَّ طبقات الرُّواة قدراً ، وأعلاهم منصباً : الصَّحابة رضوان الله عليهم ، ثمَّ إنّا نعلم أنَّ رواياتهم لا تفيد القطع واليقين ، والدَّليل عليه : أنَّ هؤلاء المحدِّثين رووا عنهم : أنَّ بعضهم ردَّ خبر الآخر ، ونسبه إلى الخطأ والنِّسيان [2] ، فقد ردَّت السيِّدة عائشة رضي الله عنها خبر عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث : تعذيب الميِّت ببكاء أهله عليه [3] ، وقالت : رحم الله عمر والله ما حدَّث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله ليعذِّب المؤمن ببكاء أهله عليه " وقالت : حسبكم القرآن ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] [4]

وكذا ردّت خبر ابنه عبد الله رضي الله عنهما في تعذيب الميِّت ببكاء أهله عليه ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرَّحمن ، أمَّا أنَّه لم يكذب ، ولكنَّه نسي أو أخطأ ، وإنَّما مرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يهوديَّة يُبكى عليها فقال : " أنَّهم ليبكون عليها وإنها لتعذَّب في قبرها " [5] ، فهذه الأمثلة تثبت وبلا مرية : أنَّ الآحاد سبيله ظنِّي ، لاحتمال الخطأ والوهم والنِّسيان من الرَّاوي ...

---

[1] انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص٩٩ فما بعدها ببعض التصرف) ، كبرى اليقينيات الكونية (ص ٣٥-٣٦) .

[2] انظر : أساس التقديس (ص ١٨٩-١٩٠) .

[3] أخرجه البخاري (ص ٢٥٠ برقم ١٢٨٧) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

[4] أخرجه البخاري (ص٢٥١) كتاب الجنائز ، باب قول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((يعذب الميت ببكاء أهله عليه)) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، مسلم (ص ٣٦١ برقم ٩٣٢) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

[5] أخرجه البخاري (ص ٢٥١) كتاب الجنائز ، باب قول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يعذب الميت ببكاء أهله عليه) ، مسلم (ص٣٦١ برقم ٩٣٢) .

ولذلك رأينا الكثير من الصَّحابة يتوقَّفون في خبر الواحد إذا ارتابوا منه ، وذلك احتياطاً منهم في قبول الأخبار .

قال الحافظ الذَّهبي : " وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوَّل من احتاط في قبول الأخبار " (١) .

وفي ترجمته لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال الإمام الذهبي أيضاً : " وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ... إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم " (٢) .

والرّوايات في ذلك كثيرة ، وقد كان عصرهم رضي الله عنهم قريباً من عصر النبوَّة ، فكيف بنا وقد بعُدت الشقَّة بيننا وبين ذلك العصر الزاهر الطاهر ، ألسنا اليوم أحوج ما نكون إلى التثبُّت والاستيثاق والسبر والغور والحيطة ، والتمسُّك بالقطعي في أمور العقيدة ، التي لا تقبل الخطأ ولا الوهم ؟ ثمَّ كيف يجوز للمسلم أن يعتقد في ذات الله تعالى أشياء يحتمل أن يبين له بعد زمن أنَّها خطأ ؟ ولماذا سُمِّيت عقيدة إذا لم تكن مبنيَّة على الثَّوابت الرَّواسخ التي لا يمكن أن يطرأ عليها خطأ أو تغيير ؟ .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : أنَّه اشتهر فيما بين الأمَّة : أنَّ جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة ، واحتالوا في ترويجها على المحدِّثين ، والمحدِّثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها ، بل قبلوها ، وأيُّ مُنكرٍ فوق وصف الله تعالى بما يقدح في الإلهيَّة ويبطل الرُّبوبيَّة ؟ فوجب القطع في أمثال هذه الأخبار بأنَّها موضوعة (٣) ، وأمَّا من دوَّنوا ذلك في كتبهم ، فإنهم ما كانوا عالمين بالغيوب ، بل اجتهدوا واحتاطوا بمقدار طاقتهم ، وأمَّا اعتقاد أنَّهم علموا جميع الأحوال الواقعة في زمان الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زماننا فذلك لا يقوله عاقل .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ (١/ ٧٢) .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ (١/ ٧٣) .

(٣) من تلك الأحاديث : ما رواه الآجري في الشَّريعة (ص٢٧١برقم ٦٢٢) مرفوعاً : " أنَّ أهل الجنة يرون ربَّهم عزَّ وجلَّ في كل جمعة ، في رمال الكافور ، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة " ، والحديث كذب موضوع في إسناده : أبو بكر بن أبي داود ، قال عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٣/ ٣٤٩) : " كذَّاب " ، وفي السَّند بعض المجاهيل أيضاً ، ومنها : حديث : " أنَّ الله يجلس يوم الجمعة على القنطرة الوسطى بين الجنَّة والنَّار " ، وهو حديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٢٧) ، الشَّوكاني في الفوائد المجموعة (برقم ٤٤٩) ، والموضوعات في هذه البابة كثيرة .

وغاية ما في الباب : " أنّا نحسن الظنَّ بهم ، وبالَّذين رووا عنهم ، إلاّ أنّا إذا شاهدنا خبراً مشتملاً على منكر ، لا يمكن إسناده إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطعنا بأنَّه من أوضاع الملاحدة ، ومن ترويجاتهم على أولئك المحدثين " (١) .

وفي هذا المعنى يقول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إذا سمعتم الحديث عنِّي تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنَّه منكم قريب ، فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنِّي ، وتنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنَّه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه " (٢) .

الدَّلِيْلُ الرَّابعُ : أنَّ الرُّواة الذين سمعوا هذه الأخبار من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما كتبوها عن لفظ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل سمعوا شيئاً في مجلس ، ثمَّ أنَّهم رووا تلك الأشياء بعد عشرين سنة أو أكثر ، ومن سمع شيئاً في مجلس مرَّة واحدة ، ثمَّ رواه بعد العشرين أو الثلاثين لا يمكنه رواية تلك الألفاظ بأعيانها ، وهذا كالمعلوم بالضَّرورة ، وإذا كان الأمر كذلك كان القطع حاصلاً بأنَّ شيئاً من هذه الألفاظ : ليس من ألفاظ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل ليس ذلك إلا من ألفاظ الرَّاوي ، وكيف يقطع بأنَّ هذا الرَّاوي سمع ما جرى في ذلك المجلس ؟ فإنَّ من سمع كلاماً في مجلس واحد ، ثمَّ أنَّه ما كتبه ، وما كرَّر عليه كلّ يوم ، بل ذكره بعد عشرين سنة أو ثلاثين ، فالظَّاهر : أنَّه ينسى منه شيئاً كثيراً ، أو يتشوَّش عليه نظم الكلام وترتيبه وتركيبه ، ومع هذا الاحتمال فكيف يمكن التمسُّك به في معرفة ذات الله تعالى وصفاته ؟ (٣) .

والنَّاظر في كتب العلماء يجد أنَّهم نصُّوا على أنَّ غالب الأحاديث إنَّما رويت بالمعنى ، فعن ابن عون ، قال : كان الحسن ، وإبراهيم الشعبي يأتون بالحديث على المعاني (٤) .

وعن زيد بن الحباب ، قال : سمعت سفيان الثَّوري يقول : إن قلت لكم أنِّي أحدِّثكم كما سمعت فلا تصدِّقوني ، قال زيد : يعني أنَّه يحدث على المعاني (٥) .

---

(١) انظر : أساس التقديس (ص ١٩١-١٩٢) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ص ١٧٥٤برقم ٢٤٠٠٥) ، وانظر ما قاله الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ١٣٢-١٣٣) .

(٣) انظر : أساس التقديس (ص ١٩٢) .

(٤) أخرجه الرامهرمزي المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ص٥٣٤برقم ٦٨٩) ، ابن عبد البر في جامع العلم وفضله (١/ ٨٠) ، وانظر : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص٢٢٣) .

(٥) انظر : أخرجه الخطيب في الكفاية في علم الرواية (ص٢٠٩) .

وعن الفريابي ، قال : سمعت سفيان يقول : لو أردنا أن نحدِّثكم بالحديث كما سمعناه ، ما حدَّثناكم بحديث واحد [1] .

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : لو أفاد خبر الواحد العلم لما حصل تعارض بين الأخبار ، ونحن نرى الكثير من الأخبار تتعارض ، فإن قلنا بإفادة الجميع العلم حصل التَّناقض ، وإن قيل بإفادة أحدهما دون الآخر ، كان ترجيحاً بلا مرجِّح ، فوجب التوقُّف ، وعدم القطع بخبر الواحد [2] .

قلنا : ومن تلك الأخبار ما رواه مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة مرفوعاً : " خلق الله التُّربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشَّجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثُّلاثاء ، وخلق النُّور يوم الأربعاء ، وبثَّ فيها الدوابَّ يوم الخميس ، وخل آدم عليه السَّلام ، بعد العصر من يوم الجمعة ، في آخر الخلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل " [3] .

ففي هذا الحديث الإخبار بأنَّ الله خلق السموات والأرض في سبعة أيام ، وهذا مخالف للقرآن ، وذلك لأنَّ الله تعالى أخبر أنَّه خلق السَّموات والأرض في ستَّة أيام ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الأعراف: ٥٤ .

قال الحافظ ابن كثير في نقده لهذا الحديث : " ... وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قال : ﴿ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، ولهذا تكلَّم البخاري وغير واحد من الحفَّاظ في هذا الحديث ، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار وليس مرفوعاً ، والله أعلم " [4] .

وكذلك طعن فيه : ابن تيمية [5] ، والمناوي [6] ، وعبد الله الغماري [7] .

---

[1] أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي والسامع (٢/ ٣٢ برقم١٠٩٧) ، الكفاية في علم الرواية (ص٢٠٩) .

[2] انظر : الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي (٢/ ٥٠ بتصرف) ١٩٨٦م .

[3] أخرجه مسلم (ص١١٢٢ برقم٢٧٨٩) .

[4] انظر : تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٢٠) ، دار المعرفة .

[5] انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٥٦-٢٥٧ ، ١٧/ ٢٣٥-٢٣٦ ، ١٨/ ١٨-١٩) .

[6] انظر : فيض القدير (٣/ ٥٩٦) .

[7] انظر : الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة ، (ضمن ثلاثة كتب) (ص١٠٢) .

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ : لو أوجب خبر الواحد العلم لأوجبه خبر كل واحد ، ولما احتاج إلى اشتراط العدالة والإسلام ، كما لم يحتج على ذلك في المتواتر ، ولوجب أن يقع العلم بخبر من يدّعي النبوَّة ... ولَمَّا لم يقل هذا أحد ، دلَّ على أنَّه ليس فيه ما يوجب العلم (١) .

وقد استدلَّ القائلون بحجيَّة خبر الآحاد في العقيدة بالعديد من الأدلَّة ، من أشهرها :-

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، قالوا : فهذه الآية الكريمة فيها حثٌّ للقبائل والعشائر وأهل النَّواحي والأقطار المختلفة من المؤمنين ، على أن ينفر من كل فرقةٍ منهم طائفة ليتفقَّهوا في دينهم ، ثمَّ يرجعوا إلى قومهم فينذرونهم ، والطَّائفة في لغة العرب تطلق على الواحد فما فوق ، والتفقُّه في الدِّين يشمل العقائد والأحكام ، بل التفقُّه في العقائد أهم من التفقُّه في الأحكام ، ففي الآية دليل صريح على وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ، وإلاّ ما جاز للطَّائفة أن تنذر (٢) .

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] ، وفي القراءة الأخرى : { فتثبَّتوا } (٣) ، وهذا يدلُّ على الجزم بقبول خبر الواحد الثِّقة ، وأنَّه لا يحتاج إلى التثبت ، ولو كان خبر الواحد الثِّقة لا يفيد العلم لأمر بالتثبُّت في الكلِّ ، ولكن الآية خصَّت بالفاسق ، فدلَّ على أنَّ خبر الثِّقة لا يحتاج إلى تثبُّت في قبوله ، بل أنَّه يوجب العلم (٤) .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٦٧] ، وقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى

---

(١) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي ، (٢/ ٤٩) ، تحقيق : السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

(٢) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي (٢/ ٦٩) ، العقيدة في الله (ص٥١) ، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص٤٩-٥٠) .

(٣) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (١/ ١٩٤) .

(٤) انظر : الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص ٥٠-٥١) .

يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ " (١) ، وقال أيضاً : " بلِّغُوا عَنِّي" (٢) ، وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة : " وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ " قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ " (٣) .

ومعلوم أنَّ البلاغ هو الذي تقوم به الحجَّة على المبلَّغ ، ويحصل به العلم فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التَّبليغ الذي تقوم به حجَّة الله على العبد ، فإنَّ الحجَّة إنَّما تقوم بما يحصل به العلم ، لا بما لا يعلم صدقه من كذبه ، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسل الواحد من أصحابه يبلِّغ عنه ، فتقوم به الحجَّة على من بلَّغه ، وكذلك قامت على الأمَّة الحجَّة بما بلَّغهم العدول الثِّقات من أقواله وأفعاله وسننه ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجَّة ، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التَّواتر ، وهذا من أبطل الباطل ، فيلزم من قال أنَّ أخبار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تفيد العلم أحد أمرين :-

إمَّا أن يقول : أنَّ الرَّسول لم يبلِّغ غير القرآن ، وما رواه عنه عدد التَّواتر ، وما سوى ذلك لم تقم به حجَّة ولا تبليغ .

وإمَّا أن يقول : أنَّ الحجَّة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولا يقتضي عملاً .

وإذا بطل هذان الأمران بطل القول بأنَّ أخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي رواها الثِّقات العدول الحفَّاظ وتلقَّتها الأمَّة بالقبول لا تفيد علماً ، وهذا ظاهر لا خفاء به (٤) .

الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ : ما رواه ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى اليمن ، قال : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ،

---

(١) أخرجه الترمذي (ص٤٣٠برقم ٢٦٥٧ ، وقال هذا حديث حسن صحيح) بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ، أحمد في المسند (ص٣٥١برقم ٤١٥٧) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ابن ماجه (ص٤٠برقم ٢٣٢) بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٢) أخرجه البخاري (ص٦٦٦برقم ٣٤٦١) بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٣) أخرجه مسلم (ص٤٨٤برقم ١٢١٨) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، أبو داود (ص٢٢٠برقم ١٩٠٥) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ابن ماجه (ص٣٣٣برقم ٣٠٧٤) بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٤) انظر : مختصر الصواعق (ص٥٥١-٥٥٢) ، الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم (١/ ١٢٨-١٣٠) .

فأخبرهم : أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم زكاةً تؤخذ من أموالهم ، وتردُّ على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم ، وتوقّ كرائم أموال النَّاس " [1] .

فقد أمره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبلغهم قبل كلِّ شيء عقيدة التَّوحيد وأن يعرفهم بالله عزَّ وجلَّ ، وما يجب له وما ينزّه عنه ، فإذا عرفوه تعالى بلّغهم ما فرض الله عليهم وذلك ما نقله معاذ يقيناً ، فهو دليل قاطع على أنَّ العقيدة تثبت بخبر الواحد وتقوم به الحجَّة على النَّاس ، ولولا ذلك لما اكتفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإرسال معاذ وحده ، ومن لم يسلم بما ذكرناه لزمه أحد أمرين لا ثالث لهما :

١-القول بأنَّ رسله عليهم السَّلام ما كانوا يعلّمون النَّاس العقائد ، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمرهم بذلك ، وإنَّما أمرهم بتبليغ الأحكام فقط ، وهذا باطل البداهة ، مع مخالفته لحديث معاذ المتقدِّم .

٢-أنَّهم كانوا مأمورين بتبليغها ، وأنَّهم فعلوا ذلك ، فبلغوا النَّاس كلّ العقائد الإسلاميَّة ، ومنها هذا القول المزعوم (لا تثبت العقيدة بخبر الآحاد) فإنَّه في نفسه عقيدة كما سبق ، وعليه فقد كان هؤلاء الرُّسل ، رضوان الله عليهم يقولون للنَّاس : آمنوا بما نبلغكم إيَّاه من العقائد ، ولكن لا يجب عليكم أن تؤمنوا بها لأنَّها خبر آحاد ، وهذا باطل أيضاً كالذي قبله ، وما لزم منه باطل ، فهو باطل ، فثبت بطلان هذا القول ، وثبت وجوب الأخذ بخبر الآحاد في العقائد [2] .

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : عدم الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة بدعة محدثة [3] .

هذه هي أهم الأدلَّة التي استشهد بها من ذهبوا إلى أن خبر الأحاد حجَّة في أمور العقيدة .

ويمكن أن نناقش أدلَّة القائلين بالحجيَّة فنقول :-

أمَّا استدلالهم بقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، فالاستدلال بالآية بعيد هنا ، إذ لا علاقة للآية بما نحن بصدده ، وذلك لأنَّ هذه الطَّائفة مؤمنة بنصِّ الآية ، وقد حصل لديها وللفرقة التي نفرت منها الإيمان بأصول الدِّين والعقائد قبل ذلك ، والمطلوب منها هو التفقُّه في

---

(١) أخرجه البخاري (ص٢٨٤برقم ١٤٥٨) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، مسلم (ص٤٢برقم ١٩) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٢) انظر : وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة (ص١١-١٢) .

(٣) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، الألباني (ص٥٥) .

دقائق الشَّرع ، ليعرِّفوا فرقتهم بالأحكام التفصيليَّة ، التي لا يشترط فيها التَّواتر ، بل يكفي فيها خبر الواحد ، فإذا علم ذلك ، فلا ضير في اعتبار الطَّائفة واحداً أو أكثر ، على أنَّنا لا نسلم البتَّة بأن الطَّائفة هي واحد ، وقوله في الآية ،﴿وَلِيُنذِرُواْ﴾ ، دليلٌ واضحٌ على أنَّهم جماعة [1] .

ومن الأدلَّة التي تدحض كون المقصود بالطَّائفة واحد قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ، ظاهرين إلى يوم القيامة " [2] . فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ظاهرين " ، " لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم " ، " ظاهرون " ، يدلُّ على أنَّهم جماعة كثيرة ، ولو كانت الطَّائفة واحداً لما كان له كثير فائدة .

قال الإمام القرطبي في تعليقه على الآية السَّابقة : " ولا شكَّ أنَّ المراد هنا جماعة لوجهين : أحدهما عقلاً ، والآخر لغةً ، أمَّا العقل : فلأنَّ العلم لا يتحصَّل بواحد في الغالب ، وأمَّا اللغة فقوله : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ ﴾ ، فجاء بضمير الجماعة " [3] .

وهذا الفهم هو الذي فهمه الأئمَّة الأعلام ، ففي صحيحه الجامع أفرد البخاري باباً سمَّاه : " باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصَّدوق في الأذان ، والصَّلاة ، والصَّوم ، والفرائض ، والأحكام ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] . قال ابن حجر : " وقوله : " الفرائض " بعد قوله : " في الأذان ، والصَّلاة ، والصَّوم " من عطف العام على الخاصّ ، وأفرد الثَّلاثة بالذِّكر للاهتمام بها ، قال الكرماني : ليعلم إنَّما هو في العمليَّات لا في الاعتقادات " [4] .

---

[1] انظر : هامش دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص٤٥) .

[2] أخرجه مسلم (ص ٧٩٦ برقم ١٩٢٣) ، بيت الأفكار الدوليَّة " ، الرياض .

[3] انظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٩٤) ، وانظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٠-٤٠١) ، تفسير الطبري (١١/ ٨٩-٩٥) ، المحرر الوجيز (٣/ ٩٦-٩٧) ، البحر المحيط (٥/ ١١٦-١١٧) .

[4] انظر : فتح الباري (١٣/ ٢٣٣-٢٣٤) ، وانظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني (٢٥/ ١٤) .

وأمَّا استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] ، فاستدلالهم بها ضعيف ، قال الإمام ابن عطيَّة : " وتأنس القائلون بقبول خبر الواحد بما يقتضيه دليل خطاب هذه الآية ، لأنَّه يقتضي أنَّ غير الفاسق إذا جاء بنبأ أن يعمل بحسبه ، وهذا ليس باستدلال قوي " (١) ، وما ذلك إلَّا لأنَّ " المراد هو منع الشَّاهد عن جزم الشَّهادة بما لم يبصر ولم يستمع ، والفتوى بما لم يرو ولم ينقله العدول " (٢) .

وقد ضعّف الاستدلال بالآية الإمام الآمدي ، فقال : " وهذه الحجَّة أيضاً ضعيفة ، أمَّا الوجه الأوَّل فلأنَّ الاستدلال بهذه الآية غير خارج عن مفهوم المخالفة ، وسنبيِّن أنَّه ليس بحجَّة ، وإن كان حجَّة ، لكنَّه حجَّة ظنِّيَّة ، فلا يصحُّ الاستدلال به في باب الأصول .

وأمَّا الوجه الثَّاني : فمن وجهين : الأوَّل لا نسلم أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجمع على قتلهم وقتالهم (٣) بخبر الوليد بن عقبة ، فإنَّه قد روي أنَّه بعث خالد بن الوليد وأمره بالتَّثبت في أمرهم ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه ، فعادوا إليه وأخبروه بأنَّهم على الإسلام ، وأنَّهم سمعوا آذانهم وصلاتهم فلمَّا أصبحوا ، أتاهم خالد بن الوليد ، ورأى ما يعجبه منهم ، فرجع إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره بذلك ، أمَّا الثَّاني : فإنَّ ما ذكره من سبب النُّزول من أخبار الآحاد ، فلا يكون حجَّة في الأصول " (٤) .

وأمَّا استدلالهم بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] ، وبقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نضّر الله امرءاً ... الحديث .. " .

(١) انظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية ، (٥/ ١٤٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) انظر : المستصفى (٢/ ٢٢١) .

(٣) المقصود هنا هم بنو المصطلق : انظر مناسبة نزول الآية في أسباب النزول للواحدي (ص٢٦٢) ، تفسير الطبري (٢٦/ ١٦٠-١٦١) .

(٤) انظر : الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي (٢/ ٧١-٧٢) ، وللاستزاده انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص٨٨ فما بعدها) ، الفرق بين الفرق (١/ ٩٦ فما بعدها) ، الكفاية في علم الرواية (ص٢٥-٢٦) .

فهذا الاستدلال انطوى على مغالطة واضحة ، لأننا نؤمن إيماناً جازماً بأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغ جميع ما أُنزل إليه من ربِّه ، لأنَّه لا يكون قد أقام الحجَّة لله على النَّاس إلَّا إذا أبلغهم حقيقة الدَّعوة كاملة ، ووصف لهم ما هم عليه كما هو على حقيقته ، بلا مجاملة ولا مداهنة [1] .

فالرِّسالة كلٌّ متكامل ، وبعضها ليس أولى بالأداء من بعض ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ، أي : فما أدَّيت شيئاً من رسالته لما أنَّ بعضها ليس أولى بالأداء من بعض ، فإذا لم يؤدَّ بعضها ، فكأنَّك أغفلت أداءها جميعاً ، كما أنَّ من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلِّها لإدلاء كلّ منها بما يدليه غيرها ، وكونها لذلك في حكم شيءٍ واحد ، والشَّيء الواحد لا يكون مبلِّغاً غير مبلِّغ ، مؤمناً به غير مؤمن به ، ولأنَّ كتمان بعضها يضيع ما أدَّى منها كترك بعض أركان الصَّلاة ، فإنَّ غرض الدَّعوة ينتقض به [2] .

فالرُّسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم بلَّغوا النَّاس العقائد كما بلَّغوهم الأحكام ، ولم يكتموا من رسالاتهم شيئاً .

وأمَّا استدلالهم بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نضَّر الله امرءاً .. الحديث " ، فهو حجَّة عليهم ، لأنَّه قد علَّل فيه ونبَّه على ما يقول بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نضّر الله امرءاً ... وربَّ حامل فقه ليس بفقيه ... وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه " [3] ، وكأنَّه قال : " إذا كان المبلَّغ أوعى من السَّامع ، وأفقه منه ، وكان السَّامع غير فقيه ، ولا ممَّن يعرف المعنى ، وجب عليه تأدية اللفظ ليستنبط من نص اللَّفظ العالم الفقيه ، وإلاَّ فلا وجه لهذا التَّعليل إن كان حال المبلِّغ والمبلَّغ سواء ، على أنَّ رواة هذا الخبر نفسه قد رووه على المعنى ، فقال بعضهم : " رحم الله " ، مكان : " نضّر الله " ، " ومن سمع " ، بدل : " امرءاً سمع " ، " وروى مقالتي " ، بدل : " منا

---

[1] انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٢/ ٩٤١) ، دار الشروق ، لبنان ، ط٩ ، ١٩٨٠م .

[2] انظر : روح المعاني (٣/ ٣٥٥) ، وانظر للاستزادة : المحرر الوجيز (٢/ ٢١٧-٢١٨) ، البحر المحيط (٣/ ٥٣٨-٥٤٠) ، تفسير الرَّازي (١٢/ ٤١-٤٢) .

[3] أخرجه بهذا اللفظ : ابن ماجه (ص٤٠ برقم ٢٣٠) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، الترمذي (ص٤٣٠ برقم ٢٦٥٦ ، وقال حديث حسن) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

حديثاً " ، " بلّغه " ، بدل " أدّاه " ، " وربَّ حامل فقه لا فقه منه ، مكان ليس بفقيه " [1] ... والظَّاهر أنَّ هذا الخبر نقل على المعنى ، فلذلك اختلفت ألفاظه [2] ...

ومن المعلوم يقيناً أنَّ أغلب الأحاديث رويت بالمعنى ، ولذلك " اختلفت ألفاظ الصَّحابة في رواية الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنهم من يرويه تاماً ، ومنهم من يأتي بالمعنى ، ومنهم من يورده مختصراً ، وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعاً إذا لم يخالف المعنى ... " [3] ، ولذلك تجد الحديث الواحد مرويَّاً بعبارات وألفاظ مختلفة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

ومع وضوح جواز نقل الحديث على المعنى – وقد حصل بالفعل – فإنَّ جلَّ النُّصوص الحديثيَّة أيضاً ظنيَّة في ثبوتها ، ومع صحَّتها فإنَّها لا ترتقي إلى درجة الثُّبوت القطعي ، إلاَّ القليل ممَّا تواتر منها ، ولذلك فإنَّها أتت لتبيِّن مُجمل القرآن ، وتخصيص عامِّه ، وتقييد مطلقه ، وإلحاق بعض الفروع بأصولها القرآنيَّة في الأغلب الأعم ، فعلى هذا الأساس تكون أسس العقيدة قد تقرَّرت وتثبَّتت بالقرآن ، والعقيدة الإسلاميَّة تتميَّز عن باقي العقائد ، فهي مبنيَّة على العقل ، فالإيمان بوجود الله ووحدانيَّته قائم على العقل ، والإيمان بأنَّ القرآن كلام الله مبنيٌّ على العقل ، والقرآن الكريم هو الدِّلالة القاطعة على رسالة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونبوَّته وهو معجزته الخالدة .

وهذه الثَّلاثة هي أسس العقيدة عند المسلم كما أنَّ باقي أصول العقيدة من المغيَّبات ، كالإيمان بالملائكة ، والجنِّ والشَّياطين ، والجنَّة والنَّار ، والبعث والحساب ، وكثير من أخبار الأنبياء السَّابقين والأمم السَّابقة قد ورد به القرآن الكريم وثبت الاعتقاد به بالطَّريق القطعيِّ اليقيني ، فالعقيدة كلّها تثبت بالقطع والجزم واليقين ، والسُّنَّة إنَّما جاءت – كما قلنا – لتبيين المجمل ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وإلحاق فروع بأصولها ، فكلها أحكام شرعيَّة عمليَّة ، وما ورد فيها من بعض أمور اعتقاديَّة ، فإنَّ أصولها موجودة في القرآن الكريم ، وأمَّا ما ورد فيها من بعض الغيبيات الفرعيَّة كمجيء المهدي ، والدَّجَّال ، ونزول عيسى عليه السَّلام وعذاب القبر ،

---

[1] انظر تلك الروايات في : مسند أحمد (ص٣٥١برقم ٤١٥٧) ، (ص١٢٠١برقم ١٦٨٧٥) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، جامع الترمذي (ص٤٣٠برقم ٢٦٥٦-٢٦٥٧) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، سنن أبي داود (ص٤٠٤برقم ٣٦٦٠) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، سنن ابن ماجه (ص٤٠برقم ٢٣٢،٢٣١،٢٣٠) ، (ص٣٣٠ برقم ٣٠٥٢) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض

[2] انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص٨٢) .

[3] انظر : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص٢٢١) ، وانظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٢/ ٩٢ فما بعدها) .

فلا بدَّ من أن تكون فروعاً لأصل قرآني ، أو أن يكون دليلها قطعي الثُّبوت ، أو أن نتَّبع فيها الأمر الربَّاني القطعي الثُّبوت القطعيِّ الدِّلالة ، وهو عدم جواز أخذ العقيدة بالدَّليل الظنِّي (١) .

قال الإمام البيهقي : " ترك أهل النَّظر من أصحابنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله تعالى ، إذا لم يكن لما انفرد منها أصل في الكتاب ، أو الإجماع ، واشتغلوا بتأويله " (٢) .

" فالقول بأنَّ العقيدة لا تؤخذ إلَّا بالدَّليل القطعي ، ولا يجوز بالدَّليل الظنِّي ، هو قول يثبت العقيدة وينقِّيها من كلِّ شائبة ويجعلها في مأمن من أن يتسرَّب إليها الفساد والتَّناقض والعبث ، وليس قولاً يشكِّكُ في العقيدة ، أو يحطُّ من قيمتها بل هو يرفعها " (٣) .

وأمَّا قولهم بأنَّ قول من يقول : لا تثبت العقيدة بخبر الآحاد فإنَّه في نفسه عقيدة ، فهذه أيضاً مغالطة واضحة ، لأنّنا ما منعنا الاحتجاج بالآحاد في العقائد إلَّا لاحتمال الخطأ والنِّسيان والسَّهو والغفلة على الرُّواة ، ولذلك فإنَّنا لا نقطع بثبوت الخبر ، وأنَّه لا يفيد سوى الظنّ ، وعلى ذلك جماهير المسلمين من الصَّحابة والتَّابعين فمن بعدهم " .

قال الإمام النَّووي : " الذي عليه جماهير المسلمين من الصَّحابة والتَّابعين فمن بعدهم من الفقهاء وأصحاب الأصول ، أنَّ خبر الواحد الثِّقة حجَّة من حجج الشَّرع ، يلزم العمل بها ، ويفيد الظنّ ، ولا يفيد العلم ، وذهب بعض المحدثين إلى أنَّ الآحاد التي في صحيح البخاري وصحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من الآحاد ، وقد قدَّمنا هذا القول وإبطاله في الفصول ، وهذه الأقاويل كلّها سوى قول الجمهور باطلة ، وأمَّا من قال يوجب العلم فهو مكابر للحسِّ ، وكيف يحصل العلم واحتمال الغلط والوهم والكذب ، وغير ذلك متطرّق إليه " (٤) .

ومن جهة أخرى فإنَّ عمليَّة تصحيح الأحاديث وتضعيفها أمرٌ ظنِّي ، قائم على اجتهاد يبذله العالم ، ولذا لا يمكن القطع بشيءٍ منه ، لاحتمال أن يكون الحقُّ بخلاف ما ذهب إليه ، وهذا عائد إلى أن علماء الجرح

---

(١) انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص٨٦) .

(٢) انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي (ص٤٥٠) ، تحقيق : الكوثري .

(٣) انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص١٦٢) .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ١٣١-١٣٢) ، مؤسسة مناهل العرفان .

والتعديل متفاوتون في تعديلاتهم وتجريحاتهم للرُّواة ، فقد يكون الرَّاوي معدّلاً عند قوم مجرّحاً عند آخرين ، وهكذا ...

وأمَّا ما رواه ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى اليمن ..... الحديث .

فإنَّ احتجاجهم به بُني على مغالطة كبيرة ، ذلك أنَّ معاذاً حين بعثه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن معلماً ، كان الإسلام قد انتشر في ربوع اليمن ، وكان أهلها يأتون أفواجاً إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كلِّ حدبٍ وصوب (١) ، فيلتقي بهم يدعوهم إلى ما أمر به ، وكانوا يرجعون إلى بلادهم بعد أن تعلَّموا مسائل الإيمان والعقيدة ، وما أرسل معاذاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلَّا لتعليم النَّاس الفروع الفقهيَّة ، التي يحتاجون إليها في حياتهم اليوميَّة .

وقد حملت كتب الصِّحاح والسُّنن العديد من أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أشار فيها إلى بعض الوفود اليمانيَّة ، منها : ما أخرجه البخاري بسنده إلى أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أتاكم أهل اليمن ، هم أرقّ أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، الحكمة يمانيَّة ... الحديث " (٢) .

ومن ناحية أخرى فإنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرسل معاذاً وحده إلى اليمن كما يَتَخيَّل البعض ، وإنَّما أرسله على رأس وفد ضمَّ غير واحدٍ من الصَّحابة ، فقد روى الطَّبري في تاريخه بسنده عن عبد بن صخر بن لوذان الأنصاري السّلمي وكان فيمن بعث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عمال اليمن في سنة عشر ، بعدما حج حجة التمام : " وقد مات باذام ، فلذلك فرّق عملها بين شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمذاني ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن

---

(١) انظر تفاصيل الوفود اليمانيَّة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في : البداية والنهاية (٥/ ٥٥ ، ٥٨، ٥٩ ، ٧٣ فما بعدها) .

(٢) أخرجه البخاري (ص٨٢٩برقم ٤٣٨٨) كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، مسلم (ص٥٢برقم ٥٢) كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، وانظر ما أخرجه البخاري (برقم٤٣٩٠) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، مسلم (برقم ٣٣٠١) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

حزم ، وعلى بلاد حضرموت : زياد بن لبيد البياضي ، وعُكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي ، ومعاوية بن كندة ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين : اليمن وحضرموت " (١) .

فهؤلاء بعض من كانوا مع سيِّدنا معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا عدا عن الوفود ، فكيف يبعث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذاً وحده ، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لو يعلم النَّاس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده " (٢) .

يُضاف لذلك أنَّ حديث إرسال سيِّدنا معاذ إلى اليمن حديث آحاد ، فكيف يستدلُّ بالآحاد على أن الآحاد تفيد القطع ، وهي ظنيَّة الثُّبوت ؟!

وحتَّى لو سلمنا – جدلاً – لما يقولون ، وأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث معاذاً وحده إلى أهل اليمن ليبلِّغهم العقيدة ، فليس لهم حجَّة في ذلك " لأنَّه ليست هناك حجَّة على المبلِّغ بمجرد التَّبليغ ، وإنَّما الحجَّة فيما يحمل المبلِّغ من دليل قطعي ، سواء كان عقليَّاً أم نقليَّاً ، فالبحث في نفس الأمر المبلَّغ لا في مجرَّد التَّبليغ .

فالله سبحانه وتعالى قد بعث الرُّسل إلى أقوامهم فرادى ، فليست الحجَّة على المبلّغين هي في شخص الرَّسول ، وإنَّما فيما يحمل معه من حجَّة ودليل يثبت نبوَّته ورسالته ، أي الحجَّة في نفس الأمر المبلّغ والذي من أجله بُعث الرَّسول ، فالله تعالى أرسل موسى بمفرده – وإن كان آزره بهارون – ولكنه جعل دليله والحجَّة على فرعون هي العصا واليد ومن بعدها فلق البحر .

وأمَّا رسالة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّ الحجَّة أيضاً على قريش وغيرهم من العرب ليست في شخص محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإنَّما فيما جاءهم به من آيات ومعجزات ، وكلمات بيِّنات ، أذهلتهم بلاغتها ، وقرعت أدمغتهم وأسماعهم بإعجازها ، فهي دليل قائم حتى الآن ، ومعجزة دائمة إلى الأبد ، وهي الحجَّة على المبلَّغين ، وليست في شخص الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما أنَّه ليست الحجَّة في شخص الأفراد والرُّسل الذين أرسلهم إلى الملوك والأمراء (٣) .

---

(١) انظر : تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، (٢/ ٢٤٧) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(٢) أخرجه البخاري (ص٥٧٤برقم ٢٩٩٨) ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .

(٣) انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص ١٦٧-١٦٨) .

وأمَّا قولهم بأنَّ عدم الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة بدعة محدثة ، فهذا من أعجب العجب ، وهو قول مردود ، واعتراض ليس في محلِّه ، إذ المسألة هي مسالة أصوليَّة وقاعدة من القواعد الفقهيَّة ، فعلم أصول الفقه ، علم مصطلح الحديث ، علم النَّحو ... هي أمور استجدَّت فيها بعد لأمور اقتضتها سعة العلوم ونموها وازدهارها ، ولا يعني أنَّ كلَّ علم لم يضعه السَّلف الصَّالح أنَّه مبتدع مردود ، فماذا تقول عن : علم النَّحو والصَّرف ، وعلم البلاغة ، وعلم العروض والقافية ، ... ، وقد وضعت متأخِّرة ، هل هي بدعة يجب أن ترد ، لأنَّ السَّلف لم يضعها ؟ فمن أين أتيتم بعلم مصطلح الحديث ، وكيف قعَّدتم قواعده وقسَّمتموه إلى مراتب ووضعتم ميزان الجرح والتَّعديل ؟ هل كان هذا في زمن السَّلف الصَّالح ؟ ولذلك لا بدَّ من التَّوقُّف عن هذا القول ، لأنَّه اعتراض ليس في محلِّه (١) .

وفي نهاية ردِّنا على ما أورده من جعلوا خبر الآحاد حجة في العقيدة نُنَوه إلى نقطتين :

الأُوْلَى : أنَّ نسبتهم ذلك إلى الإمام مالك لا يثبت عنه ، لأنَّ ناقله عنه هو ابن خويز منداد ، وهو مشهور عنه نقل الأقوال الشَّاذَّة عن مالك ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة له : "عنده شواذ عن مالك ، واختيارات وتأويلات ، لم يعرِّج عليها حذّاق المذهب ، وكقوله : أنَّ العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار ، وأنَّ خبر الواحد مفيد العلم " (٢) .

الثَّانِيَة : أنَّ نسبتهم القول بحجيَّة خبر الآحاد إلى الإمام أحمد لا تصح أيضاً ، فقد ثبت عن الإمام أحمد أنَّه قال : " إذا جاء الحديث عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسناد صحيح فيه حكم ، أو فرض ، عملت بالحكم ، والفرض ودنت لله تعالى به ، ولا أشهد أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك " (٣) .

الخَامِسَةُ وَالثَّلاثُوْن : وقال القحطاني في نونيَّته مُكفِّراً الأشعريَّة :

يا أشعريَّة يا أســـــافلة الورى	يا عُمي يا صُم بـــــــــلا آذان
إنِّي لأبغضكـــم وأبغض حزبكم	بغضاً أقلّ قليله أضغانـــــــــي
لو كنت أعمى المقتلتين لسرَّني	كيلا يرى إنسانكم إنسانـــــــي

---

(١) انظر : الاستدلال بالظني في العقيدة (ص ١٦٣) .

(٢) انظر : لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني (٥/ ٢٩٠) .

(٣) انظر : العدة ، القاضي أبو يعلى (٣/ ٨٩٨) .

تغلي قلوبكم علي بحرهـــــا   حنقاً وغيظاً أيّها غليـــــان

موتوا بغيضكم وموتـــوا حسرة   وأساً علي وعضّوا كلّ بنـــان

قد عشت مسروراً ومتّ مخفـــراً   ولقيت ربي سرَّني ورعـــانـــي

وأباحني جنـــَّـــات عدن آمنـــاً   ومن الجحيم بفضله عافانـــي

ولقيت أحمد في الجنان وصحبه   والكلُّ عند لقائهم أدنـــاني

لم أدَّخر عملاً لربي صالحـــــاً   لكن بإسخاطي لكم أرضـــاني

أنا تمرة الأحبـــاب حنظلة العدا   أنا غصَّة في حلق من عادانـــي

وأنا المحب لأهل سنَّة أحمـــد   وأنا الأديب الشَّاعر القحطانـــي

سل عن بني قحطان كيف فعالهم   يوم الهياج إذا التقى الزَّحفـــان

سل كيف نثرهم الكلام ونظمهم   وها لهم سيفـــان مسلولان

نصروا بألسنة حداد سلق   مثل الأسنَّة شرّعت لطعـــان

سل عنهم عند الجدال إذا التقى   منهم ومن أضدادهم خصمـــان

نحن الملوك بنو الملـــوك وراثة   أسد الحروب ولا النسا بزوان

يا أشعريَّـــة يا جميع من ادَّعى   بدعاً وأهواء بلا برهـــان

جاءتكـــم سُنيَّة مأمونة   من شاعر ذرب اللسان معـــان

خرز القوافي بالمدائح والهجا   فكأن جملتها لدي عوانـــي

يهوي فصيح القول من لهواتـــه   كالصخر يهبط من ذرى كهلان

إني قصدت جميعكـــم بقصيدة   هتكت ستـوركم على البلدان (١)

---

(١) انظر : نونية القحطاني ، أبو محمَّد عبدالله بن محمَّد الأندلسي ، تحقيق : محمَّد بن أحمد سيد أحمد ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة الطبعة : الثالثة ، ١٩٩٥م .

السَّادِسَةُ وَالثَّلاثُوْن : وقال ابن تيمية واصفاً الأشعريَّة بأنَّهم مبتدعة : " كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ مِنْ أَنَّ حُرُوفَهُ ابْتِدَاءَ جبرائيل أَوْ محمَّد ، مُضَاهَاةً مِنْهُمْ فِي نِصْفِ قَوْلِهِمْ لِمَنْ قَالَ : أَنَّه قَوْلُ الْبَشَرِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّه أَنْشَأَهُ بِفَضْلِهِ وَقُوَّةِ نَفْسِهِ " (١) .

وفي معرض آخر ، نقل ابن تيمية كلام أبي الوليد بن رشد المالكي في كتابه : " الكشف عن مناهج الأدلَّة " ، وقرَّر أنَّ الأشاعرة والصُّوفيَّة من الفرق الضَّالَّة ، وأقرَّه ابن تيمية في ذلك ، قال : " ... وهذه حال الفرق الحادثة في هذه الشَّريعة ، وذلك أنَّ كل فرقة منهم تأولت في الشَّريعة تأويلاً غير التَّأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى ، وزعمت أنَّه الذي قصد صاحب الشَّرع ، حتى تمزَّق الشَّرع كل ممزَّق ، وبعد جداً عن موضوعه الأول .

ولمَّا علم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ مثل هذا يعرض ولا بدَّ في شريعته قال : " ستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النَّار إلَّا واحدة " ، يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشَّرع ولم تؤوله تأويلاً صرَّحت به للنَّاس " .

قال : " وأنت إذا تأمَّلت ما عرض في هذه الشَّريعة ، في هذا الوقت ، من الفساد العارض فيها من قبل التَّأويل ، تبيَّنت أنَّ هذا المثال صحيح .

فأوَّل من غيَّر هذا الدَّواء الأعظم هم الخوارج ، ثمَّ المعتزلة بعدهم ، ثمَّ الأشعريَّة ، ثمَّ الصُّوفيَّة ، ثمَّ جاء أبو حامد فطمّ الوادي على القرى ..." (٢) .

قلت : وابن تيمية متناقض في موقفه من السَّادة الأشعريَّة ... فهو وإن ذمَّهم هنا ... فقد امتدحهم في موطن آخر ... فقد قال في مجموع الفتاوى : " وأمَّا لَعْنُ الْعُلَمَاءِ لِأَئِمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ فَمَنْ لَعَنَهُمْ عُزِّرَ . وَعَادَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ فَمَنْ لَعَنَ مَنْ لَيْسَ أَهْلاً لِلَّعْنَةِ وَقَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ . وَالْعُلَمَاءُ أَنْصَارُ فُرُوعِ الدِّينِ وَالْأَشْعَرِيَّةُ أَنْصَارُ أُصُولِ الدِّينِ " (٣) .

والذي يبدو من كلامه : أنَّ من كفَّر السَّادة الأشعريَّة يكفَّر ...

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٥٠-٥١) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٢-٢٢٢) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ١٦) .

السَّابِعَةُ وَالثَّلاثُوْن : اتَّهم أحدهم الأشاعرة بأنَّهم يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، فقال : " وأمَّا أهل الضَّلالة والتَّحريف والتَّبديل الذين لا يعتقدون الاعتقاد السَّليم في ربِّهم ، فقالوا : إنَّ معنى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩] ، أي : على رؤيتي ، وقد وقع بعض أهل السُّنَّة والجماعة في هذا التَّأويل ، فقالوا في قول الله تعالى : ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] ، أي : برؤيتنا ، فقالوا : ليس لله عين ، قالوا : ولو أثبتُّم لله عيناً فقد شبَّهتموه بخلقه ، إذاً فلا بدَّ أن ننفي هذه الصِّفة .

والذين ضلُّوا في هذا الباب هم المشبِّهة والمعطِّلة والمحرِّفة ، فالمعطِّلة هم الجهميَّة والمعتزلة ، والمشبِّهة هم الذين غلوا في الإثبات ، فشبَّهوا الخالق بالمخلوق ، والمحرِّفة هم الأشاعرة الذين يقولون : نؤول ، وهو تحريف وليس بتأويل " (١) .

الثَّامِنَةُ وَالثَّلاثُوْن : وقال أيضاً : " الأشاعرة هم مؤوِّلة العصر ، الذِّين يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، وقد انتشر بين النَّاس الآن أنَّهم متكلِّمو أهل السُّنَّة والجماعة ، وهذا باطل ، فإنَّهم أبعد النَّاس عن أهل السُّنَّة والجماعة ، بل هم من يحرِّف الكلم عن مواضعه " (٢) .

وقال أيضاً معلِّقاً على تأويل قول الله تعالى : ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ بـ " استولى " : " أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فقالوا : هذا القول من أضلِّ الضَّلال ، والذين قالوا بذلك من الفرق الضالَّة المبتدعة الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه " (٣) .

قلت : وبناء على كلامهم وقولهم بأنَّ تفسير ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ بـ " استولى " من أضلِّ الضَّلال ، وأنَّ الذين قالوا بذلك من الفرق الضالَّة المبتدعة الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه ... فإنَّ جمهرة كبيرة من علماء الأمَّة

---

(١) انظر : شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة ، محمَّد حسن عبد الغفار (١١/ ١٠) .

(٢) انظر : شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة ، محمَّد حسن عبد الغفار (١٨/ ٣) .

(٣) انظر : شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة ، محمَّد حسن عبد الغفار (١٨/ ٤) .

يدخلون في الضَّلال والابتداع في دين الله تعالى ... فقد فسَّر غير واحد من مشاهير العلماء الاستواء بالاستيلاء (١) ...

التَّاسِعَةُ وَالثَّلاثُوْن : وفي كتابهم المسمَّى بـ : " التَّوحيد " المرحلة الثَّانوية / الصَّف الأول ، تأليف : الفوزان ، وصفوا في هذا الكتاب المقرَّر رسميَّاً في مدارسهم الأشاعرة والماتريديَّة بالشِّرك ، وقالوا عن المشركين الأوائل : " فهؤلاء المشركون هم سلف الجهميَّة ، والمعتزلة ، والأشاعرة " (٢) .

الأَرْبَعُوْن : ولَمَّا أدخل الإمام محمَّد السَّفاريني الحنبلي الأشعريَّة والماتريديَّة في أهل السُّنَّة ، في كتابه : " لوامع الأنوار البهيَّة " ، اعترض عليه المدعو سليمان بن سحمان ، فقال : " هذه مصانعة !!! من المصنِّف – رحمه الله تعالى – في إدخاله الأشعريَّة والماتريديَّة في أهل السُّنَّة والجماعة ، وكيف يكون من أهل السُّنَّة من لا يثبت علوّ الربِّ سبحانه فوق سماواته ، واستواءه على عرشه ، ويقول : حروف القرآن مخلوقة ، وأنَّ الله لا يتكلَّم بحرف ولا صوت ، ولا يثبت رؤية المؤمنين ربَّهم في الجنَّة بأبصارهم ، فهم يقرُّون بالرؤية ، ويفسِّرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرَّائي ، ويقول : الإيمان مجرَّد التَّصديق ، وغير ذلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة " .

---

(١) انظر : كتاب غريب القرآن (ص١١٣-١١٥) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٤٦-٢٥٢) ، معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج (٣/ ٣٥٠) ، كتاب غريب القرآن (ص١١٤) ، بحر العلوم (١/ ٥٣٦-٥٣٧) ، تلخيص البيان فى مجازات القرآن (٢/ ١٥٢-١٥٣) ، تفسير الماوردي (٢/ ٢٢٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٣٧٥) ، (٣/ ٣-٤) بالترتيب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٠٨) ، (٣/ ١٠٤) ، (٤/ ٣٥٨) ، إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٣٣٣) ، (١/ ٤٥٠) ، (٢/ ٦٦٣) ، (٢/ ٨٠٣) ، مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٥٧-٢٧١) ، (٢٥/ ١٣٦-١٣٩) ، تفسير القرآن ، أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام سلطان العلماء (١/ ٤٨٥-٤٨٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢١٨-٢٢١) ، أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (٣/ ١٦) ، (٣/ ١٨٠) ، تفسير النسفى (٢/ ١٣٣) ، (٢/ ٢٠١) ، (٣/ ٢٣٠) بالترتيب ، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٩٠) ، اللباب في علوم الكتاب (٩/ ١٤٣-١٥٢) ، التوحيد للماتريدي (ص٦٨-٧٧) ، الهدية العلائية (ص٤٧٠) ، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب (ص١١٤) ، تحقيق : محمَّد أديب عبد الواحد جمران ، دار قتيبة ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ١٠٦-١٠٧) ، بيان المعاني (١/ ٢٦١-٢٦٢) ، (٢/ ٩٥) ، (٢/ ١٩٢) ، (٣/ ٦) ، (٦/ ٣٥) بالترتيب ، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب (ص٣٣٨-٣٤١) ، الوَاضِح في أُصُولِ الفِقه (٢/ ٣٧٩-٣٨١) ، المدخل (٢/ ١٤٨-١٤٩) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/ ٣٢٨٢)

(٢) انظر : التوحيد ، الصف الأول من المرحلة الثانوية ، الفوزان ، (ص ٦٦ و٦٧) ، وزارة التربية والتعليم ، المملكة العربية السعودية لسنة ١٤٢٤هـ .

وفي تعليق للشَّيخ عبد الله بابطين ما لفظه : " ... والمؤلِّف نفسه – يرحمه الله – لما ذكر في المقدِّمة هذا الحديث ، قال : وليس هذا النَّص جزماً يعتبر في فرقة إلَّا على أهل الأثر " يعني بذلك الأثريَّة ، وبهذا عرف أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة هم فرقة واحدة : الأثريَّة " (١) .

الحَادِيَةُ وَالأَرْبَعُوْن : قال الشَّيْخ الألباني : " ...أعداء السُّنَّة من المتمذهبة ، والأشاعرة ، والمتصوِّفة ، وغيرهم " (٢) .

وهذا وصف من الألباني لعموم الأمَّة من أتباع المذاهب الإسلاميَّة : الحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشَّافعيَّة ، والحنبليَّـــة ... ومعهم الأشــــاعرة ، والمتصوِّفة ... بأنَّهم أعداء السُّنَّة ... فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله تعالى ...

الثَّانية وَالأَرْبَعُوْن : اعتبروا عقيدة الأشاعرة التي هي عقيدة الأُمَّة نوعاً من أنواع التَّلفيق ، وأنَّها جامعة للمتناقضات ...

فقال المدعو : عمر بن محمود أبو عمر : " ومذهب الأشعريَّة هو مذهب المعتزلة ، ولكنَّه متطوِّر بغرابة غير معقولة ولا مفهومة ، وهذا ديدن الأشاعرة في تلفيق مذهبهم ، وتوفيقهم بين المتناقضات بما لا يتَّفق " (٣) .

وفي طبقات الحنابلة – وهو من كتبهم المعتبرة عندهم – جاء الحكم بضلال الأشاعرة ومن وافقهم في تأويل الألفاظ المضافة إلى الله تعالى ، فقال القاضي أبو يعلى :

" ... فماذا عسى أن نقول فِي جسارة المعتزلة والأشاعرة وبقيَّة المتكلِّمين الضَّالين فِي تأويل صفات الرَّحمن عزَّ وجلَّ الَّتِي نطق بها القرآن ونقلها الأئمَّة الأثبات والعلماء الثِّقات " (٤) .

الثَّالِثَةُ وَالأَرْبَعُوْن : قال إمامهم أبو عبد الله الحسن بن العباس الرُّستمي :

الأشعريَّة ضُلَّال زنادقـــــــــــةٌ   إخوان من عبد العزَّى مـع اللاّت

بربِّهم كفروا جهراً وقولـــــــــــــهمُ   إذا تدبَّرته من أسوى المقـــالات

ينفون ما أثبتوا عوداً لبدئهـــــــــــم   عقائدُ القـوم من أوهى المحالات (١)

---

(١) انظر : هامش لوامع الأنوار البهية ، بقلم : سليمان بن سحمان ، (١/ ٧٣) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م .

(٢) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٦٧٦) .

(٣) انظر : ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ، عمر بن محمَّد أبو عمرو ، (ص٤) .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨).

الرَّابِعَةُ وَالأرْبَعُوْن : تطاول المدعو : عبد الله بن محمَّد الدّويش على الأستاذ الشَّهيد : " سيِّد قطب " ، في كتاب سمَّاه : " المورد الزلال في التَّنبيه على أخطاء الظِّلال " ، زعم فيه أنَّ الأستاذ سيِّد قطب – رحمه الله – حاد في الظِّلال عن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ، واتبع أقوال أهل البدع من الجهميَّة ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم ، ...

الخَامِسَةُ وَالأرْبَعُوْن : قال ابن تيمية : " ثمَّ أَقْرَبُ هَؤُلَاءِ " الْجَهْمِيَّة " الْأَشْعَرِيَّةُ يَقُولُونَ : إنَّ لَهُ صِفَاتٍ سَبْعاً : الْحَيَاةَ ، وَالعِلْمَ ، وَالْقُدْرَةَ ، وَالْإِرَادَةَ ، وَالْكَلَامَ ، وَالسَّمْعَ ، وَالْبَصَرَ . وَيَنْفُونَ مَا عَدَاهَا وَفِيهِمْ مَنْ يَضُمُّ إلَى ذَلِكَ " الْيَدَ " فَقَطْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَوَقَّفُ فِي نَفْيِ مَا سِوَاهَا وَغُلَاتُهُمْ يَقْطَعُونَ بِنَفْيِ مَا سِوَاهَا . وأَمَّا " الْمُعْتَزِلَةُ " فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ مُطْلَقاً وَيُثْبِتُونَ أَحْكَامَهَا ، وَهِيَ تَرْجِعُ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ إلَى أَنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ . وأَمَّا كَوْنُهُ مُرِيداً مُتَكَلِّماً فَعِنْدَهُمْ أَنَّهَا صِفَاتٌ حَادِثَةٌ أَوْ إضَافِيَّةٌ أَوْ عَدَمِيَّةٌ . وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاس إلَى " الصَّابِئِينَ الْفَلَاسِفَةِ " مِنْ الرُّومِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ حَيْثُ زَعَمُوا : أَنَّ الصِّفَاتِ كُلَّهَا تَرْجِعُ إلَى سَلْبٍ أَوْ إضَافَةٍ ؛ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْ سَلْبٍ وَإِضَافَةٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ ضُلَّالٌ مُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ . وَمَنْ رَزَقَهُ الله مَعْرِفَةَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَصَراً نَافِذاً وَعَرَفَ حَقِيقَةَ مَأْخَذِ هَؤُلَاءِ عَلِمَ قَطْعاً أَنَّهم يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ ، وأَنَّهم كَذَّبُوا بِالرُّسُلِ وَبِالْكِتَابِ وَبِمَا أُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ ؛ وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ : إنَّ الْبِدَعَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ الْكُفْرِ وَآيِلَةٌ إلَيْهِ وَيَقُولُونَ : إنَّ الْمُعْتَزِلَةَ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ؛ وَالْأَشْعَرِيَّةُ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ الْجَهْمِيَّة الذُّكُورُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ الْجَهْمِيَّة الْإِنَاثُ . وَمُرَادُهُمْ الْأَشْعَرِيَّةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ وأَمَّا مَنْ قَالَ مِنْهُمْ بِكِتَابِ " الْإِبَانَةِ " الَّذِي صَنَّفَهُ الْأَشْعَرِيُّ فِي آخِرِ عُمْرِهِ وَلَمْ يُظْهِرْ مَقَالَةً تُنَاقِضُ ذَلِكَ ، فَهَذَا يُعَدُّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة ؛ لَكِنَّ مُجَرَّدَ الِانْتِسَابِ إلَى الْأَشْعَرِيِّ بِدْعَةٌ " (٢) .

وقول ابن تيمية بأنَّ الأشاعرة لا يثبتون لله تعالى إلَّا سبع صفات ، هي : الْحَيَاةَ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْقُدْرَةَ ، وَالْإِرَادَةَ ، وَالْكَلَامَ ، وَالسَّمْعَ ، وَالْبَصَرَ . وأنَّهم يَنْفُونَ مَا عَدَاهَا ... مجانب للصَّواب ، فالأشاعرة يضيفون إلى الله تعالى كلّ ما فيه مدح وكمال ، وكمالاته تعالى لا تنتهي ... وسأكتفي هنا بنقل ما يناقض كلام ابن تيمية عن علمين جبلين من أعلام الأشاعرة ... قال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) : " الظَّاهريُّون من المتكلِّمين زعموا أنَّه لا

---

(١) انظر : ذيول الحفاظ ، تعليق الكوثري (ص٢٦٣) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٨-٣٥٩) .

صفة لله تعالى وراء هذه الصِّفات السَّبع أو الثَّماني . وأثبت أبو الحسن الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اليد صفة وراء القدرة ، والوجه صفة وراء الوجود ، وأثبت الاستواء صفة أخرى . وأثبت أبو إسحاق الإسفرائيني صفة توجب الاستغناء عن المكان ، وأثبت القاضي صفات ثلاثة أُخرى ، وهي إدراك الشمِّ والذَّوق واللمس !!! وأثبت عبد الله بن سعيد القِدَم صفة وراء البقاء ... " [1] .

وقال الإمام مسعود بن عمر التَّفتازاني (٧٩٣هـ) : " زعم بعض الظَّاهريَّة أنَّه لا صفة لله تعالى وراء السبعة المذكورة ؛ لوجهين : أنَّه لا دليل عليه ، وكلُّ ما لا دليل عليه يجب نفيه ، ورُدَّ بمنع المقدِّمتين ... " [2]. فماذا يقول أتباع ابن تيمية الذين ما زالوا يردِّدون أقوال ابن تيمية ولا يحيدون عمَّا قاله قيْد أُنملة ...؟!!!

وقال الشَّيْخ محمَّد بن صالح العثيمين في شرح العقيدة الواسطيَّة : " فالأشاعرة مثلاً والماتريديَّة لا يُعتبرون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب !!! لأنَّهم مخالفون لما كان عليه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها !!! ولهذا يخطئ من يقول : إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة : سلفيُّون ، وأشعريُّون ، وماتريديُّون ، فهذا خطأ ، نقول : كيف يكون الجميع أهل سنَّة وهم مختلفون ؟!، وماذا بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال ، وكيف يكونون أهل سنَّة وكل واحد منهم يرد على الآخر ؟! هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين " [3] .

السَّادِسَةُ وَالأرْبَعُوْن : قال ابن تيمية : " فَالْمُعْتَزِلَةُ فِي الصِّفَاتِ مَخَانِيثُ الْجَهْمِيَّة !!! وأمَّا الْكُلَّابِيَة فِي الصِّفَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْأَشْعَرِيَّةُ ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو إسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ : الْأَشْعَرِيَّةُ الْإِنَاثُ هُمْ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ !!! وَمِنْ النَّاس مَنْ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ؛ لأنَّه لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جَهْماً سَبَقَهُمْ إلَى هَذَا الْأَصْلِ ، أَوْ لأنَّهم مَخَانِيثُهُمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ " [4] .

وقال ابن تيمية : " ... وَأَنْتُمْ شُرَكَاؤُهُمْ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ كُلِّهَا ، وَمِنْهُمْ أَخَذْتُمُوهَا ، وَأَنْتُمْ فُرُوخُهُمْ فِيهَا ، كَمَا يُقَالُ : الْأَشْعَرِيَّةُ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْمُعْتَزِلَةُ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ، لَكِنْ لَمَّا شَاعَ بَيْنَ الْأُمَّةِ فَسَادُ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ ،

---

[1] انظر : محصل أفكار المتكلِّمين (ص٢٧٠) .

[2] انظر : شرح المقاصد (٤/ ١٦٥) .

[3] انظر : شرح العقيدة الواسطية ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١/ ٥٣) .

[4] انظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٧) .

وَنَفَرَتْ الْقُلُوبُ عَنْهُمْ ، صِرْتُمْ تُظْهِرُونَ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مَعَ مُقَارَبَتِكُمْ أَوْ مُوَافَقَتِكُمْ لَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ " (١) .

فابن تيمية يصف الأشاعرة بأنَّهم مخانيث ، والمخنَّث يصفه ابن تيمية بأنَّه ملعون على لسان المصطفى ، فقد قال في كتابه الاستقامة :

" الْوَجْه الْخَامِس : تَشْبِيه الرِّجَال بِالنِّسَاء ، فَإِنَّ المغاني كَانَ السَّلف يسمُّونهم مخانيث ، لِأَنَّ الْغناء من عمل النِّسَاء ، وَلم يكن على عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغني فِي الأعراس إِلَّا النِّسَاء ، كالإماء والجواري الحديثات السن ، فَإِذا تشبَّه بهم الرجل كَانَ مخنَّثاً ، وَقد لعن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخنَّثين من الرِّجَال والمترجِّلات من النِّسَاء ، وَهَكَذَا فِيمَن يحْضرُون فِي السَّماع من المردان الَّذين يسمُّونهم الشُّهُود ، فيهم من التخنُّث بِقدر مَا تشبَّهوا بِالنسَاء ، وَعَلَيْهِم من اللَّعْنَة بِقدر ذَلِك ، وَقد ثَبت عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أَمر بِنَفْي المخنثين ، وَقَالَ : " أخرجوهم من بُيُوتكُمْ " (٢) .

السَّابِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : وقال أبو إسماعيل عبد الله بن محمَّد الأنصاري :

وخُبث مقال الأشعري تخنُّث	يضاهي تلويه تلوي الشغازب
يزين هذا الأشعري مقاله	ويقشبه بالسمِّ ياشر قاشب
فينفي تفاصيلاً ويثبت جملة	كناقصه من بعد شدِّ الذوائب
يؤوِّل آيات الصِّفـــــات برأيــــه	فجرأته في الدِّين جرأة خــــارب (٣)

وعلى كلِّ حال فإنَّ الأشاعرة عند ابن تيمية وشيعته ليسوا من أهل السُّنَّة ، وإنَّما هم أهل كلام ، عدادهم في أهل البدعة ...

قال الإمام أبو نصر السِّجزي (٤٤٤هـ) في كتابه : " الرَّدُّ على من أنكر الصَّوت والحرف "

قال (ص١٠٠-١٠١) : "... الفصل الثَّاني : في بيان السُّنَّة ما هي ؟ وبم يصير المرء من أهلها ؟... فكلُّ مدَّع للسُّنَّة يجب أن يطالب بالنَّقل الصَّحيح بما يقوله ، فإن أتى بذلك عُلِم صدقه ، وقبلَ قوله ، وإن لم يتمكَّن من نقل

---

(١) انظر : الفتاوى الكبرى (٦/ ٦٤٣) ، دار الكتب العلمية .

(٢) انظر : الاستقامة ، ابن تيمية (١/ ٣٢٠) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي (٦/ ١٤٤) .

ما يقوله عن السَّلف ، علم أنَّه محدث زائغ ، وأنَّه لا يستحق أن يصغا إليه أو يناظر في قوله ، وخصومنا !!! المتكلِّمون معلوم منهم أجمع اجتناب النَّقل والقول به ، بل تمحينهم لأهله ظاهر ، ونفورهم عنهم بيِّن ، وكتبهم عارية عن إسناد ، بل يقولون : قال الأشعري ، وقال ابن كُلَّاب ، وقال القلانسي ، وقال الجبائي ... " (١) .

وقال أيضاً : " ثمَّ بُلِيَ أهل السُّنَّة بعد هؤلاء ؛ - أي المعتزلة - بقوم يدَّعون أنَّهم من أهل الاتّباع ، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم ، وهم أبو محمَّد بن كُلَّاب ، وأبو العباس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري ... فهؤلاء يردُّون على المعتزلة بعض أقاويلهم ويردُّون على أهل الأثر أكثر ممَّا ردُّوه على المعتزلة " (٢) .

وروى ابن عبدالبرّ عن ابن خويز منداد المصري المالكي : أنَّه قال في كتاب الشَّهادات من كتابه " الخلاف " ، في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء ، قال : " أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكلُّ متكلِّم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريَّاً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً !!! ويهجر ويؤدَّب على بدعته " (٣) .

وما قاله ابن عبد البرّ من رواية ابن خويز منداد عن مالك لا يصحُّ ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني في ترجمته لابن خويز منداد : " وعنده شواذ عن مالك ، واختيارات وتأويلات لم يعرِّج عليها حذَّاق المذهب ، كقوله : إنَّ العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار ، وأنَّ خبر الواحد مفيد العلم ، وأنَّه لا يعتق على الرجل سوى الآباء والأبناء ، وقد تكلَّم فيه بن الوليد الباجي ، ولم يكن بالجيِّد النَّظر ، ولا بالقويِّ في الفقه ، وكان يزعم أنَّ مذهب مالك أنَّه لا يشهد جنازة متكلِّم ، ولا يجوز شهادتهم ولا مناكحتهم ولا أمانتهم ، وطعن ابن عبد البر فيه أيضاً ... " (٤) .

الثَّامِنَةُ وَالأَرْبَعُوْن : وأصدر المدعو عبد الرَّحمن بن ناصر البرَّاك ، فتوى بعنوان : هل يوصف الأشاعرة بالسُّنَّة ؟ جواباً على سؤال : هل يُوصف الأشاعرة بأنَّهم من أهل السُّنَّة والجماعة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة

---

(١) انظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٤٦) .

(٢) انظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص٣٤٣-٣٤٥) .

(٣) انظر : جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢) .

(٤) انظر : لسان الميزان (٥/ ٢٩١) .

والجماعة ، وليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة فيما خالفوهم فيه ، أي : لا ينفى عنهم مطلق الوصف ولا يُعطون الوصف المطلق ، وكذا غيرها من الجماعات المخالفة للسُّنَّة ؟

الجواب : الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وبعد :

أهلُ السُّنَّة والجماعة هم الذين اقتفوا طريق السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتابعين وساروا على نهجهم في جميع أصول الإيمان ، فيؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ويؤمنون بالقدر خيره وشرِّه ، ويؤمنون بكلِّ ما يدخل في هذه الأصول ممَّا جاء في الكتاب والسُّنَّة ، فمن استقام على هذا المنهج فهو من أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يخرجه من دائرة أهل السُّنَّة والجماعة أن يخطئ في بعض المسائل ، ومن خالف أهل السُّنَّة في بعض هذه الأصول فليس هو من أهل السُّنَّة والجماعة ، ولو وافق في بعض الأصول ، فلا يقال له من أجل ذلك أنَّه من أهل السُّنَّة في كذا ، بل يقال أنَّه يوافق أهل السُّنَّة ، فإنَّ الموافقة في بعض الأمور لا تصيِّر الرجل من الطائفة التي وافقها في بعض معتقداتها ،ولو صح هذا لأمكن أن يقال : إنَّ المعتزلة من أهل السُّنَّة في إقرارهم بخلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي الله عنهم ، ومن أهل السُّنَّة لقولهم بأنَّ الإيمان قول وعمل ، وهذا غلط ظاهر ، ولم يقل بهذا أحد من أهل العلم ، لكن الأشاعرة هم أقرب إلى أهل السُّنَّة من المعتزلة ، وهم ينتسبون إلى السُّنَّة في مقابل المعتزلة ، وكيف يكونون من أهل السُّنَّة وهم يخالفونهم في باب صفات الله ، وفي رؤية الله ، وفي كلام الله ، وفي الإيمان ، وفي أفعال العباد ، وفي الحكمة والأسباب ، فلا يصحُّ أن يقال : أنَّهم من أهل السُّنَّة في كذا وليسوا من أهل السُّنَّة في كذا ، لكن يقال : أنَّهم يوافقون أهل السُّنَّة ، وهذا الكلام أكثر ما ينطبق على متأخِّري الأشاعرة ، خصوصاً المعاصرين ، فإنَّهم أبعد عن مذهب أهل السُّنَّة من أكثر المتقدِّمين ، كيف وبعض هؤلاء يتصدَّى لخصومة أهل السُّنَّة ، والتَّشنيع عليهم ، وتلقيبهم بالمجسِّمة والمشبِّهة ، كما صنع بعض أسلافهم ، ومع هذا فلا ينكر ما لبعض العلماء المعدودين من الأشاعرة من آثار حميدة في الدِّين علماً وعملاً ، فرحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً وعفا عنا وعنهم ، والله أعلم " [1] .

وأردفها بأخرى تحت عنوان : " كثرة الأشاعرة هل تدلُّ على أنَّهم على الحقِّ " ؟

السُّؤال : المشايخ الأفاضل : نعلم كلُّنا أنَّ من رحمة الله عزَّ وجلَّ بأُمَّة نبيِّه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه لم يقبض النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد ترك الأُمَّة على المحجَّة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وتكفَّل ربُّ العزَّة

---

(1) رقم الفتوى ١٦٠٩٠/ تاريخ الفتوى ٤/ ٧/ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦-٠٧-٣٠ .

بحفظ هذا الدِّين إلى أن يشاء الله ، فإذا تأمَّلنا هذا الكلام ورجعنا إلى التاريخ الإسلامي ، نجد أنَّ السَّواد الأعظم من أهل الإسلام على البيِّنة في أيِّ عصر يعيشه الإسلام منذ الخلافة الراشدة ، ومروراً بكلِّ الدول الإسلاميَّة ، وحتى يومنا هذا ، هذا التَّفكير على الرغم من عقلانيَّته ومنطقيَّته إلا أنَّه غير مريح ، لأننا إن طبَّقناه على أنفسنا وعقيدتنا فسنجد أن مذهب الأشاعرة هو الذي ساد في أهل السُّنَّة طوال هذه السِّنين ، ولم يعرف في عامَّة أهل السُّنَّة شيوع ما نقول عنه أنَّه اعتقاد السَّلف ، فإن كان ما نراه هو اعتقاد الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، والسَّلف، فلِمَ لَم يظهره الله عزَّ وجلَّ ، وأظهر غيره عليه ؟

الجواب : الحمد لله ، وبعد :

لقد بعث الله نبيَّنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ، وقد تحقَّق هذا كما وعد سبحانه وتعالى ، فلم يزل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً ، سرَّاً وجهراً بقوله وفعله حتى دخل النَّاس في دين الله أفواجاً ، فما مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أكمل الله له ولأُمَّته دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمته ، كما جاء في الآية الكريمة التي نزلت على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو واقف بعرفة ، وقد ترك أُمَّته على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها ، يعني : أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بيَّن هذا الدِّين أكمل بيان ، فبلَّغ رسالات ربِّه كما أمره الله بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة : ٦٧] . وأمر صحابته ، رضي الله عنهم ، أن يبلِّغوا فقال في خطبته في حجَّة الوداع : " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ " .

وقال : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً " . فقام أصحابه ، رضوان الله عليهم ، بالبلاغ والدَّعوة ، والجهاد أسوة بنبيِّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وانتشر الإسلام بالمعمورة شرقاً وغرباً .

وقد أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يطرأ على هذه الأُمَّة افتراق واختلاف ، وبيَّن أنَّ الفرقة النَّاجية هم من كانوا على مثل ما كان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، رضي الله عنهم ، كما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الإسلام " بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصَّلاة والسَّلام ، وبدأ الافتراق في الأُمَّة منذ أن ظهرت الخوارج والرَّافضة ، والمرجئة والقدريَّة ، ثمَّ تفرَّعت الفرق ، وتعدَّدت ، وظهرت بدعة التَّعطيل التي يعرف أهلها بمؤسسها الجهم بن صفوان ، وهم الجهميَّة ، وتفرَّع عن بدعة التَّعطيل ، فرق شتَّى اضطربت

مذاهبهم في صفات الله ، وفي كلامه ، وفي القدر ، فغلبت على الأُمَّة هذه المذاهب ، ولكن الله قد ضمن حفظ كتابه ودينه ، فلم يزل في هذه الأُمَّة من يقيم لها أمر دينها بالبيان ، كما جاء في الحديث المشهور : " يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْه انْتِحالَ الْمُبْطِلِينَ ، وتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ ، وتَحْرِيفَ الغَالِينَ " . وفي الحديث الآخر : " إنَّ اللهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لهذه الأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا " . ومع هذا الافتراق ، وهذا الاختلاف لا بدَّ من ردِّ ما اختلف فيه النَّاس إلى كتاب الله، وسنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، واعتبار ذلك بما كان عليه الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وأنَّهم كانوا على الهدى المستقيم ، وقد وعد الله بالرِّضا والجنَّة السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتَّبعوهم بإحسان ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، والحق إنَّما يعرف بدلالة كتاب الله ، وسنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، لا يعرف الحقّ بالكثرة ، فإنَّ الله تعالى أبطل ذلك ، حيث بيَّن أنَّ الكثرة لا يعوَّل عليها ، كما قال تعالى :﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[الأنعام: ١١٦] .

والسُّنَّة ما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودلَّت عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة ، والأشاعرة فرقة من الفرق الإسلاميَّة ، وهم وإن كانوا ينتسبون إلى السُّنَّة ، فليس مذهبهم موافقاً لما كان عليه الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وما دلَّ عليه القرآن والحديث ، فمذهب الأشاعرة يتضمَّن أموراً مخالفة كنفي كثير من الصِّفات حيث لا يثبتون إلا سبعاً من الصِّفات ، ويقولون : إنَّ الإيمان هو مجرَّد التَّصديق . ويُخرجون الأعمال عن مسمَّى الإيمان ، وهذا مذهب المرجئة ، ومن أصول مذهبهم نفي تأثير الأسباب في مسبَّباتها ، ومن ذلك نفي تأثير قدرة العبد في أفعاله ، ومن ذلك قولهم بأنَّ كلام الله معنى نفسي لا يسمع من الله ؛ لأنَّه ليس بحرف ، ولا صوت ، وأنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله ليس هو كلام الله حقيقة ؛ فموسى لم يسمع كلام الله من الله ، بل إنَّ الذي سمعه كلامٌ خلقه الله في الشَّجرة وهو عبارة عن المعنى النَّفسي ، وهذا من أعظم التنقُّص لله

، حيث يتضمَّن هذا القول تشبيه الله بالأخرس ، ولا يزكِّي هذه الأقوال إن قال بها بعض الأكابر والفضلاء من أهل العلم فإنَّهم غير معصومين ، وما قالوه من هذه الأقوال المخالفة لمذهب السَّلف الصَّالح هو ممَّا يُعدُّ من أخطائهم التي لا يتابعون عليها ، وهم في ذلك مجتهدون ومأجورون ، والواجب على المسلم أن يحكِّم كتاب الله وسنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، وألَّا يتعصَّب لإمام ، أو مذهب ، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويردّ ، إلَّا الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1) .

التَّاسِعَةُ وَالأَرْبَعُوْن : وهذا أحد غلمان الوهَّابيَّة ويُدعى خالد بن علي المرضي الغامدي يكتب كتاباً بعنوان : " تكفير الأشاعرة " ، قال فيه : " الحمد لله وحده والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه وعبده وآله وصحبه .

وبعد :

فهذا كتاب في تكفير الأشاعرة الجهميَّة وبيان قول أهل العلم فيهم وتحقيق إجماع السَّلف على كفرهم والرَّدّ على من زعم خلاف ذلك ، كما وفيه بيان أنَ من أنكر صفات الله العقليَّة التي لا تقوم ربوبيته ولا تصح ألوهيَّته إلَّا بها كالعلم والقدرة والعلو والكلام والسَّمع والبصر ونحوها كافر لا يعذر بجهل أو تأويل ، وعليه فمن علم منه عبادة غير الله كدعاء الأموات والحكم بغير ما أنزل الله أو إنكار ربوبيَّة الله أو صفاته التي لا يكون الله تعالى ربَّاً إلَّا بها والتي هي من لوازم ألوهيَّته وربوبيَّته فإنَّه يحكم بكفره ولا يعذر بجهله وتأوله ومن مات على هذه العقيدة فهو مشرك لا يترحَّم عليه .

هذا وإنِّي كنت سابقاً لا أقول بتكفير الأشاعرة والماتريديَّة كما في كتابي " نقض عقائد الأشاعرة " تبعاً لما رأيته من الكلام المنسوب للإمام ابن تيمية رحمه الله ، وكنت أقول قديماً : أنَّ العذر بالجهل والتَّأويل في الشِّرك وإنكار الصِّفات خالف فيه بعض أهل السُّنَّة ، وكنت أخطئهم وذلك على أنَّ المسألة خلافيَّة وليس الأمر كذلك ، فلمَّا تأمَّلت في الأدلَّة وكلام السَّلف رجعت من هذا القول وتبرَّأت منه ولا أحل أحداً أن ينقله عني أو ينسبه لي ، ولي في ذلك أسوة وهو الإمام أحمد حين قال عن الجهميَّة : " كنت لا أكفِّرهم حتى قرأت آيات من القرآن ". (طبقات الحنابلة 2/ 553) .

وأدعو من يخالف في المسألة إلى التبصُّر في الأدلَّة والاقتداء بمنهج السَّلف في تكفيرهم وعد إعذارهم ، قال البخاري : " وإنِّي لأستجهل من لا يكفر الجهميَّة إلا من لا يعرف كفرهم " ، وقال أحمد : " الجهميَّة كفَّار " ،

---

(1) رقم الفتوى 16553 تاريخ الفتوى 13/ 9/ 1427 هـ — 2006-10-

وقال البربهاري: " الجهمي كافر ليس من أهل القبلة " ، وقال الدَّارمي: " وأي فرق بين الجهميَّة وبين المشركين حتى نجبن عن قتلهم وإكفارهم " .

فالحقُّ الذي لا مِرية فيه أنَّ الأشاعرة جهميَّة والجهميَّة كفَّار غير مسلمين ، وأنَّ المشرك الجاهل بالتَّوحيد منكر صفات الرُّبوبيَّة والألوهيَّة لا يسمَّى مسلماً ولو كان جاهلاً او متأوِّلاً ، وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل السُّنَّة ، ومن خالف في هذه المسألة فلا اعتبار بخلافه لأنَّه يعد ناقضا للإجماع ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وقد سبق وأن كتبت رسالة قريبة في موضعها من هذا الكتاب بعنوان : " القول المأمون بتحقّق ردَّة المأمون " حقَّقت فيه تكفير السَّلف للمأمون ، وفي هذا الكتاب مزيد بحث وتحقيق .

كما ألحقت بهذا الكتاب جزء حديثي في إثبات أنَّ صوت الرَّحمن !!! كأنَّه سلسة على صفوان ، وفيه الرَّدّ على الجهميَّة المعاصرة في تحريفهم وتؤلهم له . (كتبه / أبو علي المرضي ١١/ ١٠/ ١٤٣٦هـ) .

التَّمهيد بوجوب تكفير الأشعريَّة !!!

اعلم أنَّ مدار الرِّسالة يقف على أمرين :

الأوَّل: أنَّ الأشاعرة وقعوا في مكفِّرات عديدة لم يختلف أحد من أهل السُّنَّة في تكفير فاعلها وقائلها ومعتقدها ، وسنأتي بها على وجه التَّفصيل مع كلام أهل العلم .

الثَّاني : وجوب تكفير من كفَّره الله من الواقعين في فعل ينقض إيمانهم ، ومنهم الجهميَّة وأتباعهم الأشاعرة الذين أجمع السَّلف على وجوب تكفيرهم بأعيانهم وكفَّروا من لم يكفّرهم !!!

وإليك بعض كلامهم في وجوب التَّكفير :

قال الإمام البربهاري في من وقع في نواقض الإسلام كإنكار علو الله : " وإذا فعل شيئاً من ذلك وجب عليك أن تخرجه من الإسلام " (شرح السنة ٧٣) .

وقال أبو داود للإمام أحمد : من قال القرآن مخلوق أهو كافر ، قال : أقول هو كافر .

وقال جماعة من العلمـــاء : لا تصح إمامة من لا يكفر الجهميَّة والقبوريَّة أو يشكّ في تكفيرهم (الدرر ١٠/ ٤٣٦) .

وقال الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب : لو ذهبنا نعدِّد من كفره العلماء مع ادِّعائه الإسلام وأفتوا بردَّته وقتله لطال الكلام... وهل قال واحد من العلماء في هذه المكفِّرات وأسباب الرِّدَّة إنَّ هؤلاء يكفر أنواعهم ولا يكفر أعيانهم (الدرر ١٠/ ٦٣) .

وقال عبدالله بابطين : وما سألت عنه من حكم تعيين إنسان بعينه بالكفر إذا ارتكب شيئاً من المكفِّرات ؟ فإنَّ من ارتكب شيئاً من هذا النَّوع فهذا لا شكَّ في كفره ولا بأس بمن تحقَّقت منه أشياء من ذلك أن تقول كفر فلان بهذا الفعل (الرسائل ١/ ٦٥٧) . وقال : ويقال لمن قال من أتى بالشَّهادتين لا يتصوَّر كفره فما معنى الباب الذي يذكره الفقهاء حكم المرتد (الدرر ١٠/ ٢٥٠) .

وقال عبد اللطيف : وأهل العلم لا يختلفون في أنَّ من صدر منه قول أو فعل يقتضي كفره أنَّه يحكم عليه وإن كان ممَّن يقر بالشَّهادتين (مجموعة الرسائل ٣/ ٢٢٥) .

وأمَّا كلام أهل العلم في كفر الممتنع عن تكفير من وقع في الكفر والرِّدَّة فدونك إيَّاه :

قال الإمام ابن بطَّة في الجهمي : من قال كلام الله مخلوق فهو كافر حلال الدَّم ومن شكَّ في كفره ووقف في تكفيره فهو كافر . (الإبانة ١٢٩) .

قال الإمام الملطي (ت٣٧٧هـ) في الشَّاك في كفر الكافر : وجميع أهل القبلة لا اختلاف بينهم : أنَّ من شكَّ في كافر فهو كافر ، لأنَّ الشَّاك في الكفر لا إيمان له ، لأنَّه لا يعرف كفرا من إيمان (التَّنبيه والرَّد على أهل الأهواء والبدع . (ص:٥٤) .

ويقول بعض أئمَّة الدَّعوة : فمن لم يكفر المشركين ... فهو كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويحب الإسلام فإنَّ الذي لا يكفر المشركين غير مصدِّق بالقرآن (الدرر ٩/ ٢٩١) .

قال الشَّيخ سليمان بن عبد الله: من كان شاكّاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلَّة من كتاب الله وسنَّة رسوله على كفرهم ، فإن شكَّ بعد ذلك أو تردد فإنه كافر بإجماع العلماء على أنَّ من شك في كفر الكافر فهو كافر (الدرر ٨/ ١٦٠) .

وبعد هذا الكلام ستعلم الفائدة من دعوتنا !!! لتكفير الأشاعرة وأهميّته ، وأنَّه من الدِّين والكفر بالطَّاغوت ، وتارك التَّكفير بالكليَّة امتناعاً يكفر !!! لأنَّ الامتناع عن تكفير المشركين يُعدُّ أحد نواقض الإسلام ، والسَّلف كفَّروا الجهميَّة وأصحاب عقيدة نفاة صفات الكمال والعلو ، وكفَّروا من لم يكفِّر أصحابها ، فتنبَّه فإني

لك ناصح !!! والأمر جد خطير ، كما أنَّ في تكفير العلماء للواقع في الكفر تحذيراً للمرتدين لعلهم يرجعون، وقد بيَّنت هذه المسألة في شرح نواقض الإسلام .

تنبيه : سينكر علينا بعض الجهَّال بحقيقة الدِّين ومناطات التكفير من الذين اتبعوا الهوى فأسلموا عقولهم للتَّقليد وتقديس الرِّجال وتقديم أقوالهم على الأدلَّة تكفيرنا للأشاعرة، وسيظنون أنَّه اجتهاد منا، مع أنَّ السَّلف لم يخالف منهم أحد في تكفير منكر العلو بعينه والذي تتبجح به الأشاعرة، ومن زعم وجود خلاف فليأت بنقل واحد من كلام السَّلف يخالف ما قرَّرناه .

وإذا كان السُّيوطي الذي جمع بين التجهُّم ونفي علو الله تعالى وبين الاستغاثة بالنَّبي ودعاء الأموات ونسبة التصرُّف في الكون للأبدال والأولياء أنكروا علينا تكفيره !!! فلا تعجب يا أخا التَّوحيد أن ينكروا علينا تكفير الأشعريَّة فلقد أنكروا علينا قبله تكفير الرَّافضة .

وإنَّ من هؤلاء المنكرين عبد العزيز آل عبد اللطيف ، وإنِّي لأعجب منه ومن أمثاله الذين اتَّخذوا التَّوحيد والدَّعوة الوهَّابيَّة ستاراً وشعاراً ، فتراهم يقرؤون في كتب التَّوحيد لكن دون فهمها والاستفادة منها ، وعلمهم بها لا يتعدَّى حدود أسطر وصفحات الكتب دون الخروج به عملاً في واقع حياتهم، فشروط التَّوحيد والكفر بالطَّاغوت ونواقض الإسلام قد يحفظونها لكن لا يعملون بمعانيها ومقتضاها ولا يطبِّقونها في واقع حياتهم خوفاَ من أن تصيبهم دائرة وطلباً للعزَّة والشُّهرة والمال والمنصب والشَّرف عند أعداء الله ، فهذا الرَّجل أعني ابن عبد اللطيف أخرج كتاباً عن دعاوى المناوئين لدعوة التَّوحيد لكن هو من المناوئين لها في الحقيقة ، وكأنَّه لا يعلم أنَّ من دعا إلى الشرك أنَّه يكفر كائناً من كان ، وسأنقل له عن أحد أهل العلم نصا في تكفيرهم لأنَّ هذا المسكين لا يفهم إلَّا بقال فلان وقال فلان فننقل له ولأمثاله المتعصِّبين للرِّجال لعلهم يفهمون نقلاً عن الشَّيخ سليمان بن سحمان في تكفير السُّبكي !!! والرَّملي شارح المنهاج !!! قال : فهذا الرَّجل الشِّهاب الرَّملي إن كان من المعروفين بالعلم لأني لا أعرف حاله فهو من جنس السُّبكي وأضرابه الغالين الذين يصنفون في إباحة الشِّرك زاعمين أنَّ ذلك من تعظيم الرَّسول ثم لو كان الرَّملي من أهل العلم ... هذا يوجب كفره وارتداده . (الصواعق المرسلة ٢٦٠) .

فهذا الرَّجل وأشباهه يأبى إلَّا أن ينبري للدِّفاع عن السُّيوطي والسُّبكي ، على نهج إخوانه من السّروريَّة المدافعين عن طوائف المشركين من القبوريين والرَّوافض ومن الحكَّام المشرعين الكفرة من العلمانيِّين والإخوان

المارقين الدّمقراطيين ، فتراهم يستميتون دفاعاً عن المشركين ويلتمسون الأعذار القبيحة لهم ويتلطَّفون بهم ، بينما على الضِّد يستميتون حرباً على أهل التَّوحيد ويرمونهم بالغلو والخروج ، فصدق فيهم وصف التجهُّم الإرجائي مع التخنُّث ، ووالله إنَّهم هم في الحقيقة من يقتلون أهل الإسلام ويتركون الرَّافضة وغيرهم من أهل الأوثان فكانوا بهذا الوصف من الخوارج ، وهم العدو قاتلهم الله أنَّى يؤفكون .

وإذا كان السَّلف قالوا : إنَّ الأشاعرة مخانيث المعتزلة ، فنحن نقول : السّروريَّة والإخوان والجاميَّة المداخلة مخانيث الرَّافضة العلمانيَّة واللبراليَّة ، وهم مخانيث الصَّليبين ، وقد جمعت بفضل الله فيهم وفي رؤوسهم ومقالاتهم كتاباً يسَّر الله إخراجه قريباً ، وإن من الواجب على أهل الفضل والعلم التَّشهير بهؤلاء دون أن تأخذهم في الله لومة لائم ، وليفرح المؤمن بإغاظتهم وليغلظوا عليهم كما أغلظ سلفنا على أسلافهم من أهل الأهواء والبدع ، والحمد لله ربّ العالمين ...

وفي زماننا يصرِّح الأشاعرة بتكفيرنا مثل مفتي مصر علي جمعة وشيخ الأزهر صرح بكفر الحنابلة المجسِّمة !!! ومفتي سوريا البوطي وحسونه وتجدهم مع الرَّافضة في قتل المسلمين ، والحبشي والسقَّاف والقرضاوي وابن بيه وغيرهم من علماء الشِّرك من الصُّوفيَّة والأشاعرة .

قلت: ومن عرف عنه هذا القول كالنَّووي وابن حجر والهيتمي والقرطبي وغيرهم من الأشاعرة فلا يجوز أن يترحَّم عليه !!! إلَّا أن يثبت رجوعه ، بل يجب أن يحكم بكفره ونفي الإسلام عنه إن مات على هذه العقيدة الجهميَّة الكافرة !!! التي لم يختلف السَّلف على كُفر أصحابها .

قال الدَّارمي في الرَّد على الجهميَّة : (الرَّجل إذا لم يعلم أنَّ الله في السَّماء دون الأرض فليس بمؤمن ... ألا تعلم أنَّ رسول الله جعل إمارة إيمان الجارية معرفتها أنَّ الله في السَّماء)....هذا ما قاله الغلام الوهَّابي المدعو خالد بن علي المرضي الغامدي... ولن أرد هنا على ترَّهاته ... لأنَّ الرَّد سيكون زلزالاً في كتاب مستقل ... سأعرِّف القارئ الكريم بمبلغ علم هذا االُمتعالم ... فانتظروا ردَّنا عليه ...

ونختم هذا الفصل بما قاله الدُّكتور الشَّهيد محمَّد سعيد رمضان البوطي في تقريظه لكتاب : " أهل السُّنَّة الأشاعرة " ، قال : " وقد سألت واحداً من هؤلاء الذين يبدِّعون أتباع الإمام الأشعري ويسفِّهونهم ، ويلقون الكلام في ذلك على عواهنه : ما الذي تنقمه منهم ؟ وما البدعة التي ابتدعوها ففسَّقتهم بها ؟

وقال لي : تعطيلهم القرآن بالتَّأويل الذي ابتدعوه ، قلت له : ما من كلمة أوَّلوها إلَّا وفي أئمَّة السَّلف من أوَّلها ، إذ كان السَّبيل إلى فهمها اجتهاداً يتَّسع لأكثر من فهم واحد .

ألا تعلم أنَّ في السَّلف من أوَّلَ كلمة استوى في مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] ، ومن أوّل كلمة وجه في قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، وأوَّل الضَّحك في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ضحك ربُّكما الليلة من فعالكما " ، وأوّل الفراغ في قوله تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] .

وهل في هؤلاء الذين يعتزُّون بنسبتهم وحدهم إلى السَّلف من لم يؤوّل كلمة يحبُّهم في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ومن لم يؤوّل المعيَّة في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] ، ومن لم يؤوّل القُرب في قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] .

فلماذا تبرِّرون لأنفسكم هذا الذي لا تبرِّرونه لمن هم ليسوا أقلّ منكم علماً ، بل إنَّكم لتعلمون أنَّهم القدوة الصَّالحة لهذه الأمَّة ؟

لماذا يكون تأويل الأشاعرة لما بَرْهَنَ الدَّليل الاجتهادي على صحَّة تأويله تعطيلاً وابتداعاً ، ويكون تأويلكم لما قد لا نؤيِّدكم فيه سلفيَّة صافية ملتزمة لا تعطيل فيها ولا تأويل؟!

كنّا نقول بالأمس : قاتل الله الجهالة ، كم تحجب العقل عن الحقِّ ، ولكنَّا نقول اليوم : قاتل الله العصبيَّة العمياء كم تحجب العين المبصرة عن رؤية الشَّمس صافية متلألئة في كبد السَّماء ! " [١]

---

[١] انظر تقريظ البوطي لكتاب : أهل السنة الأشاعرة ، حمد السنان ، فوزي العنجري ، (ص١٣-١٤) ، دار الضياء ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلمُتَكَلِّمِيْن

المتكلِّمون هم علماء العقائد ، وهم علماء التَّوحيد وأُصول الدِّين ، وقد عرَّف العلماء علم الكلام بأنَّه " علمٌ يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينيَّة بإيراد الحجج ودفع الشُّبه " ، والمتكلِّمون هم الذين قاموا بالدِّفاع عن العقائد الاسلاميَّة من خلال العقل والشَّرع ... فمُهمَّة علماء الكلام هي الدِّفاع عن العقيدة : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] ، ومن الكلام ما هو مذموم ، ومنه ما هو ممدوح محمود ، قال الإمام ابن عساكر : " وَالْكَلَام المذموم : كَلَام أَصْحَاب الأهوية ـ وَمَا يزخرفه أَرْبَاب الْبدع المردية ، فَأَما الْكَلَام الْمُوَافق للْكتاب والسُّنَّة الموضح لحقائق الْأُصُول عِنْد ظُهُور الْفِتْنَة فَهُوَ مَحْمُود عِنْد الْعلمَاء وَمن يُعلمهُ وَقد كَانَ الشَّافِعِي يُحسنهُ ويفهمه وَقد تكلم مَعَ غير وَاحِد مِمَّن ابتدع وَأقَام الْحجَّة عَلَيْهِ حَتَّى انْقَطع " (١) .

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٣٩) .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أنَّ تعلُّم علم الكلام يعتبر من فُروض الكفايات ، قال الإمام النَّووي : " قَالَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ وَمَنْدُوبَةٌ وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ وَمُبَاحَةٌ ، فَمِنَ الْوَاجِبَةِ : نَظْمُ أدلة المتكلمين لِلرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ وَشِبْهُ ذَلِكَ " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار ابن سليم السُّبكي ، الخزرجي ، الأنصاري تقي الدِّين (٧٥٦هـ) : " ... لأنَّ أكثر العلوم التي نحن نتبع وندأب فيها الليل والنَّهار حاصلة عندهم- أي عند الصَّحابة- بأصل الخلقة من اللغة والنَّحو والتَّصريف وأصول الفقه ، وما عندهم من العقول الرَّاجحة ، وما أفاض الله عليها من نور النُّبوَّة العاصم من الخطأ في الفكر يغني عن المنطق وغيره من العلوم العقليَّة ، وما ألّف الله بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته إخواناً يغني عن الاستعداد في المناظرة والمجادلة ، فلم يكونوا يحتاجون في علمهم إلَّا إلى ما يسمعونه من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والسُّنَّة فيفهمونه أحسن فهم ويحملونه على أحسن محمل وينزلونه منزلته ، وليس بينهم من يماري فيه ولا يجادل ولا بدعة ولا ضلالة ، ثم التَّابعون على منوالهم قريباً منهم ثم أتباعهم وهم القرون الثَّلاثة التي شهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّها خير القرون بعده ، ثم نشأ بعدهم وربَّما في أثناء الثَّاني والثَّالث أصحاب بدع وضلالات ، فاحتاج العلماء من أهل السُّنَّة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضُّعفاء أمر دينهم ولا يدخلوا في الدين ما ليس منه ، ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيين وغيرهم من أهل الإلحاد شيء كثير ورتبوا عليها شبهاً كثيرة ، فإن تركناهم وما يصنعون استولوا على كثير من الضُّعفاء وعوام المسلمين والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم فأضلُّوهم وغيَّروا ما عندهم من الاعتقادات الصَّحيحة وانتشرت البدع والحوادث ولم يكن كلّ واحد يقاومهم وقد لا يفهم كلامهم لعدم اشتغاله به ، وإنَّما يرد على الكلام من يفهمه ومتى لم يرد عليه تعلو كلمته ويعتقد الجاهلون والأمراء والملوك المستولون على الرَّعيَّة صحَة كلام ذلك المبتدع كما اتفق في كثير من الأعصار وقصرت همم النَّاس عمَّا كان عليه المتقدِّمون ، فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظ الله به عقائد عباده الصالحين ويدفع به شبه الملحدين وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير وبه يحفظ أمر بقيَّة الناس وعبادات المتعبِّدين واشتغال الفقهاء والمحدِّثين والمفسِّرين والمقرئين وانقطاع الزَّاهدين :

---

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٥٤-١٥٥) .

لا يعرفُ الشَّوق إلَّا من يُكابدُه   ولا الصَّبابة إلَّا من يُعانيها (١)

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَالَّذِي صرح بِهِ أَئِمَّتنَا أَنَّه يجب على كلِّ أحد وجوباً عَيْنياً أَن يعرف صَحِيح الإعتقاد من فاسده ، وَلَا يشْتَرط فِيهِ علمه بقوانين أهل الْكَلَام لِأَنَّ الْمدَار على الإعتقاد الْجَازِم وَلَو بالتَّقليد على الْأَصَح . وأمَّا تَعْلِيم الْحجَج الكلاميَّة وَالْقِيَام بهَا للرَّدّ على الْمُخَالفين فَهُوَ فرض كِفَايَة ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِن وَقعت حَادِثَة وَتوقَّف دفع الْمُخَالف فِيهَا على تعلُّم مَا يتَعَلَّق بهَا من علم الْكَلَام أَو آلاته فَيجب عيناً على من تأَهَّل لذَلِك تعلُّمه للرَّدّ على الْمُخَالفين " (٢) .

وقال الإمام محمد بن محمد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى : " (ولم يكن شيء منه– أي علم الكلام – مألوفاً في العصر الأوَّل) عند الصَّحابة والتَّابعين (فكان الخوض فيه بالكليَّة من البدع) والمنكرات (ولكن تغيَّر الآن حكمه) باختلاف الأزمنة (إذ حدثت البدع) من المبتدعة (الصَّارفة عن مقتضى نصِّ القرءان والسُّنَّة) ومقتضى النَّص ما لا يدلُّ اللفظ عليه ولا يكون ملفوظاً لكن يكون من ضرورة اللفظ (ونبغت) أي ظهرت (جماعة لفَّقوا) أي جمعوا (لها) لتلك البدع (شبهاً) وإيرادات (ورتَّبوا فيها كلاماً مؤلَّفاً) يقرؤه النَّاس (فصار ذلك المحذور) أي الممنوع منه (بحكم الضَّرورة) والاحتياج (مأذوناً) بالتَكلُّم (فيه) تعلُّماً وتعليماً (بل صار) القدر المحتاج إليه (من فروض الكفايات) . وقال السُّبكي : ولا شكَّ أنَّ السُّكوت عنه ما لم تدع إليه الحاجة أولى والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة وحيث دعت إليه الحاجة فلا بأس به (وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدَّعوة) أي دعاء النَّاس (إلى البدعة) وحملهم عليها " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) : " ... كالتَّوغُّل فِي علم الْكَلَام بِحَيْثُ يتَمَكَّن من إِقَامَة الْأَدِلَّة وأزالة الشُّبَه ، فرض كفايه على جَمِيع الْمُكَلّفين الَّذين

(١) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١/ ١٧٧) .

(٢) انظر : الفتاوى الحديثية (ص١٤٧) .

(٣) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١/ ١٧٥) .

يُمكن كلاً مِنْهُمَا فعله ، فَكل مِنْهُم مُخَاطب لفعله ، لَكِن إِذا فعله الْبَعْض سقط الْحَرج عَن البَاقِينَ ، فَإِن امْتنع جَمِيعهم من فعله أَثم كلُّ من لَا عذر لَهُ مِمَّن علم ذَلِك وَأمكنهُ الْقيام بِهِ " (١) .

ومقصود علم الكلام هو حماية العقيدة على أصولها ، من خلال دفع الشُّبهات والأباطيل ، قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " وأمَّا الكلام فمقصوده : حماية المعتقدات التي نقلها أهل السُّنَّة من السَّلف الصَّالح لا غير " (٢) .

ونقل الإمام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) بسنده عن الإِمَام عَبْد اللهَّ بن يُوسُفَ الْجُوَيْنِيّ ، قال : " رَأَيْت إِبْرَاهِيم الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلام فِي المَنَام فَأَهْوَيْت لِأَن أقبِّل رجلَيْهِ ، فَمَنَعَنِي من ذَلِك تكرُّماً لي ، فاستدبرت فَقَبَّلت عَقِبَيْهِ ، فأوَّلت الرِّفْعَة وَالْبركَة تبقى فِي عَقبي ، ثمَّ قلت : يَا خَلِيل اللهَّ : مَا تَقول فِي علم الْكَلَام ، فَقَالَ : يدْفع بِهِ الشّبَه والأباطيل " (٣) .

وقال الإمام ابن عساكر أيضاً : " أَخْبَرَنَا الشَّيْخ الإِمَام أَبُو نصر عبد الرَّحِيم بن عبد الْكَرِيم ابْن هوَازن إجَازَة ، قَالَ : سُئِلَ أَبِي الأستاذ أبو الْقسم الْقشيرِي رَحمَه اللهَّ ، فَقيل لَهُ : أَرْبَاب التَّوْحِيد هَل يتفاوتون فِيهِ ؟ فَقَالَ : إِن فرَّقت بَين مصلٍّ ومصلٍّ ، وَعلمت أَن هَذَا يُصَلِّي وقلبه مشحون بالغفلات ، وَذَاكَ يُصَلِّي وَقَلبه حَاضر ، فَفرِّق بَين عَالم وعالم ، هَذَا لَو طرأت عَلَيْهِ مشكلة لم يُمكنهُ الْخُرُوج مِنْهَا ، وَهَذَا يُقَاوم كلَّ عَدوٍّ لِلْإِسْلَام ، وَيحلُّ كلَّ معضلة تعزُّ فِي مقَام الْخِصَام ، وَهَذَا هُوَ الْجِهَاد الْأَكْبَر ، فَإِنَّ الْجِهَاد فِي الظَّاهِر مَعَ أَقوام مُعيَّنين ، وَهَذَا جِهَاد مَعَ جَمِيع أَعدَاء الدِّين ، وَهُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعلم ، وللخراج فِي الْبَلَد قانون مَعْرُوف ، إِذا أشكل خراج بقْعَة رَجَعَ النَّاس إِلَى ذَلِك القانون ، وقانون الْعلم بِاللهَّ قُلُوب العارفين بِهِ ، فَرُواة الْأَخْبَار خزَّان الشَّرْع ، والقرَّاء من الْخَواص ، وَالْفُقَهَاء حفظَة الشَّرْع ، وعلماء الْأُصُول هم الَّذين يعْرفُونَ مَا يجب ويستحيل وَيجوز فِي حقِّ الصَّانِع ، وهم الأقلون الْيَوْم .

رمى الدَّهْر بالفتيان حَتَّى كَأَنَّهُمْ بأكناف أَطْرَاف السَّمَاء نُجُوم

وَقد كنَّا نعدهم قَلِيلاً فقد صَارُوا أقلَّ من الْقَلِيل

(١) انظر : غاية البيان شرح زبد ابن رسلان (ص٢٠) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٤٠) .

(٣) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٥٥-٣٥٦) .

قَلَّت عنَاية النَّاس بِعلم الْأُصُول ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ وقف ورفق يَأْكُلُونَهُ ، فميلهم إِلَى مَا يقربهُمْ من الدُّنيا ، ويولِّيهم الْأَوْقَاف وَالْقَضَاء ، وَالطَّرِيق أَيْضاً مُشكل ، فَهُوَ علم عَزِيز ، وَالطَّرِيق إِلَى الأعزة عَزِيز ، وَقد يرى بعض الْجَوَاهِر أثبت لَهُ درة من الْعِزّ ، فَلَا تُوجد إِلَّا عِنْد الْخَواص ، فَهُوَ وَإِن كَانَ حجراً غير مبتذل ، فَمَا الظَّنُّ بجوهر الْمعرفَة .

أخبرنَا الشريف أَبُو الْقسم عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعلوِي وأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْغَسَّانِيُّ ، قَالَا : ثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بن ثَابت الْخَطِيب ، قَالَ : أَنا أَبُو طَالب عمر بن إِبْرَاهِيمَ الْفَقِيه الزُّهْرِيّ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الشَّافِعِي الهمذاني ، قَالَ : أَنْشدني أَبُو عَبْدِ اللهَّ بن مُجَاهِد الْمُتَكَلّم لبَعْضهِم :

أَيُّهَا الْمُقْتَدِي ليطلب علمــــــاً كلُّ علمٍ عبدٌ لعلم الْكَلَام

تطلب الْفِقْه كي تصحِّح حكما ثمَّ أغفلت منزل الْأَحْكَام

أَخْبَرَنَا الشَّيْخ أَبُو عَبْدِ اللهَّ محمَّد بْنُ الْفَضْلِ الفراوي ، قَالَ : قَالَ لنَا الْأُسْتَاذ أَبُو الْقسم عَبْدِ الْكَرِيم بن هوَازن الْقشيرِي : أَنَّ الْأَشْعَرِيّ لَا يشرط فِي صِحَة الْإِيمَان مَا قَالُوهُ ، يَعْنِي : من شنع عَلَيْهِ أَنَّ أغمار الْعَوام عِنْده غير مُؤمنين ، لأنَّهم خليُّون عَن علم الْكَلَام ، بل هُوَ وَجَمِيع أهل التَّحْصِيل من أهل الْقبْلَة يَقُولُونَ : يجب على الْمُكَلف أَن يعرف الصَّانِع المعبود بدلائله الَّتِي نصبها على توحيده واستحقاقه نعوت الرُّبوبيَّة ، وَلَيْسَ الْمَقْصُود اسْتِعْمَال أَلْفَاظ الْمُتَكَلِّمين من لفظ الْجَوْهَر وَالْعرَض ، وإِنَّما الْمَقْصُود حُصُول النَّظر وَالِاسْتِدْلَال الْمُؤَدِّي إِلَى معرفَة اللهَّ ، وإِنَّما اسْتعْمل المتكلِّمون هَذِهِ الْأَلْفَاظ على سَبِيل التَّقْرِيب والتَّسهيل على المتعلِّمين ، وَالسَّلَف الصَّالح ، وَإِن لم يستعملوا هَذِهِ الْأَلْفَاظ فَلم يكن فِي معارفهم خلل .

والخَلَف الَّذين استعملوا هَذِهِ الْأَلْفَاظ لم يكن ذَلِك مِنْهُم لطريق الْحَقِّ مباينة ، وَلَا فِي الدِّين بِدعَة ، كَمَا أَنَّ الْمُتَأَخِّرين من الْفُقَهَاء عَن زمَان الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ لم يستعملوا أَلْفَاظ الْفُقَهَاء من لفظ الْعلَّة والمعلول وَالْقِيَاس وَغَيره ، ثمَّ لم يكن استعمالهم بذلك بِدعَة ، وَلَا خلوّ السَّلف عَن ذَلِك كَانَ لَهُم نقصاً ، وَكَذَلِكَ شَأْن النَّحْوِيين ، والتَّصريفيين ، ونقلة الْأَخْبَار فِي أَلْفَاظ تخْتَص بهَا كلُّ فرقة مِنْهُم ، فَإِن قَالُوا : إِنَّ الِاشْتِغَال بِعلم الْكَلَام بِدعَة وَمُخَالفَة لطريقة السَّلف ، قيل : لَا يخْتَص بِهَذَا السُّؤَال الْأَشْعَرِيّ دون غَيره من متكلِّمي أهل الْقبْلَة ، ثمَّ الاسترواح إِلَى مثل هَذَا الْكَلَام صفة الحشويَّة الَّذين لَا تَحْصِيل لَهُم ، وَكَيف يُظنُّ بسلف الْأمَّة أنَّهم لم يسلكوا سَبِيل النَّظر ، وأنَّهم اتَّصفوا بالتقليـــد ، حاش للهَّ أَن يكون ذَلِك وَصفهم .

وَلَقَد كَانَ السَّلف من الصَّحَابَة مستقلِّين بِمَا عرفُوا من الْحقِّ ، وسمعوا من الرَّسول صلوَات اللهَّ عَلَيْهِ من أَوْصَاف المعبود ، وتأمَّلوه من الْأَدِلَّة المنصوبة فِي الْقُرْآن ، وأخبار الرَّسول عَلَيْهِ السَّلام فِي مسَائِل التَّوْحِيد ، وَكَذَلِكَ التَّابعون وَأَتْبَاع التَّابِعين لقرب عَهدهم من الرَّسول عَلَيْهِ السَّلام ، فلمَّا ظهر أهل الْأَهْوَاء وَكثر أهل الْبدع من الْخَوَارِج ، والجهميَّة ، والمعتزلة ، والقدريَّة ، وأوردوا الشّبَه ، انتدب أَئِمَّة أهل السُّنَّة لمخالفتهم ، والإيصاء للْمُسلمين بمباينة طريقتهم ، فلمَّا أشفقوا على الْقُلُوب أَن يخامرها شبههم شرعوا فِي الرَّد عَلَيْهِم ، وكشف شبههم ، وأجابوهم عَن أسئلتهم ، وحاموا عَن دين اللهَّ بإيضاح الْحجَج . وَلما قَالَ اللهَّ تَعَالَى : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، تأدبوا بآدابه سُبْحَانَهُ ، وَلم يَقُولُوا فِي مسَائِل التَّوْحِيد إِلَّا بِمَا نبَّههم اللهَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ فِي مُحكم التَّنْزِيل .

وَالْعجب مِمَّن يَقُول : لَيْسَ فِي الْقُرْآن علم الْكَلَام ، والآيات الَّتِي هِيَ فِي الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة نجدها محصورة ، والآيات المنبِّهة على علم الْأُصُول نجدها تُوفِي على ذَلِك وتربي بِكَثِير .

وَفِي الْجُمْلَة لَا يجْحَد علم الْكَلَام إِلَّا أحد رجلَيْنِ : جَاهِلٌ ركنَ إِلَى التَّقْلِيد ،وشقَّ عَلَيْهِ سلوك طرق أهل التَّحْصِيل ، وخلا عَن طرق أهل النّظر ، والنَّاس أَعدَاء مَا جهلوا ، فلمَّا انْتهى عَن التَّحقق بِهَذَا الْعلم ، نهى النَّاس ليضلّ كَمَا ضلّ ، أَو رجلٌ يعْتَقد مَذَاهِب فَاسِدَة ، فينطوي على بدع خُفْيَة ، يلبِّس على النَّاس عوار مذْهبه ، ويعمِّي عَلَيْهِم فضائح عقيدته ، وَيعلم أَنَّ أهل التَّحْصِيل من أهل النَّظر هم الَّذين يهتكون السّتْر عَن بدعهم ، ويظهرون للنَّاس قبح مقَالاتهم ، والقلَّاب لَا يحبُّ من يُمَيِّز النُّقُود والخلل فِيمَا فِي يَده من النُّقُود الْفَاسِدَة ، كالصَّرَّاف ذِي التَّمْييز والبصيرة ، وَقد قَالَ اللهَّ تَعَالَى : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩] ، فَهَذَا مَا حضرني من مدح الْكَلَام والمتكلِّمين ، وَذكر بعض من كَانَ نعلمهُ من عُلَمَاء الْمُسلمين " (١) .

وقال الإمام ابن عساكر أيضاً : " أَخْبرنِي الشَّيْخ أَبُو الْقسم نصر بن نصر الْوَاعِظ فِي كِتَابه عَن الْقَاضِي أَبِي الْمَعَالِي بن عَبْدِ الْملِكِ ، قَالَ : من اعْتقد أَنَّ السَّلف الصَّالح رَضِيَ الله عَنْهُم نهوا عَن معرفَة الْأُصُول وتجنبوها أَو تغافلوا عَنْهَا وأهملوها ، فقد اعْتقد فيهم عَجزاً ، وأساء بهم ظنّاً ، لأَنَّه يَسْتَحِيل فِي الْعقل وَالدِّين عِنْد كل من

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٥٦-٣٥٩) .

أنصف من نَفسه أَنَّ الْوَاحِد مِنْهُم يتكَلَّم فِي مسئلة الْعَوْل ، وقضايا الجدّ ، وكميَّة الْحُدُود ، وَكَيْفِيَّة الْقصاص بفصول ، ويباهل عَلَيْهَا ، ويلاعن ، ويجاثي فِيهَا ، ويبالغ ، وَيذكر فِي إِزَالَة النَّجَاسَات عشْرين دَلِيلاً لنَفسِهِ وللمخالف ، ويشقِّق الشّعْر فِي النَّظر فِيهَا ، ثمَّ لَا يعرف ربَّه الْآمِر خلقَه بالتَّحليل وَالتَّحْرِيم ، والمكلِّف عباده للتَّرْك والتَّعظيم ، فهيهات أَن يكون ذَلِك ، وإِنَّمَا أهملوا تَحْرِير أدلَّته ، وَإِقْرَار أسئلته وأجوبته ، فَإِن اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعث نبينَا مُحَمَّداً صلوَات اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَامه ، فأَيَّده بِالْآيَاتِ الباهرة ، والمعجزات الْقَاهِرَة ، حَتَّى أوضح الشَّرِيعَة وَبَينهَا ، وعلَّمهم مواقيتها وعينها ، فَلم يتْرك لَهُم أصلاً من الْأُصُول إِلَّا بنَاه وشيده ، وَلَا حكماً من الْأَحْكَام إِلَّا أوضحه ومهَّده ، لقَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ، فاطمأَنَّت قُلُوب الصَّحَابَة لما عاينوا من عجائب الرَّسول ، وشاهدوا من صدق التَّنْزِيل ببداءة الْعُقُول ، والشَّرِيعة غضَّة طريَّة متداولة بَينهم فِي مواسمهم ومجالسهم ، يعْرفُونَ التَّوْحِيد مُشَاهدَة بِالْوَحْي وَالسَّمَاع ، ويتكلَّمون فِي أَدِلَّة الوحدانيَّة بالطِّباع ، مستغنين عَن تَحْرِير أدلَّتها ، وتقويم حجَّتها وعللها ، كَمَا أَنَّهم كَانُوا يعْرفُونَ تَفْسِير الْقُرْآن ، ومعاني الشّعْر وَالْبَيَان ، وترتيب النَّحْو وَالْعرُوض ، وفتاوى النَّوَافِل والفروض ، من غير تَحْرِير الْعلَّة ، وَلَا تَقْوِيم الْأَدِلَّة ، ثمَّ لَمَّا انقرضت أيامهم ، وتغيَّرت طباع من بعدهمْ وَكَلَامهم ، وخالطهم من غير جنسهم ، وَطَالَ بالسَّلف الصَّالح وَالْعرب العرباء عَهدهم ، أشكل عَلَيْهِم تَفْسِير الْقُرْآن ، ومرن عَلَيْهِم غلط اللِّسَان ، وَكثر المخالفون فِي الْأُصُول وَالْفُرُوع ، واضطرُّوا إِلَى جمع الْعرُوض ، والنَّحو ، وتمييز الْمَرَاسِيل من المسانيد والآحاد عَن التَّوَاتُر ، وصنَّفوا التَّفْسِير وَالتَّعْلِيق ، وبيَّنوا التَّدقيق وَالتَّحْقِيق ، وَلم يقل قَائِل : إِنَّ هَذِهِ كلّهَا بدع ظَهرت ، أَو أَنَّهَا محالات جُمعت ودوِّنت ، بل هُوَ الشَّرْع الصَّحِيح ، والرأي الصَّرِيح ، وَكَذَلِكَ هَذِهِ الطَّائِفَة كثر اللهَّ عَددهمْ ، وَقَوي عَددهمْ ، بل هَذِهِ الْعُلُوم أولى بجمعها لحُرْمَة معلومها ، فَإِن مَرَاتِب الْعُلُوم تترتَّب على حسب معلوماتها ، والصنَائع تكرم على قدر مصنوعاتها ، فَهِيَ من فَرَائض الْأَعْيَان وَغَيرهَا ، أمَّا من فَرَائض الكفايات أَو كالمندوب وَالْمُسْتَحب ، فَإِن من

جهل صفة من صِفَات معلومه ، لم يعرف الْمَعْلُوم على مَا هُوَ بِهِ ، وَمن لم يعرف الْبَارِي سُبْحَانَهُ على مَا هُوَ بِهِ لم يسْتَحق اسْم الْإِيمَان ، وَلَا الْخُرُوج يَوْم الْقِيَامَة من النيرَان " (١) .

ولذلك وضَّح العلماء أنَّ معرفة الحجج الكلاميَّة للرَّدِّ على شُبُهات الْمُخالفين من فُروض الكفايات ، قال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَالَّذِي صرَّح بِهِ أَئِمَّتنَا : أنَّه يجب على كلِّ أحد وجوباً عَيْنيَّاً أَن يعرف صَحِيح الإعتقاد من فاسده ، وَلَا يشْتَرط فِيهِ علمه بقوانين أهل الْكَلَام ، لِأَنَّ الْمدَار على الإعتقاد الْجَازِم وَلَو بالتقليد على الْأَصَح . وأمَّا تَعْلِيم الْحجَج الكلاميَّة ، وَالْقِيَام بهَا للرَّدّ على الْمُخَالفين ، فَهُوَ فرض كِفَايَة ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِن وَقعت حَادِثَة ، وَتوقَّف دفع الْمُخَالف فِيهَا على تعلُّم مَا يتعَلَّق بهَا من علم الْكَلَام أَو آلاته ، فَيجب عيناً على من تأهَّل لذَلِك تعلُّمه للرَّدّ على الْمُخَالفين " (٢) .

فإن قيل : ورد عن بعض السَّلف أنَّهم ذمُّوا علم الكلام ، فالجواب : أنَّ الكلام الذي ذمُّوه إنَّما هو كَلَام أهل الْبدع ... قال الإمام ابن عساكر : " وَقد حفظ عَن غير وَاحِد من عُلَمَاء الْإِسْلَام عيب الْمُتَكَلِّمين ، وذمّ الْكَلَام ، وَلَو لم يذمَّهم غير الشَّافِعِي رَحمَه اللهَّ لكفى ، فإِنَّه قد بَالغ فِي ذمِّهم ، وأوضح حَالهم ، وشفى ، وَأَنْتُم تنتسبون إِلَى مذْهبه ، فَهَلا اقْتَدَيْتُمْ فِي ذَلِك بِهِ .

فَمَا جَاءَ فِي ذَلِك : مَا أَخْبَرَنَا الشَّيْخ أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحُسَيْنُ بن عبد الْملك ابْن الْحُسَيْنِ الْخلال بأصبهان ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ مَحْمُودِ بن أَحْمَدَ الثَّقَفِيّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ إِبْرَاهِيمَ بن الْمقري ، قَالَ : ثَنَا مفضل بن محمَّد الجندي ، قَالَ : حَدثنَا إسحق بن إبراهيم الطَّبري ، قَالَ : ثَنَا أَبُو يُوسُف الْقَاضِي عَن مجالد عَن الشّعبِيّ أَنّه قَالَ : من طلب الدِّين بالْكَلَام تزندق ، وَمن طلب الْمَال بالكيمياء أفلس ، وَمن حدَّث بِغَرَائِب الحَدِيث كذب .

هَكَذَا رَوَاهَا هَذَا الطَّبَرِيّ عَنْ أبي يُوسُف ، وَرَوَاهَا غيره عَنْ أَبِي يُوسُف من قَوْله ، وَهُوَ أشبه بِالصَّوَابِ ، أخبرنَاها الشَّيْخ أَبُو الْمَعَالِي محمَّد بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ محمَّد بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَارِسِيِّ ، قَالَ أَنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بن عَلِيّ الْبَيْهَقِيّ ، قَالَ انا أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بْنُ محمَّد الْمَالِينِي ح وأخبرناها الشَّيْخ أَبُو الْقسم إِسْمَاعِيل بن أَحْمد بن

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٥٥) .

(٢) انظر : الفتاوى الحديثية (ص١٤٧) .

السَّمرقندي ، قَالَ : أخبرنَا أَبُو الْقسم إِسْماعِيلُ بْنُ مسْعدَة الجُرْجَانِيّ ، قَالَ لنا أَبُو الْقسم حَمْزَة بن يُوسُفَ السَّهْمِي ، قَالا : أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمد بن عدي ، قَالَ : ثَنَا جَعْفَر أبن محمَّد بْنِ الْحَسَنِ بْنِ المستفاض الغريابي ، قَالَ : حَدَّثَنِي بشر بن الْوَلِيد ، قَالَ : سَمِعت أَبَا يُوسُف ، يَقُول : من طلب الدِّين بالْكَلَام تزندق . وَقَالَ السَّهْمِي : وَمن طلب غَرِيب الحَدِيث كذب ، وَمن طلب الْمَال بالكيمياء أفلس .

قَالَ أَبُو بكر الْبَيْهَقِيّ : وَرُوِيَ هَذَا أَيْضاً عَن مَالك بن أنس ، قَالَ : وإِنَّما يريد والله أعلم بالْكَلَام : كَلَام أهل الْبدع ، فَإِنَّ فِي عصرهما إِنَّما كَانَ يعرف بالْكَلَام أهل الْبدع ، فَأَما أهل السُّنَّة ، فقلَّما كَانُوا يَخُوضُونَ فِي الْكَلَام حَتَّى اضطروا إِلَيْهِ بعد .

فَهَذَا وَجه من الْجَواب عَن هَذِهِ الْحِكَايَة ، ونَاهيك بقائله أَبِي بكر الْبَيْهَقِيّ ، فقد كَانَ من أهل الرِّوَايَة والدِّراية . وتحتمل وَجهاً آخر ، وَهُوَ أَن يكون الْمُرَاد بهَا : أَن يقْتَصر على علم الْكَلَام ، وَيتْرك تعلم الْفِقْه الَّذِي يتَوَصَّل بِهِ إِلَى معرفَة الْحَلَال وَالْحَرَام ، ويرفض الْعَمَل بِمَا أَمر بِفِعْلِهِ من شرائع الْإِسْلَام ، وَلَا يلْتَزم فعل مَا أَمر بِهِ الشَّارِع ، وَترك مَا نهى عَنهُ من الْأَحْكَام ، وَقد بَلغنِي عَن حَاتِم بن عنوان الأصمّ ، وَكَانَ من أفاضل الزهَّاد وَأهل الْعلم أَنَّه قَالَ : الْكَلَام أصل الدِّين ، وَالْفِقْه فَرعه ، وَالْعَمَل ثمره ، فَمن اكْتفي بالْكَلَام دون الْفِقْه وَالْعَمَل تزندق ، وَمن اكْتفي بِالْعَمَلِ دون الْكَلَام وَالْفِقْه ابتدع ، وَمن اكْتفي بالفقه دون الْكَلَام وَالْعَمَل تفسَّق ، وَمن تفنَّن فِي الأَبْواب كلهَا تخلَّص " (١) .

ومع ما لعلم الكلام من مكانة في الإسلام ، فقد وجِّهت إليه سهام المتمسلفة ، فافتروا عليه وعلى علمائه بألوان من الافتراءات ، الممزوجة بالأكاذيب والألاعيب ، التي لا يُقصد منها إلَّا التَّحريش والتَّهويش ، قال إمامهم البربهاري في كتابه السُّنَّة : " واعلم أنَّها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدِّين إلَّا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب . وكيف يجترئ الرَّجل على المِراء والخصومة والجدال ، والله يقول : ﴿مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] ، فعليك بالتَّسليم والرِّضى بالآثار ، والكفِّ والسُّكوت " (٢) .

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٣٣) .

(٢) انظر : شرح السنة (ص٣٨) .

واستشهاد البربهاري بقوله تعالى : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] ، استشهاد في غير موضعه ، لأنَّ الآية جاءت في معرض الكلام عن جدال الكفرة ... وهذا هو شأن الخوارج الذين جاءوا إلى آيات وردت في حقِّ الكفَّار ، فجعلوها في المؤمنين الموحِّدين ... فالآية ما أُريد منها إلَّا جدال الكفرة القائم على العناد والمكابرة ، وألوان من الباطل ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] ، وَقَوْلِهِمْ : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] ، وقَوْلِهِمْ عن القرآن العظيم : ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥] ، ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠] ، ووصفهم الرَّسول بالكاهن ، والشَّاعر ، وكذا سُؤَالهم الرَّسول أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ كَمَا يَقْتَرِحُونَ ...

فالمُرَادُ بِالمُجَادَلَةِ الواردة في الآية : المُجَادَلَةُ بِالْبَاطِلِ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ ، فلَا عَجَبَ إذن فِي جِدَالِ الكفرة بِآيَاتِ اللهِ بالباطل ، فَإِنَّهُمْ أَتَوْا بِمَا هُوَ أَعْظَمُ وَهُوَ الْإِشْرَاكُ بالله تعالى ...

فجدالهم كان بالباطل لغاية دحض الحقِّ به ، قال تعالى : ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥] ، فَأَمَّا الْجِدَالُ لِاسْتِيضَاحِ الْحَقِّ ، وَرَفْعِ اللَّبْسِ ، وَالْبَحْثِ عَنِ الرَّاجِحِ وَالْمَرْجُوحِ ، وَعَنِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ ، وَدَفْعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُبْطِلُونَ مِنْ مُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِ ، وَرَدِّهِمْ بِالْجِدَالِ إِلَى الْمُحْكَمِ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ الْمُتَقَرِّبُونَ ...

وبنَاء عَلى ذَلكَ ، فالجِدَال منهُ ما هو ممدوحٌ مرغوبٌ ، ومنه ما هُو مَذمومٌ مَردودٌ ، وفي الآية مناط البحث جاء الجِدال مُنكَّراً ليشمل أحد نوعيه ، وهو الجدال بالباطل .

وأمَّا الجدال القائم على حلِّ المُشْكِلِ ، واستنباط الحقائق ، فمن أعظم الطَّاعات ... وتالياً ما قاله المفسِّرون في تفسير الآية :

قال الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) : " سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر : والمراد : الجدال بالباطل ، من الطَّعن فيها ، والقصد إلى إدحاض الحقِّ وإطفاء نور الله ، وقد

دلّ على ذلك ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥] ، فأمَّا الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحلّ مشكلها ، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزّيغ بها وعنها ، فأعظم جهاد في سبيل الله " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " وَاعْلَمْ أنَّه تعَالَى لَمَّا قَرَّرَ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ أَنْزَلَهُ لِيُهْتَدَى بِهِ فِي الدِّين ، ذَكَرَ أَحْوَالَ مَنْ يُجَادِلُ لِغَرَضِ إِبْطَالِهِ وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِ ، فَقَالَ :﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] ، وَفِيهِ مَسَائِلُ :

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : أَنَّ الْجِدَالَ نَوْعَانِ جِدَالٌ فِي تَقْرِيرِ الْحَقِّ وَجِدَالٌ فِي تَقْرِيرِ الْبَاطِلِ ، أَمَّا الْجِدَالُ فِي تَقْرِيرِ الْحَقِّ فَهُوَ حِرْفَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام ، قَالَ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، وقال حِكَايَةً عَنِ الْكُفَّارِ أنَّهم قَالُوا لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلام : ﴿ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣٢] . وأمَّا الْجِدَالُ فِي تَقْرِيرِ الْبَاطِلِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤] ، وَقَالَ : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾[الزخرف: ٥٨] ، وَقَالَ : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ [غافر: ٥] .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ جِدَالاً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ " (٢) .

---

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٥٠) .

(٢) نصُّ الحديث هو : " لاَ تُجَادِلُوا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ جِدَالاً فِيهِ كُفْرٌ " أخرجه الطيالسي في المسند (٤/ ٤٣ برقم ٢٤٠٠) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٢٦ برقم ٢٠٦١) ، وقال : قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : " وَهَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ أَنْ يَسْمَعَ الرَّجُلُ مِنَ الْآخَرِ قِرَاءَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ فَيَعْجَلُ عَلَيْهِ وَيُخَطِّئُهُ فَيَنْسِبُ مَا يَقْرَأُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِقُرْآنٍ ، وَيُجَادِلُهُ فِي ذَلِكَ أَوْ يُجَادِلُهُ فِي تَأْوِيلِ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ وَيُخَطِّئُهُ وَيُضَلِّلُهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ يفعَلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ اللِّجَاجَ رُبَّمَا أَزَاغَهُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَقْبَلُهُ وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ وَجْهٌ فَيَكْفُرُ ، فَلِهَذَا حُرِّمَ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ وَسُمِّيَ كُفْراً ؛ لِأَنَّهُ يُشْرِفُ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْكُفْرِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ فِي نَفْيِ حَرْفٍ أَوْ إِثْبَاتِهِ أَوْ نَفْيِ كَلِمَةٍ أَوْ إِثْبَاتِهَا لَكَانَ الزَّائِغُ مِنَ الْمُتَمَارِينَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ كَافِرًا، لِأَنَّهُ أَمَّا أَنْ يَكُونَ مُنْكَرَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ يَكُونُ مُدَّعِيَ زِيَادَةٍ فِيهِ ، وَاللهُ أَعْلَمَ ، قَالَ : الْمِرَاءُ الْإِصْرَارُ عَلَى التَّغْلِيطِ وَالتَّضْلِيلِ وَتَرْكِ الْإِذْعَانِ لِمَا يُقَامُ مِنَ الْحُجَّةِ ، فَأَمَّا الْمُبَاحَثَةُ الَّتِي لَا يَكَادُ الْمُشْكِلُ يَنْفَتِحُ إِلَّا بِهَا فَلَيْسَتْ بِحَرَامٍ وَاللهُ أَعْلَمُ " .

فَقَوْلُهُ : " إِنَّ جِدَالاً " عَلَى لَفْظِ التَّنْكِيرِ يَدُلُّ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ جِدَالٍ وَجِدَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَفْظَ الْجِدَالِ فِي الشَّيْءِ مُشْعِرٌ بِالْجِدَالِ الْبَاطِلِ ، وَلَفَظَ الْجِدَالِ عَنِ الشَّيْءِ مُشْعِرٌ بِالْجِدَالِ لِأَجْلِ تَقْرِيرِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ جِدَالاً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ " .

وَقَالَ : " لَا تُمَارُوا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ " [١] .

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : الْجِدَالُ فِي آيَاتِ اللهَّ هُوَ أَنْ يُقَالَ مَرَّةً أَنَّه سِحْرٌ ، وَمَرَّةً أَنَّه شِعْرٌ ، وَمَرَّةً أَنَّه قَوْلُ الْكَهَنَةِ ، وَمَرَّةً أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَمَرَّةً إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِمَّا كَانُوا يقولونه مِنَ الشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ ، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّه لَا يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ " [٢] .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١ هـ) : " قوله تعالى : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] ، سجَّل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر ، والمراد الجدال بالباطل ، من الطَّعن فيها ، والقصد إلى إدحاض الحقّ ، وإطفاء نور الله تعالى . وقد دلَّ على ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥] . فأمَّا الجدال فيها لإيضاح ملتبسها ، وحلِّ مشكلها ، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ، وردِّ أهل الزّيغ بها وعنها ، فأعظم جهاد في سبيل الله " [٣] .

وقال الإمام ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) : " لَمَّا حقَّق أمر التَّنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطَّعن وإدحاض الحقّ لقوله : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥] ، وأمَّا الجدال فيه لحلِّ عقده ، واستنباط حقائقه ، وقطع تشبُّث أهل الزَّيغ به ،

---

[١] نصُّ الحديث هو : " لَا تَمَارَوْا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ " أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١٩٧ برقم ٣٩٦ ، وقال : لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي النَّضْرِ إِلَّا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ) ، المعجم الكبير (٤/ ١٩٧ برقم ٣٩٦١) .

[٢] انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٧/ ٤٨٥-٤٨٦) .

[٣] انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٢) .

وقطع مطاعنهم فيه ، فمن أعظم الطَّاعات ، ولذلك قال عليه الصَّلاة والسَّلام : " إنَّ جدالاً في القرآن كفر " ، بالتَّنكير مع أنَّه ليس جدالاً فيه على الحقيقة " (١) .

وقال الإمام أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) : " وَلَمَّا ذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ صِفَاتِهِ الْعُلَا الذَّاتِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، ذَكَرَ أَنَّه الْمُنْفَرِدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ ، الْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي الْحَشْرِ ، ثمَّ ذَكَرَ حَالَ مَنْ جَادَلَ فِي الْكِتَابِ ، وَأَتْبَعَ بِذِكْرِ الطَّائِعِينَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَصَالِحِي عِبَادِهِ ، فَقَالَ : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤] ، وَجِدَالُهُمْ فِيهَا قَوْلُهُمْ : مَرَّةً سِحْرٌ ، وَمَرَّةً شِعْرٌ ، وَمَرَّةً أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَمَرَّةً إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، فَهُوَ جِدَالٌ بِالْبَاطِلِ ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥] .

وَقَالَ السُّدِّيُّ : مَا يُجَادِلُ : أَيْ : مَا يُمَارِي . وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ : مَا يَجْحَدُ . وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : نَزَلَتْ فِي الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ ، أَحَدُ الْمُسْتَهْزِئِينَ . وأمَّا مَا يَقَعُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا ، وَاسْتِيضَاحِ مَعَانِيهَا ، وَاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ وَالْعَقَائِدِ مِنْهَا ، وَمُقَارَعَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ بِهَا ، فَذَلِكَ فِيهِ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ " (٢) .

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) : " والجدال في آياته نسبتها إلى الشِّعر تارة ، وإلى السِّحر أخرى ، إلى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام . فأمَّا البحث عنها لاستنباط حقائقها ، والوقوف على دقائقها ، وحلِّ مشكلاتها ، فنوع من الجهاد في سبيل الله !!! ولمكان الفرق بين هذين الجدالين ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ جدالاً في القرآن كفر " ، فنكَّر الجدال ليشمل أحد نوعيه فقط ، وهو الجدال بالباطل ، كما يجيء في قوله : ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ [غافر: ٥] (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " ثمَّ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابُ اللهَّ أَنْزَلَهُ لِيُهْتَدَى بِهِ فِي الدِّين ، ذَكَرَ أَحْوَالَ مَنْ يُجادِلُ فِيهِ لِقَصْدِ إِبْطَالِهِ ، فَقَالَ : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤] ، أَيْ : مَا يُخَاصِمُ فِي دَفْعِ آيَاتِ اللهَّ وَتَكْذِيبِهَا إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَالْمُرَادُ الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ ،

(١) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (٥/ ٥١) .

(٢) انظر : البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٣٥) .

(٣) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٢١-٢٢) .

وَالْقَصْدُ إِلَى دَحْضِ الْحَقِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥] ، فَأَمَّا الْجِدَالُ لِاسْتِيضَاحِ الْحَقِّ ، وَرَفْعِ اللَّبْسِ ، وَالْبَحْثِ عَنِ الرَّاجِحِ وَالْمَرْجُوحِ ، وَعَنِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ ، وَدَفْعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُبْطِلُونَ مِنْ مُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِ ، وَرَدِّهِمْ بِالْجِدَالِ إِلَى الْمُحْكَمِ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ الْمُتَقَرِّبُونَ ، وَبِذَلِكَ أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، فَقَالَ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] ، وَقَالَ : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] [1] .

وقال الإمام محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) : " ... اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ نَشَأَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢] ، الْمُقْتَضِي أَنَّ كَوْنَ الْقُرْآنِ مُنَزَّلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ أَمْرٌ لَا رَيْبَ فِيهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ، فَيَنْشَأُ فِي نُفُوسِ السَّامِعِينَ أَنْ يَقُولُوا : فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْمُجَادِلِينَ فِي صِدْقِ نِسْبَةِ الْقُرْآنِ إِلَى اللهِ لَمْ تُقْنِعْهُمْ دَلَائِلُ نُزُولِ الْقُرْآنِ مِنَ اللهِ ، فَأُجِيبَ بِأَنَّه مَا يُجَادِلُ فِي صِدْقِ الْقُرْآنِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَإِذْ قَدْ كَانَ كُفْرُ الْمُكَذِّبِينَ بِالْقُرْآنِ أَمْراً مَعْلُوماً كَانَ الْإِخْبَارُ عَنْهُمْ بِأَنَّهم كَافِرُونَ غَيْرَ مَقْصُودٍ مِنْهُ إِفَادَةَ اتِّصَافِهِمْ بِالْكُفْرِ ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ غَيْرَ مُسْتَعْمَلٍ فِي فَائِدَةِ الْخَبَرِ لَا بِمَنْطُوقِهِ وَلَا بِمَفْهُومِهِ ، فَإِنَّ مَفْهُومَ الْحَصْرُ وَهُوَ : أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ كَذَلِكَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مُقَرَّرٌ ، فَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْمُرَادُ بِالَّذِينِ كَفَرُوا نَفْسَ الْمُجَادِلِينَ فِي آيَاتِ اللهِ وَأَنَّ الْمُرَادَ بِكُفْرِهِمْ كُفْرُهُمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ بِسَبَبِ إِشْرَاكِهِمْ ، فَالْمَعْنَى : لَا عَجَبَ فِي جِدَالِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّهُمْ أَتَوْا بِمَا هُوَ أَعْظَمُ وَهُوَ الْإِشْرَاكُ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْله تَعَالَى : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] ، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْمُرَادُ بِالَّذِينِ كَفَرُوا جَمِيعَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ مِنَ السَّابِقِينَ وَالْحَاضِرِينَ ، أَيْ : مَا الْجَدَلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْكُفْرِ

---

[1] انظر : فتح القدير (٤/ ٥٥٢) .

وَالْإِشْرَاكِ ، وَمُجَادَلَةُ مُشْرِكِي مكَّة شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ مُجَادَلَةِ كُلِّ الْكَافِرِينَ ، فَيَكُونُ اسْتِدْلَالاً بِالْأَعَمِّ عَلَى الْخَاصِّ ، وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ تُرِكَ عَطْفُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا .

وَالْمُرَادُ بِالْمُجَادَلَةِ هُنَا الْمُجَادَلَةُ بِالْبَاطِلِ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ ، فَمَعْنَى ﴿فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ : فِي صِدْقِ آيَاتِ اللهَّ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢] ، فَتَعَيَّنَ تَقْدِيرُ مُضَافٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ ، كَمَا دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام : ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٧٤] ، عَلَى تَقْدِيرِ : فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ ، فَصِيغَةُ الْمُفَاعَلَةِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْفِعْلِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ لِإِفَادَةِ التَّكَرُّرِ مِثْلَ : سَافَرَ وَعَافَاهُ الله ، وَهُمْ يَتَلَوَّنُونَ فِي الِاخْتِلَاقِ وَيُعَاوِدُونَ التَّكْذِيبَ وَالْقَوْلَ الزُّورَ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِمْ : ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] ، ﴿ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠] ، ﴿ بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٢] ، ﴿ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] ، لَا يَنْفَكُّونَ عَنْ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمُجَادَلَةِ تَوَرُّكُهُمْ عَلَى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِهِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ كَمَا يَقْتَرِحُونَ ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الْآيَاتِ ، وَقَوْلِهِمْ :﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] الْآيات ...

وَقَدْ كَانَ لِتَعَلُّقِ فِي الظَّرْفِيَّةِ بِالْجِدَالِ ، وَلِدُخُولِهِ عَلَى نَفْسِ الْآيَاتِ دُونَ أَحْوَالِهَا فِي قَوْلِهِ : مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهَّ مَوْقِعٌ عَظِيمٌ مِنَ الْبَلَاغَةِ ، لِأَنَّ الظَّرْفِيَّةَ تَحْوِي جَمِيعَ أَصْنَافِ الْجِدَالِ ، وَجُعِلَ مَجْرُورُ الْحَرْفِ نَفْسَ الْآيَاتِ دُونَ تَعْيِينِ نَحْوِ صِدْقِهَا أَوْ وُقُوعِهَا أَوْ صِنْفِهَا، فَكَانَ قَوْلُهُ : فِي آيَاتِ اللهَّ جَامِعاً لِلْجَدَلِ بِأَنْوَاعِهِ . وَلِتَعَلُّقِ الْجَدَلِ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ، وَالْمُرَادُ : الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ تَنْظِيرُ حَالِهِمْ بِحَالِ مَنْ قَالَ فِيهِمْ : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [غافر: ٥] ، فَإِذَا أُرِيدَ الْجِدَالُ بِالْحَقِّ يُقَيَّدُ فِعْلُ الْجِدَالِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ .

وَالْمَعْنَى : مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهَّ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهَّ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَعَجَزُوا ، وإِنَّمَا هُوَ تَلْفِيقٌ وَتَسَتُّرٌ عَنْ عَجْزِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَاعْتِصَامٌ بالمكابرة ، فمجادلتهم بعد مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّحَدِّي دَالَّةٌ عَلَى تَمَكُّنِ الْكُفْرِ مِنْهُمْ وأَنَّهم مُعَانِدُونَ ، وَبِذَلِكَ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنْ فَائِدَةِ هَذَا وَإِلَّا فَكَوْنُهُمْ كُفَّاراً مَعْلُومٌ " (١) .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (٢٤/ ٨١-٨٣) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه ... رأينا من يدَّعون السَّلفيَّة يُكفِّرون ويضلِّلون أهل الكلام ... وحاصل ما ذكروه – بحسب علمي – ينتظم في النّقاط التَّالية :

الأُوْلَى : أنكر ابن تيمية على المتكلِّمين عدم أخذهم بالآحاد في مسائل الاعتقاد ، ويصفهم بالزَّندقة ، والإلحاد ، فيقول : " ... وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا عُمْدَةُ كُلِّ زِنْدِيقٍ وَمُنَافِقٍ يَبْطُلُ الْعِلْمُ بِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ، تَارَةً يَقُولُ : لَا نَعْلَمُ أَنَّهم قَالُوا ذَلِكَ ، وَتَارَةً يَقُولُ : لَا نَعْلَمُ مَا أَرَادُوا بِهَذَا الْقَوْلِ . وَمَتَى انْتَفَى الْعِلْمُ بِقَوْلِهِمْ أَوْ بِمَعْنَاهُ : لَمْ يُسْتَفَدْ مِنْ جِهَتِهِمْ عِلْمٌ فَيَتَمَكَّنُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ مَا يَقُولُ مِنْ الْمَقَالَاتِ وَقَدْ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُعَارَضَ بِآثَارِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لأَنَّه قَدْ وَكَّلَ ثَغْرَهَا بِذَيْنِك الداحمين الدَّافِعَيْنِ لِجُنُودِ الرَّسول عَنْهُ الطَّاعِنَيْنِ لِمَنْ احْتَجَّ بِهَا. وَهَذَا الْقَدْرُ بِعَيْنِهِ هُوَ عَيْنُ الطَّعْنِ فِي نَفْسِ النُّبُوَّةِ " (١) .

والغريب في هذا الباب أنَّ ابن تيمية في كتابه منهاج السُّنَّة أنكر الاحتجاج بخبر الآحاد في أُصول الدِّين ، فقال : " ... فَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ عَلَى أُصُولِكُمْ ثُبُوتُهُ حَتَّى تَحْتَجُّوا بِهِ ؟ وَبِتَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ فَهُوَ مِنْ أَخْبَارِ الْآحَادِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَحْتَجُّوا فِي أَصْلٍ مِنْ أُصُولِ الدِّين ، وَإِضْلَالِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ – إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً – بِأَخْبَارِ الْآحَادِ الَّتِي لَا يَحْتَجُّونَ هُمْ بِهَا فِي الْفُرُوعِ الْعِلْمِيَّةِ ؟ ! " (٢) .

وقال أيضاً : " ...الثَّانِي : إِنَّ هَذَا مِنْ أَخْبَارِ الْآحَادِ ، فَكَيْفَ يَثْبُتُ بِهِ أَصْلُ الدِّين الَّذِي لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ ؟ " (٣) .

الثَّانِيَةُ : اتَّهم ابن تيمية المُتكلِّمين بأنَّهم دخلوا في بعض الباطل المُبتدع ، وأخرجو توحيد الإلهيَّة منه ... وفي يقول ابن تيمية عن المتكلِّمين : " ... وَدَخَلُوا فِي بَعْضِ الْبَاطِلِ الْمُبْتَدَعِ ، وَأَخْرَجُوا مِنَ التَّوْحِيدِ مَا هُوَ مِنْهُ كَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِثْبَاتِ حَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَّا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ .

وَهَذَا التَّوْحِيدُ كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَنْهُمْ : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٨٩) .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣/ ٤٥٦) .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٤/ ٩٥) .

سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦ – ٨٧] ، وَقَالَ عَنْهُمْ : ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] .

قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ : يَقُولُ لَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ فَيَقُولُونَ : الله ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ.

وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، الْمُتَضَمِّنُ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِأَنْ يُعْبَدَ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً ، فَيَكُونُ الدِّين كُلُّهُ للهَّ ... " (١) .

وابن تيمية هنا يتكلَّم عن التَّوحيد الذي قسَّمه إلى أقسام ثلاثة : ربوبيَّة ، وأُلوهيَّة ، وأسماء وصفات . وهذا التَّقسيم ما سبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يقل به أحد من السَّلف الذي يزعم أنَّه يقول بقولهم ... فالتَّوحيد أصبح تعديداً ... وبناء على تقسيمه للتَّوحيد كفَّر هو وأتباعه عموم الأمَّة متَّهمين إيَّاهم بالكفر والإلحاد في الدِّين ، وأنَّهم ينكرون توحيد الألوهيَّة ، لأنَّهم يتوسَّلون إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ... وقد ناقشنا هذه المسألة لاحقاً في كتابنا هذا ... والحمد لله تعالى ...

وجاء في الدُّرر السَّنيَّة : " أنَّ أهل الكلام أهل بدع وضلالات ، لا يعدُّون عند الجميع من طبقات العلماء " (٢) .

الثَّالِثَةُ : أتَّهموا المُتكلِّمين بأنَّ منهجهم مُخالف مخالف لدين الإسلام والكتاب والرَّسول والعقول !!! وللسَّلف كلّهم ، فقد جاء في جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " في كلامهم عن المتكلِّمين : " أنَّ مذهبهم مع كونه فاسداً في نفسه ، مخالفاً للعقول ، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام !!! والكتاب والرَّسول !!! وللسَّلف كلّهم !!! ويذكرون في كتبهم أنَّهم مخالفون للسَّلف ، ثمَّ مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل ، حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها .

وأنا أدعوك إلى التفكُّر في هذه المسألة ، وذلك أنَّ السَّلف قد كثر كلامهم ، وتصانيفهم في أصول الدِّين ، وإبطال كلام المتكلِّمين ، وتفكيرهم ، وممَّن ذكر هذا من متأخِّري الشَّافعيَّة : البيهقي ، والبغوي ، وإسماعيل التَّيمي ، ومن بعدهم ، كالحافظ الذَّهبي ؛ وأمَّا متقدِّموهم : كابن سريج ، والدَّارقطني ، وغيرهما ، فكلُّهم على

(١) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣/ ٢٨٩–٢٩٠) .

(٢) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١/ ٥١) .

هذا الأمر ؛ ففتِّش في كتب هؤلاء ، فإن أتيتني بكلمة واحدة أنَّ منهم رجلاً واحداً لم ينكر على المتكلِّمين ، ولم يكفِّرهم !!! فلا تقبل منِّي شيئاً أبداً ؛ ومع هذا كلِّه ، وظهوره غاية الظُّهور ، راج عليكم حتى ادَّعيتم أنَّ أهل السُّنَّة هم المتكلِّمون ؛ والله المستعان " (١) .

وهذا تكفير واضح وصريح من المتمسلفة للمتكلِّمين... وكلامهم ممزوج بالكذب والبهتان الذي دأب عليه المتمسلفة لنصرة باطلهم ... وكم تمنَّينا أن يأتوا بمظانِّ تكفير البيهقي ، والبغوي ، وإسماعيل التَّيمي ، والذَّهبي ، وابن سريج ، والدَّارقطني ، للمتكلِّمين ... كبُرت كلمة تخرُج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

الرَّابِعَةُ : من المعلوم أنَّ المتمسلفة دأبوا على تسمية ما أُضيف في القرآن إلى الله تعالى بالصِّفات ، مع أنَّه ليس كلّ مضاف إلى الله تعالى ، قال الإمام ابن الجوزي : " وقد وقع غلط المصنِّفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه :

أحدها : أنَّهم سمُّوا الأخبار أخبار صفات ، وإنَّما هي إضافات ، وليس كلّ مضاف صفة ، فإنَّه قال سبحانه وتعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] ، وليس لله صفة تسمَّى روحاً ، فقد ابتدع من سمَّى المضاف صفة ... " (٢) .

فالإضافات سمُّوها صفات ، وكفَّروا مَنْ أوَّلها بما يتناسب والقواعد اللغويَّة ، وكذا القواطع العقديَّة ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " في كلامهم عن الجوارح التي سمُّوها صفات : " فمن أنكر الصِّفات ، فهو معطِّل ، والمعطِّل شرٌّ من المشرك ؛ ولهذا كان السَّلف ، يُسمُّون التَّصانيف ، في إثبات الصِّفات : كتب التَّوحيد ، وختم البخاري صحيحه بذلك ، قال: كتاب التَّوحيد ؛ ثمَّ ذكر الصِّفات ، باباً ، باباً .

فنكتة المسألة : أنَّ المتكلِّمين يقولون : التَّوحيد لا يتمُّ إلا بإنكار الصِّفات ، فقال أهل السُّنَّة !!! : لا يتمُّ التَّوحيد إلَّا بإثبات الصِّفات ، وتوحيدكم ، هو التَّعطيل ؛ ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الربِّ تبارك وتعالى ، كما هو مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، وفئام من النَّاس ، لا يحصيهم إلا الله !!!

فهذا بيان لقولك : هل مراده الصِّفات ؟ أو الأفعال ؟ فبيَّن السَّلف : أنَّ العبادة إذا كانت كلّها لله عن جميع المخلوقات ، فلا تكون إلا بإثبات الصِّفات ، والأفعال ؛ فتبيَّن أنَّ منكر الصِّفات ، منكرٌ لحقيقة الألوهيَّة !!! لكن لا يدري ؛ وتبيَّن لك أنَّ من شهد أن لَا إلَه إلَّا الله ، صدقاً من قلبه ، لا بدَّ أن يثبت الصِّفات ، والأفعال ،

---

(١) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١/ ٥٢-٥٣) .

(٢) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٠٤) .

ولكن العجب العجاب : ظنَّ إمامُهم الكبير ، أنَّ الألوهيَّة ، هي القدرة ، وأنَّ معنى قولك : لَا إِلَه إِلَّا الله ، أي : لا يقدر على الخلق إلا الله ! " (١) .

وكلامهم هذا انطوى على جملة أُمور ، منها :

الأَوَّلُ : أنَّ قولهم : " أنَّ المتكلِّمين يقولون : التَّوحيد لا يتمُّ إِلَّا بإنكار الصِّفات " ، كلام مجانب للصَّواب ، فالمتكلِّمون يثبتون لله تعالى كلَّ الصِّفات التي وردت بنصٍّ محكم ، وكذا يصفون الله بجميع المحامد وصفات الجلال والكمال ... وقد سبق بيان ذلك .

الثَّانِي : وقولهم : " ... ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الربِّ تبارك وتعالى ، كما هو مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، وفئام من النَّاس ، لا يحصيهم إِلَّا الله " ، فهذا افتراء على هؤلاء العلماء الذين هم ممَّا رُموا منه براء ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة هم من دسَّ في كتب العلما ما به شوهَّوا كُتُبَ هؤلاء العلماء الجهابيذ ، وذلك في الفصل الخاصِّ بتكفيرهم للصُّوفيَّة ... وبرهنَّا عليه في كتابنا : " كَشْفُ الخَفَاءِ عَنْ عَبَثِ الوَهَّابيَّة بِكُتُبِ العُلَماءِ " .

الخَامِسَةُ : اتَّهموا المُتكلِّمين بأنَّهم أخطؤوا في التَّوحيد !!! بل أخطؤوا في ثلاث من أُصول الدِّين !!! منها : تأويل الصِّفات ، وأنَّهم لم يعرفوا من تفسير لَا إِلَه إِلَّا الله إِلَّا أنَّ معناها القادر على الاختراع ، وهو ما يقرُّ به الكفرة ، وأنَّهم أنكروا توحيد الإلهيَّة ..... ولذلك فقد رجع بعض المُتكلِّمين عن علـــــم الكلام ...

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " والأشاعرة : أخطؤوا في ثلاث من أُصول الدِّين !!! منها : تأويل الصِّفات ، وهو صرفها عن حقيقتها ، التي تليق بالله ، وحاصل تأويلهم : سلب صفات الكمال عن ذي الجلال .

أيضاً ، أخذوا ببدعة عبد الله بن كُلَّاب ، في كلام الرَّبِّ تعالى وتقدَّس ، وردُّ العلماء عليهم في ذلك شهير ، مثل : الإمام أحمد ، والشَّافعي ، وأصحابه ، والخلَّال في كتاب السُّنَّة ، وإمام الأئمة : محمَّد بن خزيمة ، واللالكائي ، وأبو عثمان الصَّابوني الشَّافعي ، وابن عبد البرّ ، وغيرهم من أتباع السَّلف ، كمحمَّد بن جرير الطَّبري ، وشيخ الإسلام الأنصاري .

---

(١) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١/ ١١٣-١١٤).

وقد رجع كثيرٌ من المتكلِّمين الخائضين ، كالشَّهرستاني ، شيخ أبي المعالي ، وكذلك أبو المعالي ، والغزالي ، وكذلك الأشعري قبلهم في كتاب الإبانة ، والمقالات . ومع هذا وغيره ، فبقي هذا في المتأخِّرين ، المقلِّدين لأناس من المتأخِّرين ، ليس لهم اطلاع على كلام العلمـــاء ، وكانوا يعدُّون من العلماء .

وأخطؤوا أيضاً في التَّوحيد !!! ولم يعرفوا من تفسير لَا إِلَه إِلَّا الله إلَّا أنَّ معناها القادر على الاختراع ، ودلالة لَا إِلَه إِلَّا الله على هذا دلالة التزام ، لأنَّ هذا من توحيد الرُّبوبيَّة الذي أقرَّ به الأُمم ، ومشركو العرب ، كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٥] ، وهي كثيرة في القرآن ، يحتجُّ تعالى عليهم بذلك على ما أنكروه من توحيد الإلهيَّة ، الذي هو معنى لَا إِلَه إِلَّا الله ، مطابقة ، وتضمُّناً " [١] .

وقد تضمَّن كلامهم السَّابق جملة أُمور ، منها :

الأَوَّلُ : قولهم : " والأشاعرة : أخطؤوا في ثلاث من أُصول الدِّين !!! منها : تأويل الصِّفات " ، وهذا خطأ واضحٌ بيِّنٌ ... مع أنَّ التَّأويل منهج سار عليه السَّلف كما سار عليه الخلف ... وقد ذكرنا في هذا الكتاب جملة وافرة من تأويلات السَّلف ... ومنها بعض تأويلات حبر الأمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عبَّاس ، رضي الله عنهما ...

الثَّانِي : وقولهم : " أخذوا ببدعة عبد الله بن كُلَّاب ، في كلام الربِّ تعالى وتقدَّس " ، وهذا أيضاً خطأ وافتراء منهم على علماء الأمَّة ، لأنَّ جمهرة وافرة من علماء السَّلف كانوا على طريق ابن كُلَّاب ... قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " مَعَ أَنَّ الْبُخَارِيَّ فِي جَمِيعِ مَا يُورِدُهُ مِنْ تَفْسِيرِ الْغَرِيبِ إِنَّمَا يَنْقُلُهُ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْفَنِّ ، كَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَالنَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ ، وَالْفَرَّاءِ ، وَغَيْرِهِمْ . وأَمَّا المباحث الفقهيَّة فغالبها مستمدَّة من الشَّافِعِي ، وَأبي عبيد ، وَأَمْثَالِهِمَا . وأمَّا الْمَسَائِلُ الْكَلَامِيَّةُ فَأَكْثَرُهَا مِنَ الْكَرَابِيسِيِّ ، وبن كِلَابٍ ، وَنَحْوِهِمَا " [٢] .

ومن المعلوم أنَّ الإمام البخاري صنَّف كتابه : " خلق أفعال العباد " للتَّدليل على رأيه في مسألة اللفظ بالقرآن ، والتي قال بها واعتقدها جمهور الأمَّة المنزِّهين لله تعالى ، قال الإمام تاج الدِّين السُّبكي : " فَإِن الْحق فِي

---

[١] انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١/ ٣٢٠-٣٢١) .

[٢] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٤٣) .

مَسْأَلَة اللَّفْظ مَعَه – أي البخاري – إِذْ لَا يستريب عَاقل من المخلوقين فِي أَنَّ تلفُّظه من أَفعاله الْحَادِثَة الَّتِي هِيَ مخلوقة لله تَعَالَى ، وإِنَّما أنكرها الإِمَام أَحْمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لبشاعة لَفظهَا " (١) .

وعلى خطى الإمام البخاري في مسألة التَّلفُّظ بالقرآن ، وأنَّه من الأفعال المخلوقة سار تلميذه الإمام مسلم ، قال الإمام الذَّهبي : " وَكَانَ مُسْلِمٌ يُظْهِرُ القَوْلَ بِاللَّفْظِ وَلاَ يَكْتُمُهُ " (٢) .

وقد وافق على القول بأنَّ التَّلفُّظ بالقرآن من الأفعال المخلوقة الإمام الذَّهبي تلميذ ابن تيمية ، فقال موافقاً الإمام الكرابيسي في هذه المسألة : " وَلاَ رَيْبَ أَنَّ مَا ابْتَدَعَهُ الكَرَابِيْسِيُّ ، وَحَرَّرَهُ فِي مَسْأَلَةِ التَّلَفُّظِ ، وأنَّه مَخْلُوْقٌ هُوَ حَقٌّ ، لَكِنْ أَبَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ ، لِئَلاَّ يُتَذَرَّعَ بِهِ إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ ، فَسُدَّ البَابُ ؛ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَفرِزَ التَّلفُّظَ مِنَ المَلْفُوْظِ الَّذِي هُوَ كَلاَمُ اللهِ إِلاَّ فِي ذِهْنِكَ " (٣) .

الثَّالِثُ : دعواهم رجوع كثيرٌ من المتكلِّمين عن علم الكلام ... وهذا كذب افتعله من لا يستحي ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَذكر ابْن السَّمْعَانِيّ أَيْضاً أَنَّه سمع أَبَا الْعَلَاء أَحْمد بن محمَّد بن الْفضل الْحَافِظ بأصبهان ذكر عَن محمَّد بن طَاهِر الْمَقْدِسِي الْحَافِظ ، قَالَ : سَمِعت أَبَا الْحسن القيرواني الأديب بنيسابور ، وَكَانَ مِمَّن يخْتَلف إِلَى درس إِمَام الْحَرَمَيْنِ أَنَّه قَالَ : سَمِعت أَبَا الْمَعَالِي ، يَقُول : لَا تشتغلوا بالْكلَام ، فَلَو عرفت أَنَّ الْكَلَام يبلغ بِي مَا بلغ مَا اشتغلت بِهِ .

قلت أَنا : يشبه أَن تكون هَذِه الْحِكَايَة مكذوبة ، وَابْن طَاهِر عِنْده تحامل على إِمَام الْحَرَمَيْنِ ، والقيرواني الْمشَار إِلَيْهِ رجل مَجْهُول ، ثمَّ هَذَا الإِمَام الْعَظِيم الَّذِي مَلَأت تلامذته الأَرْض لَا ينْقل هَذِه الْحِكَايَة عَنهُ غير رجل مَجْهُول وَلَا تعرف من غير طَرِيق ابْن طَاهِر إِن هَذَا لعجيب وأغلب ظَنِّي أَنَّهَا كذبة افتعلها من لَا يستحي وَمَا الَّذِي بلغ بِهِ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ علم الْكَلَام أَلَيْسَ قد أعزَّ الله بِهِ الْحق وَأظْهر بِهِ السّنة وأمات بِهِ الْبِدْعَة " (٤) .

أقول : وحتى لو رجع البعض عن علم الكلام ، فهل في رجوعهم دليل على ذمِّ علم الكلام الذي هو سبيل أمثل لتعلُّم الحجج الكلاميَّة ، والرَّدّ بها على المخالفين ؟!!! مع العلم أنَّه أفتى غير واحد من العلماء بأنَّ

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٣) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٠) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٨٢) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٨٦-١٨٧) .

تعلُّم علم الكلام من فروض الكفايات ، قال الإمام أبو حنيفة في ردِّه على من ذمَّ علم الكلام ، بحجة أنَّ الصَّحابة والسَّلف لم يتعلَّموه ، ولم يخوضوا فيه : " وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ، ويستحل الدِّماء منَّا ، فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطئ منَّا ومن المصيب ، وأنَّ لا نذبَّ عن أنفسنا وحرمنا ، فمثل أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلَّفون السِّلاح ، ونحن قد ابتُلينا بمن يطعن علينا ، ويستحلُّ الدِّماء منَّا ... " (١) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " فإن قلت : فلمَ لمْ تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبيِّن أنَّهما مذمومان أو محمودان ؟ فاعلم أنَّ حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلَّة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو إمَّا مجادلة مذمومة ، وهي من البدع كما سيأتي بيانه ، وإمَّا مشاغبة بالتَّعلُّق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترَّهات وهذيانات تزدريها الطِّباع ، وتمجُّها الأسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلَّق بالدِّين ، ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأوَّل ، وكان الخوض فيه بالكليَّة من البدع ، ولكن تغيَّر الآن حكمه ، إذ حدثت البدعة الصَّارفة عن مقتضى القرآن والسُّنَّة ، ونبعت جماعة لفَّقوا لها شبهاً ، ورتَّبوا فيها كلاماً مؤلَّفاً ، فصار ذلك المحذور بحكم الضَّرورة مأذوناً فيه ، بل صار من فروض الكفايات ، وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدَّعوة إلى البدعة " (٢) .

ويستمر تكفيرهم للمتكلِّمين ...

السَّادِسَةُ : زعموا أنَّ علم الكلام أدَّى ببعض المتكلِّمين إلى الكفر الجلي !!! وجحد ما في الكتاب والسُّنَّة من الصِّفات !!! وبسبب ذلك كفَّرهم بعض السَّلف ، فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " ولذلك ضلَّ من ضلَّ من المتكلِّمين في إثبات وجود الربّ !!! ووجود ذاته !!! وقال بنفي الصِّفات ؛ بناء على أنَّ الكلِّي لا يتقيَّد ، ولا يتخصَّص بصفة من الصِّفات ؛ وهذا من أكبر قواعدهم ، وإفكهم الذي جرَّ إليهم الكفر الجلي !!! وجحد ما في الكتاب والسُّنَّة من الصِّفات !!!

---

(١) انظر : العـالم والمتعلم (ص١٢) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٢) .

وكلام السَّلف في تكفيرهم وتضليلهم موجود مشهور !!! لا نطيل بذكره ، فمن أقلِّ ما قيل فيهم ، قول محمَّد بن إدريس الشَّافعي : حكمي في أهل الكلام : أن يُضربوا بالجريد والنِّعال ، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنَّة ، وأقبل على علم الكلام (١) .

وقد تضمَّن كلامهم السَّابق التَّصريح بكفر وضلال المتكلِّمين الجلي !!! وأنَّ الأمر وصل بالمتكلِّمين إلى درجة إنكار الربِّ تعالى ، ونفي الصِّفات ؛ ولذلك حكم السَّلف بتكفيرهم وتضليلهم ... وكم نتمنَّى أن يذكروا لنا أقوال السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين بتكفير المتكلِّمين ... كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

والحقّ أنَّ كلام من نهى عن علم الكلام لا يصبُّ إلَّا في مصبِّ أهل الأهواء الذين هم أصحاب البدع والضَّلالات التي يدعون إليها ويقدِّمونها على الشَّرع الحنيف ، وخاصَّة البدع الاعتقاديَّة كبدع الخوارج والمعتزلة والمرجئة والمجسِّمة ... وقد حذَّر القرآن منهم وممَّا يحملون من أفكار ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠] ، وقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] ، وقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] .

فمن الذين ورد عنهم النهي عن علم الكلام : الإمام الشَّافعي ، حيث رووا عنه أنَّه قال : " لأن يلقى الله العبدُ بكلِّ ذنب ما عدا الشِّرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام " (٢) ، نقلاً عن ابن عبد الأعلى ، والحقّ أنَّ الثَّابت عن الإمام الشَّافعي هو ما رواه البيهقي ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، أنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَيَّانَ الْقَاضِي ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ ، أنا أَبُو يَحْيَى السَّاجِيُّ ، أَوْ فِيمَا أَجَازَ لِي مُشَافَهَةً ، نا الرَّبِيعُ قَالَ: سَمِعْتُ

(١) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (٢/ ٣٣٤) ، وكلام الشافعي أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص٧٨) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٦) ، الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩) ، ابن حجر العسقلاني في توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس لابن حجر (ص١٢٩) ، ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٢٢١) ، ابن عبد البر في الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم (ص٨٠) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين (١/ ٩٥) .

الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : " لِأَنْ يَلْقَى اللهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية : " قَالَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي : مَنْ طَلَبَ الدِّينِ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ ، قَالَ أَحْمَد : مَا ارْتَدَى أَحَدٌ بِالْكَلَامِ فَأَفْلَحَ " (٢) .

قلت : ومثل ما ورد عن الشَّافعي ورد عن مالك وأحمد والنَّخعي والشَّعبي وعطاء ومكحول...

وقال الإمام البيَّاضي : " وكذا ما روي عن مالك أنّ أهل الكلام أهل البدعة محمول عل كلام المُخالفين كما تدلُّ عليه التَّسمية ـ فإنَّه كان خاصّاً بكلامهم في عصر السَّلف كما صرَّح به البيهقي " (٣) .

وفي ترجمته للإمام ابن هرمز ، ذكر الإمام الذَّهبي أنّه كَانَ بَصِيْراً بِالكَلاَمِ ، يَردُّ عَلَى أَهْلِ الأَهْوَاءِ ، وقد أخذ عنه مالكٌ ، قال الإمام الذَّهبي : " ابْنُ هُرْمُزَ عَبْدُ الله بنُ يَزِيْدَ الأَصَمُّ .

فَقِيْهُ المَدِيْنَةِ ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الله بنُ يَزِيْدَ بنِ هُرْمُزَ الأَصَمُّ ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ . . . عِدَادُهُ فِي التَّابِعِيْنَ . وَقَلَّمَا رَوَى ، كَانَ يَتعبَّدُ ، وَيَتزهَّدُ ، وَجَالَسَهُ مَالِكٌ كَثِيْراً ، وَأَخَذَ عَنْهُ .

قَالَ مَالِكٌ : كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَقْتدِيَ بِهِ ، وَكَانَ قَلِيْلَ الفُتْيَا ، شَدِيْدَ التَّحفُّظِ ، كَثِيْراً مَا يُفْتِي الرَّجُلَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ مَنْ يَردُّه ، ثُمَّ يُخْبِرُه بِغَيْرِ مَا أَفْتَاهُ .

وَكَانَ بَصِيْراً بِالكَلاَمِ ، يَردُّ عَلَى أَهْلِ الأَهْوَاءِ ، كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِذَلِكَ ، بَيَّنَ مَسْأَلَةً لابْنِ عَجْلاَنَ ، فَلَمَّا فَهِمَهَا ، قَامَ إِلَيْهِ ابْنُ عَجْلاَنَ ، فَقَبَّلَ رَأْسَه (٤) ...

ومن المعلوم أنَّ الشَّافعي وغيره لا يقصِدون بكلامهم : المتكلِّمين من أهل السُّنَّة ، وإنَّما قصدوا به المعتزلة الذين اعتمدوا على العقول فجعلوها أصلاً ، وجعلوا النَّقل تابعاً له ، أمَّا المتكلِّمين من أهل السُّنَّة ، وهم الأشاعرة والماتريديَّة ، فلا ينطبق عليهم كلام الشَّافعي ، لأنَّهم على عكس المعتزلة ، فقد جعلوا النَّقل حاكماً على

---

(١) انظر : القضاء والقدر (ص٣٢٨) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٦٢١) .

(٣) انظر : إشارات المرام من عبارات الإمام (ص٢٢) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧٩) .

العقل لا تابعاً له ، فالنَّقل الصَّحيح المحكم هو الأصل ، والعقل تابع له ، ودليل ذلك ، قول الشَّافعي ضمن كلامه السَّابق : هذا جزاء من يترك الكتاب والسُّنَّة وأقبل على الكلام ...

قال الإمام ابن عساكر : " قَالَ أَبُو بكر الْبَيْهَقِيّ وَرُوِيَ هَذَا أَيْضاً عَن مَالك بن أنس ، قَالَ : وَإِنَّمَا يريدوالله أعلم بالْكَلَام كَلَام أهل الْبدع ، فَإِن فِي عصرهما إِنَّمَا كَانَ يعرف بالْكَلَام أهل الْبدع ، فَأَما أهل السُّنَّة فقلَّما كَانُوا يَخُوضُونَ فِي الْكَلَام حَتَّى اضطروا إِلَيْهِ بعد ، فَهَذَا وَجه من الْجَواب عَن هَذِهِ الْحِكَايَة وناهيك بقائله أَبِي بكر الْبَيْهَقِيّ ، فقد كَانَ من أهل الرِّوَايَة والدراية ، وتحتمل وَجهاً آخر وَهُوَ أَن يكون الْمُرَاد بهَا أَن يقْتَصر على علم الْكَلَام وَيتْرك تعلم الْفِقْه الَّذِي يتَوَصَّل بِهِ إِلَى معرفَة الْحَلَال وَالْحَرَام ويرفض الْعَمَل بِمَا أَمر بِفِعْلِهِ من شرائع الْإِسْلَام وَلَا يلْتَزم فعل مَا أَمر بِهِ الشَّارِع وَترك مَا نهى عَنهُ من الْأَحْكَام ، وَقد بَلغنِي عَن حَاتِم بن عنوان الأصم وَكَانَ من أفاضل الزهَّاد وَأهل الْعلم أَنه قَالَ : الْكَلَام أصل الدّين وَالْفِقْه فَرعه وَالْعَمَل ثمره فَمن اكْتفي بالْكَلَام دون الْفِقْه وَالْعَمَل تزندق ، وَمن اكْتفي بِالْعَمَلِ دون الْكَلَام وَالْفِقْه ابتدع ، وَمن اكْتفي بالفقه دون الْكَلَام وَالْعَمَل تفسَّق وَمن تفنن فِي الأَبواب كلهَا تخلَّص " (١) .

قال البيهقي في الجواب عن ذلك : " وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى قَوْماً يَتَجَادَلُونَ فِي الْقَدَرِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : " فِي كِتَابِ اللهَّ الْمَشِيئَةُ لَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، وَالْمَشِيئَةُ إِرَادَةُ اللهَّ يَقُولُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ [الإنسان: ٣٠] فَأَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ لَهُ ... " (٢) .

فكلام الشَّافعي وغيره ممَّن تكلَموا في هذا الباب لا ينصرف إلَّا إلى أمثال هؤلاء ، وأمَّا الكلام الذي لا يتعارض مع الكتاب والسُّنَّة ، فهو من باب الممدوح المحمود ، خاصَّة وأنَّ الشَّافعي خاض عُبابه من خلال مناظرته لبشر المريسي وحفص الفرد (٣) ...

وقد أكَّد الإمام البيهقي على ذلك في كتابه " مناقب الشافعي " ، قال البيهقي : إنَّما أراد الشَّافعي ، رحمه الله ، بهذا الكلام حفصاً وأمثاله من أهل البدع . وهذا مراده بكلِّ ما حكى عنه في ذمّ الكلام وذم أهله ، غير أنَّ بعض الرُّواة أطلقه ، وبعضهم قيَّده ، وفي تقييد من قيده دليل على مراده :

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٣٤) .

(٢) انظر : القضاء والقدر (ص٣٢٨) .

(٣) انظر بعض تفاصيل المناظرة في : الإبانة الكبرى (٦/ ٥١) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٢) .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حبَّان ، قال : حدَّثنا محمَّد بن عبد الرَّحمن بن زياد ، قال : سمعت أبا الوليد بن الجارود يقول :

دخل حفص الفرد على الشَّافعي فكلَّمه ، ثمَّ خرج إلينا الشَّافعي فقال لنا : لأن يلقى اللهَ العبدُ بذنوب مثل جبال تِهَامَة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف ممَّا عليه هذا الرَّجل وأصحابه . وكان يقول بخلق القرآن .

وهذه الرِّوايات تدلُّ على مراده بما أطلق عنه فيما تقدَّم وفيما لم يذكر هاهنا .

وكيف يكون كلام أهل السُّنَّة والجماعة مذموماً عنده وقد تكلَّم فيه ، وناظر من ناظره فيه ، وكشف عن تمويه من ألقى إلى سمع بعض أصحابه من أهل الأهواء شيئاً مما هم فيه ؟

أخبرنا بصحَّة ذلك أبو عبد الله الحافظ ، قال : أخبرني أبو أحمد ابن أبي الحسن ، قال : حدَّثنا عبد الرَّحمن – يعني ابن محمد – قال في كتابي عن الرَّبيع بن سليمان قال :

حضرت الشَّافعي – أو حدَّثني أبو شعيب إلَّا أنِّي أعلم أنَّه حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد – وكان الشَّافعي يسمِّيه المنفرد – فسأل حفص عبد الله بن عبد الحكم فقال : ما تقول في القرآن ؟ فأبى أن يجيبه ، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه . وكلاهما أشار إلى الشَّافعي . فسأل الشافعيَّ ، فاحتجَّ الشافعيّ ، وطالت المناظرة ، وغلب الشَّافعي بالحجَّة عليه : بأنَّ القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، وكفَّر حفصاً الفرد .

قال الرَّبيع: فلقيت حفصاً الفرد فقال: أراد الشَّافعي قتلي .

وقرأت في كتاب أبي يحيى : زكريا بن يحيى السَّاجي ، فيما رواه الشَّيخ أبو الفضل الجارودي الحافظ ، عن أبي إسحاق القزّاز ، قال : حدَّثنا زكريًا ، قال : سمعت أبا شعيب المصري – شيخ من أصحاب الحديث – يقول : حضرت الشَّافعي : محمَّد بن إدريس ، وعنده يوسف بن عمرو بن يزيد ، وعبد الله بن عبد الحكم ، في منزله فدخل عليهم حفصٌ الفرد، وكان متكلِّماً مناظراً، فقال ليوسف: ما تقول في القرآن ؟ فقال : كلام الله ، ليس عندي غير هذا . وجعلوا يحيلون على الشَّافعي فأقبل حفص الفرد على الشَّافعي فقال : إنَّهم يحيلون عليك . فقال له الشَّافعي : دع هذا عنك . فلم يزل به ، فقال له الشَّافعي : ما تقول أنت في القرآن ؟

قال : أقول : أنَّه مخلوق .

قال : من أين قُلْتَ ؟

قال : فلم يزل يحتج عليه حفصٌ الفرد بأنَّه مخلوق ، ويحتجُّ الشَّافعي ، رضي الله عنه ، بأنَّه كلام الله غير مخلوق ، حتى كَفَّره الشَّافعي وقطعه .

قال أبو شعيب : وحججهما عندي في كتاب . قال أبو شعيب : فلمَّا كان من الغد لقيني حفصٌ الفرد في سوق الزّجاج فقال : أمَّا رأيت ما صنع بي الشَّافعي ؟ أحبَّ أن يريهم أنَّه عالم . ثم أقبل عليَّ فقال : مع أنَّه ما تكلَّم أحد في هذا مثله ولا أقدر منه على هذا (١) .

وقال العلَّامة البيَّاضي الحنفي في "إشارات المرام " ما نصّه : "وكذا ما روي عن أحمد بن حنبل أنَّه بدعة وأنَّه لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، فإنَّ المراد منه كلام أهل الأهواء " (٢) .

فإن قيل : قال الحافظ ابن حجر : وقال أبو القاسم النَّصر آباذي : بلغني !! أنَّ الحارث – المحاسبي – تكلَّم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاختفى " (٣) .

فالجواب : أنَّ ما قيل عن منع الشَّافعي للكلام يندرج على أحمد ، بدليل ما قاله الإمام ابن كثير ، فقد جاء في " البداية والنِّهاية " : " وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي الْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ إِذَا جَاءَ مَنْزِلَكَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ! وَفَرِحْتُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الْحَارِثِ فَقُلْتُ له : إني أحب أن تحضر الليلة عندي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ .

فَقَالَ : إِنَّهُمْ كَثِيرٌ فَأَحْضِرْ لَهُمُ التمر والكسب .

فلمَّا كان بين العشاءين جاؤوا وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَدْ سَبَقَهُمْ فَجَلَسَ فِي غُرْفَةٍ بِحَيْثُ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ ، فلما صلوا العشاء الآخرة لم يصلوا بعدها شيئاً ، بل جاؤوا فجلسوا بين يدي الحارث سكوتاً مطرقي الرؤوس ، كأنما على رؤوسهم الطير ، حتى إذا كان قريباً من نصف الليل سأله رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع وَالْوَعْظِ ، فَجَعَلَ هَذَا يَبْكِي وَهَذَا يَئِنُّ وَهَذَا يزعق ، قال : فصعدت إلى الإمام أحمد إلى الغرفة فإذا هو يَبْكِي حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى الصَّبَاحِ، فَلَمَّا أَرَادُوا

---

(١) انظر : مناقب الشافعي ، البيهقي (ص٤٥٤-٤٥٦).

(٢) انظر : إشارات المرام من عبارات الإمام (ص٢٢) .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب (٢/ ١٣٥) .

الإِنْصِرَافَ قُلْتُ : كَيْفَ رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ؟ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً يَتَكَلَّمُ فِي الزُّهْدِ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا أَرَى لَكَ أَنْ تَجْتَمِعَ بِهِمْ .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : يُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَرِهَ لَهُ صُحْبَتَهُمْ لِأَنَّ الْحَارِثَ بْنَ أَسَدٍ ، وَإِنْ كان زاهداً ، فإنه كان عنده شئ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَكَانَ أَحْمَدُ يَكْرَهُ ذَلِكَ ، أَوْ كَرِهَ لَهُ صُحْبَتَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ سُلُوكَ طَرِيقَتِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ " (١) .

وقال تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَذكر الْحَاكِم أَبُو عبد الله أَن أَبَا بكر أَحْمد بن إِسْحَاق الصبغى أخبرهُ قَالَ سَمِعت إِسْمَاعِيل بن إِسْحَاق السراج يَقُول قَالَ لى أَحْمد بن حَنْبَل بلغنى أَن الْحَارِث هَذَا يكثر الْكَوْن عنْدك فَلَو أحضرته مَنْزِلك وأجلستنى من حَيْثُ لَا يرانى فَأَسْمع كَلَامه فقصدت الْحَارِث وَسَأَلته أَن يحضرنا تِلْكَ اللَّيْلَة وَأَن يحضر أَصْحَابه فَقَالَ فيهم كَثْرَة فَلَا تزدهم على الْكسْب وَالتَّمْر فَأتيت أَبَا عبد الله فأعلمته فَحَضَرَ إِلَى غرفَة واجتهد فى ورده وَحضر الْحَارِث وَأَصْحَابه فَأَكَلُوا ثمَّ صلوا الْعَتَمَة وَلم يصلوا بعْدهَا وقعدوا بَين يدى الْحَارِث لَا ينطقون إِلَى قريب نصف اللَّيْل ثمَّ ابْتَدَأَ رجل مِنْهُم فَسَأَلَ عَن مَسْأَلَة فَأخذ الْحَارِث فى الْكَلَام وَأَصْحَابه يَسْتَمِعُون كَأَن على رؤوسهم الطير فَمنهمْ من يبكى وَمِنْهُم من يحن وَمِنْهُم من يزعق وَهُوَ فى كَلَامه فَصَعدت الغرفة لأتعرف حَال أَبى عبد الله فَوَجَدته قد بَكَى حَتَّى غشى عَلَيْهِ فَانْصَرَفت إِلَيْهِم وَلم تزل تِلْكَ حَالهم حَتَّى أَصْبحُوا وذهبوا فَصَعدت إِلَى أَبى عبد الله فَقَالَ مَا أعلم أَنى رَأَيْت مثل هَؤُلَاءِ الْقَوْم وَلَا سَمِعت فى علم الْحَقَائِق مثل كَلَام هَذَا الرجل وَمَعَ هَذَا فَلَا أرى لَك صحبتهم ثمَّ قَامَ وَخرج وفى رِوَايَة أُخْرَى أَن أَحْمد قَالَ لَا أنكر من هَذَا شَيْئاً .

قلت : تَأمل هَذِه الْحِكَايَة بِعَين البصيرة وَاعْلَم أَن أَحْمد بن حَنْبَل إِنَّمَا لم ير لهَذَا الرَّجل صحبتهم لقصوره عَن مقامهم !!! فَإِنَّهُم فى مقَام ضيق لَا يسلكه كل أحد فيخاف على سالكه وَإِلَّا فَأَحْمَد قد بَكَى وشكر الْحَارِث هَذَا الشُّكْر وَلكُل رأى واجتهاد حشرنا الله مَعَهم أَجْمَعِينَ فى زمرة سيد الْمُرْسلين صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وعَلى آله وَأَصْحَابه وَسلم " (٢) .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٦٣) ، دار إحياء التراث العربي .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧٩) .

فبناء على ما سبق بيانه فإنَّ " ذمَّ السَّلف رحمهم الله تعالى كالنَّخعي والشَّعبي وعطاء ومكحول وأضرابهم للكلام ، ومنعهم عن الخوض فيه للأنام محمول على كلام المُخالفين لأهل السُّنَّة من مبتدعة القدريَّة المتشبِّثة بالفلسفة والشِّيعة وأمثالهم النَّاشئين في أواخر زمان السَّلف الصَّالحين ، وعلى المُناظرة فيه للغلبة ، والإيراد والخوض مع المتوغِّلين فيما لا يتوقَّف عليه إثبات أُصول الدِّين " (١) .

" وَفِي الْجُمْلَة لَا يجْحَد علم الْكَلَام إِلَّا أحد رجلَيْنِ : جَاهِل رَكَنَ إِلَى التَّقْلِيد وشق عَلَيْهِ سلوك طرق أهل التَّحْصِيل وخلا عَن طرق أهل النَّظر وَالنَّاس أَعدَاء مَا جهلوا ، فَلَمَّا انْتهى عَن التَّحقُّق بِهَذَا الْعلم نهى النَّاس ليضلَّ كَمَا ضلّ أَو رجل يعْتَقد مَذَاهِب فَاسِدَة فينطوي على بدع خُفْيَة يلبس على النَّاس عوار مذْهبه ويعمي عَلَيْهِم فضائح عقيدته وَيعلم أَنَّ أهل التَّحْصِيل من أهل النَّظر هم الَّذين يهتكون السّتْر عَن بدعهم ويظهرون للنَّاس قبح مقَالاتهم والقلاب لَا يحب من يُمَيّز النُّقُود والخلل فِيمَا فِي يَده من النُّقُود الْفَاسِدَة كالصرَّاف ذِي التَّمْيِيز والبصيرة ، وَقد قَالَ اللهَّ تَعَالَى : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [الزمر: ٩] (٢) .

وأخيراً ... فإذا كان علم الكلام مثلبة ، فإنَّ ابن تيمية خاض في بحره حتى الثُّمالة ... فكتابه – مثلاً – " درء تعارض العقل والنَّقل " يُعتبر بحقٍّ من كُتب أهل الكلام ، فكيف تحلِّلونه لابن تيمية ، الذي ساح فيه وغاص فيه إلى الأذقان ... نبَّؤني ...

السَّابِعَةُ : اتَّهموا المتكلِّمين بأنَّهم أساس الشِّرك في العالم ، وأنَّهم الآمرون بالشِّرك ، والفاعلون له !!! ومن لم يأمر منهم بالشِّرك ، فلم ينه عنه ، بل يقرُّ هؤلاء وهؤلاء ... فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " وقال أبو العبَّاس ابن تيمية ، في الردِّ على المتكلِّمين ، لما ذكر بعض أحوال أئمَّتهم ، قال : وكلُّ شرك في العالم ، إنَّما حدث برأي جنسهم ؛ فهم الآمرون بالشِّرك ، والفاعلون له !!! ومن لم يأمر منهم بالشِّرك ، فلم ينه عنه ، بل يقرُّ هؤلاء وهؤلاء !!! وإن رجَّح الموحِّدين ترجيحاً ما ، فقد يرجِّح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً ، فتدبَّر هذا ، فإنَّه نافع جداً .

---

(١) انظر : إشارات المرام من عبارات الإمام (ص٣١) .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٥٩) .

ولهذا كان رؤساؤهم المتقدِّمون والمتأخِّرون ، يأمرون بالشِّرك !!! وكذلك الذين كانوا في ملَّة الإسلام لا ينهون عن الشِّرك ، ويوجبون التَّوحيد ، بل يسوِّغون الشِّرك ، أو يأمرون به ، أو لا يوجبون التَّوحيد ، وقد رأيت من مصنَّفاتهم ، في عبادة الملائكة ، وعبادة الأنفس المفارقة ، وأنفس الأنبياء ، وغيرهم ، ما هو أصل الشِّرك ، وهم إذا ادَّعوا التَّوحيد ، إنَّما توحيدهم بالقول ، لا بالعبادة والعمل " (١) .

ولا أجد تعليقاً مناسباً على ما هرفوا به هنا إلَّا القول : إذا لم تستح ولم تخجل ولم ترعوي فقل ما شئت ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ... وستُكتب شهادتُهم ويُسألون .

الثَّامِنَةُ : اتَّهموا المتكلِّمين بالرِّدَّة ، وأنَّ الكثير منهم ، تارة يرتدُّ عن الإسلام ردَّة صريحة !!! وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق !!!

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " نقلاً عن ابن تيمية : " وقال أيضاً في أثناء كلامه على المتكلِّمين ، ومن شاكلهم ، لما ذكر عن أئمَّتهم شيئاً من أنواع الردَّة ، والكفر ، قال رحمه الله : وهذا إذا كان في المقالات الخفيَّة ، فقد يقال : أنَّه فيها مخطئٌ ضالٌّ ، لم تقم عليه الحجَّة ، التي يكفر صاحبها ؛ لكن ذلك يقع في طوائف منهم ، في الأمور الظَّاهرة ، التي يعلم المشركون واليهود والنَّصارى ، أنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بها ، وكفر من خالفها ، مثل : أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سواه ، من النَّبيين والملائكة وغيرهم ؛ فإنَّ هذا أظهر شرائع الإسلام .

ثمَّ تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدِّين ؛ وكثير منهم ، تارة يرتدُّ عن الإسلام ردَّة صريحة !!! وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق !!! والحكاية عنهم في ذلك مشهورة . وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفاً في أوَّل مختلف الحديث ؛ وأبلغ من ذلك : أنَّ منهم من صنَّف في الردَّة ، كما صنَّف الرَّازي في عبادة الكواكب ، وهذه ردَّة عن الإسلام باتفاق المسلمين . هذا لفظه بحروفه .

فانظر كلامه في التَّفرقة بين المقالات الخفيَّة ، وبين ما نحن فيه ، في كفر المعيَّن ، وتأمَّل تكفيره رؤوسهم ، فلاناً وفلاناً بأعيانهم ، وردَّتهم ردَّة صريحة ، وتأمَّل تصريحه بحكاية الإجماع !!! على ردَّة الفخر الرَّازي عن الإسلام ، مع كونه عند علمائكم من الأئمَّة الأربعة ... " (٢) .

---

(١) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (٢/ ٣٣٤) .

(٢) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١٠/ ٧١-٧٢) .

وقد سبق الكلام على السَّبب الذي لأجله حكموا بكفر الإمام الرَّازي ، ووضَّحنا أنَّه بريء ممَّا رماه به من لا يستحي ...

التَّاسِعَةُ : اتَّهموا المتكلِّمين بأنَّهم لا يفهمون ولا يعرفون التَّوحيد ، ولا يفرِّقون بينه وبين ما يضادّه من الشِّرك ؛ وهذا وقع كثير منهم في الشِّرك !!!

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... والغربة : إنَّما هي في معرفة ما دعا إليه من التَّوحيد ، والنَّهي عن ما يضادّه من الشِّرك ؛ وهذا قد صار مجهولاً عند أكثر الأمَّة ، حتى من ينتسب إلى العلم ، من المتكلِّمين وأتباعهم ؛ فلهذا وقع كثير منهم في الشِّرك !!! فعاد الإسلام في هذه الأمَّة غريباً كما بدأ، لعموم البلوى بالشِّرك ، وظهوره في المشارق والمغارب ، وبناء المساجد على القبور والمشاهد ، وعبادتها بكلِّ ما يعبد به الله من أنواع العبادة .

وهذا لا يقدر أحد على إنكاره ، وأنَّه وقع في الأمَّة بعد القرون المفضَّلة ، وعمَّت به البلوى ؛ فظنَّ الأكثر أنَّ التَّوحيد إنَّما هو توحيد الرُّبوبيَّة ، الذي أقرَّ به المشركون ، كما في قوله : ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ إلى قوله : ﴿تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩] ، وقوله : ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] ، وهذا هو الذي عند الأشعري وغيره من أمثاله .

وأمَّا توحيد الإلهيَّة ، الذي جحده مشركو قريش والعرب ابتداء ، فما عرفوا التَّوحيد ، وهو الذي دعت إليه الرُّسل من أولهم إلى آخرهم ، فلهذا وقع الأكثر في الشِّرك الأكبر المنافي لهذا التَّوحيد ، بدعوتهم الأموات في الرَّغبات والرَّهبات ، والاستغاثة بهم في المهمَّات ؛ فإذا لم ينكر العلماء هذا الشِّرك ، ولا عرفوا الإخلاص الذي هو الدِّين ، الذي شرعه الله للأنبياء والمرسلين ، وقعوا في الشِّرك ، وتبعهم على ذلك الخلق الكثير والجمُّ الغفير .

وقد صُنِّفت المصنَّفات في جواز هذا الشِّرك !!! كما ذكره شيخ الإسلام عن جماعة ممن ينتسب إلى العلم ، كأبي معشر البلخي ، والفخر الرَّازي ، وثابت بن قرة ، ومحمَّد بن النُّعمان ، وابن البكري ، وابن الأخنائي وغيرهم ، فلم ينكر هذا الشِّرك الذي أخبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يقع في أمَّته إلا الفرقة النَّاجية !!! وهم الأقلُّون عدداً !!! الأعظمون قدراً عند الله !!! سنذكر بعضهم إن شاء الله تعالى " [١] .

---

[١] انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١٢/ ٣٠٨-٣٠٩) .

وجاء في رسالة الشَّيْخ سليمان بن سمحان في الرَّدِّ على أحد معارضيه المسمَّى بشرف نزيل البحرين : " ... فإذا عرفت هذا تبيَّن لك أنَّ هذا الضَّال المضلَّ إنَّما سلك مسلك هؤلاء المتأخِّرين الحيارى المتهوِّكين ، الذين أخذوا عقائدهم عن أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضُّلال اليهود والنَّصارى والصَّابئين ، وأشكالهم وأشباههم من المتكلِّمين الذين كثر في باب الدِّين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم .

وتبيَّن لك أيضاً أنَّ شيخ الإسلام ، وعلم الهداة الأعلام ، الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، رحمه الله ، كان على طريقة السَّلف الماضين ، والأئمَّة المهتدين ، فيما يقولونه ويعتقدونه ؛ ولكن هذا الرَّجل من أعداء الله ، الذين قاموا في عداوة هذا الدِّين ومن قام به ، واتبع ﴿ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧] ، لأنَّهم -، والعياذ بالله - قد انهمكوا في الشُّبهات ، وتلقّوها عن أهل الجهل والضَّلالات ، فانقلبت لديهم الحقائق ، والتبست عليهم المعارف بالشَّقاشق " (١) .

العَاشِرَةُ : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " أنَّ علم الكلام بدعة وضلالة " (٢) .

والضَّلال في العقيدة يُطلق على كلِّ ما يُضادّ الهُدى والرَّشاد ، فهو ضدّ الهداية ، وكذا يُطلق على العدول عن طريق الاستقامة ، ويُطلَق على الكفر، وعلى الشِّرك وكلّ ما يُضادّ الإيمان ... ، فهو سبيلٌ للهلاك والخُسران ...

فهذا بعض ما قالوه في تكفير السَّادة المتكلِّمين الذين ما كانت تهمتهم إلَّا أنَّهم أيَّدوا عقائد السَّلف الصَّالح بحجج وبراهين عقليَّة كلاميَّة أُصوليَّة ...

ونختم هذا الفصل بأسماء بعض العلماء المتكلِّمين ... أُولئك الصِّيد الميامين من العلماء الذين كفَّرهم من يدَّعون السَّلفيَّة ، مع أنَّ الواقع يشهد بأنَّ الكثير من علماء الأُمَّة هم من المتكلِّمين ، ونبدأ بما قاله الإمام الذَّهبي تلميذ الإمام ابن تيمية في ترجمته لبعضهم ، تلكم التَّراجم التي ما حملت إلَّا مدحاً ، وعرفاناً بالجميل لصنيع المتكلِّمين ، ولم يقل في حقِّ إيٍّ منهم هجراً ، قال الإمام الذَّهبي في كتابه : " سير أعلام النُّبلاء " في ترجمة أَبي

---

(١) انظر : الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة (١٢/ ٥٢٦-٥٢٧) .

(٢) نظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥١) .

محمَّد عَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيْدِ بن كُلاَّبٍ القَطَّانُ ، البَصْرِيُّ (كان باقياً قبل الأربعين ومائتين) : " صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ فِي الرَّدِّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ ، وَرُبَّمَا وَافَقَهُم . رَأْسُ المُتَكَلِّمِيْنَ بِالبَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ : كُلاَّباً ؛ لأَنَّه كَانَ يَجُرُّ الخَصْمَ إِلَى نَفْسِهِ بِبَيَانِه وَبَلاَغَتِه . وَأَصْحَابُهُ هُمُ الكُلاَّبِيَّةُ ، لَحِقَ بَعْضَهُم أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ ، وَكَانَ يَرُدُّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ . وَقَدْ كَانَ بَاقِياً قَبْلَ الأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ " (١) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بنُ محمَّد بنِ شِرْشِيْر الأَنْبَارِيُّ ، المُلَقَّب : بِالنَّاشِي (٢٩٣هـ) : " مِنْ كِبَارِ المتكلِّمِيْنَ ، وَأَعيَانِ الشُّعَرَاءِ ، وَرُؤُوْسِ المَنْطِقِ " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة الإمام الأشعري : " العَلاَّمَةُ ، إِمَامُ المُتَكَلِّمِين ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ أَبِي بِشْرٍ إِسْحَاقَ بنِ سَالِمِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُوْسَى ابنِ أَمِيْرِ البَصْرَةِ بِلاَلِ بنِ أَبِي بُرْدَةَ ابنِ صَاحِب رَسُوْل اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبِي مُوْسَى عَبْدِ اللهِ بنِ قَيْس بن حَضَّارٍ الأَشْعَرِيُّ ، اليَمَانِيُّ ، البَصْرِيُّ . مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ " (٣) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي الحَسَنِ البَاهِلِيُّ البَصْرِيُّ ، تِلْمِيْذُ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ : " العَلاَّمَةُ ، شَيْخُ المتكلِّمِينَ ، برَعَ فِي العَقْلِيَّاتِ ، وَكَانَ يَقِظاً ، فَطِناً ، لَسِناً ، صَالِحاً ، عَابِداً . وقَالَ الأُسْتَاذُ الإسفرَاييني : أَنَا فِي جَانِبِ شيخِنَا أَبِي الحَسَنِ البَاهِلِيِّ كقطرَةٍ فِي بَحرٍ ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ : أَنَا فِي جنبِ الشَّيْخ الأَشْعَرِيِّ كقطرَةٍ فِي جنبِ بَحْرٍ " (٤) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي عَبْدِ الله ، محمَّد بنُ أَحْمَدَ بنِ محمَّد بنِ يَعْقُوْبَ بنِ مُجَاهِدٍ الطَّائِيُّ البَصْرِيُّ : " الأُسْتَاذُ ، صَاحبُ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ . قدمَ بَغْدَادَ ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيْفَ ، وَدرَّس عِلمَ الكَلاَمِ ، اشتغَلَ عَلَيْهِ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ بنُ الطَّيِّبِ " (٥) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠-٤١) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥-٨٦) .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٤-٣٠٥) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٥) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبي جَعْفَرٍ محمَّد بنُ أَحْمَدَ بن العَبَّاسِ السُّلَمِيُّ ، البَغْدَادِيُّ ، الجَوْهَرِيُّ ، الأَشْعَرِيُّ : " العَلاَّمَةُ ، نَقَّاشُ الفِضَّةِ ، وَتِلمِيذُ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ . وَثَّقَهُ الأَزْهَرِيُّ ، وَقَالَ : كَانَ أَحَدَ المُتكلِّمِينَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الحَسَنِ ، وَمِنْهُ تَعَلَّمَ ابْنُ شَاذَانَ عِلمَ الكَلاَمِ . مَاتَ فِي المُحَرَّمِ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ ، وَلَهُ خَمْسٌ وَثَمَانُوْنَ سَنَةً " (١) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبي عَبْدِ الله محمَّد بنُ القَاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ ، المَشْهُوْرُ : بِالشَّافِعِيِّ : " العَلاَّمَةُ ، قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : مُتكلِّمٌ عَلَى مَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ . مَاتَ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبي بَكْرٍ محمَّد بنُ الطَّيِّب بن محمَّد بنِ جَعْفَرِ بنِ قَاسِم البَصْرِيُّ ، ثمَّ البَغْدَادِيُّ ، ابْنُ البَاقِلاَّنِيِّ : " الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، أَوْحَدُ المُتَكَلِّمِيْن ، مُقَدَّم الأُصوليِّين ، القَاضِي ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، وَكَانَ يُضَرَبُ المَثَلُ بِفَهْمِهِ وَذَكَائِه . كَانَ ثِقَةً إِمَاماً بَارِعاً ، صَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ ، وَالمُعْتَزِلَةِ ، وَالخَوَارِجِ وَالجَهْمِيَّة وَالكَرَّامِيَّة ، وَانْتَصَرَ لِطَرِيْقَةِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ ، وَقَدْ يُخَالِفُهُ فِي مَضَائِق ، فإِنَّه مِنْ نُظَرَائِهِ ، وَقَدْ أَخَذَ عِلْمَ النَّظَر عَنْ أَصْحَابه . وَقَدْ ذكره القَاضِي عِيَاض فِي (طبقَات المَالِكِيَّة) ، فَقَالَ : هُوَ المُلَقَّب بِسيف السُّنَّة ، وَلسَان الأُمَّة ، المُتكَلِّمُ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ الحَدِيْثِ ، وَطريق أَبِي الحَسَنِ ، وَإِليه انْتَهَتْ رِئاسَةُ المَالِكِيَّة فِي وَقْتِهِ . مَاتَ فِي ذِي القَعْدَةِ ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَع مائَة ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ حسنٌ ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ مَشْهُودَةً ، وَكَانَ سَيْفاً عَلَى المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالمُشَبِّهَة ، وَغَالِبُ قَوَاعِدِهِ عَلَى السُّنَّة ، وَقَدْ أَمر شَيْخُ الحَنَابلَة أَبُو الفَضْلِ التَّمِيْمِيُّ مُنَادِياً يَقُوْلُ بَيْنَ يدي جِنَازَتِهِ : هَذَا نَاصِرُ السُّنَّة وَالدِّينِ ، وَالذَّابُّ عَنِ الشَّرِيْعَة ، هَذَا الَّذِي صَنَّفَ سَبْعِيْنَ أَلفَ وَرقَة " (٣) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبي بَكْرٍ محمَّد بنُ الحَسَنِ بن فُوْرَكَ الأَصْبَهَانِيّ : " الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، الصَّالِحُ ، شَيْخُ المُتَكَلِّمِيْن . صَنَّفَ التَّصَانِيْفَ الكَثِيْرَة . قَالَ عَبْدُ الغَافِرِ فِي (سِيَاق التَّارِيْخ) : الأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ قَبْرُهُ بِالحِيرَة يُسْتَسقى بِهِ . وَقَالَ القَاضِي ابْنُ خَلِّكَان فِيْهِ : أَبُو بَكْرٍ الأُصُوْلِيّ ، الأَدِيْبُ النَّحْوِيُّ الوَاعِظُ ، دَرَّسَ بِالعِرَاقِ مُدَّةً ، ثمَّ تَوَجَّه إِلَى الرَّيّ ، فسعَتْ بِهِ المبتدعَةُ – يَعْنِي الكَرَّامِيَّة – فَرَاسلهُ أَهْلُ نَيْسَابُوْر ، فوردَ عَلَيْهِم ، وَبنَوا لَهُ مَدْرَسَةً وَدَاراً ، وَظهرت بَرَكَتُهُ عَلَى المُتَفَقِّهَة ، وَبلغت مُصَنَّفَاتُه قَرِيْباً مِنْ مائَة مصَنّف ، وَدُعِي إِلَى مدينَة غَزْنَة ، وَجرتْ لَهُ

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٦) ، تاريخ بغداد (٢/ ١٧٣) ، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٨/ ٤٦٩) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٥) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠-١٩٣) .

بِهَا مُنَاظَرَات ، وَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ كرَّام ، ثمَّ عَادَ إِلَى نَيْسَابُوْرَ ، فسُمَّ فِي الطَّرِيْق ، فَمَاتَ بقُرْبِ بُسْت ، وَنُقِلَ إِلَى نَيْسَابُوْرَ ، وَمشهدهُ بِالحِيرَة يُزَار ، وَيُستجَابُ الدُّعَاءُ عِنْدَهُ " [١] .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي القَاسِمِ الحُسَيْنُ بنُ محمَّد بنِ المُفَضَّلِ الأَصْبَهَانِيُّ ، المُلَقَّبُ بِالرَّاغِبِ : " العَلاَّمَةُ المَاهِرُ ، المُحَقِّقُ البَاهِرُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ . كَانَ مِنْ أَذكيَاء المتكلِّمِين " [٢] .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي الوَلِيْدِ سُلَيْمَانُ بنُ خَلَفِ بنِ سَعْدِ بنِ أَيُّوْبَ بن وَارِث التُّجِيْبِيُّ ، الأَنْدَلُسِيُّ ، القُرْطُبِيُّ ، املبَاجِيُّ ، الذَّهَبِيُّ : " الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، الحَافِظُ ، ذُو الفُنُوْنِ ، القَاضِي ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ . قَالَ الأَمِيْر أَبُو نَصْرٍ : أَمَّا البَاجِيّ ذُو الوزَارَتَيْنِ فَفَقيهٌ متكلّم ، أَديبٌ شَاعِر ، سَمِعَ بِالعِرَاقِ ، وَدرّس الكَلاَم ، وَصَنَّفَ ... ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَكَانَ جَلِيْلاً رفِيعَ الْقدر وَالخَطَر . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ بنُ سُكَّرَة : مَاتَ أَبُو الوَلِيْدِ بِالمَرِيَّة فِي تَاسع عشر رَجَب ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة " [٣] .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة سَلْمَانُ بنُ نَاصر بن عِمْرَانَ النَّيْسَابُوْرِيّ : " إِمَامُ المُتَكَلِّمِين ، سَيْفُ النَّظَر ، الصُّوْفِيّ ، الشَّافِعِيّ ، تِلْمِيْذُ إِمَام الحَرَمَيْنِ . كان يَتوَقَّدُ ذكَاءً ، لَهُ تَصَانِيْفُ وَشُهرَةٌ وَزُهْدٌ وَتعبُّدٌ ، شرح كِتَاب (الإِرْشَادِ) وَغَيْر ذَلِكَ . مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَة وَخَمْس مائَة " [٤] .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي عَبْدِ الله محمَّد بنُ عَلِيٍّ بن عُمَرَ بنِ محمَّد التَّمِيْمِيُّ ، المَازَرِيُّ ، المَالِكِيُّ : " الشَّيْخ ، الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، البَحْرُ ، المُتَفَنِّنُ ، مُصَنِّفُ كِتَابِ (المُعْلِم بِفَوَائِدِ شَرْحِ مُسْلِم) ، وَمُصَنِّفُ كِتَابِ (إِيضَاحِ المَحْصُوْلِ فِي الأُصُوْلِ) ، وَلَهُ تَوَالِيفُ فِي الأَدبِ ، وَكَانَ أَحَدَ الأَذكِيَاءِ المَوْصُوْفِيْنَ ، وَالأَئِمَّةِ المُتبحِّرِيْنَ ، وَلَهُ شَرْحُ كِتَابِ (التَّلْقِيْنِ) لِعَبْدِ الوهَّاب المَالِكِيِّ فِي عَشْرَة أَسفَارٍ ، هُوَ مِنْ أَنْفَسِ الكُتُبِ . وَكَانَ بَصِيْراً بِعِلْمِ الحَدِيْثِ . وَقَالَ القَاضِي عِيَاضٌ فِي (المَدَارِكِ) : المَازَرِيُّ يُعرَفُ بِالإِمَامِ ، نَزِيْلُ المَهْدِيَّة ، قِيْلَ : أَنَّه رَأَى رُؤْيَا ، فَقَالَ : يَا رَسُوْلَ الله !

---

[١] انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٤-٢١٥) .

[٢] انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠-١٢١) .

[٣] انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥ فما بعدها) .

[٤] انظر : سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤١٢) .

أَحقُّ مَا يَدعُوْنَني بِهِ ؟ أَنَّهم يَدعُوْنَنِي بِالإِمَامِ . فَقَالَ : وَسِّعْ صَدْرَكَ لِلْفُتْيَا . ثمَّ قَالَ : هُوَ آخِرُ المُتَكَلِّمِينَ مِنْ شُيُوْخِ إِفْرِيْقِيَةَ بِتَحْقِيْقِ الفِقْهِ ، وَرُتبَةِ الاجْتِهَادِ ، وَدِقَّةِ النَّظَرِ " (١) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَبِي الفَتْحِ نَصْرُ الله بنُ محمَّد بنِ عَبْدِ القَوِيِّ المَصِّيْصِيُّ ، ثمَّ اللاَّذِقِيُّ ، ثمَّ الدِّمشقي ، الشَّافِعِيُّ ، الأَشْعَرِيُّ نَسَباً وَمَذْهَباً : " الشَّيْخ ، الإِمَامُ ، المُفْتِي ، الأُصُوْلِيُّ ، شَيْخُ دِمَشْق . قَالَ السَّمْعَانِيُّ : إِمَامٌ ، مُفتٍ ، فَقِيْهٌ أُصُوْلِيٌّ ، متكلّم ، ديِّنٌ ، خَيِّر . مَاتَ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة شَمْسُ الدِّين أَحْمَدُ بنُ الخَلِيْلِ بنِ سَعَادَةَ بنِ جَعْفَرٍ الخُوَيِّيُّ ، الشَّافِعِيُّ : " قَاضِي القُضَاةِ . قَرَأَ العَقْلِيَّاتِ عَلَى فَخْرِ الدِّين الرَّازي ، وَالجَدَلَ عَلَى الطَّاوُوْسِيِّ . وَكَانَ مِن أَذْكِيَاءِ المُتَكَلِّمِينَ وَأَعيَانِ الحُكَمَاءِ وَالأَطِبَّاءِ ، ذَا دِيْنٍ وَتَعَبُّدٍ ، وَلَهُ مُصَنَّفٌ فِي النَّحْوِ ، وَآخَرُ فِي الأُصُوْلِ . مَاتَ فِي شَعْبَان ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاَثِيْنَ وَسِتِّ مائَةٍ " (٣) .

وقال الإمام ابن عبد البر في ترجمة أَبِي عبد الرَّحمن أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ يَحْيَى الأَشْعَرِيُّ الْبَصْرِيُّ : " كَانَ يُعْرَفُ بِالشَّافِعِيِّ لِتَحَقُّقِهِ بِهِ وَذَبِّهِ عَنْ مَذْهَبِهِ . صَحِبَهُ بِبَغْدَاد ، وَكَانَ يُنَاظِرُ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ وَحُذَّاقِ المُتَكَلِّمِينَ وَالْعَارِفِينَ بِالإِجْمَاعِ وَالاخْتِلافِ ، وَكَانَ رَفِيعاً عِنْدَ السُّلْطَانِ وَذَوِي الأَقْدَارِ ، عَالِماً بِالحَدِيثِ وَالأَثَرِ ، مُتَّسِعاً فِي الْعِلْمِ مَعَ تمكُّنِ النَّظَرِ وَالجَدَلِ وَالاقْتِدَارِ عَلَى الْكَلامِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَلَفَ الشَّافِعِيَّ بِالْعِرَاقِ فِي الذَّبِّ عَنْ أُصُولِهِ وَمَذْهَبِهِ وَالنُّصْرَةِ لِقَوْلِهِ حَتَّى عُرِفَ بِهِ " (٤) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي في ترجمة الوليد بن أبان الكرابيسي : " كان أحد المتكلِّمين في الأصول على مذاهب أهل الحق ، وهو أستاذ الحسين بن علي الكرابيسي " (٥) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠٥-١٠٦) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١١٨-١١٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٦٤-٦٥) .

(٤) انظر : الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم (ص١٠٨) .

(٥) انظر : تاريخ بغداد (١٥/ ٦١٢) .

وقال الإمام ابن ماكولا في ترجمة عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القُشيري : " الواعظ ، أحد المتكلِّمين على مذهب الأشعري " (١) .

وقال الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي في ترجمة أبي جعفر أحمد بن موسى التَّمار : " من نبط تونس . سمع من فرات ويحيى بن عمر ، وغيرهما . وسمع منه عالم كثير . قال ابن حارث : وكان من أهل العلم بالجدل ، على معاني المتكلِّمين في النَّظر على مذاهب الفقهاء . ويتكلَّم في ذلك كلاماً جيِّداً . وكان لطيف الفهم ، دقيق الاستخراج ، قد صحب أبا عثمان بن الحداد، واحتوى على معانيه . وكان حسن التصرُّف ، جميل الأدب ، كريم المروءة ، محمود الأخلاق ، كثير الحكاية . قال الخرَّاط : كان صالحاً ثقة فقيهاً عالماً ، يحسن النَّحو والعربيَّة " (٢) .

وقال الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي في ترجمة أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد المؤمن مكِّي : " من المتكلِّمين على مذهب أهل السُّنَّة " (٣) .

وقال الإمام ابن عساكر في ترجمة محمَّد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل أبو الحسين البغدادي : " الواعظ الصُّوفي المعروف بابن سمعون ، قال عبد الرَّحمن السُّلمي : محمَّد بن أحمد بن سمعون : كنيته أبو الحسين من مشايخ البغداديين ، له لسان عال في هذه العلوم ، لا ينتمي إلى أستاذ ، وهو لسان الوقت والمرجوع إليه في آداب المعاملات ، يرجع إلى فنون من العلم ، القراءات ، وعلم الظَّاهر يذهب إلى أشدِّ المذاهب ، وهو إمام المتكلِّمين على هذا اللسان " (٤) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة الفتح بن عبد الله الفقيه ، أبو نَصْر الهَرَوي العابد : " قرأ الفقه والكلام على أبي علي الثَّقفي إلى أن صار من مشايخ المتكلِّمين " (٥) .

---

(١) انظر : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (١/ ٤٣٩) .

(٢) انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٥/ ٣٢٨) .

(٣) انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٦/ ١٨١) .

(٤) انظر : تاريخ دمشق (٥١/ ٩) .

(٥) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٨/ ١٣٧) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة محمَّد بن ثابت بن حسن ، أبو بكر الخُجَنْديّ : " أحد فحول المتكلِّمين . كان يعِظ ويتكلَّم في كلِّ فنٍّ ، ويقع كلامه من القلوب الموقع العظيم " (١) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة عَبْد السَّلام بْن محمود بْن أَحْمَد . ظهير الدِّين أبو المعالي الفارسيّ : " الفقيه ، الأُصُوليّ ، المتكلِّم ، كان من كبار المتكلِّمين والخلافيين " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أبي العبّاس ابن البَقَّال : " أحدُ الكبار المتكلِّمين العالمين بالأُصول بالمغرب " (٣) .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي في ترجمة محمَّد بن عمر بن الْحسن بن الْحُسَيْن التَّيْمِيّ الْبكْرِيّ الإِمَام فَخر الدِّين الرَّازي ابْن خطيب الرّيّ : " ، إِمَام الْمُتَكَلِّمين ، ذُو الباع الْوَاسِع فِي تَعْلِيق الْعُلُوم والاجتماع بالشاسع من حقائق الْمَنْطُوق وَالْمَفْهُوم والارتفاع قدرا على الرفاق ، وَهل يجْرِي من الأقدار إِلَّا الْأَمر المحتوم ، بَحر لَيْسَ للبحر مَا عِنْده من الْجَوَاهِر ، وَحبر سما على السَّمَاء وَأَيْنَ للسماء مثل مَا لَهُ من الزواهر ، وروضة علم تستقل الرِّياض نَفسهَا أَن تحاكي مَا لَدَيْهِ من الأزاهر ، انتظمت بِقَدرِهِ الْعَظِيم عُقُود الْملَّة الإسلامية ، وابتسمت بدره النظيم ثغور الثغور المحمدية ، تنوع فِي المباحث وفنونها ، وترفع فَلم يرض إِلَّا بنكت تسحر ببيونها ، وأتى بجنات طلعها هضيم ، وكلمات يقسم الدَّهْر أَنَّ الملحد بعْدهَا لَا يقدر أَن يضيم ... " (٤) .

وقال الإمام ابن كثير في ترجمة علي بن أبي علي بن محمَّد بن سالم الثعلبي سيف الدِّين الآمدي: " شيخ المتكلِّمين في زمانه " (٥) .

وقال الإمام ابن الخطيب في ترجمة محمَّد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي: " كان متكلّماً ، واقفاً على مذاهب المتكلِّمين ، متحققاً برأي الأشعريَّة ، ذاكراً لكتب الأصول والاعتقادات ، مشاركاً في الأدب ، مقدّماً في الطِّبّ " (٦) .

---

(١) نظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٠/ ٥٢٥) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ١٠٧٨) .

(٣) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٣/ ٧٨٦) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١) .

(٥) انظر : طبقات الشافعيين (ص٨٣٣) .

(٦) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ١٢٦) .

وقال الإمام ابن رجب في ترجمة علي بن عقيل بن محمَّد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري : " المقرىء ، الفقيه ، الأصولي ، الواعظ المتكلم ، أَبُو الوفــاء ، أحد الأئمَّة الأعلام ، وشيخْ الإسلام ... " (١) .

وقال الإمام ابن فرحون في ترجمة أحمد بن فتح الرقادي : " أحمد بن فتح الرقادي ، يعرف بابن شفون لجرح أثر بشفتيه ، من مشاهير المتكلِّمين والنظَّار بالقيروان ، وكان يذهب مذهب الجدل والمناظرة والذبِّ عن أهل السُّنَّة ومذهب أهل المدينة ، وله تآليف حِسان في هذا البـــاب " (٢) .

وقال الإمام ابن فرحون في ترجمة أحمد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد المؤمن : " كان من المتكلِّمين على مذهب أهل السُّنَّة " (٣) .

وقال الإمام ابن فرحون في ترجمة العباس بن عيسى بن محمَّد بن عيسى بن العباس أبو الفضل الممسي: " كان فقيهاً فاضلاً ، عابداً . كان يتكلَّم – في علم مالك – كلاماً عالياً ، ويفهم علم الوثائق فهماً جيِّداً ، ويناظر في الجدل وفي مذاهب أهل النظر – على رسم المتكلِّمين والفقهاء مناظرة حسنة " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة في ترجمة محمَّد وقيل محمود بن محمَّد الإمام العلَّامة قطب الدِّين أبو عبد الله الرَّازي المعروف بالقطب التَّحتاني : " أحد أئمَّة المعقول ، اشتغل في بلاده بالعلوم العقليَّة فأتقنها ، وشارك في العلوم الشَّرعيَّة وجالس العضد وأخذ عنه ، ثمَّ قدم دمشق واشتغل بها في العلوم العقليَّة ، وأقام بها إلى أن توفي ، ذكره السُّبكي في الطَّبقات الكبرى ، وقال : إمام مبرِّز في المعقولات ، اشتهر اسمه وبعده صيته ، ورد إلى دمشق في سنة ثلاث وستِّين وسبعمائة وبحثنا معه فوجدناه إماماً في المنطق والحكمة ، عارفاً بالتَّفسير والمعاني والبيان ، مشاركاً في النحو ، يتوقَّد ذكاء . وقال الإسنوي في طبقاته : وكان ذا علوم متعدِّدة ، وتصانيف مشهورة . وقال ابن كثير : كان أحد المتكلِّمين العالمين بالمنطق وعلم الأوائل " (٥) .

---

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣١٦) .

(٢) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/ ١٧٠) .

(٣) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/ ١٧٢) .

(٤) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ١٢٩) .

(٥) انظر : طبقات الشافعية ابن قاضي شهبة (٣/ ١٣٦) ، وانظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ٩٩) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي في ترجمة محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الْفضل المرسي أَبُو عبد الله : " الْعَلامَة شرف الدِّين النَّحْوِيّ الأديب الزَّاهِد الْمُفَسّر الْمُحدث الْفَقِيه الأصولي ... إِمَام النظَّار، رَئِيس الْمُتَكَلِّمين ، أحد عُلَمَاء الزَّمَان ، الْمُتَصَرف أحسن التَّصريف فِي كل فن " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الأدنه وي في ترجمة محمَّد بن محمَّد مَحْمُود أَبُو النَّصْر الماتريدي : " إِمَام الْهدى وَالدِّين ، صنَّف كتاب التَّوْحِيد ، وَكتاب تأويلات الْقُرْآن ، وَكتاب المقالات ، وَكتاب رد أَوَائِل الْأَدِلَّة للكعبي ، وَكتاب بَيَان وهم الْمُعْتَزلَة ورد الْأُصُول الْخَمْسَة لأبي محمَّد الْبَاهِلِيّ ، وَكتاب ردّ الْإِمَامَة لبَعض الرَّوافض ، وَكتاب مَأْخَذ الشَّرَائِع فِي أصُول الْفِقْه ، وَله كتب شَتَّى . كَانَ إِمَام الْمُتَكَلِّمين ومصحِّح عقائد الْمُسلمين نَصره الله بالصِّراط الْمُسْتَقيم ، فَصَارَ فِي نصْرَة الدِّين القويم " (٢) .

وقال الإمام نجم الدِّين محمَّد بن محمَّد الغزي في ترجمة زكريا بن محمَّد بن زكريا : " الشَّيْخ الإمام ، شيخ مشايخ الإسلام ، علَّامة المحقِّقين ، وفهامة المدقِّقين ، ولسان المتكلِّمين ، وسيِّد الفقهاء والمحدِّثين ، الحافظ المخصوص بعلو الأسناد ، والملحق للأحفاد بالأجداد ، العالم ، العامل ، والولي الكامل ، الجامع بين الشَّريعة والحقيقة ، والسَّالك إلى الله تعالى أقوم مسالك الطَّريقة " (٣) .

الفَصْلُ الخَامِسُ

تَكْفِيْرُ مُدَّعِي السَّلَفِيَّةِ لِلْمتوَسِّلِيْن

لقد تمادى مدَّعو السَّلفيَّة في تكفيرهم لعموم الأُمَّة المحمَّديَّة ... ومن تكفيرهم لعموم الأُمَّة : تكفيرهم المتوسِّلين إلى الله تعالى بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا بالأولياء والصَّالحين ، فتراهم يكفِّرون كلَّ من قال : اللهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك وأسألك بجاه أو بحقِّ حبيبك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقبل توبتي وحوبتي ... فهذا عندهم كافرٌ حلال الدَّم ، يستحقُّ القتل ، وقد طبَّقه ابن عبد الوهَّاب وترجمه عمليّاً هو ومن معه من أتباعه الرّعاع الهمج ، فاستحلُّوا دماء المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من الموحِّدين ، وأُريقت دماؤهم في أطهر البقاع : أرض الحرمين الشَّريفين وغيرها من بلاد المسلمين ، وقد أرَّخ وسطَّر تلك الجرائم مؤرِّخهم : عثمان بن

---

(١) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ١٤٤-١٤٦) .

(٢) انظر : طبقات المفسرين ، أحمد بن محمَّد الأدنه وي ، (ص٦٩) .

(٣) انظر : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ١٩٨) .

عبدالله بن بشر النَّجدي الحنبلي ، في كتابه : " عنوان المجد في تاريخ نجد " ، وذكر فيه ما يندى له الجبين ، وتبكي منه العيون ، وتقشعرُّ له الجلود والأبدان ، وتشمئزُّ منه النفوس ، وترتعد له القلوب والفرائص ، تلكم الجرائم الشَّنيعة ، والأعمال الفضيعة التي ارتكبت باسم المحافظة على التَّوحيد الذي لا يعرفون منه إلَّا اسمه ، وما زال هذا ديدنهم ودينهم في كلِّ أرض وطأتها أقدامهم ، فكفَّروا عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، وأراقوا دماء المؤمنين الموحِّدين ، وَسَبَوا نسائهم ، وسلبوا أموالهم ، وخرَّبوا ديارهم ...

لقد بَعَثُوا من جديد ما دفنه العلماء في القرن الثَّامن من المسائل التي خالف فيها من نعتوه بشيخ الإسلام عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، بعد أن أقاموا عليه الحُجَّة والبرهان ، وأودعوه السِّجن إلى أن مات فيه ، ومن ضمن تلك المسائل التي خالف فيها ابن تيمية عموم الأُمَّة : مسألة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ...

فقد أنكر ابن تيمية ومعه سائر المتمسلفة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء ، وكذا بعباد الله الصَّالحين ، وجاءوا بما لم يسبقهم إليه أحدٌ من العالمين ، ولم يرعوا لما ساقه علماءُ الأُمَّة من أدلَّة ناصعة دامغة لجوازِ التَّوسُّل بهم صلوات الله وسلامه عليهم ، ورضوان الله على عباده الصَّالحين ... ومن ضمن ما أنكروا : استشهادهم واستدلالهم على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ...

قال الإمام تقي الدِّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْله تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَيَقُولُونَ : إذَا طَلَبْنَا مِنْهُ الِاسْتِغْفَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ كُنَّا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ طَلَبُوا الِاسْتِغْفَارَ مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَيُخَالِفُونَ بِذَلِكَ إجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَطْلُبْ مِنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ ، وَلَا سَأَلَهُ شَيْئاً ، وَلَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُتُبِهِمْ " (١) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٢٤) .

فابن تيمية يزعم أنَّ من استشهد بالآية على التَّوسُّل مخالف للجمهور ، مع أنَّ الجمهور – كما ذكرته في كتابي : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " استدلَّ بالآية على التَّوسُّل ، وأنَّهم ذكروا الآية الكريمة عند زيارتهم لسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مختلف الأعصار ، فدعوى ابن تيمية داحضة وباطلة ، وهذا هو ديدنه في كلِّ شيء أراد تمريره على الرّعاع الهمج الجهَّال العوامِّ الأعراب الأجلاف من أتباعه ، فإنَّه يُلصق ما قاله بالسَّلف الصَّالح زوراً وعدواناً ...

وقال ابن تيمية : " وأَمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا أَنْ يُطْلَبَ مِنْ الْمَيِّتِ الْحَوَائِجُ أَوْ يُطْلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءُ وَالشَّفَاعَةُ أَوْ يُقْصَدُ الدُّعَاءُ عِنْدَ قَبْرِهِ لِظَنِّ الْقَاصِدِ أَنَّ ذَلِكَ أجوب لِلدُّعَاءِ . فَالزِّيَارَةُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا مُبْتَدَعَةٌ لَمْ يَشْرَعْهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فَعَلَهَا الصَّحَابَةُ لَا عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَهِيَ مِنْ جِنْسِ الشِّرْكِ وَأَسْبَابِ الشِّرْكِ " (١) .

وقال أيضاً : " وأَمَّا الزِّيارة المبتدعة التي هي من جنس زيارة المشركين ، فمقصودهم بها طلب الحوائج من الميِّت أو الغائب " (٢) .

وقال أيضاً : " وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الدُّعَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ وَغَيْرِهِ ذَكَرُوا الصَّلاة عَلَيْهِ ، لَمْ يَذْكُرُوا فِيمَا شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَالِ التَّوسُّل بِهِ ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِّ وَالِاسْتِعَانَةَ الْمُطْلَقَةَ بِغَيْرِهِ فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ " (٣) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو فيما قال يُنكر أن يكون أحدٌ من العلماء قال بالتَّوسُّل في حال من الأحوال ، وقد تناقض مع نفسه في هذه المسألة ، فقال في موضع آخر من مجموع الفتاوى : " وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسِكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ للمروذي صَاحِبِهِ : أَنَّه يُتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ؛ وَلَكِنْ غَيْرُ أَحْمَدَ قَالَ : إنَّ هَذَا إقْسَامٌ عَلَى اللهَّ بِهِ وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللهَّ بِمَخْلُوقِ ، وَأَحْمَدُ فِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ قَدْ جَوَّزَ الْقَسَمَ بِهِ ، فَلِذَلِكَ جَوَّزَ التَّوسُّل بِهِ " (٤) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٦٦) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٣٤-٣٥) .

(٢) انظر : الردُّ على المنطقيين (ص٥٣٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٦) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٣٠٩) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠) ، الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٢٢) .

ومع ما نقله عن الإمام أحمد من تجويزه للتَّوسُّل ، فقد زعم ابن تيمية أنَّ التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بعد موتهم عند قبورهم من أعظم أنواع الشِّرك !!! فقال : " فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَفِي مَغِيبِهِمْ وَخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ ، هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْمَوْجُودِ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرْكِ وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الله تَعَالَى " (١) .

فابن تيمية الذي سُجن بإجماع من حضر من علماء الأُمَّة بسبب شذوذه وطامَّاته وأوابده التي ما سبقه إليها أحدٌ من العالمين ، ومات في السِّجن ... يَعتبر ويُصرِّح بأنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين من أعظم أنواع الشِّرك ، وأنَّه – أي التَّوسُّل – من العبادات المُستحدثة المُبتدعة التي لم يأذن بها الله ...

وهو بهذا يجعل المتوسِّلين بل يجعل عموم الأُمَّة من أُولئك المشركين الذين استحدثوا وابتدعوا من العبادات التي لم يأذن بها الله تعالى ... وكلامه هذا يصبُّ في مصبِّ : " رمتني بدائها وانسلَّت " ، لأنَّ ابن تيمية هو من قال وابتدع في العقيدة !!! أقوالاً لا ولم يأذن بها الله تعالى ، بل هي من الطامَّات العقديَّة التي هي من بنات أفكاره ، أخذ بعضها من سموم الفلاسفة وتبنَّاها ، وتابعه عليها من يدَّعون السَّلفيَّة في أيامنا هذه ، وقد ذكر طامَّاته العقديَّة وغير العقديَّة غير واحد من العلماء ، ومن ذلك :

قال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " ... وَهَذَا الرَّجُلُ كُنْت رَدَدْت عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فِي إنْكَارِهِ السَّفَرَ لِزِيَارَةِ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَفِي إنْكَارِهِ وُقُوعَ الطَّلَاقِ إذَا حُلِفَ بِهِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّه لَيْسَ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي نَقْلٍ يَنْفَرِدُ بِهِ لِمُسَارَعَتِهِ إلَى النَّقْلِ لِفَهْمِهِ ، كَمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَلَا فِي بَحْثٍ يُنْشِئُهُ لِخَلْطِهِ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ الْحَدِّ جِدّاً ، وَهُوَ كَانَ مُكْثِراً مِنْ الْحِفْظِ ، وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِشَيْخٍ ، وَلَمْ يُرْتَضْ فِي الْعُلُومِ ، بَلْ يَأْخُذُهَا بِذِهْنِهِ مَعَ جَسَارَتِهِ وَاتِّسَاعِ خَيَالٍ وَشَغَبٍ كَثِيرٍ ، ثُمَّ بَلَغَنِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي الْإِعْرَاضَ عَنْ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ جُمْلَةً .

وَكَانَ النَّاس فِي حَيَاتِهِ اُبْتُلُوا بِالْكَلَامِ مَعَهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَحُبِسَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ ثم مَاتَ " (٢) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٢٥) .

(٢) انظر : فتاوى السبكي (٢/ ٢١٠) .

وبسبب متابعة الجهَّال والعوام له ، سارع علماء عصره إلى الرَّدِّ عليه وإبطال دعاويه ، ومحاججته ومناظرته ، فألجموه الحُجَّة ، وأقاموا عليه المحجَّة ، ومن هؤلاء الصِّيد الأفذاذ الأساطين : الإمام تقي الدِّين علي ابن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، فقد قال ما نصّه : " أمَّا بعد ، فإنَّه لَمَّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد ، بعد أن كان مستتراً بتبعيَّة الكتاب والسُّنَّة ، مظهراً أنَّه داعٍ إلى الحقِّ هادٍ إلى الجنَّة ، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع ، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع ، وقال بما يقتضي الجسميَّة والتَّركيب في الذَّات المقدَّس ، وأنَّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال ، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى ، وأنَّ القرآن مُحدَث تكلَّم الله به بعد أن لم يكن ، وأنَّه يتكلَّم ويسكت ، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات ، وتعدَّى في ذلك إلى استلزام قِدَم العالم ، والتزامه بالقول بأنَّه لا أوَّل للمخلوقات ، فقال بحوادث لا أوَّل لها ، فأثبت الصِّفة القديمة حادثة ، والمخلوق الحادث قديماً ، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملَّة من الملل ، ولا نِحلة من النِّحل ، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثَّلاث والسَّبعين التي افترقت عليها الأُمَّة ، ولا وقفت به مع أُمَّة من الأُمم هِمَّة ، وكل ذلك وإن كان كُفراً شنيعاً ممَّا تَقِلُّ جملته بالنسبة لما أحدث في الفروع ، فإنَّ متلقِّي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلُّون ، والدَّاعي إليه من أصحابه هم الأرذلون ، وإذا حُوقِقوا في ذلك أنكروه ، وفرُّوا منه كما يفرُّون من المكروه ... " (١) .

وقال عنه الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " انفرد بمسائل غريبة ، ورجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهورُ معيبة . كاد منها يقع في هُوَّة ، ويسلم منها لما عنده من النيَّة المرجوَّة ، والله يعلم قصده ، وما يترجَّح من الأدلَّة عنده ، وما دمَّر عليه شيء كمسألة الزيارة ، ولا شنَّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعتقَلاً ، وجفاه صاحبه وقلا ، وما خرج منها إلا على الآلة الحدبا ، ولا درج منها إلا إلى البقعة الحدبا " (٢) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... وَاتفقَ الشَّيْخ نصر المنبجي كَانَ قد تقدَّم فِي الدَّولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فِيهِ ، فَبَلغهُ أَنَّ ابْن تَيْمِية يَقع فِي ابْن الْعَرَبِيّ ، لأَنَّه كَانَ يعْتَقد أنَّه مُسْتَقِيم ، وَأَنَّ الَّذِي ينْسب إِلَيْهِ من الاتِّحَاد أَو الْإِلْحَاد من قُصُور فهم من يُنكر عَلَيْهِ ، فَأرْسل يُنكر

(١) انظر : الدرّة المضية في الردِّ على ابن تيمية (ص٩٩-١٠٠) ، مطبوع ضمن التوفيق الربَّاني في الردِّ على ابن تيمية الحراني لجماعة من العلماء .

(٢) انظر : أعيان العصر وأعوان النصر (١/ ٢٣٥) .

عَلَيْهِ ، وَكتب إِلَيْهِ كتاباً طَويلاً ، وَنسبه وَأَصْحَابه إِلَى الاِتِّحَاد الَّذِي هُوَ حَقِيقَة الْإِلْحَاد ، فَعظم ذَلِك عَلَيْهِم ، وأعانه عَلَيْهِ قوم آخَرُونَ ضبطوا عَلَيْهِ كَلِمَات فِي العقائد مُغيرَة ، وَقعت مِنْهُ فِي مواعيده وفتاويه ، فَذكرُوا أَنَّه ذكر حَدِيث النُّزُول فَنزل عَن الْمِنْبَر دَرَجَتَيْنِ ، فَقَالَ : كنزولي هَذَا ، فنُسب إِلَى التجسيم . وردّه على من توسَّل بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَو اسْتَغَاثَ ، فأشخص من دمشق فِي رَمَضَان سنة خمس وَسَبْعمائة ، فَجرى عَلَيْهِ مَا جرى وَحبس مرَاراً ، فَأَقَامَ على ذَلِك نَحْو أَربع سِنِين أَو أَكثر وَهُوَ مَعَ ذَلِك يشغل ويُفتي إِلَى أَن اتّفق أَنَّ الشَّيْخ نصراً قَامَ على الشَّيْخ كريم الدِّين الآملي شيخ خانقاه سعيد السُّعَدَاء ، فَأخْرجهُ من الخانقاه ، وعَلى شمس الدِّين الْجَزرِي ، فَأخْرجهُ من تدريس الشَّريفيَّة ، فيُقَال : أَنَّ الآملي دخل الْخلْوَة بِمصْر أَرْبَعِينَ يَوْماً فَلم يخرج حَتَّى زَالَت دولة بيبرس ، وخمل ذكر نصر ، وَأطلق ابْن تَيْمِية إِلَى الشَّام ، وافترق النَّاس فِيهِ شيعاً ، فَمنهمْ من نسبه إِلَى التجسيم لما ذكر فِي العقيدة الحمويَّة والواسطيَّة وَغَيرهمَا من ذَلِك ، كَقَوْلِه : أَنَّ الْيَد ، والقدم ، والسَّاق ، وَالْوَجْه صِفَات حَقِيقِيَّة لله ، وأَنَّه مستوٍ على الْعَرْش بِذَاتِهِ ، فَقيل لَهُ : يلْزم من ذَلِك التحيُّز والانقسام ، فَقَالَ : أَنا لَا أسلِّم أَنَّ التحيُّز والانقسام من خَواص الْأَجْسَام ، فألزم بأَنَّه يَقُول بتحيُّز فِي ذَات الله .

وَمِنْهُم من ينْسبهُ إِلَى الزَّندقة لقَوْله : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُستغاث بِهِ ، وَأَنَّ فِي ذَلِك تنقيصاً ومنعاً من تَعْظِيم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ أَشدّ النَّاس عَلَيْهِ فِي ذَلِك النُّور الْبكْرِيّ ، فإنَّه لما عقد لَهُ الْمجْلس بِسَبَب ذَلِك ، قَالَ بعض الْحَاضِرين يُعَزَّر ، فَقَالَ الْبكْرِيّ : لَا معنى لهَذَا القَوْل ، فإنَّه إِن كَانَ تنقيصاً يُقتل ، وَإِن لم يكن تنقيصاً لَا يُعَزَّر .

وَمِنْهُم من ينْسبهُ إِلَى النِّفَاق لقَوْله فِي عَلِيٍّ مَا تقدَّم ، وَلقَوْله : أَنَّه كَانَ مخذولاً حَيْثُ مَا توجَّه ، وأَنَّه حاول الْخلَافَة مرَاراً فَلم ينلها ، وإِنَّما قَاتل للرئاسة لَا للديانة . وَلقَوْله : أَنَّه كَانَ يحب الرِّئَاسَة ، وَأَن عُثْمَان كَانَ يحبُّ المَال . وَلقَوْله : أَبُو بكر أسلم شَيخاً يدْرِي مَا يَقُول ، وَعليٌّ أسلم صَبيًّا ، وَالصَّبِيُّ لَا يَصحُّ إِسْلَامه على قَول ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) مفتي الدِّيار المصريَّة : " ... ولَمَّا أن تظاهر قومٌ في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة ، وتعضيد أقواله الفاسدة ، وبثِّها بين العامَّة والخاصَّة ، واستعانوا

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٨٠-١٨٢) .

على ذلك بطبع كتابه المسمَّى بالواسطيَّة ونشره ، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثيرٍ ممَّا ابتدعه ابن تيمية مخالفاً في ذلك الكتاب والسُّنَّة وجماعة المسلمين ، فأَيقظوا فتنةً كانت نائمة " (١) .

وقال الشَّيْخ عبد الرَّحمن خليفة بن فتح الباب الحناوي (١٣٦٤هـ) : " هذه المسائل التي يُثيرها اليوم جماعة أنصار السُّنَّة أُثيرت قديماً ، وفرغ العلماء من الردِّ عليها ، وهم مُقلِّدون فيها لابن القيِّم وشيخه تقي الدِّين ابن تيمية وطوائف من الحنابلة ، والعجب لهؤلاء يقلِّدون نفراً من العلماء انفردوا بمقالات وآراء وافقوا فيها الحشويَّة والكراميَّة ، وخالفوا فيها جميع المسلمين سلفاً وخلفاً ... " (٢) .

وقال الإمام عبد ربُّه بن سليمان بن محمَّد بن سليمان القليوبي الأزهري (كان حيَّاً في عام ١٣٧٧هـ) : " قد عرفت ممَّا قدَّمنا لك أنَّ ابن تيمية هو الذي جمع شتات أقوال الخوارج وغيرهم من الملحدين ودوَّنها رسائل ، وتلقَّاها عنه تلاميذه الذين فُتنوا بحبِّه لنشأتهم على ذلك واستعدادهم له ، ووسَّعوا فيها الضَّلالات " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ ابن تيمية استتابه العلماء مرَّات عديدة ، وكان في كلِّ مرَّة ينقُضُ توبته ، ويتنكَّرُ لعهوده ومواثيقه التي قطعها على نفسه أمام العلماء ، حتى حُكم عليه بالحبس بسبب أقواله الشاذَّة ، وهذه إحدى صور استتابته منقولة من خطِّ يده كما هي مسجَّلة في كتاب نجم المهتدي ، وعليها توقيع العلماء ونصُّها : " الحمد لله ، الذي أعتقده أنَّ في القرءان معنى قائم بذات الله ، وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزليَّة ، وهو غير مخلوق ، وليس بحرف ولا صوت ، وليس هو حالاً في مخلوق أصلاً ، ولا ورق ، ولا حبر ، ولا غير ذلك ، والذي أعتقده في قوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، أنَّه على ما قال الجماعة الحاضرون ، وليس على حقيقته وظاهره ، ولا أعلم كُنه المراد به ، بل لا يعلم ذلك إلا الله ، والقول في النُّزول كالقول في الاستواء ، أقول فيه ما أقول فيه ، لا أعرف كُنه المراد به ، بل لا يعلم ذلك إلا الله ، وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون ، وكلُّ ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل ، وكلُّ ما في خطِّي أو لفظي ممَّا يخالف ذلك فهو باطل ،

(١) انظر : تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد (ص١٣) .

(٢) انظر : المشبِّهة والمجسِّمة (ص١٢-١٣) .

(٣) انظر : فيض الوهَّاب في بيان أهل الحق ومن ضلَّ عن الصواب (١/ ١٤٩) .

وكلُّ ما في ذلك ممَّا فيه إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريء منه ، فقد تبرَّأت منه ، وتائب إلى الله من كلِّ ما يخالفه . كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة .

وكلُّ ما كتبته وقلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذلك غير مكره . كتبه أحمد بن تيمية ، حسبنا الله ونعم الوكيل " .

وبأعلى ذلك بخط قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة ما صورته : اعترف عندي بكلِّ ما كتبه بخطِّه في التَّاريخ المذكور . كتبه محمَّد بن إبراهيم الشَّافعي ، وبحاشية الخط : اعترف بكل ما كتب بخطِّه ، كتبه عبد الغني بن محمَّد الحنبلي .

وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها : كتب المذكور بخطِّه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه ، كتبه أحمد بن الرفعة .

صورة خط آخر : أقرَّ بذلك ، كتبه عبد العزيز النِّمراوي .

صورة خط آخر : أقرَّ بذلك كله بتاريخه ، علي بن محمَّد بن خطَّاب الباجي الشَّافعي

صورة خط آخر : جرى ذلك بحضوري في تاريخه ، كتبه الحسن بن أحمد بن محمَّد الحسيني .

وبالحاشية أيضاً ما مثاله : كتب المذكور أعلاه بخطِّه واعترف به ، كتبه : عبد الله بن جماعة .

مثال خطٍّ آخر : أقرَّ بذلك وكتبه بحضوري محمَّد بن عثمان البوريجبي ... " (١) .

وقد ذكر هذه الاستتابة الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في كتابه : " الدُّرر الكامنة " ، فقال : " فَأخْرج فِي ربيع الأوَّل فِي الثَّالِث وَعشْرين مِنْهُ وأحضر إِلَى القلعة ، وَوَقع الْبَحْث مَعَ بعض الْفُقَهَاء ، فَكتب عَلَيْهِ محْضر بأنَّه قَالَ : أَنا أشعريٌّ ، ثمَّ وجد خطُّه بِمَا نَصه : الَّذِي اعْتقد أَنَّ الْقُرْآن معنى قَائِم بِذَات الله ، وَهُوَ صفة من صِفَات ذَاته الْقَدِيمَة ، وَهُوَ غير مَخْلُوق ، وَلَيْسَ بِحرف وَلَا صَوت ، وَأَنَّ قَوْله : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ، لَيْسَ على ظَاهره ، وَلَا أعلم كُنه الْمُرَاد بِهِ ، بل لَا يُعلمهُ إِلَّا الله ، ، وَالْقَوْل فِي النُّزُول كالقول فِي الاسْتوَاء . وَكتبه أَحْمد بن تَيْمِية ، ثمَّ أشهدوا عَلَيْهِ أَنَّه تَابَ مِمَّا يُنَافِي ذَلِك

---

(١) انظر : التوفيق الرباني في الردِّ على ابن تيمية الحراني (ص٣٨-٣٩) .

مُخْتَاراً وَذَلِكَ فِي خَامِس عشرى ربيع الأول سنة (٧٠٧هـ) ، وَشهد عَلَيْهِ بذلك جمع جم من الْعلمَاء وَغَيرهم ، وَسكن الْحَال ، وَأَفْرج عَنهُ " (١) .

وبسبب مقالات ابن تيمية التي خالف فيها الأُمَّة ، شنَّع عليه العلماء حتى حكم البعض بتكفيره ، ورفض الكثيرون نعته بشيخ الإسلام ، حتى قال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الْعَلَاء أَبُو عبد الله البُخَارِيّ العجمي الْحَنَفِيّ (٨٤١هـ) : " أنَّ من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام ، فهو بـهذا الإطلاق كافر " (٢) .

والمعنى : أنَّ من اطَّلع على أقواله واعتقاداته وطامَّاته ومخالفاته ، ومع ذلك وصفه بـهذا اللقب فهو كافر ...

ومن طامَّاته التي ما سبقه إليها أحد من العالمين : تحريمه السَّفر لزيارة قبر سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَالْحَاصِل أَنَّهم الزموا بن تيميه بِتَحْرِيم شدِّ الرَّحل إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْكَرْنَا صُورَةَ ذَلِكَ ، وَفِي شَرْحِ ذَلِكَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ طُولٌ ، وَهِيَ مِنْ أبشع الْمَسَائِل المنقوله عَن بن تَيْمِيَةَ " (٣) . وقد تكلَّمنا عن ذلك فيما مضى ...

ومن الطامَّات التي قالها وتبنَّاها : قوله بالقِدّم النَّوعي للعالم ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " قَوْلُهُ : " كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ " ، تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ بِلَفْظِ : " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ : " كَانَ الله قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ " ، وَهُوَ بِمَعْنَى : " كَانَ الله وَلَا شَيْءَ مَعَهُ " ، وَهِيَ أَصْرَحُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا مِنْ رِوَايَةِ الْبَابِ ، وَهِيَ مِنْ مُسْتَشْنَعِ الْمَسَائِلِ الْمَنْسُوبَةِ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ " (٤) .

---

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٢) .

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٩٢) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٦٦) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤١٠) .

ومن مصائبه : ما ضمَّنه كتابه العرش ، قال الإمام الزَّبيدي : " قال التَّقي السُّبكي : وكتـــاب العرش من أقبح كتبه – يقصد ابن تيمية – ولما وقف عليه الشَّيْخ أبو حيَّان مازال يلعنـــه حتى مات ، بعد أن كان يعظِّمه " (١) .

ومن أراد الاستزاده في هذا الموضوع ، فعليه بكتاب " التَّوفيق الربَّاني في الردِّ على ابن تيمية الحرَّاني " ، لمجموعة من العلماء . أمَّا عن المسائل التي قالها العلماء مستخرجة من كتب ابن تيمية ، فقد استوعبتها وغيرها في مصنَّف ضخم ، بلغ عدَّة مُجلَّدات ، ذكرت فيه أغلب الطامَّات والمصائب والمستشنعات التي قالها ابن تيمية ... ومعها طامَّات المتمسلفة في القديم والحديث ، تلك الطَّامَّات التي خالفوا فيها عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ...

فالمهمُّ فيما نحن بصدد بيانه وتوضيحه : أنَّ ابن تيمية يعتقد ببدعيَّة التَّوسُّل ، ويزعم أنَّ التَّوسُّل بدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين !!! فيقول : " ... المرتبة الثَّالثة : أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له ، وهذا بدعةٌ باتِّفاق أئمة المسلمين !!! وقد أخبر الله عن إخوة يوسف أنَّهم خرُّوا له سُجَّداً ، وكذلك سجد له أبواه ، وهذا السُّجود ليس مشروعاً لنا ، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأَحد " (٢) .

وكلام ابن تيمية هنا فيه مراوغة مكشوفة ، فقد حاول الرَّبط بين التَّوسُّل إلى الله تعالى ، وبين السُّجود ليوسف عليه السَّلام ، فكما أنَّه لا يجوز لأحد أن يسجد لأحد ، لا يجوز لأحد أن يتوسَّل بأحد ... هذا هو مقصد ابن تيمية من كلامه ، وكلامه هذا يُضحك الثَّكلى ، وللردِّ عليه نقول :

أَوَّلاً : أمَّا ما زعمه من القول بأنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين بدعة باتفاق أئمَّة المسلمين ، فهو محض كذب وافتراء ، ويردُّ عليه ما ذكرته في كتاب : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ، مع العلم أنَّه نقل عن الإمام أحمد في الفتاوى تجويزه للتوسُّل ، فقال : " وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسِكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ للمروذي صَاحِبِهِ : أَنَّه يُتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ " (٣) . وهو في هذا متناقض ، وكم في كلامه من التَّناقضات والتَّخابطات ...

---

(١) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ١٠٥) .

(٢) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٤٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠) ، الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٢٢) .

ثانياً : وأمَّا عن ربطه بين التَّوسُّل والسُّجود ليوسف ، فهو من أعجب العجب ، لأنَّ السُّجود ليوسف ما كان إلَّا على سبيل التحيَّة له ، وقد استبدلها الله تعالى لهذه الأُمَّة بالسَّلام الذي هو تحيَّة أهل الجنَّة ، تكرمة من الله تعالى لهذه الأُمَّة ...

" فَعنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، قَالَ : كَانَ تَحِيَّةُ النَّاس يَوْمَئِذٍ أَنْ يَسْجُدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ " (١) .

ومن المعلوم أنَّ التَّوسُّل ليس عبادة ، بل هو سبيل ووسيلة إلى العبادة ، ووسيلة الشَّيء غيره بالضَّرورة . فالتَّوسُّل لا يشتمل على تعظيم المتوسَّل به إلى الله تعالى ، وليس فيه أيضاً تقرُّبٌ إليه ، بل المتوسِّل يعلم يقيناً أنَّ من توسَّل به إلى الله لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرَّاً ، فليس هو إله يُعبَدُ من دون الله سبحانه ، بل هو مجرَّد وسيلة مرضيَّة محبوبة عند ربِّ البريَّة يقدِّمها العبدُ بين يدي سؤله وطلبه من الله تعالى رجاء الاستجابة له ، لأنَّ المتوسَّل به محبوبٌ ومرضيٌّ عنه من قِبَلِ المتوسِّل إليه . فالتَّوسُّل لا يشتمل البتَّة على الخضوع والتَّذلُّل كما في العبادة ، ولذا فليس هو عبادة ...

ويستمرُّ ابن تيمية في تدليسه ، فيزعم أنَّ التَّوسُّل لم يقل به أحدٌ من السَّلف ، ولم يفعله أحد من الصَّحابة ، ويعتبر زيارة القبور زيارة بدعيَّة شركيَّة ، فيقول : " وأمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ : وَهِيَ زِيَارَةُ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ جِنْسِ زِيَارَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقْصِدُونَ دُعَاءَ الْمَيِّتِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عِنْدَهُ ، فَيُصَلُّونَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَيَدْعُونَ بِهِ ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا " (٢) .

ولنا في الرَّدِّ على كلامه وِقفات :

الوِقْفَةُ الأُوْلَى : أمَّا عن تلبيسه وزعمه بأنَّ زيارة القبر الشَّريف والدُّعاء والتَّوسُّل بصاحبه إلى الله تعالى زيارة بدعيَّة شركيَّة من جنس زيارة النَّصارى ، فيردُّه ما ضمَّنَّاه كتابنا : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ... ونضيف هنا ما ذكره الإمام العيني عن الشَّعبي ، أنَّه قال : حضرت عائشة رضي الله

---

(١) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٣) ، جامع البيان في تأويل القرآن (١٦/ ٢٦٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٥/ ٣٦٣٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٧) .

عنها ، فقالت : إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ، فلا تدفنوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثمَّ دعت بخرقة من قميص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي ، لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر" (١) .

فالسيِّدة عائشة رضي الله عنها طلبت ممَّن حضر أن يُدرجوا في كفنها خرقة من قميص صاحب القبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً منها بقميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا منها توسُّل إلى الله تعالى بقطعة من قميص حبيبه ومصطفاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف بصاحب القبر ؟!!!...

قلت : لقد قامت الأيدي الأثيمة المجرمة عدوَّة الحق وأهله بإزالة ما نقلناه هنا من كلام نفيس ذكره الإمام الزَّبيدي ، من نسخة " إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين " الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، لأنَّه لا يتوافق مع عقائدهم ومذهبهم ومنهجهم ... فهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الحقيقي : غشٌّ ، تدليسٌ ، كذبٌ ، مراوغة ، عبثٌ ، فجورٌ ... ولذلك فإنِّي أدعو الجميع إلى عدم الاطمئنان إلى المكتبة الشَّاملة ، ولا بدَّ لطالب الحقِّ من العودة إلى الكتب الورقيَّة ذات الطَّبعات القديمة ، فإنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة ما فتئوا يعبثون ويعبثون بكتب التُّراث ...

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام الشَّافعي أنَّه قال : " إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة ، وأجيء إِلَى قبره في كلِّ يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صلَّيت ركعتين ، وجئت إِلَى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتى تُقضى " (٢) .

وقد ذكرنا في كتاب " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " الكثير الكثير من توسُّلات السَّلف الصَّالح التي من شأنها أن تبكِّت دعاوى من يزعمون ويدَّعون السَّلفيَّة ...

ثمَّ إنَّ زعم ابن تيمية واعتباره زيارة القبور زيارة بدعيَّة شركيَّة ، أمرٌ لا نستغربه منه ، لأنَّه سبق له أن اعتبر زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، وقد ردَّ عليه في هذه المسألة أغلب علماء عصره ، وكذا من جاء بعده ، وكان قوله هذا سبباً في دخوله السِّجن ، وبقي فيه حتى الوفاة ...

---

(١) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (١٠/ ٣٣٣) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، وانظر : مناقب أبي حنيفة ، الإمام الموفق بن أحمد المكي (ص٤٥٣) .

الوِقْفَةُ الثَّانِيَةُ : أنَّ ابن تيمية ومعه من يدَّعون السَّلفيَّة ما فتئوا يُبدِّعون عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، حتى صار التَّبديع سَنَنَاً وطريقاً لهم في كلامهم مع غيرهم ، مع أنَّهم لم يدركـــوا معنى البدعة أو أنَّهم يَغضُّونَ الطَّرفَ ويشيحون بوجـــوههم عن المعنى الصَّحيح للبدعـــة ، احتراماً لرأي شيخ إسلامهم الذي علَّمهم ...

فقد بيَّن علماء السَّلف والخلف على حدٍّ سواء معنى البدعة ، وأنَّها تنقسم إلى قسمين : بدعة محمودة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة مذمومة ، وهي ما خالف الشَّرع ... وقد ذكرنا ما قاله العلماء في تعريف البدعة سابقاً ، وأزيد هنا ما قاله الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) ، قال : " والبدعة كلّ ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نُسب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو في الدِّين كلّ ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا أنَّ منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من الخير ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً ، وهو ما كان أصله الإباحة ، كما روي عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : " نعمت البدعة هذه "، وهو ما كان فعل خير جاء النصُّ بعموم استحبابه ، وإن لم يقرّر عمله في النصّ . ومنها ما يكون مذموماً ، ولا يعذر صاحبه وهو ما قامت به الحجَّة على فساده فتمادى عليه القائل به " (١) .

قال الإمام أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدِّمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) : " عن حَرْمَلَة ابْن يحيى : سَمِعت الشَّافِعِي رَحمَه الله تَعَالَى يَقُول : الْبِدْعَة بدعتان : بِدعَة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فَمَا وَافق السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُود ، وَمَا خَـــالف السُّنَّة فَهُوَ مَذْمُوم " (٢) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " الْبِدْعَةُ بِدْعَتَان :

بِدْعَةُ هُدًى ، وَبِدْعَةُ ضَلَالٍ ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ الله بِهِ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فِي حَيِّز الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ ، وَمَا كَانَ وَاقِعاً تَحْتَ عُموم مَا نَدب الله إِلَيْهِ وحَضَّ عَلَيْهِ الله أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كنَوْع مِنَ الجُود وَالسَّخَاءِ وفعْل الْمَعْرُوفِ ، فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَردَ الشَّرْعُ بِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعل لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَاباً فَقَالَ : " مَنْ سَنَّ سُنَّة حسَنة كَانَ لَهُ أجْرها وأجرُ مَنْ عَمِل بِهَا " ، وَقَالَ فِي ضِدِّه " وَمَنْ سَنَّ سُنَّة سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِل

---

(١) انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٤٧) .

(٢) انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢) .

بِهَا " (١) ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قولُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نِعْمَت الْبِدْعَةُ هَذِهِ . لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَدَاخِلَةً فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ سَمَّاهَا بِدْعَةً ومدَحها ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسَنَّها لَهُمْ ، وإِنَّما صَلَّاهَا لَيالِيَ ثمَّ تركَها وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا ، وَلَا جَمع النَّاس لَهَا ، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ ، وإِنَّما عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمَعَ النَّاس عَلَيْهَا ونَدَبهم إِلَيْهَا ، فَبِهَذَا سَمَّاهَا بِدْعَةً ، وَهِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سُنَّة ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَلَيْكُمْ بسُنَّتي وسنَّة الْخُلَفَاءِ الراشِدين مِنْ بعْدي " ، وَقَوْلِهِ : " اقتدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ " ، وعَلَى هَذَا التَّأويل يُحمل الْحَدِيثُ الْآخَرُ : " كُلُّ مُحْدَثة بدعةٌ " ، إِنَّما يُرِيدُ مَا خَالَفَ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يُوَافِقِ السُّنَّة " (٢) .

والغريب في الأمر أنَّ ابن تيمية تناقض مع نفسه في تعريف البدعة ، فأيَّد وأقرَّ ما قاله الشَّافعي في تعريف البدعة من غير نكير ، فقال : " ... وَمِنْ هُنَا يُعْرَفُ ضَلَالُ مَنْ ابْتَدَعَ طَرِيقاً أَوْ اعْتِقَاداً زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الرَّسول لَمْ يَذْكُرْهُ ، وَمَا خَالَفَ النُّصُوصَ فَهُوَ بِدْعَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّه خَالَفَهَا فَقَدْ لَا يُسَمَّى بِدْعَةً ، قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ الله -: الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : بِدْعَةٌ خَالَفَتْ كِتَاباً وَسُنَّةً وَإِجْمَاعاً وَأَثَراً عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذِهِ بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ . وَبِدْعَةٌ لَمْ تُخَالِفْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ قَدْ تَكُونُ حَسَنَةً لِقَوْلِ عُمَرَ : نِعْمَتْ الْبِدْعَةُ هَذِهِ . هَذَا الْكَلَامُ أَوْ نَحْوُهُ رَوَاهُ البيهقي بِإِسْنَادِهِ الصَّحِيحِ فِي الْمَدْخَلِ " (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨) .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦-١٠٧) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٣) ، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٩) .

وعلى كلِّ حال ، فهذا ما قاله أساطين العلم في تعريف البدعة ... ولو دقَّقنا في التَّعريف لرأينا أنَّ ابن تيمية هو المبتدع بِدَعاً تصطدم مع مُحكم الكتاب وصحيح السُّنَّة ، فهو من ابتدع القول بحوادث لا أول لها ، وقال بالقِدَم النَّوعي للعالم ، وقال بأنَّ الله تعالى جسم ، وقال بالحدِّ لله تعالى ، وقال بأنَّ الله تعالى بقدْر العرش لا أكبر منه ولا أصغر ، وقال بتقسيم التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام حتى غدا التَّوحيد تعديداً ، وقال بأنَّ القرءان محدثٌ في ذاته تعالى ، وقال بأنَّ إنشاء السَّفر لزيارة نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، وقال بأنَّ نبيَّنا عليه الصَّلاة والسَّلام ليس له جاه ، ولا يتوسَّل به أحد ...

الوِقْفَةُ الثَّالِثَةُ : أنَّ ابن تيمية اعتبر زيارة القبور بما فيها قبر سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيارة بدعيَّة شركيَّة مِنْ جِنْسِ زِيَارَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقْصِدُونَ دُعَاءَ الْمَيِّتِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عِنْدَهُ ، وَزَعَمَ أنَّ هذا كلَّه لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ...

وهذا منه مجازفة خطيرة ...

أمَّا عن زيارة قبر سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد أجبنا عنها في غير ما كتاب من كتبنا ، وذكرنا أنَّ ابن تيمية خالف الأُمَّة حين اعتبر زيارة القبر الشَّريف معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ...

وأمَّا عن زيارة قبور الموتى فهي سنَّة مستحبَّة للاعتبار والعظة ؛ والترحُّم والدُّعاء للأموات ، وقد تضافرت الأحاديث الدالَّة على ذلك ، منها ما رواه مسلم بسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ كَثِيرِ بْنِ الْمُطَّلِبِ ، أَنَّه سَمِعَ محمَّد بْنَ قَيْسٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ تُحَدِّثُ فَقَالَتْ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِّي ، قُلْنَا : بَلَى ، ح وحَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ، حَجَّاجاً الْأَعْوَرَ – وَاللَّفْظُ لَهُ – قَالَ : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ محمَّد ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الله – رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ – عَنْ محمَّد بْنِ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ ، أَنَّه قَالَ يَوْماً : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي قَالَ : فَظَنَنَّا أَنَّه يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : قَالَتْ : لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي ، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَاضْطَجَعَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْداً ، وَانْتَعَلَ رُوَيْداً ، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ، ثمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً ، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي ، وَاخْتَمَرْتُ ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي ، ثمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ ، ثمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ ، ثمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ : " مَا لَكِ ؟ يَا عَائِشُ ، حَشْيَا رَابِيَةً " ، قَالَتْ : قُلْتُ : لَا شَيْءَ ، قَالَ : " لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ، قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، فَأَخْبَرْتُهُ ، قَالَ : " فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي ؟ " قُلْتُ : نَعَمْ ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي ، ثمَّ قَالَ : " أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ ؟ " قَالَتْ : مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاس يَعْلَمْهُ اللهُ ، نَعَمْ ، قَالَ : " فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ ، فَنَادَانِي ، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ ، فَأَجَبْتُهُ ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ " ، قَالَتْ : قُلْتُ : كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : " قُولِي : السَّلام عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ " (١) .

وروى مسلم وغيره بسندهم عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَيَقُولُ : " السَّلام عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَداً ، مُؤَجَّلُونَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ " (٢) .

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً ... " (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٩ برقم ٩٧٤) .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/ ٦٦٩ برقم ٨٤٧) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٨ برقم ٢١٧٧) ، عمل اليوم والليلة (ص٥٨٨ برقم ١٠٩٢) ، ابن حبَّان في الصحيح (٧/ ٤٤٤ برقم ٣١٧٢) ، ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٥٣٤ برقم ٥٩٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٣٢ برقم ٧٢١٠) ، الدعوات الكبير (٢/ ٢٩٨ برقم ٦٣٩) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٤٧١ برقم ١٥٥٦) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (٢/ ١١٨٨ برقم ١٥١٥٠) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٨/ ١٩٩ برقم ٤٧٥٨) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٤٢٩ برقم ١١٣٢٩) ، قال الأرنؤوط : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن من أجل أسامة ، وهو ابن زيد الليثي ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين . ابن مبارك : هو عبد الله ، وعم محمَّد بن يحيى بن حبان : هو واسع بن حبان . وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٩٨٥) من طريق يحيى بن عبد الحميد ، عن ابن المبارك ، بهذا الإسناد . وأخرجه مقطعاً الطحاوي في " شرح معاني الآثار " ٤/ ١٨٦ و٢٢٨ ، ومختصراً بالنهي عن النبيذ البيهقي في " السنن " ٨/ ٣١١ من طريق عبد الله بن وهب ، عن أسامة الليثي ، به . وفي الباب عن ابن مسعود ، سلف برقم (٤٣١٩) ، وذكرنا هناك أحاديث الباب .

وقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ ، وَأَنَا آمُرُكُمْ بِهِنَّ : نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الْأَشْرِبَةِ أَنْ تَشْرَبُوا إِلَّا فِي ظُرُوفِ الْأَدَمِ فَاشْرَبُوا فِي كُلِّ وِعَاءٍ غَيْرَ أَنْ لَا تَشْرَبُوا مُسْكِراً ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تَأْكُلُوهَا بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَكُلُوا وَاسْتَمْتِعُوا بِهَا فِي أَسْفَارِكُمْ " (١) .

وقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ ، وَكُتِبَ بَرّاً " (٢) .

وقد أجمع العلماء على ذلك ، قال الدُّكتور البوطي : " واعلم أنَّ زيارة مسجده وقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من أعظم القُرُبات إلى الله عزَّ وجلَّ ، أجمع على ذلك جماهير المسلمين في كلِّ عصر إلى يومنا هذا . لم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية غفر الله له ، فقد ذهب إلى أنّ زيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مشروعة . ودليل ما أجمع عليه المسلمين من دونه عدَّة وجوه :

الوَجْهُ الأَوَّلُ : مشروعيَّة زيارة القبور عموماً واستحبابها ، وقد ذكرنا فيما سبق أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يذهب كلّ ليلة إلى البقيع يُسلِّم على أهله ويدعو ويستغفر لهم ، ثبت ذلك في الصَّحيح . والأحاديث الثابتة في تفصيل ذلك كثيرة . ومعلوم أنَّ قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل في عموم القبور ، فيسري عليه حكمها .

الوَجْهُ الثَّانِي : ما ثبت من إجماع الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم على زيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسَّلام عليه كلَّما مرُّوا على الرَّوضة الشَّريفة ، روى ذلك الأئمَّة الأعلام وجماهير العلماء بمن فيهم ابن تيمية رحمه الله .

الوَجْهُ الثَّالِثُ : ما ثبت من زيارة كثير من الصَّحابة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، منهم بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رواه ابن عساكر بإسناد جيِّد ، وابن عمر فيما رواه مالك في الموطَّأ ، وأبو أيُّوب فيما رواه أحمد ، دون أن يؤثر عنهم أو عن أحد منهم أي استنكار أو نقد لذلك .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٣٢ برقم ٣٦٩٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٩١ برقم ١٩٢١٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٧٥ برقم ٦١١٤) ، المعجم الصغير (٢/ ١٦٠ برقم ٩٥٥) ، البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٢٩٧ برقم ٧٥٢٢) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول (ص٩٦ برقم ٩٧) .

الوَجْهُ الرَّابِعُ : ما رواه أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسند صحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج يودِّع معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : " يا معاذ إنَّك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلَّك أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري " ، فكلمة (لعلَّ) تأتي في أعمِّ الأحوال للرَّجاء ، وإذا دخلت (أن) على خبرها تمخَّضت للعرض والرَّجاء . فالجملة تنطوي بصريح البيان على توصية معاذ بأن يعرِّج عند رجوعه إلى المدينة على مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره ليسلِّم عليه .

إذا تبيَّن هذا ، فاعلم أنَّه لا وجه لما انفرد به ابن تيمية رحمه الله من دفع هذه الأوجه كلِّها في غير ما دافع ، والقول بأنَّ زيارة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل غير مشروع ! ...

وجملة ما اعتمده ابن تيمية في ذلك ، قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " ، وقوله : " لعن الله اليهود ، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، وقوله : " لا تجعلوا قبري عيداً " .

وليس في شيء من هذه الأحاديث الثَّلاثة ما يصلح أن يكون مستنداً لما انفرد به .

١ . فقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " لا تشدُّ الرحال.. " إلخ استثناء مفرغ كما هو معلوم ، والمستثنى منه محذوف ، وإنَّما يقدَّر المُستثنى من جنس المستثنى منه ، وإلَّا كان استثناء منقطعاً ، وهو استثناء مجازي ، ولا يجوز إضمار المجاز إلّا عند الضَّرورة التي لا تصلح معها الحقيقة .

فتقدير الحديث : لا تشدُّ الرِّحال إلى المساجد إلَّا إلى ثلاثة منها ... إلخ ، فالمُستثنى منه هو المساجد ، والمعنى أنَّ جميع المساجد في الفضل سواء ، إلَّا هذه المساجد الثَّلاثة ، فلا وجه لتفضيل بعضها على البعض في زيارة أو اعتكاف أو نحو ذلك . وعملاً بهذا الحديث قال الفقهاء : أنَّه لو نذر الاعتكاف وسمَّى مسجداً معيناً غير هذه المساجد الثَّلاثة ، لم يجب عليه قصد ذلك المسجد بخصوصه ولم يسنّ ، بل يغنيه أن يعتكف في أي مسجد من مساجد الدُّنيا .

أمَّا حديثنا فهو عن زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو ليس داخلاً لا في المستثنى ولا في المستثنى منه ، فالحديث بمعزل عن أيِّ إشارة إليه ، وهو كما لو قلت : لا يجوز أن تشدُّ الرِّحالُ إلى زيارة الأرحام أو إلى العلماء لنتعلم منهم ، لحديث لا تشدُّ الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد... إلخ !!

ثمَّ إنَّنا نسأل بعد هذا : أفيفهم ابن تيمية من كلمة (شدّ الرِّحال) معناها الحقيقي ، أم المعنى المجازي الذي هو القصد والعزم على الشَّيء ؟

فإن كان يفهم منها المعنى الحقيقي ، فينبغي ألا تحرم زيارة غير هذه المساجد الثَّلاثة من المساجد الأخرى إلَّا إذا شدّ لذلك رحلاً ثمَّ مضى إليه بواسطة الرَّحل ، قربت المسافة أو بعدت ، فإن سعى إليه بوسيلة أخرى غير شدّ الرِّحال لم يعد ذلك حراماً ، وهل يقول عاقل بذلك ؟

وإن كان يفهم من الكلمة معناها المجازي – وإنَّما المعنى المجازي لها هو الاتجاه إلى الشيء لا يقصد غيره – فإن عمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعارضه ويردُّه . فقد كان صلوات الله عليه يزور مسجد قباء في كلِّ أسبوع ، وفي رواية كلّ يوم سبت ، وقد كان مسجد قباء خارج المدينة .

والخلاصة ، أنَّ المستثنى منه في الحديث هو المساجد ، وزيارة الأرحام والقبور والأشخاص والمعالم غير داخلة في المستثنى منه ، فلا شأن للحديث بها . ومعنى الحديث : إنَّ أولى المساجد بالاهتمام للتوجُّه إليها من مسافات بعيدة هذه المساجد الثَّلاثة .

٢. وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لعن الله اليهود اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، لا شأن له بموضوع الزِّيارة إطلاقاً . إذ هو نهي عن اتِّخاذ قبور الأنبياء وما حولها مصلًّى على نحو ما مرَّ بيانه قريباً ، تعلم هذا من قوله (مساجد) إذ المساجد أماكن الصَّلاة . ولو استقام أن يكون مجرَّد زيارة القبر اتخاذاً له مسجداً ، لكان من مقتضى ذلك أن يكون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جعل من البقيع كلِّه مسجداً له ، إذ كان يزوره دائماً .

٣. أمَّا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لا تجعلوا قبري عيداً " ، فإنَّما معناه لا تتَّخذوا لزيارة قبري وقتاً معيَّناً لا يُزار إلَّا فيه ، كما هو شأن العيد ، كما فسَّره بذلك الحافظ المنذري وغيره من علماء الحديث ، ولا مانع أن يضاف إليه أيضاً النَّهي عن إظهار الصَّخب واللهو ومظاهر الزِّينة عنده على نحو ما يكون في الأعياد . أمَّا أن تدلَّ الكلمة على النَّهي عن زيارة قبره ، فإنَّها عن ذلك بمعزل ، وما كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لينهى النَّاس عن اتخاذ قبره عيداً بهذا المعنى المزعوم ثمَّ يعمد هو فيتَّخذ من البقيع في كل يوم عيداً ! ... " [1] .

أمَّا عن زيارة النِّساء للقبور ، فهي مشروعة مستحبَّة ، فقد روى الشَّيخان وغيرهما أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ : " اتَّقِي اللهَّ وَاصْبِرِي ، قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ

---

[1] انظر : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، البوطي (ص٣٤٧-٣٤٩) .

تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : أَنَّه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : " إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى " [1] .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " قَالَ النَّوَوِيّ تبعاً للعبدري وَالْحَازِمِيِّ وَغَيْرِهِمَا : اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ لِلرِّجَالِ جَائِزَةٌ ، كَذَا أَطْلَقُوا ، وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ بن أبي شيبة وَغَيره روى عَن بن سِيرِينَ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَالشَّعْبِيِّ الْكَرَاهَةَ مُطْلَقاً ، حَتَّى قَالَ الشَّعْبِيُّ : لَوْلَا نَهْيُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزُرْتُ قَبْرَ ابْنَتِي ، فَلَعَلَّ مَنْ أَطْلَقَ أَرَادَ بِالِاتِّفَاقِ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ ، وَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْلُغْهُمُ النَّاسِخُ ، وَالله أعلم . وَمُقَابل هَذَا قَول بن حَزْم : إِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ وَاجِبَةٌ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمُرِ ، لِوُرُودِ الْأَمْرِ بِهِ . وَاخْتُلِفَ فِي النِّسَاءِ فَقِيلَ دَخَلْنَ فِي عُمُومِ الْإِذْنِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ !!! وَمَحَلُّهُ مَا إِذَا أُمِنَتِ الْفِتْنَةُ ، وَيُؤَيِّدُ الْجَوَازَ حَدِيثُ الْبَابِ ، وَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَى الْمَرْأَةِ قُعُودَهَا عِنْدَ الْقَبْرِ ، وَتَقْرِيرُهُ حجَّة ، وَمِمَّنْ حَمَلَ الْإِذْنَ عَلَى عُمُومِهِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَائِشَة ، فروى الْحَاكِم من طَرِيق بن أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّه رَآهَا زَارَتْ قَبْرَ أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحمن ، فَقِيلَ لَهَا : أَلَيْسَ قَدْ نَهَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَتْ : نَعَمْ كَانَ نَهَى ثمَّ أَمَرَ بِزِيَارَتِهَا " [2] .

ونصُّ حديث عائشة الذي أشار إليه ابن حجر هو : عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، أَنَّ عَائِشَةَ أَقْبَلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْمَقَابِرِ فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ قَبْرِ أَخِي عَبْدِ الرَّحمن بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقُلْتُ لَهَا : أَلَيْسَ كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، كَانَ قَدْ نَهَى ، ثمَّ أُمِرَ بِزِيَارَتِهَا [3] .

---

[1] أخرجه البخاري (٢/ ٧٩ برقم ١٢٨٣) ، مسلم (٢/ ٦٣٧ برقم ٩٢٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٠٧٧ برقم ١٢٦٥٣) ، أبو داود (٣/ ١٩٢ برقم ٣١٢٤) ، النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩٢ برقم ١٠٨٤٠) ، عمل اليوم والليلة (ص٥٧٨ برقم ١٠٦٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٠٨ برقم ٧١٢٧) ، شعب الإيمان (١٢/ ١٨٤ برقم ٩٢٥٢) ، السنن الصغير (٢/ ٣٨ برقم ١١٦١) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٤٤٧ برقم ١٥٣٩) ، عبد بن حميد في المسند (ص٣٦٢ برقم ١٢٠٣) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٦/ ١٧٦ برقم ٣٤٥٨) ، ابن الجعد في المسند (ص٢٠٨ برقم ١٣٦٨) .

[2] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ١٤٨-١٤٩) .

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٥٣٢ برقم ١٣٩٢) .

وروى ابن أبي شيبة وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحمن بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِالْحُبْشِيِّ ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ الْحُبْشِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً مِنْ مكَّة ، فَدُفِنَ بِمَكَّةَ ، فلمَّا قَدِمَتْ عَائِشَةُ أَتَتْ قَبْرَهُ ، فَقَالَتْ :

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَـــــــةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّـــــــــــي وَمَالِكاً لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعـــــــا

ثُمَّ قَالَتْ : أَمَّا وَاللهَّ لَوْ حَضَرْتُك لَدَفَنْتُك حَيْثُ مِتَّ ، وَلَوْ شَهِدْتُك مَا زُرْتُك " (١) .

والأثر ذكره ابن عبد البر في التَّمهيد عن ابْنَ أَبِي مَلِيكَةَ ، قال : رَكِبَتْ عَائِشَةُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا غُلَامُهَا فَقُلْتُ أَيْنَ ذَهَبَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : ذَهَبَتْ إِلَى قَبْرِ أَخِيهَا (عَبْدِ الرَّحمن تُسَلِّمُ عليه) (٢) .

وقال الإمام القرطبي : " زِيَارَةُ الْقُبُورِ لِلرِّجَالِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، مُخْتَلَفٌ فِيهِ لِلنِّسَاءِ . أَمَّا الشَّوَابُّ فَحَرَامٌ عَلَيْهِنَّ الْخُرُوجُ ، وأَمَّا الْقَوَاعِدُ فَمُبَاحٌ لَهُنَّ ذَلِكَ . وَجَائِزٌ لِجَمِيعِهِنَّ . ذَلِكَ إِذَا انْفَرَدْنَ بِالْخُرُوجِ عَنِ الرِّجَالِ ، وَلَا يُخْتَلَفُ فِي هَذَا إِنْ شَاءَ الله . وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ قَوْلُهُ : " زُورُوا الْقُبُورَ " عَامّاً . وأَمَّا مَوْضِعٌ أَوْ وَقْتٌ يُخْشَى فِيهِ الْفِتْنَةُ مِنِ اجْتِمَاعِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَلَا يَحِلُّ وَلَا يجوز .

فبينا الرَّجل يخرج لِيَعْتَبِرَ ، فَيَقَعُ بَصَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ فَيُفْتَتَنُ ، وَبِالْعَكْسِ فَيَرْجِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَأْزُوراً غَيْرَ مَأْجُورٍ " (٣) .

فالنِّساء لا شكَّ في دخولهنَّ ضمناً في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها " . بل هُنَّ بحاجة إلى الاتعاظ والاعتبار أكثر من الرِّجال ، شريطة أمن الفتنة أثناء الزِّيارة ، وعدم الاختلاط ، مع عدم الزِّينة ، وعدم النِّياحة ...

الوِقْفَةُ الرَّابِعَةُ : أنَّ ابن تيمية زعم أنَّ أحداً من الصَّحابة لم يستحب زيارة القبر الشَّريف والدُّعاء وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عنده ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ...الخ هُرَائِهِ ...

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٣/ ٣٤٣ برقم ١١٩٣٣) ، الفاكهي في أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه (٤/ ١٩١ برقم ٢٥١٣) ، الترمذي (٢/ ٣٦٢ برقم ١٠٥٥) ، البيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٤٥٠ برقم ٩٧٢٧) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٤٦٥) .

(٢) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/ ٢٣٥) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٠-١٧١) .

ويَردُّ على هذا الهُراء ما ذكرناه في كتاب " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " من أقوال لمئات العلماء الذين وقفنا على أقوالهم عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، حيث ذكروا قصَّة الإمام العتبي ... وكذا ما كان من ابن عمر وتحرِّيه الأماكن التي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلِّي فيها ، وكذا قصَّة أبي أيُّوب الأنصاري وما كان منه في وضع الوجه على القبر الشَّريف ، وكذا ما كان من بلال أثناء زيارته للقبر الشَّريف إثر زيارته له قادماً من الشَّام ، وكذا ما كان من عائشة رضي الله عنها إثر القحط الذي أصاب المدينة ، وإشارتها بجعل كواً من القبر الشَّريف إلى السَّماء ، وكذا ما كان في زمان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من القحط ، ورواية مالك الدَّار ، وما تضمَّنته من مجيء الرَّجل إلى القبر الشَّريف ومناداته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا رسول الله استسق لأُمتك ... و ... و ... و ...

وَتَمادى القومُ في غيِّهم وضلالهم فاعتبروا التَّوسُّل ضربٌ من ضروب الشِّرك ، فقد جاء في كتاب " فتح المجيد " : " وكلُّ من دعا نبيَّاً أو وليَّاً من دون الله ، فقد اتَّخذه إلهاً وضاهأ النَّصارى في شركهم ، وضاهأ اليهود في تفريطهم . فإنَّ النَّصارى غلوا في عيسى – عليه السَّلام – واليهود عادوه ، وسبُّوه ، وتنقَّصوه . فالنَّصارى أفرطوا ، واليهود فرَّطوا " [١] .

فهل من نقلنا توسُّلاتهم إلى الله بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا بالأولياء والصَّالحين في هذا كتاب : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " اتَّخذوا من تَوسَّلوا به آلهة من دون الله وضاهأوا النَّصارى واليهود في إفراطهم وتفريطهم ؟!!! كبُرت كلمة تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

وَحَكَمَ عالِمُهم أبو بكر جابر الجزائري على المتوسِّلين بالأنبياء والصَّالحين في دعائهم الله تعالى بالكفر والخلود في النَّار ، فقال : " إنَّ دعاء الصَّالحين والاستغاثة بهم ، والتَّوسُّل بجاههم ، لم يكن في دين الله تعالى قُربة

---

(١) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢١٩) .

، ولا عملاً صالحاً فيتوسَّل به أبداً ، وإنَّما كان شركاً في عبادة الله ، محرَّماً ، يخرجُ فاعله من الدِّين !!! ويوجب له الخلود في جهنَّم " (١) .

وكأنِّي بأبي بكر الجزائري في هذا النصِّ يُنصِّبُ نفسه حاكماً يملك مفاتيح الجنان ، يوزِّع من خلالها صكوك الغفران ، فلا يمنحها إلَّا لشيعته من غير المتوسِّلين ، ويملك مفاتيح النيران ، يُدخل فيها جميع من خالفه في مسألة التَّوسُّل وغيرها ، بعد أن أخرجهم من ربقة الدِّين ، وحكم عليهم بالخلـــود في جهنَّم ...

وقال عالمهم محمَّد أحمد باشميل : " أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين الذين يقولون الشَّهادتين ، لأنَّهم يتوسَّلون بالأولياء (٢) ...

والكتاب المذكور كان يوزَّع مجاناً في مواسم الحجّ ، فانتشر التَّكفير بهذه الطَّريقة في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، والعياذ بالله .

والباشميل في كلامه السَّابق يجعل كُبراء الكفر والشِّرك والوثنيَّة وفراعنته أكثر توحيداً ، وأخلص إيماناً بالله من المسلمين الذين ينطقون الشَّهادتين بسبب توسُّلهم إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء ... مع العلم أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعت أبا جهل بأنَّه فرعون الأُمَّة ، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنَّه قَالَ : " هَذَا فِرْعَوْنُ أُمَّتِي " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ فرعون هو الذي قال لسيِّدنا موسى عليه السَّلام : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء : ٢٩] ، وهو القائل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص : ٣٨] ، وهو القائل : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] . والباشميل بكلامه السابق يكفِّر عموم الأُمَّة ... فهل صناديد الشِّرك والكفر والزَّندقة والإلحاد وفراعنته أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين المؤمنين الموحِّدين المُخبتين المتوسِّلين إليه سبحانه بوسيلة محبوبة لديه سبحانه وتعالى ؟ !!! سبحانك هذا بهتان عظيم ...

---

(١) انظر : عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري (ص١٤٤) .

(٢) انظر : كيف أفهم التوحيد (ص١٦) .

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣ برقم ٣٨٢٥) .

ونحن لا نستغرب هذه المجازفة الخطيرة من هذا الباشميل وغيره من مُدَّعي السَّلفيَّة ، لأنَّ هذا الصَّنيع شنشنة سار عليها مدَّعو السَّلفيَّة في تكفير الأُمَّة المحمَّديَّة ، وهو أمرٌ دفعني لتتبُّع تكفيراتهم المبثوثة في كتبهم ، وقد تكفَّلت المادَّة العلميَّة المعدَّة لهذا الأمر بصناعة هذا السِّفر الذي لا أطلب من خلاله منهم إلَّا أن يعودوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى الله عن غيِّهم وسوء صنيعهم ...

وقال الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " أنَّ التَّوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرُّسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده . فأوَّلهم نوح – عليه السَّلام – أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصَّالحين ودّاً ، وسواعاً ، ويغوث ، ونسراً . وآخر الرسُّل محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو الذي كسر صور هؤلاء الصَّالحين ، أرسله الله إلى أُناس يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! ولكنَّهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله " (١) .

ومُراده ولسان حاله من هذا الكلام : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قاتل من يتعبَّدون ، ويتصدَّقون ، ويحجُّون ... فلا مانع يمنع إذن من قتالهم ، لأنَّ التَّشابه – بنظره – بين من أُرسل الرَّسول إليهم ومن يعيشون في زمانه واحد ، ولذلك أراق ابن عبد الوهَّاب دماء عشرات بل مئات الألوف ممَّن خالفوا دعوته ، ولم ينظووا تحت إمرته ، مستحلاً ذلك ، داعياً إليه ، بحجَّة المحافظة على التَّوحيد ...

فابن عبد الوهَّاب المنعوت عند من يدَّعون السَّلفيَّة بشيخ الإسلام المجدِّد للتَّوحيد ، يزعم أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى قوم يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! وأنَّ خطئهم الوحيد فقط هو أنَّهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ...

إذن وظيفة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت فقط من أجل محاربة التَّوسُّل والمتوسِّلين ، وأنَّ من أُرسل فيهم كانوا على قلب رجل واحد في التَّوحيد خلا مسألة التَّوسُّل ... كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ...

وما كان منهم هذا وغيره إلَّا بسبب ما اخترع لهم منظِّرهم وموجِّههم وكبيرهم الذي علَّمهم ... ابن تيمية ، حيث اخترع لهم وابتكر القول بتقسيم التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام ، هي : توحيد الرُّبوبيَّة ، وتوحيد الألوهيَّة ، وتوحيد الأسماء والصِّفات ، مع أنَّ هذا التَّقسيم لم يقل به أحد من العالمين بالصُّورة التي قسَّمه عليها وأراده من

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص٣) .

خلالها ابن تيمية ، وقد أوحى لهم فيه أنَّ الكفرة والمشركين موحِّدين لله تعالى توحيد ربوبيَّة ، لكنَّهم ليسوا موحِّدين توحيد أُلوهيَّة ، ولذلك أدخلوا المتوسِّلين بالأنبياء والصَّالحين في هذا المدخل ، فحكموا بشركهم وكفرهم ، والعياذ بالله تعالى ...

وفي هذا يقول ابن تيمية عن علماء الأُمَّة من المتكلِّمين : " وَهَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَأَخِّرُونَ الَّذِينَ خَلَطُوا الْفَلْسَفَةَ بِالْكَلَامِ كَثُرَ اضْطِرَابُهُمْ وَشُكُوكُهُمْ وَحَيْرَتُهُمْ بِحَسَبِ مَا ازْدَادُوا بِهِ مِنْ ظُلْمَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَفَلْسِفَةِ الَّذِينَ خَلَطُوا الْفَلْسَفَةَ بِالْكَلَامِ . فَأُولَئِكَ قَلَّتْ ظُلْمَتُهُمْ بِمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمِلَلِ ، وَهَؤُلَاءِ كَثُرَتْ ظُلْمَتُهُمْ بِمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ كَلَامِ أُولَئِكَ الْمُتَفَلْسِفَةِ .

هَذَا مَعَ أَنَّ فِي الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مِنَ الِاضْطِرَابِ وَالشَّكِّ فِي أَشْيَاءَ ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعَ ، وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ فِي مَوَاضِعَ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْحَقِّ فِي مَوَاضِعَ مَا ذَمَّهُمْ لِأَجْلِهِ عُلَمَاءُ الْمِلَّةِ وَأَئِمَّةُ الدِّين ، فَإِنَّهُمْ قَصَّرُوا فِي مَعْرِفَةِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الله فِي كِتَابِهِ ، فَعَدَلُوا عَنْهَا إِلَى طُرُقٍ أُخْرَى مُبْتَدَعَةٍ فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ مَا لِأَجْلِهِ خَرَجُوا عَنْ بَعْضِ الْحَقِّ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا فِي بَعْضِ الْبَاطِلِ الْمُبْتَدَعِ ، وَأَخْرَجُوا مِنَ التَّوْحِيدِ مَا هُوَ مِنْهُ كَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِثْبَاتِ حَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللهَّ وَصِفَاتِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَّا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ . وَهَذَا التَّوْحِيدُ كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَالَ الله عَنْهُمْ : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٦-٨٧] ، وَقَالَ عَنْهُمْ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠] . قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ : يَقُولُ لَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض ؟ فَيَقُولُونَ : الله ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ . وإِنَّمَا التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَةِ ، الْمُتَضَمِّنُ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِأَنْ يُعْبَدَ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً ، فَيَكُونُ الدِّين كُلُّهُ للهَّ " (١) .

ولنا على كلام ابن تيمية هذا ملاحظتين :

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣/ ٢٨٨-٢٩٠) .

المُلَاحَظَةُ الأُوْلَى : أنَّه اتَّهم المتكلِّمين بأنَّهم خلطوا الفلسفة بالكلام ، ولذلك اضطرب كلامهم ، وازدادت شكوكهم وحيرتهم ، وازدادوا ظلمةً من ظلمة الفلاسفة .... مع أنَّ النَّاظر في كتب ابن تيمية يجد أنَّ كلامه ينطبق عليه تماماً بشهادة تلميذه الذَّهبي الذي وجَّه له رسالة اشتهرت باسم : " الرِّسالة الذَّهبيَّة " ، نصح فيها شيخه ابن تيمية للعدول عن غيِّه وضلاله ونبشه لدقائق الكفريَّات الفلسفيَّة ، واتَّهمه فيها ببلع سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، ونصُّ الرِّسالة هو :

" الحمد لله على ذلَّتي ، يا ربِّ ارحمني وأقلني عثرتي ، واحفظ عليَّ إيماني ، واحزناه على قلَّة حزني ، واأسفاه على السُّنَّة وذهاب أهلها ، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء ، واحزناه على فَقْد أُناس كانوا مصابيح العلم وأهل التَّقوى وكنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب النَّاس ، وتَبّاً لمن شغله عيوبُ النَّاس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمُّ العلماء ، وتتبُّع عورات النَّاس مع علمك بنهي الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تذكروا موتاكم إلا بخير ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا " (١) ، بلى ، أعرفُ إنك تقول لي لتنصُرَ نفسك : إنَّما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جهاد ، بلى والله عرفوا خيراً ممَّا إذا عمل به العبد فقد فاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممَّا لا يعنيهم ، و " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (٢) ...

يا رجل ، بالله عليك كفَّ عنَّا ، فإنك مِحجاجٌ عليم اللسان ، لا تقرّ ولا تنام ، إيَّاكم والأغلوطات في الدِّين ، كره نبيُّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال ، وقال : " إنَّ أخوف ما أخاف على أُمَّتي كلّ منافق عليم اللسان " (٣) ... ، وكثرة الكلام بغير زلل تقسِّي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيَّة والفلاسفة وتلك الكفريَّات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريَّات الفلسفيَّة بعقولنا ، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، وكثرة استعمال السُّموم يُدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبُّر ، وخشية بتذكُّر ،

---

(١) أخرج الشق الأول منه : الطيالسي في المسند (٣/ ٩٥ برقم ١٥٩٧) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٦٤ برقم ٥٣) ، وغيره .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٩ برقم ١٤٤) ، وغيره .

وصمت بتفكُّر ، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار ، فعند ذكر الصَّالحين تنزل الرَّحمة ، لا عند ذكر الصَّالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجَّاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما ، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضَّلال ، قد صارت هي محض السُّنَّة وأساس التَّوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون ، وتعدّ النَّصارى مثلنا ، والله في القلوب شكرك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشَّهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من اتَّبعك فإنَّه مُعَرَّضٌ للزَّندقة والانحلال !!! ولا سيَّما إذا كان قليل العلم والدين باطوليَّاً شهوانيَّاً ، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدوٌّ لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيدٌ مربوط خفيف العقل ، أو عاميّ كذَّاب بليد الذهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل .

يا مسلم ، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ إلى كم تصدِّقها وتزدري الأبرار ، إلى كم تعظِّمها وتصغر العباد ، إلى متى تُخاللها وتمقت الزهَّاد ، إلى متى تمدح كلامك بكيفيَّة لا تمدح بها والله أحاديث الصَّحيحين ، يا ليت أحاديث الصَّحيحين تسلم منك ، بل في كل وقت تُغيرُ عليها بالتَّضعيف والإهدار ، أو بالتأويل والإنكار .

أما آن لك أن ترعوي ؟ أمَّا حان لك أن تتوب وتنيب ، أمَّا أنت في عشر السبعين وقد قرب الرَّحيل . بلى والله ما أذكر أنك تذكر الموت ، بل تزدري بمن يذكر الموت ، فما أظنُّك تُقبل على قولي ، ولا تُصغي إلى وعظي ، بل لك همَّة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلَّدات ، وتقطع لي أذناب الكلام ، ولا تزال تنتصر حتى أقول لكَ : والبتة سكت .

فإذا كان هذا حالك عندي ، وأنا الشَّفوق المحبُّ الوادّ ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء ، كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر .

قد رضيتُ منك بأن تسبَّني علانية ، وتنتفع بمقالتي سرّاً : " فرحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي " (١) ، فإنِّي كثير العيوب ، غزير الذنوب ، الويل لي إن أنا لا أتوب ، ووافضيحتي من علاَّم الغيوب ، ودوائي عفو الله

---

(١) أخرجه من كلام عمر بن الخطَّاب : الدارمي (١/ ٥٠٦ برقم ٦٧٥) .

ومسامحته وتوفيقه وهدايته ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد خاتم النبيِّين ، وعلى آله وصحبه أجمعين " (١) .

والرِّسالة ثابتة لا مجال للطَّعن فيها ، وذلك لـ :

١ .أنَّ الإمام الذَّهبي تلميذ من تلاميذ ابن تيمية المشهورين ، وهو لا يعتقد في ابن تيمية العصمة ، بل خالفه وناقشه في العديد من المسائل ، قال الإمام الذَّهبي في معرض كلامه عن ابن تيمية ، على ما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ عصمَة ، بل أَنا مُخَالف لَهُ فِي مسَائِل أَصْلِيَّة وفرعيَّة !!! ... " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي في تذكرة الحفَّاظ في حديثه عن ابن تيمية : " وقد انفرد بفتاوى نيل من عِرضِهِ لأجلها ،... فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه ، وكلّ أحد من الأمَّة فيؤخذ من قوله ويُترك " (٣) .

وهذا بعكس من يدَّعون السَّلفيَّة في زماننا ، أولئك الذين أضفوا على كلام ابن تيمية هالة عظيمة من الجلال والإعظام ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأنَّ كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بدليل أننا لم نرَ عالماً منهم تجاسر على تخطئة ابن تيمية ، اللهم إلا الألباني – فيما اطلعت – وقد ناقشه وخالفه على استحياء ، بل أنَّه حين ناقشه في مسألة فناء النَّار ذكر أنَّ لابن تيمية أجْراً !!! فيما اجتهد فيه من القول بفناء النَّار ، مع أنَّ المسألة مسألة قطعيَّة لا مجال للاجتهاد فيها ...

فلا مجال البتَّة لاعتقاد عدم صحَّة نسبة الرِّسالة للإمام الذَّهبي ، لأنَّ الدِّين النَّصيحة ، والإنسان أيَّاً كان لا يستغني عن النَّصيحة ، والرِّسالة برمَّتها ما خرجت إلا مخرج النَّصيحة ، وقد وصف الإمام الذَّهبي أتباع ابن تيمية في النَّصيحة بقوله : " يا خيبة من اتبعك ، فإنَّه معرَّض للزَّندقة والانحلال ، لاسيما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليَّاً شهوانيَّاً . لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيدٌ مربوطٌ خفيفُ العقل ، أو عاميٌّ كذَّاب بليد الذهن أو غريب واجم ، قويُّ المكر أو ناشفٌ

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الردِّ على رد ابن زفيل (ص٢١٧-٢١٩) .

(٢) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٦) .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٢) .

صالحٌ عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل ... كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر " .

ففي هذا المقطع قيَّم ووزن الذَّهبي أتباع ابن تيمية ممن يدَّعون السَّلفيَّة ، وهذا مدعاة لأن يُراجعوا أنفسهم ، فقد وصف أتباعه بأنَّ منهم القعيد والمربوط وخفيف العقل ، وبليد الذهن وقويّ المكر ، كما أنَّ أوليائه فيهم الفجرة والكذبة والبقر والعور . وفي هذا إشارة إلى أنَّ فكرهم فيه جهل وكذب . وكم نتمنَّى أن تكون نصيحة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية مدعاة لمدَّعي السَّلفيَّة في زماننا كي يراجعوا حساباتهم وأنفسهم ، خاصَّة وأنَّهم ما تركوا عالماً من غير طريقتهم إلا وصموه بالكفر والنِّفاق ، والتَّعطيل والتَّجهُّم ، والتَّفسيق والتَّضليل ...

٢. أنَّ الإمام الذَّهبي انتقد ابن تيمية غير مرَّة ، من ذلك قوله : " فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة ، وآراء الأوائل ومجازات العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسُّنَّة وأصول السَّلف ، ولفَّقت بين العقل والنَّقل ، فما أظنُّك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها ، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحطِّ عليه ، والهجر والتَّضليل والتَّكفير والتَّكذيب بحقٍّ وبباطل ، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصِّناعة منوَّراً مضيئاً ، على محيَّاه سيما السَّلف ، ثمَّ صار مظلماً مكسوفاً ، عليه قتمة عند خلائق من النَّاس ، ودجَّالاً أفَّاكاً كافراً عند أعدائه ، ومبتدعاً فاضلاً محقِّقاً بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء ، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدِّين ومحيي السُّنَّة عند عوامِّ أصحابه " [١] .

فالذَّهبي ذمَّ ابن تيمية بسبب خوضه بالفلسفة ، وهذا الذمُّ منه ينسف مدحه له في تذكرة الحفَّاظ حين قال : " فما رأيت مثله " [٢] .

وقال الإمام الذَّهبي : " فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له : ابن تيمية ، مع الزُّهد في المأكل والملبس والنساء ، ومع القيام في الحقِّ والجهاد بكلِّ ممكن ، وقد تعبتُ في وزنه وفتَّشته حتى مللت في سنين متطاولة ، فما وجدت قد أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذَّبوه وكفَّروه إلا الكبر والعجب ، وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار ، فانظر كيف وبال الدَّعاوي ومحبَّة الظهور ، نسأل الله تعالى المسامحة ، فقد قام عليه أُناسٌ ليسوا بأورع منه ، ولا أعلم منه ، ولا أزهد منه ، بل

---

[١] انظر : زغل العلم (ص٤٢) .

[٢] انظر : تذكرة الحفاظ (٤٤/ ١٩٢) .

يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم ، وما سلَّطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه ، وما دفعه الله عنه وعن أتباعه أكثر ، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقُّون ، فلا تكن في ريب من ذلك " [١] .

٣. أثبت رسالة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، فقال : " وقد رأيت له – أي للذَّهبي – عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبته لمزيد تعصُّبه مفيدة " [٢] .

وكذلك أثبتها الأستاذ الدُّكتور بشار عوَّاد معروف ، فقال عن الرِّسالة : " وهي رسالة بعث بها الذَّهبي إلى شيخه ورفيقه أبي العباس ابن تيمية الحرَّاني ينصحه فيها ، ويعاتبه في بعض تصرُّفاته ، وهي رسالة مفيدة في تبيان عقيدة الذَّهبي ، وقد ذكرها السَّخاوي في الإعلان ... وذهب بعضهم إلى القول بأنها مزوَّرة ، ولا عبرة بذلك " [٣] .

وتكلَّم الأستاذ الدُّكتور بشَّار عوَّاد معروف عن نُسخ الرِّسالة ، وأنَّها موجودة في : دار الكتب المصريَّة بخط تقي الدِّين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفَّى سنة (٨٥١هـ) رقم (١٨٨٢٣) ، وفي : دار الكتب الظَّاهريَّة برقم (١٣٤٧) ، والنَّصّ الذي ذكرته هنا هو المثبت في كتاب : " السَّيف الصَّقيل في الرَّدِّ على ابن زفيل " للإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي المتوفَّى سنة (٧٥٦هـ) ...

المُلاحَظَةُ الثَّانِيَةُ : أنَّه قسَّم التَّوحيد إلى أقسام ثلاثة : ربوبيَّة ، وألوهيَّة ، وأسماء وصفات . وهذا التَّقسيم ما سبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يقل به أحد من السَّلف الذي يزعم أنَّه يقول بقولهم ، وقد اعتاد أتباعه ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة ظلماً وزوراً وبهتاناً وعدواناً على هذا التَّقسيم في مؤلَّفاتهم ومصنَّفاتهم ، وكان من أشهرهم : ابن أبي العزّ شارح العقيدة الطَّحاويَّة ، الذي خالف عقيدة الطَّحاوي في أمور عديدة لا يستحق بسببها أن يُسمَّى شرحه باسمها ، وقد ذكرتها في كتابي : " إِرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ اللهِ عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل " ، ولذلك قال عنه الإمام علي القارِّي الحنفي : صاحب مذهب باطل تابع لطائفة من المبتدعة ...

---

[١] انظر : زغل العلم (ص٣٨) .

[٢] انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٧٧) .

[٣] انظر : الذهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام (ص١٤٦) .

وفي الرَّدِّ على هذا التَّقسيم المبتدَع ، قال الإمام محمَّد العربي التبَّاني الشَّهير بأبي حامد مرزوق (١٣٩٠هـ) : " ... لم يقل الإمام أحمد بن حنبل الذي انتسب إليه كذباً لأصحابه : إنَّ التَّوحيد قسمان : توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وإنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، وهذه عقيدة الإمام أحمد مدوَّنة في مصنَّفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي ، وفي غيره ليس فيه هذا الهذيان .

الوَجْهُ الثَّانِي : لم يقل أيُّ واحد من أتباع التَّابعين لأصحابه : إنَّ التَّوحيد قسمان : توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وإنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الربوبيَّة ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوَجْهُ الثَّالِثُ : لم يقل أيُّ واحد من التَّابعين لأصحابه : إنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوَجْهُ الرَّابِعُ : لم يقل أيُّ صحابي من أصحاب النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم ورضي عنهم أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وأنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الربوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، وإني أتحدَّى كلَّ من له إلمامٌ بالعلم أن ينقل لنا هذا التَّقسيم المخترَع عنهم ، ولو برواية واهية .

الوَجْهُ الخَامِسُ : لم يأت في سنَّة النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عزَّ وجلَّ من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ، أنَّ النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم كان يقول لأصحابه ويعلمهم أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وأنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الربوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثبات هذا الهذيان عن النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم بإسناد ولو واهياً لا يستطيعون .

الوَجْهُ السَّادِسُ : بل كُتُب السُّنَّة طافحة بأنَّ دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس إلى الله كانت إلى شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ، وخلع عبادة الأوثان ، ومن أشهرها : حديث معاذ بن جبل لما أرسله النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم إلى اليمن ، فقال له : " ادعهم إلى شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أنَّ عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... الحديث " .

وروى الخمسة وصحَّحه ابن حبَّان أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره أعرابيٌّ برؤية الهلال ، فأمر بالصِّيام ولم يسأله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا عن الإقرار بالشَّهادتين ، وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم جميع النَّاس إلى توحيد الألوهيَّة الذي جهلوه ، وأمَّا توحيد الربوبيَّة فقد عرفوه ! ويقول لمعاذ : ادعهم إلى توحيد الألوهيَّة ! ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الألوهيَّة ؟!

الوَجْه السَّابعُ : لم يأمر الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بتوحيد الألوهيَّة ، ولم يقل لهم : إنَّ من لم يعرفه لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الربوبيَّة ، بل أمر وهو :

الوجه الثَّامِنُ : بكلمة التوحيد مطلقة ، قال الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيَّه صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمَّد : ١٩] ، وهكذا جميع آيات التَّوحيد المذكورة في القرآن ، مع سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن .

الوَجهُ التَّاسِعُ : يلزم على هذا الهذيان على الله تبارك وتعالى لعباده حيث عرفوا كلهم توحيد الربوبيَّة ولم يعرفوا توحيد الألوهية ـ أن يبيِّنه لهم ولا يضلّهم ولا يعذّبهم على جهلهم نصف التَّوحيد ولا يقول لهم : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة : ٣] ، نعوذ بالله من زلقات اللسان ، وفساد الجنان .

الوَجْهُ العَاشِرُ : الإله هو الربُّ ، والربُّ هو الإله ، فهما متلازمان يقع كلّ منهما في موضع الآخر ، وكتاب الله تعالى طافحٌ بذلك ، وكذلك سنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١] ، وكان اللازم – على زعمه – حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبيَّة ولا يعرفون توحيد الألوهيَّة أن يقول الله : (أُعبدوا إلهكم) !!

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، وكان اللازم – على زعمه حيث كان النَّمرود يعرف توحيد الرُّبوبيَّة ويجهل توحيد الألوهيَّة – أن يقول الله تعالى : (ألم

ترَ إلى الذي حاجَّ ابراهيم في إلهه) !! وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] ، اتَّقوا إلهكم ، وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] : هل يستطيع إلهك ...

الوَجْهُ الثَّلَاثُوْن : جعله التَّوسُّل والاستغاثة عبادة للمتوسَّل به والمُستغاث به والمُستعان به !!

قوله : (وهم مع ذلك يعبدون غيره) فاسد أيضاً ، ومعناه يقول أحمد بن تيمية الملبس بلفظ (الطَّائفة) ، والملبس أيضاً المدَّعي أنَّه (من السَّلف) للمالكيَّة والشافعيَّة والحنفيَّة ومستقيمي العقيدة من الحنابلة ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان: ٢٥] ، وهم مع اعترافهم بتوحيد الربوبيَّة مشركون في رأيه لأنَّهم (يعبدون غيره) ، أي : يتوسَّلون بالنبيِّ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم وبالصَّالحين من أُمَّته ، ويستغيثون ويستعينون بهم ، وكلٌّ من التَّوسُّل والاستعانة والاستغاثة عبادة غير الله تعالى في زعمه !!

وقد اعتمد في تكفير المسلمين بهذه الألفاظ على إرادة نفع جاه المُتوسَّل به أو المُستغاث به مثلاً ، قياساً على عبدة الأوثان بجامع الإرادة المذكورة في كلّ ، وهو قياس فاسد من ستَّة أوجه :

الأوَّلُ : جهله حقيقة العبادة ، فإنَّ العبادة لغة : أقصى نهاية الخضوع والتذلُّل بشرط نيَّة التقرُّب ، ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التَّعظيم ، فقد تبيَّن منه أنَّ العبادة لغة لا تُطلق إلا على العمل الدالِّ على الخضوع المتقرّب به لمن يعظمه باعتقاد تأثيره في النَّفع والضُّر ، أو اعتقاد الجاه العظيم الذي ينفعه في الدُّنيا والآخرة ، وهي التي نهى الله سبحانه وتعالى عن أن تقع لغيره ، وكفر من لم ينته عنها ، وما قصر عن هذه المرتبة لا يقال فيه عبادة لغير الله .

وشرعاً : امتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنَّه أمر ، مع المبادرة بغاية الحبِّ والخضوع والتَّعظيم ، فاعتبر فيها ما اعتبر في اللغويَّة من الخضوع والتَّذلُّل والتَّعظيم .

فاللغويَّة غير مقيَّدة بعمل مخصوص ، والشَّرعيَّة مقيَّدة بالأعمال المأمور بها ، فكانت جارية على الأعمِّ الأغلب في الحقائق الشرعيَّة من كونها أخصّ من اللغويَّة .

ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة اليهودي مثلاً ، لأنَّه وإن تمسَّك بشريعة إلا أنها لما كانت منسوخة كانت كأن لم تكن ، وعبادة المبتدع في الدِّين ما ليس منه ، فالله سبحانه لَمَّا نهى الكفَّار عمَّا هم مشتغلون به من عبادة غيره ، ووبَّخهم على وضع الشَّيء في غير محلِّه وتعظيمهم غير أهله ، وبيَّن لهم بالدَّلائل الواضحة عدم صلوحيَّة ما اتخذوه من دونه لما اتَّخذوه إليه ، وكان الحامل لهم على ذلك اتباع أهوائهم ، والاسترسال مع أغراضهم ، وذلك مناف لعبوديَّتهم ، إذ العبد لا يتصرَّف في نفسه بمقتضى شهوته وغرضه ، وإنَّما يتصرَّف على مقتضى أمر سيِّده ونهيه ، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتباع أغراضهم ، حتى يكونوا عبيداً لله تعالى ، اختياراً ، كما هم عبيد له اضطراراً ، فوضع لهم الشَّريعة المطهَّرة وبيَّن لهم الأعمال التي تعبَّدهم بها ، والطُّرق التي توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذي ارتضاه لهم ، ونهاهم عن مجاوزة ما حدَّ لهم ...

وعلى هذا فشرط كونها عبادة نيَّة التقرُّب للمعبود ، فالسُّجود لا يكون عبادة ولا كفراً إلا تبعاً للنيَّة ، فسجود الملائكة عليهم الصَّلاة والسَّلام لآدم عليه الصَّلاة والسَّلام عبادة لله ، لأنَّه امتثال لأمره وتقرُّب وتعظيم له ، والسُّجود للصَّنم كفرٌ إذا قصد به التقرُّب إليه ، إذ هو عبادة لغير الله ، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو إنكاره لأنَّه علامة على الكفر .

والسُّجود للتحيَّة معصية فقط في شرعنا ، وقد كان سائغاً في الشَّرائع السَّابقة ، بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليهم الصَّلاة والسَّلام .

فتحقَّق من تعريفي العبادة لغة وشرعاً أنَّ العبادة التذلُّل والتعظيم للمعبود ، وعليه ، فليس كلّ تعظيم عبادة ، وأنَّ ضابط التَّعظيم المقتضي للعبادة هو أن يعتقد له التأثير في النفع والضر ، أو يعتقد له الجاه التامّ والشَّهادة المقبولة بحيث ينفع في الآخرة ويستنزل به النَّصر والشِّفاء في الدُّنيا .

والتوسُّل لا يُسمَّى عبادة قطعاً ، ولا يقال فيه عبادة ، وإنَّما هي وسيلة إليها ، ووسيلة الشيء غيره بالضَّرورة .

الثَّانِي : الوسيلة لغة كلّ ما يتقرَّب به إلى الغير ، وسل إلى الله تعالى توسيلاً ، عمل عملاً تقرَّب به إليه ، فتحقَّق منه أنَّ التَّوسُّل لا يُسمَّى عبادة قطعاً ، ولا يقال فيه عبادة ، وإنَّما هو وسيلة إليها ، ووسيلة الشيء غيره بالضَّرورة وهو واضح ، فإنَّ التَّوسُّل لا تقرُّب فيه للمتوسَّل به ولا تعظيمه غاية التَّعظيم ، والتَّعظيم إذا لم يصل إلى هذا الحدِّ لا يكون الفعل المعظَّم به عبادة ، فلا يُطلق اسم العبادة على ما ظهر من الاستعمال اللغوي إلا على

ما كان بهذه المثابة من كون العمل دالًّاً على غاية الخضوع منويّاً به التقرُّب للمعبود تعظيماً له بذلك التعظيم التام ، فاذا اختلَّ شيء منها منع الإطلاق ، أمَّا الدلالة على نهاية الخضوع فظاهر ، لأنَّ مناط التَّسمية لم يوجد ، ولأنَّ النَّاس من قديم الزمان إلى الآن يخضعون لكبرائهم ورؤسائهم بما يقتضيه مقامه الدُّنيوي عندهم ويحيُّونهم بأنواع التحيَّات ، ويتذلَّلون بين أيديهم ، ولا يعدُّون ذلك قُربة ، ولا يُطلقون عليه اسم العبادة ، وإنَّما يرونه من باب الأدب ، وما ذاك إلا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته ، والعظيم الناشئ عنه لم يبلغ غايته ، وبهذا ظهر الفرق بين التَّوسُّل والعبادة ، على أنَّ عَبد يتعدَّى بنفسه ، وتوسَّل يتعدَّى بحرف الجر .

وقد أوغل ابن تيمية في بيداء القياس الفاسد دفعتين ، قياسه معاني هذا الألفاظ ، توسَّل استعان ، استغاث ، تشفَّع ، على العبادة ، وقياسه المؤمنين المتوسِّلين بالنَّبي صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم مثلاً على عبدة الأوثان من دون الله بجامع إرادة الجاه في كلٍّ .

فلينظر اللبيب إلى أين رماه جهله باللغة العربيَّة ، فإنَّه لو تأمل في قول القائل : اللهم اني أتوسَّل إليك بفلان ، وأجراه على ما تدلُّ عليه اللغة لوجد معناه ، اللهم إنِّي أتقرَّب إليك وأتحبَّب إليك ، فهو دالٌّ بجوهره على أنَّ التقرُّب لله لا لمن يراد جاهه !!

ومن جهل الفرق بين عَبَد وتوسَّل ، كيف يصحُّ له القياس في دين الله وإلحاق بعض الفروع ببعض ، والقياس أصعب أنواع الاجتهاد ، لكثرة ما يعتبر في أركانه من الشروط ، وما يَردُ عليه من المعارضات والمناقضات وغير ذلك من أنواع الاعتراضات ، فلا يصفو مشربه إلا لأهل الاجتهاد ، ومن أحاط بمداركهم على اختلاف مراتبهم ، ومن قصَّر عن تلك المراتب لا يسوغ له الجزم بالحكم المأخوذ منه في دانق ، فكيف بالحكم المأخوذ منه في تكفير المسلمين ؟!!

الثَّالِثُ : وحيث تحقَّق الفرق بين العبادة والتَّوسُّل ، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب إناطة الحكم به ، وهو اشتمالها على الأعراض عن الله وإطلاق الإلهيَّة على غيره ، وإقامته مقامه ، وخدمته بما يستحق أن يخدم ، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السُّنَّة ، وملخَّص كلامه : أنَّ الشُّبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هي أنَّهم استصغروا أنفسهم فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة ، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أول وهلة بخدمة العظيم ، وقرَّبوا ذلك بأمر مستحسن في العادة ، وهو أنَّ الحقير لا ينبغي له أن يخدم الملك حتى يخدم عماله إلى أن يترقَّى لِخدمته ، وقال : وهذه هي الحاملة على التَّوسُّل إلى الله تعالى بمن له جاه عنده ، إلَّا أنَّ

الشَّرع أذِنَ في التَّوسُّل ولم يأذن في العبادة ، فكانت حاجة الكفَّار تندفع بما شرعه الله ، إلا أنَّ الله تعالى أعمى بصائرهم ، ولو تنبَّهوا لأمر عادي آخر لأرشدهم ، فإنَّ الملك من ملوك الدُّنيا إذا استجاه له أحد بعظيم من وزرائه وتشفَّع له بذلك ، ربَّما أقبل عليه وأخذ بيديه وقضى ما أراده منه . أمَّا إذا عظم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه في مقامه فيما يختصُّ به الملك عن غيره ، رجاء أن يقضي ذلك الوزير حاجته من الملك ، فإنَّ الملك إذا علم بصنيعه يغضب أشدَّ الغضب ، ولا يقتصر في العقوبة على قطع الرَّجاء من الحاجة ، بل يفتك به وبالوزير إن أحبَّ ذلك !

فمثال التَّوسُّل الأوَّل ، ومثال العبادة الثَّاني ، فتأمَّل هذا المثال فإنَّه واف بواقعة الحال ، وبالله التَّوفيق والاعتصام .

الرَّابعُ : القاعدة المشهورة المطَّردة ، وهي : أنَّ استواء الفعلين في السَّبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم ، يدلُّ على هاته القاعدة دلالة قطعيَّة ، أنَّه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء في الحامل يوجب الاستواء في الحكم - كما ادعاه ابن تيمية وقرَّره في قياسه التَّوسُّل على العبادة والمتوسِّل على عابد الوثن - ، للزم إبطال الشَّريعة وتساوي الأعمال في الأحكام ، واللازم باطل بالاتِّفــاق ، وهو ضروريٌّ غنيٌّ عن الاستدلال !! " (١) .

ونحن نقول لأصحاب هذا التَّوحيد ......

هل يُعتبر موحِّداً من قال الله فيهم : ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [الأنعام : ٢٩] .

وهل هم موحِّدون من قال الله تعالى فيهم : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ [الفرقان : ٦٠] .

وهل هم موحِّدون من قال الله فيهم : ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا

---

(١) انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/ ٩٦-١٢٩ باختصار) .

﴿ تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١-٣٧] .

وهل فرعون يُعتبر موحِّداً ، وقد قال فيما حكاه الله عنه : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ... وهو بهذا القول يدَّعي الرُّبوبيَّة لنفسه ، وقد سلَّم له بها قومه ، بعد أن استخفَّ عقولهم ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف : ٥٤] ، وحكى الله تعالى جدال موسى مع فرعون ، وأنَّ فرعون قال له : ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ –٢٩] .

وهل يُعتبر موحِّداً من سيقول لمتبوعه يوم القيامة : ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٧ – ٩٩] .

وهل يدخل في التَّوحيد من خاطبهم يوسف عليه السَّلام بقوله : ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] .

وهل يدخل في التَّوحيد من قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٤ – ٧] .

وهل يدخل في التَّوحيد من قال الله تعالى فيهم : ﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١ – ٨٣] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من قال الله تعالى فيهم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من خاطبهم إبراهيم عليه السَّلام بقوله : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٦] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من حكم الله تعالى بكفره ، فقال : ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠] .

وكيف يكون النَّمرود مؤمناً ربوبيَّة ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

فالنَّمرود ادَّعى الربوبيَّة من دون الله تعالى ، وخلع على نفسه خصائص الرُّبوبيَّة ، من إحياء الموتى ، وإماتة الأحياء ، ولذلك عمد إلى مجادلة إبراهيم عليه السَّلام في الربوبيَّة لا في الألوهيَّة ... فكيف يزعم من قسَّموا التَّوحيد من المتمسلفة بأنَّ الخلق ومن ضمنهم النَّمرود يؤمنون بالرُّبوبيَّة لله تعالى ؟!!

كيف يزعم ابن تيمية أنَّ التَّوْحِيدُ الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، وأنَّ توحيد الرُّبوبيَّة كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ؟ وكيف يزعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى قوم يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! مع أنَّ الله تعالى أمر الرَّسول ومعه الصفّ المؤمن بمواجهة الكفرة بأنَّ لكم دينكم ولنا دين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ

أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١ – ٦] .

فسورة " الكَافِرُوْن " تردُّ على دعوى ابن تيمية الفارغة حين زعم أنَّ " الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا التَّوْحِيدِ – تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ – وَمَعَ هَذَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ ، فَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ، وَيَقُولُونَ : أَنَّهم شُفعَاؤُنَا عِنْدَهُ وأنَّهم يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إلَيْهِ ، فَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ وَقُرْبَاناً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣] (١) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو مجازفة كبيرة وخطيرة أدَّت فيما بعد إلى أن يتمسَّك بها الرّعاع الجهلة ، ويجعلوها متمسَّكاً ودليلاً على تكفير أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي اعتادت على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، مع الإيمان المطلق بأنَّ الله تعالى هو مالك الأمر كله ، وأنَّ المتوسَّل به إلى الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرَّاً ...

فالله تعالى أخبرنا أنَّه سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد ، وكلُّ شيء بيده سبحانه ، لكنَّه طالبنا أن نربط الأسباب بمسبَّباتها ، فهو سبحانه القائل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ، والقائل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] ، وهو سبحانه القائل : ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ١٧] ، والقائل : ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٨) .

حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١] .

فإن استشهدوا على إيمان الكفرة والمشركين بالربوبيَّة بقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١ – ٦٣] ، وبقوله : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦ – ٩٠] .

قلنا : إنَّ المشركين ما قالوا هذا إلَّا بعد أن غُلبوا بالحُجَّة وأُلزموا بها ، فقالوه بألسنتهم وأبته قلوبهم ، فنافقوا ، والمنافق هو الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان الذي هو تصديق القلب ... ثمَّ إنَّ مجرَّد النُّطق باللسان لا يُدخل الإنسان في دائرة الإيمان إن لم يرافقه تصديق الجَنَان ، قال تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤] .

كما أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة شنَّعوا على من فسَّروا الإيمان بالتَّصديق دون العمل ... فكيف أدخلوا المشركين عبدة الأصنام والأوثان في دائرة الإيمان ؟!!! بل جعلوهم أكثر إيماناً ممَّن يَدْعون الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد ، ويتوسَّلون إليه بأشرف الخلق وحبيب الحقِّ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!! مع الإيمان المطلق بأنَّ النَّفع والضرَّ بيد الله تعالى وحده لا شريك له ، وأنَّ الأنبياء فضلاً عن الأولياء والصَّالحين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرَّاً ، لا في حياتهم ولا بعد وفاتهم ، لأنَّ النَّافع والضَّارَّ هو الله تعالى وحده ، وقد قال الله تعالى فيما حكاه عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ

أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ، وأنَّ مراد المتوسِّل من المتوسَّل به إنَّما هو الطَّلب بأن يدعو الله تعالى له ، لأنَّ الموت ليس عدماً أو فناء محضاً ، والنُّبوَّة لا تنقطع رتبتها بالموت ، الذي هو انتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، وللأرواح عملٌ وتصرُّفٌ بعد الموت ، فهي ترى ، وتسمع ، وتتكلَّم ، فتدعو ، وتستغفر ...

قال الإمام القرطبي : " الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنَّما هو انقطاع تعلُّق الرُّوح بالبدن ، ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدّل حال ، وانتقال من دار إلى دار ... " (١) .

وقال الإمام المناوي : " إنَّ الميِّت ولو أعمى ، يعرف من يحمله من محل موته إلى مغتسله ، ومن يغسِّله ، ومن يكفِّنه ، ومن يدليه في قبره ، ومن يلحده فيه ، وغير ذلك ... وذلك لأنَّ الموت ليس بعدم محض ، والشُّعور باق حتى تمام الدَّفن ، حتى أنَّه يعرف زائره ... وإنَّما يغلط أكثر النَّاس في هذا ، وأمثاله ، حيث يعتقد أنَّ الرُّوح من جنس ما يعهد من الأجسام ، الذي إذا شغلت مكاناً ، لا يمكن أن تكون بغيره ، بل الرُّوح لها اتِّصال بالبدن ، والقبر ، وجِرمها في السَّماء كشعاع الشَّمس ، ساقط بالأرض ، وأصله متَّصل بالشَّمس " (٢) .

وعلى كلِّ حال فقد حكم الله تعالى بكفر المشركين الذين قالوا : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣] ، حيث قال الله تعالى في الردِّ عليهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ . قال الإمام الطَّبري في تفسيرها : يقول تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ﴾ إلى الحقِّ ودينه الإسلام ، والإقرار بوحدانيَّته ، فيوفقه له ﴿ مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ ﴾ مفتر على الله ، يتقوَّل عليه الباطل ، ويضيف إليه ما ليس من صفته ، ويزعم أنَّ له ولداً افتراء عليه ، كفَّار لنعمه ، جحوداً لربوبيَّته " (٣) .

وقال الإمام الرَّازي : " وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْكَذِبِ وَالْكُفْرِ بَقِيَ مَحْرُوماً عَنِ الْهِدَايَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْكَذِبِ وصفهم لهذه الْأَصْنَامِ بِأَنَّهَا آلِهَةٌ مُسْتَحِقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ خَسِيسَةٌ وَهُمْ نَحَتُوهَا وَتَصَرَّفُوا

---

(١) انظر : كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ١١١-١١٢) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٩٨) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٠/ ١٥٨) .

فِيهَا ، وَالْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ حَاصِلٌ بِأَنَّ وَصْفَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ مَحْضٌ ، وأَمَّا الْكُفْرُ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْكُفْرَ الرَّاجِعَ إِلَى الِاعْتِقَادِ ، والأمر هاهنا كَذَلِكَ فَإِنَّ وَصْفَهُمْ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ ، وَاعْتِقَادَهُمْ فِيهَا بِالْإِلَهِيَّةِ جَهْلٌ وَكُفْرٌ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كُفْرَانَ النِّعمة ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْعِبَادَةَ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَنِهَايَةُ التَّعْظِيمِ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ ، وَذَلِكَ الْمُنْعِمُ هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهَذِهِ الْأَوْثَانُ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْعَامِ ، فَالِاشْتِغَالُ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَوْثَانِ يُوجِبُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ الْحَقِّ " (١) .

فقولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ، ما كان إلَّا تعليلاً زائفاً وفاسداً لعبادتهم ما نحتوا من الحجارة التي عبدوها وقرَّبوا لها القرابين ، فجاء الرَّدُّ القرآني عليهم تنبيهاً على كفرهم وضلالهم .

فبعد أن أُقيمت الحجَّة عليهم بأنَّ ما يعبدون من الأوثان والأصنام التي نحتوها وجسَّموها بأيديهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضرَّاً ، ولا حياة ولا موتاً ، قالوا مُرغمين بألسنتهم : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ، وهذا من كفرهم وكذبهم الذي كشفه الله في القرآن العظيم ، فقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ، إشارة إلى كذبهم حين قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، لأنَّهم عبدوا أصنامهم وأوثانهم ، وآمنوا بأنَّها تنفعُ وتضرُّ وترزقُ ، وأضافوا إليها صفات الرُّبوبيَّة والألوهيَّة ...

فالآية تصوِّر كذبهم في مدَّعاهم ، وأنَّهم لو كانوا مؤمنين صادقين في إيمانهم لما أشركوا ما يعبدون من الأصنام مع الله تعالى ، ولما عبدوا غيره سبحانه ، ولما سبُّوه حين تُسبُّ آلهتهم ، ولذلك نهى الله المسلمين أن يسبُّوا أصنام المشركين ، فقال : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

قال الطَّبري في تفسيرها : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ : وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُو الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، فَيَسُبُّ الْمُشْرِكُونَ اللهَّ جَهْلاً مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَاعْتِدَاءً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَوْلُهُ : ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ،

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦/ ٤٢٢) .

قَالَ : قَالُوا : يَا محمَّد ، لَتَنْتَهِيَنَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَهْجُوَنَّ رَبَّكَ ، فَنَهَاهُمُ الله أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَهُمْ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ .

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَوْثَانَ الْكُفَّارِ ، فَيَرُدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَنَهَاهُمُ الله أَنْ يَسْتَسِبُّوا لِرَبِّهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِاللَّهِ .

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطٌ ، عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَ أَبَا طَالِبٍ الْمَوْتُ قَالَتْ قُرَيْشٌ : انْطَلِقُوا بِنَا فَلْنَدْخُلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلْنَأْمُرْهُ أَنْ يَنْهَى عَنَّا ابْنَ أَخِيهِ ، فَإِنَّا نَسْتَحِي أَنْ نَقْتُلَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَتَقُولُ الْعَرَبُ : كَانَ يَمْنَعُهُ ، فلمَّا مَاتَ قَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأُمَيَّةُ وَأُبَيٌّ ابْنَا خَلَفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ ، وَبَعَثُوا رَجُلاً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : الْمُطَّلِبُ ، قَالُوا : اسْتَأْذِنْ عَلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَى أَبَا طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ مَشْيَخَةُ قَوْمِكَ ، يُرِيدُونَ الدُّخُولَ عَلَيْكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، وَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ آذَانَا وَآذَى آلِهَتَنَا ، فَنُحِبُّ أَنْ تَدْعُوهُ فَتَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِنَا ، وَلْنَدَعْهُ وَإِلَهَهُ . فَدَعَاهُ ، فَجَاءَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ وَبَنُو عَمِّكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا تُرِيدُونَ ؟ " قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَدَعَنَا وَآلِهَتَنَا ، وَنَدَعَكَ وَإِلَهَكَ . قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : قَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ هَذَا ، هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إِنْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكْتُمُ الْعَرَبَ ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ بِالْخَرَاجِ ؟ " ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَعَمْ وَأَبِيكَ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : " قُولُوا : لَا إِلَه إِلَّا الله " ، فَأَبَوْا وَاشْمَأَزُّوا . قَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي قُلْ غَيْرَهَا ، فَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ فَزِعُوا مِنْهَا ، قَالَ : " يَا عَمُّ ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ غَيْرَهَا حَتَّى يَأْتُوا بِالشَّمْسِ فَيَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ ، وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ مَا قُلْتُ غَيْرَهَا " ، إِرَادَةَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ .

فغَضِبُوا وَقالُوا : لَتكُفَّنَّ عَنْ شَتْمِكَ آلِهَتَنَا ، أَوْ لَنَشْتُمَنَّكَ وَلَنَشْتُمَنَّ مَنْ يَأْمُرُكَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى قَالَ : ثنا محمَّد بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : " كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ ، فَيَسُبُّ الْكُفَّارُ اللهَّ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَأَنْزَلَ الله : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ، قَالَ : إِذَا سَبَبْتَ إِلَهَهُ سَبَّ إِلَهَكَ ، فَلَا تَسُبُّوا آلِهَتَهُمْ " (١) .

فسدّاً للذَّريعة أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يسبُّوا آلهة الكفرة والمشركين حتى لا يتسبَّبوا بسبِّ الله تعالى من قِبَلِ المشركين الذين كانوا يسبُّون الله تعالى إذا ما سُبَّت آلهتهم ... فهل من سبَّ الله تعالى مؤمناً بل أشدُّ إيماناً من المؤمنين بالله ، المتوسِّلين إليه بوسيلة محبوبة لديه ؟!!!

ونختم الحديث في الكلام عمَّا سمَّوه بتوحيد الرُّبوبيَّة بما قاله الله تعالى على لسان الكفرة والمشركين ، قال سبحانه : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ، وبقوله : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٩/ ٤٨٠-٤٨٢) .

فالمشركون شهدوا على أنفسهم أنَّهم كانوا كافرين ، في الوقت الذي يزعم فيه المتمسلفون أنَّ الكفرة أشدّ إيماناً من المتوسِّلين إلى الله تعالى بحبيبه ورسوله ومصطفاه ، وكذا بسائر عباد الله الصَّالحين ...

بقي أمرٌ أخيرٌ لا بدَّ من الإشارة إليه ، وهو القسم الثَّالث من توحيد ابن تيمية الذي سمَّاه بـ " توحيد الأسماء والصِّفات " ، ومراده من هذا القسم أن يقول : من لا يؤمن بأنَّ لله تعالى : عينٌ ، ووجهٌ ، ويدٌ ، وكفٌّ ، وإصبعٌ ، وساقٌ ، وقدم ... على الحقيقة ، وأنَّه في السَّماء على الحقيقة ، وأنَّه جالس على العرش على الحقيقة ، وأنَّه يتحرَّك ويسكن على الحقيقة ، وأنَّه يتكلَّم بصوت وحرف على الحقيقة ، وأنَّ صوته يُشبه صوتَ الصَّواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعها الإنسان ... فمن لا يؤمن بهذه الأمور وغيرها الكثير الكثير على طريقته ومذهبه فهو كافر خارج من ربقة الدِّين ... وقد استوعبت هذا وغيره في مصنَّف خاص ... أتيت فيه على طامَّاته ومعاطبه المبثوثة في سائر كتبه وكتب من يدَّعون ظلماً وزوراً وعدواناً الانتساب إلى السَّلف ... الذي هو في الحقيقة فترة زمنيَّة مباركة لا مذهباً يُتمذهبُ به ...

ويستمرُّ كلامهم في تكفير عموم الأُمَّة الذين يتوسَّلون إلى الله تعالى بالوسائل المحبوبة والمرضيَّة لديه ...

فيقول الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " ... مثال ذلك إذا قال بعض المشركين !!! : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] وأنَّ الشَّفاعة حقٌّ ، أو أنَّ الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يستدلُّ به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إنَّ الله ذكر في كتابه أنَّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتَّبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أنَّ الله ذكر أنَّ المشركين يقرُّون بالرُّبوبيَّة !!! وأنَّ كفرهم بتعلُّقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس: ١٨] ، هذا أمرٌ محكمٌ بيِّنٌ لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه . وما ذكرت لي أيُّها المشرك !!! من القرآن أو كلام النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أنَّ كلام الله لا يتناقض ، وأنَّ كلام النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لا يخالف كلام الله " [1] .

---

[1] انظر : كشف الشبهات (ص١٦-١٧) .

وأنا هنا أسأل محمَّد بن عبد الوهَّاب ، فأقول : من هو الذي ترك المحكم واتبع المتشابه ؟!!! من هو الذي أشاح وجهه عن قول الله تعالى المحكم : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، هذه الآية المحكمة التي نصَّت على وجوب تنزيه الله تعالى عن الجسميَّة ، والحيِّز ، والجهة ، والحدِّ ، ... وأرشدت إلى أنَّ الله تعالى ليس بجسم مصوَّر ، ولا جوهر محدود مقدَّر ، وأنَّه لا يماثل الأجسام لا في التَّقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنَّه ليس بجوهر ، ولا تحلُّه الجواهر ، ولا بعَرَض ولا تحلّه الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء ، وأنَّه لا يحدُّه المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْجِهَاتُ ، وَلَا تَكْتَنِفُهُ الْأَرَضُونَ ولا السَّموات ...

وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزَّهاً عن المماسَّة والاستقرار ، والتمكُّن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وَحَمَلته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى تُخُومِ الثَّرَى ، فَوْقِيَّةً لَا تَزِيدُهُ قُرْباً إِلَى الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ، كَمَا لَا تَزِيدُهُ بُعْداً عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرَى ، بَلْ هُوَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ ، كَمَا أَنَّه رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرَى ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبْدِ من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إِذْ لَا يُمَاثِلُ قُرْبُهُ قُرْبَ الْأَجْسَامِ ، كَمَا لَا تُمَاثِلُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْأَجْسَامِ ، وأنَّه لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ ، تَعَالَى عَنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، كَمَا تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى ما عليه كان .

وأنَّه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، وأنَّه مقدَّس عن التغيُّر والانتقال ، لا تحلُّه الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله ، منزَّهاً عن الزَّوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال " (١) .

ومن المعلوم أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة وصفوا الله تعالى بالجسميَّة في الكثير من مصنَّفاتهم ، وقد سبقهم إلى هذا ابن تيمية الذي ما فتئ ينافح ويكافح في ترسيخ هذه العقيدة التَّجسيميَّة ، حتى قالها وصرَّح بها في أغلب كتبه ، ومن أقواله في ذلك : " وكذلك قوله : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ،

---

(١) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٩٠) .

وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ، ونحو ذلك ، فإنَّه لا يدلُّ على نفي الصِّفات بوجه من الوجوه ، بل ولا على نفي ما يسمِّيه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه " (١) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وأمَّا ذكر التَّجسيم وذم المجسِّمة ، فهو لا يُعرف في كلام أحد من السَّلف والأئمَّة !!! كما لا يُعرف في كلامهم أيضاً : القول بأنَّ الله جسم ، أو ليس بجسم ، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهميَّة نفي الجسم ، كما ذكره أحمد في كتاب الردِّ على الجهميَّة " (٢) .

قلت : وكتاب " الرَّد على الجهميَّة " الذي يستشهد به ابن تيمية ومعه جمهور المتمسلفة ، هو كتابٌ منحولٌ مكذوبٌ على الإمام أحمد ، وقد سبق الكلام على ذلك ...

وقال ابن تيمية أيضاً : " وأمَّا الشَّرْعُ فَمَعْلُومٌ أَنَّه لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ : وَلَا الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ وَلَا سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّ اللهَّ جِسْمٌ أَوْ أَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِجِسْمٍ ؛ بَلْ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ بِدْعَةٌ فِي الشَّرْعِ " (٣) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " ثمَّ لَفْظُ التَّجْسِيمِ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ لَا نَفْياً وَلَا إثْبَاتاً فَكَيْفَ يَحِلُّ أَنْ يُقَالَ: مَذْهَبُ السَّلَفِ نَفْيُ التَّجْسِيمِ أَوْ إثْبَاتُهُ " (٤) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وليس في كتاب الله ولا سنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأُمَّة وأئمّتها ، أنَّه ليس بجسم ، وأنَّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ؟ فنفي المعاني الثَّابتة بالشَّرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل ، جهل وضلال " (٥) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " أمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ لِفَظِ الْجِسْمِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ فِي صِفَاتِ اللهَّ تَعَالَى لَا كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ ، لَا نَفْياً وَلَا إِثْبَاتاً ، وَلَا تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ ، لَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَلَا غَيْرُهُمْ " (٦) .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ١١٥) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٩) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣٤) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٤/ ١٥٢) .

(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٣) .

(٦) انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ١٩٢) .

وهذا كلامٌ غريبٌ ، وفذلكة من ابن تيمية ومن يدَّعي السَّلفيَّة ، وإلَّا فبالله عليكم ماذا تُسمُّون من يصحِّح حديث الشَّابِّ الأمرد في كتابه : " بيان تلبيس الجهميَّة " ؟ وماذا تسمُّون من يقول : إنَّ لله تعالى صورة كصورة الإنسان ؟!! وهذا عنوان كتاب لواحد من مدَّعي السلفيَّة اسمه : " عقيدةُ أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الإنسان " ، وقد قرَّظ الكتاب واحدٌ من كُبرائهم ... أليس هذا تشبيهاً لله تعالى بخلقه ... ؟ فماذا تسمُّونه يا أهل النُّهى والحِجى ؟! ذاب الثَّلج وبان المرج ، ولم يعُد شيء خافياً على ذي لبٍّ ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... أنَّ حديث أم الطفيل نصٌّ في أنَّ الصُّورة كانت للمرئي ، حيث قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر أنَّه رأى ربَّه في صورة شابٍّ موفر ، رجلاه في خضر ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب " (١) .

وهذا أيضاً ... ألا يُعتبر ما تضمَّنه الحديث تشبيهاً لله تعالى بخلقه ؟!! أم ماذا هو ؟!! وألا يعتبر ما جاء في الحديث تحديداً لله تعالى ؟ وألا يشتمل الحديث على كونه تعالى متحيِّزاً ؟!! لأنَّ الشابَّ الأمرد لا يعيش إلا ضمن حيِّزٍ ، ثمَّ أليس الحديث لوناً من ألوان التَّجسيم بأبعاده الثَّلاثة من الطُّول والعرض والارتفاع ؟!! مع أنَّ حديث أم الطُّفيل هذا حديث باطل مُنكر ، حكم بضعفه الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : " ورأيت فِي مسائل مهنا بن يحيى الشَّامي (٢٦٠هـ) ، قَالَ : سألته يعني أَحْمَد عن حديث رواه ابن وهب ، عن عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أَبِي هلال ، أن مروان بن عثمان حدثه ، عن أم الطُّفيل امرأة أَبِي بن كعب ، أنَّها قالت : سمعت النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يذكر أنَّه رأى ربَّه فِي المنام فِي صورة شابٍّ موفر رجلاه فِي خضر عليه نعلان من ذهب ، عَلى وجهه فراش من ذهب " فحوَّل وجهه عني وَقَالَ : هَذَا حديث منكر، وَقَالَ : لا نعرف هَذَا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان ، فظاهر هَذَا التَّضعيف من أَحْمَد لحديث أم الطُّفيل " (٢) .

أمَّا عن الفتن التي أحدثها المتمسلفة في القديم والحديث ، فحدِّث ولا حرج ، ومن ذلك :

قال الإمام ابن الأثير في حوادث سنة (٣١٠هـ) : " وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ مُحَمَّد بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ ، صَاحِبُ التَّارِيخِ ، بِبَغْدَادَ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَدُفِنَ لَيْلاً بِدَارِهِ ، لِأَنَّ الْعَامَّةَ اجْتَمَعَتْ ، وَمَنَعَتْ مِنْ دَفْنِهِ نَهَاراً ، وَادَّعَوْا عَلَيْهِ الرَّفْضَ ، ثمَّ ادَّعَوْا عَلَيْهِ الْإِلْحَادَ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَقُولُ : وَاللهِ لَوْ سُئِلَ هَؤُلَاءِ عَنْ

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٣٦٥) .

(٢) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ١٤٠-١٤١) .

مَعْنَى الرَّفْضِ وَالْإِلْحَادِ مَا عَرَفُوهُ ، وَلَا فَهِمُوهُ ، هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ مِسْكَوَيْهِ صَاحِبُ " تَجَارِبِ الْأُمَمِ " ، وَحُوشِيَ ذَلِكَ الْإِمَامُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْ تَعَصُّبِ الْعَامَّةِ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وإِنَّمَا بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ ، وَوَقَعُوا فِيهِ ، فَتَبِعَهُمْ غَيْرُهُمْ ، وَلِذَلِكَ سَبَبٌ ، (وَهُوَ أَنَّ الطَّبَرِيَّ جَمَعَ كِتَاباً ذَكَرَ فِيهِ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ ، لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ فَقِيهاً ، وإِنَّمَا كَانَ مُحَدِّثاً ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْحَنَابِلَةِ ، وَكَانُوا لَا يُحْصُونَ كَثْرَةً بِبَغْدَاذَ ، فَشَغِبُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا مَا أَرَادُوا) :

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَــهُ ... فَالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الْحَسْنَـــاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... حَسَداً وَبَغْياً أَنَّه لَدَمِيــمُ

وَقَدْ ذَكَرْتُ شَيْئاً مِنْ كَلَامِ الْأَئِمَّةِ فِي أَبِي جَعْفَرٍ يُعْلَمُ مِنْهُ مَحَلُّهُ فِي الْعِلْمِ ، وَالثِّقَةِ ، وَحُسْنِ الِاعْتِقَادِ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَنْ رَوَى الطَّبَرِيُّ عَنْهُ ، وَمَنْ رَوَى عَنِ الطَّبَرِيِّ، فَقَالَ : " وَكَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ يُحْكَمُ بِقَوْلِهِ ، وَيُرْجَعُ إِلَى رَأْيِهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَفَضْلِهِ ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَكَانَ حَافِظاً لِكِتَابِ اللهِ ، عَارِفاً بِالْقِرَاءَاتِ ، بَصِيراً بِالْمَعَانِي ، فَقِيهاً فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، عَالِماً بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا ، صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا ، نَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا ، عَارِفاً بِأَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْأَحْكَامِ ، وَمَسَائِلِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، خَبِيراً بِأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِمْ ، وَلَهُ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ ، وَالْكِتَابُ الَّذِي فِي التَّفْسِيرِ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، وَلَهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَخْبَارٌ مِنْ أَقَاوِيلِ الْفُقَهَاءِ ، وَتَفَرَّدَ بِمَسَائِلَ حُفِظَتْ عَنْهُ " .

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ محمَّد الرَّازي : أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ قَالَ لِي : كَتَبْتَ عَنْ محمَّد بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ ؟ قُلْتُ : لَا ! قَالَ : لِمَ ؟ قُلْتُ : لَا يَظْهَرُ ، وَكَانَتِ الْحَنَابِلَةُ تَمْنَعُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ بِئْسَ مَا فَعَلْتَ ! لَيْتَكَ لَمْ تَكْتُبْ عَنْ كُلِّ مَنْ كَتَبْتَ عَنْهُ ، وَسَمِعْتَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ .

وَقَالَ حُسَيْنُكَ ، وَاسْمُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ ، عَنِ ابْنِ خُزَيْمَةَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ . وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ حِينَ طَالَعَ كِتَابَ التَّفْسِيرِ لِلطَّبَرِيِّ : مَا أَعْلَمُ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَلَقَدْ ظَلَمَتْهُ الْحَنَابِلَةُ " (١) .

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٧-٦٧٩) .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (٣١٧هـ) : " وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنْدِ فِيهَا ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَرْوَزِيِّ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، هُوَ أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ يُقْعِدُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَقَالَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى : إِنَّمَا هُوَ الشَّفَاعَةُ ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ " (١) .

وفي حوادث سنة (٣٢٣هـ) ، قال الامام ابن الأثير ، تحت عنوان : " ذكر فتنة الحنابلة ببغداد " : " وَفِيهَا عَظُمَ أَمْرُ الْحَنَابِلَةِ ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَصَارُوا يَكْسِبُونَ مِنْ دُورِ الْقُوَّادِ وَالْعَامَّةِ ، وَإِنْ وَجَدُوا نَبِيذاً أَرَاقُوهُ ، وَإِنْ وَجَدُوا مُغَنِّيَةً ضَرَبُوهَا وَكَسَرُوا آلَةَ الْغِنَاءِ ، وَاعْتَرَضُوا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، وَمَشَى الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ سَأَلُوهُ عَنِ الَّذِي مَعَهُ مَنْ هُوَ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، وَإِلَّا ضَرَبُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْفَاحِشَةِ ، فَأَرْهَجُوا بَغْدَاذَ .

فَرَكِبَ بَدْرٌ الْخَرْشَنِيُّ ، وَهُوَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ ، عَاشِرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَنَادَى فِي جَانِبَيْ بَغْدَاذَ ، فِي أَصْحَابِ أَبِي محمَّد الْبَرْبَهَارِيِّ الْحَنَابِلَةِ ، أَلَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَلَا يَتَنَاظَرُوا فِي مَذْهَبِهِمْ ، وَلَا يُصَلِّي مِنْهُمْ إِمَامٌ إِلَّا إِذَا جَهَرَ بِبِسْمِ اللهَّ الرَّحمن الرَّحِيمِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءَيْنِ ، فَلَمْ يُفِدْ فِيهِمْ ، وَزَادَ شَرُّهُمْ وَفِتْنَتُهُمْ ، وَاسْتَظْهَرُوا بِالْعُمْيَانِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْوُونَ الْمَسَاجِدَ ، وَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ شَافِعِيُّ الْمَذْهَبِ أَغْرَوْا بِهِ الْعُمْيَانَ ، فَيَضْرِبُونَهُ بِعِصِيِّهِمْ ، حَتَّى يَكَادَ يَمُوتُ .

فَخَرَجَ تَوْقِيعُ الرَّاضِي بِمَا يُقْرَأُ عَلَى الْحَنَابِلَةِ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ ، وَيُوَبِّخُهُمْ بِاعْتِقَادِ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِهِ ، فَمِنْهُ تَارَةً أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صُورَةَ وُجُوهِكُمُ الْقَبِيحَةِ السَّمِجَةِ عَلَى مِثَالِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَهَيْئَتَكُمُ الرَّذْلَةِ عَلَى هَيْئَتِهِ ، وَتَذْكُرُونَ الْكَفَّ وَالْأَصَابعَ وَالرِّجْلَيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ الْمُذَهَّبَيْنِ ، وَالشَّعْرَ الْقَطَطَ، وَالصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَالنُّزُولَ إِلَى الدُّنيا ، تَبَارَكَ اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ، ثمَّ طَعْنُكُمْ عَلَى خِيَارِ الْأَئِمَّةِ ، وَنِسْبَتُكُمْ شِيعَةَ آلِ محمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ، ثمَّ اسْتِدْعَاؤُكُمُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الدِّين بِالْبِدَعِ الظَّاهِرَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَاجِرَةِ الَّتِي لَا يَشْهَدُ بِهَا الْقُرْآنُ ، وَإِنْكَارُكُمْ زِيَارَةَ قُبُورِ الْأَئِمَّةِ ، وَتَشْنِيعِكُمْ عَلَى زُوَّارِهَا بِالِابْتِدَاعِ) ،

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٦/ ٧٤٧) .

وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَجْتَمِعُونَ عَلَى زِيَارَةِ قَبْرِ رَجُلٍ مِنَ الْعَوَامِّ لَيْسَ بِذِي شَرَفٍ وَلَا نَسَبٍ ، (وَلَا سَبَبٍ) بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَأْمُرُونَ بِزِيَارَتِهِ ، وَتَدَّعُونَ لَهُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، فَلَعَنَ اللهُ شَيْطَاناً زَيَّنَ لَكُمْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَمَا أَغْوَاهُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً جَهْداً إِلَيْهِ يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ بِهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَنْ مَذْمُومِ مَذْهَبِكُمْ وَمُعْوَجِّ طَرِيقَتِكُمْ لَيُوسِعَنَّكُمْ ضَرْباً وَتَشْرِيداً ، وَقَتْلاً وَتَبْدِيداً ، وَلَيَسْتَعْمِلَنَّ السَّيْفَ فِي رِقَابِكُمْ ، وَالنَّارَ فِي مَنَازِلِكُمْ وَمَحَالِّكُمْ " (١) .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (٤٤٧هـ) : " فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَاذَ ، وَمُقَدَّمُ الْحَنَابِلَةِ أَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ ، وَابْنُ التَّمِيمِيِّ ، وَتَبِعَهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ ، وَأَنْكَرُوا الْجَهْرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَمَنَعُوا مِنَ التَّرْجِيعِ فِي الْأَذَانِ ، وَالْقُنُوتِ فِي الْفَجْرِ ، وَوَصَلُوا إِلَى دِيوَانِ الْخَلِيفَةِ ، وَلَمْ يَنْفَصِلْ حَالٌ ، وَأَتَى الْحَنَابِلَةُ إِلَى مَسْجِدٍ بِبَابِ الشَّعِيرِ ، فَنَهَوْا إِمَامَهُ عَنِ الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ ، فَأَخْرَجَ مُصْحَفاً ، وَقَالَ : أَزِيلُوهَا مِنَ الْمُصْحَفِ حَتَّى لَا أَتْلُوَهَا " (٢) .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (٤٥٨هـ) : " وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا تُوُفِّيَ أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَعَنْهُ انْتَشَرَ مَذْهَبُ أَحْمَدَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَانَ إِلَيْهِ قَضَاءُ الْحَرِيمِ بِبَغْدَاذَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ ، وَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ " الصِّفَاتِ " أَتَى فِيهِ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ ، وَتَرْتِيبُ أَبْوَابِهِ يَدُلُّ عَلَى التَّجْسِيمِ الْمَحْضِ ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ ابْنُ تَمِيمِيٍّ الْحَنْبَلِيُّ يَقُولُ : لَقَدْ خَرِئَ أَبُو يَعْلَى الْفَرَّاءُ عَلَى الْحَنَابِلَةِ خِرْيَةً لَا يَغْسِلُهَا الْمَاءُ " (٣) .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (٤٦٩هـ) : " فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَرَدَ بَغْدَاذَ أَبُو نَصْرٍ ابْنُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ حَاجّاً وَجَلَسَ فِي الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ يَعِظُ النَّاس ، وَفِي رِبَاطِ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَجَرَى لَهُ مَعَ الْحَنَابِلَةِ فِتَنٌ لأَنَّه تَكَلَّمَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَنَصَرَهُ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ وَالْمُتَعَصِّبُونَ لَهُ ، وَقَصَدَ خُصُومُهُ مِنَ الْحَنَابِلَةِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، سُوقَ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً .

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ ، ابن الأثير (٧/ ٤٠-٤١) .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ (٨/ ١٢٩) .

(٣) انظر : الكامل في التاريخ (٨/ ٢٠٨-٢٠٩) .

وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ الشَّيْخ أَبُو إِسْحَاق ، وَشَيْخُ الشُّيُوخِ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَجَرَتْ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ " (١) .

وفي حوادث سنة (٥٦٧هـ) قال الإمام ابن الأثير : " وَفِيهَا مَاتَ الْبُورِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، تَفَقَّهَ عَلَى محمَّد بْنِ يَحْيَى ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَوَعَظَ ، وَكَانَ يَذُمُّ الْحَنَابِلَةَ ، وَكَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ ، فَأَصَابَهُ إِسْهَالٌ ، فَمَاتَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقِيلَ : إِنَّ الْحَنَابِلَةَ أَهْدَوْا لَهُ حَلْوَاءَ فَمَاتَ هُوَ وَكُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْهَا " (٢) .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة (٤٧٥هـ) : " ذِكْرُ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ .
وَرَدَ إِلَى بَغْدَاذَ هَذِهِ السَّنَةَ الشَّرِيفُ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَكْرِيُّ ، الْمَغْرِبِيُّ ، الْوَاعِظُ ، وَكَانَ أَشْعَرِيَّ الْمَذْهَبِ ، وَكَانَ قَدْ قَصَدَ نِظَامَ الْمُلْكِ ، فَأَحَبَّهُ وَمَالَ إِلَيْهِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَاذَ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ الْجِرَايَةَ الْوَافِرَةَ ، فَوَعَظَ بِالْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ ، وَكَانَ يَذْكُرُ الْحَنَابِلَةَ وَيَعِيبُهُمْ ، وَيَقُولُ : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وَاللهِ مَا كَفَرَ أَحْمَدُ وَلَكِنَّ أَصْحَابَهُ كَفَرُوا .

ثُمَّ أَنَّه قَصَدَ يَوْماً دَارَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الدَّامَغَانِيِّ بِنَهْرِ الْقَلَّائِينَ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ مُشَاجَرَةٌ أَدَّتْ إِلَى الْفِتْنَةِ ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ ، فَكَبَسَ دُورَ بَنِي الْفَرَّاءِ ، وَأَخَذَ كُتُبَهُمْ ، وَأَخَذَ مِنْهَا كِتَابَ الصِّفَاتِ (لِأَبِي يَعْلَى) ، فَكَانَ يُقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْكُرْسِيِّ لِلْوَعْظِ ، فَيُشَنِّعُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَجَرَى لَهُ مَعَهُمْ خُصُومَاتٌ وَفِتَنٌ ، وَلُقِّبَ الْبَكْرِيُّ مِنَ الدِّيوَانِ بِعَلَمِ السُّنَّة ، وَمَاتَ بِبَغْدَاذَ ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ " (٣) .

وقال الإمام ابن الأثير في حوادث سنة (٥٩٦هـ) : " فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَثَبَ الْمَلَاحِدَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ عَلَى نِظَامِ الْمُلْكِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَزِيرِ خُوَارِزْمَ شَاهْ تُكُش ، فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ صَالِحاً كَثِيرَ الْخَيْرِ ، حَسَنَ السِّيرَةِ ، شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ ، بَنَى لِلشَّافِعِيَّةِ بِمَرْوَ جَامِعاً مُشْرِفاً عَلَى جَامِعِ الْحَنَفِيَّةِ ، فَتَعَصَّبَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِمَرْوَ

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٨/ ٢٦١-٢٦٢) .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٠) .

(٣) انظر : الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٠) .

وَهُوَ مُقَدَّمُ الْحَنَابِلَةِ بِهَا ، قَدِيمُ الرِّيَاسَةِ ، وَجَمَعَ الْأَوْبَاشِ ، فَأَحْرَقَهُ . فَأَنْفَذَ خُوارِزْمُ شَاهْ فَأَحْضَرَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ وَجَمَاعَةً مِمَّنْ سَعَى فِي ذَلِكَ ، فَأَغْرَمَهُمْ مَالاً كَثِيراً " (١) .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي : " وأمَّا المجسِّمة بِمَدِينَة هراة ، فلمَّا ثارت نُفُوسهم من هَذَا اللقب عَمدُوا إِلَى أبي إِسْمَاعِيل عبد الله بن محمَّد الْأنْصَارِيّ صَاحب كتاب " ذمّ الْكَلَام " ، فلقَّبوه بشيخ الْإِسْلَام ، وَكَانَ الْأنْصَارِيّ الْمشَار إِلَيْهِ رجلاً كثير الْعِبَادَة مُحدِّثاً إِلَّا أَنَّه يتظاهر بالتَّجسيم والتَّشبيه ، وينال من أهل السُّنَّة ، وَقد بَالغ فِي كِتَابه " ذمّ الْكَلَام " حَتَّى ذكر أَنَّ ذَبَائِح الأشعريَّة لَا تحل !!! وَكنت أرى الشَّيْخ الإِمَام يضْرب على مَوَاضِع من كتاب " ذمّ الْكَلَام " ، وَينْهى عَن النّظر فِيهِ .

وللأنصاري أَيْضاً كتاب : " الْأَرْبَعين " سمَّتها أهل الْبِدْعَة : الْأَرْبَعُونَ فِي السُّنَّة ، يَقُول فِيهَا : بَاب إِثْبَات الْقدَم لله ، بَاب إِثْبَات كَذَا وَكَذَا .

وَبِالْجُمْلَةِ ، كَانَ لَا يسْتَحق هَذَا اللقب ، وإِنَّما لقِّب بِهِ تعصُّباً وتشبيهاً لَهُ بِأبي عُثْمَان ، وَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ . وَكَانَ أهل هراة فِي عصره فئتين : فِئَة تعتقده وتبالغ فِيهِ لما عِنْده من التقشُّف والتعبُّد ، وَفِئَة تكفِّره لما يظهره من التَّشْبِيه . وَمن مصنَّفاته الَّتِي فوَّقت نَحوه سِهَام أهل الْإِسْلَام : كتاب : " ذمّ الْكَلَام " ، وَكتاب : " الْفَارُوق فِي الصِّفَات " ، وَكتاب : " الْأَرْبَعين " ، وَهَذِه الْكتب الثَّلَاثَة أبان فِيهَا عَن اعْتِقَاد التَّشْبِيه وأفصح .

وَله قصيدة فِي الِاعْتِقَاد تنبىء عَن العظائم فِي هَذَا الْمَعْنى ، وَله أَيْضاً كتاب : " منَازِل السائرين فِي التَّصوُّف " . وَكَانَ الشَّيْخ تَقِيّ الدِّين أَبُو الْعَبَّاس ابْن تَيْمِية مَعَ ميله إِلَيْهِ يضع من هَذَا الْكتاب ، أَعنِي : " منَازِل السائرين " .

قَالَ شَيخنَا الذَّهَبِيّ : وَكَانَ يَرْمِي أَبَا إِسْمَاعِيل بالعظائم بِسَبَب هَذَا الْكتاب ، وَيَقُول : أَنَّه مُشْتَمل على الِاتِّحَاد . قلت : والأشاعرة يرمونه بالتَّشبيه ، وَيَقُولُونَ : أَنَّه كَانَ يلعن شيخ السُّنَّة أَبَا الْحسن الْأَشْعَرِيّ ، وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ أَنَّه يعْتَقد الِاتِّحَاد ، وإِنَّما أعتقد أَنَّه يعْتَقد التَّشْبِيه ، وأَنَّه ينَال من الأشاعرة ، وَأَنَّ ذَلِك بجهله بِعلم الْكَلَام وبعقيدة الأشعريَّة فقد رَأَيْت أَقْوَاماً أَتَوا من ذَلِك .

وَكَانَ شَدِيد التعصُّب للْفرق الحنبليَّة ، بِحَيْثُ كَانَ ينشد على الْمِنْبَر على مَا حَكَى عَنهُ تِلْمِيذه محمَّد بن طَاهِر :

أَنا حنبليٌّ مَا حييت وَإِن أمُت   فوصيَّتي للنَّاس أَن يتحنبلوا

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٩/ ٣٧٠) .

وَترك الرِّوَايَة عَن شَيْخه القَاضِي أبي بكر الْحِيرِي لكَونه أشعريًّا ، وكلُّ هَذَا تعصُّب زَائِد ، برَّأنا الله من الْأَهْوَاء " [١] .

وقال الامام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " إِنَّ جمَاعَة من الحشويَّة والأوباش الرّعاع المتوسِّمين بالحنبليَّة أظهرُوا بِبَغْدَادَ من الْبدع الفظيعة والمخازي الشَّنيعة مالم يتسمّح بِهِ مُلحدٌ فضلاً عَن موحّد ، وَلَا تجوز بِهِ قَادِح فِي أصل الشَّرِيعَة وَلَا معطِّل ، ونسبوا كلَّ من ينزِّه الْبَارِي تَعَالَى وَجلَّ عَن النقائص والآفات ، وينفي عَنهُ الْحُدُوث والتشبيهات ، ويقدِّسه عَن الْحُلُول والزوال ، ويعظمه عَن التَّغَيُّر من حَال إِلَى حَال ، وَعَن حُلُوله فِي الْحَوَادِث ، وحدوث الْحَوَادِث فِيهِ إِلَى الْكفْر والطغيان ، ومنَافاة أهل الْحق وَالْإِيمَان ، وتنَاهوا فِي قذف الْأَئِمَّة الماضين ، وثلب أهل الْحقِّ وعصابة الدِّين ، ولعنهم فِي الْجَوَامِع ، والمشاهد ، والمحافل ، والمساجد ، والأسواق ، والطُّرقات ، وَالْخلْوَة وَالْجَمَاعَات ، ثمَّ غرَّهم الطَّمع والإهمال ، ومدَّهم فِي طغيانهم الغيُّ والضلال إِلَى الطعْن فِيمَن يعتضد بِهِ أَئِمَّة الْهدى وَهُوَ للشريعة العروة الوثقى ، وَجعلُوا أَفعاله الدِّينيَّة معاصي دنيَّة ، وترقّوا من ذَلِك إِلَى الْقدح فِي الشَّافِعِي رَحْمَة الله عَلَيْهِ وَأَصْحَابه ، وَاتفقَ عود الشَّيْخ الإِمَام الأوحد أَبِي نصر ابْن الْأُسْتَاذ الإِمَام زين الْإِسْلَام أبي الْقسم الْقشيرِي رَحْمَة اللهَّ عَلَيْهِ من مكَّة حرسها اللهَّ ، فَدَعَا النَّاس إِلَى التَّوْحِيد ، وَقدس الْبَارِي عَن الْحَوَادِث والتحديد ، فَاسْتَجَاب لَهُ أهل التَّحْقِيق من الصُّدُور الْفَاضِل ، السَّادة الأماثل ، وتمادت الحشويَّة فِي ضلالتها ، والإصرار على جهالتها ، وَأَبُو إِلَّا التَّصْرِيح بِأَنَّ المعبود ذُو قدم وأضراس ، ولهوات وأَنامل ، وأنَّه ينزل بِذَاتِهِ ، ويتردَّد على حمَار فِي صُورَة شَاب أَمْرَد ، بِشعْرٍ قطط ،وَعَلَيهِ تَاج يلمع ، وَفِي رجلَيْهِ نَعْلَانِ من ذهب ، وَحفظ ذَلِك عَنْهُم ، وعلَّلوه ودوَّنوه فِي كتبهمْ ، وَإِلَى الْعَوام أَلقُوه ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَار لَا تَأْوِيل لَهَا ، وأنَّها تجري على ظواهرها ، وتعتقد كَمَا ورد لَفظهَا ، وأنَّه تَعَالَى يتكَلَّم بِصَوْت كالرَّعد ، كصهيل الْخَيل ، وينقمون على أهل الْحقِّ لقَولهم : إِنَّ اللهَّ تَعَالَى مَوْصُوف بِصِفَات الْجلَال ، منعوت بِالْعلمِ وَالْقُدْرَة والسمع وَالْبَصَر والحياة والإرادة وَالْكَلَام ، وهَذِهِ الصِّفَات قديمَة ، وأنَّه يتعالى عَن قبُول الْحَوَادِث ، وَلَا يجوز تَشْبِيه ذَاته بِذَات المخلوقين ، وَلَا تَشْبِيه كَلَامه بِكَلَام المخلوقين " [٢] .

---

[١] انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٧٢-٢٧٣) .

[٢] انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣١٠-٣١١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " قَالَ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا العَلاَء محمَّد بن عَبْدِ الجَبَّارِ الفُرْسَانِيَّ يَقُوْلُ :

حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِي بَكْرٍ بنِ أَبِي عَلِيٍّ الذَّكْوَانِيِّ المُعَدَّل فِي صِغَرِي مَعَ أَبِي ، فلمَّا فَرَغَ مِنْ إِملاَئِه قَالَ إِنسَانٌ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسَ أَبِي نُعَيْمٍ ، فَلْيَقُم .

وَكَانَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مَهْجُوراً بسبب المَذْهَب ، وَكَانَ بَيْنَ الأَشْعَرِيَّةِ وَالحنَابِلَة تَعَصُّبٌ زَائِدٌ يُؤَدِّي إِلَى فِتْنَة ، وَقِيْلٍ وَقَالٍ ، وَصُدَاعٍ طَوِيْلٍ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الحَدِيْث بسكَاكين الأَقْلاَم ، وَكَادَ الرَّجُلُ يُقْتَل .

قُلْتُ : مَا هَؤُلاَءِ بِأَصْحَابِ الحَدِيْث ، بَلْ فَجرَةٌ جَهلَة ، أَبعد اللهُ شَرَّهُم " [١] .

وجاء في " البدر الطَّالع " عن أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وَلَكنهُمْ يرَوْنَ أَن من لم يكن دَاخِلاً تَحت دولة صَاحب نجد وممتثلاً لأوامره ، خَارج عَن الْإِسْلَام . وَلَقَد أخبرني أَمِير حُجَّاج الْيمن السَّيِّد محمَّد بن حُسَيْن المراجل الكبسي أَنَّ جمَاعَة مِنْهُم خاطبوه هُوَ وَمن مَعَه من حُجَّاج الْيمن بأَنَّهم كفَّار وأَنَّهم غير معذورين عَن الْوُصُول إِلَى صَاحب نجد لينْظر فِي إسْلَامهمْ ، فَمَا تخلَّصوا مِنْهُ إِلَّا بجهْد جهيد " [٢] .

ومن غرائب وعجائب هذه الشِّرذمة أنَّهم لا يرون بأساً في الاستدلال على عقائدهم بما جاء في كتب أهل الكتاب التي حكم القرآن بتحريفها ، ومن ذلك ما قاله ابن تيمية في استدلاله على العلو المكاني لله تعالى : " . وَفِي " الْإِنْجِيلِ " أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ : لَا تَحْلِفُوا بِالسَّمَاءِ فإنَّها كُرْسِيُّ اللهَّ . وَقَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ : إنْ أَنْتُمْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ فَإِنَّ أَبَاكُمْ - الَّذِي فِي السَّمَاءِ - يَغْفِرُ لَكُمْ كُلِّكُمْ ... " [٣] .

وقد اعتاد مدَّعو السَّلفيَّة على الاستشهاد لعقائدهم بكتب أهل الكتاب المحرَّفة ، فهذا المدعو : حمود التويجري يقول : " : " وأيضاً هذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتَّوراة ، فإنَّ في السِّفر الأول منها : " سنخلق بشراً على صورتنا يُشبهها " [٤] .

---

[١] انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٩-٤٦٠) .

[٢] انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٥-٦) .

[٣] انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٦) ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٤٨٩) .

[٤] انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن (ص٧٦) .

وقال حمود التُّويجري أيضاً : " وأيضاً ، فمن المعلوم أنَّ هذه النُّسخ الموجودة اليوم بالتَّوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلو كان ما فيها من الصِّفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنـزيهه عنه كالشُّركاء والأولاد ، لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النَّبي أو الصَّحابة أو التَّابعين ، كما أنكروا عليهم ما دون ذلك ، وقد عابهم الله في القرءان بما هو دون ذلك ، فلو كان هذا عيباً لكان عَيب الله لهم به " (١) .

فحمود التُّويجري لا يرى مانعاً البتَّة من وصف الله سبحانه وتعالى بما جاء في التَّوراة من صفات تجسيميَّة بحتة لله تعالى ...

وكأنَّ التُّويجري ومن قبله ابن تيمية لم يسمعوا بقول الله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥] ، وبقول الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] ، وبقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] ، وبقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ، وبقول الله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] ، وبقول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] ، وبقوله سبحانه : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١] .

(١) انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن (ص٧٧) .

وقال البخاري : " حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَ : " يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ الله أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ الله وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ ، فَقَالُوا : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ، أَفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلاً قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ " (١) .

وقال البخاري : " حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَ : " هُمْ أَهْلُ الكِتَابِ جَزَّءُوهُ أَجْزَاءً فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ ، يَعْنِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] (٢)

فما رأي من يدَّعون السَّلفيَّة ؟!!! وماذا يقولون لعلمائهم الذين صرَّحوا بأنَّ التَّوراة والإنجيل لم تُغيَّر ألفاظهما بل غُيِّرت معانيهما ...؟!!!

ولعلَّنا نُفرد في قادم الأيام بإذن الله تعـــالى كتاباً مستقلاً لمناقشة المتمسلفة في هذه المسألـــة ... فادعوا لنا ...

وقال الشَّيْخ عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي (١٢٨٥هـ) : " وتأمَّل ما في هذه الأحاديث الصَّحيحة من تعظيم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله ، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصِّفات التي تدلُّ على عظمته ، وتأمَّل ما فيها من إثبات علوّ الله تعالى على عرشه " (٣) .

ويستمرُّ محمَّد بن عبد الوهَّاب في غيِّه وضلاله ، فيعتبر أهل زمانه مشركين لأنَّهم يتوسَّلون إلى الله تعالى بالأنبياء والمرسلين ، قال : " ... أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يدعون الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٨١ برقم ٢٦٨٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٧١ برقم ٣٩٤٥) .

(٣) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٥١١) .

ويدعون غيره في الرَّخاء ، وأمَّا في الضرَّاء والشِّدَّة فلا يدعون إلَّا الله وحده لا شريك له !!! وينسون ساداتهم ، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأوَّلين " (١) .

وزعم محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ الاعتقاد في الصَّالحين : توسُّلاً ، وتبرُّكاً ، عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبرَّأ منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "(٢) .

وزعم ابن تيمية أنَّ الدُّعاء عند القبر الشَّريف بدعة ... قال ابن تيمية : " وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذَا بِدْعَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ يَقِفُ عِنْدَهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ " (٣) .

وقال ابن تيمية : " وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا قَبْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا قَبْرِ الْخَلِيلِ وَلَا غَيْرِهِمَا. وَلِهَذَا ذَكَرَ الْأَئِمَّةُ كَمَالِكِ وَغَيْرِهِ أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ " (٤) .

وقال ابن تيمية : " بَلْ نَصَّ أَئِمَّةُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّه لَا يُوقَفُ عِنْدَهُ لِلدُّعَاءِ مُطْلَقاً ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ فِي " كِتَابِ الْمَبْسُوطِ " ، وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ . قَالَ مَالِكٌ : لَا أَرَى أَنْ يَقِفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْعُوَ ؛ وَلَكِنْ يُسَلِّمُ وَيَمْضِي " (٥) .

وقال ابن تيمية : " قصد القبور للدُّعاء عندها أو لها ، فإنَّ الدُّعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدُّعاء في البقعة بحكم الاتِّفاق لا لقصد الدُّعاء فيها ، كمن يدعو الله في طريقه ويتَّفق أن يمرَّ بالقبور أو من يزورها ، فيسلِّم عليها ، ويسأل الله العافية له وللموتى ، كما جاءت به السُّنَّة ، فهذا ونحوه لا بأس به .

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص٣٤) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٧٨) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٢٦/ ١٤٧) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٠) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٧) .

الثَّاني : أن يتحرَّى الدُّعاء عندها بحيث يستشعر أنَّ الدُّعاء هناك أجوب منه في غيره ، فهذا النَّوع منهيٌّ عنه أمَّا نهي تحريم أو تنزيه ، وهو إلى التَّحريم أقرب " (١) .

فابن تيمية يزعم فيما نقلنا عنه في النُّصوص السَّابقة أنَّ الوقوف للدُّعاء عند القبر الشَّريف بِدْعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ يفعل ذلك ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، وكذا لم يتحرَّى أحدٌ منهم الدُّعاء عند أيٍّ من قبور الأنبياء ...

هذا ما قاله ابن تيمية ، وكلامه في هذا الباب باطل عاطل ، تردُّه الرِّوايات الصَّريحة الصَّحيحة عن الصَّحابة الكرام ، وأنَّهم فعلوا وتحرَّوا ما اعتبره ابن تيمية بدعة ...

فقد روى مالك وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ دِينَارٍ ؛ أَنَّه قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُصَلِّي عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ (٢) .

وروى الطبراني وغيره بسندهم عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ يَدْعُو ، فَجَاءَ مَرْوَانُ فَأَسْمَعَهُ كَلَاماً ، فَقَالَ أُسَامَةُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ (٣) .

وروى البيهقي بسنده عن عَبْدُ الله بْنُ مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَتَى قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَفَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه افْتَتَحَ الصَّلاة ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ انْصَرَفَ " (٤) .

فالنُّصوص الثَّلاثة السَّابقة تبرهن بوضوح على أنَّ الصَّحابة : عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ ، وأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، وقفوا عند القبر الشَّريف ودعوا ... فهل هم مُبتدعة يا من تدَّعون السَّلفيَّة زوراً وظلماً وعدواناً ... سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ مبين ...

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٣٦-٣٣٧) .

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٢٣١ برقم ٥٧٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٣ برقم ١٠٢٧٢) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٦ برقم ٤٠٥) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١٠٥ برقم ١٣١٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩١ برقم ٤١٦٤) .

وقد برهنت في كتابي : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن "على أنَّ الأُمَّة وبمختلف عصورها تقول بالتَّوسُّل ، ولم يخالف في ذلك إلَّا شرذمة قليلة زعمت متابعة السَّلف ، والسَّلف منهم براء ، لأنَّهم لم يأتوا بدليل واحد ولا بقول واحد من أقوال السَّلف منع فيه التَّوسُّل واعتبره شِركاً يخرجُ الإنسانُ بسببه من دائرة الإيمان ، في الوقت الذي اعتبر فيه مدَّعو السَّلفيَّة التَّوسُّل ضربٌ من ضروب الشِّرك ، والعياذ بالله ...

وقال الشَّيْخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) : " ... ثمَّ تغيَّرت الأحوال ، وغلب الجهل على أكثر الخلق ، حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهليَّة !!! بالغلوِّ في الأنبياء والأولياء ، ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، وغير ذلك من أنواع الشِّرك ، ولم يعرفوا معنى لَا إلَه إلَّا الله كما عرف معناها كفَّار العرب !!! فالله المُستعان . ولم يزل هذا الشِّرك يفشو في النَّاس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبُعد العهد بعصر النُّبوَّة " [١] .

وقال الشَّيْخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " أمَّا المشركون المتأخِّرون فزادوا على الأوَّلين من جهتين ، إحداهما : شركُ بعضهم في الرُّبوبيَّة ، والثانية : شركُهم في الرَّخاء والشِّدَّة ، كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم " [٢] .

وقال الشَّيْخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " ونسأله سبحانه أن يردَّهم إلى رشدهم ، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى ، وأن يوفِّق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشِّرك والقضاء عليه ووسائله ، أنَّه سميعٌ قريبٌ " [٣] .

وقال المدعو محمَّد بن جميل زينو : الشِّرك في العبادة والدُّعاء : وهو أن يعبد ويدعو مع الله غيره من الأنبياء والصَّالحين ، كالاستغاثة بهم ودعائهم عند الشَّدائد أو الرَّخاء ، وهذا مع الأسف كثير في هذه الأُمَّة ، ويحمل وزره الأكبر بعض المشايخ الذين يؤيِّدون هذا النَّوع من الشِّرك باسم التَّوسُّل ، يُسمُّونه بغير اسمه ، لأنَّ التَّوسُّل طلب من الله بغير واسطة ، وهذا الذي يفعلونه طلبٌ من غير الله ، كقولهم : " المدد يا رسول الله " [٤] .

---

[١] انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (١/ ٢٤) .

[٢] انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (١/ ٢٦) .

[٣] انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٧) .

[٤] انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٣٦) .

وقال دعيُّ العلم زينو أيضاً : " يفيدُ هذا الحديث : أنَّ الرَّسُوْل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا للأعمى وهو حيٌّ ، فاستجاب الله دعاءه ، وأمره أن يدعو لنفسه ، ويتوجَّه إلى الله بدعاء نبيِّه ، فقبل الله منه ، وهذا دعاء خاصٌّ في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يمكن الدُّعاء بعد الوفاة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولم يستفد منه العميان بعد هذه الحادثة " (١) .

وقال دعيُّ العلم زينو أيضاً : " التَّوسُّل الممنوع : هو الذي لا أصل له في الدِّين ، وهو أنواع :

التوسُّل بالأموات ، وطلب الحاجات منهم والاستعانة بهم ، كما هو واقع اليوم ويسمُّونه توسُّلاً ، وليس كذلك ، لأنَّ التَّوسُّل هو الطَّلب من الله بواسطة مشروعة كالإيمان ، والعمل الصَّالح ، وأسماء الله الحسنى ، ودعاء الأموات إعراض عن الله ، وهو من الشِّرك الأكبر !!! لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] ، الظَّالمين : المشركين .

أمَّا التَّوسُّل بجاه الرَّسول كقولك : " يا ربّ بجاه محمَّد اشفني " ، فهو بدعة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولأنَّ عمر الخليفة توسَّل بالعبَّاس حيّاً بدعائه ، ولم يتوسَّل بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته عندما طلب نزول المطر ، وحديث : " توسَّلوا بجاهي " لا أصل له ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهذا التَّوسُّل البدعي قد يؤدِّي للشِّرك " (٢) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي : " فالعلماء إزاء هذه البدع والشِّركيَّات !!! أصناف ثلاثة :

صنفٌ يؤيِّد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد يكتب وينشر في تأييد مذهبه ، جهلاً أو طلباً لمصلحة دنيويَّة .

وصنفٌ يعرف الحقَّ ، وأنَّ ما عليه جمهور النَّاس !!! باطلٌ وضلالٌ ، لكنه يساير العامَّة وأشباههم ، خوفاً أو طمعاً .

وصنفٌ ينكرُ ذلك ، ويدعو النَّاس إلى ترك تلك المحدثات ، ويرشدهم إلى التوحيدُ والتَّمسُّك بالسّنَّة المطهَّرة ، وقليل ما هم " (٣) .

---

(١) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٤٦) .

(٢) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٤٦-٤٧) .

(٣) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص١٠-١١) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " عدم ثبوت التَّوسُّل عن النَّبي وأصحابه ، ولذا لم يثبت التَّوسُّل عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت التَّوسُّل عن الصَّحابة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يثبت عن التَّابعين ، ولا عن الأئمَّة الأربعة ، ولا غيرهم ممَّن يعتدّ بهم " (١) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " فهل يستطيع أحد أن يأتي بحرف من القرآن ، أو من السُّنَّة الصَّحيحة على مشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء أو بالصَّالحين !!! فضلاً عن الاستغاثة بأحد منهم على غير الوجه المشروع ؟

وهنا فرق ؛ فإنَّ الاستغاثة بغير الله شركٌ لا ريب فيه . وأمَّا التَّوسُّل فهو بدعة أدنى من الشِّرك " (٢) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " لو تدبَّر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمَّة المحقِّقين لتلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ؟ لعلموا أنَّ توسُّلاتهم بالرَّسول ، أو بالأنبياء والصَّالحين ليس لها أصل في الدِّين ، بل هي بدعة ضلالة ، وأنَّ الاستغاثة والاستعانة بهم من الشِّرك والكفرُ المُبين " (٣) .

قلت : ولو نظر الباحث المتمعِّن في الأقوال السَّابقة لوجد فيها اضطراباً عجيباً ...

فقد تضمَّنت : الزَّعم بأنَّ التَّوسُّل لم يقل به الصَّحابة بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وأنَّه شركٌ ... وأنَّه بدعةٌ أدنى من الشِّرك ... وقد تؤدِّي إلى الشِّرك ... وأنَّ الجهل غلب على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهليَّة ... وأنَّ ما عليه جمهور النَّاس باطلٌ وضلال ... كما أنَّ التَّوسُّل لم يثبت عن الصَّحابة ، ولا عن التَّابعين ، ولا عن الأئمَّة المتبوعين المعتبرين ... مع أنَّ ما سقته في كتاب : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " أظهر للعيان كذبهم وغُشّهم وتدليسهم ... فإلى الله تعالى المشتكى من شرذمة قليلة أشاحت بوجهها عن نور الحقِّ المبين ...

فالقوم متخابطون متناقضون مع أنفسهم ومع غيرهم ، ولا أدلَّ على ذلك من قول ابن تيمية : " ... وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : إِنَّ مَنْ قَالَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَلَا وَجْهَ لِتَكْفِيرِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ خَفِيَّةٌ لَيْسَتْ أَدِلَّتُهَا جَلِيَّةً

---

(١) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص٤٠) .

(٢) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص٤٣) .

(٣) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص٥٢) .

ظَاهِرَةً وَالْكُفْرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنْ الدِّين ضَرُورَةً أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَاخْتِلَافُ النَّاس فِيمَا يُشْرَعُ مِنْ الدُّعَاءِ وَمَا لَا يُشْرَعُ كَاخْتِلَافِهِمْ هَلْ تُشْرَعُ الصَّلاة عَلَيْهِ عِنْدَ الذَّبْحِ ؛ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ مَسَائِلِ السَّبِّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ . وأَمَّا مَنْ قَالَ : إنَّ مَنْ نَفَى التَّوسُّل الَّذِي سَمَّاهُ اسْتِغَاثَةً بِغَيْرِهِ كَفَرَ وَتَكْفِيرُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الشَّيْخ عِزِّ الدِّين وَأَمْثَالِهِ فَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إلَى جَوَابٍ ؛ بَلْ الْمُكَفِّرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ يَسْتَحِقُّ مِنْ غَلِيظِ الْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ أَمْثَالُهُ مِنْ الْمُفْتَرِينَ عَلَى الدِّين لَا سِيَّمَا مَعَ قَوْلِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا " (١) .

وقال محمَّد بن عبد الوهَّاب في هذا المعنى : " فكون بعضٍ يرخِّص بالتَّوسُّل بالصَّالحين وبعضهم يخصُّه بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه !!! ولو كان الصَّواب عندنا قول الجمهور أنَّه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم ممَّا يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرَّع عند ضريح الشَّيْخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكُرُبات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرغبات ، فأين هذا ممَّن يدعو الله مخلصاً له الدِّين لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيِّك ، أو بالمرسلين ، أو بعبادك الصَّالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدِّين ، فأين هذا ممَّا نحن فيه ؟ " (٢) .

مع انَّ ابن عبد الوهَّاب حكم بكفَّر المتوسِّلين ، كما نقلنا عنه في غير ما موضع ... فهم في كلامهم متناقضون متخابطون ...

واعتبر أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب التَّبرُّك والتَّوسُّل بقبور الأنبياء والصَّالحين حرامٌ ونوعٌ من الشِّرك ، وذلك لأنَّه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطاناً ، ولم يكن من عادة السَّلف الصَّالح أن يفعلوا مثل هذا التبرُّك ، فيكون من هذه النَّاحية بدعة أيضاً ، وإذا اعتقد المتبرِّك أنَّ لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضَّرر أو جلب النَّفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لجلب المنفعة أو دفع المضرَّة " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١/ ١٠٦) ، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٣٣ برقم ٣٦٠٦) .

(٢) انظر : الفتاوى ، محمَّد بن عبد الوهَّاب (ص٦٨-٦٩) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ورسائل الشَّيْخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/ ٢٤٩) .

مع أنَّه لا يوجد بين المتوسِّلين من يعتقد أو يثبت البتَّة لغير الله تعالى أي تأثير في الأشياء ، لأنَّهم يؤمنون بأنَّ الله تعالى الخالق الرَّازق ، الضارُّ النَّافع ، والمتوسِّلون إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ما اتَّخذوا الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ولا الأولياء آلهة ، وما جعلوهم شركاء الله ، فهم يعتقدون أنَّهم عبيد لله مخلوقون له ، ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ، ولا أنَّهم يخلقون شيئاً ، ولا أنَّهم يملكون نفعاً أو ضرَّاً . وإنَّما قصدوا التَّبرُّك بهم لكونهم أحبَّاء الله المقرَّبين ، الذين اصطفاهم واجتباهم ، وببركتهم يرحم الله عباده ، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسُّنَّة ... فاعتقاد المسلمين قائم على أنَّ الخالق النَّافع الضَّارُّ هو الله وحده ، ولا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده ، ولا يعتقدون التأثير لأحدٍ سواه .، ومع ذلك فقد وصف الشَّيْخ ابن باز المستغيثين ، والمتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء ، بأنَّهم مشركون كفرة لا تجوز مناكحتهم !!! ولا دخولهم المسجد الحرام !!! ولا معاملتهم معاملة المسلمين !!! ولو ادعوا الجهل !!! ولا يلتفت إلى كونهم جُهَّالاً ، بل يجب أن يُعاملوا معاملة الكفار " (١) .

وابن باز هنا يُجري على المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين أحكام الكافر ، لأنَّه اعتبر التَّوسُّل ارتداد عن دين الله ، ولو كان جاهلاً !!! ، والعياذ بالله ، ولنا على كلامه هذا ثمَّة ملاحظات :

أوَّلاً : لم أَرَ مثل هذا الكلام الشَّنيع عند غير ابن باز وابن عبد الوهَّاب ، وهذا قمَّة الإفراط في تكفير الموحِّدين ، وابن باز هنا متابع ومقلِّدٌ لمحمَّد بن عبد الوهَّاب الذي قال : " فإنَّك إذا عرفت أنَّ الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل " (٢) .

مع أنَّ جمهور العلماء قال بالعذر بالجهل من غير تفريق بين الأصول والفروع ... قال الإمام الذَّهبي : " وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ يُوْسُفَ الهَكَّارِيُّ ، فِي كِتَابِ (عَقِيْدَةِ الشَّافِعِيِّ) لَهُ : أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى الخَلِيْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِمِ بنُ عَلْقَمَةَ الأَبْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللهِ - تَعَالَى - وَمَا يُؤمِنُ بِهِ - ، فَقَالَ : للهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ، جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُمَّتَهُ ، لاَ يَسَعُ أَحَداً قَامَتْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ رَدَّهَا ، لأَنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بِهَا ، وَصَحَّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القَوْلَ بِهَا ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ

(١) انظر : فتاوى في العقيدة ، ابن باز (ص١٣) .

(٢) انظر : كشف الشبهات (ص١١) .

ثُبُوتِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوْتِ الحُجَّةِ ، فَمَعْذُورٌ بِالجَهْلِ ، لأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ ، وَلاَ بِالرَّوِيَّةِ وَالفِكْرِ ، وَلاَ نُكَفِّرُ بِالجَهْلِ بِهَا أَحداً ، إِلاَّ بَعْدَ انتهَاءِ الخَبَرِ إِلَيْهِ بِهَا " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) في تعليقة على حديث : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ ، لِأَهْلِهِ : إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، ثمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ، فلمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ " (٢) ، قال : " وَهَذَا رجل مُؤمن بِاللهِ ، مقرٌّ به ، خَائِفٌ لَهُ ، إِلَّا أَنَّه جَهِلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ ، فَظَنَّ أَنَّه إِذْ أُحرق وذري الرِّيحِ أَنَّه يَفُوتُ اللهَ تَعَالَى ، فَغَفَرَ الله تَعَالَى لَهُ بِمَعْرِفَتِهِ مَا بِنِيَّتِهِ وَبِمَخَافَتِهِ مِنْ عَذَابِهِ جَهْلَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ صِفَاتِهِ .

وَقَدْ يَغْلَطُ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالنَّارِ ، بَلْ تُرْجَأُ أُمُورُهُمْ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بهم وبنياتهم " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " كَيْفَ نُكَفِّرُ الْعَامِّيَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ النَّبي مُخْبِراً عَنْ اللهِ ، فَلَا تَرْجِعُ النُّبُوَّةُ إِلَى صِفَةٍ وُجُودِيَّةٍ ، بَلْ تَكُونُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْبَةِ تَعَلُّقِ الْخِطَابِ بِهِ ... وَقَدْ رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - عِنْدَ مَوْتِهِ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، لِأَنَّ الْجَهْلَ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ جَهْلاً بِالْمَوْصُوفَاتِ " (٤) .

ويقول الإمام شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " واعلم أنَّ كثيراً من هذه الكبائر ، بل عامَّتها إلَّا الأقل ، يجهل خلقٌ كثيرٌ من الأمَّة تحريمه ، وما بلغه الزَّجر عنه ولا الوعيد ، فهذا الضرب فيه تفصيل ؛ فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل ، بل ينبغي الترفُّق به وتعليمه ممَّا علمه الله ، ولا سيَّما إذا كان قريب العهد بجاهليَّته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة ، وأُسر وجلب لأرض الإسلام ، وقد

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٩-٨٠) .

(٢) أخرجه مالك في الموطإ (٢/ ٣٣٨ برقم ٨٢٢) ، مسلم (٤/ ٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦) ، واللفظ له ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٨٠ برقم ٤١٨٣) .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص١٨٦) .

(٤) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

يكون الشَّخص الذي اشترى هذا المملوكي الجاهل أميراً تركيَّاً لا علم عنده ولا فهم ، ، فبالجهد أنَّه ينطق بالشَّهادتين ، ثمَّ قد يفهم معناها بصعوبة شديدة بعد أيام ، ثمَّ قد يصلي أو لا يصلي ، وقد تبقي الفاتحة مع الطول إن كان أستاذه فيه دينٌ ما ، أمَّا إذا كان أستاذه جاهلاً مثله ، فلا تجد أحداً يعلِّم هذا المملوكي المسكين شرائع الإسلام ، والمحرَّمات واجتنابها ، والواجبات وإتيانها ، والسَّعيد منهم من يعرف موبقات الكبائر ، والحذر منها ، وأركان الفرائض واعتقدها " (١) .

وبمناسبة النَّقل عن كتاب الكبائر للإمام الذَّهبي ، فقد قام المتمسلفون بحذف وشطب الكبيرة الرَّابعة والسِّتِّين منه ، وهي بعنوان : أذيَّةُ أَوْلِيَاءِ الله ...

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّه لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، وَلَا يُكَفَّرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةً حُكِمَ بِرِدَّتِهِ وَكُفْرِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ فَيُعَرَّفُ ذَلِكَ ، فَإِنِ اسْتَمَرَّ حُكِمَ بِكُفْرِهِ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " ... وأمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلاً ، أَوْ تَأْوِيلاً يُعْذَرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهُ بِهِ ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَحْرِقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ الله لَهُ ، وَرَحِمَهُ لِجَهْلِهِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَاداً أَوْ تَكْذِيباً " (٣) .

وعلى أيَّة حال ، فإنَّ الشَّيْخ ابن باز خالف جمهور الأُمَّة حين حكم بكفر المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلى الله تعالى بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بغيره من الأنبياء والأولياء زاعماً أنَّ هذا الصَّنيع شركٌ مُخرجٌ من المِلَّة ، حتى لو كان جاهلاً بالحكم !!! مع أنَّ التَّوسُّل حكمٌ فرعيٌّ لا أُصولي ، لم يذكره العلماء سلفاً وخلفاً إلَّا في فصل زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب الحجّ ، وهو أمرٌ مشروعٌ ، قام على العمل به السَّلف والخلف على حدٍّ

---

(١) انظر : الكبائر (ص٢٨-٢٩) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٥٠) .

(٣) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٤٨) .

سواء ، ولم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية ثمَّ تبنَّى هذا الأمر ابن عبد الوهَّاب ، فكفَّر كسابقه عموم الأُمَّة ، واستحلَّ دمائهم وأموالهم وعـــاملهم معاملة الكفَّار ، والعياذ بالله تعالى ...

ثانياً : أنَّ ابن باز بعد أن حكم بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين طالب ودعا إلى عدم معاملتهم معاملة المسلمين ، بل أوجب أن تطبَّق عليهم جميع أحكام الكفرة ، مثل : عدم تمكينهم من دخول الحرم المكِّي ، وبُغضهم ومُعاداتهم وعدم موالاتهم ، وإذا ماتوا لا يتولَّى المؤمنون جنازاتهم ، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين ، وأنَّهم لا يزوَّجوا من المسلمات ، ولا يرثوا المسلمين ، والمسلمون لا يرثوهم ، وأنَّهم لا يمكَّنوا من الإستقرار والتَّملُّك في جزيرة العرب ، وكذا لا يمكَّنوا من إظهار شعائرهم وعباداتهم ...

وحتى لا يتوسَّل المتوسِّلون بقبور الأنبياء والصَّالحين عملوا على طمس معالم الموتى وقبورهم بمن فيهم الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، حتى وصل ضررهم وخطرهم إلى قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكانت البداية بالمطالبة العلنيَّة الصَّريحة بهدم القبَّة الشريفة المبنيَّة على قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد جاء في فتاوى ابن باز أيضاً : " س : ما حكم البناء على القبر بما في ذلك المسجد ؟

ج : أمَّا البناء على القبور فهو محرَّم سواء كان مسجداً أو قبَّة أو أي بناء لا يجوز ذلك ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن اليهود ، قال : " لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " . فعلَّل اللعنة باتخاذهم المساجد على القبور ، فدلَّ ذلك على تحريم البناء على القبور ، وأنَّه لا يجوز ، واتخاذها مساجد من أسباب الفتنة بها ، لأنَّها إذا وضعت عليها المساجد افتتن بها النَّاس ، وربَّما دعوها من دون الله واستغاثوا بأهلها فوقع الشِّرك ، وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي عند مسلم في صحيحه يقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . هكذا يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يحذِّرنا من اتِّخاذ المساجد على القبور ، فينبغي لأهل الإسلام أن يحذروا ذلك ، بل الواجب عليهم أن يحذروا ذلك ، وفي حديث جابر عند مسلم عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه نهى عن تجصيص القبور وعن القعود عليها أو البناء عليها ، فالبناء عليها منهيٌّ عنه مطلقاً واتِّخاذ القباب والمساجد عليها كذلك ؛ لأنَّ ذلك من وسائل الشِّرك إذا بني على القبر المسجد أو القبَّة ونحو ذلك عظَّمه النَّاس ، وفُتن به النَّاس ، وصار من أسباب الشِّرك به ، ودعاء أصحاب القبور من دون الله عزَّ وجلَّ ، كما هو واقع في دول كثيرة وبلدان كثيرة عظمت القبور ، وبنيت عليها المساجد وصار الجهلة يطوفون بها ، ويدعونها

ويستغيثون بأهلها ، وينذرون لهم ويتبرَّكون بقبورهم ويتمسَّحون بها ، كل هذا وقع بأسباب البناء على القبور ، واتِّخاذ المساجد عليها ، وهذا من باب الغلو الذي حرَّمه الله ، يقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إيَّاكم والغلو في الدِّين ، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدِّين " ، وقال : " هلك المتنطِّعون ، هلك المتنطِّعون ، هلك المتنطِّعون " ، يعني : المتشدِّدين الغالين .

والخلاصة أنَّه لا يجوز البناء على القبور ، لا مسجد ولا غير مسجد ولا قبَّة ، وأنَّ هذا من المحرَّمات العظيمة ، ومن وسائل الشِّرك ، فلا يجوز فعل ذلك ، وإذا وقع فالواجب على ولاة الأمور إزالته وهدمه ، وأن لا يبقى على القبور مساجد ، ولا قباب بل تبقى ضاحية مكشوفة ، كما كان هذا في عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عهد أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم والسَّلف الصَّالح ، ولأنَّ بناء المساجد على القبور من وسائل الشِّرك ، كذلك القباب والأبنية الأخرى كلّها من وسائل الشِّرك ، فلا تجوز بل الواجب إزالتها وهدمها ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى أمر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هو أمر عليه الصَّلاة والسَّلام بأن تُزار القبور للذكرى والعظة ونهى عن البناء عليها ، واتخاذ المساجد عليها ؛ لأنَّ هذا يجعلها آلهة يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله ، فوجب امتثال أمره بالزِّيارة ، يعني : شرع لنا أن ننفذ الأمر بالزِّيارة المشروعة ، فالزِّيارة مستحبَّة ، يشرع لنا أن نزورها للذكرى ، والدعاء لأهلها بالمغفرة والرَّحمة ، لكن لا نبني عليها لا مساجد ولا قباباً ولا أبنية أخرى ؛ لأنَّ البناء عليها من وسائل الشِّرك ، والفتنة بها من الجهة الأخرى ، وهي وضع القبور في المساجد يدفن الميت في المسجد ، هذا لا يجوز أيضاً بعض النَّاس إذا مات ، قال : ادفنوني في المسجد هذا لا يجوز دفنه في المسجد ، بل يجب أن يُنبش وينقل إلى المقبرة إذا دفن أحد في المسجد ينبش وينقل إلى المقبرة ، ولا يجوز بقاؤه في المسجد أبداً ، هذا هو الواجب على أهل الإسلام ألا يدفنوا في المساجد ، يعني : ليس لأحد أن يدفن في المسجد ، ينبش ينقل إلى المقبرة العامَّة " (١) .

وما قاله ابن باز من تحريم البناء على القبور ، مخالف لما ظلَّت عليه الأمَّة قروناً طوالاً ...

قال الإمام أحمد بن الصدِّيق الغماري (١٤١٣هـ) : " وهذا في حقِّ عامَّة النَّاس ، وأمَّا الأولياء والصَّالحون فنصَّ جماعةٌ على جوازه ، بل استحبابه في حقِّهم تعظيماً لحرمتهم ، وحفظاً لقبورهم من الامتهان والاندثار الذي يعدم معه الانتفاع بزيارتهم والتبرُّك بهم .

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٢٩-٢٣٢) .

وقد أفتى العزُّ بن عبد السَّلام بهدم القباب والبيوت والأبنية الكثيرة الواقعة في قرافة مصر ، لأنَّها واقعة في أرض موقوفة على دفن المسلمين ، واستثنى من ذلك قبَّة الإمام الشَّافعي ، قال : لأنَّها مبنيَّة في دار ابن عبد الحكم ، وهذا منه ذهاب إلى جواز بناء القباب على مثل قبر الإمام الشَّافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا كان ذلك في الملك ولم يكن في أرض الحبس .

بل أفتى الحافظ السُّيوطي باستثناء قبور الأولياء والصَّالحين ، ولو كانت في الأرض المحبسة ، ووافقه جماعة ممَّن جاءوا بعده من فقهاء الشَّافعية ، وقد ذكر هو ذلك في جزئه الذي سمَّاه " بذل المجهود في خزانة محمود " ، فقال : الوجه الرَّابع : أنَّ من قواعد الشَّرع أنَّه يجوز أن يستنبط من النصِّ معنى يخصِّصه وذلك معلوم . فإذا كان هذا في نصِّ الشَّارع ففي نصِّ الواقف أولى ، فيقال : إنَّ مقصود الواقف تمام النَّفع وتمام الحفظ ، فإذا وجد من يحتاج إلى الانتفاع بها في تصنيف ، وذلك لا يمكن على الوجه الأتمِّ في المدرسة ووثق بتمام حفظه وصونه جاز الإخراج له ، ويستثنى من المنع ويخص عموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط كما خصَّص عموم قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء: ٤٣] ، واستثنى منه المحارم بالمعنى المستنبط وهو الشَّهوة ، ولا دليل لاستثناء المحارم من آية أو حديث سوى هذا الاستنباط فكذلك هنا . وقد ذكر الحافظ عماد الدِّين بن كثير في تاريخه أنَّ في بعض السنين ببغداد منع معلمو الأطفال من تعليمهم في المساجد إلا رجلاً واحداً كان موصوفاً بالخير فاستثنوه من المنع ، وأنَّهم استفتوا الماوردي صاحب الحاوي من أئمَّتنا ، والقدُّوري من أئمَّة الحنفيَّة ، وغيرهما فأفتوا باستثنائه ، واستدلُّوا بأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بسد كلّ خوخة في المسجد إلَّا خوخة أبي بكر ، فقاسوا استثنائهم لهذا الرَّجل على استثناء خوخة أبي بكر ، وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلَّا الأئمة المجتهدون ، كالماوردي ، والقدُّوري ، ونحوهما . وقد استندت إلى قولهم هذا قديماً حين استفتيت في أبنية القرافة ، فأفتيت بهدمها كما هو المنقول إلَّا مشاهد الصَّالحين ، فاستندت في هذا الاستثناء إلى ما صنعه الماوردي والقدُّوري اهـ .

وهذا إنَّما هو لأجل كونها واقعة في الأرض الموقوفة ، وأمَّا ما لم يكن فيها فقوله فيه الجواز مطلقاً .

وفي " حواشي البجيرمي على شرح الخطيب على متن أبي شجاع " : ولو وجدنا بناء في أرض مسبلة ولم يعلم أصله ترك لاحتمال أنَّه وقع بحق قياساً على ما قرَّروه في الكنائس . نعم استثنى بعضهم قبور الأنبياء

والشُّهداء والصَّالحين ونحوهم ، قاله البرماوي . وعبارة الرحماني : نعم قبور الصَّالحين يجوز بناؤها ولو بقبَّة لإحياء الزِّيارة والتبرُّك . قال الحلبي : ولو في مسبلة وأفتى به وقال أمر به الشَّيْخ الزيادي مع ولايته (١) .

وفي " المنتزع المختار من الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار في فقه الأئمَّة الأطهار " يعني الزَّيديَّة مع حواشيه : والثَّاني من المكروهات الأناقة بقبر الميت ، وهو أن يرفع بناؤه زائداً على قدر شبر ، فإنَّ ذلك مكروه ، وإنَّما يكره إذا كان الميِّت غير فاضل مشهور الفضل ، ولا بأس بما يكون تعظيماً لمن يستحقُّه ، كالمشاهد والقباب التي تعمر للأئمَّة والفضلاء ، فلو أوصى من لا يستحق القبَّة والتَّابوت بأن يوضع على قبره ، قال المؤيَّد بالله : يمتثل لأنَّه مباح وقيل لا . اهـ

وفي " شرح العميري على العمل الفاسي " : والعمل بالبناء على القبور جاز أيضاً ، وقد كتب شيوخنا سيِّدي عبد القادر الفاسي في ذلك بما نصّ المراد منه ، ولم ينزل النَّاس يبنون على مقابر الصَّالحين وأئمَّة الإسلام شرقاً وغرباً ، كما هو معلوم ، وفي ذلك تعظيم حرمات الله ، واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم بزيارة أوليائه ، ودفع مفسدة المشي والحفر ، وغير ذلك ، والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها ، ولو وقعت المحافظة من الأُمم المتقدِّمة على قبور الأنبياء لم تندرس وتجهل ، بل اندرس أيضاً كثير من قبور الأولياء والعلماء لعدم الاهتمام بها وقلَّة الاعتناء بأمرهم اهـ ، ذكر ذلك لمن سأله عن البناء على ضريح مولانا عبد السَّلام بن مشيش ، نفعنا الله به . وما يؤثر في النَّهي عن البناء على القبر إنَّما ذاك حيث يكون القصد به المباهاة والمفاخرة اهـ .

وفي " مسائل المسناوي " : أنَّه سئل عن البناء على قبر الرَّجل والمرأة اللذين ترجى بركتهما في الحياة وبعد الموت بقصد التمييز والتَّعظيم لقبره ومقامه ، ويكون البناء حسناً بالتزليج ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ وعلى الجواز ، فهل من أنفق على ذلك البناء من ماله أو صنعه بيده يثاب على ذلك أو لا ثواب له ؟ فأجاب : إنَّ البناء على من ذكر بقصد ما ذكر جائز بل مطلوب إذا كان في أرض مملوكة للباني ، لما ذكره بعض المحقِّقين من شيوخ شيوخنا ، أنَّ فيه جلب مصلحة الانتفاع بالصَّالحين ، ودفع مفسدة امتهانهم بالحفر والمشي وغير ذلك . إذ لولا البناء لاندرست قبورهم ، كما اندرست قبور الأنبياء عليهم السَّلام ، فتبطل زيارتهم ، وهي مطلوبة شرعاً – كما لا يخفى ، وقد أشار إلى مطلوبيتها وما فيها من الفوائد الشَّيْخ الإمام العارف الربَّاني أبو إسحاق إبراهيم التازي الوهراني في قصيدته التي أولها :

---

(١) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب) (٢/ ٢٩٧) .

زيارة أرباب التُّقى مرهم يبري ومفتاح أبواب السَّعادة والخير

وفي " نوادر الأُصول " عن فاطمة عليها السَّلام : أنَّها كانت تأتي قبر حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كل عام فترمُّه وتصلحه ، لئلا يندرس أثره ، فيخفى على زائره . وفي فتاوى ابن قداح : إذا جعل على قبر من أهل الخير علامة فهو حسن ، والعلامة المميَّزة هو البناء الخاص لاشتراك غيره (١) .

وفي " شرح السجلماسي على العمل الفاسي " : ممَّا جرى به العمل لفاس وغيره تحلية قبور الصَّالحين بالبناء عليها تعظيماً ، كما أفتى به الإمام سيِّدي عبد القادر الفاسي والد النَّاظم ثمَّ ذكر فتواه السَّابقة ، ثمَّ قال : جواز البناء على القبور منقول عن ابن القصَّار ، وإذا كان ذلك على مطلق القبور مع عدم قصد المباهاة كان البناء بقصد تعظيم من يعظم شرعاً أجوز ، بل حيث كان القصد بالبناء التَّعظيم ينبغي أن يكون مشرفاً بالبناء على البيوت بالنَّقش والتَّزويق ، لأنَّ ذلك كلّه من كمال التَّعظيم . اهـ

وفي " شرح الرِّسالة " لجسوس : ويكره البناء على القبور ، وقد يحرم ، وقد يجوز إذا كان للتَّمييز ، ويستثنى قبور أهل العلم والصَّلاح فيندب لينتفع بزيارتهم ... بذلك جرى العمل عند النَّاس شرقاً وغرباً من غير نكير . اهـ

وفي " شرح التوبشتي على المصابيح " : وقد أباح السَّلف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم النَّاس وليستريحوا بالجلوس فيها . اهـ

وفي " شرح زين العرب على المصابيح " أيضاً : وقد أباح السَّلف البناء على قبور العلماء المشهورين والمشايخ المعظمين ليزورها النَّاس وليستريحوا إليها بالجلوس في البناء الذي على قبورهم مثل الرباطات والمساجد . اهـ

وفي " مصباح الأنام وجلاء الظَّلام " للعلَّامة علي بن أحمد الحدَّاد : ومن قال بكفر أهل البلد الذي فيه القباب وأنَّهم كالصَّنم فهو تكفير للمتقدِّمين والمتأخِّرين من الأكابر والعلماء والصَّالحين من جميع المسلمين من أحقاب وسنين مخالفاً للإجماع السُّكوتي على الأنبياء والصَّالحين من عصور ودهور صالحة . قال تلميذ ابن تيمية الإمام بن مفلح الحنبلي في الفصول : القبَّة والحظيرة في التربة يعني على القبر إن كان في ملكه فعل ما شاء ، وإن كان في مسبله كره للتَّضييق بلا فائدة ، ويكون استعمالاً للمسبلة فيما لم توضع له . اهـ .

---

(١) انظر : نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ١٢٦) .

قال ابن القيِّم الحنبلي : ما أعلم تحت أديم السَّماء أعلم في الفقه على مذهب أحمد من ابن مفلح . اهـ . وقوله : في المسبلة بلا فائدة ، إشارة إلى أنَّ المقبور غير عالم وولي ، أمَّا هما فيندب قصدهما للزيارة كالأنبياء عليهم السَّلام وينتفع الزائر بذلك من الحرِّ والبرد والمطر والريح ، والله أعلم ، لأنَّ الوسائل لها حكم المقاصد " (١) .

ثمَّ ذكر الإمام أحمد بن الصِّدِّيق الغماري العلل التي يحتجُّ به المتمسلفون لتحريم البناء على القبور ، وردَّ عليها ردَّاً متيناً بها لا مزيد عليه ...

ثمَّ ذكر الأدلَّة على جواز البناء على القبور ... ونظراً لكون هذه المسألة من أعظم ما يدندن حوله المتمسلفون ، رأيت أن أذكر الأدلَّة على جوازها ...

" **الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ** : قول الله تعالى في قصَّة أصحاب الكهف : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١] ، والذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون على الصَّحيح ، لأنَّ المسجد إنَّما يبنيه المؤمنون ، وأمَّا الكافرون فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ، والدَّليل من هذه الآية : إقرار الله تعالى إيَّاهم على ما قالوا وعدم ردِّه عليهم ، فإنَّ الله تعالى إذا حكى في كتابه عن قوم ما لا يرضاه ذكر معه ما يدلُّ على فساده ، وينبِّه على بطلانه ، أمَّا قبله وأمَّا بعده ، فإذا لم ينبِّه على ذلك دلَّ على رضاه تعالى به ، وعلى صحَّته إن كان عملاً ، وصدقة إن كان خبراً ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١] ، فإنَّه أعقبه بقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦] ، فإنَّه أشار إلى فساد ما زعموا بقوله : ﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٦] ، وبقوله تعالى : ﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٨] ، وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] ، فردَّه بقوله : ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤] ، وقوله تعالى :

---

(١) انظر : إحياء المقبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور (ص٦-١٠) .

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا﴾ [الفرقان: ٨] ، فعقبه بقوله : ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ ﴾ [الفرقان: ٩] ، إلى غير ذلك من الآيات التي يطول ذكرها .

وإنَّ من تأمَّل القرآن وجده لا يقرُّ على باطل يحكيه قولاً كان أو عملاً ، إذ كتابه كلُّه حقٌّ ونورٌ ، وهدى وبيان ، وحجَّة لله على خلقه ، فلا يحكي فيه ما ليس بحقٍّ ثمَّ يقرُّه ، ولا ينبِّه على بطلانه ، فإذا ذكر نبأ وأقرَّه دلَّ على صحَّته وصدقه ...

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : إنَّ الله تعالى قضى في سابق علمه باتِّخاذ المسجد على قبر نبيِّه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، والنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربِّه جلَّ وعزَّ أعلى قدراً وأحمى جانباً من أن يقع بجسده الشَّريف ما هو محرَّم مبغض لله تعالى ملعونٌ فاعله ، بل هذا من المتيقَّن المقطوع ببطلانه لأهل الإيمان ، فلو كان اتِّخاذ المسجد عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممنوعاً متخذه لحمى الله تعالى جانب نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه ، ولصرف العباد عنه كما صرفهم عن غيره ، فلمَّا لم يفعل ذلك دلَّ على أنَّه جائز ومطلوب ، ومن اعتقد خلاف هذا فهو قرني ممقوت لم يذق للإيمان طعماً ولا عرف من منزلة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العليا ومكانته السامية عند ربِّه شيئاً ، فهو مدخول العقيدة مختلّ الإيمان .

الدَّلِيْلُ الثَّالِث : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أن يُدفن في البناء فقال : " لَمْ يُقْبَرْ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ " (١) .

وحدَّث بهذا الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين اختلف الصَّحابة رضي الله عنهم في موضع دفنه ، فقال قوم : في البقيع ، وقال آخرون : في المسجد ، وقال آخرون : يحمل إلى أبيه إبراهيم فيدفن معه ، فلمَّا حدَّثهم الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بما عنده في هذا أجمعوا رأيهم واتفقوا عليه ودفنوه في بيت عائشة رضي الله عنها . وهو دليل صريح على وجود البناء حول القبر ، وأنَّ النَّهي خاصٌّ بما كان فوقه ، لأنا بالضرورة نعلم أنَّ النَّهي عن البناء ليس هو عن فعل الفاعل وبناء البناء ، وإنَّما هو عن وجود نفس البناء على القبر ، وإذا جوَّز الشارع وجود الميت داخل البناء ، فقد جوَّز البناء ، إذ لا فارق بين أن يوجد بعد الدفن أو قبله لأنَّ الغاية واحدة ، والصُّورة متَّفقة ، وهي وجود القبر داخل البناء ، وإذا جاز ذلك فلا فرق بين أن يكون البناء بيتاً أو قبَّة أو مدرسة ، لأنَّ الكلّ بناء والعلَّة في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٧ برقم ٢٧) ، عالم الكتب ، عبد الرزَّاق في المصنف ، (٣/ ٥١٦ برقم ٦٥٣٤) ، واللفظ له .

ذاته لا في أشكاله وصوره ، فليس النهي متعلِّقاً بصورة القبَّة أو المدرسة بل بذات البناء كيفما وجد ، وحيث أجاز الشَّارع الدفن في البيت الذي هو بناء علمنا أنَّ النهي مخصوص بالبناء كيفما وجد ، وحيث أجاز الشَّارع الدفن في البيت الذي هو بناء علمنا أنَّ النَّهي مخصوص بالبناء الذي هو فوق القبر للعلَّة السَّابقة غير عام في جميع البناء .

الدَّلِيْلُ الرَّابع : وإذا ثبت أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أمر أن يُدفن في بيته الذي هو بناء ، فقد تقرَّر في قواعد الفقه أنَّ الرِّضى بالشيء رضى بما يؤول إليه ذلك الشَّيء ، فالذي تزوَّج امرأة بعد علمه بمرض كذا فيها ، ثمَّ تزايد ذلك المرض إلى حدٍّ يمنع من الاستمتاع ، فلا رجوع له ، لأنَّه رضي بمبادئه ، فكان راضياً بما يؤول إليه ، وبيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ملاصقاً للمسجد ، وبابه شارعة إليه ، حتى كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اعتكف يخرج رأسه الشَّريف إلى عائشة فترجِّله وهي في البيت وهو في المسجد ، وقد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّته ستكثر ، وأَنَّ المدينة ستتَّسع وتعظم حتى يصل بناؤها إلى سلع ، كما أخبر هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك ، وأمر بشدِّ الرِّحلة إلى زيارة قبره الشَّريف وإلى مسجده للصَّلاة فيه ، ورغَّب في ذلك بقوله : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " و " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام " [1] .

ومسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في عصره صغيراً لا يسع عشر معشار ربع من يقصده من أُمَّته ، وقبره الشَّريف واقع في بيت عائشة الذي تسكنه ، وهو يعلم ضرورة أنَّه يتعذَّر على الأُمَّة زيارته وهو في بيت مملوك لامرأة ساكنة فيه يجب تعظيمها واحترامها كما يجب ذلك في حقِّ من يملكه ويسكنه من بعدها ، كما أنَّه يعلم أَنَّ أُمَّته ستدوم إلى قيام السَّاعة ، وأَنَّ قصدهم لزيارته سيدوم بدوام الأُمَّة ، وأَنَّ البيت الذي سيدفن فيه لا يمكن عادة أن يدوم أكثر من مائة سنة ، لأنَّه مبني بالطِّين واللبن غير محكم البناء ، فهو يعلم علم اليقين أَنَّ بيته المذكور

---

[1] أخرجه الطيالسي في المسند (٢/ ٧٠٧ برقم ١٤٦٤) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧١ برقم ٧٥٩٦) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٩ برقم ٤٨٣٨) ، الدارمي (٢/ ٨٨٩ برقم ١٤٥٩) ، مسلم (٢/ ١٠١٢ برقم ١٣٩٤) ، ابن ماجه (١/ ٤٥٠ برقم ١٤٠٤) ، البزار في المسند (٤/ ٥٩ برقم ١٢٢٥) ، النسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٠٩ برقم ٣٨٦٧) ، ابن حبَّان في الصحيح (٤/ ٤٩٩ برقم ١٦٢٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٣٢ برقم ١٥٥٨) ، المعجم الأوسط (٢/ ٣٢٨ برقم ٢١٢٦) ، مسند الشاميين (٤/ ١١٩ برقم ٢٨٨٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٤ برقم ١٠٢٧٧) ، السنن الصغير (٢/ ٢١١ برقم ١٧٧٢) ، معرفة السنن والآثار (٤/ ١١٠ برقم ٥٦١٩) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ١٢٢ برقم ٩١٤٢) ، أبو يعلى في المسند (١٠/ ١٦٣ برقم ٥٧٨٧) ، عبد بن حميد في المسند (ص١٨٥ برقم ٥٢١).

سيؤول أمره إلى أن يدخل في المسجد ، فإذا علم ذلك وأمر بدفنه فيه فهو رضى منه بدخول قبره الشَّريف في المسجد الذي ستصير الأُمَّة به متخذة على قبره مسجداً كما هو الواقع ، ومن المُحال المقطوع به أن يرضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هو محرَّم ملعون فاعله لا سيما فيما يتعلَّق بجسده الشَّريف ، فدلَّ على أَنَّ اتخاذ المسجد على قبره الشَّريف غير محرَّم ولا مكروه ، وإذا جاز ذلك في حقِّه جاز في غيره من باب أولى ، لأنَّ ما يخشى من الفتنة بقبره أعظم ممَّا يخشى من الفتنة بقبر غيره ، لأنَّ الفتنة إنَّما تقع من جهة التَّعظيم ، ولا يوجد في الأُمَّة من يعظم قبراً أكثر من قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الدَّلِيْلُ الخَامِس : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بأَنَّ قبره الشَّريف سيكون داخل مسجده ، وزاد فأخبر بأَنَّ ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنَّة ، وهذا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إشارة إلى استحباب إدخال قبره الشَّريف في المسجد ، لأَنَّه ترغيب يدعو إلى ذلك ، إذ المراد فضيلة الصَّلاة ما بين القبر والمنبر والتَّرغيب فيها في ذلك الموضع إذا لم يكن القبر الشَّريف داخل المسجد ، لا تتصوَّر الصَّلاة بين القبر والمنبر ، ولا يتأتَّى التَّعبير بقوله : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، لأَنَّه إذا كان المنبر وسط المسجد ، والبيت الذي فيه قبره الشَّريف خارج المسجد لم يصح في العادة التَّعبير بالبينيَّة خصوصاً عند إرادة الصَّلاة ، فإنَّ البيت وسوره حاجز بين القبر والمنبر ، مانع من الصَّلاة في موضعه ، فلا يقول : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " إلا وهو يريد أن القبر سيكون داخل المسجد ، ليس بينه وبين المنبر حاجز البيت .

فإن قيل : لفظ الحديث في أكثر طرقه إنَّما هو : " ما بين بيتي ومنبري " ، حتى إنَّ البخاري لَمَّا ترجم للحديث بباب فضل ما بين القبر والمنبر وأورد الحديث من حديث عبد الله ابن زيد المازني ومن حديث أبي هريرة بلفظ : " ما بين بيتي " ، شرحه الحافظ في الفتح بقوله : ترجم بلفظ القبر وأورد الحديثين بلفظ البيت ، لأنَّ القبر صار في البيت ، وقد ورد في بعض طرقه بلفظ القبر .

قال القرطبي : الرِّواية الصَّحيحة : " بيتي " ، ويروى : " قبري " ، وكأنه بالمعنى ، لأَنَّه دفن في بيت سكناه اهـ . وقال في موضع آخر من الفتح : " قوله : " ما بين بيتي ومنبري " ، كذا للأكثر ، ووقع في رواية ابن عساكر وحده " قبري " بدل " بيتي " ، وهو خطأ ، فقد تقدَّم الحديث بهذا الإسناد بلفظ : " بيتي " ، وكذلك هو في مسند مسدَّد شيخ البخاري فيه . نعم وقع في حديث سعد بن أبي وقاص عند البزَّار بسند رجاله ثقات ، وعند الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : " القبر " . قلت : الجواب عنه من وجوه :

الوَجْهُ الأَوَّلُ : أنَّ هذا بالنسبة لرواية البخاري فقط لا بالنسبة لسائر طرق الحديث ، كما صرَّح به الحافظ نفسه من كونه ورد بلفظ القبر من حديث سعد بن أبي وقاص بسند رجاله ثقات ، وكذلك من حديث ابن عمر مع أنَّه لم يرد بلفظ القبر من حديث هذين فقط ، بل ورد كذلك من حديث أم سلمة ، وأبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن زيد ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، ثمَّ إنَّ حديث ابن عمر الذي عزاه الحافظ للطبراني أخرجه أيضاً جماعة آخرون كلهم بلفظ : " القبر " .

قال الطَّحاوي في مشكل الآثار : حدَّثنا محمَّد بن علي بن داود ، حدَّثنا أحمد بن يحيى المسعود ، قال : حدَّثنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " .

وقال الخطيب في التَّاريخ : أخبرني ابن علان ، حدَّثنا أبو الفضل العباس بن محمَّد بن أحمد بن تميم الأنماطي ، حدَّثنا موسى بن إسحاق القاضي الأنصاري ، حدَّثنا مالك بن يحيى بن المنذر ، حدَّثنا مالك به مثله بلفظ : " القبر " (١) .

وقال أيضاً في " المهروانيَّات " : أخبرنا محمَّد بن الحسين بن الفضل ، حدَّثنا أبو الحسين أحمد بن عثمان ، حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن سليمان ، حدَّثنا أحمد بن يحيى ، حدَّثنا مالك به مثله (٢) .

قال الطَّحاوي : وهذا من حديث مالك ، يقول أهل العلم بالحديث أنَّه لم يحدِّث به عن مالك أحد غير أحمد بن يحيى هذا ، وغير عبد الله بن نافع الصائغ اهـ . وقال الخطيب في المهروانيَّات : هذا حديث غريب من حديث مالك عن نافع تفرَّد بروايته عنه أحمد بن يحيى الأحول وتابعه عبد الله بن نافع عن مالك (٣) .

قلت : وهو ثقة من رجال الصَّحيح ومتابعته أخرجها أبو نعيم في الحلية .

قال : حدَّثنا محمَّد بن أحمد بن الحسن ، حدَّثنا إسحاق بن أبي حسان ، حدَّثنا القاسم ابن عثمان الجوعي ، حدَّثنا عبد الله بن نافع المدني ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة ، وإنَّ منبري لعلى حوضي " (١) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١٤/ ٥٥) .

(٢) انظر : المهروانيَّات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب) (٢/ ٨٤٧) .

(٣) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦) .

طريق آخر عن نافع ، قال الدولابي في " الكنى والأسماء " : حدَّثنا عن ابن معبد ابن نوح ، حدَّثنا موسى ابن هلال ، حدَّثنا عبد الله بن عمر أبو عبد الرَّحمن أخو عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " ، وقال : " وما بين قبري ومنبري ترعة من ترع الجنَّة " (٢) .

وقال الطَّحاوي في " مشكل الآثار " " حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس ، حدَّثنا موسى بن عبد الرَّحمن المسروقي ، حدَّثنا محمَّد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة ، ومنبري على حوضي " (٣) .

طريق آخر عن نافع ، قال أبو نعيم في : تاريخ أصبهان " : ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ، ثنا عمر بن أحمد بن السني ، ثنا نصر بن علي ، ثنا زياد بن عبد الله ، عن موسى الجهيني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام " ، قال : وقال ابن عمر : إنَّ ما بين القبر والمنبر من رياض الجنَّة (٤) .

وحديث سعد بن أبي وقاص أخرجه أيضاً الخطيب في التَّاريخ من رواية ابنته عائشة عنه بلفظ : القبر (٥) .

وحديث أم سلمة أخرجه الطَّحاوي في " مشكل الآثار " ، قال : حدَّثنا عبد الغني بن أبي عقيل ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمر الدهني ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة ، وإن قوائم منبري على رواتب في الجنَّة " (٦) .

وحديث أبي سعيد أخرجه البخاري في " التَّاريخ الكبير " ، قال : إسحاق ابن شرقي مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، سمع أبا بكر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبي

---

(١) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٢٤) .

(٢) انظر : الكنى والأسماء (٢/ ٨٤٦ برقم ١٤٨٣) .

(٣) لم أجده في مشكل الآثار بهذا اللفظ بل وجدته بلفظ : " بيتي " ، انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٥ برقم ٢٨٧٣) .

(٤) انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) (١/ ٤١٧-٤١٨) .

(٥) انظر : تاريخ بغداد (١٣/ ١٧١) .

(٦) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٥) .

سعيد ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، قال لي الحرمي بن حفص وتابعه عفان ،عن عبد الواحد بن زياد سمع إسحاق [1] .

قلت : متابعة عفان أخرجها الخطيب في التَّاريخ ، عن أبي نعيم ، عن أبي الشَّيْخ ، عن بن الجارود ، عن محمَّد بن أحمد بن جهور ، ثنا عفان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا إسحاق بن شرقي به مثله بلفظ القبر [2] .

وأخرجها الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : ثنا علي بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن المغيرة ومحمَّد بن علي بن داود ، قالا : حدَّثنا عفان به مثله أيضاً بلفظ القبر [3] .

وحديث عبد الله بن زيد ، قال الطَّحاوي أيضاً : ثنا يونس ثنا ابن وهب أنَّ مالكاً حدَّثه عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد المازني : " أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " [4] .

قال : وحدَّثنا الربيع الجيزي ، ثنا مطرف بن عبد الله ، ثنا مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد الْمَازِنِيِّ : أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " [5] .

قال : وحَّدثنا محمَّد بن خزيمة وفهد بن سليمان جميعاً ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدَّثني الليث بن سعد ، قال : حدَّثني بن الهاد ، عن أبي بكر بن محمَّد ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد أنَّه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " إنَّ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " [6] .

وحديث أبي هريرة كذلك وقع في رواية مالك في الموطأ على بعض الروايات ، وهي النسخة المطبوعة مع شرح تنوير الحوالك للحافظ السُّيوطي [1] .

---

[1] انظر : التاريخ الكبير (١/ ٣٩٢) .

[2] انظر : تاريخ بغداد (٦/ ٧٧) .

[3] انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٨ برقم ٢٨٧٩) .

[4] انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٩ برقم ٢٨٨٠) .

[5] انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦ برقم ٢٨٨١) .

[6] انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦ برقم ٢٨٨٢) .

وحديث جابر أخرجه الخطيب في التاريخ من طريق محمَّد بن كثير الكوفي ، ثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " (٢) .

وحديث عمر أخرجه الإسماعيلي في مسند عمر من رواية عطاء بن زيد الليثي ، حدَّثني سعيد بن المسيب ، عن عمر به ، ولفظه : " ما بين قبري واسطوانة التَّوبة روضة من رياض الجنَّة " . وفي لفظ : " ما بين قبري ومنبري " (٣) .

الوَجْهُ الثَّانِي : أنَّ ما حكم به الحافظ من الخطأ على رواية ابن عساكر غير مسلَّم ولو بالنسبة إلى رواية البخاري إذ يجوز أن يكون الصَّواب مع من قال : قبري ، ويكون الذي قال : بيتي أخطأ أو ذهب ذهنه إلى حديث آخر ممَّا ورد بلفظ بيتي . فإنَّ لفظة قبري وقعت كذلك في رواية للموطأ أيضاً ، ويؤيِّد صحَّتها ترجمة البخاري بلفظ القبر . وقد نصَّ الطَّحاوي في مشكل الآثار على أنَّ أكثر الرِّوايات لهذا الحديث إنَّما هي بلفظ : قبري لا بيتي ، كما سأذكر نصَّه قريباً ، وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتخطئة من قال في رواية البخاري : " قبري " .

الوَجْهُ الثَّالِثُ : أنَّ المراد بقوله : " بيتي " في الرِوايات الأخرى هو قوله في هذه الأحاديث : " قبري " ، لأنَّنا بالضَّرورة ندري أنَّ المنبر والبيت لم يكن لها هذا الفضل لمجرَّد أعواد المنبر وحجارة البيت وطينه ، فإنَّه لا فضل لخشب على خشب ولا لحجارة على حجارة ، بل ولا دخل لهما في وجود فضيلة في الدِّين البتَّة . وإنَّما ذلك لتشرُّف المنبر بوقوفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوعظ والتذكير وتبليغ أمر ربِّه ، ولوجود قبره الشَّريف في البيت . فإذاً المراد هو القبر ، لأنَّ الفضل راجع إليه لا إلى البيت ، فمن يحاول من أهل العصر أن ينكر وجود رواية قبري للتوصُّل إلى نفي ما يتعلَّق به من فضيلة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّما يحاول عبثاً ، ويخبط خبطاً عشوائيَّاً . فالحديث سواء ورد بلفظ : " قبري " أو بلفظ : " بيتي " ، فمعنى اللفظين واحد ، وكلاهما راجع إلى القبر الشَّريف ، وعلى هذا المعنى نصَّ أكثرُ المحدِّثين ، بل جُلُّ من تكلَّم على الحديث أو شرحه .

---

(١) انظر : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ١٥٦) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١٣/ ٧٩) .

(٣) انظر : مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأقواله على أبواب العلم (١/ ٣٢٩) .

قال الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : وفي هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه ، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، على ما في أكثر هذه الآثار ، وعلى ما في سواه ، منها : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، فكان تصحيحها يجب به أن يكون بيته هو قبره ، ويكون ذلك علامة من علامات النبوَّة جليلة المقدار ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أخفى على كلِّ نفس سواه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأرض التي يموت بها لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ، فأعلمه الموضع الذي يموت فيه ، والموضع الذي فيه قبره حتى أعلم بذلك في حياته ، وحتى علمه من علمه من أُمَّته ، فهذه منزلة لا منزلة فوقها زاده الله تعالى بها شرفاً وخيراً (١) .

وقال ابن حزم في " المُحَلَّى " : قد أنذر عليه الصَّلاة والسَّلام بموضع قبره بقوله : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة " . واعلم أنَّه في بيته بذلك ولم ينكر عليه الصَّلاة والسَّلام كون القبر في البيت ، ولا نهى عن بناء قائم ، وإنَّما نهى عن بناء على القبر قبَّة فقط (٢) ، أي : على نفس القبر ملتصقاً به على هيئة القبَّة ، كما جرت به عادة أكثر النَّاس . وهكذا نصَّ على أنَّ المراد بالبيت القبر كل شرَّاح الحديث ، كما يعلم من مراجعه شروح البخاري ، ومسلم ، وغيرهما ، فلا نطيل بذكر نصوصهم .

الوَجْهُ الرَّابِعُ : وعلى فرض أنَّه أراد نفس البيت لا القبر ، فقد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعلام الله إيَّاه أنَّ بيته سيدخل في المسجد ، وأنَّ قبره سيكون فيه ، فيكون القبر داخل المسجد ، وبه صار ما بين البيت والمنبر روضة من رياض الجنَّة ، فكيفما دار الحديث دلَّ على المطلوب ، وهو إذن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإدخال قبره الشَّريف في المسجد ، والإشارة إلى ذلك بقوله : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " .

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ : إجماع الصَّحابة واتفاقهم بعد الاختلاف في موضع دفنه على دفنه في بيته عملاً بما أخبرهم به أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلو كان ذلك غير صحيح عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو منسوخاً بما ذكره في مرض وفاته ، مع أنَّ الخبر لا يدخله النَّسخ لما أجمع الصَّحابة عليه . وقد قام الدَّليل على حجيَّة الإجماع ، ولا سيَّما إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم .

---

(١) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٢) .

(٢) انظر : المحلى بالآثار (٣/ ٣٥٧) .

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ : أجمع التابعون في عهد وجود كبار أئمَّتهم مثل : عمر بن عبد العزيز ، والحسن ، وابن سيرين ، وفقهاء المدينة ، والكوفة ، والبصرة ، والشَّام ، وغيرها من أقطار الإسلام . ثمَّ أجمعت الأُمَّة بعدهم على إدخال بيته المشتمل على قبره داخل المسجد وجعله في وسطه . وإجماعهم حجَّة ، ولو كان ذلك منهيّاً عنه لاستحال أن تتَّفق الأُمَّة في عصر التَّابعين على المنكر والاجتماع على الضَّلالة ، لولا أنَّهم فهموا من النَّهي أنَّ المراد به علَّته التي زالت باستقرار الإيمان ورسوخ العقيدة . لا يقال أنَّهم سكتوا على ذلك لأجل ضرورة توسعة المسجد ، فإنَّه كان في الإمكان توسعته من جهة القبلة والجهة المقابلة لها والجهة الجنوبيَّة لها دون الجهة الشماليَّة الواقع فيها قبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، لا سيَّما والآمر بذلك خليفة العصر الذي اشترى البيوت بالمال لإدخالها في المسجد ، فكان يمكنه أن يشتري البيوت الواقعة في غير جهة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبقي بيت عائشة الذي فيه القبر الشَّريف خارج المسجد مجاوراً له ، كما كان في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلمَّا فعل ذلك بمرأى من التابعين والأئمَّة ولم ينهه أحد منهم عن ذلك دلَّ دلالة قاطعة على جواز اتخاذ المسجد على القبر . وأنَّ المنهي عنه إنَّما هو قصد الصَّلاة إلى القبر المؤدِّي إلى عبادته والإشراك به . ولذلك لما أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد جعل البيت الذي فيه القبور مثلَّث الشكل حتى لا يمكن الصَّلاة إلى القبور .

الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ : أنَّ الصَّحابة بنوا مسجداً على القبر في حياة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقرَّهم على ذلك ولم يأمرهم بهدمه ، ويستحيل أن يقرَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على باطل .

قال ابن عبد البرّ في " الاستيعاب " في ترجمة أبي بصير ما نصه : وله قصَّة في المغازي عجيبة ذكرها ابن إسحاق وغيره ، ورواها عبد الرَّازق ، عن معمر ، عن ابن شهاب في قصة القضيَّة عام الحديبية ، قال : ثمَّ رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلت قريش في طلبه رجلين فقالا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : العهد الذي جعلت لنا أن ترد إلينا كل من جاءك مسلماً ، فدفعه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرَّجلين فخرجا حتى بلغا به ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمرهم ، فقال أبو بصير لأحد الرَّجلين : والله إني لأرى سيفك هذا جيِّد يا فلان فاستلَّه الآخر ، وقال : أجل والله أنَّه لجيِّد ، لقد جرَّبت به ثمَّ جرَّبت ، فقال له أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه فضربه به حتى برد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال : النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه : " لقد رأى هذا ذعراً " ، فلمَّا انتهى إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : قتل والله صاحبي ، وإني لمقتول ، فجاء أبو بصير ، فقال : يا رسول الله ، قد والله وفت ذمَّتك

، قد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم ، فقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ويل أُمِّه مسعِّر حرب لو كان معه أحد " ، فلمَّا سمع ذلك علم أنَّه سيردَّه إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال : وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، قال : فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده الله والرحم ألا أرسل إليهم فمن أتاك منهم فهو آمن . وكان أبو بصير يصلِّي لأصحابه ويكثر من قوله : الله العليُّ الأكبر من ينصر الله فسوف ينصره . فلمَّا قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمُّهم واجتمع إلى أبي جندل حين سمع بقدومه ناس في بني غفار ، وأسلم ، وجهينة ، وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة وهو مسلمون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، وكتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم ، فقدم كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي جندل وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلَّى عليه وبنى على قبره مسجداً اهـ . باختصار (١) .

وبلا شكٍّ يعلم كلُّ ذي حس سليم يعرف سيرة الصَّحابة مع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا ، ولا يذكرونه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رسول الله تعالى وخليفته في خلقه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه ، والصَّحابة كلهم جنده ونوابه ومنفذون أمره ، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه الذين هم تحت حكمه وأمره ، ويكون ذلك حراماً ملعوناً فاعله يجرُّ إلى كفر وضلال ، ثمَّ لا يعلمه الله تعالى به ولا يوحي إليه في شأنه ، كما أعلمه بمسجد الضِّرار وقصد أصحابه من بنائه وأمره بهدمه بل وبما هو أدون من هذا وأقل ضرراً بكثير ، فإذاً لا شكَّ أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبي بصير ولم يأمرهم بهدمه ، إذ لو أمر بذلك لنقل في نفس الخبر أو غيره ، لأنَّه شرع لا يمكن أن يضيع ، بل يستحيل ذلك لخبر الله تعالى أنَّه حفظ الدِّين من أن يضيع منه شيء ولا يصل إلى آخر هذه الأُمَّـة ما وصل إلى أوَّلها . فلمَّا لم يأمر بهدمه دلَّ ذلك على جوازه .

وأمَّا كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر بعد ذلك من اتِّخاذ المسجد على قبره الشَّريف بقوله : " لعن الله اليهود والنَّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، يحذر ما صنعوا ، فإنَّما ذلك لما يخشى من الفتنة بقبره الشَّريف ، لأنَّ

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦١٢-١٦١٣) .

القوم كلّهم كانوا أهل جاهليَّة وعبادة أوثان وصور وأحجار ، وعهدهم بذلك قريب ، فلمَّا آمنوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشاهدوا من معجزاته الظَّاهرة ، وكمالاته الباهرة ، وأحواله العجيبة الخارقة ، حتى صار أحبّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأنفسهم ، لم يأمن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفتتنوا بقبره بعد انتقاله .

وهذا عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وهو من هو قد افتتن عند موته ، وأنكر أن يكون قد مات أو يلحقه الموت ، فأخذ سيفه بيده وجعل يقول : من قال : إنَّ محمَّداً مات ضربته بسيفي هذا ، وذلك لما وقر في نفسه من تلك الكمالات التي لا تتناسب الفناء والموت ، حتى ذكره الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالآية الكريمة : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] . فحينئذ ثاب إليه عقله ، وعلم أنَّ العبد عبد والربُّ ربٌّ ، فلهذا حذَّر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتخاذ المسجد على قبره في أول الأمر ، وأشار إلى جواز اتخاذه عند استقرار الإيمان ، كما فعلت الأُمَّة فأدخلت قبره الشَّريف في مسجده بعد نحو تسعين سنة من انتقاله . وإنَّما لم يأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدم المسجد الذي بني على أبي بصير ، لأنَّ أبا بصير لا شهرة له بين النَّاس بفضل حتى يمكن أن يفتتنوا بقبره ، وإنَّما هو فرد من أفراد المسلمين ، فلم يخش من المسجد على قبره أي ضرر وخلل في الاعتقاد .

الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس ، وأقطع تميماً الداري أرضاً بالخليل تحقيقاً لوعد الله وخبره بالفتح ، وهو يعلم أنَّ بالخليل قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السَّلام . وعلى هذه القبور معبد وقبَّة ، فلم يأمر أصحابه إذ أمرهم أن يدفعوا لتميم الدَّاري الأرض التي أقطعه إيَّاها أن يهدموا البناء الذي هو على قبر إبراهيم وعلى قبر غيره من الأنبياء الموجودين بفلسطين بالقدس والخليل وما بينهما . فدلَّ على أَنَّ المراد التَّحذير من علَّة ذلك ، لا من نفس بناء المسجد والقبَّة .

الدَّلِيْلُ العَاشِرُ : أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم لَمَّا فتحوا البلاد في زمن الخلفاء الرَّاشدين لم يهدموا البناء الذي كان على قبور الأنبياء بالشَّام والعراق وغيرهما من أرض العرب ، مع قيامهم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وتنفيذ كلِّ ما أمرت الشَّريعة به ، وما ينقل عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قبر دانيال ، فذاك خاصٌّ به لما وجد عند قبره من الكتابة التي تخبر بأمور وكوائن غيبيَّة ، وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يبالغ في التَّنفير من كلِّ علم يخشى أن

يفتتن النَّاس به ، ويعرضون معه عن الكتاب والسُّنَّة أو يعتقدون معه خلاف ما يجب أن يعتقد في ذلك المخلوق ، حتى كان إذا قبل الحجر الأسعد عند الطَّواف يقول رافعاً صوته ليسمع النَّاس : إنِّي أعلم أنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ، ولولا أَني رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبِّلك ما قبَّلتك ، وإنَّما كان يفعل هذا لأنَّه خشي على العرب وهم حديثو عهد بجاهليَّة وعبادة الحجر أنَّهم لما يرون المسلمين يقبلون الحجر ربما اعتقدوا أنَّ ذلك لتأثير عنده وتصرّف ، كما كانوا يعتقدونه في الأحجار التي كانوا يعبدونها ، فلمَّا وجد عند قبر دانيال لوحاً مكتوباً فيه أخبار عن أمور مغيَّبة وكوائن آتية ، خاف أن يفتتن النَّاس بذلك ، فأمر بهدم البناء الذي على القبر لأنَّ اللوح المذكور ملصق فيه أو الكتابة كانت على نفس البناء الذي على القبر ، أمَّا قبور غيره من الأنبياء فقد أقرَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البناء الذي كان عليها ولم يهدمه ، لأنَّه لم يكن عليها شيء مما كان على قبر دانيال .

الدَّلِيْلُ الحَادِيْ عَشَر : أنَّه جاء في عدَّة أحاديث وآثار أنَّ جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون في المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام ، وأخبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ منهم نوحاً ، وهوداً وصالحاً ، وشعيباً ، وأنَّ قبورهم بين زمزم والحجر ، وكذلك ورد في قبر إسماعيل أنَّه بالمسجد الحرام ، وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلو كان وجود القبر في المسجد محرَّماً لذاته لنبش النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد ، فإنَّه أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنَّهم أحياء في قبورهم ، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشُّهداء ، وأمرنا بأن لا نسمِّيهم أمواتاً ، فنكون كاذبين في ذلك وهم أحياء ، ولكن حياة برزخيَّة تلائم الكون في القبر ، ولا نتصوَّر كُنهها وحقيقتها ، لأنَّها من أمور الآخرة التي لا تصل إليها عقول أهل الدُّنيا .

فلمَّا لم يفعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك دلَّ على أنَّ وجود القبر في المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرَّماً لذاته ، وإنَّما ذلك لعلَّته التي بانتفائها ينتفي حكمها ، وإذا علمت أنَّ أفضل المساجد على وجه الأرض مسجد مكَّة ومسجد المدينة اللذان هما الحرمان الشَّريفان ، وقد شاء الله تعالى وحكم أن يكون في كلٍّ منها قبور متعدِّدة ، ففي حرم مكَّة قبور جماعة من الأنبياء ، وفي حرم المدينة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السَّلام حين نزوله ، – كما ورد في بعض الأخبار – تعلم أنَّ الدَّفن في المسجد أو اتِّخاذ المسجد في القبر من أشرف الأعمال تأسِّياً بالحرمين الشَّريفين ، فكلُّ مسجد ليس فيه قبر فهو ناقص الفضل قليل البركة عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها .

الدَّلِيْلُ الثَّانِيْ عَشَر : القاعدة المقرَّرة في الفقه : أنَّ الوسائل لها حكم المقاصد ، واحترام قبر الميِّت المسلم وتعظيمه بعدم الجلوس عليه والمشي فوقه ونبشه وكسر عظامه مقصود شرعاً ، وضده محرَّم منهي عنه أشدّ النَّهي حتى قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر " . رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ، وورد نحوه بأسانيد صحيحة من حديث عبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر وغيرهما ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كسر عظم الميِّت ككسره حياً " . رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وابن حبَّان في الصَّحيح ، بل بالغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعظيم قبور المؤمنين حتى أمر من رآه يمشي بينها بنعلين أن يخلعهما احتراماً لقبور المؤمنين .

وبالضَّرورة نعلم أنَّ القبر إذا بقي دون بناء حوش حوله أو بيت أو قبَّة عليه فهو بلا شكٍّ معرَّض للمشي فوقه ، والجلوس عليه ، واندراس أثره ، كما هو مشاهد بالعيان من مرور النَّاس فوق القبور التي لا بناء عليها . وربَّما يجهل أنَّ هناك قبراً فيبول ويتغوَّط فوقه ، بخلاف القبور المحفوظة بالبناء ، كما أنَّنا شاهدنا مرَّات متعدِّدة من يحفر قبراً في موضع لا يظنُّه قبراً فيجد فيه جمجمة ميِّت وعظام يده ورجليه ، فمنهم من يحيد عن ذلك الموضع ويحفر في مكان آخر ، ومنهم من يحملها فيدفنها في حفرة ، ومنهم من يكسره ويرمي بها . وإنَّما يقع هذا بالقبور التي لا بناء عليها ، أمَّا المبنيَّة فهي محفوظة من ذلك طول الدَّهر ما وجد ذلك البناء عليها . فإذا كان البناء فيه مصلحة المحافظة على حرمة الميت وحفظ حقِّه ، وفيه مصلحة الحيِّ بامتثال أمر الشَّارع وعدم اعتدائه على الحدود ، وكونه سبباً موصلاً إلى ذلك ، كان مطلوباً لا محالة ، لأنَّه سبب موصل إلى المقصود فيكون له حكمه . وجلّ أحكام الشريعة والفروع التي شرعها الفقهاء ولم يرد بها نصٌّ إنَّما هي من هذا القبيل ، أعني مأخوذة من طريق الاستدلال .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ عَشَر : القاعدة المقرَّرة أيضاً : أنَّ ما لا يتوصَّل إلى المطلوب إلَّا به فهو المطلوب ، وزيارة القبور مطلوبة . أمر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها ورغَّب فيها ، وفي زيارة قبره المعظَّم ، فقال في الأوَّل : " زوروا القبور ، فإنَّها تذكِّركم الآخرة ، وتزهِّد في الدُّنيا " (١) ، وقال في قبره الشَّريف : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " ، وهو حديث صحيح له طرق متعدِّدة أفردها الحفَّاظ بالتَّأليف ، ومنهم التَّقي السُّبكي وكتابه مطبوع متداول ، فلا نُطيل بذكر أسانيده وبيان صحَّته بعد أن بسط ذلك الإمام تقي الدِّين المذكور ، وكذلك رغَّب صَلَّى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٠ برقم ١٥٦٩) ، من غير قوله : " وتزهِّد في الدنيا " .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زيارة قبر الوالدين ، وزيارة قبر الأصدقاء والسَّلام عليهم ، وذكر الأئمَّة والأولياء أنَّ لزيارة القبور تأثيراً عظيماً في تنوير الباطن ، لا سيَّما قبور الأولياء والصَّالحين ، وأنَّ الدَّعاء عند قبور بعضهم مُستجاب ، كما قال الإمام الشَّافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قبر موسى الكاظم عليه السَّلام : " أنَّه الترياق المجرَّب " ، وجرَّب ذلك آلافٌ مؤلَّفة من الخلائق في سائر العصور عند قبر القطب ابن مشيش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المغرب (٦٢٦هـ) ، وقبر القطب البدوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٦٧٥هـ) ، وقبر السيِّدة نفيسة رضي الله عنها (٢٠٨هـ) بالقاهرة ، وقبور أخرى لغيرهم من أكابر العارفين رضي الله عنهم بما إنكاره مكابرة للمحسوس ودفع للمشاهد المعاين الملموس ، فلو لم يبنَ على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يدخل في المسجد لاندرس كما اندرست قبور إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين هم مع كثرتهم لا يعرف قبر عَشْرَة ، بل ولا خمسة منهم بسبب عدم البناء عليهم ، ولم يبق محفوظاً إلا قبر إبراهيم عليه السَّلام ومن معه بسبب البناء أيضاً ، ولحرم النَّاس منفعة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموجبة لشفاعته لهم ، كما حرموا بركة زيارة غيره من الأنبياء الذي اندرست قبورهم لعدم البناء عليها ، فلمَّا كان البناء موصلاً لهذا المطلوب الشَّرعي كان مطلوباً لا محالة ...

الدَّلِيْلُ الرَّابعُ عَشَر : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع على قبر عثمان بن مظعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صخرة عظيمة ، وقال : " أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي " رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وجماعة [1] .

فهذا تأسيس لوضع العلامة على القبر وتشريع لها وللمحافظة على القبر ، لا سيَّما قبور الصَّالحين ، والعلامة لا تنحصر في الصَّخرة ، وإنَّما وضعها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّها كانت المتيسرة أمامه ساعة الدَّفن ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتكلَّف لشيء ، بل يقضي بالموجود في كلِّ شيء من طعام ، وملبوس ، ومركوب ، وغير ذلك .

فإن جازت العلامة على القبر لحفظه من الاندراس فلا فرق بين أن تكون بصخرة أو بغيرها ، كما أنَّه إذا جازت الَّصخرة جاز اثنان وثلاثة وأربعة بحسب ما تدعوه الحاجة إلى إثبات العلامة ، وكذلك يجوز ربط تلك الأحجار بعضها ببعض بالطِّين والجير لئلَّا تتبعثر وكونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن البناء قد برهنا على أنَّ المراد بالبناء الذي يكون فوق القبر لطمسه لا البناء الذي يكون حول القبر .

---

[1] أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٢ برقم ٣٢٠٦) ، البغوي في شرح السنة (٥/ ٤٠٣ برقم ١٥١٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٧٧ برقم ٥٧٤٤) ، السنن الصغير (٢/ ٢٩ برقم ١١٢١) .

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ عَشَر : أَنَّ قبور الشُّهداء والصَّحابة كانت مرتفعة كما في صحيح البخاري عن خارجة بن زيد ، قال : رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أشدّنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه (١) . وقد سبق أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما وضع عليه صخرة : وكون الشَّاب لا يستطيع أن يثب عليه إلَّا إذا كان قويَّاً شديداً يدلُّ على عظم ارتفاعه وتباعد جانبيه ، وذلك لا يمكن بالتُّراب وحده ولا بالصَّخرة وحدها لوجوه :

أحدها : أنَّ وضع التُّراب الكثير على القبر الزَّائد على الخارج منه مكروه .

ثانيها : أنَّه لا يمكن في العـــادة أن يبقى التُّراب الكثير مرتفعاً مجموعـــاً فوق القبر أزيد من ثلاثين سنة .

ثالثها : أنَّ التُّراب المجلوب لا يمكن أن يرتفع هذا الارتفاع المشار إليه دون أن يخالطه حجارة وطين ، كما أنَّه لا يمكن أن يدوم هذه المدَّة الطَّويلة ... فإنَّا نرى التُّراب الذي يجعل على القبر لا يمرُّ عليه سنة أو سنتان حتى يذهب وتنسفه الرِّياح ويبقى القبر مسوًّى بالأرض .

رابعها : أنَّ هذا لا يمكن أيضاً بالنِّسبة للصَّخرة التي وضعها رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم عند قبره ، لأنَّها وإن كانت كبيرة فهي لا تصل إلى هذا الحدّ الذي لا يستطيع أن يثب عليها إلَّا الشابُّ القوي . لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حملها بيده الكريمة ووضعها عند القبر ، وأيضاً لو كان ذلك بالنِّسبة لها لقال : وإنَّ أشدّنا الذي يثب الصَّخرة التي على قبر عثمان مع أنَّه عبر بالقبر دون الصَّخرة ، فدلَّ على أنَّه كان مبنيَّاً في زمن الخلفاء الرَّاشدين الذين فهموا من وضع العلامة على قبره الأذن في البناء على القبور .

وقال ابن أبي شيبة في المصنَّف : حدثنا وكيع ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قـــال : رأيت قبر عثمان بن مظعـــون مرتفعاً ، فهذا صريح في أنَّه كان مبنيَّاً بناء مرتفعـــاً (٢) .

وقال ابن أبي شيبة أيضاً : حدَّثنا ابن علية ، عن منصور بن عبد الرَّحمن ، عن الشَّعبي ، قال : أتيت على قبور الشُّهداء بأُحد ، فإذا هي شاخصة من الأرض . والقبور المشخصة بالتُّراب لا يمكن عادة أن تبقى من وقت غزوة أحد في السَّنة الثَّالثة إلى زمن التَّابعين " (٣) .

---

(١) انظر : صحيح البخاري (٢/ ٩٥) .

(٢) انظر : الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣ برقم ١١٧٤٦) .

(٣) انظر : إحياء المقبور من أدلَّة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور (ص٢٣-٥٤ ببعض الاختصار) .

ويستمرُّ مسلسل ابن باز وغيره من مُدَّعي السَّلفيَّة في تكفير عُموم الأُمَّة ، فقد جاء في فتاوى ابن باز أيضاً :

" حكم من يقصد قبور الأولياء للغوث والشَّفاعة ؟

س : السَّائل من الجزائر يقول : تعلَّق بعض النَّاس بالصَّالحين وهم موتى ، فترى هذا الإنسان يذهب إلى هؤلاء الموتى يطلب منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكُرُبات مع أنَّ هؤلاء ماتوا ، ويزعم أنَّهم صالحون ، ما حكم عمل هؤلاء مأجورين ؟

ج : ما يفعله بعض النَّاس من الذَّهاب إلى قبور الصَّالحين ، أو قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ويستغيث ، هذا من الشِّرك الأكبر !!! هذا شرك المشركين ، هذا شرك الجاهليَّة ، نعوذ بالله ، كان في الجاهليَّة ، يطلبون من الموتى ، كما كانوا يسألون اللات ويتقرَّبون إليه وهو رجل صالح ، يزعمون أنَّه كان يلت سويق الحاج فمات ، فعكفوا على قبره ، وصاروا يسألونه من دون الله يستغيثون به ، ولهذا قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " .

فالواجب على كلِّ مكلَّف أن يتَّقي الله وأن يراقب الله ، وأن يخصَّ الله بالعبادة ، فلا يدعو إلَّا الله ولا يستغيث إلَّا به ، ولا يستجير إلَّا به هو سبحانه الذي يُدعى ويُرجى ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، قال سبحانه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] ، يعني : المشركين ، فالذي يقصد أصحاب القبور وإن كانوا صالحين ، ويسألهم الغوث أو الشَّفاعة أو غفران الذُّنوب ، أو السَّلام من شرِّ الأعداء ، كلُّ هذا شرك بالله ، شرك أكبر ، وهكذا دعاء الجنِّ والاستغاثة بالجن ، أو بالأصنام والأوثان ، كلُّ هذا من الشِّرك الأكبر ، نسأل الله العافية .

فالواجب الحذر من ذلك ، هذا هو دين المشركين ، دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات وبالأصنام وبالجنِّ والنجوم هذا شرك المشركين ، هذا دينهم الباطل ، نسأل الله العافية " [١] .

فابن باز يرمي المتوسِّلين إلى الله تعالى بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا بالأولياء والصَّالحين بالشِّرك الأكبر وشرك المشركين الجاهليِّين ، وهو هنا يشبِّه توسُّل المشركين الملحدين المؤمنين باللات ، المعتقدين بالضرِّ والنَّفع من جانبها ، بتوسُّل الموحِّدين المؤمنين بأنَّ الله تعالى هو وحده النَّافع الضارُّ ، وأنَّه سبحانه وتعالى مالك الأمر كلّه ، وأنَّه له الأمر من قبل ومن بعد ، ويصف دينَ المؤمنين المتوسِّلين إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه بأنَّه دين المشركين الباطل ، والعياذ بالله تعالى ...

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة : " فتوى رقم (٤١٥٤) :

س : إنَّ رجلاً خطيب مسجد بإحدى قرى مصر التي نعيش فيها نحن ، وهو من الصُّوفيَّة والطريقة الشاذليَّة التي يسمُّونها على أنفسهم . وهذا الرَّجل يدعو النَّاس ويعلمهم التَّوسُّل بمخلوقات الله مثل : الأنبياء ، والأولياء ، ويدعوهم إلى زيارة الأضرحة (القباب) ، ويحلُّ لهم الحلف بالنبي والولي والكفَّارة في هذا الحلف إذا حنث الحالف . ونحن جماعة من الجماعات الإسلاميَّة ناظرناه في ذلك الخطأ الذي يفعله ويعلِّمه للنَّاس ولكنه مصرٌّ على ذلك ، ويستدلُّ بأحاديث ضعيفة وموضوعة ، فهل هذا يصلَّى وراءه ؟ لأنَّنا لم نتم بناء المسجد ؛ لأننا جمعنا تبرُّعات لبناء هذا المسجد ولكن لم ينشأ إلى الآن . فنرجوا فتواكم على هذا السُّؤال ، وفَّقنا ووفَّقكم الله تعالى ...

ج : إنَّ الاستغاثة بالأموات ودعاءهم من دون الله أو مع الله شركٌ أكبر يخرج من ملَّة الإسلام ، سواء كان المُستغاث به نبيَّاً أم غير نبي ، وكذلك الاستغاثة بالغائبين شرك أكبر يُخرج من ملَّة الإسلام والعياذ بالله ، وهؤلاء لا تصحُّ الصَّلاة خلفهم لشركهم !!! أمَّا من استغاث بالله وسأله سبحانه وحده متوسِّلاً بجاههم أو طاف حول قبورهم دون أن يعتقد فيهم تأثيراً ، وإنَّما رجا أن تكون منزلتهم عند الله سبباً في استجابة الله له ، فهو مبتدعٌ آثمٌ مرتكبٌ لوسيلةٍ من وسائل الشِّرك !!! ويخشى عليه أو أن يكون ذلك منه ذريعة إلى وقوعه في الشِّرك الأكبر .

---

[١] انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) .

ونسأل الله أن يعينكم على نشر التَّوحيد ، ونصرة الحقِّ ، وجهاد المبتدعين . وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبينا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : السُّؤال الخامس من الفتوى رقم (٥٣٥٥) :

س٥ : الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصَّالحين في حياتهم وبعد مماتهم في كشف السوء وجلب الخير والتوسُّل بهم أيضاً في الحالتين لقضاء الحوائج والمآرب أيجوز ذلك أم لا ؟

ج ٥: أمَّا الاستغاثة بالأموات من الأنبياء وغيرهم فلا تجوز ، بل هي من الشِّرك الأكبر ، وأمَّا الاستغاثة بالحيِّ الحاضر والاستغاثة به فيما يقدر عليه فلا حرج ؛ لقول الله سبحانه في قصَّة موسى : ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] .

أمَّا التَّوسُّل بالأحياء أو الأموات من الأنبياء وغيرهم بذواتهم أو جاههم أو حقِّهم فلا يجوز ، بل هو من البدع ووسائل الشِّرك . وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (٢) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : السُّؤال الثَّالث من الفتوى رقم (٧٣٠٨) :

س٣ : يقول أرباب الصُّوفيَّة : أنَّهم يستعينون ويستغيثون بعباد صالحين مجازاً ، والله عزَّ وجلَّ هو المستعان حقيقة ، فكيف تردُّ على هؤلاء ؟ ثمَّ أنَّهم يقولون حجَّة لهم في الاستعانة بالصَّالحين : ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ١٧] إلى آخر الآية الكريمة حجَّة لهم ، فكيف تردُّ على هذا ؟

ج٣ : أولاً : الاستعانة والاستغاثة بغير الله من الأموات والغائبين والأصنام ونحوها شرك بالله عزَّ وجلَّ ، وهكذا الاستغاثة والاستعانة بغير الله من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلَّا الله شركٌ أكبر يخرج من ملَّة الإسلام .

ثانياً : الاستدلال على مشروعيَّة الاستعانة والاستغاثة بغير الله بقوله : ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ﴾ استدلالٌ باطل ، فإنَّ معناها : وما أصبت عيون الكفَّار في غزوة بدر مع كثرتهم وانتشارهم في ميدان القتال بما حذفتهم به من الحصى مع ضعفك وقلَّة ما بيدك من الحصى ، ولكنَّ الله تعالى هو الذي أوصله إليهم

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١٠٥) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١٠٦-١٠٧) .

فأصاب أعينهم جميعاً بقدرته سبحانه ، فليس في الآية استغاثة بغير الله ، إنَّما فيها أخذ بالأسباب ولو ضعيفة ، وهو حذف الحصى مع الضَّراعة لله واللجوء إليه ، فكانت النَّتائج بفضل الله وقدرته عظيمة ، وكان مع حذف الحصى أيضاً دعاء الرَّسول عليهم وطلبه النَّصر من الله وحده على أعدائه لا دعاء الصَّالحين . وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : السُّؤال الثَّاني من الفتوى رقم (٩٢٧٢) :

س٢ : هل الاستغاثة بالغائب أو بالميِّت كفر أكبر ؟

ج٢ : نعم الاستغاثة بالأموات أو الغائبين شركٌ أكبر يُخرج من فعل ذلك من ملَّة الإسلام ؛ لقوله سبحانه : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] ، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ، وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (٢) .

وهناك العديد العديد من الفتاوى التي خالفت فيها اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء عموم الأُمَّة ، لأنَّهم قوم لا يـأبهون للأمَّة بل ولا لإجماع الأُمَّة ، ولعلَّنا نُفرد كتاباً في المستقبل إن شاء الله تعالى لمناقشة مخـــالفات اللجنة الدَّائمة لعموم الأُمَّة ، خاصَّة وأنَّهم دأبوا على تسمية المنـــاوئين لهم بأعداء الله ...

قال الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " فإنَّ أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل ، يصدُّون بها النَّاس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنَّه لا يخلق ولا يرزق ، ولا ينفع ولا يضرُّ إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأَنَّ محمَّداً – عليه السَّلام – لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب ، والصَّالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله ، فجاوبه بما تقدَّم

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١٠٨) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١١٠) .

وهو : إنَّ الذين قاتلهم رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مقرُّون بما ذكرت ، ومقرُّون أنَّ أوثانهم لا تدبِّر شيئاً ، وإنَّما أرادوا الجاه والشفاعة ... " (١) .

وكلام ابن عبد الوهَّاب اشتمل على أُمور عدة ، منها :

١ .وصف المؤمنين الموحِّدين المتوسِّلين إلى الله تعالى بطلب حصول منفعة أو دفع مضرَّة منه سبحانه إكراماً لقدر وشرف ومنزلة الأنبياء والصَّالحين ، بأنَّهم أعداء الله تعالى !!! ...

٢. أنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين وما انطوى عليه من أدلَّة سبيل لصدِّ النَّاس عن دين الله تعالى ...

٣. أنَّ ابن عبد الوهَّاب يعلم حقيقةً أنَّ المتوسِّلين إلى الله تعالى مؤمنين إيماناً مطلقاً بأنَّ الله تعالى هو الخالق ، الرَّازق ، وأنَّه وحده سبحانه النَّافع الضارُّ ، وأنَّ محمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره من الصَّالحين ، وأنَّهم يقرُّون بذنوبهم ، وأنَّ الصَّالحين لهم جاه عند الله ، وأنَّهم يسألون الله تعالى بوسيلة محبوبة مرضيَّة عنده ، ألا وهي مكانة ومنزلة وشرف الأنبياء والصَّالحين عند الله تعالى ، ومع ذلك أبى ابن عبد الوهَّاب إلَّا أن يشبِّههم بعبدة الأصنام ، الذين زعم وافترى أنَّهم مقرُّون بما تقدَّم من كونه تعالى الخالق الرَّازق ، وأنَّهم يعتقدون بأنَّ أصنامهم لا تدبِّر شيئاً ، وإنَّما أرادوا الجاه ، والشَّفاعة ، ولذلك قاتلهم رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبهذا اللفِّ والدوران والمراوغة استطاع ابن عبد الوهَّاب إقناع من معه من الأعراب الهمج الرِّعاع الأجلاف ، فثاروا على بلاد المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من المؤمنين بدعوى الشِّرك والوثنيَّة ، ونهبوا أموالهم ، وسَبَوا نسائهم ...

وقال الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) أيضاً : " ... فإذا تحقَّقت أنَّهم مقرُّون بهذا ولم يدخلهم في التَّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وتحقَّقت أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قاتلهم ليكون الدُّعاء كلّه لله ، والنَّذر كلّه لله ، والاستغاثة كلّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلّها لله . وعرفت أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يدخلهم في الإسلام ، وأنَّ قصدهم الملائكة ،

---

(١) انظر : كشف الشبهات ، محمَّد بن عبد الوهَّاب (ص١٧-١٨) .

والأنبياء ، والأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتقرُّب إلى الله بذلك ، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسل وأبى عن الإقرار به المشركون " (١) .

وكلام ابن عبد الوهَّاب هذا تضمَّن عدَّة أُمور ، منها :

١. اعترافه بأنَّ الموحِّدين المؤمنين المتوسِّلين إلى الله تعالى بمنزلةِ ومكانةِ وشرفِ الأنبياء والصَّالحين ، والمقرِّين بأنَّه لا خالق ولا رازق ، ولا نافع ولا ضارّ إلَّا الله تعالى ، وأنَّ المتوسَّل به إلى الله تعالى ما هو إلَّا وسيلة محبوبة عند الله تعالى لم يدخلوا في صفِّ المؤمنين بالتَّوحيد الذي دعا إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبسبب عدم دخولهم في التَّوحيد الذي لا يرتضي غيره ابن عبد الوهَّاب كان قتال الرَّسول إيَّاهم ، ولذلك فابن عبد الوهَّاب يزعم أنَّه لا يقاتل مخالفيه إلَّا لأنَّ الرَّسول قاتلهم ليكون الدُّعاء كلُّه لله ، والنَّذر كلُّه لله ، والاستغاثة كلُّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلَّها لله ...

٢. زعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ قصد المتوسِّلين بتوسُّلهم الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، إرادة لشفاعتهم ، والتقرُّب إلى الله بذلك ، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم ...

وتحت ستار وغطاء المحافظة على صفاء التَّوحيد ، كان ابن عبد الوهَّاب يخطب في النَّاس بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، فقد قال مفتي الشَّافعيَّة ورئيس المدرِّسين في مكَّة أيام السُّلطان عبد الحميد ، الشَّيْخ العلَّامة أحمد زيني دحلان في حديثه عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدِّرعيَّة ، ويقول في كلِّ خطبة : ومن توسَّل بالنَّبي فقد كفر ...

وكان – محمَّد بن عبد الوهَّاب – ينهى عن الصَّلاة على النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ويتأذَّى من سماعها ، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنائر ، ويؤذي من يفعل ذلك ، ويعاقبه أشدَّ العقاب ، حتى أنَّه قتل رجلاً أعمى كان مؤذِّناً صالحاً ذا صوت حسن ، نهاه عن الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنارة فلم ينته ، وأتى بالصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر بقتله فقتل ، ثمَّ قال : إنَّ الرَّبابة في بيت الخاطئة يعني الزَّانية أقل إثماً ممَّن ينادي بالصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنائر ، ويلبِّس على أصحابه بأنَّ ذلك كلّه محافظة على التَّوحيد ، فما أفظع قوله وما أشنع فعله . وأحرق " دلائل الخيرات " وغيرها

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص٦-٧) .

من كتب الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتستَّر بقوله : إنَّ ذلك بدعة ، وأنَّه يريد المحافظة على التَّوحيد .

وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتَّفسير والحديث وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلِّ من تبعه أن يفسِّر القرآن بحسب فهمه ، حتى الهمج الرِّعاع الأجلاف الأعراب من أتباعه ، فكان كلُّ واحد منهم يفعل ذلك ، وإن كان لا يحفظ شيئاً من القرآن ، فيقول الذي لا يقرأ لآخر يقرأ : أقرأ عليَّ حتى أفسِّر لك ، فإذا قرأ عليه فسَّره له برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدَّماً على كتب العلم ونصوص العلماء ، وكان يقول في كثير من الأقوال : الأئمَّة الأربعة ليست بشيء ...

وكان ينتقص النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً بعبارات مختلفة ، ويزعم أنَّ قصده المحافظة على التَّوحيد ، فمنها : أن يقول : أنَّه طارش ، وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشَّخص المرسل من قوم إلى آخرين ، فمراده أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل كتب ، أي : غاية أمره أنَّه كالطَّارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر النَّاس ليبلغهم إيَّاه ثمَّ ينصرف .

ومنها : أنَّه كان يقول : نظرت في قصَّة الحديبية فوجدت بها كذا كذا ، إلى غير ذلك ممَّا يشبه هذا حتى أنَّ أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ، ويقولون مثل قوله بل أقبح ممَّا يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرِّضا ، وربَّما أنَّهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به ، حتى إنَّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمَّد ، لأنَّها ينتفع بها في قتل الحيَّة ونحوها ، ومحمَّد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنَّما هو طارش !! " (١) .

وجاء في الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة : " فإذا عرفت معنى لَا إِلَه إِلَّا الله ؛ وعرفت أنَّ من نخا نبيَّاً أو مَلكاً أو ندبه أو استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٢) .

وهم يقصدون بقولهم : " نخا " ، أي : عظَّم . وبناء على قولهم هذا : فمن عظَّم نبيَّاً ، أو مَلكاً أو ناداه ، نحو : وامعتصماه ، أو استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، والعياذ بالله تعالى ... مع أنَّ قصَّة المرأة الشَّريفة

(١) انظر : الدرر السنية في الردِّ على الوهابية (ص٤٢-٤٤ ببعض الاختصار) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الفتاوى النجدية (٣/ ١١٥) .

الهاشميَّة التي صاحت في أسرها : " وامعتصماه " ، مستغيثة بالمعتصم بعد أن وقعت في أسر الرُّوم ، كانت سبباً في فتح عموريَّة الشَّهيرة ، ولم نسمع من أنكر عليها استغاثتها ونصرة المعتصم لها [1]...

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... وسُئل أيضاً الشَّيْخ محمَّد بن الشَّيْخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن ، عن حكم من اتَّصف بالكفر اليوم وقام به ، من بادية نجد ، هل هو كفر أصلي ، أم طارئ ؟ وهل عمَّهم الإسلام ، في وقت دعوة شيخ الإسلام ، محمَّد بن عبد الوهَّاب ، رحمه الله تعالى أم لا ؟

فأجاب : اعلم – وفَّقني الله وإيَّاك للصَّواب – أنَّ أهل نجد باديتهم وحاضرتهم ، قبل دعوة شيخ الإسلام ، وعلم الهداة الأعلام ، مجدِّد ما اندرس من معالم الإسلام !!! الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، قدَّس الله روحه ، ونوَّر ضريحه ، في جاهليَّة جهلاء ، وضلالة عمياء ؛ قد اشتدَّت غربة الإسلام فيما بينهم ، واستحكمت ، وعمَّ الشرُّ وطمّ ، وفشا الشِّرك ، وشاع الكفر وذاع ، في القرى والأمصار ، والبادية والحضار ، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان ، ديناً يدينون به ، ويعتقدون في الأولياء ، أنَّهم ينفعون ويضرُّون " [2] .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وأمَّا إذا كان الشِّرك فاشياً ، مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم ، ودعاء الأنبياء والصَّالحين ، وإفشاء توابع الشِّرك ، مثل الزِّنى والرِّبا ، وأنواع الظُّلم ، ونبذت السُّنَّة وراء الظَّهر ، وفشت البدع والضَّلالات ، وصار التَّحاكم إلى الأئمَّة الظَّلمة ، ونوَّاب المشركين ، وصارت الدَّعوة إلى غير القرآن والسُّنَّة ، وصار هذا معلوماً في أي بلد كان ، فلا يشكُّ من له أدنى علم : أنَّ هذه البلاد ، محكومٌ عليها بأنَّها بلاد كفر ، وشرك !!! " [3] .

ولم يسلم من مُدَّعي السَّلفيَّة أحدٌ ممَّن ليس على شاكلتهم ، حتى الصَّحابة لم يسلموا من لسان الإمام ابن تيمية ، كما في كتابه : " اقتضاء الصِّراط المستقيم " ، حيث اعترض على عبد الله بن عمر تتبُّعه للأماكن التي صلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحرَّاها لأجل الصَّلاة فيها ، فقال : " فأما قصد الصَّلاة في تلك البقاع التي

---

[1] انظر قصتها في : الكامل في التاريخ (٦/ ٣٨ فما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر (٢/ ٣٣ فما بعدها) ، تاريخ ابن الوردي (١/ ٢١٣ فما بعدها) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢/ ٦٢ فما بعدها) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٣/ ٤٥١ فما بعدها) .

[2] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٤٩) .

[3] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٦٠) .

صلَّى فيها اتفاقاً ، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصَّحابة ... وتحرِّي هذا ليس من سنَّة الخلفاء الرَّاشدين ، بل هو ممَّا ابتدع ، وقول الصَّحابي إذا خالفه نظيره ، ليس بحجَّة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصَّحابة ؟

أيضاً : فإنَّ تحرِّي الصَّلاة فيها ذريعة إلى اتِّخاذها مساجد !!! والتَّشبُّه بأهل الكتاب ممَّا نُهينا عن التَّشبُّه بهم فيه ، وذلك ذريعة إلى الشِّرك بالله !!! " (١) .

فابن تيمية يصف الصَّحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما بالمبتدع ، لأنَّه كان يتتبَّع الأماكن التي صلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتحرَّاها لأجل الصَّلاة فيها ، مع أنَّه ثبت عن الصَّحابة الكرام أنَّهم تبرَّكوا بالكعبة ، فاستلموها ، ومسحوا بأيديهم على وجوههم تبرُّكاً...

فعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي محمَّد بْنُ الْمُرْتَفِعِ ، أنَّه رَأَى ابْنَ الزُّبَيْر ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا اسْتَلَمَا مَسَحَا وُجُوهَهُمَا بِأَيْدِيهِمَا " (٢) .

وعن عونِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ حُمَيْدُ بْنُ حِبَّانٍ قَالَ : رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ " (٣) .

وعَنْ مَعْمَرٍ قَالَ : لَمْ أَرَ أَحداً يَسْتَلِمُ إِلَّا وَهُوَ يُقَبِّلُ يَدَهُ ، وَأَدْرَكْنَا النَّاس عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَيُّوبَ كَثِيراً مِمَّا يَمْسَحُ عَلَى وَجْهِهِ بِيَدِهِ إِذَا اسْتَلَمَ بَعْدَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ " (٤) .

وعَنْ سَعْدِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُوسَى ابْنِ أَبِي الْفُرَاتِ ، أَوْ فُلَانُ بْنُ أَبِي الْفُرَاتِ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ ، ثمَّ يُقَبِّلُ يَدَهُ ، ثمَّ يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ " (٥) .

وهؤلاء الصَّحابة الكرام ما تبرَّكوا بالرُّكن ومسحوا بأيديهم على وجوههم إلَّا بعد أنَّ رأوا الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك ، فقد روى النَّسائي وغيره بسندهمَ عنِ ابْنِ عبَّاس قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَ قَبَّلَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ الأَيْمَنَ عَلَيْهِ " (١) .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٨-٢٧٩) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، (٥/ ٤١ برقم ٨٩٣٠) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣١) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٢) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٣) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " ... وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ تَقْبِيلَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ أَيْضاً فَائِدَةٌ أُخْرَى اسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ تَقْبِيلِ الْأَرْكَانِ : جَوَازَ تَقْبِيلِ كُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ ، فَأَمَّا تَقْبِيلُ يَدِ الْآدَمِيِّ فَيَأْتِي فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، وأَمَّا غَيْرُهُ فَنُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّه سُئِلَ عَنْ تَقْبِيلِ مِنْبَرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْبِيلِ قَبْرِهِ فَلَمْ يَرَ بِهِ بَأْساً ، وَاسْتَبْعَدَ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ صِحَّةَ ذَلِك ، وَنقل عَن بن أَبِي الصَّيْفِ الْيَمَانِيِّ أَحَدِ عُلَمَاءِ مكَّة مِنَ الشَّافِعِيَّةِ جَوَازَ تَقْبِيلِ الْمُصْحَفِ ، وَأَجْزَاءِ الْحَدِيثِ ، وَقُبُورِ الصَّالِحِين ، وَباللهِّ التَّوْفِيق " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) نقلاً عن شيخه الإمام زين الدِّين أبو الفضل عبد الرَّحيم العراقي الشَّافعي (٨٠٦هـ) : " وأَمَّا تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّرِيفَة على قصد التَّبَرُّك ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالِحِين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة ، وَقد سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَة الْحسن ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، أَن يكْشف لَهُ الْمَكَان الَّذِي قبله ، رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سرَّته ، فَقبله تبرُّكاً بآثاره وَذريَّته ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقد كَانَ ثَابت الْبنانِيّ لَا يدع يَد أنس ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، حَتَّى يقبلهَا ، وَيَقُول : يَد مست يَد رَسُول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأَخْبرنِي الْحَافِظ أَبُو سعيد ابْن العلائي قَالَ : رَأَيْت فِي كَلَام أَحْمد بن حَنْبَل فِي جُزْء قديم عَلَيْهِ خطّ ابْن نَاصِر وَغَيره من الْحفاظ ، أَن الإِمَام أَحْمد سُئِلَ عَن تَقْبِيل قبر النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتقبيل منبره ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك ، قَالَ : فأريناه للشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن تَيْمِية فَصَارَ يتعجب من ذَلِك ، وَيَقُول : عجبت أَحْمد عِنْدِي جليل يَقُوله ؟ هَذَا كَلَامه أَو معنى كَلَامه ؟ وَقَالَ : وَأي عجب فِي ذَلِك وَقد روينَا عَن الإِمَام أَحْمد أَنَّه غسل قَمِيصاً للشَّافِعِيّ وَشرب المَاء الَّذِي غسله بِهِ ، وَإِذا كَانَ هَذَا تَعْظِيمه لأهل الْعلم فَكيف بمقادير الصَّحَابَة ؟ وَكَيف بآثار الْأَنْبِيَاء ، عَلَيْهِم الصَّلاة والسَّلام " (٣) .

فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أجاز تقبيل القبر الشَّريف ، وكذا منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّه لا بأس بذلك ، في الوقت الذي استغرب فيه ابن تيمية هذا الصَّنيع من أحمد . فإذا كان ابن تيمية صادقاً في

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (٥/ ٧٦ برقم ٩٥٠٣) ، ورواه ابن أبي شيبة عن مجاهد ، انظر : مُصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٠ برقم ١٥٦١٨) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٧٥) .

(٣) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

متابعة السَّلف فلماذا شاح بوجهه عمَّا قاله الإمام أحمد ؟ ولماذا لم يلتزمه ؟ أم أنَّ الاتِّباع مجرَّد كلام ليل يمحوه النهار ؟ ولماذا لم يمعن ابن تيمية النَّظر في صنيع الإمام أحمد حين غسل قميصاً للإمام الشَّافعي وشربَ الماء الذي غسله به ؟ وماذا سيصنع الإمام أحمد بن حنبل لو وجد قميصاً للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أو قميصاً لأبي بكر أو عمر أو غيرهما من الصَّحـــابة رضوان الله عليهم أجمعين ...

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى مسألة ذكرها الإمام العيني ، وهي تَقْبِيل أَيدي الصَّالِحِين وأرجلهم ، وهذا أمر فعله السَّلف الصَّالح ، فقد أخرج الطبراني بسنده عن يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ قَالَ : لَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ ، فَقُلْتُ : بَايَعْتَ بِيَدِكَ هَذِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : أَعْطِنِي يَدَكَ أُقَبِّلُهَا فَأَعْطَانِيهَا فَقَبَّلْتُهَا " (١) .

وذكر الإمام أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) في كتابه : " الرِّياض النَّضرة في مناقب العشرة " عن أبي رجاء العطاردي ، قال : دخلتُ المدينة فرأيت النَّاس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يقبِّل رأس رجل ، وهو يقول : أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا ، فقلت : من المقبِّل ، ومن المقبَّل ؟ قالوا : ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردَّة ، إذ منعوا الزَّكاة حتى أتوا بها صاغرين " (٢) .

ولم يزل العلماء يقبِّلون أيدي الصَّالحين ، من غير نكير ، فقد ذكر الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) كلاماً للإمام الفضيل بن عياض (١٨٧هـ) ، جاء في آخره : " فَقَبَّلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) جَبْهَتَهُ ، وَقَالَ : يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا غَيْرُكَ " (٣) .

ولَمَّا كانت حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة المشرَّفة ... فما المانع من التَّبرُّك والتَّوسُّل به إلى الله تعالى ؟!!! ولذلك ... يجب على من ادَّعوا السَّلفيَّة أن يعودوا إلى رشدهم ، ويفكِّروا في أمرهم ، فيكفُّوا عن تكفير الأمَّة وتبديعها وتفسيقها ، ولا يقلِّدوا في دينهم الرِّجال ، فالحقُّ لا يعرف بالرِّجال بل الرِّجال هم الذين يعرفون بالحقِّ ، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع ... فإنَّهم إن فعلوا ذلك بان لهم الحقُّ من الباطل ، وعلموا يقيناً أنَّ ابن تيمية ومعه بعض المتمسلفة خالفوا الأُمَّة في أمور عديدة ...

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٩٤ برقم ٢٢٦) .

(٢) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ١٤٨) .

(٣) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩١) .

ونختم هذا الفصل بذكر بعض الأدلَّة التي استدلَّ بها جمهور أهل العلم على جواز التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، فأقول :

لقد دلَّت على جواز التَّوسُّل آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن تلكم الأَدلَّة :

أَوَّلاً : أَدِلَّةُ القُرآنِ العَظِيْم :

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] .

فقد ذكر أهل العلم أنَّ اليهود كانوا قبل بعثة سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستنصرون به على مشركي العرب ، وكانوا يقولون لهم : هذا زمان خروج نبي آخر الزَّمان الذي نَجدُ صفته في التَّوراة ، وسنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، وكان اليهود يُهزمون في حربهم مع قبيلة غطفان العربيَّة ، فقالوا : اللهمَّ إنَّا نسألك بحقِّ النَّبي الأُمِّيِّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا فِي آخر الزَّمان إلَّا نصرتنا عليهم ، فهزموا غطفان ... فلمَّا بُعث النَّبي من العرب تنكَّروا له ، وكفروا به ، وعادوه ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، وحسدوه ...

قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] ، أَيْ وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ ، الَّذِينَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُّ قَبْلَ الْفُرْقَانِ، كَفَرُوا بِهِ ، يَسْتَفْتِحُونَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعْنَى الِاسْتِفْتَاحِ : الِاسْتِنْصَارُ ، يَسْتَنْصِرُونَ اللهَّ بِهِ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ ؛ أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَشْيَاخٍ ، مِنْهُمْ قَالُوا : " فِينَا وَاللهِّ وَفِيهِمْ ، يَعْنِي فِي الْأَنْصَارِ وَفِي الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا جِيرَانَهُمْ ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ، يَعْنِي: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩] ، قَالُوا :

كُنَّا قَدْ عَلَوْنَاهُمْ دَهْراً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنَحْنُ أَهْلُ الشِّرْكِ ، وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، فَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّ نَبِيّاً الْآنَ مَبْعَثُهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ ، يَقْتُلُكُمْ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ . فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ رَسُولَهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَاتَّبَعْنَاهُ كَفَرُوا بِهِ. يَقُولُ اللهُ : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٨٩] .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، مَوْلَى آلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَوْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : " أَنْ يَهُودَ ، كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ . فَلَمَّا بَعَثَهُ اللهُ مِنَ الْعَرَبِ ، كَفَرُوا بِهِ ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، اتَّقُوا اللهَ وَأَسْلِمُوا . فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ . فَقَالَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ أَخُو بَنِي النَّضِيرِ : مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ . فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى آلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَوْ عِكْرِمَةُ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩] ، يَقُولُ : يَسْتَنْصِرُونَ بِخُرُوجِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَوْهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ وَحَسَدُوهُ .

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عِيسَى ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عَلِيٍّ الْأَزْدِيِّ : فِي قَوْلِ اللهِ : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩] ، قَالَ : الْيَهُودُ

، كَانُوا يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا هَذَا النَّبِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ؛ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شِبْلٌ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عَلِيٍّ الْأَزْدِيِّ ، وَهُوَ الْبَارِقِيُّ: فِي قَوْلِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة: ٨٩] ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : قَوْلُهُ :﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩] ، كَانَتِ الْيَهُودُ تَسْتَفْتِحُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كُفَّارِ الْعَرَبِ مِنْ قَبْلُ ، وَقَالُوا : اللَّهُمَّ ابْعَثْ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي نَجِدُهُ فِي التَّوْرَاةِ يُعَذِّبُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ . فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَوْا أَنَّهُ بُعِثَ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَداً لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] ..." (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السّري بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجّاج (٣١١هـ) في معنى الآية : " ... فيه قولان : ... وقيل : وكانوا يستفتحون على الذين كفروا : يَسْتنْصرون بذكر النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾، أي : ما كانوا يستنصرون وبصحَّته يخبرون ، ﴿ كَفَرُواْ﴾ وهم يوقنون أنَّهم معْتَمِدُون للشقاق عداوة لله" (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قال ابن عبَّاس : " كانت العرب في الجاهليَّة يمرُّون على اليهود فيؤذونهم ، واليهود يجدون صفة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّوراة ، فيسألون الله أن يعجِّل ببعثه فينصروا به على العرب لِما وصل إليهم

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢/ ٣٣٢ – ٣٣٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧١) .

من أذى العرب . فلمَّا جاءهم محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قد عرفوه وسألوا الله في بعثه ﴿كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ . وقال مجاهد : " كانوا يقولون : " اللهمَّ ابعث لنا هذا النَّبي يفصل بيننا وبين النَّاس ، فلمَّا بُعث كفروا به " .

وقيل : أنَّهم كانوا يرغبون إلى الله في النَّصر عند حروبهم بمحمَّد عليه السَّلام ، ويستشفعون به فينصرون ، فلمَّا جاءهم بنفسه كفروا به حسداً وبغياً ، وهم يعلمون أنَّه رسول . وبمثل هذا القول ، قال : السدِّي ، وعطاء ، وأبو العالية " (١) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠هـ) : " أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ ، قَال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : " كَانَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ تُقَاتِلُ غَطَفَانَ ، فَكُلَّمَا الْتَقَوْا هُزِمَتِ الْيَهُودُ فَعَادَ الْيَهُودُ يَوْماً فِي الدُّنيا ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ بِحَقِّ محمَّد النَّبي الْأُمِّيِّ ، الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنَّكَ تُخْرِجُهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا الْتَقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ ، فَهَزَمُوا غَطَفَانَ ، فلمَّا بُعِثَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَفَرُوا بِهِ ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] (٢) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة: ٨٩] ، يستنصرون ؛ وَمِنْه قَول الشَّاعِر :

أَلا أبلغ بني عصم رَسُولاً   فَإِنِّي عَن قباحتكم غني

أَي : عَن نصرتكم . وَفِي الْخَبَر : " أَنَّ النَّبي كَانَ يستفتح بصعاليك الْمُهَاجِرين " (٣) ، أَي : يستنصر بهم فِي الدُّعَاء للغزوات .

---

(١) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١/ ٣٤٦) .

(٢) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٣/ ١٤٥٢ برقم ٩٧٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

وَمعنى الْآيَة : أَنَّ الْمُشْركين من قبل كَانُوا يُؤْذونَ الْيَهُود ، فَرُبمَا تكون الْغَلَبَة لَهُم على الْيَهُود فِي الْقِتَال ؛ فَقَالَت الْيَهُود - : اللَّهُمَّ انصرنا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّي الَّذِي تبعثه فِي آخر الزَّمَان ، فَكَانُوا ينْصرُونَ بِهِ ، فلمَّا بُعث كفرُوا بِهِ " (١) ...

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

وفي تفسيرهم للآية الكريمة ذكر أهل العلم أنَّ التابوت كان فيه بعض آثار أنبياء بني إسرائيل ، وكانوا يأخذونه معهم في حروبهم يستنصرون به على عدِّوهم ، وكان بالنسبة لهم مصدر سكينة وطمأنينة ووقار ، به تأنس نفوسهم ، وتسكن إليه قلوبهم ، فلا يهربوا ولا يفرِّوا أمام عدِّوهم . ولما انحرفوا عن الجادَّة وعصوا الرُّسل سلَّط الله عليهم من ينتزعه منهم ، فذلُّوا وهانوا ...

ففي تفسير الآية الكريمة قال الإمام إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج (٣١١هـ) : " والفائدة - كانت - في هذا التَّابوت أنَّ الأنبياءَ - صلوات اللهَّ عليهم - كانت تستفتح به في الحروب ، فكان التَّابوت يكون بين أيديهم ، فإِذا سُمِعَ من جوفه أنين دف التَّابوت ، أي : سار والجميع خلفه - واللهَّ أعلم بحقيقة ذلك " (٢) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر ، منصور بن محمَّد السمعاني (١/ ١٠٨) ، وللاستزادة في تفسير الآية ودلالتها على المطلوب انظر : تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٢٥٧-٢٥٨) ، إحياء علوم الدِّين (٣/ ١٩٠) ، وانظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٢/ ٢٥٤) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ١٤١-١٤٢) ، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٨٧) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣/ ٥٩٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٦-٢٧) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٢٧٨-٢٧٩) ، انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/ ١٧١) ، بحر العلوم (١/ ٩٩) ، تفسير القرآن العزيز (١/ ١٥٨) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/ ١٥٨) ، أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (١/ ٩٣) ، تفسير الخازن المسمـــى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (١/ ٨٢) ، البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٨٧) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيـــم الخبير (١/ ٧٦) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٣٢) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٩) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ) : " ... وَقَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ : السَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ ، أَيْ : طُمَأْنِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ التَّابُوتُ اطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ وَسَكَنُوا ، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ، يَعْنِي مُوسَى وَهَارُونَ أَنْفُسَهُمَا كَانَ فِيهِ لَوْحَانِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَرُضَاضِ الْأَلْوَاحِ الَّتِي تَكَسَّرَتْ ، وَكَانَ فِيهِ عَصَا مُوسَى ، وَنَعْلَاهُ ، وَعِمَامَةُ هَارُونَ ، وَعَصَاهُ ، وَقَفِيزٌ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَ التَّابُوتُ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمَ وَحَكَمَ بَيْنَهُمْ ، وَإِذَا حَضَرُوا الْقِتَالَ قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " كان التَّابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذَّهب ، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً ، قدَّموه بين أيديهم يستنصرون به ، وفيه السَّكينة . وقال وهب بن منبِّه : كان نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين . قال مقاتل : فلمَّا تفرَّقت بنو إسرائيل ، وعصوا الأنبياء ، سلَّط الله عليهم عدوَّهم ، فغلبوهم عليه " (٢) .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، والآية دالَّة على العموم ، بمعنى أنَّ الاستغفار من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمته ثابت في حياته ، وكذا بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ومن أراد تخصيصها بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد خالف ما عليه أهل الحق ، لأنَّ الفعل في سياق الشَّرط يفيد العموم ، وأعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشَّرط ، كما نصَّ على ذلك غير واحد من أهل العلم (٣) .

قال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) : " فهذه الآية وإن نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطَّاغوت ، فهي عامَّةٌ تشمل كلَّ عاص ومقصِّر ، لأنَّ ظلم النَّفس المذكور فيها يشملُ كلَّ معصية ، ثمَّ إنَّها أعني الآية تدلُّ

---

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ٣٣٤) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٢٤) ، وللاستزادة في دلالة الآية على التَّوسُّل انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٤٨-٢٤٩) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٤٨٨-٤٩١ باختصار) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٢٧٥) ، فتح القدير (١/ ٣٠٣-٣٠٤) ، تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧) ، (٢/ ٣٠١) .

(٣) انظر : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (ص١٢٢) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ١٦٠) .

على الاستشفاع بالنَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حالتي حياته ووفاته ، لأنَّ كلاً من المجيء والاستغفار وقع في سياق الشَّرط ، والفعل في سياق الشَّرط يدلُّ على العموم ، والاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف .

وأمَّا في حال الوفاة ، فالوَهَّابيُّون يمنعونه متوهِّمين أنَّ الموت يحولُ دون تحقُّقه ، وهو غلط ظاهر ، لأنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم يُرزقون ، بدليل الكتاب والسُّنَّة والإجماع " [1] .

وقال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) أيضاً : " فهذه الآية عامَّة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة ، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى الدَّليل ، وهو مفقودٌ هنا ، فإن قيل : من أين أتى العموم للآية حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل ؟ قلنا : من وقوع الفعل في سياق الشَّرط ، والقاعدة المقرَّرة في الأصول : أنَّ الفعل إذا وقع في سياق الشَّرط كان عاماً ، لأنَّ الفعل في معنى النَّكرة لتضمُّنه مصدراً منكراً ، والنَّكرة الواقعة في سياق النَّفي أو الشَّرط تكون للعموم وضعاً " [2] .

وهذا ما فهمه كثيرٌ من المفسِّرين وغيرُهم من أهل العلم ، فقد ذكروا قصَّة العتبي عند تفسيرهم للآية الكريمة ، وكذا ذكروها عند الدَّعاء أثناء زيارة القبر الشَّريف ...

قال الإمام أبو عمر ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربِّه الأندلسي (٣٢٨هـ) : " وقف أعرابيٌ على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : قلت فقبلنا ، وأمرت فحفظنا ، وبلَّغت عن ربِّك فسمعنا : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا . فما بقيت عينٌ إلَّا سالت ... " [3] .

وروى الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشَّامي ، أبو القاسم الطَّبراني (٣٦٠هـ) ، قال : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، ثنا سُفْيَانُ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الله : " إِنَّ فِي النِّسَاءِ لَخَمْسُ آيَاتٍ مَا يَسُرُّنِي بِهِنَّ الدُّنيا وَمَا فِيهَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعُلَماءَ إِذَا مَرُّوا بِهَا

---

[1] انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء (ص١٣) .

[2] انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص٤٥-٤٦) .

[3] انظر : العقد الفريد (٣/ ١٩٤) .

يَعْرِفُونَهَا : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠] ، وَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] (١) .

ففرح عبد الله بن مسعود بهذه الآية واضح وظاهر في أنَّه رآها عامَّة في كلِّ زمان ومكان ، بدليل ضمِّها لغيرها من الآيات التي يفهم الإنسانُ العادي منها أنَّها عامَّة لا تخصُّ زماناً دون زمان ، ولا مكاناً دون مكان ... وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠] ، " وَالْهِجْرَةُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إِلَى حَضْرَتِهِ ، كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ " (٢) .

قال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " روى الصَّادق عن علي (عليهما السَّلام) ، قال : قدم علينا امرؤ عندما دفنّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، وحثا على رأسه من ترابه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت من الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، فقد ظلمت نفسي ، فجئتك لتستغفر لي ، فنودي من القبر أنَّه قد غفر لك " (٣) .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٢٠ برقم ٩٠٦٩) ، سعيد بن منصور في التفسير (٤/ ١٢٩٧ برقم ٦٥٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٧٥ برقم ٢٢٠٢) .

(٢) انظر : نيل الأوطار (٥/ ١١٣) .

(٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ٣٣٩) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : " فَأَمَّا زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَأْمُورٌ بِهَا وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهَا ، رَوَى عُبَيْدُ اللهَّ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنَّه قَالَ : مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " (١)... ، وَحُكِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) أنَّه قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ وَجَدْتُ اللهَّ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ تَائِباً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قَالَ الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) : فَغَفَوْتُ غَفْوَةً ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ ، وَأَخْبِرْهُ بِأَنَّ الله تعالى قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الْخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنِي أَبُو محمَّد بْنُ زِيَادٍ ، حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْقُرَشِيَّ ، يَقُولُ : كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ إِذَا رَأَى مُنْكَراً لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُغَيِّرَهُ أَتَى الْقَبْرَ ، فَقَالَ :

أَيَا قَبْرَ النَّبي وَصَاحِبَيْهِ ... أَلَا يَا غَوْثَنَا لَوْ تَعْلَمُونَا

---

(١) قال الأستاذ المحقق المدقق محمود سعيد ممدوح : " أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١/ ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التاريخ (٢/ ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٥٠) ، والسبكي في شفاء السقام (ص٢-١٤) . جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصحَّحه أو حسنه السبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعلل لا يصح منها شيء " انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، (ص٢٨٠ فما بعدها). ثمَّ ناقش جميع العلل التي تعلل بها المتمسلفة في تضعيف الحديث .

(٢) انظر : الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني (٤/ ٢١٤-٢١٥) .

وقال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ محمَّد بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَقِيَّةَ، إِمْلَاءً ، حَدَّثَنَا شُكْرٌ الْهَرَوِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ، عَنْ محمَّد بْنِ رَوْحِ بْنِ يَزِيدَ الْبَصْرِيِّ ، حَدَّثَنِي أَبُو حَرْبٍ الْهِلَالِيُّ ، قَالَ : حَجَّ أَعْرَابِيٌّ فلمَّا جَاءَ إِلَى بَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَعَقَلَهَا ثمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ حَتَّى أَتَى الْقَبْرَ وَوَقَفَ بِحِذَاءِ وَجْهِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله جِئْتُكَ مُثْقَلاً بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا مُسْتَشْفِعاً بِكَ عَلَى رَبِّكَ ، لأنَّه قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مُثْقَلاً بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، أَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى رَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، وَأَنْ تَشْفَعَ فِيَّ ، ثمَّ أَقْبَلَ فِي عَرْضِ النَّاس ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِ الْأَبْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْس الْفِدَاءُ بقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

ومع أنَّ إسناد الرِّواية فيه مقال ، لكن الشَّاهد هو إيراد العديد من المفسِّرين لها في كتبهم ، لأنَّهم فهموا من الآية أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصلٌ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ولذلك حثُّوا على ضرورة الذَّهاب لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤاله الاستغفار ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لزائريه ، وأذن له في الشَّفاعة في العصاة والمذنبين ، وهذا تجده واضحاً بيِّناً في كتب المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، وكذا في كتب الفقه في باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زيارة المدينة المنوَّرة ... كما أنَّ أبيات العتبي مكتوبة على واجهة حُجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّريفة في العمود الذي بين شباك الحجرة النَّبويَّة يراها القاصي والدَّاني منذ مئات السِّنين ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على القبول ، ولم يعترض عليها أحد ، حتى جاء من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم التي كانت بسبب

(١) انظر : شعب الإيمان (٦/ ٦٠-٦١) .

الفهم السَّقيم الذي ما سبقهم إليه أحد ، والتي عادت على مجموع الأمَّة بالفُرقة والتَّفرقة ، والتَّكفير والتَّنفير ، وعظائم الأمور ...

فجمهور أهل العلم احتجُّوا بقصَّة العتبي وأوردوها في كتبهم عند كلامهم على قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] (١)...

---

(١) انظر ذلك في : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٤٨٩) ، بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) (٤/ ١٠٣) ، إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٥٩) ، مجلسان لأبي سعد البغدادي (ص٨) ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٩٢) ، وانظر : غاية السول في خصائص الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٢٧٥) ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٧) ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٤) ، (٣/ ٦٠٢) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٤) ، (١٢/ ٢١٣) ، تاريخ مكَّة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٢) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٢٥) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ١٠١) ، البيان في مذهب الإمام الشافعي (٤/ ٣٧٨-٣٧٩) ، معجم الشيوخ لابن عساكر (١/ ٥٩٩) ، تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ، ونبذ مذهبية نافعة (٢/ ١٥٧) ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٧/ ٢٦) ، المستوعب (١/ ٥٢٤-٥٢٥) ، المغني (٣/ ٤٧٨-٤٨٠) ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة (ص١٥٨-١٦٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) ، المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٢-٢٧٤ باختصار) (ص٣٥٢) ، الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٤٩٤) ، الاختيار لتعليل المختار (١/ ١٧٦-١٧٧) ، الذخيرة (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) ، الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٣/ ٥١-٥٢) ، الممتع في شرح المقنع (٢/ ٢١٤) ، كفاية النبيه في شرح التنبيه (٧/ ٥٣٧-٥٣٨) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (١/ ٣٧٠) ، نهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ١٦٩) ، المدخل (١/ ٢٦٠-٢٦٢) ، البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٩٣) ، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٤٦٢-٤٦٣) ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٥) ، تاريخ مكَّة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٦-٣٤٧) ، تاريخ مكَّة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٤) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٢٥٧) ، المبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٦) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٥٧٠-٥٧١) ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ١٥٥) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٦٦-٦٧) ، (١/ ٣٦٧-٣٧٢) ، (١/ ٤٢٥-٤٢٦) ، (١/ ٤٤٦-٤٥١) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٢٢٥) ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي ، (ص٤٩٤) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٣/ ٣١٧) ، (١٢/ ٢٨٠-٢٨٢) ، (١٢/ ٣٨٣-٣٨٤) ، (١٢/ ٣٩٠) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (٢/ ١٧٥-١٧٦) ، معونة أولى النهى ، شرح المنتهى منتهى الإرادات (٤/ ٢٤٧-٢٤٨) ، كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٢١٥) ، مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٨٤-٢٨٥) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٩-٢٠٠) ، فتوحات الوهَّاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره

فالعلماء الذين استشهدوا بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، على جواز التَّوسُّل ، ذكروا قصَّة العتبي ... فالتَّوسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هو " ما سارت عليه الأُمَّة قروناً طوالاً ، ذلك أنَّه لم يؤثر عن أحد السَّلف أو من الخلف قبل ظهور ابن تيمية أنَّه منع التَّوسُّل بذوات الأموات ، من الأنبياء والصَّالحين [1] ، ثمَّ جاء من بعده من تبنَّوا أفكاره وشذوذه ، فنشروها ، وراحوا يوردون الشُّبهات والاعتراضات لتوهين الأدلَّة التي استدلَّ بها جمهور الأُمَّة على جواز التَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة .

يقول الشَّيْخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " وهذه الآية استدلَّ بها دعاة القبور !!! الذين يدعون القبور ويستغفرونها !!! حيث قالوا : لأنَّ الله قال لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، فأنت إذا أذنبت ، فأذهب إلى قبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، واستغفر الله ليستغفر لك الرَّسول .

ولكن هؤلاء ضلُّوا ضلالاً بعيداً !!! لأنَّ الآية صريحة ، قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ ، ولم يقل : إذا ظلموا أنفسهم جاءوك ، فهي تتحدَّث عن شيء مضى وانقضى ، يقول : لو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم بما أحدثوا ، ثمَّ جاءوك في حياتك ، واستغفروا الله ، واستغفر لهم الرَّسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً ، أمَّا بعد موت الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام ؛ فإنَّه لا يمكن أن يستغفر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد !!! لأنَّه انقطع عمله ، كما

زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) (٢/ ٤٨٥) ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٤/ ٤٥٥) ، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٤٤١) ، نيل الأوطار (٥/ ١١٣-١١٥) ، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص١٢) ، شَرح المُقَدّمَة الحضرمية المُسمّى بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم (ص٦٨٢) ، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٢/ ٣٥٧) ، نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص٢١٩-٢٢٠) ، الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٤١) ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) ، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ١٥٧) .

[1] انظر : مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأول سنة ١٣٥٠هـ ، مقال للدجوي بعنوان : التوسل .

قال الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاثة : إلَّا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " [1] .

فعمل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه بعد موته لا يمكن ، لكنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتب له أجر كلّ ما عملته الأُمَّة ، فكلُّ ما عملنا من خير وعمل صالح من فرائض ونوافل ، فإنَّه يكتب أجره للرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام ؛ لأنَّه هو الذي علَّمنا ، فهذا داخل في قوله : " أو علم ينتفع به " . الحاصل أنَّه لا دلالة في هذه الآية على ما زعمه هؤلاء الدَّاعون لقبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام " [2] .

وابن عثيمين بكلامه هذا يخالف عموم علماء أُمَّة محمَّد ، ويُصرِّح بأنَّهم ضلُّوا ضلالاً بعيداً ، بل هو يخالف الأُمَّة التي بيَّن لها ورثة الأنبياء الحقَّ من الباطل ، أولئك الجهابيذ الأساطين الذين جوَّزوا التَّوسُّل واحتجُّوا له بالأدلَّة ... ومن أدلَّتهم : الآية التي أنكر ابن عثيمين أن تكون دليلاً على التَّوسُّل ، مع العلم أنَّ جلّ المسائل التي خالفوا فيها هي ممَّا عليه الأُمَّة ، فهم لا يتورَّعون عن مخالفة الأُمَّة ، ويزعمون أنَّهم وحدهم على الحقِّ ، وأنَّ ما عليه غيرهم هو الباطل ، وسيتبيَّن لك ضلال ابن عثيمين في هذه المسألة من خلال ما عرضَه من دليلٍ على ما ذهب إليه في كلامه الآتي بعد قليل ...

وقد أشاح ابن عبد الهادي ، والشَّيْخ ابن عثيمين بوجهيهما عن استشهادهم ، وزعما أنَّ الاستشهاد بالآية على جواز التَّوسُّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس في محلّه ، فذهب ابن عبد الهادي إلى تخصيص قوله تعالى

---

[1] قال الشَّيْخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح . وأخرجه الدارمي (٥٥٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣٨) ، ومسلم (١٦٣١) (١٤) ، وأبو داود في " السنن " برواية أبي الحسن ابن العبد كما في " تحفة الأشراف " ١٠/ ٢٢١، والترمذي (١٣٧٦) ، وابن أبي الدُّنيا في "العيال" (٤٣٠) ، والنسائي ٦/ ٢٥١، وأبو يعلى (٦٤٥٧) ، وابن خزيمة (٢٤٩٤) ، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٦) ، وابن حبان (٣٠١٦) ، والطبراني في "الدعاء" (١٢٥١) ، والبيهقي في " السنن " ٦/ ٢٧٨، وفي " الشعب " (٣٤٤٧) ، وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " ١/ ١٩٠، والبغوي (١٣٩) من طرق عن إسماعيل بن جعفر بهذا الإِسناد . وقال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه أبو داود (٢٨٨٠) ، والدولابي في " الكنى " ١/ ١٩٠، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٧) ، والطبراني في " الدعاء " (١٢٥٠) و (١٢٥٢) و (١٢٥٣) و (١٢٥٤) و (١٢٥٥) ، والبيهقي ٦/ ٢٧٨، وابن عبد البر ١/ ١٥ من طرق عن العلاء بن عبد الرَّحمن ، به " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (١٤/ ٤٣٨ حديث رقم ٨٨٤٤) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

[2] انظر : شرح رياض الصالحين ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (٢/ ٢٥٧-٢٥٨) .

: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء : ٦٤] ، بما قبل الموت (١) .

والحقيقة أنَّ تخصيص الآية المذكورة بما قبل الموت بدون حُجَّة عن هوى ، وترك المطلق على إطلاقة ممَّا اتَّفق عليه أهل الحقّ ، والتَّقيد لا يكون إلَّا بحجَّة ، ولا حجَّة هنا لتقيد الآية ، بل فقهاء المذاهب حتى الحنابلة على شمول الآية لما بعد الموت ، والأنبياء أحياء في قبورهم (٢) .

والسَّبب أنَّ الآية عامَّة لوقوع الفعل ﴿ جَآءُوكَ ﴾ في حيِّز الشَّرط الذي يدلُّ على العموم ، فقد تقرَّر في علم الأصول : أنَّ أعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشَّرط (٣) ، ولذلك فهم العلماء من الآية العموم ، ونصُّوا على أنَّه يُستحب لمن زار القبر الشَّريف أن يقرأ هذه الآية ...

أمَّا الشَّيْخ محمَّد العثيمين فقد اعترض على الاستدلال بالآية على جواز التَّوسُّل ، وأتى بما يضحك الثَّكلى ... حيث ذهب إلى أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته أمرٌ متعذِّر ... فقال : " فإذا قال قائل : جئت إلى الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عند قبره ، وسألته أن يستغفر لي ، أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أو لا ؟ قلنا : لا يجوز . فإذا قال : أليس الله يقول : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء : ٦٤] . قلنا له : بلى ، إنَّ الله تعالى يقول ذلك : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ ، وإذ هذه ظرف لما مضى وليست ظرفاً للمستقبل ، لم يقل الله : (ولو أنَّهم إذا ظلموا) ، بل قال : ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ ، فالآية تتحدَّث عن أمرٍ واقع في حياة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واستغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مماته أمرٌ متعذِّر ، لأنَّه إذا مات العبد انقطع

---

(١) انظر : الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٣١٩ فما بعدها) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٨٧) .

(٣) انظر : المسودة في أصول الفقه (ص١٠١ فما بعدها) ، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٣٠٦) ، تلقيح المفهوم في تنقيح صيغ العموم (ص١٢٦) .

عمله إلا من ثلاث ، كما قال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (١) .

فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد ، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً ، لأنَّ العمل انقطع " (٢) .

هذا ما قاله الشَّيْخ محمَّد العثيمين ، وفي كلامه عدَّة مؤآخذات :

أوَّلاً : أنَّه قصر ﴿ إذ ﴾ على الماضي فقط ، وهذا مجانب للصَّواب فـ ﴿ إذ ﴾ كما تستعمل للماضي تستعمل للمستقبل ، وقد دلَّت على ذلك آيات الكتاب العزيز ، قال الإمام محمَّد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور (٣٧٠هـ) : " الْعَرَب تَضع ٱ بجَ للمُستقبل ، و (إذا) للماضي . قَالَ الله عَزّ وجَلّ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ :٥١] ، مَعْنَاهُ : وَلَو تَرَى إِذْ يَفْزعون يومَ الْقِيَامَة " (٣) .

قلت : ومن الآيات التي جاء الظرف (إذ) فيها للمستقبل : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام : ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام

---

(١) قال الشَّيْخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح . وأخرجه الدارمي (٥٥٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣٨) ، ومسلم (١٦٣١) (١٤) ، وأبو داود في " السنن " برواية أبي الحسن ابن العبد كما في " تحفة الأشراف " ١٠/ ٢٢١، والترمذي (١٣٧٦) ، وابن أبي الدُّنيا في "العيال" (٤٣٠) ، والنسائي ٦/ ٢٥١، وأبو يعلى (٦٤٥٧) ، وابن خزيمة (٢٤٩٤) ، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٦) ، وابن حبان (٣٠١٦) ، والطبراني في "الدعاء" (١٢٥١) ، والبيهقي في " السنن " ٦/ ٢٧٨، وفي " الشعب " (٣٤٤٧) ، وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " ١/ ١٩٠، والبغوي (١٣٩) من طرق عن إسماعيل بن جعفر بهذا الإسناد . وقال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه أبو داود (٢٨٨٠) ، والدولابي في " الكنى " ١/ ١٩٠، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٧) ، والطبراني في " الدعاء " (١٢٥٠) و (١٢٥٢) و (١٢٥٣) و (١٢٥٤) و (١٢٥٥) ، والبيهقي ٦/ ٢٧٨، وابن عبد البر ١/ ١٥ من طرق عن العلاء بن عبد الرَّحمن ، به " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (١٤/ ٤٣٨ حديث رقم ٨٨٤٤) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيْخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/ ٣٤٥) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (١٥/ ٣٧) .

: ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكلُّها تتحدَّث عن أمور مستقبليَّة ... وهناك العديد من المعاني التي تستعمل فيها (إذ) ، استوعبها جميعاً الإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمَّد ، جمال الدِّين ، ابن هشام (٧٦١هـ) في كتابه : " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " (١) .

ومن الجدير بالذِّكر هنا : أنَّ ابن العثيمين من أشدِّ المتحمِّسين لنفي المجاز من القرآن الكريم ، ولذلك لم يتردَّد البتَّة حين اصطدم بقول الله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف : ٧٧] ، من التَّصريح بالقول : " بل للجدار إرادة !!! كما قال تعالى ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٧] (٢) ، فيا للعجب ...

وماذا يقول ابن العثيمين في قول الله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، وقول الله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢] ، وقول الله تعالى : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[الإسراء : ٢٤] ... وصدق الله العظيم : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] ... فلقد طبَّق الشَّيخ ابن العثيمين حكاية المثل السائر : عنزة ولو طارت ...

---

(١) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١١١-١١٩) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٥) .

ثانياً : أنَّه حكم بتعذُّر استغفار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... لأنَّه مات ، ... وهذا خطأ واضحٌ بيِّن ، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ في قبره ، وقد تضافرت الأحاديث الدالَّة على حياته ، منها :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح : " الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون " ، وغير هذا الحديث كثير ، فإذا انضمَّت هذه الأحاديث إلى صريح ومُحكم آيات الكتاب العزيز التي حكمت بحياة الشَّهيد – والنَّبيُّ أعلى رتبة منه قطعاً – حكمنا بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم إنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصل لجميع المؤمنين سواء منهم من أدرك حياته أو لم يدركها ، قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمَّد : ١٩] .

وقد ذكرنا أنَّ جمعاً كبيراً من المفسِّرين فهم من الآية الكريمة العموم ، وهو بلا شكٍّ يظهر صحَّة الاستدلال بالآية الكريمة على حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّه حيٌّ في قبره يستغفرُ للمستغفرين ، وهذا الفهم هو الذي فهمه جمهور الفقهاء حيث ذكروا الآية في كتب المناسك ، في صفة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .....

ثالثاً : أمَّا عن قول ابن عثيمين : أنَّ عمله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انقطع بموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فهذا فيه مغالطة كبيرة ... فعمل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينقطع ، وعمله دائم إلى يوم القيامة ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الدَّاعي إلى ما تعمله أُمَّته من الخير ، فجميع الأعمال الصَّادرة عن الأُمَّة راجع ثوابها إليه ، كيف لا وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً " (١) .

وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية : "... فإنَّه قَدْ صَحَّ عَنْهُ أنَّه قَالَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠ برقم ٢٦٧٤) ، أحمد في المسند (٢/ ٣٩٧ برقم ٩١٤٩) ، الدارمي (١/ ٤٤٤ برقم ٥٣٠) ، ابن ماجه (١/ ٧٥ برقم ٢٠٦) ، أبو داود (٤/ ٢٠١ برقم ٤٦٠٩) ، الترمذي (٤/ ٣٤٠ برقم ٢٦٧٤) ، ابن أبي عاصم (١/ ٥٢ برقم ١١٣) ، البزار (١٥/ ٨٥ برقم ٨٣٣٨) ، أبو عوانه في المستخرج (٣/ ٤٩٤ برقم ٥٨٢٣) ، ابن حبان (١/ ٣١٨ برقم ١١٢) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، (١/ ٥٧ برقم ٦) ، البيهقي في الاعتقاد ، (ص٢٣٠) .

اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً " ، وَهُوَ دَاعِي الْأُمَّةِ إِلَى كُلِّ هُدًى ، فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ فِي كُلِّ مَا اتَّبَعُوهُ فِيهِ " (١) .

وكذا يردُّ على قوله : " واستغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر متعذِّر ... ما أوردناه من الأدلَّة على إثبات حياة الأنبياء ، وأنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يدعو ويستغفر للأمَّة ...

ثانياً : أَدِلَّةُ السُّنَّةِ المُطهَّرة :

الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ : قال الآجرِّي : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَارِثِ الْفِهْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ بِنْتِ أَبِي مَرْيَمَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحمن بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : " لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلام الذَّنْبَ الَّذِي أَذْنَبَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ محمَّد إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ قَالَ : تَبَارَكَ اسْمُكَ ، لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ وَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَه إِلَّا الله محمَّد رَسُولُ اللهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّه لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْراً عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، أَنَّه لَآخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ، قَالَ محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ الله : وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عبَّاس أَنَّه قَالَ : " مَا خَلَقَ الله وَلَا بَرَأَ وَلَا ذَرَأَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا سَمِعْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] ، قَالَ : وَحَيَاتِكَ يَا محمَّد ، ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] ، وَاللهُ أَعْلَمُ "(٢) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٣٢) .

(٢) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٣/ ١٤١٥ برقم ٩٥٦) ، الطبراني في الدعاء (ص٣٩٧ برقم ١٣٣٤) ، المعجم الأوسط (٦/ ٣١٣ برقم ٦٥٠٢) ، المعجم الصغير (٢/ ١٨٢ برقم ٩٩٢) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٧٢ برقم ٤٢٢٨) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ ذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، ابن كثير في مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأقواله على أبواب العلم (٢/ ٦٧١) ، البيهقي في دلائل النبوة ، (٥/ ٤٨٩) ، وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٥) وصححه ، وكذا صححه الزرقاني في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٢٢٠) .

وقد ذكر ابن تيمية شاهدين لحديث توسُّل آدم بالرَّسول محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : " وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بشران مِنْ طَرِيقِ الشَّيْخ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي الوفا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ صَالِحٍ ، ثَنا محمَّد بْنُ سِنَانٍ العوفي ، ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طهمان ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْت : يَا رَسُولَ اللهَّ مَتَى كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ : لَمَّا خَلَقَ الله الْأَرْضَ وَاسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ : محمَّد رَسُولُ اللهَّ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ الله الْجَنَّةَ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ ، فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَالْأَوْرَاقِ ، وَالْقِبَابِ ، وَالْخِيَامِ ، وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فلمَّا أَحْيَاهُ الله تَعَالَى : نَظَرَ إِلَى الْعَرْشِ فَرَأَى اسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ الله أَنَّه سَيِّدُ وَلَدِك ، فلمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إِلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رشدين ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الفهري ، ثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ بِحَقِّ محمَّد إلَّا غَفَرْت لِي ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إنَّك لَمَّا أَتْمَمْت خَلْقِي رَفَعْت رَأْسِي إِلَى عَرْشِك ، فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَه إِلَّا الله محمَّد رَسُولُ اللهَّ ، فَعَلِمْت أَنَّه أَكْرَمُ خَلْقِك عَلَيْك ؛ إذْ قَرَنْت اسْمَهُ مَعَ اسْمِك . فَقَالَ : نَعَمْ ، قَدْ غَفَرْت لَك وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِك وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُك " . فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالتَّفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " (١) .

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " فهذا يدلُّ على أنَّ الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار ، لأنَّ الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدِّثين ، وأنت ترى أنَّ الشَّيْخ استشهد به هنا على التَّفسير " (٢) .

قلت : والغريب أنني بحثتُ طويلاً في كتاب دلائل النبَّوة لأبي نعيم ، حيث أحال عليه ابن تيمية ، ولم أجده ، وذلك في نسخة المكتبة الشَّاملة ، وغالبُ الظنِّ أنَّهم حذفوه منها ... فهذا هو ديدنهم ، كما هو معلومٌ ... فإلى الله المُشتكى .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٠) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٢٣-٢٤) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٢٢) .

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) : " حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، أَخْبَرَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - فَقُلْتُ لِفُضَيْلٍ : رَفَعَهُ ؟ قَالَ : أَحْسِبُهُ قَدْ رَفَعَهُ - قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاة : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلاَ بَطَراً ، وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّار ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، أَنَّه لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَكَّلَ الله بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ الله عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ " (١) .

والحديث صحيح ، وهو دليلٌ على صحَّة القول بجواز التَّوسُّل إلى الله بالعمل الصَّالح ، فهل يليق أن يتوجَّه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسؤال الله تعالى بحقِّ السَّائلين ، وهو أكرم الخلق على الله تعالى ، ثمَّ يأتي من يمنع ذلك بحقِّنا ؟!!!

ومعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ " ، أي : بالحقِّ الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف . وفيه التَّوسُّل بحقِّ أرباب الخير على سبيل العموم من السَّائلين ، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون " (٢) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢١ برقم ١١١٧٣) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢١١ برقم ٢٩٨١٢) ، ابن الجَعْد في المسند (ص٢٢٩ برقم ٢٠٣١) ، ابن ماجه ، (١/ ٢٥٦ برقم ٧٧٨) ، الطبراني في الدعاء (ص١٤٩ برقم ٤٢١) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد ، (ص٧٦ برقم ٨٥) ، ابن بشران في الأمالي ، (ص٣٢٥ برقم ٧٥٣) ، البيهقي في الدعوات الكبير (ص١٢٥ برقم ٢٥) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٣٢ برقم ١١٧٢) ، والحديث ذكره المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في " رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة " (ص١٧١-١٧٢) ، وقال : وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن ، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في " المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح " (ص٤٧١-٤٧٢) ، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في " الترغيب والترهيب " (٣/ ٢٧٣) . والحافظ العراقي في " تخريج أحاديث الاحياء " (١/ ٢٩١)، والحافظ ابن حجر العسقلاني في " أمالى الاذكار " (١/ ٢٧٢) ، وقال الحافظ البوصيرى في " مصباح الزجاجة " (١/ ٩٩) : لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده . اهـ . فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله تعالى صحَّحوا أو حسنوا الحديث وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والاذعان إليه ... ثمَّ تكلم في تحسين الحديث بما لا مزيد عليه ...

(٢) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٢/ ٣٩) .

" وفي الحديث التَّوسُّل بعامَّة المسلمين وخاصَّتهم ، وإدخال الباء في أحد مفعولي السُّؤال إنَّما هو في السُّؤال الاستعلامي ، كقوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : ١] ، وأمَّا السَّؤال الاستعطائي فلا ندخل الباء فيه أصلاً إلا على المتوسَّل به ، فدونك الأدعية المأثورة ، فتصوُّر إدخالها هنا في المفعول الثَّاني ، إخراج للكلام عن سننه بهوى ، وصيحة باطل تمجُّها الأسماع ، وليس معنى الحقّ الإجابة ، بل ما يستحقُّه السَّائلون المتضرِّعون فضلاً من الله سبحانه ، فيكون عد " بِحَقِّ السَّائِلِينَ " سؤلاً لهذا الدَّاعي هذياناً محضاً ، ولا سيَّما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث ، وأمَّا زعم أنَّه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤلاً غير ذلك ، فممَّا يثير الضَّحك الشَّديد والهزء المديد ، فأين ذهب عن هذا الزاعم " أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّار " ؟ وكم يكرر الفعل للتَّوكيد ؟ فالسؤل في الفعل الأخير هو السؤل في الفعلين المتقدِّمين بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التَّوكيد لدخلت في باب التَّنازع ، فيكون هذا القيد معتبراً في الجميع على كلِّ تقدير " (١) .

قال الإمام يوسف الدِّجوي : " فالتَّوسُّل بالصَّالحين والدُّعاء ثابت وواقع ، وقد قلنا في بعض ما كتبناه : لا معنى لكون هذا شريكاً ، كما يقوله الغُلاة ، فإنَّ الحيَّ إذا طلب من الميِّت الّذي هو حيٌّ بروحه ، متمتع بلوازم الحياة وخصائصها ، فإنّما يطلب منه على سبيل التَّسبُّب والاكتساب ، لا على سبيل الخلق والإيجاد ؛ لأنَّه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحيِّ ، وهو إذا طلب من الحيِّ فإنَّما يطلب منه على هذا الوجه ، لا على جهة الخلق والإيجاد ، والطَّلب من المخلوق على سبيل التَّسبُّب ليس شركاً ولا كفراً ، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك ، ولو فرضنا أَنَّ الميِّت لا عمل له ، فإنّ خطأ المنادي أو المستغيث – على هذا الفرض – إنَّما هو في اعتقاد السَّببيَّة لا الإلهيَّة ، واعتقاد السَّببيَّة في غير الله ليس هو اعتقاد الإلهيَّة كما يظنُّه الجاهلون ، وقد عرفت ممَّا قدَّمناه أنَّه ليس غَلَطاً أيضاً ، وإنَّما الغالطون هم الغُلاة ، وإن كان التَّوسُّل بمنزلته عند الله فالأمر واضح ، لأنَّ الموت لا يغيِّر المنزلة عند الله تعالى " (٢) .

---

(١) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٩٥) .

(٢) انظر : التَّوسُّل والاستغاثة ، مقال للإمام الدجوي ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ .

وقد اعترض البعضُ على الاستدلال بهذا الحديث على جواز التَّوسُّل ، فعمدوا إلى تضعيف الحديث بعلل ثلاث : ضعف الفضيل بن مرزوق ، وعطيَّة العوفي ، والفضل بن الموفَّق " (١) .

وللردِّ عليهم نقول :

١ .أمَّا عن الفضيل بن مرزوق : فهو من رجال مسلم في صحيحه ، وثَّقه جماعة من الأَئمَّة ، منهم : العجلي في ثقاته ، (ص ٣٨٤) فقال : " جائز الحديث ثقة " ، ووثَّقه السفيانان : الثَّوري ، وابن عيينه ، وقال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٤٥) : لفضيل أحاديث حسان ، وأرجو أنَّه لا بأس به . وقال أحمد بن حنبل كما في الجرح (٧/ ٧٥) لا أعلم إلا خيراً . ووثَّقه ابن شاهين بإدخاله في الثقات (ص١٨٥) .

أمَّا إمام الجرح والتَّعديل يحيى ابن معين فقد روى عنه خمسة من أصحابة توثيقه لفضيل بن مرزوق ، وهم : عثمان الدَّارمي ، والدُّوري ، وعبدالخالق بن منصور ، وابن محرز ، وابن خيثمة ، وادخله الذَّهبي في كتابه (من تكلِّم فيه وهو موثق) (ص١٥١) ، وأطلق الذَّهبي القـــول في توثيقة في الكـــاشف (٢/ ٣٣٢) .

ومن الغريب العجيب أنَّ الألباني ضعَّف حديث الفضيل في ضعيفته (١/ ٣٢٣٤) ، ثمَّ عاد وتناقض وحسَّن حديثه في الصَّحيحة (٣/ ١٢٨) (٢) .

٢ . أمَّا عن العلَّة الثَّانية وهي الكلام في عطيَّة العوفي ، فقد ضعَّفوة بسبب تدليس الشُّيوخ ، والتشيُّع ، وقد اعتمد من اتهم عطيَّة العوفي بتدليس الشُّيوخ على الآتي : قال عبدالله بن أحمد : سمعت أبي ذكر عطيَّة العوفي ، فقال : هو ضعيف الحديث ، بلغني أنَّ عطيَّة كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التَّفسير ، وكان يكنِّيه ، فيقول : قال أبو سعيد ، قال أبي ، وكان هشيم يضعِّف حديث عطيَّة " .

وقال عبدالله بن أحمد : حدَّثني أبي ، حدَّثني أبو أحمد الزبيري ، سمعت الثَّوري ، قال : سمعت الكلبي ، قال : كنَّاني عطيَّة بأبي سعيد . وسمعت أبي يقول : كان سفيان الثَّوري يضعِّف حديث عطيَّة العوفي " ، كذا في العلل ومعرفة الرِّجال (١/ ١٢٢) ، والجرح والتَّعديل (٦/ ٣٨٣) ، وضعفاء العقيلي (٣/ ٣٥٩) ، والكامل لابن عدي (٥/ ٢٠٠٧) .

---

(١) انظر : : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٠٢ فما بعدها) ، التوصُّل إلى حقيقة التَّوسُّل (ص٢٢٠ فما بعدها) .

(٢) انظر : مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين (ص١١ فما بعدها) .

فأنت ترى أنَّ من ضعَّفه بسبب التَّدليس اعتمد على حكاية الكلبي ، وحكايته هي مدار الجميع ، وحال الكلبي معروف للجميع فهو مُتَّهمٌ بالكذب ، فالسند الذي يكون فيه ذلك الرَّجل لا ينظر إليه ، ولا يعتمد عليه في شيء ...

وقد أنصف الإمام ابن رجب ، فقال في علل الإمام التِّرمذي (ص٤٧١) بعد نقله أصل الحكاية عن العلل للإمام أحمد ما نصّه : " ولكن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه " .

وأمَّا من تكلَّموا عن عطيَّة العوفي لتشيُّعه ، كالجوزجاني ، فإنَّه قال في أحوال الرِّجال (ص٥٦) : " مائل " ، والجوزجاني كان معروفاً بالنَّصب مشهوراً به ، حتى قال عنه الحافظ في مقدِّمة اللسان (١/ ١٦) : " الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب ، وذلك لشدَّة انحرافه في النَّصب ، وشهرة أهلها بالتشيُّع " .

وكذا قول السَّاجي في عطيَّة العوفي كما في التَّهذيب (٧/ ٢٢٦) : " ليس بحجَّة ، وكان يقدِّم عليَّاً على الكلِّ ، فإنَّ السَّاجي كان بصريَّاً ، والبصريُّون كثر فيهم النَّصب ، قال الحافظ في اللسان (٤/ ٤٣٩) : " النَّصب معروف في كثير من أهل البصرة " (١) .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ السَّبب الذي لأجله رُمي عطيَّة العوفي بالتَّشيُّع هو حُبُّه لعليٍّ ، وأنَّه رفض أن يسبَّه ، وقد نصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في التَّهذيب ، فقال : " خرج عطيَّة مع ابن الأشعث ، فكتب الحجَّاج إلى محمَّد بن القاسم أن يعرضه على سبِّ عليٍّ ، فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط ، واحلق لحيته ، فاستدعاه فأبى أن يسبَّ ، فأمضى حكم الحجَّاج فيه ثمَّ خرج إلى خراسان " (٢) .

وعليه ، فقد تبيَّن أنَّ إتِّهام عطيَّة العوفي بالتَّدليس ليس صحيحاً ، والتشيُّع الحقُّ لا علاقة له في الرِّواية ، فالرَّجل صدوق .

٣. وأمَّا عن الفضل بن الموفَّق ، فقد قال الكوثري : " هو ابن خال ابن عيينة ، قال أبو حاتم : صالح ، ضعيف الحديث ، ولم يضعِّفه سواه ، وجرحه غير مفسَّر ، بل وافقه البستي " (٣) .

---

(١) انظر : مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين (ص٢١ فما بعدها) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٥-١٩٦) .

(٣) انظر : هامش مقالات الكوثري (ص٣٩٣) .

وقد عقَّب الكوثري على من ضعَّف الحديث بالرُّواة الثَّلاثة السَّابقين ، فقال : " لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده ، وذكره رزين ، ورواه أحمد بن منيع في مسنده ، ثنا يزيد ، ثنا فضيل بن مرزوق ، فذكره بإسناده ومتنه .

وقال علاء الدِّين مغلطاي في الإعلام شرح سنن ابن ماجه : ذكره أبو نعيم الفضل " هو ابن دكين " في كتاب الصَّلاة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطيَّة ، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً أهـ ولم ينفرد عطيَّة عن الخدري ، بل تابعه أبو الصّديق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان ، وهو ثقة عند ابن حبَّان ، وإن أعلَّه به أبو الفرج في علله .

وأخرج ابن السنّي في " عمل اليوم والليله " بسند فيه الوازع ، عن بلال ، وليس فيه عطيَّة ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموفَّق : " اللهمَّ بحقِّ السَّائلين عليك " ، فظهر أنَّه لم ينفرد عطيَّة ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموفَّق بالنَّظر إلى هذه الطُّرق ، على فرض ضعف الثَّلاثة ، مع أنَّ يزيد بن هارون شيخ أحمد بن منيع شارك ابن الموفَّق في روايته عن ابن مرزوق ، وكذا الفضيل بن دكين ، وابن فضيل ، وسليمان بن حيان ، وغيرهم . وعطيَّة جُرح بالتشيُّع لكن حسَّن له التِّرمذي عدة أحاديث ، وعن ابن معين أنَّه صالح ، وعن ابن سعد : ثقة إن شاء الله ، وعن ابن عدي : له أحاديث صالحة ، وبعد التَّصريح بالخدري لا يبقى احتمال التَّدليس ، ولا سيَّما مع المتابعة ، وابن مرزوق ترجَّح توثيقه عند مسلم ، فروى عنه في صحيحه ...

على أنَّ الحديث مرويٌّ بطريق بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به ، بل يدور أمره بين الصحَّة والحسن لكثرة المتابعات والشَّواهد " (١) .

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : " حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي ، قَالَ : " إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ " . فَقَالَ : " ادْعُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ

---

(١) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٩٤) .

إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ ، فَتَقْضِي لِي ، اللهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ " (١) .

وقد فهم الصَّحابة رضوان الله عليهم أنَّ العمل بهذا الحديث لم ينقطع بانتقال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرِّع إلى يوم القيامة ، ولذلك فقد وردت زيادة موقوفة عن المرفوعة رواها الطَّبراني وغيره ، قال الطَّبراني : " حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عِيسَى بْنِ قَيْرَسَ الْمُقْرِي الْمِصْرِيُّ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ ، عَنْ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ الْمَدَنِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ " أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَانَ عُثْمَانُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ : ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ

---

(١) قال الشَّيْخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، أبو جعفر : هو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، وهو وعمارة بن خزيمة – وهو ابن ثابت – من رجال أصحاب السنن ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين ، غير أن عثمان بن حنيف – وهو عم أبي أمامة بن سهل بن حنيف – إنَّما أخرج له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن سوى أبي داود . عثمان بن عمر : هو ابن فارس العبدي .

وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٣٧٩) ، والترمذي (٣٥٧٨) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٥) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٩) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ١/ ٣١٣ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر، بهذا الإسناد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وهو الخطمي . وقال الحاكم : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

قلنا : بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان ، كما سلف .

وأخرجه الحاكم كذلك ١/ ٥١٩ من طريق محمَّد بن جعفر ، عن شعبة ، به . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

وأخرجه الطبراني في " الكبير" (٨٣١١/ ٢) من طريق إدريس بن جعفر العطار ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . قال الدارقطني : إدريس بن جعفر العطار متروك .

وأخرجه بنحوه النسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٦) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي ، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٣١١/ ١) ، وفي " الصغير" (٥٠٨) مطولاً بذكر قصة ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٦٣٣) ، والحاكم ١/ ٥٢٦–٥٢٧ من طريق روح بن القاسم ، كلاهما عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي " . انظر : هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (٢٨/ ٤٧٨–٤٧٩) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م ، وقد أسهب العلامة محمود سعيد ممدوح – حفظه الله – في كلامه على الحديث في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، (ص١٢٢ فما بعدها بما لا مزيد عليه) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

قُلِ: اللَّهُمَّ ، إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ ، وَرُحْ إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَكَ ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ ، فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ عُثْمَانُ ، ثمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ ، وَقَالَ : حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ ، فَقَضَاهَا لَهُ ، ثمَّ قَالَ لَهُ : مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ ، وَقَالَ : مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ، فَأْتِنَا ، ثمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ : لَهُ جَزَاكَ الله خَيْراً ، مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِي ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللهَّ ، مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ ، فَشَكَا عَلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ: لَهُ النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " أَفَتَصْبِرُ ؟ " ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَنَّه لَيْسَ لِي قَائِدٌ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " ائْتِ الْمِيضَأَةَ ، فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ " قَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : فَوَاللهَّ ، مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ قَطُّ " . لَمْ يَرْوِهِ عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَّا شَبِيبُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو سَعِيدٍ الْمَكِّيُّ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ الْأَيْلِيِّ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ يَزِيدَ ، وَهُوَ ثِقَةٌ تَفَرَّدَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ فَارِسٍ عَنِ شُعْبَةَ ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ " (١) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠٦ برقم ٥٠٨) ، الدعاء (١/ ٣٢٠ برقم ١٠٥٠) ، المعجم الكبير (٩/ ٣٠ برقم ٨٣١٠) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٧) ، الفسوي في مشيخته (ص٩٤ برقم ١١٣) ، الضياء المقدسي في العدة للكرب والشدة (ص٦٥ برقم ٢٩) ، المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (١/ ٢٧٣ برقم ١٠١٨) ، وقال : قال الطبراني بعد ذكر طرقه : والحديث صحيح . وقال العلامة المحقق محمود سعيد ممدوح بعد نقله تصحيح الرواية : " قلت : لا كلام بعد تصحيح الطبراني للحديث مرفوعاً وموقوفاً . فإن قيل : قد صحَّح الطبراني الحديث المرفوع ، لكنه لم يصحِّح القصة الموقوفة . أجيب : بأنَّ الطبراني قد وثق (شبيب بن سعيد الحبطي) ، وهو راوي الموقوف ، وتوثيق حديث الرجل هو تصحيح لحديثه ، فالأمر سهل ولا يحتاج لبيان ، ويؤيد هذا ويوضحه أنَّ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ١٧٩) لم يتكلم على الحديث كما عهد عنه ، ولكنه اقتصر على نقل تصحيح الطبراني فقط . فتدبَّر أيها المستبصر . ومع ذلك سعى الساعون لتضعيف هذه الزيادة الموقوفة جهد الطاقة ، فأتوا بعلل مزعومة هي : ١ - شيخ الطبراني طاهر بن عيسى مجهول . ٢ - شبيب بن سعيد الحبطي انفرد بالقصة وهو ضعيف الحفظ . ٣ - الاختلاف عليه فيها . ٤ - مخالفته للثقات الذين لم يذكروا القصة في الحديث . والثلاثة الاخيرة ذكرها الالباني في توسله (ص ٨٨) ، والناظر فيها لا يراها أكثر من دفعة صدر من متعنت ، وسيرى أنَّ السعي لتضعيف الأحاديث الصحيحة بهذه الحجج الواهية سعي لاقامة باطل بدعائم هي أوهى من بيوت العنكبوت ، ولو فتح هذا المهيع الخطير لانسدَّ بابُ الآثار ، والله المستعان ... ثمَّ شرع في الردِّ على من ضعَّف الرواية ... " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص١٢٦فما بعدها) .

وموضع الاستشهاد بهذا الأثر أنَّ الصَّحابي عثمان بن حنيف فَهِمَ من الحديث أنَّه لا يختصُّ بزمن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل أنَّه " علَّم من شكا إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدَّعاء الذي فيه التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والنداء له مستغيثاً به بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولما ظنَّ الرجلُ أن حاجته قضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة ، بادر ابن حنيف بنفي ذلك الظن ، وحدَّثه بالحديث الذي سمعه وشهده ، ليثبت له أنَّ حاجته إنَّما انقضت بتوسُّله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وندائه له واستغاثته به ، وأكَّد ذلك له بالحلف أنَّه ما كلَّم الخليفة في شأنه " (١) .

وقد استدلَّ العلماء بحديث الضَّرير هذا على جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، وذلك من وجوه :

الأَوَّلُ : أنَّ هذا الحديث وإن كان ورد بسبب سؤال هذا الضَّرير ، فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء النَّاس في الأحكام الشَّرعيَّة .

الثَّانِي : أنَّه وإن كان الخطاب فيه متوجِّهاً إلى الضَّرير ، فهو محمولٌ على العموم ، للإجماع المتيقّن من جميع العلماء على أنَّ خطابات الشَّارع محمولة على العموم ، وإن كانت خارجة مخرج الخصوص ، حتى يقوم الدَّليل على تخصيص شيء منها فيوقف عنده ، وهو هنا مفقود .

الثَّالِثُ : أنَّ الضَّرير سأل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو له ، فعلمه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّعاء المذكور ، فعدوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدُّعاء المطلوب منه إلى تعليمه دعاءً دليلٌ على أنَّه أراد أن يشرِّع لأُمَّته حكماً عاماً لا يختصُّ بواحد منهم دون آخر .

الرَّابِعُ : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد الضَّرير إلى الصَّلاة والدُّعاء ، والصَّلاة مشروعة لجميع النَّاس بالإجماع ، فكذلك الدُّعاء ، والتَّفريق بينهما تعطيل لبعض الحديث من غير دليل ، وهو تلاعبٌ لا يقبل .

الخَامِسُ : ولو فرضنا أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لهذا الضَّرير ، مع أنَّ الحديث لا يدلُّ على ذلك أصلاً ، فدعاؤه يدلُّ على جواز التَّوسُّل في عموم الحالات ، لما تقرَّر في علم الأصول : أنَّ فعل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيء يدلُّ على جوازه ، لأنَّه لا يفعل المحرَّم ولا المكروه ، ويندب الاقتداء به لقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ

---

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٣٢) .

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

السَّادِسُ : أنَّه لو كان الحديث خاصَّاً بهذا الضَّرير أو بحال الحياة دون المات ، أو في الحضور دون الغيبة لبيَّن ذلك ، كما بيّن لأبي بردة أنَّ الجذعة من المعز تجزئه في الأضحية ، ولا تجزئ أحداً غيره .

السَّابِعُ : أنَّه لو كان الحديث خاصاً بهذا الضَّرير أو بحال الحياة دون المات لبيَّن ذلك ، وإذا لم يبيِّن ذلك لكان قد أخر البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوعٌ ، لأنَّه تكليف بما لا يعلم .

الثَّامِنُ : أنَّ عثمان بن حنيف وهو راوي الحديث ، وأعرف بالمراد منه ، حمله على العموم ، حيث أرشد الرَّجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وطال انتظاره لقضائها إلى الدُّعاء المذكور ، وهذا يؤيِّد ما قدَّمناه .

التَّاسِعُ : أنَّ حُفَّاظ الحديث ونُقَّاده فهموا من حديث الضَّرير العموم ، حيث ترجموا عليه في كتبهم بتراجم تفيد ذلك ، فذكره التِّرمذي والحاكم والبيهقي في كتاب الدَّعوات على أنَّه من الدَّعوات المأثورة المشروعة ، وذكره ابن ماجه والمنذري والهيثمي في كتاب الصَّلاة ، لأنَّ الصَّلاة المأمور بها فيه داخلة في باب التطوُّع والنفل ، وذكره النَّووي في باب أذكار صلاة الحاجة على أنَّه من جملة الأذكار التي تُقال عند عروض الحاجة ، وهذا اتِّفاق منهم على أنَّ الحديث معمولٌ به ، وأنَّه عامٌّ لجميع النَّاس في جميع الحالات ، ولو كان خاصاً بذلك الضَّرير أو بحالة دون أخرى لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، ولنبَّهوا على أنَّه غير معمول به كما نبَّهوا على غيره من الأحاديث التي تكون مخصوصة أو منسوخة ، وهذا ظاهر جداً " (١) .

وقد اعترض مدَّعو السَّلفيَّة على الاستدلال بحديث عثمان بن حنيف – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فزعموا أنَّ أبا جعفر – الذي في سند الحديث – ليس هو الخطمي . بل هو آخر مجهول (٢) ...

والحقُّ أنَّ هذا ليس بشيء ، فإنَّه ممَّا وقع في بعض النُّسخ المطبوعة من تصرُّفات النَّاسخين ، وليس من عادة التِّرمذي أن يقول : هو غير فلان ، ويتركه من غير بيان ، على أنَّ أبا جعفر الرَّاوي عن عمارة بين شيوخ شعبه ، إنَّما هو عمير بن يزيد الخطمي المدني الأصل ثمَّ البصري ، كما يظهر من كتب الرِّجال المعروفة من مطبوع

---

(١) انظر : الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٥٢-١٥٤ باختصار) .

(٢) انظر : التوصل إلى حقيقة التَّوسُّل (ص٢٣٦) .

ومحفوظ [1] ، وأبو جعفر الرَّازي المتوفَّى سنة (١٦٠هـ) ، من شيوخ شعبه لم يدرك عمارة المتوفَّى سنة (١٠٥هـ) أصلاً ، لأنَّ رحلته إلى الحجاز بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين ، وشعبةُ شعبةٌ في التثبُّت فيما يروي ، على أنَّ طرقاً أخرى للحديث عند الطَّبراني وغيره تنصُّ في صلب السَّند على أنَّه الخطمي الثِّقة باتفاق ، وسند الطَّبراني في هذا الحديث مسوق في شفاء السقام للتَّقي السُّبكي [2] .

ورجال سند التِّرمذي كلُّهم ثقات ، وإنَّما سمَّاه غريباً لانفراد عثمان بن عمر عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، وهما ثقتان باتفاق ، وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرُّواة كحديث " إنَّما الأعمال بالنيَّات " . وسمَّاه حسناً أيضاً لتعدُّد طرقة بعد أبي جعفر وعثمان بن عمر ، وتسميته صحيحاً باعتبار تكامل أوصاف الصحَّة في رواته [3] .

وقال الإمام الغماري :" ولعلَّ زيادة لفظ (غير) سهو من التِّرمذي رحمه الله ، وإلا فأبو جعفر هو الخطمي ، كما صرَّح به ابن أبي خيثمة ، والطَّبراني ، وغيرهما .

وقال ابن تيمية ما نصّه :" هكذا وقع في التِّرمذي ، وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصَّواب " [4] .

وعلَّق حمدي السَّلفي على الحديث فقال : " لا شكَّ في صحَّة الحديث المرفوع ، وإنَّما الشكُّ في هذه القصَّة (أي : قصَّة إرشاد عثمان بن حنيف لمن جاء إليه يطلب منه التوسُّط له عند سيِّدنا عثمان بن عفان لقضاء حاجته) التي يستدلُّ بها على التَّوسُّل المبتدع ، وهي انفرد بها شبيب ، كما قال الطَّبراني ، وشبيب لا بأس بحديثه ، بشرطين : أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه ، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد . والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولداه إسماعيل وأحمد ، وقد تكلم الثِّقات في رواية ابن وهب عن شبيب ، في شبيب ، وابنه إسماعيل لا يعرف ، وأحمد وإن روى القصَّة عن أبيه إلا أنها ليست من طريق يونس بن يزيد ، ثمَّ اختلف فيها على أحمد ، ورواه ابن السنّي في عمل اليوم والليلة ، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصَّة ، ورواه الحاكم من طريق

---

[1] انظر : ترجمته في تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٩١) ، تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٨) .

[2] انظر : شفاء السقام (ص١٧٦) .

[3] انظر : مقالات الكوثري (ص٣٩٠) .

[4] انظر : الردُّ المحكم المتين (ص١٤٣) .

عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم به ، قال شيخنا محمَّد ناصر الدِّين الألباني : وعون هذا وإن كان ضعيف فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي " (١) .

وللردِّ عليه نقول :

أَوَّلاً : لقد أشتمل كلام السّلفي والألباني على الكذب والخيانة ، حيث كتما ما قاله الإمام الحاكم في شبيب ، فقد كتما قوله : " والقول فيه قول شبيب ، فإنَّه ثقة مأمون " (٢) .

ثَانِياً : هذه القصَّة رواها البيهقي في دلائل النُّبوَّة من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ، ثنا أبي ، عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمِّه عثمان بن حنيف ، أنَّ رجلاً كـــان يختلف إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فذكر القصَّة بتمامها " (٣) .

ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام الثِّقة ، بل هو فوق الثِّقة ، وهذا إسناد صحيح ، ومعنى ذلك أنَّها صحيحة ، وهذا الذي يوافق كلام الحافظ ، ويبطل ما استنبطه الألباني من كلام الحافظ في مقدِّمة فتح الباري ، فليتأمَّل . كما أنَّ الحفَّاظ أيضاً صحَّحوا هذه القصَّة ، كالمنذري في التَّرغيب والتَّرهيب (٢ / ٦٠٦) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٧٩) .

ثَالِثَاً : أحمد بن شبيب من رجال البخاري ، روى عنه في الصَّحيح ، وفي الأدب المفرد . ووثَّقه أبو حاتم الرَّازي ، وكتب عنه هو وأبو زرعة ، وقال ابن عدي : وثَّقه أهل البصرة ، وكتب عنه علي ابن المديني .

وأبوه شبيب بن سعيد التَّميمي الحبطي البصري أبو سعيد من رجال البخاري أيضاً ، روى عنه في الصَّحيح ، وفي الأدب المفرد . ووثَّقه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، والنَّسائي ، والذّهلي ، والدارقطني ، والطَّبراني في الأوسط . قال أبو حاتم : كان عنده كتب يونس بن زيد ، وهو صالح الحديث لا بأس به . وقال ابن عدي : ولشبيب نسخة الزُّهري عنده عن يونس عن الزُّهري أحاديث مستقيمة .

وقال ابن المديني : ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر وكتابه كتاب الصَّحيح . هذا ما يتعلَّق بتوثيق شبيب ، وليس فيه اشتراط صحَّة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد . بل صرَّح ابن المديني بأنَّ كتابه صحيح . وابن

---

(١) انظر : هامش المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٧) .

(٢) انظر : المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٠٧) .

(٣) انظر : دلائل النبوة (٦/ ١٦٦-١٦٧) .

عدي إنَّما تكلَّم عن نسخة الزُّهري عن شبيب فقط ، ولم يقصد جميع رواياته ، فما ادَّعاه الألباني تدليس وخيانة ، يؤكِّد ذلك أنَّ حديث الضَّرير صحَّحه الحفَّاظ ، ولم يروه شبيب عن يونس عن الزُّهري !! وإنَّما رواه عن روح بن القاسم ، ودعواه ضعف القصَّة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرُّواة عند ابن السنّي والحاكم ، لون ءاخر من التَّدليس ، لأنَّ من المعلوم عند أهل العلم أنَّ بعض الرُّواة يروي الحديث وما يتَّصل به كاملاً ، وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة ، والبخاري يفعل هذا أيضاً ، فكثيراً ما يذكر الحديث مختصراً ويوجد عند غيره تاماً . والذي ذكر القصَّة في رواية البيهقي إمامٌ فذٌّ يقول عنه أبو زرعة الدِّمشقي : قدمَ علينا رجلان من نبلاء النَّاس ، أحدهما وأرحلهما يعقوب بن سفيان ، يعجز أهل العراق أن يَرَوا مثلَه رجـلاً .

وتقديمه رواية عون الضَّعيف على من زاد القصَّة ، لون ثالث من التَّدليس والغشّ ، فإنَّ الحاكم روى حديث الضَّرير من طريق عون مختصراً ثمَّ قال : تابعه شبـيب بن سعيد الحَبَطي ، عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد ، والقول فيه قول شبيب ، فإنَّه ثقة مأمون ، هذا كلام الحاكم ، وهو يؤكِّد ما تقرَّر عند علماء الحديث والأصول أنَّ زيادة الثِّقة مقبولة ، وأنَّ من حفظ حجَّة على من لم يحفظ (١) .

رَابِعَاً : أنَّه لم ينقل الألباني عن حافظ واحد أنَّه نصَّ على تضعيف القصَّة ، مع ملاحظة أنَّ هؤلاء الحفَّاظ من الأئمَّة الأعلام كالمنذري ، والهيثمي ، وغيرهما ، لم ينصُّوا على أنَّ هذا بدعة أو شرك ، بل ذكروها في أبواب صلاة الحاجة ، ناصِّين على التَّصحيح مقرِّين له ، غير معقِّبين عليه بالضَّعف والنَّكارة أو الشِّرك والبدعة (٢) ...

خَامِسَاً : أنَّه ليس من المعقول أن يُجمع الحفَّاظ على تصحيح حديث في سنده مجهول ، خصوصاً : الذَّهبي ، والمنذري ، فمحاولة بعض العصريِّين لتضعيف الحديث مقضيٌّ عليها بالفشل الكبير ، فالحديث صحيح بلا شكٍّ ، وهو يدلُّ على جواز التَّوسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الحالات وفي سائر الأوقات .

ويكفي لبيان ذلك هنا أن نقول : إنَّ العلماء فهموا الحديث على العموم ، كما هو الواجب في نصوص الشَّارع ، فأورده التِّرمذي في كتاب الدَّعوات من سننه ، والحاكم في الُّدعاء من مستدركه ، والبيهقي في كتاب الدَّعوات ، وهو مؤلَّف خاصٌّ ، معتبرين له جملة الأدعية المشروعة المأثورة ، وأورده ابن ماجه في كتاب الصَّلاة من سننه ، وكذا فعل المنذري في التَّرغيب والتَّرهيب ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، معتبرين الصَّلاة فيه والدُّعاء

(١) انظر : إرغام المبتدع (ص١٣-١٤) .

(٢) انظر : هامش إرغام المبتدع (ص١٤) .

من جملة النوافل المطلوبة ، وأورده النَّووي في أذكار الحاجة من كتاب الأذكار ، معتبراً له من جملة الأذكار التي تُقال عند عُروض حاجة ، وإرادة قضائها ، وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في صحيحه المرتَّب على الكتب والأبواب ، وهذا اتفاق منهم على أنَّ الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان ، ولو كان خاصَّاً بذلك الضَّرير أو بحالة دون حالة أو بوقت دون وقت ، لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، أو لنبَّهوا على أنَّه خاص ليس بعام ، كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصَّة ببعض الحالات (١) .

وقد صرَّح ابن تيمية أنَّ السَّلف دعوا بهذا الدُّعاء ، فقال : " فَهَذَا الدُّعَاءُ وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّه دَعَا بِهِ السَّلَفُ ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ " (٢) .

فابن تيمية أقرَّ بأنَّ الدُّعاء بلفظ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ... قد فعله السَّلف ، ومع ذلك لم ينصع للحق بعدما تبيَّن ، وأبى إلَّا تكفير المتوسِّلين إلى الله بجاه نَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، فإلى الله المشتكى ...

الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ : قال الإمام أبو يعلى : " حَدَّثَنَا عُقْبَةُ ، حَدَّثَنَا يُونُس ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاس زَمَانٌ يَخْرُجُ الْجَيْشُ مِنْ جُيُوشِهِمْ ، فَيُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ صَحِبَ مُحَمَّداً فَتَسْتَنْصِرُونَ بِهِ فَتُنْصَرُوا ؟ ثمَّ يُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مُحَمَّداً ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَمَنْ صَحِبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَيُقَالُ : مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَلَوْ سَمِعُوا بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ لَأَتَوْهُ " (٣) .

---

(١) انظر : إتحاف الأكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء (ص٢٢-٢٣) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند (٤/ ١٣٢ برقم ٢١٨٢) ، وصححه الأستاذ المحقق حسين أسد ، وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " إسناده صحيح . والأعمش وإن كان مدلساً فهو معدود في المرتبة الثانية منهم ، وحديثهم مقبول صرحوا بالسماع أو لم يصرحوا . ورواه أبو يعلى في مسنده (٤ / ٢٠٠) بلفظ مقارب : حدثنا ابن نمير ، حدثنا محاضر ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " يبعث بعث فيقال لهم : هل فيكم أحد صحب محمداً ؟ فيقال : نعم . فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم . ثمَّ يبعث بعث فيقال : هل فيكم من رأى أصحاب محمَّد ؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لأتيتموه . ثمَّ يبقى قوم يقرؤون القرآن لا يدرون ما هو . وهو سند صحيح أيضاً . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) : رواه أبو يعلى من طريقين ورجالهما رجال الصحيح " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، (ص٢٣١-٢٣٢) .

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : قال الطَّبراني : " حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ ، ثنا أَبِي ، ثنا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (١) .

وقال الطبراني أيضاً : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ محمَّد بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (٢) .

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ : روى ابن أبي شيبة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاس قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلام ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ثمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " (٣) .

فَإتيَانُ هذا الصَّحَابي الجليل لقبرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونِدَاؤُهُ لَهُ وطَلَبُهُ أنْ يستَسقي لأمَّتِهِ دَليل على أنَّ ذَلكَ جائز ، وهُوَ مَوضعُ الاستدلال بِعَمل هذا الصَّحابي على صحَّةِ التَّوسُّل بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَواء في حَيَاتِهِ أو بعد وفَاتِهِ . وقد أقرَّه عمر على صنيعه ولم يعنِّفه أو يقل له أشركت ...

وقد اعترض المتمسلفون على هذا الأثر بعدة اعتراضات ، هي :

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

(٢) أخرجه الطبراني (٢/ ١٩٢برقم ٨٥٨) ، أبو مسعود المعافى بن عمران الموصلي في الزهد (ص٨٠ برقم ١٢٥) وقال الهيثمي بعد أن ذكر الروايتين : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَرِجَالُ الرِّوَايَةِ الْأُولَى رِجَالُ الصَّحِيحِ " . انظر : مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٢) ، وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " قلت : أمية بن عبد الله بن خالد تابعي ، ولم يخرج له في الصحيح لكنه ثقة ، ولولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي – فإنَّه مذكور في المرتبة الثالثة من المدلسين (ص ٤٢) – لكان الحديث مرسلاً صحيح الإسناد ، والله أعلم " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٣٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

جهالة السَّائل ، وكذا جهالة مالك الدَّار ، قال ابن باز في تعليقه على هذا الأثر : " ... هذا الأثر – على فرض صحَّته كما قال الشَّارح – ليس بحجَّة على جواز الاستسقاء بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم يُنكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعُلم أنَّ ذلك هو الحقّ ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلى الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك " [1] .

وذكر الألبانيُّ من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأنَّه غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّا على جهالة مالك الدَّار [2] .

والردُّ على هذا سهل جداً ، ويكفي في الردِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفاً للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قد استعمله على بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلا الثِّقة أو فوق الثِّقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبداً أنَّه مجهول ، فها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هنيّ بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر على الحِمى ، فقد روى البخاري بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هُنَيّاً عَلَى الحِمَى ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " [3] .

قال الحافظ ابن حجر : " وهذا المولى لم أَرَ من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفّين مع معاوية ثمَّ تحوَّل إلى عليٍّ لما قُتل عمَّار .... ولولا أنَّه كان من الفضلاء النُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " [4] .

---

[1] انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) .

[2] انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣١) .

[3] أخرجه البخاري (٤/ ٧١ برقم ٣٠٥٩) .

[4] انظر : فتح الباري (٦/ ١٧٦) .

وعليه فما ينطبق على هنيّ ينطبق على مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علَّة توثيق هنيّ ، هي علَّة توثيق مالك الدار ، بل هي أوضح وأجلّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بيت المال ، وما ولَّاه إلا لفرط في دينه وأمانته .

ومن جهة أخرى فقد نصَّ غير واحد من العلماء على توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حبَّان في الثِّقات [1] ، وقال أبو يعلى الخليلي في الإرشاد : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ ، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " [2] .

أمَّا عن جهالة السَّائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصَّحيحين تضمَّنا السُّؤال للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لقبره ، والسَّائل فيها مجهول [3] .

بقي أمر في كلام ابن باز السَّابق ، وهو عدول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الاستسقاء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستسقاء بالعبَّاس ... حيث فهم أنَّ فعل عمر هذا يدلُّ على منع التَّوسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد انتقاله ، وهو خطأ لوجوه :

الأَوَّلُ : ترك الشيء لا يدلُّ على منعه ، كما تقرَّر في الأصول ، فترك عمر للتَّوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا دلالة فيه أصلاً على منع التَّوسُّل ، وقد ترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً من المُباحات ، فهل دلَّ تركه لها على حرمتها ؟ لم يقل ذلك أحدٌ من العلماء .

الثَّانِي : أنَّ الله يقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] ، ولا شكَّ أنَّ العبَّاس كان في تلك الحادثة من جملة المضطرِّين المحتاجين ، فكان التَّوسُّل به أنسب .

الثَّالِثُ : أنَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أراد بالتَّوسُّل بالعبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الاقتداء بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إكرام العبَّاس وإجلاله ، وقد جاء هذا عن عمر صريحاً ، فروى الزُّبير بن بكَّار في الأنساب والبلاذري في فتوح البلدان ، وقد ذكرت نصَّ كلامه في الردِّ المحكم المتين ، كما أنَّه مذكور في فتح الباري ، وغيره من كتب الحديث .

---

[1] انظر : الثقات (٧/ ٥٨٨ برقم ١١٦٠٦) .

[2] انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣١٣) .

[3] انظر : صحيح البخاري (١٥٥١) ، (٢٥٨١) ، (٥٥٠٢) ، (٥٥٠٥) ، (٧٠٨٣) .

الرَّابِعُ : أراد عمر بفعله ذلك أن يبيِّن جواز التَّوسُّل بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الصَّلاح ممَّن تُرجى بركته .

ولذا قال الحافظ في الفتح عقب هذه القصَّة ما نصه : " وَيُسْتَفَادُ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِ اسْتِحْبَابُ الِاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ " (١) .

الخَامِسُ : أراد عمر أن يبيِّن جواز التَّوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل ، لأنَّه كان في ذلك الجمع من هو أفضل من العبَّاس ، كعلي ، وعثمان ، رضي الله عنهما .

السَّادِسُ : أن توسُّل عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما في الحقيقة توسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ العبَّاس إنَّما توسَّل به الصَّحابة لكونه عمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولمكانته منه . قال ابن عبد البر : روِّينا من وجوه عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه خرج يستسقي وخرج معه العبَّاس : فقال " اللهمَّ إنا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونستشفع به ، فاحفظ فيه لنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما . وروى الزُّبير بن بكَّار في الأنساب أنَّ العبَّاس لَمَّا استسقى به عمر قال : اللهمَّ أنَّه لم ينزل بلاء إلَّا بذنب ، ولم يُكشف إلَّا بتوبة ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك ، وهذه أيدينا إليك بالذُّنوب ، ونواصينا بالتَّوبة ، فاسقنا ، فارخت السَّمـــــاء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش النَّاس .

فهذا يدلُّ على أنَّ التَّوسُّل بالعبَّاس توسُّلٌ بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحقيقة مع ما في ذلك من إكرام العبَّاس وإجلاله ، وذلك يرضي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويدخل السُّرور عليه في قبره الشَّريف ، فظهر من هذه الوجوه أنَّ فعل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا دلالة فيه على منع التَّوسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعد الانتقال كما زعم ابن تيمية ، ولو سلمنا تلك الدّلالة جدلاً – على ما يرد عليها من منع ظاهر – فغاية ذلك أن يقول : هذا رأي عمر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وقد خالفه عثمان بن حنيف ، وعائشة وبلال بن الحارث المزني ،- رضي الله عنهم – وإذا اختلف الصَّحابة ، فليس بعضهم أولى بالاتباع من بعض (٢) ...

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٧) .

(٢) انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء (ص٣٥-٣٨) .

وزعموا أنَّ أبا صالح وهو ذكوان الرَّاوي عن مالك لا يُعلم سماعه ولا إدراكه لمالك ، إذ لم نتبيَّن وفاة مالك ، سيَّما ورواه بالعنعنة ، فهو مظنَّة انقطاع لا تدليس [1] .

وللرَّدِّ على ذلك نقول : إنَّ هذه مغالطة بناها القوم على جهالة مالك الدَّار ، وقد سبق أن بيَّنا أنَّه ثقه ، بل فوق الثِّقة ، يُضاف إلى ذلك أنَّ بعض العلماء صرَّحوا بأنَّ له إدراك ، وعلى أقل تقدير فهو من كبار التَّابعين ، وقد صرَّح غير واحد من العلماء بأنَّ أبا صالح السمَّان روى عن مالك الدَّار ، كما تجد ذلك في تهذيب الكمال [2]

.

وذكر الدُّكتور العلَّامة محمَّد بن علوي المالكي أنَّ بعضهم ضعَّف الحديث بتدليس الأعمش – أحد رواته – والمدلِّس الثِّقة لا يُقبل خبره إلَّا إذا صرَّح بالسَّماع .... وردَّ عليه العلوي رحمه الله ، فقال : " ... وفاتَه أنَّ هذه القاعدة عامَّة إلَّا فيمن استثناه العلماء خاصَّة فيمن يُرسل أو يُدلِّس كابن المسيّب وكالأعمش هنا ، وبيان ذلك وضَّحه الذَّهبي في " ميزان الاعتدال " ، فقال : " وهو يدلِّس ، وربما دلَّس عن ضعيف ، ولا يدري به ، فمتى قال : حدَّثنا فلا كلام ، ومتى قال " عن " تطرَّق إلى احتمال التَّدليس إلَّا في شيوخ له أكثر عنهم : كإبراهيم ، وابن أبي وائل ، وأبي صالح السَّمَّان ، فإنَّ روايته عن هذا الصِّنف محمولة على الاتِّصال " [3] .

وقال الإمام الغُماري : " طعن بعض المعاصرين [4] في رواية سيف بأنَّه تُكلِّم فيه ، وهذا لا يضيرنا ، فإنَّ الرَّجل إن لم يكن بلالاً بن الحارث ، فهو يقيناً أمَّا صحابي أو تابعي ، لا شكَّ في ذلك ، وكفى بأحدهما حجَّة ، أضف إلى ذلك أنَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يُنكر عليه توسُّله " [5] . يضاف إلى ذلك أنَّ ابن حجر قد صحَّح الرِّواية ، ولذلك لا يلتفت إلى تضعيف من ضعَّفها .

وقال المالكي : " كما تكلَّم البعض على رواية سيف أيضاً ، وزعم أنَّ ابن حجر لم يصحِّح السَّند ، وهذا من المعارض تطاولٌ بجانب الحقِّ ، ولا يتَّصف بالأدب ، ويظهر ذلك لمن راجع كلام ابن حجر في الفتح ، ولكن

---

[1] انظر : هذه مفاهيمنا (ص٦٧) .

[2] انظر : تهذيب الكمال (٨/ ٥١٤) .... ، وقد ذكر الحديث الإمام ابن كثير في جامع المسانيد ، ونصَّ على أنَّ إسناده جيِّد قويٌّ انظر : جامع المسانيد ، "مسند عمر " ابن كثير (١/ ٢٢٣) ، وكذا صحَّح إسناده الإمام عبد الله الغماري في الرد المحكم المتين (ص٥٣) .

[3] انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٥١) .

[4] انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣٣) ، هذه مفاهيمنا (ص٦٢-٦٤) .

[5] انظر : هامش إتحاف الأذكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء (ص٣٤) .

النَّاقد استعجل وفاته أوَّل الكلام ، وذلك لأنَّ ابن حجر صحَّح الخبر من قبل بقوله : روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح ، وساق القصَّة ثمَّ قال : وروى سيف في الفتوح : أنَّ الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث أحد الصَّحابة ، فالقصَّة واحدة والسَّند واحد ، والتَّصحيح يشملها " (١) .

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ : وروى البخاري ، قال : حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ محمَّد ، قَالَ : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهَّ الأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللهَّ بْنُ المُثَنَّى ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا " ، قَالَ : فَيُسْقَوْنَ " (٢) ...

قال الإمام الكوثري في تعليقه على هذا الأثر : " وفيه التَّوسُّل بالذَّات ، وادِّعاء أنَّ هناك مضافاً محذوف ، أي : بدعاء عمِّ نبيِّنا ، تقوُّل محضٌ بدون أي حجَّة ، كما أنَّ فرض العدول – لوفاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى العبَّاس تقويلٌ لعمر ما لم يخطر له على بال ، بل فيه جواز التَّوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل ، بل التَّوسُّل بلفظ " عمّ نبيِّنا " توسُّلٌ بقرابة العبَّاس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبمنزلته لديه ، فيكون هذا التَّوسُّل توسُّلاً به ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً ، ولفظ " كنَّا " غير خاص بعهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل يشمله وما بعده إلى عام الرَّمادة ، والتَّقييد تقييد بدون مقيِّد " (٣) .

فتوسُّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس هو في حقيقته توسُّلٌ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه ما توسَّل به إلَّا لكونه عمّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال ابن عبد البر : " وَرَوَيْنَا مِنْ وُجُوهٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّه خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَخَرَجَ مَعَهُ الْعَبَّاسُ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَنَسْتَشْفِعُ بِهِ فَاحْفَظْ فِينَا نَبِيَّكَ كَمَا حَفِظْتَ الْغُلَامَيْنِ لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، وَأَتَيْنَاكَ مُسْتَغْفِرِينَ مُسْتَشْفِعِينَ ، ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس ، فَقَالَ : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ

---

(١) انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحح (ص١٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٧ برقم ١٠١٠) ، الآجُرِّيُّ في الشريعة (٥/ ٢٢٦٢ برقم ١٧٤٤) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ٤٠٩ برقم ١١٦٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩١ برقم ٦٤٢٧) ، دلائل النبوة (٦/ ١٤٧) .

(٣) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٨٠) .

كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٢]، ثُمَّ قَامَ الْعَبَّاسُ وَعَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ ... " (١).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: " وَقَدْ بَيَّنَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَالْوَقْتَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَنَّه لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ، وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ، فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ، حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضَ، وَعَاشَ النَّاس. وَأَخْرَجَ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنِ بن عُمَرَ، قَالَ: اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَخَطَبَ النَّاس عُمَرُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِلْوَالِدِ، فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاس بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ " (٢).

فالتَّوسُّل بالعبَّاس ما كان إلَّا بسبب كونه عمّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرجع الأمر إلى كونه توسُّل بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُضاف لذلك أنَّ العبَّاس هو من كان يُعاني من جدب السَّماء، فهو مُضطرٌ وبحاجةٍ لماء السَّماء، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال الإمام محمَّد متولِّي الشَّعراوي (١٤١٨هـ): " ونقول لمن يكفِّر المتوسِّلين بالنَّبيِّ أو الوليِّ: هذِّبوا هذا القول قليلاً؛ إنّ حدوث مثل هذا القول هو نتيجة عدم الفهم، فالذي يتوسَّل إلى الله بالنَّبي أو الولي هو يعتقد أنَّ له منزلة عند الله. وهل يعتقد أحد أنَّ الوليَّ يجامله ليعطيه ما ليس له عند الله؟ طبعاً لا. وهناك من قال: إنَّ الوسيلة بالأحياء مُمكنة، وأنَّ الوسيلة بالأموات ممنوعة. ونقول له: أنت تضيِّق أمراً مُتسعاً؛ لأنَّ حياة الحيِّ لا

---

(١) انظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمَّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار (٧/ ١٥٠).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٧).

مدخل لها بالتَّوسُّل ، فإن جاء التَّوسُّل بحضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله ، فإنَّك قد جعلت التَّوسُّل بحبِّك لمن علمت أنَّه أقرب منك إلى الله ؛ فحُبُّك له هو الذي يشفع . وإيَّاك أن تظنَّ أنَّه سيأتي لك بما لا تستحق .

والجماعة التي تقول : لا يصحُّ أن نتوسَّل بالنَّبيِّ ؛ لأنَّ النَّبي انتقل إلى الرفيق الأعلى ، نقول لهم : انتظروا قليلاً وانتبهوا إلى ما قال سيِّدنا عُمر – رضوان الله عليه – ؛ قال : كنَّا في عهد رسول الله إذا امتنع المطر نتوسَّل برسول الله ونستسقي به . ولما انتقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، توسَّل بعمه العبَّاس . وقالوا : لو كان التَّوسُّل برسول الله جائزاً بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطَّاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عن التَّوسُّل بالنَّبي بعد انتقاله ، وذهب إلى التَّوسُّل بعمِّ النَّبي . ونسأل : أقال عمر " كنا نتوسَّل بنبيِّك والآن نتوسَّل إليك بالعبَّاس ؟ أم قال : والآن نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّك " ؟ .

ولذلك فالذين يمنعون ذلك يوسِّعون الشقَّة على أنفسهم ؛ لأنَّ التَّوسُّل لا يكون بالنَّبي فقط ، ولكن التَّوسُّل أيضاً بمن يَمُتُّ بصلة إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فساعة يتوسَّل واحدٌ إلى غيره يعني أنَّه يعتقد أنَّ الذي توسَّل به لا يقدر على شيء ، إنني أتوسَّل به إلى الغير ، لأني أعرف أنَّه لا يستطيع أن ينفذ لي مطلوبي . إذن فلنبعد مسألة الشِّرك بالله عن هذا المجال ، ونقول : نحن نتوسَّل به إلى غيره لأننا نعلم أنَّ المتوسَّل إليه هو القادر وأن المتوسَّل به عاجز ، وهذا هو منتهى اليقين ومنتهى الإيمان .

ولكن المتوسِّل به قد ينتفع وقد لا ينتفع ، وعندما توسَّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس عَمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان يفعل ذلك من أجل المطر ، والمطر في هذه الحالة لا ينتفع به رسول الله ، لذلك جاء بواحدٍ من آل البيت ، وكأنَّه قال : يا ربُّ عمُّ نبيك عطشان فمن أجله نريد المطر .

إذن فتوسُّل عمر بن الخطَّاب بعمِّ النَّبي دليل ضدَّ الذين يمنعون التَّوسُّل بالنَّبيِّ بعد الانتقال إلى الرَّفيق الأعلى ، وحتى نخرج من الخلاف نقول : إنَّ العمل الصَّالح المتمثِّل في : افعل كذا ولا تفعل كذا هو الوسيلة الخالصة ، وبذلك نخلص من الخلاف ولا ندخل في متاهات " [1] .

وقَال الشَّيْخ يُوسُف بن إسمَاعيل النبَهَاني : إنَّما استَسقى عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – بالعَبَّاس ولَمْ يستسق بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وسَلَّمَ ليُبَيِّنَ للنَّاس أنَّ الاستِسْقاء بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَائزٌ ومشروعٌ ولا حَرَجَ فيهِ

---

[1] انظر : تفسير الشعراوي ، الخواطر (٥/ ٣١٠٧-٣١٠٨) .

؛ لأنَّ الاستِسقاء بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وسَلَّمَ كَانَ مَعلوماً عِندَهُم . فَلَرُبَّمَا يَتوهَّمُ بَعضُ النَّاس أَنَّه لا يَجُوزُ الإستسقَاء بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبيَّنَ لَهُم عُمَرُ – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – الجَوَاز .

ولو استسقى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأفهم أنَّه لا يجوز الاستسقاء بغيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا يَصِحُّ أنْ يُقَال : إنَّما استسقى بالعبَّاس ولَمْ يَستسق بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّ العبَّاس حيٌّ والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَات ؛ لأنَّ الاستِسقَاء إنَّما يَكُونُ بالحيِّ ، فهذا القَولُ باطِلٌ مَردُودٌ بأدِلَّة كثيرة ؛ منْهَا : تَوسُّلُ الصَّحَابة – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُم – بِهِ بَعد وفَاتِهِ ، كَمَا تَقدَّمَ في القِصَّة التي رَوَاهَا عُثمان بنُ حَنيف – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – وكَمَا في حَديث بلال بن الحَارث المُتقدِّم ، وكَذَا تَوسُّل آدم الَّذي رَواه عُمَر – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – كَمَا تَقَدَّم . فكيف يُعتقَدُ عَدَم صِحتِّه بَعد وفَاتِه . وقد روى التَّوسُّل به قبل وجوده مع أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ في قبره .

فتلخَّص من هذا أنَّه يصحُّ التَّوسُّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وجوده وفي حَيَاتِهِ وبَعدَ وفَاتِهِ ، وأنَّه يَصحُّ التَّوسُّل أيضاً بغيره من الأخيَار ، كَمَا فَعَلهُ عُمر – رَضي الله تعالى عَنْهُ – حينَ استَسْقَى بالعبَّاس – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – وذلك من أنواعِ التَّوسُّل كَمَا تَقَدم ... والحَاصِل أنَّ مَذهب أهِل السُّنَّة والجمَاعَة على صِحَّة التَّوسُّل وجَوَازُه بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَيَاتِهِ وبَعدَ وَفَاتِهِ ، وكَذَا بِغيره من الأنبيَاء والمُرسلين والأوليَاء والصَّالحين ، كَمَا دلَّت عَليهِ الأحَاديث السَّابقة ، لأنَّا مَعَاشِر أهل السُّنَّة لا نَعتَقِدُ تَأثيراً ولا خَلقاً ولا إيجَاداً ولا إعْدَاماً ولا نَفْعاً ولا ضَراً إلاَّ لله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، فَلا نَعتقِدُ تَأثيراً ولا نَفعاً ولا ضَراً للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا لغيره منَ الأحيَاء والأموَات .

فَلا فَرقَ في التَّوسُّل بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغَيره منَ الأنبياء والمُرسَلين صَلواتُ الله عَليه وعلييهم أجْمَعين ، وكَذَا بالأوليَاء والصَّالحين ، لا فَرقَ بَينَ كَوْنِهم أحيَاءً أو أموَاتاً ؛ لأنَّهم لا يَخْلُقُونَ شيئاً ولَيسَ لَهُم تَأثير في شيء ، وإنَّما يُتبَرَّكَ بهم لِكَونِهم أحِبَّاءُ الله تَعَالى ، والخَلقُ والتَأثيرُ لله وَحدَه لا شَريكَ لَهُ " (١) .

الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ : قال الدَّارمي : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا

(١) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص١١٧-١١٨) .

قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " (١) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قلت : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ... وبعد مناقشة مستفيضة مع مَنْ ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النكري ، وهو ثقة ، والله تعالى أعلم بالصَّواب " (٢) .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوى ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة رضي الله عنها هو توسُّلٌ بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع على وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شِركاً ، فكان إجماعاً ...

فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص على سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلى فعل ما أشارت به ؟!!! نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين ...

وعن سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في " شرح المشكاة " : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقى بينه وبين السَّماء حجاب " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزَّين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوَّة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوَّة في أسفل قبَّة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء .

قلت - أي : السَّمهُودي - : وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " (٤) .

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

(٢) انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٥٣-٢٦١) .

(٣) انظر : الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٩٦) .

(٤) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٢٣) .

فاجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ما كان إلَّا للتَّوسُّل إلى الله تعالى به صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وسَلَّمَ وبِجَاهِهِ ...

قلت : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة على هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف ...

فقد ضعَّف الألبانيُّ هذا الأثر بثلاث عِلل :

أَوَّلاً : ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر الألباني على النَّقل من بعض كتب التَّراجم [1] .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : عن يحيى بن معين ثقة ، وقال ابن عدي هو عندي في جملة من ينسب إلى الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : كان صدوقاً حافظاً [2] .

وقد ذكره الذَّهبي في جزء من تكلِّم فيه وهو ثقة [3] ، وعليه ، فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

ثَانِياً : اختلاط أبي النُّعمان [4] ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه ، ردَّه الذَّهبي ، فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً .

والقول فيه ما قاله الدَّارقطني . وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب [5] .

ثَالِثاً : أنَّه موقوف على عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة [6] ...

والجواب على ما ذكره الألبانيُّ بأنَّ الحديث صحيح بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :

---

[1] انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤٠) .

[2] انظر : تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٣) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩) .

[3] انظر : ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق (ص٨٥ برقم ١٢٨) .

[4] انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

[5] انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٧-٨) .

[6] انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

الأَوَّل : أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهبٌ للسيِّدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

الثَّاني : أنَّه اتِّفاق من حضر من الصَّحابة والتَّابعين على التَّوسُّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته [1] .

الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ : وروى الطَّبراني ، قال : " حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَائِلَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَقِيقٍ ، ثنا مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللهِ ، احْبِسُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ للهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " [2] .

فَفي هَذا الحَديث نِداء واستغاثة وطلب العوْن من عِبَاد الله تعالى الَّذين لَمْ يُشَاهدهُم ...

وقال الطَّبراني : " حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيّ ، ثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ " وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ [3] .

وفي الحديث دلاله على الاستغاثة وطلب العون والمساعدة من مخلوقات لا نراها ، وفيه نوع من أنواع التَّوسُّل وطلب العون من تلك المخلوقات فيما يقدرون عليه ، مع الإيمان المطلق بأن لا غياث ولا مُغيث حقَّاً إلَّا الله تعالى ، فالغوثُ ليس إلَّا منه تعالى ، وإن كان سبحانه أجرى بفضله وكرمه ومنَّته الإغاثة على يد بعض خلقه على سبيل الكسب ...

---

[1] انظر : هامش ارغام المبتدع (ص٢٤ بتصرُّف) .

[2] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلى في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٥ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالطَّبَرَانِيُّ ، وَزَادَ : " " سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " . وَفِيهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ) .

[3] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠) ، الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٨٨ برقم ١٧١٠٣) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة .

الدَّلِيْلُ العَاشِرُ : روى البيهقي قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، ومحمَّد بْنُ مُوسَى ، قَالَا : نا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ ، نا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، نا رَوْحٌ ، نا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، أنا أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ يَعْقُوبَ ، نا محمَّد بْنُ عَبْدِ الوهَّاب ، نا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، أنا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : " إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ فِي الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُ فِيهَا عَلَى الْأَعْوَانِ فَلْيَصِحْ ، فَلْيَقُلْ : عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونَا أَوْ أَعِينُونَا رَحِمَكُمُ اللهُ ، فإِنَّه سَيُعَانُ " لَفْظُ حَدِيثِ جَعْفَرٍ ، وَفِي رِوَايَةِ رَوْحٍ : " إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يُسَمَّونَ الْحَفَظَةَ ، يَكْتُبُونَ مَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَمَا أَصَابَ أَحَداً مِنْكُمْ عَرْجَةٌ أَوِ احْتَاجَ إِلَى عَوْنٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَلْيَقُلْ : أَعِينُونَا عِبَادَ اللهِ ، رَحِمَكُمُ اللهُ ، فإِنَّه يُعَانُ إِنْ شَاءَ اللهُ " (١) .

والمقصود بالْمُنادى في الرِّواية : الملائكة أو المسلمون من الإنس والجنّ ... ، وهو مؤيِّد لما جاء في الدَّليل الذي قبله ، وهو قوله في الرِّواية : إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ ...

والمقصود بأَنَّ طلب الاستعانة والاستغاثة ممَّن يقدر على الغوث لا بأس به ، سواء أكان حاضراً أم غائباً ، لأنَّ الإغاثة تُنسب إلى غير الله على سبيل المجاز ، وأنَّ الفاعل الحقيقي هو الله سُبحانه وتعالى ... وهناك أدلَّة عديدة على مشروعيَّة التَّوسُّل ذكرتها في كتاب : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن "...

وأختم هذا الفصل بأسماء من نقلنا عنهم التَّوسُّل ، ناقلين مقرِّين معتقدين به من غير نكير ، أو قائلين به ، أو عاملين به ... فمن الذين نقلنا عنهم القول بالتَّوسُّل واعتقاده من غير نكير في كتابنا : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن ":

أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح (١٨هـ) ، عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شدَّاد ، أبو سعد الفهري (٢٠هـ) ، عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، عبد الملك بن حَبيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدِّينوري (٢٧٦هـ) ، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ١٤٠ برقم ٧٢٩٧) ، البزار في المسند (١١/ ١٨١ برقم ٤٩٢٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٤) ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) ، وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار البغدادي الدَّارقطني (٣٨٥هـ) ، أبو حيان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) ، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبّي الطّهماني النَّيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ) ، منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الدَّيلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطَّرابلسي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ) ، أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) ، القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخرَّاط (٥٨١هـ) ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله (٥٩٧هـ) ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ الْمُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيّ (٦١١هـ) ، ابن جبير ، محمَّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، أبو الحسين (٦١٤هـ) ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيْخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشافعي (٦١٥هـ) ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد موفق الدِّين

عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ، عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ) ، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) ، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) ، سليمان بن موسى الكلاعي ، أبو الرَّبيع (٦٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدبيثي (٦٣٧هـ) ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي ، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) ، عبد الْعَظِيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكى الدِّين أَبُو محمَّد المنذرى القيرواني ثمَّ المصرى الشَّافِعِي (٦٥٦هـ) ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، ابن الحدَّاد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣هـ) ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) ، عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) ، أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) ، شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) ، محمَّد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ) ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصَّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) ، الإمام فعماد الدِّين بن العطار (٧٢٤هـ) ، الشَّمْس كَمَال الدِّين الزملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة الْمُفْتِي قَاضِي الْقُضَاة ذُو الْفُنُون جمال الْإِسْلَام كَمَال الدِّين أَبُو الْمَعَالِي ابْن الزملكاني الْأَنْصَارِيّ السماكي الدِّمشقي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧هـ) ، محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) ، أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النُّويري (٧٣٣هـ) ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري

الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) ، يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزِّي (٧٤٢هـ) ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) ، تقيُّ الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيُّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السِّنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) ، تقيُّ الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩هـ) ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي ، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) ، جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزَّيلعي (٧٦٢هـ) ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) ، شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) ، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) ، الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) ، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) ، علي بن محمَّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) ، سعد الدِّين التَّفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) ، سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) ، أبو

الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، كمال الدِّين ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٨٠٨هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمَّد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين (٨١٢هـ) ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري (٨٢١هـ) ، تقيُّ الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ) ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقيُّ الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، ابن حجة الحموي ، تقيُّ الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) ، محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمَّار (٨٤٤هـ) ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقيُّ الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) ، لأبي العبَّاس أحمد بن يحي الونشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقيُّ الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكِّي الشَّافعي (٨٧١هـ) ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفَّق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصَّالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرجي ، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) ، عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفوري (٨٩٤هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي ، المعروف بـ زروق (٨٩٩هـ) ، إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعيّ النَّاجي (٩٠٠هـ) ، شمس الدِّين أبو

الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) ، عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السَّكسكي اليمني (٩٠٤هـ) ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) ، السُّيوطي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) ، محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزِّي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشَّيْخ علي الطرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي (٩٢٦هـ) ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) ، محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) ، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ، ثمَّ الصَّالحي ، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) ، طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) ، عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعيّ (٩٨١هـ) ، أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي (١٠٠٤هـ) ، تقيُّ الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) ، أبو السَّعد زين الدِّين منصور بن أبي النَّصر بن محمَّد الطَّبَلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو

الحسن نور الدِّين الملا الهروي القَّاري (١٠١٤هـ) ، زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري ، التنبكتي (١٠٣٦هـ) ، أبو المواهب بن محمَّد بن علي البكري الصِّدِّيقي المصري الشَّافعي (١٠٣٧هـ) ، محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) ، أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى ، أبو العبَّاس المقرّي التلمساني (١٠٤١هـ) ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) ، محمَّد بن علان الصِّدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي (١٠٦٩هـ) ، محمَّد أحمد الخطيب الشوبري الشَّافعي (١٠٦٩هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة الفاسي (١٠٧٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) ، عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي الخرشي (١١٠١هـ) ، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي (١١٠٢هـ) ، محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي (١١١١هـ) ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشهير بابن معصوم (١١١٩هـ) ، محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزَّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) ، إسماعيل حقّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدمياطيّ الأشعري الشَّافعيّ ، أبو حامد (١١٤٠هـ) ، محمَّد بن عيسى بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) ، إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) ، حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري (١١٧٠هـ) ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) ، سليمان بن

عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) ، أبو عبد الله الطالب محمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيق البرتلي الولاتي (١٢١٩هـ) ، سليمان بن محمَّد بن عمر البجيرمي الشَّافعي (١٢٢١هـ) ، أبو العباس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (١٢٢٤هـ) ، محمود بن سعيد مقديش الملقب بأبي الثَّناء الصفاقسي (١٢٢٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنَباوي الأزهري ، المعروف بالأمير (١٢٣٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرِّخ (١٢٣٧هـ) ، أبو العباس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشهير بالصاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرّحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشَّرواني (١٢٥٣هـ) ، علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) ، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) ، نصر أبو الوفاء ابن الشَّيْخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعيّ (١٢٩١هـ) ، عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) ، عبد الحميد المكي الشَّرواني (١٣٠١هـ) ، أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (١٣١٠هـ) ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولِّي (١٣١٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصري الدرعي الجعفري السّلاوي (١٣١٥هـ) ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) ، عبد الرَّزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الثناء الألوسي (١٣٤٢هـ) ، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني (١٣٥٠هـ) ، كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزِّي (١٣٥١هـ) ، محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد المكِّي البطاوري (١٣٥٥هـ) ، أبو الفيض عبد الستَّار بن عبد الوهَّاب البكري الصِّدِّيقي المكِّي الحنفي (١٣٥٥هـ) ، الحسن بن محمَّد بن الغَسَّال الطَّنجي (١٣٥٨هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ) ، عبدالله بن

محمَّد الغازي المكِّي الحنفي ، (١٣٦٥هـ) ، محمَّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) ، محمَّد عَبْد الحَيِّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي ، المعروف بعبد الحي الكتَّاني (١٣٨٢هـ) ، محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ) ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، حسن بن محمَّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ) ، عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد ابن سودة (١٤٠٠هـ) ، محمَّد عبد الله عنان المؤرِّخ المصري (١٤٠٦هـ) ، علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) ، إحسان عبَّاس (١٤٢٤هـ) ، محمَّد إبراهيم محمَّد سالم (١٤٣٠هـ) ، أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) ، محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) ، محمَّد سعيد رمضان البوطي ، بالإضافة إلى أغلب دور الإفتاء في العالمين : العربي والإسلامي ...

فهل هؤلاء كفَّار ، مبتدعة ، خارجون من ربقة الدِّين يا أتباع قرن الشَّيطان ؟!!

الفَصْلُ السَّادِسُ
تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلصُّوْفِيَّة

التَّصوُّف هو محراب العلماء الصَّادقين ، ومنهج العلماء الرَّبانيِّين ، لأنَّه لا يعني إلَّا اتِّباع الشَّريعة ، والعمل بمقتضى الكتاب والسُّنَّة ، ومخالفة الهوى ، والبُعد عن الابتداع ، ومجاهدة النَّفس حتى تستقيم على منهج الله ، قال الإمام الشِّبلي : " الصُّوفي من لبس الصُّوف على الصَّفا ، وسلك طريق المصطفى ، وكانت الدُّنيا عنده خلف القفا " (١) .

ومعلوم لكلِّ باحث في هذا الباب أنَّ أُصول التَّصوُّف في الكتاب والسُّنَّة ظاهرة ، قال الإمام إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخمي الغرناطي الشَّهير بالشَّاطبي (٧٩٠هـ) : " وأَمَّا الْكَلَامُ فِي دَقَائِق التَّصَوُّفِ فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ بِإِطْلَاقٍ ، وَلَا هُوَ مِمَّا صَحَّ بِالدَّلِيلِ بِإِطْلَاقٍ ، بَلِ الْأَمْرُ يَنْقَسِمُ ، وَلَفْظُ التَّصَوُّفِ لَا بُدَّ مِنْ شَرْحِهِ أَوَّلاً حَتَّى يَقَعَ

(١) انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢/ ٥٦) .

الْحُكْمُ عَلَى أَمْرٍ مَفْهُومٍ ، لأَنَّه أَمْرٌ مُجْمَلٌ عِنْدِ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ ، فَلْنَرْجِعْ إِلَى مَا قَالَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ . وَحَاصِلُ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ لَفْظُ التَّصوُّف عندهم معنيان :

أحدهما : أَنَّه التَّخَلُّقُ بِكُلِّ خُلُقٍ سَنِيّ ، وَالتَّجَرُّدُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيّ .

وَالْآخَرُ : أَنَّه الْفَنَاءُ عَنْ نَفْسِهِ ، والبقاء بربِّه .

وهما في التَّحقيق يرجعان إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا يَصْلُحُ التَّعْبِيرُ بِهِ عَنِ الْبِدَايَةِ ، وَالْآخِرَ يَصْلُحُ التَّعْبِيرُ بِهِ عَن النِّهَايَةِ ، وَكِلَاهُمَا اتِّصَافٌ ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ لَا يُلْزِمُهُ الْحَالُ ، وَالثَّانِي يُلْزِمُهُ الْحَالُ ، وقد يعتبر فيهما بلحظ آخَرَ ، فَيَكُونُ الْأَوَّلُ عَمَلاً تَكْلِيفِيّاً ، وَالثَّانِي نَتِيجَتَهُ ، وَيَكُونُ الْأَوَّلُ اتِّصَافَ الظَّاهِرِ ، وَالثَّانِي اتِّصَافَ الْبَاطِنِ ، وَمَجْمُوعُهُمَا هُوَ التَّصَوُّفُ .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَالتَّصَوُّفُ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ لَا بِدْعَةَ فِي الْكَلَامِ فِيهِ ، لأَنَّه إِنَّما يرجع إلى التفقُّه الذي يَنْبَنِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، وَتَفْصِيلُ آفَاتِهِ وَعَوَارِضِهِ ، وَأَوْجُهِ تَلَافِي الْفَسَادِ الْوَاقِعِ فِيهِ بِالْإِصْلَاحِ ، وَهُوَ فِقْهٌ صَحِيحٌ ، وَأُصُولُهُ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ظَاهِرَةٌ ، فَلَا يُقَالُ فِي مَثَلِهِ بِدْعَةٌ " [١] .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمَّد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " الفصل السَّابع عشر في علم التَّصوُّف : هذا العلم من العلوم الشَّرعيَّة الحادثة في الملّة ، وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمَّة وكبارها من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدُّنيا وزينتها ، والزُّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذَّة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عامَّاً في الصَّحابة والسَّلف . فلمَّا فشا الإقبال على الدُّنيا في القرن الثَّاني وما بعده ، وجنح النَّاس إلى مخالطة الدُّنيا ، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصُّوفيَّة والمتصوِّفة " [٢] .

فالتَّصوُّف طريق الحقّ والهداية ، سار عليه سلف الأمَّة وكبارها من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم ، وأصله العُكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدُّنيا وزينتها ، والتَّخلِّي عن

---

[١] انظر : الاعْتِصَام (١/ ٣٥٢) .

[٢] انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (١/ ٦١١) .

الأخلاق الدَّنيَّة ، والتَّحلِّي بالأخلاق السَّنيَّة ، فالمتصوِّفة يهتمُّون ويدأبون لتحقيق مقام الإحسان الذي عبَّر عنه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " أن تعبد الله كأنَّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك " (١) .

فالتَّصوُّف طريق إلى معرفة الله والعلم به ، من خلال الاجتهاد في تربية النَّفس وتدريبها على الزُّهد والتَّقشُّف ، والقيام بالعبادات واجتناب المنهيَّات ، وتحلية النَّفس بالأخلاق الحسنة ، وتجنيبها الأخلاق السيِّئة للوصول إلى الكمال الإيماني ، وقد شهد بذلك الإمام ابن تيمية ، فقال : " ... الصُّوفِيُّ " مَنْ صَفَا مِنْ الْكَدَرِ ، وَامْتَلأَ مِنْ الْفِكْرِ ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْحَجَرُ . التَّصَوُّفُ كِتْمَانُ الْمَعَانِي ، وَتَرْكُ الدَّعَاوَى ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ : وَهُمْ يَسِيرُونَ بِالصُّوفِيِّ إلَى مَعْنَى الصِّدِّيقِ ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ الصِّدِّيقُونَ . كَمَا قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] ، وَلِهَذَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ الصُّوفِيِّ ؛ لَكِنْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنْ الصِّدِّيقِينَ فَهُوَ الصِّدِّيقُ الَّذِي اخْتَصَّ بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي اجْتَهَدُوا فِيهِ ، فَكَانَ الصِّدِّيقُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، كَمَا يُقَالُ : صِدِّيقُو الْعُلَمَاءِ وَصِدِّيقُو الْأُمَرَاءِ ، فَهُوَ أَخَصُّ مِنْ الصِّدِّيقِ الْمُطْلَقِ وَدُونَ الصِّدِّيقِ الْكَامِلِ الصديقية مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ . فَإِذَا قِيلَ عَنْ أُولَئِكَ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ الْبَصْرِيِّينَ : أَنَّهم صِدِّيقُونَ فَهُوَ كَمَا يُقَالُ عَنْ أَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ : أَنَّهم صِدِّيقُونَ أَيْضاً كُلٌّ بِحَسَبِ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ مِنْ طَاعَةِ اللهَّ وَرَسُولِهِ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنْ أَجَلِ الصِّدِّيقِينَ بِحَسَبِ زَمَانِهِمْ ، فَهُمْ مِنْ أَكْمَلِ صِدِّيقِي زَمَانِهِمْ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ أَكْمَلُ مِنْهُمْ ، وَالصِّدِّيقُونَ دَرَجَاتٌ وَأَنْوَاعٌ ؛ وَلِهَذَا يُوجَدُ لِكُلِّ مِنْهُمْ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنف (١١/ ٥ برقم ٣٠٩٤٥) ، إسحاق بن راهويه في المسند (١/ ٢٠٩ برقم ١٦٥) ، أحمد بن حنبل في المسند (١/ ٥١ برقم ٣٦٧) ، البخاري (١/ ١٩ برقم ٥٠) ، مسلم (١/ ٣٦ برقم ١) ، ابن ماجه (١/ ٢٤ برقم ٣٦) ، أبو داود (٤/ ٢٢٣ برقم ٤٦٩٥) ، الترمذي (٤/ ٣٠٣ برقم ٢٦١٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، البزار (٩/ ٤١٩ برقم ٤٠٢٥) ، محمَّد بن نصر المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصَّلاة (١/ ٣٦٧ برقم ٣٦٣) ، النسائي في الصغرى (٨/ ٩٧ برقم ٤٩٩٠) ، ابن خزيمة في الصحيح (٤/ ٥ برقم ٢٢٤٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٣٧٥ برقم ١٥٩) ، الآجري في الشريعة (٢/ ٥٦٨ برقم ٢٠٥) ، ابن منده في الإيمان (١/ ١١٦ برقم ١) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٤/ ٦٤٧ برقم ١٠٣٧) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٨٣) ، البيهقي في الآداب (ص٣٣٣ برقم ٨٢٥) ، الأسماء والصفات (١/ ٤٦٦ برقم ٣٩٥) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٨٥) ، القضاء والقدر (ص١٨٨ برقم ١٨١) .

صِنْفٌ مِنْ الْأَحْوَالِ وَالْعِبَادَاتِ حَقَّقَهُ وَأَحْكَمَهُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الصِّنْفِ أَكْمَلَ مِنْهُ ، وَأَفْضَلَ مِنْهُ " (١) .

وقال الإمام ابن قيّم الجوزيَّة : " ... وَهَذِهِ الشَّطَحَاتُ أَوْجَبَتْ فِتْنَةٌ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنَ النَّاس . إِحْدَاهُمَا حُجِبَتْ بِهَا عَنْ مَحَاسِنِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَلُطْفِ نُفُوسِهِمْ ، وَصِدْقِ مُعَامَلَتِهِمْ ، فَأَهْدَرُوهَا لِأَجْلِ هَذِهِ الشَّطَحَاتِ ، وَأَنْكَرُوهَا غَايَةَ الْإِنْكَارِ . وَأَسَاءُوا الظَّنَّ بِهِمْ مُطْلَقاً ، وَهَذَا عُدْوَانٌ وَإِسْرَافٌ . فَلَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ أَخْطَأَ أَوْ غَلِطَ تُرِكَ جُمْلَةً ، وَأُهْدِرَتْ مَحَاسِنُهُ ، لَفَسَدَتِ الْعُلُومُ وَالصِّنَاعَاتُ ، وَالْحُكْمُ ، وَتَعَطَّلَتْ مَعَالِمُهَا .

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ : حُجِبُوا بِمَا رَأَوْهُ مِنْ مَحَاسِنِ الْقَوْمِ ، وَصَفَاءِ قُلُوبِهِمْ ، وَصِحَّةِ عَزَائِمِهِمْ ، وَحُسْنِ مُعَامَلَاتِهِمْ عَنْ رُؤْيَةِ عُيُوبِ شَطَحَاتِهِمْ ، وَنُقْصَانِهَا . فَسَحَبُوا عَلَيْهَا ذَيْلَ الْمَحَاسِنِ . وَأَجْرَوْا عَلَيْهَا حُكْمَ الْقَبُولِ وَالِانْتِصَارِ لَهَا ، وَاسْتَظْهَرُوا بِهَا فِي سُلُوكِهِمْ .

وَهَؤُلَاءِ أَيْضاً مُعْتَدُونَ مُفْرِطُونَ .

وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ : - وَهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ - الَّذِينَ أَعْطَوْا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَأَنْزَلُوا كُلَّ ذِي مَنْزِلَةٍ مَنْزِلَتَهُ ، فَلَمْ يَحْكُمُوا لِلصَّحِيحِ بِحُكْمِ السَّقِيمِ الْمَعْلُولِ ، وَلَا لِلْمَعْلُولِ السَّقِيمِ بِحُكْمِ الصَّحِيحِ " (٢) .

وقال في ثنائه على الإمام الجُنيد : " فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، مَا أَتْبَعُهُ لِسُنَّةِ الرَّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَمَا أَقْفَاهُ لِطَرِيقَةِ أَصْحَابِهِ " (٣) .

وقال عن تواجد الصُّوفيَّة : " فَالتَّوَاجُدُ : اسْتِدْعَاءُ الْوَجْدِ بِنَوْعِ اخْتِيَارٍ وَتَكَلُّفٍ ، وَلَيْسَ لِصَاحِبِهِ كَمَالُ الْوَجْدِ ، إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ لَكَانَ وَجْداً ، وَبَابُ التَّفَاعُلِ يَنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ مَبْنَاهُ عَلَى إِظْهَارِ الصِّفَةِ ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ ، كَمَا قِيلَ : إِذاً تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ . وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاس فِي التَّوَاجُدِ : هَلْ يَسلَمُ لِصَاحِبِهِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ١٦-١٧) .

(٢) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠) .

(٣) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١١٨) .

، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : لَا يَسْلَمُ لِصَاحِبِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ وَإِظْهَارِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ، وَقَوْمٌ قَالُوا : يَسْلَمُ لِلصَّادِقِ الَّذِي يَرْصُدُ لِوِجْدَانِ الْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ ، كَمَا قَالَ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " ابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا " (١) .

وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّ صَاحِبَ التَّوَاجُدِ إِنْ تَكَلَّفَهُ لِحَظٍّ وَشَهْوَةِ نَفْسٍ : لَمْ يَسْلَمْ لَهُ ، وَإِنْ تَكَلَّفَهُ لِاسْتِجْلَابِ حَالٍ ، أَوْ مَقَامٍ مَعَ اللهِ : سَلِمَ لَهُ ، وَهَذَا يُعْرَفُ مِنْ حَالِ الْمُتَوَاجِدِ ، وَشَوَاهِدِ صِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ فتاوى الإمام ابن تيمية قد اشتملت على مجلَّدين اثنين للتَّصوُّف ، وقد أخبرني بعض الإخوة أنَّ الطبعة الأخيرة لفتاوى ابن تيمية قد خلت منهما ، بمعنى : أنَّ العابثون المتمسلفون قاموا بحذفهما من الفتاوى ...

وعلى كلِّ حال ... فقد كان في طليعة من أرسى قواعد التَّصوُّف ، وأقام أركانه : الإمام الحسن البصري ، قال الإمام محمَّد بن علي بن عطيَّة الحارثي المشهور بأبي طالب المكِّي : " وكان الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوَّل من أنهج سبيل هذا العلم ، وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، وأظهر أنواره ، وكشف به قناعه " (٣) .

والتَّصوُّف قائم على الاتِّباع ، بمعنى أنَّ الصُّوفيَّة متَّبعين للكتاب والسُّنَّة لا مبتدعين ، ومن مبادئهم أنَّ التَّصوُّف قائم على : الاجتماع ، فالاستماع ، فالاقتناع ، فالاتِّباع ، فالاندفاع ... وأُصولهم قائمة على سبعة أُمور ، قال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السّلمي (٤١٢هـ) : " قَالَ سهل : أصولنا سَبْعَة أَشْيَاء : التَّمَسُّك بِكِتَاب الله تَعَالَى ، والاقتداء بِسنة رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأكل الْحَلَال ، وكفّ الْأَذَى ، وَاجْتنَاب الآثام ، وَالتَّوْبَة ، وَأَدَاء الْحُقُوق " (٤) .

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١/ ٤٢٤ برقم ١٣٣٧) ، البزار (٤/ ٦٩ برقم ١٢٣٥) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٤٧٣ برقم ٣٨٨١) ، الشهاب القضاعي في المسند (٢/ ٢٠٨ برقم ١١٩٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩١ برقم ٢١٠٥٨) ، شعب الإيمان (٣/ ٤١٠ برقم ١٨٩١) ، عبد الله بن المبارك في الزهد (٢/ ٨٥ برقم ٢٩٥) .

(٢) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٨١) .

(٣) انظر : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١/ ٢٥٨) .

(٤) انظر : طبقات الصوفية ، السلمي (ص١٧٠) .

وقَالَ أَبُو الْحُسَيْن الورَّاق : " لَا يصل العَبْد إِلَى الله إِلَّا بِاللهَّ وبموافقة حَبِيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شرائعه ، وَمن جعل الطَّرِيق إِلَى الْوُصُول فِي غير الِاقْتِدَاء يضلُّ من حَيْثُ يظنّ أَنَّه مهتد ... الصدْق : استقامة الطَّرِيقَة فِي الدِّين ، وَاتِّبَاع السّنة فِي الشَّرْع " [1] .

فالتَّصوُّف مبني على التَّمَسُّك بِكِتَاب الله تَعَالَى ، والاقتداء بِسنة رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونبذ كلِّ ما خالفهما ... قال الإمام ابن عجيبة : " كان الشَّيْخ أبو الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : إذا عارض كشفك الصَّحيح الكتاب والسُّنَّة فاعمل بالكتاب والسُّنَّة ودع الكشف ، وقل لنفسك : أنَّ الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسُّنَّة ، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ، ومثل هذا أيضاً قول الجُيد : أنَّ النُّكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف ، فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل : الكتاب والسُّنَّة ، ولا يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها ، فإنَّ العلم واسع " [2] .

والصُّوفيُّ هو الذي يقوم بالواجبات ويجتنب المحرَّمات ، ويترك التَّنعُّم في المأكل والملبس ، ونحو ذلك ... وقد خرج من رحم التَّصوُّف الكثير الكثير من العلماء والأولياء الرَّبانيِّين العالمين العاملين ...

وها هي بعض أقوال العلماء في التَّصوُّف ...

قال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " وَقَدْ قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ مَعَ صَلَابَتِهِ فِي مَذْهَبِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : سَمِعْت الْأُسْتَاذَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ يَقُولُ : أَنَا أَخَذْت هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ النَّصْرَابَاذِيِّ . وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ : أَنَا أَخَذْتهَا مِنْ الشِّبْلِيِّ ، وَهُوَ أَخَذَهَا مِنْ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ ، وَهُوَ مِنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ ، وَهُوَ مِنْ دَاوُد الطَّائِيِّ . وَهُوَ أَخَذَ الْعِلْمَ وَالطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ أَثْنَى عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِفَضْلِهِ . فَعَجَباً لَك يَا أَخِي : أَلَمْ يَكُنْ لَك أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي هَؤُلَاءِ السَّادَاتِ الْكِبَارِ ؟ أَكَانُوا مُتَّهَمِينَ فِي هَذَا الْإِقْرَارِ وَالِافْتِخَارِ ، وَهُمْ أَئِمَّةُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَرْبَابُ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَهُمْ تَبَعٌ ، وَكُلُّ مَا خَالَفَ مَا اعْتَمَدُوهُ مَرْدُودٌ وَمُبْتَدَعٌ . وَبِالْجُمْلَةِ فَلَيْسَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَعِبَادَتِهِ وَعِلْمِهِ وَفَهْمِهِ بِمُشَارَكٍ ، وَمِمَّا قَالَ فِيهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –:

لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... إمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَهْ

---

[1] انظر : طبقات الصوفية ، السلمي (ص٢٣٠) .

[2] انظر : إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ابن عجيبة (ص٢١٩) .

بِأَحْكَـامٍ وَآثَارٍ وَفِقْـهٍ كَآيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى صَحِيفَـــــهْ
فَمَا فِي الْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيـرٌ وَلَا فِي الْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُـــو فهْ
يَبِيتُ مُشَمِّراً سَهرَ اللَّيَـــــالِيَ وَصَامَ نَهَارَهُ للهِ خِيفَـــــهْ
فَمَنْ كَأَبِي حَنِيفَةَ فِــي عُلَاهُ إمَامٌ لِلْخَلِيقَةِ وَالْخَلِيفَـــهْ
رَأَيْت الْعَائِبِينَ لَـــــهُ سَفَاهاً خِلَافَ الْحَقِّ مَعَ حِجَجٍ ضَعِيفَهْ
وَكَيْفَ يَحِلُّ أَنْ يُؤْذَى فَقِيهٌ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ شَرِيفَـــهْ
وَقَدْ قَـــالَ ابْنُ إدْرِيسِ مَقَالاً صَحِيحَ النَّقْلِ فِي حِكَمٍ لَطِيفَـهْ
بِأَنَّ النَّاس فِي فِقْهٍ عِيَـــــالٌ عَلَى فِقْهِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَـــهْ [١]

قال الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) : " حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث : ترك التَّكلُّف ، وعشرة الخلق بالتلطُّف ، والاقتداء بطريق أهل التَّصوُّف " [٢] .

وقال الإمام الشَّافعي أيضاً : " صحبت الصُّوفيَّة ، فلم أستفد منهم سوى حرفين ، أحدهما قولهم : الوقت سيف ، فإن لم تقطعه قطعك ، وذكر الكلمة الأخرى ، و : نفسك إن شغلتها بالحقِّ وإلَّا شغلتك بالباطل " [٣] .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : " وَنَقَلَ إبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَلَانِسِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ (٢٤١هـ) قَالَ عَنْ الصُّوفِيَّةِ : لَا أَعْلَمُ أَقْوَاماً أَفْضَلُ مِنْهُمْ ، قِيلَ : أَنَّهم يَسْتَمِعُونَ وَيَتَوَاجَدُونَ ، قَالَ : دَعُوهُمْ يَفْرَحُونَ مَعَ اللهِ سَاعَةً ، قِيلَ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُغْشَى عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] ، وَلَعَلَّ مُرَادَهُ سَمَاعُ الْقُرْآنِ وَعُذْرُهُمْ لِقُوَّةِ الْوَارِدِ قَالَهُ فِي الْفُرُوعِ " [٤] .

---

[١] انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٦٠-٦٣) .

[٢] انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (١/ ٣٩٤ برقم ١٠٨٩).

[٣] انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء (ص١٥٦) ، تأييد الحقيقة العلية ، السيوطي (ص١٥) ، قيمة الزمن عند العلماء ، عبد الفتاح أبو غدة (ص٢٥) ، المواهب والمنح التي خصَّ الله بها خير البرية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص١٤٥) ، التصوف المفترى عليه (ص٥٠) .

[٤] انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٥/ ١٨٤) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " قَوْلهم فِي الْمذَاهب الشَّرْعِيَّة : أَنَّهم يَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ بالأحوط والأوثق فِيمَا اخْتلف فِيهِ الْفُقَهَاء ، وهم مَعَ إِجْمَاع الْفَرِيقَيْنِ فِيمَا أمكن ، ويرون اخْتِلَاف الْفُقَهَاء صَوَاباً ، وَلَا يعْتَرض الْوَاحِد مِنْهُم على الآخر ، وكل مُجْتَهد عِنْدهم مُصِيب ، وكلُّ من اعْتقد مذهباً فِي الشَّرْع وَصَحَّ ذَلِك عِنْده بِمَا يَصح مثله مِمَّا يدل عَلَيْهِ الْكتاب والسُّنَّة وَكَانَ من أهل الاستنباط فَهُوَ مُصِيب باعتقاده ذَلِك ، وَمن لم يكن من أهل الاِجْتِهَاد أخذ بقول من أفتاه مِمَّن سبق الى قلبه من الْفُقَهَاء أَنَّه اعْلَم وَقَوله حجَّة لَهُ " (١) .

وفي كلامه على فِرق أهل السُّنَّة والجماعة ، قال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) : " اعلموا أسعدكم الله أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثمانية أصناف من النَّاس : ... والصِّنف السَّادس منهم : الزُّهَّاد الصُّوفيَّة الذين أبصروا فأقصروا ، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور ، وعلموا أنَّ السَّمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك مسئول عن الخير والشَّر ، ومحاسب على مثاقيل الذَّرّ ، فأعدَّوا خير الإعداد ليوم المعاد ، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رياء ، ولا يتركونه حياء ، دينهم التَّوحيد ونفي التَّشبيه ، ومذهبهم التَّفويض إلى الله تعالى ، والتَّوكُّل عليه والتَّسليم لأمره ، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١] (٢) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " إنِّي علمت يقيناً أنَّ الصُّوفيَّة هم السَّالكون لطريق الله تعالى خاصَّة ، وأنَّ سيرتهم أحسن السَّير ، وطريقهم أصوب الطُّرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشَّرع من العلماء ، ليغيِّروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدِّلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً . فإنَّ جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النُّبوَّة ، وليس وراء نور النُّبوَّة على وجه الأرض نور يُستضاء به .

---

(١) انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٨٤) .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص٣١٣-٣١٧ باختصار) .

وبالجملة ، فماذا يقول القائلون في طريقة ، طهارتها – وهي أوَّل شروطها – تطهير القلب بالكليَّة عمَّا سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجاري منها مجرى التَّحريم من الصَّلاة ، استغراق القلب بالكليَّة بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكليَّة في الله؟! " (١) .

وقال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) : " اعْلَم أَنَّ أَكثر من قصّ فرق الْأمَّة لم يذكر الصُّوفِيَّة ، وَذَلِكَ خطأ ، لِأَنَّ حَاصِل قَول الصُّوفِيَّة أَنَّ الطَّرِيق الى معرفَة الله تَعَالَى هُوَ التَّصفية والتجرُّد من العلائق الْبَدَنِيَّة وَهَذَا طَرِيق حسن وهم فرق ... وهم قوم إِذا فرغوا من أَدَاء الْفَرَائِض لم يشتغلوا بنوافل الْعِبَادَات بل بالفكر وَتَجْرِيد النَّفس عَن العلائق الجسمانيَّة ، وهم يجتهدون أَن لَا يخلو سرَّهم وبالهم عَن ذكر الله تَعَالَى ، وَهَؤُلَاء خير فرق الْآدَمِيّين !!! " (٢) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " فَأَمَرَ الشَّيْخ عَبْدُ الْقَادِرِ وَشَيْخُهُ حَمَّادٌ الدباس وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْمَشَايِخِ أَهْلَ الِاسْتِقَامَةِ – رَضِيَ الله عَنْهُمْ – : بأَنَّه لَا يُرِيدُ السَّالِكُ مُرَاداً قَطُّ ، وأَنَّه لَا يُرِيدُ مَعَ إرَادَةِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ سِوَاهَا ، بَلْ يَجْرِي فِعْلُهُ فِيهِ فَيَكُونُ هُوَ مُرَادُ الْحَقِّ . إنَّما قَصَدُوا بِهِ فِيمَا لَمْ يَعْلَمْ الْعَبْدُ أَمْرَ اللهَّ وَرَسُولِهِ فِيهِ ، فَأَمَّا مَا عَلِمَ أَنَّ اللهَّ أَمَرَ بِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُرِيدَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ ، وَقَدْ صَرَّحُوا بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ مِنْ الغالطين يَرَى الْقِيَامَ بِالْإِرَادَةِ الْخَلْقِيَّةِ هُوَ الْكَمَالُ ، وَهُوَ " الْفَنَاءُ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ " ، وَأَنَّ السُّلُوكَ إذَا انْتَهَى إلَى هَذَا الْحَدِّ فَصَاحِبُهُ إذَا قَامَ بِالْأَمْرِ فَلِأَجْلِ غَيْرِهِ أَوْ أَنَّه لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ ، فَتِلْكَ أَقْوَالٌ وَطَرَائِقُ فَاسِدَةٌ قَدْ تُكُلِّمَ عَلَيْهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقِيمُونَ مِنْ السَّالِكِينَ كَجُمْهُورِ مَشَايِخِ السَّلَفِ : مِثْلِ : الْفُضَيْل بْنِ عِيَاضٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني ، وَمَعْرُوفٍ الْكَرْخِي ، وَالسَّرِيِّ السقطي ، والجُنَيْد بْنِ محمَّد ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَمِثْلِ الشَّيْخ عَبْدِ الْقَادِرِ ، والشَّيْخ حَمَّادٍ ، والشَّيْخ أَبِي الْبَيَانِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ . فَهُمْ لَا يُسَوِّغُونَ لِلسَّالِكِ وَلَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيَّيْنِ ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الْمَأْمُورَ ، وَيَدَعَ الْمَحْظُورَ إلَى أَنْ يَمُوتَ . وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ والسُّنَّة وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ . وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ " (٣) .

---

(١) انظر : المنقذ من الضَّلال (ص١٧٧–١٧٨) .

(٢) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١١٥–١١٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١٠/ ٥١٦–٥١٧) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) – أيضاً – : " وَلِهَذَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ الصُّوفِيِّ ؛ لَكِنْ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنْ الصِّدِّيقِينَ فَهُوَ الصِّدِّيقُ الَّذِي اخْتَصَّ بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي اجْتَهَدُوا فِيهِ فَكَانَ الصِّدِّيقُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقِ كَمَا يُقَالُ : صِدِّيقُو الْعُلَمَاءِ وَصِدِّيقُو الْأُمَرَاءِ فَهُوَ أَخَصُّ مِنْ الصِّدِّيقِ الْمُطْلَقِ وَدُونَ الصِّدِّيقِ الْكَامِلِ الصديقية مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ . فَإِذَا قِيلَ عَنْ أُولَئِكَ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ الْبَصْرِيِّينَ : إنَّهُمْ صِدِّيقُونَ فَهُوَ كَمَا يُقَالُ عَنْ أَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إنَّهُمْ صِدِّيقُونَ أَيْضاً كُلٌّ بِحَسَبِ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ وَقَدْ يَكُونُونَ مِنْ أَجَلِّ الصِّدِّيقِينَ بِحَسَبِ زَمَانِهِمْ فَهُمْ مِنْ أَكْمَلِ صِدِّيقِي زَمَانِهِمْ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ أَكْمَلُ مِنْهُمْ وَالصِّدِّيقُونَ دَرَجَاتٌ وَأَنْوَاعٌ؛ وَلِهَذَا يُوجَدُ لِكُلِّ مِنْهُمْ صِنْفٌ مِنْ الْأَحْوَالِ وَالْعِبَادَاتِ حَقَّقَهُ وَأَحْكَمَهُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الصِّنْفِ أَكْمَلَ مِنْهُ وَأَفْضَلَ مِنْهُ " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " فَطَائِفَةٌ ذَمَّتْ " الصُّوفِيَّةَ وَالتَّصَوُّفَ " ، وَقَالُوا : إنَّهُمْ مُبْتَدِعُونَ خَارِجُونَ عَنْ السُّنَّةِ وَنُقِلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ مِنْ الْكَلَامِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَتَبِعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ. وَطَائِفَةٌ غَلَتْ فِيهِمْ وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْمَلُهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَكِلَا طَرَفَيْ هَذِهِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ. وَ " الصَّوَابُ " أَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَمَا اجْتَهَدَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ فَفِيهِمْ السَّابِقُ الْمُقَرَّبُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ وَفِيهِمْ الْمُقْتَصِدُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ وَفِي كُلٍّ مِنْ الصِّنْفَيْنِ مَنْ قَدْ يَجْتَهِدُ فَيُخْطِئُ وَفِيهِمْ مَنْ يُذْنِبُ فَيَتُوبُ أَوْ لَا يَتُوبُ. وَمِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَيْهِمْ مَنْ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ عَاصٍ لِرَبِّهِ ، وَقَدْ انْتَسَبَ إلَيْهِمْ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّنْدَقَةِ " (٢) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) – أيضاً –: " فَإِنَّ " أَعْمَالَ الْقُلُوبِ " الَّتِي يُسَمِّيهَا بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ أَحْوَالاً وَمَقَامَاتٍ أَوْ مَنَازِلَ السَّائِرِينَ إلَى اللَّهِ أَوْ مَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهَا مِمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ مِنْ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ وَفِيهَا مَا أَحَبَّهُ وَلَمْ يَفْرِضْهُ فَهُوَ مِنْ الْإِيمَانِ الْمُسْتَحَبِّ فَالْأَوَّلُ لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهُ وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ الْأَبْرَارِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَمَنْ فَعَلَهُ وَفَعَلَ الثَّانِيَ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ وَذَلِكَ مِثْلُ حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَلْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا بَلْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ١٧) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ١٧–١٨) .

أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَمِثْلَ خَشْيَةِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ خَشْيَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَرَجَاءِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ رَجَاءِ الْمَخْلُوقِينَ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ دُونَ الْمَخْلُوقِينَ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ مَعَ خَشْيَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢ – ٣٣] ، وَمِثْلَ الْحُبِّ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ وَالْمُوَالَاةِ للهِ وَالْمُعَادَاةِ للهِ " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) – أيضاً – : " وَأَمَّا جُمْهُورُ الْأُمَّةِ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ فَعَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَمَا جَاءَ عَنْهُمْ مِنْ الْكُتُبِ وَالْأَثَارَةِ مِنْ الْعِلْمِ وَهُمْ الْمُتَّبِعُونَ لِلرِّسَالَةِ اتِّبَاعاً مَحْضاً لَمْ يَشُوبُوهُ بِمَا يُخَالِفُهُ ... " (٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب السُّبكي (٧٧١هـ) : في كتابه " مُعيد النِّعم ومبيد النِّقم " تحت عنوان : الصُّوفيَّة : " حيَّاهم الله وبيَّاهم ، وجمعنا في الجنَّة نحن وإيَّاهم . وقد تشعَّبت الأقوال فيهم تشعُّباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبِّسين بها ، بحيث قال الشَّيْخ أبو محمَّد الجُويني : لا يصحُّ الوقف عليهم لأنَّه لا حدَّ لهم . والصَّحيح صحَّته ، وأنَّهم المعرضون عن الدُّنيا ، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة ، ومن ثمَّ قال الجُنَيْدُ : التَّصَوُّفِ اسْتِعْمَالُ كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، وَتَرْكُ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ ... وكان الشَّيْخ الإمام يقول : الصُّوفيُّ من لزم الصِّدق مع الحقِّ ، والخُلُقَ مع الخَلقِ ، ويُنشد :

تنازع النَّاس في الصُّوفيِّ واختلفوا وظنــــــَّه البعض مشتقاً من الصُّوفِ
ولست أمنـــــــح هذا الاسم غير فتىً صفا فصُوفيَ حتــى سُمّي الصُّوفي

... والحاصل أنَّهم أهل الله وخاصَّته ، الذين تُرتجى الرَّحمة بذكرهم ، ويُستنزل الغيث بدعائهم ، فرضي الله عنهم وعنَّا بهم " (٣) .

وقال الإمام (٧٩٥هـ) : " قال الحافظ الضِّياء المقدسي : أَخْبَرَنَا أَبُو الفضل عبد الواحد بن سلطان ببغداد ، أخبرنا محمَّد المقرىء ، أجاز لهم ، وأنشدنا لنفسه :

ترك التكلُّف في التَّصوُّف واجب ومن المحال تكلُّف الفقـــــراء

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٠-١٩١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦) .

(٣) انظر : مُعيد النعم ومبيد النقم (ص١١٩-١٢٠) .

قومٌ إذا امتدَّ الظَّلام رأيتـــــهم	يتركَّعون تركُّع القـــــــــرَّاء
والوجْدُ منهم في الوجوه محلـه	ثمَّ السَّماع يحلّ في الأعضـــــاء
لا يرفعـــون بذاك صوتـاً مجهراً	يتجنَّبـون مواقـع الأهواء
ويواصلون الدَّهر صوماً دائمـاً	في البأس إن يأتي وفي السَّراء
وتراهم بين الأنـــــام إذا أتوا	مثل النُّجوم الغرِّ في الظَّلمــــاء
صدقت عزائمهم وعزَّ مرامـهم	وعلت منـازلهم على الجوزاء
صدقوا الإله حقيقة وعزيمـة	ورمحوا حقوق الله في الآنـاء
والرَّقص نقص عندهم في عقدهم	ثمَّ القضيب بغير ما إخفـــاء
هذا شعار الصَّالحين ومن مضـى	من سادة الزهَّاد والعلمـاء
فإذا رأيت مخالفاً لفعـــــــــالهم	فاحكم عليــه بمعظم الإغواء (١)

وقال الإمام علي بن محمَّد بن علي الزين الشَّريف الجرجاني (٨١٦هـ) : " التَّصوُّف : مذهب كلُّه جدٌّ ، فلا يخلطونه بشيء من الهزل . وقيل : تصفية القلب عن موافقة البريَّة ، ومفارقة الأخلاق الطبيعيَّة ، وإخماد صفات البشريَّة ، ومجانبة الدَّعاوى النَّفسانيَّة ، ومنازلة الصِّفات الرُّوحانيَّة ، والتعلُّق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ما هو أولى على السَّرمديَّة ، والنُّصح لجميع الأمَّة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشَّريعة " (٢) .

وبرغم ما بيَّناه وقدَّمناه من حقائق عن الصُّوفيَّة والتَّصوُّف أبى الوهَّابيَّةُ مدَّعو السَّلفيَّة إلَّا أن يتَّهموا الصُّوفيَّة بأنَّها المعول الذي هدم به اليهودُ والفُرسُ صرحَ الإسلام العظيم ، وأنَّ الصُّوفيَّة هم من مكَّنوا المستعمر من بلاد المسلمين في غير بلد من بلادهم ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب : " المجموع المفيد من عقيدة التَّوحيد " : " إنَّ هذه الطُّرق الصُّوفيَّة المنتشرة في النَّاس للدَّجل والدَّجالين هي المعول الذي هدم به اليهود والفُرس صرح الإسلام ، وهي اليد الأثيمة التي مزَّقت الإسلام ، وأنَّ شيوخ الطُّرق الصُّوفيَّة هم الذين يمكِّنون للمستعمرين في مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والهند ، وفي السُّودان ، وفي مصر ، وفي كلِّ مكان ، أيها المسلمون : لا ينفع

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٧-١٨) .

(٢) انظر : كتاب التعريفات (ص٥٩) .

إسلامكم إلَّا إذا أعلنتم الحرب الشَّعواء على هذه الطُّرق ، وقضيتم عليها فأخرجتموها من بين جنوبكم ، ومن قلوبكم ، ومجالسكم ، ومجامعكم ، ومساجدكم ، وزواياكم ، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود !!! فإنَّها روح اليهوديَّة والمجوس تغلغلت في جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته " (١) .

وللردِّ على هذا المتعالم الجاهل الغافل المتغافل نقول : أمَّا ما زعمته من تمكين الصُّوفيَّة للمستعمرين في بلاد المسلمين ، فيكفي في الردِّ عليه أنَّ الجميع يشهد بجهاد الصُّوفيَّة في مختلف الأعصار والأمصار ، وهنا سأذكِّر بباقة صغيرة من جهاد بعض أقطاب الصُّوفيَّة ، فأقول : ذكر المؤرِّخون أنَّ إمام المتصوِّفين إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) كان من المرابطين في الثُّغور ، ومات فيها ، قال ابن كثير : " وذكروا أنَّه توفِّي في جزيرة مِنْ جَزَائِرِ بَحْرِ الرُّومِ وَهُوَ مُرَابِطٌ " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي عن شقيق البلخي (١٩٤هـ) : " وَرَوَى محمَّد بنُ عِمْرَانَ ، عَنْ حَاتِمٍ الأَصَمِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ شَقِيْقٍ وَنَحْنُ مُصَافُّو العَدُوِّ التُّرْكِ ، فِي يَوْمٍ لاَ أَرَى إِلاَّ رُؤُوْساً تَنْدُرُ ، وَسُيُوْفاً تَقْطَعُ ، وَرِمَاحاً تَقْصِفُ ، فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ ، هِيَ مِثْلُ لَيْلَةِ عُرْسِكَ ؟

قُلْتُ : لاَ وَالله . قَالَ : لَكِنِّي أَرَى نَفْسِي كَذَلِكَ . ثمَّ نَام بَيْنَ الصَّفَّيْنِ عَلَى دَرَقَتِهِ ، حَتَّى غَطَّ ، فَأَخَذَنِي تُرْكِيٌّ ، فَأَضْجَعَنِي لِلذَّبْحِ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطْلُبُ السِّكِّينَ مِنْ خُفِّهِ ، إِذْ جَاءهُ سَهْمٌ عَائِرٌ ذَبَحَهُ ... وَقُتِلَ شَقِيْقٌ فِي غَزَاةِ كُوْلاَنَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَمائَةٍ " (٣) .

وقال الإمام ابن العماد العَكري الحنبلي عن حاتم الأصم (٢٣٧هـ) : " مات عند رباط يقال له : رأس سرود على جبل فوق واشجرد " (٤) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي في ترجمة محمَّد بن إبراهيم أبو حمزة الصُّوفي : " كان لأبي حمزة مهر قد ربَّاه ، وكان يحبُّ الغزو ، وكان يركب المهر ويخرج عليه " (٥) .

---

(١) انظر : المجموع المفيد من عقيدة التوحيد (ص٥٥) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٠/ ١٥٤) ، دار إحياء التراث العربي .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٤-٣١٦) .

(٤) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٦٩) .

(٥) انظر : تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٤) .

وقال أحمد أمين عن الشَّيْخ محي الدِّين بن عربي (٦٣٨هـ) : " أُثر عنه أنَّه كان خلال الحروب الصَّليبيَّة يحرِّض المسلمين على الجهاد ومقاومة الغزاة الصَّليبيِّين " (١) .

وجاء في كتاب الوصايا لابن عربي : " وعليك بالجهاد الأكبر فإنَّه أكبر أعدائك ، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك ، فإنَّه بين جنبيك ، والله يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣] ، ... فإنَّك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قتلت فيه كنت من الشُّهداء الأحياء الذين عند ربِّهم يُرزقون... " (٢) .

وأين أنتم من السُّلطان الصُّوفي محمَّد الفاتح (١٤٨١م) ، الماتريدي العقيدة ، فاتح القسطنطينيَّة ، الذي امتدحه سيِّد الخلق محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا ، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ " (٣) .

وأين أنتم من الإمام الصُّوفي العزّ بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، الذي كان له دورٌ مشكورٌ في هزيمة التَّتار ، قال الإمام السُّيوطي : " ولبس خرقة التَّصوُّف من الشِّهاب السَّهروردي " (٤) .

وأين أنتم من السُّلطان الصُّوفي الأشعري صلاح الدِّين الأيُّوبي (١١٩٣م) محرِّر الأقصى من يد الصَّليبيين ، وقاهرهم ...

ومنهم الإمام علي بن ميمون (٩١٧هـ) ، قال عنه الإمام ابن العماد العَكري الحنبلي : " واشتغل بالعلم ودرَّس ، ثمَّ ولي القضاء ، ثمَّ ترك ذلك ولازم الغزو على السَّواحل ، وكان رأس العسكر " (٥) .

وماذا تقولون عن الأمير عبدالقادر الجزائري الصُّوفي الأشعري (١٨٤٧م) ، قائد الثَّورة الجزائريَّة ضدَّ الاحتلال الفرنسي...

---

(١) انظر : ظهر الإسلام (٤/ ٢٢٢) .

(٢) انظر : الوصايا (ص٤٩) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٢٨٧ برقم ١٨٩٥٧) .

(٤) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٣١٥) .

(٥) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ١١٧) .

وماذا عن البطل المجاهد الشَّهيد عمر المختار (١٩٣١م) الصُّوفي الزَّاهد قائد الثَّورة الليبيَّة ضدَّ الطِّليان ؟!!!

وماذا عن الشَّيْخ محمَّد بدر الدِّين الحسني (١٩٣٥م) الصُّوفي ، قال الزّركلي في ترجمته له : " لما قامت الثَّورة على الاحتلال الفرنسي في سوريَّة ، كان الشَّيْخ يطوفُ المدن السوريَّة ، متنقِّلاً من بلدة إلى أخرى ، حاثاً على الجهاد ، وحاضَّاً عليه ، يقابل الثَّائرين ، ويغذِّيهم برأيه ، وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أباً روحيَّاً للثَّورة والثَّائرين المجاهدين " (١) .

وماذا ، وماذا ، وماذا ... فهل عندكم ردٌّ ؟!!!! وكيف لكم الردُّ ، وأنتم غارقون في بحار التَّقليد والتَّبعيَّة ... وفي هذا المعنى صنَّف الأستاذ أسعد الخطيب كتاباً طيِّباً بعنوان : " البطولة والفداء عند الصُّوفيَّة ، دراسة تاريخيَّة " ، وهو كتاب طيِّب ، ننصح من أراد الاستزادة في جهاد السَّادة الصُّوفيَّة بقراءته والاطلاع عليه ...

ثمَّ ما هي بطولات وتضحيات الوهَّابيَّة ؟!!! ما هي البلاد التي فتحتموها فأدخلتموها إلى حظيرة الإسلام والمسلمين ؟!!! ما هي أعمـــالكم الخالدة التي كتبها لكم التَّاريخ ؟!!! فهل من جواب ؟!!!

إنَّ الجواب لمن أراده موجود في كتاب عالمهم : عثمان بن عبدالله بن بشر النَّجدي الحنبلي ، " عنوان المجد في تاريخ نجد " ، فقد ذكر فيه من الفضائع والشَّنائع ، والمصائب والمعاطب التي قامت بها هذه الشِّرذمة ضدَّ أُمة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا يندى له الجبين ...

وفي هذا المعنى يقول الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " وَاعْلَمُوا رحمكم الله أَنَّ جَمِيع فرق الضَّلَالَة لم يجر الله على أَيْديهم خيراً ، وَلَا فتح بهم من بِلَاد الْكفْر قَرْيَة ، وَلَا رفع لِلْإِسْلَام راية ، وَمَا زَالُوا يسعون فِي قلب نظام الْمُسلمين ، ويفرِّقون كلمة الْمُؤمنِينَ ، ويسلُّون السَّيْف على أهل الدِّين ، ويسعون فِي الأَرْض مفسدين . أمَّا الْخَوَارِج والشِّيعة فَأَمرهمْ فِي هَذَا الشَّهْر من أَن يتَكَلَّف ذكره ... " (٢) .

قلت : وكأنَّ ابن حزم في كلامه هذا يتكلَّم عن متمسلفة هذا الزَّمان ، الذين لم يجر الله تعالى على أيديهم خيراً ، بل ما جرُّوا على الأُمَّة إلَّا المعاطب والمصائب والتَّنفير والتَّكفير ، والويلات وصنوف عديدة من الإساءات ...

---

(١) انظر : الأعلام (٧/ ١٥٨) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧١) .

أمَّا عن دعوة الغِرّ سالف الذِّكر إلى إعلان الحرب على الصُّوفيَّة قبل مُحاربة اليهود ، فهذه شنشنة نعرفها من أحزم !!! فقد سبق لأسلافه أن قتلوا المؤمنين ركَّعاً وسجَّداً بلا أدنى درجة من مخافة لله ربِّ العالمين ... وما هو مسطَّر من طامَّاتهم في " عنوان المجد في تاريخ نجد " عنكم ببعيد ... فهم لا يتورَّعون البتَّة ولا يُبالون أبداً في تكفير من ناوأهم وفي هذا المعنى اتَّهمت اللجنة الدَّائمة الصُّوفيَّة بالشِّرك ، وحذَّرت النَّاس منهم ، فقالت : " ونحذِّركم ما أحدث أهل الطُّرق من تصوُّفٍ مدخول ، وأوراد مبتدعة ، وأذكار غير مشروعة ، وأدعية فيها شرك بالله أو ما هو ذريعة إليه ، كالاستغاثة بغير الله ، وذكره بالأسماء المفردة ، وذكره بكلمة آه ، وليست من أسمائه سبحانه ، وتوسُّلهم بالمشايخ في الدُّعاء ، واعتقاد أنَّهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكنُّه ، وذكرهم الله ذكراً جماعيّاً بصوت واحد في حلقات مع ترنُّحات وأناشيد ، إلى غير ذلك ممَّا لا يُعرف في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

وهنا أقول لأعضاء اللجنة الدَّائمة : من هو الذي جاء بالأوراد المبتدعة : الصُّوفيَّة أم ابن تيمية ؟!!! إن كان الجواب لا يحضركم ، فأنا أذكِّركم ببعض !!! ما قاله ابن تيمية ، ووافقه عليه تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة من أوراد لا يوجد مضمونها في أيٍّ من دواوين السُّنَّة ، من ذلك :

قال الإمام ابن القيِّم : " وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله يَقُولُ : مَنْ وَاظَبَ عَلَى " يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " كَلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَحْيَى الله بِهَا قَلْبَهُ " (٢) .

مع أنَّ هذا الكلام لم يأت – بحسب علمي – مضمونه في أيٍّ من دواوين السُّنَّة ...

وقال ابن القيِّم أيضاً : " ... وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ الله رُوحَهُ شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدًّا ، وَقَالَ لِي يَوْماً : لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ ، وَهُمَا : الْحَيُّ الْقَيُّومُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ وَاظَبَ عَلَى أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ " (٣) .

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٩٢-٢٩٣) .

(٢) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٤٨) .

(٣) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٦) .

وقال الإمام البزَّارُ في كلامه عن ابن تيمية : " ... وَكَانَ قد عرفت عَادَته لَا يكلمهُ أُحْدُ بِغَيْر ضَرُورَة بعد صَلَاة الْفجْر ، فَلَا يزَال فِي الذّكر يسمع نَفسه ، وَرُبمَا يَسمع ذكره من إِلَى جَانِبه مَعَ كَونه فِي خلال ذَلِك يكثر من تقليب بَصَره نَحْو السَّمَاء ، هَكَذَا دأبه حَتَّى ترْتَفع الشَّمْس وَيَزُول وَقت النَّهْي عَن الصَّلاة ، وَكنت مُدَّة اقامتي بِدِمَشْق ملازمه جلّ النَّهَار وَكثيراً من اللَّيْل ، وَكَانَ يدنيني مِنْهُ حَتَّى يُجلسني إِلَى جَانِبه ، وَكنت أسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر حِينَئِذٍ ، فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويكرِّرها وَيقطع ذَلِك الْوَقْت كُله ، أعني من الْفجْر إِلَى ارْتِفَاع الشَّمْس فِي تكْرِير تلاوتها ، ففكَّرت فِي ذَلِك لِمَ قد لزم هَذِه السُّورَة دون غَيرهَا ، فَبَان لي وَالله أعْلَم أَنَّ قَصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حِينَئِذٍ بَين مَا ورد فِي الأَحاديث وَمَا ذكره الْعلمَاء هَل يسْتَحبّ حِينَئِذٍ تَقْدِيم الأذكار الْوَارِدَة على تِلَاوَة الْقُرْآن اَوْ الْعَكْس ، فرأى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فِي الْفَاتِحَة وتكرارها حِينَئِذٍ جمعاً بَين الْقَوْلَيْنِ وتحصيلاً للفضيلتين ، وَهَذَا من قُوَّة فطنته ، وثاقب بصيرته ..." (١) .

مع أنَّنا لا نقول بأنَّ ما ذكره من الأدعية ممنوع أو بدعة أو ... فالدُّعاء بابه واسع ومفتوح ، وما على الإنسان إلَّا أن يتوجَّه بالدُّعاء إلى الله تعالى ، بلسان حاله ، يطلب سؤاله وحاجته ، بأي صيغة كانت ...

ويمضي مدَّعو السَّلفيَّة من الوهَّابيَّة في تكفير وتبديع السَّادة الصُّوفيَّة ، فيقول ابن تيمية واصفاً الصُّوفيَّة بالابتداع في الدِّين ، ومحرِّماً الذِّكر باسم الله المفرد : " فأمَّا الاسم المفرد ، فلا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض ، بل ولا أهل السَّماء ، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً أو كان المقصود به تنبيهاً أو إشارة ، كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى لا أنَّه يقصد به المعاني التي تقصد بالكلام .

ولهذا عدَّ النَّاس من البدع ما يفعله بعض النُّسَّاك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام ...." (٢) .

وقال ابن تيمية : " فَأَمَّا " الِاسْمُ الْمُفْرَدُ " مُظْهَراً مِثْلَ : " الله " " الله " . أَوْ " مُضْمَراً " مِثْلَ " هُوَ " " هُوَ " . فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعِ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضاً عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ ، وَلَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ ، وإِنَّما لَهِجَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضُلَّالِ الْمُتَأَخِّرِينَ " (٣) ...

---

(١) انظر : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص٣٨) .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين (ص٣٥) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥٦) .

أمَّا عن اعتراضهم على الصُّوفيَّة بالذِّكر الجماعي ، فيردُّه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] .

قال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) : " قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] : استغرق الذِّكر جميع أوقاتهم ، فإن قاموا فبذكره ، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذِّكر ، فيقومون بحقِّ ذكره ويقعدون عن إخلاف أمره ، ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها والدَّعوى فيها . ويذكرون الله قياماً على بساط الخدمة ثمَّ يقعدون على بساط القُربة . ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التَّقصير لم يسلم له قعود في نهايته بوصف الحضور . والذِّكر طريق الحقِّ – سبحانه – فما سلك المريدون طريقاً أصحّ وأوضح من طريق الذِّكر ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : " أنا جليس من ذكرني " (١) ، لكان ذلك كافياً .

والذَّاكرون على أقسام ، وذلك لتباين أحوالهم : فذكرٌ يوجب قبض الذَّاكر لما يذكره من نقص سلف له ، أو قبح حصل منه ، فيمنعه خجله عن ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكرٌ يوجب بسط الذَّاكر لما يجد من لذائذ الذِّكر ثمَّ من تقريب الحقِّ إيَّاه بجميل إقباله عليه .

وذاكرٌ هو محو في شهود مذكورة ، فالذِّكر يجرى على لسانه عادة ، وقلبه مصطلم فيما بدا له .

وذاكرٌ هو محلُّ الإجلال يأنف من ذكره ويستقذر وصفه ، فكأنه لتصاغره عنه لا يريد أن يكون له في الدُّنيا والآخرة ثناء ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال قائلهم :

ما إن ذكرتك إلَّا همَّ يلعنني   قلبي وروحي وسرِّي عند ذكراكا
حتى كأنَّ رقيباً منك يهتف بي   إيَّاك ويحك والتّذكـــــــار إيَّاكا

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص٦٨ برقم ٣٥٢) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١/ ١١٤ برقم ١٢٣١) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٤٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٧١ برقم ٦٧٠) .

والذِّكرُ عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلامة صحَّة البداية ، ودلالة صفاء النِّهاية ، فليس وراء الذِّكر شيء ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذِّكر ، ومنشأة عن الذِّكر " (١) .

وقال الدُّكتور الشَّهيد محمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله ذابَّاً عن اعتبار الوهَّابيَّة حلقات الذِّكر الجماعي من البدع : " والَّذين يتداعون إلى هذه الحلقات ويحضرونها ، يحتجُّون بالعموم الذي يدلُّ عليه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، وهو عمومٌ بيِّن لا يخرج من نطاقه إلَّا إذا أخرجه نصٌّ آخر من طريق الاستثناء والتَّخصيص ... " (٢) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ للهَّ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللهَّ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ ، فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، صِفْهُمْ لَنَا وحَلِّهِمْ لَنَا . قَالَ : " قَوْمٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاس مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَقُوا فِي اللهَّ وَتَحَابَّوْا فِيهِ ، يَضَعُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَخَافُ النَّاس وَلَا يَخَافُونَ ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (٣) .

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ " (٤) .

وبناء على ما سبق ، فإنَّ الذِّكر الجماعيَّ بأيِّ صيغة كانت لا مانع يمنع منه شرعاً ، بل عموم الأدلَّة تدعمه ، وكيفيَّته قد تكون مختلفة ، واختلافها لا يمنع منه ، وتحديد ذلك لا يخرج عن البدعة الحسنة ، مع أنَّني وجدت ابن تيمية في هذه المسألة يجيب على شبهة من يدَّعون السَّلفيَّة ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ : عَنْ

---

(١) انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (١/ ٣٠٤-٣٠٥) .

(٢) انظر : السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي (ص١٩٢) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨٨ برقم ٧٣١٨ ، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٠ برقم ١٢٥٥١) ، الترمذي (٥/ ٤٨٨ برقم ٣٥١٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ) ، البزار في المسند (١٣/ ١١٩ برقم ٦٥٠٠) ، الطبراني في الدعاء (ص٥٢٨ برقم ١٨٩٠) ، المعجم الكبير (١١/ ٩٥ برقم ١١١٥٨) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٦٨) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٦ برقم ٥٢٦) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١/ ٣٩٨) .

رَجُلٍ يُنْكِرُ عَلَى أَهْلِ الذِّكْرِ يَقُولُ لَهُمْ : هَذَا الذِّكْرُ بِدْعَةٌ ، وَجَهْرُكُمْ فِي الذِّكْرِ بِدْعَةٌ ، وَهُمْ يَفْتَتِحُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَتِمُونَ ثمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَجْمَعُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالْحَوْقَلَةَ ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُنْكِرُ يُعْمِلُ السَّمَاعَ مَرَّاتٍ بِالتَّصْفِيقِ وَيُبْطِلُ الذِّكْرَ فِي وَقْتِ عَمَلِ السَّمَاعِ "

فَأَجَابَ : الِاجْتِمَاعُ لِذِكْرِ اللهَّ وَاسْتِمَاعِ كِتَابِهِ وَالدُّعَاءِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ وَالْعِبَادَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ : " إنَّ للهَّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَّ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إلَى حَاجَتِكُمْ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ : " وَجَدْنَاهُمْ يُسَبِّحُونَك وَيَحْمَدُونَك " لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا أَحْيَاناً فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَمْكِنَةِ ، فَلَا يُجْعَلُ سُنَّةً رَاتِبَةً يُحَافَظُ عَلَيْهَا إلَّا مَا سَنَّ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُدَاوَمَةَ عَلَيْهِ فِي الْجَمَاعَاتِ ؟ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَاتِ ، وَمِنْ الْجُمُعَاتِ وَالْأَعْيَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وأَمَّا مُحَافَظَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى أَوْرَادٍ لَهُ مِنْ الصَّلاة أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ الذِّكْرِ أَوْ الدُّعَاءِ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ : فَهَذَا سُنَّةُ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهَّ قَدِيماً وَحَدِيثاً ، فَمَا سُنَّ عَمَلُهُ عَلَى وَجْهِ الِاجْتِمَاعِ كَالْمَكْتُوبَاتِ : فُعِلَ كَذَلِكَ وَمَا سُنَّ الْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الِانْفِرَادِ مِنْ الْأَوْرَادِ عُمِلَ كَذَلِكَ كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ – رَضِيَ الله عَنْهُمْ – يَجْتَمِعُونَ أَحْيَاناً : يَأْمُرُونَ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرْنَا رَبَّنَا ، فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ ، وَكَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ مَنْ يَقُولُ : اجْلِسُوا بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً . وَصَلَّى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ التَّطَوُّعَ فِي جَمَاعَةٍ مَرَّاتٍ ، وَخَرَجَ عَلَى الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَفِيهِمْ قَارِئٌ يَقْرَأُ فَجَلَسَ مَعَهُمْ يَسْتَمِعُ .

وَمَا يَحْصُلُ عِنْدَ السَّمَاعِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ ، وَدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَاقْشِعْرَارِ الْجُسُومِ ، فَهَذَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْكِتَابُ والسُّنَّة . وأَمَّا الِاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ ، وَالْغَشْيُ ، وَالْمَوْتُ ، وَالصَّيْحَاتُ ، فَهَذَا إنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَغْلُوباً عَلَيْهِ ، لَمْ يُلَمْ عَلَيْهِ ، كَمَا قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ ، فَإِنَّ مَنْشَأَهُ قُوَّةُ الْوَارِدِ عَلَى الْقَلْبِ مَعَ ضَعْفِ الْقَلْبِ وَالْقُوَّةُ وَالتَّمَكُّنُ أَفْضَلُ كَمَا هُوَ حَالُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ ، وأَمَّا السُّكُونُ قَسْوَةً وَجَفَاءً ، فَهَذَا مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ . وأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ السَّمَاعِ : فَالْمَشْرُوعُ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْقُلُوبُ وَيَكُونُ وَسِيلَتَهَا إلَى رَبِّهَا بِصِلَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا : هُوَ سَمَاعُ كِتَابِ اللهَّ الَّذِي هُوَ سَمَاعُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " ، وَقَالَ : " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " ، وَهُوَ السَّمَاعُ

الْمَمْدُوحُ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة . لَكِنْ لَمَّا نَسِيَ بَعْضُ الْأُمَّةِ حَظّاً مِنْ هَذَا السَّمَاعِ الَّذِي ذُكِّرُوا بِهِ أَلْقَى بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ، فَأَحْدَثَ قَوْمٌ سَمَاعَ الْقَصَائِدِ وَالتَّصْفِيقَ وَالْغِنَاءَ مُضَاهَاةً لِمَا ذَمَّهُ الله مِنْ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَالْمُشَابَهَةِ لِمَا ابْتَدَعَهُ النَّصَارَى ، وَقَابَلَهُمْ قَوْمٌ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً : مُضَاهَاةً لِمَا عَابَهُ الله عَلَى الْيَهُودِ . وَالدِّينُ الْوَسَطُ هُوَ مَا عَلَيْهِ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيماً وَحَدِيثاً ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (١) .

أمَّا عن اعتراض مُدَّعي السَّلفيَّة على الذِّكر باسم الله تعالى المفرد ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ، فالذِّكر بالاسم المفرد لا شيء فيه ، ولا دليل على حرمته ، بل جاء الدَّليل على مشروعيَّته ، وقد جاء الاسم المفرد في آيات عديدة ، منها : قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران: ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٥] .

وقد ورد الاسم المفرد مكرَّراً في الحديث الشَّريف ، من ذلك : عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، فَذَكَرَ بِلَالاً ، فَقَالَ : كَانَ شَحِيحاً عَلَى دِينِهِ ، وَكَانَ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ يُعَذَّبُ عَلَى دِينِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُقَارِبَهُمْ قَالَ : اللَّهَ اللَّهَ ... " (٢) .

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللهُ اللهُ " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٠-٥٢٢) .

(٢) أخرجه معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، في الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) (١١/ ٢٣٤ برقم ٢٠٤١٢) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ١٠٠ برقم ١٢٠٤٣) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه الترمذي (٢٢٠٧) عن محمَّد بن بشار ، عن ابن أبي عدي ، بهذا الإسناد . وقال : حديث حسن . وأخرجه ابن منده في " الإيمان " (٤٤٩) من طريق محمَّد بن عبد الله الأنصاري ، والحاكم ٤/ ٤٩٤ من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، كلاهما عن حميد ، به . ولفظ الحاكم : حتى لا يقال في الأرض : "

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ...

وقد نصَّ العلماء في مؤلَّفاتهم على مشروعيَّة الذِّكر بالاسم المفرد مكرَّراً ، قال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " فقد اتَّفق الشَّافعيَّة ، والحنابلة على أن من عجز عن قراءة الفاتحة في الصَّلاة ، فإن كان يقدر على أن يأتي بآيات من القرآن بقدر الفاتحة في عدد الحروف والآيات ، فإنَّه يجب عليه أن يأتي بذلك . فإن كان يحفظ آية واحدة أو أكثر فإنَّه يفترض عليه أن يكرِّر ما يحفظه بقدر آيات الفاتحة ، بحيث يتعلَّم القدر المطلوب منه تكراره . فإن عجز عن الإتيان بشيء من القرآن بالمرة ، فإنَّه يجب عليه أن يأتي بذكر الله كأن يقول : الله الله ... مثلاً ، بمقدار الفاتحة " [١] .

فإذا كان الذِّكر بالاسم المفرد جائزاً في الصَّلاة عِوضاً عن الفاتحة لمن لا يحسنها ، فما بالكم به خارجها ؟!!!

وقد يعترض البعض على الذِّكر باسم الله المفرد لأسباب ، من أشهرها : التَّرك ، بمعنى أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها ... وقد ردَّ على هذه الشُّبهة الإمام عبد الله الغماري في رسالته الطيِّبة : " حسن التفُّهم والدَّرك في مسألة التَّرك " . فلتراجع ...

والذِّكر بالاسم المفرد دأب عليه العارفون ، ولم يتركوه حتى خرجوا من الدُّنيا ، قال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السُّلمي (٤١٢هـ) : " وحُكي أَنَّ أبا الحسين النُّوري بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم ينم ولم يشرب ، ويقول في ولهه ودهشه : الله الله ، وهو قائم يدور فأُخبر الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا ؟ فقيل : أنَّه يصلِّي الفرائض ، فقال : الحمد لله

لَا إِلَه إِلَّا الله " ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأخرجه الترمذي باثر الحديث (٢٢٠٧) عن محمَّد بن المثنى ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد ، عن أنس موقوفاً . ورجحه على المرفوع ! وأخرج الحاكم ٤/ ٤٩٥ ، والخطيب ٣/ ٨٢ من طريقين عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة على رجل يقول : لَا إِلَه إِلَّا الله ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ... ". وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ... ، فتعقبه الذهبي بقوله : سنان لم يرو له مسلم . قلنا : وحديثه حسن في الشواهد . وسيأتي الحديث من طريق حميد الطويل برقم (١٣٠٨٢) ، ومن طريق ثابت البناني برقم (١٢٦٦٠) ، كلاهما عن أنس . وفي الباب عن ابن مسعود عند الحاكم ٤/ ٤٩٤ ، وصححه على شرط الشيخين . وعن أبي هريرة عند ابن عدي في " الكامل " ٦/ ٢٠٩٢، والخطيب في تاريخه ٨/ ٢٦٢ .

[١] انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٢٠٨) .

الذي لم يجعل للشَّيطان عليه سبيلاً ثمَّ قال : قوموا حتى نزوره أمَّا نستفيد منه أو نفيده ، فدخل عليه ، وهو في وله قال : يا أبا الحسين ما الذي دهاك ؟ قال : أقول : الله الله زيدوا عليَّ ... " (١) .

والحكاية رواها الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو محمَّد بْنُ يُوسُفَ ، سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عُمَرَ الْمَسْعُودِيَّ ، بِدَيْنُورَ ، يَقُولُ : حُكِيَ لَنَا عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ الثَّوْرِيِّ ، أَنَّه بَقِيَ فِي مَسْجِدٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهَا ، لَا يَأْكُلُ ، وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يَنَامُ ، يَجِيءُ مِنْ أَوَّلِ الْمَسْجِدِ إِلَى آخِرِهِ ، فَأُبْلِغَ ذَلِكَ الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ ، وَالشِّبْلِيُّ ، فَجَاءُوا فَوَقَفُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ وَالشِّبْلِيُّ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ : مَا أَدْرِي دَهَاكَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، أَخْبِرْنَا ، فَقَالَ الثَّوْرِيُّ : أَنَا أَقُولُ : اللهُ ، تَزِيدُوا عَلَى قَوْلِ الله ؟ ، فَقَالَ الشِّبْلِيُّ : إِنْ كُنْتَ تَقُولُ : اللهُ بِالله ، فَالْمِنَّةُ للهَّ فِيمَا تَقُولُ ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ : اللهُ بِكَ ، فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الله شَيْءٌ ، قَالَ : فَسَجَدَ ، فَقَالَ : أَنَا تَائِبٌ ، أَنَا تَائِبٌ، أَنَا تَائِبٌ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ : إِنَّ سُيوفَ الشِّبْلِيِّ تَقْطُرُ دماً " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة عَبْد الأوّل بْن عِيسَى بْن شُعَيب بْن إِبْرَاهِيم بْن إسحاق ، مُسْند الوقْت ، أبو الوقْت بْن أبي عَبْد اللهَّ السِّجْزيّ الأصل ، الهَرَوَيّ ، المالينيّ ، الصُّوفيّ (٥٥٣هـ) : " وَكَانَ مُشْتَهِراً بِالذِّكْرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ محمَّد بن القاسم الصوفي ، وأكب عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَه إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ " . فَرَفَعَ طرفه إليه ، وتلا هذه الآية : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦ – ٢٧] ، فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب ، ولم يزل يقرأ حتى ختم السُّورة ، وقال : الله الله الله ، ثمَّ توفِّي وهو جالس على السِّجادة " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " ... فَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنِّي أَقُولُ طُولَ حَيَاتِي الله ، فَإِذَا مِتُّ أَقُولُ الله ، وَإِذَا سُئِلْتُ فِي

---

(١) انظر : تفسير السلمي (هو حقائق التفسير) (١/ ٢٩-٣٠) .

(٢) انظر : شعب الإيمان (٩/ ٣٩٦ برقم ٦٨٦٣) .

(٣) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ٦٣) .

الْقَبْرِ أَقُولُ الله ، وَإِذَا جِئْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقُولُ الله ، وَإِذَا أَخَذْتُ الْكِتَابَ أَقُولُ الله ، وَإِذَا وُزِنَتْ أَعْمَالِي أَقُولُ الله ، وَإِذَا جُزْتُ الصِّرَاطَ أَقُولُ الله ، وَإِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَقُولُ الله ، وَإِذَا رَأَيْتُ اللهَّ قَلْتُ الله " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة محمَّد بْن يحيى بْن عليّ بْن مُسْلِم بْن مُوسَى بْن عِمْرَانَ ، الْقُرَشِيّ ، اليمنيّ ، الزَّبيديّ ، الواعظ ، أبو عَبْد اللهَّ (٥٥٥هـ) : " وقال ابن عساكر : قال ولده إِسْمَاعِيل : كان أبي فِي كلّ يومٍ وليلة من أيّام مرضه يقول : اللهَّ اللهَّ ؛ قريباً من خمسة عشر ألف مرَّة ، وما زال يقول الله الله حتى طفئ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة محمَّد بْن عَبْد اللهَّ بْن هبة اللهَّ بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم علي ابْن المسلمة ، أَبُو الفَرَج (٥٧٣هـ) : " وخَرج من بيته حاجاً فِي رابع ذي القعدة ، فضربه واحد من الباطنيَّة أربع ضربات على باب قطُفتا ، فَحُمِل إلى دارٍ هُنَاك ، فلم يتكلَّم ، إلَّا أنَّه كان يقول : اللهَّ ، اللهَّ . وقال : ادفنوني عند أَبِي . ثمَّ مات بعد الظُهْر ، رَحِمَهُ الله تعالى " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الواحد بْن عَلِيّ بْن سُرور ، الشَّيْخ العِماد المَقْدِسِيّ الحَنْبَلِيّ الزاهد القدوة أَبُو إِسْحَاق (٦١٤هـ) : " قَالَ الضِّيَاءُ : ... وَكَانَ يُفتح عَلَيْهِ من الْأدعية شيء ما سَمِعْتُهُ من غيره قطّ ، وجرى بيننا ذِكر إجابة الدعاء ، فَقَالَ : ما رَأَيْت مثل هَذَا الدعاء ، أَوْ قَالَ : أسرع إجابة : " يا اللهَّ يا اللهَّ أَنْتَ اللهَّ ، بلى ، واللهَّ أَنْتَ ، لَا إله إِلَّا أَنْتَ ، اللهَّ اللهَّ اللهَّ اللهَّ أَنَّه لَا إِلَه إِلَّا الله " (٤) .

وَقَالَ الإِمَامُ زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي، ثم الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " الْمُحِبُّ اسْمُ مَحْبُوبُهُ لَا يَغِيبُ عَنْ قَلْبِهِ ، فَلَوْ كُلِّفَ أَنْ يَنْسَى تَذَكُّرَهُ لَمَا قَدَرَ ، وَلَوْ كُلِّفَ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِهِ لَمَا صَبَرَ .

كَيْفَ يَنْسَى الْمُحِبُّ ذِكْرَ حَبِيبٍ اسْمُهُ فِي فُؤَادِهِ مَكْتُوبُ

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (١/ ١٥٤) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ١٠٢) .

(٣) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ٥٢٩) .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٣/ ٣٩٥) .

كَانَ بِلَالٌ كُلَّمَا عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي الرَّمْضَاءِ عَلَى التَّوْحِيدِ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فَإِذَا قَالُوا لَهُ : قُلْ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، قَالَ : لَا أُحْسِنُهُ .

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ　　　وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

كُلَّمَا قَوِيَتِ الْمَعْرِفَةُ ، صَارَ الذِّكْرُ يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الذَّاكِرِ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ فِي مَنَامِهِ : الله الله ، وَلِهَذَا يُلْهَمُ أَهْلُ الْجَنَّةِ التَّسْبِيحَ ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ ، وَتَصِيرُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " لَهُمْ ، كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، كَانَ الثَّوْرِيُّ يَنْشِدُ :

لَا لِأَنِّي أَنْسَاكَ أَكْثَرُ ذِكْرَا　　　كَ وَلَكِنْ بِذَاكَ يَجْرِي لِسَانِي (١)

وَقَالَ الإِمَامُ أبو عبد الله ، شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (٨٧٩هـ) : " ... ثمَّ روى هشام عن محمد بن الحسن ، قال : سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول : اسم الله الأعظم هو الله ، وبه قال الطَّحاوي وكثير من العلماء وأكثر العارفين ، حتى أنَّه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذِّكر به .

وقد علم من هذا وجه تخصيص الحمد به دون غيره من أسمائه تعالى " (٢) .

وَقَالَ الإِمَامُ شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) : " (سُئِلَ) عَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ الْعَيْدَرُوسِ السَّيِّدِ الْعَارِفِ بِاَللَّهِ تَعَالَى عَبْدِ اللَّهِ قَدَّسَ الله رُوحَهُ وَسَرَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَاتِ مَعَ اللَّهِ الْأَنْفَاسُ أَعْنِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهَا وَدُخُولُهَا بِذِكْرِ الْجَلَالَةِ وَلَوْ قَوْلَك الله الله أَوْ ذِكْرَ لَا إلَهَ إلَّا الله وَهُوَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَمْ تَتَحَرَّكْ بِهِ الشَّفَتَانِ أَعْنِي أَفْضَلَ الْعِبَادَاتِ حِفْظُ الْأَنْفَاسِ كَوْنُهَا الْأَنْفَاسَ الْهَوَائِيَّةَ الْجُسْمَانِيَّةَ يَكُونُ دُخُولُهَا وَخُرُوجُهَا عَلَى أَفْضَلِ الرِّضَا وَالذِّكْرِ ؛ لِأَنَّهَا جَوَاهِرُ الْأَعْمَارِ الْمُثْمِرَاتُ لِلْأَسْرَارِ وَالْأَنْوَارِ وَهَذَا مَعْدُودٌ مِنْ الْمَقَامَاتِ . اهـ كَلَامُهُ . فَهَلْ هَذَا النَّقْلُ عَنْ إجْمَاعِ الْعَارِفِينَ صَحِيحٌ أَوْ لَا فَإِنْ قُلْتُمْ نَعَمْ فَقَدْ صَرَّحَ النَّوَوِيُّ فِي أَذْكَارِهِ بِأَنَّ الْأَفْضَلَ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ جَمِيعًا ثُمَّ مَا كَانَ بِالْقَلْبِ وَقَدْ ذَكَرَ مَا بِالْقَلْبِ غَيْرُهُ أَيْضًا ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ ، وَهَلْ الْمُرَادُ بِحِفْظِ الْأَنْفُسِ إعْمَالُ النَّفَسِ فِي الذِّكْرِ عِنْدَ خُرُوجِ النَّفَسِ

(١) انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (٢ / ٥١٨) .

(٢) انظر : التقرير والتحبير ، ابن أمير حاج (١ / ٧) ، دار الفكر .

وَدُخُولِهِ أَوْ مُجَرَّدُ ذِكْرِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيكِ النَّفَسِ بِذَلِكَ خُرُوجًا وَدُخُولًا بَيِّنُوا لَنَا بَيَانًا شَافِيًا آجَرَكُمْ اللَّهُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ؟

(فَأَجَابَ) بِأَنَّ النَّقْلَ عَنْ إجْمَاعِ الْعَارِفِينَ صَحِيحٌ وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ وَلَكِنْ هَذَا مَقَامُ الْكُمَّلِ ، وَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ هُوَ مَقَامٌ دُونَ هَذَا الْمَقَامِ " (١) .

وَقَالَ الإِمَامُ أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " ... وَذكر لَا إِلَه إِلَّا الله أفضل من ذكر الْجَلَالَة مُطلقاً هَذَا بِلِسَان أَئِمَّة الظَّاهِر ، وَأما عِنْد أهل الْبَاطِن فالحال يخْتَلف باخْتلَاف أَحْوَال السَّالك ، فَمن هُوَ فِي ابْتِدَاء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وَعدم انفكاكه عَن التَّعَلُّق بهَا وَعَن إِرَادَته وشهواته وبقائه مَعَ نَفسه يحْتَاج إِلَى إدمان الْإِثْبَات بعد النَّفْي حَتَّى يستولي عَلَيْهِ سُلْطَان الذّكر وجواذب الْحق الْمرتبَة على ذَلِك ، فَإِذا استولت عَلَيْهِ تِلْكَ الجواذب حَتَّى أخرجته عَن شهواته وإرادته وحظوظه وَجَمِيع أَعْرَاض نَفسه صَار بَعيداً عَن شُهُود الأغيار وَاسْتولى عَلَيْهِ مراقبة الْحق أَو شُهُوده ، فحينئذٍ يكون مُسْتَغْرقاً فِي حقائق الْجمع الأحديِّ وَالشُّهُود السَّرمدي الفردي ، فالأنسب بِحَالِهِ الْإِعْرَاض عَمَّا يذكرهُ الأغيار والاستغراق فِيمَا يُنَاسب حَاله من ذكر الْجَلَالَة فَقَط، لِأَنَّ ذَلِك فِيهِ تَمام لذته ودوام مسرَّته وَنعمته ومنتهى أربه ومحبته ، بل إِذا وصل السَّالك لهَذَا الْمقَام وَأَرَادَ قهر نَفسه إِلَى الرُّجُوع إِلَى شُهُود غَيره حَتَّى يَنْفِيه أَو يتَعَلَّق بِهِ خاطر لَا تطاوعه نَفسه المطمئنة لما شاهدت من الْحَقَائِق الوهبية ، والمعارف الذَّوقيَّة والعوارف اللدنيَّة " (٢) .

وَقَالَ الإِمَامُ زين الدِّين محمد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " ... قالوا وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذِّكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيار وهو الله ، وقد ورد في حقيقة الذِّكر وآثاره وتجلياته ما لا يفهمه إلَّا أهل الذَّوق " (٣) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " وأمَّا ما قال بعض الكبار من أنَّ الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث أنها جامعة بين

---

(١) انظر : فتاوى الرملي (٤/ ٣٩٢-٣٩٣) ، المكتبة الإسلامية .

(٢) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٥٣) .

(٣) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٠٩) .

النَّفي والإثبات ، ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة ، فبالنسبة إلى حال المبتدي ، فكلمة التَّوحيد تظهر مرءاة النفس بنارها ، فتوصل السالك إلى دائرة القلب ، وكلمة الله تنوِّر القلب بنورها ، فتوصل إلى دائرة الرُّوح ، وكلمة هو تجلِّي الرُّوح ، فتوصل من شاء الله إلى دائرة السرّ " (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " قال الشَّيْخ الكبير صدر الدِّين القنوي قدِّس سرُّه : أكَّده بالتّكرار ، ولا شكَّ أن لا يذكر الله ذكراً حقيقيَّاً وخصوصاً بهذا الاسم الأعظم الجامع المنعوت بجميع الأسماء إلا الذي يعرف الحق بالمعرفة التامَّة ، وأتمُّ الخلق معرفة بالله في كلِّ عصر خليفة الله ، وهو كامل ذلك العصر " (٢) .

وَقَالَ الإمَامُ محمد بن محمد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى : " ... فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلاً بلسانه) مراقباً بقلبه (الله الله على الدَّوام مع حضور القلب) وهو ذكر من غلب عليه الجذب قبل السُّلوك وهو اختيار طائفة منهم أو يقول لا إله الَّا الله ، وهو ذكر من غلب عليه السُّلوك قبل الجذب ، واختاره طائفة منهم ، وكلاهما موصلان لكن حضور القلب شرط على كل حال " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) : " وقال سيِّدي عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ) : الله هو الاسم الأعظم ، وإنَّما يُستجاب لك إذا قلت الله ، وليس في قلبك غيره " (٤) .

وَقَالَ الإمَامُ أحمد بن علي بن ثابت الرِّفاعي الحسيني : " ... ترى أنَّ أحدهم كالغائب على حال الحاضر كالحاضر على حال الغائب يهتزُّون اهتزاز الأغصان التي تحرَّكت بالوارد لا بنفسها ، يقولون : لا إله إلَّا الله ، ولا تشتغل قلوبهم بسواه ، يقولون : الله ، ولا يعبدون إلَّا إيَّاه ، يقولون : هو ، وبه لا بغيره يتباهون ، إذا غناهم الحادي يسمعون منه التذكار فتعلوا همَّتهم في الأذكار " (٥) .

---

(١) انظر : روح البيان (٩/ ٤٥٦) .

(٢) انظر : روح البيان (٣/ ٢٨٦) .

(٣) انظر : إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٧/ ٢٤٥) .

(٤) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (١/ ١٦) .

(٥) انظر : البرهان المؤيد (ص٦٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، أي : الَّذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم ، لاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى ، واستغراق سرائرهم في مراقبته ، لما أيقنوا بأَنَّ كلّ ما سواه فائض منه وعائد إليه ، فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلا وهم يعاينون في ذلك شأناً من شؤونه تعالى . فالمراد : ذكره تعالى مطلقاً ، سواء كان ذلك من حيث الذَّات أو من حيث الصِّفات والأفعال ، وسواء قارنه الذِّكر الِّلساني أو لا . وتخصيص الأحوال المذكورة بالذِّكر ليس لتخصيص الذِّكر بها ، بل لأنَّها الأحوال المعتادة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً . والمراد تعميم الذِّكر للأوقات " (١) .

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : " يقول الحقُّ جلَّ جلاله في وصف أُولي الألباب : هم ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، أي : يذكرونه على الدَّوام ، قائمين وقاعدين ومضطجعين ... " (٢) .

وقال العارف بالله ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) : " فالاسم المفردُ ّ لي ّ هو سلطان الأسماء ، وهو اسم الله الأعظم ، ولا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ، وتسري أنواره في كليَّاته وجزئيَّاته...، إلى أن قال : فينتقل الذِّكر إلى القلب ثمَّ إلى الرُّوح ثمَّ إلى السرِّ ، فحينئذ يخرس اللسان ويصل إلى الشُّهود والعيان " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (بعد ١٣٠٢هـ) : " وقال سيِّدي عبد القادر الجيلاني : الله هو الاسم الأعظم ، وإنَّما يُستجاب لك إذا قلت الله وليس في قلبك غيره .

ولهذا الاسم خواصّ وعجائب ، منها : أنَّ من داوم عليه في خلوة مجرداً بأن يقول الله ، الله ، حتى يغلب عليه منه حال ، شاهد عجائب الملكوت ... " (٤) .

---

(١) انظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ١٧٤) .

(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٤٥٠) .

(٣) انظر : معراج التشوف إلى حقائق علم التصوف (ص٢٤) .

(٤) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ، أبو بكر الدمياطي (١/ ١٦) .

وَقَالَ الإمَامُ عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) : " لا بدَّ للمُريد السَّالك إن كان مراده الوصول ، إلى مراتب أهل الحصول ، من الاشتغال بالذِّكر دائماً بأيِّ نوع كان من الأذكار ، وأعلاها الاسم الأعظم وهو قولك الله الله لا يزيد عليه شيئاً ، لأنَّ الله ما وصف بالكثرة شيئاً إلى الذِّكر ، وما أمر بالكثرة من شيء إلَّا من الذِّكر ، فقال : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] (١) .

ويستمرُّ الوهَّابيَّة في تبديع وتضليل وتكفير السَّادة الصُّوفيَّة ... في قول الشَّيْخ ابن باز : " الصُّوفيَّة أقسام ، وهم في الأغلب مُبتدعة ، عندهم أوراد وعبادات يأتون بها ليس عليها دليلٌ شرعيٌّ ، ومنهم ابن عربي ، فإنَّه صُوفيٌّ مبتدعٌ مُلحدٌ ، وهو المعروف بمحيي الدِّين ابن عربي ، وهو صاحب وحدة الوجود ، وله كتب فيها شرٌّ كثير ، فنحذِّركم من أصحابه وأتباعه ؛ لأنَّهم منحرفون عن الهُدى ، وليسوا على الطَّريق المستقيم ، وهكذا جميع الصُّوفيَّة الذين يتظاهرون بعبادات ما شرعها الله ، أو أذكار ما شرعها الله ... " (٢) .

وزعموا أنَّ أهل الشَّام يعبدون ابن عربي ، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه (٣) .

قلت : وما تجرَّأ هؤلاء على انتقاص أعلام العلماء إلَّا بسبب ما أوحاه إليهم شيخ إسلامهم ابن تيمية ، الذي ما فتئ يكذب على العلماء ، ويُلصق أقواله بالسَّلف الصَّالح لنصرة معتقده وانتقاص الآخرين ...

ومن كذب وافتراء ابن تيمية على الشَّيْخ الأكبر الإمام ابن عربي : قوله في حقِّه : " ولَمَّا كانت أحوال هؤلاء شيطانيَّة ، كانوا مناقضين للرُّسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب الفتوحات المكيَّة ، والفصوص ، وأشباه ذلك يمدح الكفَّار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء ، كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وهارون ، ويذمُّ شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجُنيد بن محمَّد ، وسهل بن عبد الله التّستري وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلَّاج ونحوه ، كما ذكره في تجليَّاته الخياليَّة الشيطانيَّة " (٤) .

---

(١) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٨٧٨-٨٧٩) .

(٢) انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٨٢) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الفتاوى النجدية (٢/ ٤٥) .

(٤) انظر : الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشيطان (ص١١١) .

هذا بعضٌ من افتراءاته بحقِّ الإمام الأكبر ابن عربي ، مع أنَّه لم يأت بدليل واحد من كتب ابن عربي على ما نسبه إليه ، وللعلم فإنَّ الأيدي المتمسلفة العابثة عبثت كثيراً في القديم والجديد بكتب الإمام ابن عربي ... وفي كتابي : " كَشْفُ الخَفَاءِ عَنْ عَبَثِ الوَهَّابيَّة بِكُتُبِ العُلَمَاءِ " ذكرت من تحريفاتهم وتشويهاتهم لكتب العلماء ما يندى له الجبين ...

وها أنذا أضع بين يدي القارئ الكريم عقيدة الإمام الأكبر ، من كتابه : " الفتوحات " ، فقد قال عليه رحمة الله تعالى : " فيا إخوتي ويا أحبَّائي رضي الله عنكم ، أُشهَدكم عبدٌ ضعيفٌ مسكينٌ فقيرٌ إلى الله تعالى في كلِّ لحظة وطرفة ، وهو مؤلِّف هذا الكتاب ومنشئه ، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهدَ الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنَّه يشهد قولاً وعقداً أنَّ : الله تعالى إلهٌ واحدٌ ، لا ثانيَ له في ألوهيتَّه ، منزَّه عن الصَّاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبِّر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجدٍ يوجده ، بل كلُّ موجود سواه مفتقرٌ إليه تعالى في وجوده ، فالعالم كلُّه موجود به ، وهو وحده متَّصف بالوجود لنفسه ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق غير مقيَّد ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيِّز فيُقدَّر له المكان ، ولا بعَرَض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدَّس عن الجهات والأقطار ، مرئيٌّ بالقلوب والأبصار ، إذا شاء استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده ، كما أنَّ العرش وما سواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ، ليس له مثل معقول ، ولا دلَّت عليه العقول ، لا يحدُّه زمان ولا يُقلُّه مكان ، بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان ، خلق المتمكِّن والمكان ، وأنشأ الزَّمان ، وقال : أنا الواحد الحيّ ، لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات ، تعالى أن تحلُّه الحوادث أو يحلّها ، أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل يقال كان ولا شيء معه ، فإنَّ القبل والبعد من صيغ الزَّمان الذي أبدعه ، فهو القيُّوم الذي لا ينام ، والقهَّار الذي لا يُرام ، ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حدّ الاستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسَّماوات العلى ، اخترع اللوح والقلم الأعلى ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كلَّه على غير مثال سبق ، وخلق الخلْق وأخلق الذي خلق ، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخَّر لنا ما في السَّموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرَّك ذرَّة إلا إليه وعنه ، خلق الكلَّ من غير حاجة إليه ، ولا موجب

أوجب ذلك عليه ، لكنَّ علمه سبق بأن يخلق ما خلق ، فهو الأوَّل والآخر ، والظَّاهر والباطن ، وهو على كلِّ شيء قدير ، أحاط بكلِّ شيء علماً ، وأحصى كلَّ شيء عدداً ، يعلم السرَّ وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور ، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، علم الأشياء منها قبل وجودها ، ثمَّ أوجدها على حدِّ ما علمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء ، لم يتجدَّد له علم عند تجدُّد الإنشاء ، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكّم عليها من شاء وحكمها ، علم الكليَّات على الإطلاق ، كما علم الجزئيَّات بإجماع من أهل النَّظر الصَّحيح واتفاق ، فهو عالم الغيب والشهادة ، فتعالى الله عمَّا يشركون ، فعَّال لما يريد ، فهو المريد الكائنات في عالم الأرض والسَّموات ، لم تتعلَّق قدرته بشيء حتى أراده ، كما أنَّه لم يُرده حتى علمه ، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكِّن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد ، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حيّ ، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حُر ، ولا برد ولا حَر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا برّ ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرَض ، ولا صحَّة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرِّك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لبّ ، ولا شيء من هذه النّسب المتضادَّات منها والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحقِّ تعالى ، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده ، فكيف يوجد المختار ما لا يريد ، لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء ، ويضلُّ من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ما شاء كان ، وما لم يشأ أن يكون لم يكن ، لو اجتمع الخلائق كلُّهم على أن يريدوا شيئاً لم يُرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه ، أو يفعلوا شيئاً لم يُرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ، ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطَّاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم غير موجود ، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ، ثمَّ أوجد العالم من غير تفكُّر ولا تدبُّر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التفكُّر والتدبُّر علم ما جهل ، جلَّ وعلا عن ذلك ، بل أوجده عن العلم السَّابق وتعيين الإرادة

المنزّهة الأزليَّة القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مُريد في الوجود على الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠] ، وأنَّه سبحانه كما علم فأحكم وأراد فخصَّص ، وقدَّر فأوجد ؛ كذلك سمع ورأى ما تحرَّك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى ، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد ، يسمع كلام النفس في النفس ، وصوت المماسَّة الخفيَّة عند اللمس ، ويرى السَّواد في الظلماء والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ولا الظُّلمات ولا النُّور ، وهو السَّميع البصير ، تكلَّم سبحانه لا عن صمت متقدِّم ، ولا سكوت متوهّم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلَّم به موسى عليه السَّلام ، سمَّاه التَّنزيل والزَّبور والتَّوراة والإنجيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغم ولا لغات ، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان ، كما أنَّ سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أنَّ بصره من غير حدقة ولا أجفان ، كما أنَّ إرادته في غير قلب ولا جنان ، كما أنَّ علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أنَّ حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أنَّ ذاته لا تقبل الزِّيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كلّ ما سواه فهو عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسط له والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ، ولا مدبِّر معه في ملكه ، إن أنعم فنعّم فذلك فضله ، وإن أبلى فعذّب فذلك عدله ، لم يتصرَّف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجَّه عليه لسواه حكم فيتَّصف بالجزع لذلك والخوف ، كل ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرفٌ عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلَّفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيِّئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النُّشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله ، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنَّة ولا أبالي ، وهؤلاء للنَّار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترضٌ هناك ، إذ لا موجود كان ثمَّ سواه ، فالكلُّ تحت تصريف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كلّه سعيداً لكان ، أو شقيّاً لما كان من ذلك في شأن ، لكنَّه سبحانه لم يرد ؛ فكان كما أراد ، فمنهم الشقيُّ والسعيد ، هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالى

في الصَّلاة : هي خمس وهي خمسون ، ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩] ، لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضَّمائر ، إلا بوهب إلهي وجودٍ رحماني لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده ، فعلم حين أُعلم أنَّ الألوهة أعطت هذا التقسيم ، وأنَّه من رقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود لنفسه إلَّا إيَّاه ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] ، و ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩] .

الشَّهادة الثَّانية : وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم على نفسي بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ؛ ذلك سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذي أرسله إلى جميع النَّاس كافَّة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلَّغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أُنزل من ربِّه إليه ، وأدَّى أمانته ، ونصح أُمَّته ، ووقف في حجَّة وَدَاعه على كل من حضر من أتباعه ، فخطب وذكَّر ، وخوَّف وحذَّر ، وبشَّر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصَّ بذلك التَّذكير أحداً من أحد ، عن إذن الواحد الصَّمد ، ثمَّ قال : ألا هل بلغت ؟ فقالوا : بلَّغت يا رسول الله ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللهمَّ اشهد ، وإني مؤمنٌ بكلِّ ما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا علمت وما لم أعلم ، فمما جاء به فقرَّر أنَّ الموت عن أجل مسمَّى عند الله إذا جاء لا يؤخَّر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شكّ ، كما آمنت وأقررت أنَّ سؤال فتَّاني القبر حقٌّ ، وعذاب القبر حقٌّ ، وبعث الأجساد من القبور حقٌّ ، والعرض على الله تعالى حقٌّ ، والحوض حقٌّ ، والميزان حقٌّ ، وتطاير الصحف حقٌّ ، والصراط حقٌّ ، والجنة حقٌّ ، والنار حقٌّ ، وفريقاً في الجنة وفريقاً في النَّار حقٌّ ، وكرب ذلك اليوم حقٌّ ، على طائفة وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وشفاعة الملائكة والنَّبيين والمؤمنين وإخراج أرحم الرَّاحمين بعد الشَّفاعة من النَّار من شاء حقٌّ ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنَّم ثمَّ يخرجون منها بالشَّفاعة والامتنان حقٌّ ، والتأبيد للمؤمنين والموحِّدين في النَّعيم المقيم في الجنان حقٌّ ، والتأبيد لأهل النَّار في النَّار حقٌّ ، وكلّ ما جاءت به الكتب والرُّسل من عند الله عُلم أو جُهل حقٌّ .

فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كلِّ من وصلت إليه أن يؤدِّيها إذا سئلها حيثما كان ، نفعنا الله وإيَّاكم بهذا الإيمان ، وثبتناً عليه عند الانتقال من هذه الدَّار إلى الدَّار الحيوان ، وأحلَّنا منها دار الكرامة والرِّضوان ، وحال بيننا وبين دار سرابيلها من القطران ، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان ، وممن انقلب من الحوض وهو ريَّان ، وثقل له الميزان ، وثبتت له على الصِّراط القدمان ، أنَّه المنعم المحسان ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربِّنا بالحقّ " (١) .

هذه هي عقيدة الشَّيْخ الأكبر ابن عربي من كتابه " الفتوحات " ، فهل فيها شيء ممَّا نسبه إليه العاطلون المبطلون ، بل هل فيها شيء من العِوج أو النُّشوز ؟!! ... ولذلك رأينا جمعاً وافراً من العلماء ينفون عنه ما دسَّه في كتبه الحشويَّة الظَّالمون ، ويصرِّحون بأنَّ الحشويَّة هم من دسِّ السمَّ في كتب الشَّيْخ الأكبر ابن عربي ...

قال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني : " ... وليحذر أيضاً من مطالعة كتب الشَّيْخ محيي الدِّين بن عربي ، رضي الله تعالى عنه لعلوِّ مراقيها ، ولما فيها من الكلام المدسوس على الشَّيْخ ، لا سيَّما الفصوص والفتوحات المكيَّة ، فقد أخبرني الشَّيْخ أبوطاهر ، عن شيخه ، عن الشَّيْخ بدر الدِّين بن جماعة أنَّه كان يقول : جميع ما في كتب الشَّيْخ محيي الدِّين من الأمور المخالفة لكلام العلماء ، فهو مدسوسٌ عليه ، وكذلك كان يقول الشَّيْخ مجدالدِّين صاحب القاموس في اللغة .

قلتُ – الشَّعراني – : وقد اختصرتُ " الفتوحات المكيَّة " ، وحذفتُ منها كلَّ ما يخالف ظاهر الشَّريعة ، فلمَّا أخبرت بأنَّهم دسُّوا في كتب الشَّيْخ ما يوهم الحلول والاتحاد ، وَرَد عليَّ الشَّيْخ شمس الدِّين المدني بنسخة " لفتوحات " التي قابلها على خط الشَّيْخ بقونية ، فلم أجد فيها شيئاً من ذلك الذي حذفته ، ففرحتُ بذلكَ غاية الفرح ، فالحمد لله على ذلك " (٢) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني أيضاً : " وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشَّيْخ أبو طاهر المزني الشَّاذلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ جميع ما في كتب الشَّيْخ محيي الدِّين ممَّا يُخالف ظاهر الشَّريعة مدسوسٌ عليه ، قال : لأنَّه رجل

---

(١) انظر : الفتوحات المكيَّة (١/ ٣٦-٣٨) .

(٢) انظر : لطائف المنن (ص٣٩٤) .

كامل بإجماع المحقِّقين ، والكامل لا يصحُّ في حقِّه شطحٌ عن ظاهر الكتاب والسُّنَّة ، لأنَّ الشَّارع أمنه على شريعته " (١) .

وقال الإمام ابن العماد الحنبلي في كلامه عن الإمام ابن عربي : " ... وحسده طوائف ، فدسُّوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشَّرع ، وعقائد زائغة ، ومسائل تخالف الإجماع ، وأقاموا عليه القيامة ، وشنَّعوا وسبُّوا ، ورموه بكلِّ عظيمة ، فخذلهم الله وأظهره عليهم . وكان مواظباً على السُّنَّة ، مبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه ، متحمِّلاً للأذى ، موزِّعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة ، واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة ، فكان يقوم بهم نفقه وكسوة " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ بعضاً ممَّن لا خلاق له اتَّهم الإمام الأكبر ببعض العقائد الباطلة الكفريَّة ، مثل : الإتحاد والحلول ، والمساواة بين الخالق والمخلوق ، وأنَّ الربَّ ربٌّ والعبدّ ربٌّ ، ... وقاموا بربط هذه العقائد الباطلة الكفريَّة بالتَّصوُّف والصُّوفيَّة ...

قال المدعو الدُّكتور محمَّد بن ربيع هادي المدخلي ، المدرِّس بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة : " الصُّوفيَّة قد لعبت دوراً كبيراً في حياة المسلمين منذ القرن الثَّالث الهجري إلى يومنا هذا ، وقد بلغت أوج مجدها في القرون المتأخِّرة . وقد أثَّرت تأثيراً بالغاً في عقائد المسلمين وغيَّرتها عن مسارها الصَّحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة ، وكان ذلك هو أخطر جانب من جوانب الصُّوفيَّة ، حيث اقترن بالفكر الصُّوفيِّ التعلُّق بالأولياء والمشايخ ، والمبالغة في تقديس الأموات ، كما اقترن بها القول بالحلول ووحدة الوجود ، إضافة إلى ما أفسدت الصُّوفيَّة من الجوانب الأخرى . حيث يتَّسم أتباعها بالتَّواكل والرَّهبنة ، كما أنَّها عطَّلت الرُّوح الجهاديَّة في الأُمَّة الإسلاميَّة " (٣) .

وقال المدعو الدُّكتور محمَّد بن ربيع هادي المدخلي : " المذهب الثَّالث : القول بوحدة الوجود : وهو يقرِّر أنَّ الموجود واحد في الحقيقة ، وكلُّ ما نراه ليس إلَّا تعيّنات للذَّات الإلهيَّة . وزعيم هذه الطَّائفة ابن عربي الحاتمي الطَّائي المدفون بدمشق والمتوفَّى سنة (٦٣٨هـ) ، ويقول في ذلك في كتابه الفتوحات المكيَّة :

---

(١) انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (ص٣) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٤٦) .

(٣) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسُّنَّة (ص١٠) .

العبد ربٌّ والربُّ عبـدٌ يا ليت شعري من المكلَّف

إن قلت عبدٌ فذاك حقٌّ أو قلت ربٌّ أنّـى يُكـلَّف

ويقول أيضاً في الفتوحات : " إنَّ الذين عبدوا العجل ما عبدوا غير الله " .

وابن عربي هذا يلقِّبه الصُّوفيَّة بالعارف بالله ، والقطب الأكبر ، والمسك الأذفر ، والكبريت الأحمر ، مع قوله بوحدة الوجود وغيرها من الطَّامات ، فإنَّه يمدح فرعون ويحكم بأنَّه مات على الإيمان . ويذمُّ هارون على إنكاره على قومه عبادة العجل مخالفاً بذلك نصَّ القرآن ، ويرى أنَّ النَّصارى إنَّما كفروا لأنَّهم خصَّصوا عيسى بألوهيَّة ، ولو عمَّموا لما كفروا " (١) .

ولأنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة درسوا على شيخ واحد ، فقد اعتادوا على هذه الكذبة في نسبة هذا الشِّعر الكُفريِّ القبيح للإمام الأكبر ابن عربي ، فقد قال المدعو : محمَّد حامد الفقي في تحقيقه !!! لكتاب : " مدارج السَّالكين " ، لابن القيِّم :

" قال ابن عربي الحاتمي شيخ الصُّوفيَّة ، النَّاطق بلسانهم :

العبد ربٌّ والربُّ عبـدٌ يا ليت شعري من المكلَّف

إن قلت عبدٌ فذاك حقٌّ أو قلت ربٌّ أنّـى يُكـلَّف (٢)

ومن المعلوم لدى كلِّ من له اطلاع على حال من يدَّعون السَّلفيَّة يجد أنَّهم من أجل نصرة باطلهم يكذبون ويتحرَّوا الكذب ، والأدلَّة على ذلك كثيرة ... سنذكر بعضها في معرض ردِّنا على هذا " المدخلي " ، فنقول :

إنَّ الإمام الأكبر لم يقل شيئاً ممَّا قلته ، فما ذكرته أيُّها المدخلي هو الكذب بعينه وشينه ومينه ، لأنَّ الذي قاله الإمام الأكبر هو :

الرَّبُّ حقٌّ والعبـــدُ حقٌّ يا ليت شعري من المكلَّف

إن قلت عبدٌ فذاك ميت أو قلت ربٌّ أنـــى يكلَّف (٣)

---

(١) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسُّنَّة (ص١٨) .

(٢) انظر : هامش كتاب : مدارج السالكين (١/ ٧٢) .

(٣) انظر : التنزُّلات الموصليَّة في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية (ص١٢٦) .

فهذا هو ما قاله ابن عربي لا ما نسبته إليه أيُّها المدخلي ... وأُضيف بياناً لهذا المدخلي ، فأقول : إنَّ ابن تيمية نقل كلام ابن عربي ولم يقل ما نسبته لابن عربي ، بل قال عين ما قاله الإمام ابن عربي ، فقد جاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية : " كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ فِي أَوَّلِهَا :

الرَّبُّ حَقٌّ وَالْعَبْــدُ حَقٌّ   يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ الْمُكَلَّفُ

إنْ قُلْت عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ   أَوْ قَلَتْ رَبٌّ أَنَّـــى يُكَلَّفُ (١)

ثُمَّ إنَّ كتب الإمام ابن عربي طافحة بردِّ ما اتُّهم به ، من ذلك قوله : " الربُّ ربٌّ والعبدُ عبدٌ ، فلا تُغالط ولا تُخالط " (٢) .

وقوله أيضاً : " فالقديمُ الربُّ ، والحادثُ العبدُ " (٣) .

وقوله : " وما قال بالاتِّحادِ إلا أهلُ الإلحــادِ " (٤) .

وقوله : " بل كلُّ ذات على انفراد من غير شوب ولا اتِّحاد ، ولا حلول ولا انتقـــال ، ولا إنفاق ولا عنـــاد " (٥) .

وأما عن الحلول فيقول : " فإنَّ الله لا يحلُّ في شيء ، ولا يحلُّ فيه شيء ، إذ ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير " (٦) .

وقوله : " إنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى يتعالى عن الحلول في الأجسام (٧) .

وقوله : " فلا يجتمع الحقُّ والخلق أبداً في وجه من الوجوه ، فالعبد عبدٌ والربُّ ربٌّ " (٨) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٨٢) ، (٢/ ١١١) ، (٢/ ٢٤٢) ، (١٤/ ١٢) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٩٧) ، جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٢٧٩) .

(٢) انظر : الفتوحات الربانية (٣/ ٢٢٤) .

(٣) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٤٣٨) .

(٤) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٢) .

(٥) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٨١) .

(٦) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٢) .

(٧) انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

(٨) انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

وقوله : " ومن قال بالحلولِ فهو معلولٌ ، وهو مرضٌ لا دواء لدائه ، ولا طبيبٌ يسعى في شفائه " (١) .

وقد افتروا عليه أيضاً أنَّه يعتقد بإيمان فرعون ، مع أنَّه يقول : " وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلُّها في النَّار ، لا يخرجون منها ، وهم المتكبِّرون على الله تعالى ، كفرعون وأمثاله " (٢) .

والدَّسُّ في كتب الكبراء من أهل العلم ديدنٌ سار عليه أهل الحشو ، ومن ذلك – أيضاً – ما ذكره الإمام ابن حجر الهيتمي في حديثه عن الإمام عبد القادر الجيلاني ، قال : " وَإِيَّاك أَن تغترَّ أَيْضاً بِمَا وَقع فِي الغُنْية لإِمَام العارفين وقطب الْإِسْلَام وَالْمُسْلِمين الْأُسْتَاذ عبد الْقَادِر الجيلاني ، فإِنَّه دسَّه عَلَيْهِ فِيهَا مَنْ سينتقم الله مِنْهُ ، وَإِلَّا فَهُوَ بريء من ذَلِك ، وَكَيف تُروَّج عَلَيْهِ هَذِه الْمَسْأَلَة الْوَاهِيَة مَعَ تضَّلُعه من الْكتاب والسُّنَّة وَفقه الشَّافِعِيَّة والحنابلة حَتَّى كَانَ يُفْتِي على المذهبين ، هَذَا مَعَ مَا انضْم لذَلِك من أَنَّ الله منَّ عَلَيْهِ من المعارف والخوارق الظَّاهِرَة والباطنة وَمَا أنبأ عَنهُ مَا ظهر عَلَيْهِ وتواتر من أَحْوَاله " (٣) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني أيضاً : " وقد دسَّ الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ، ولولا أنَّ أصحابه يعلمون منه صحَّة المعتقد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته ، وكذلك دسُّوا على شيخ الإسلام مجد الدِّين الفيروزآبادي صاحب القاموس كتاباً في الردِّ على أبي حنيفة وتكفيره ، ودفعوه إلى أبي بكر الخيَّاط ، فأرسل يلوم الشَّيْخ مجد الدِّين على ذلك ، فكتب إليه : إن كان الكتاب بكفِّك فأحرقه ، فإنَّه افتراء من الأعداء ، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة ، وذكرت مناقبه في مجلَّد .

وكذلك دسُّوا على الإمام الغزالي عدَّة مسائل في كتاب الإحياء ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النُّسخ فأمر بإحراقها ، وكذلك دسُّوا عليَّ أنا في كتابي المسمَّى بـ " البحر المورود " جملة من العقائد الزَّائغة ، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكَّة نحو ثلاث سنوات ، وأنا بريء منها ، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه ، فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النُّسخة التي عليها خطوطهم ... إذا علمت ذلك فيحتمل أنَّ الحسدة دسُّوا

---

(١) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٩) .

(٢) انظر : الفتوحات الربانية (١/ ٣٠١) .

(٣) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢٧١) .

على الشَّيْخ في كتبه ، كما دسُّوا في كتبي أنا ، فإنَّه أمرٌ قد شاهدته عن أهل عصري في حقِّي ، فالله يغفر لنا ولهم آمين " [١] .

أمَّا عمَّا زعمه وافتراه ابن تيمية على الإمام الأكبر من أنَّه ينتقص الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، فيكفي في الرَّدِ أن يقول الإمام الأكبر : " فواجب على المذكر إقامة حرمة الأنبياء عليهم السَّلام ، والحياء من الله أن لا يقلِّد اليهود فيما قالوا في حقِّ الأنبياء ، عليهم الصَّلاة والسَّلام من المثالب ، ونقلة المفسِّرين خذلهم الله " .

ويقول أيضاً : " إنَّ شرط أهل الطَّريق في ما يخبرون عنه من المقامات والأحوال أن يكون عن ذوق ، ولا ذوق لنا ولا لغيرنا ولا لمن ليس بنبيٍّ صاحب شريعة في نبوَّة التَّشريع ولا في الرِّسالة ، فكيف نتكلَّم في مقام لم نصل إليه أو على حال لم نذقه لا أنا ولا غيري ممَّن ليس بنبيٍّ ذي شريعة من الله ، ولا رسول ؟ حرام علينا الكلام فيه ... حضرت في مجلس فيه جماعة من العارفين ، فسأل بعضهم بعضاً : من أي مقام سأل موسى الرؤية ؟ فقال الآخر : من مقام الشَّوق .

فقلت له : لا تفعل ، أصل الطَّريق : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ، فلا ذوق للوليِّ في حال من أحوال أنبياء الشَّرائع ، ومن أصولنا : أنا لا نتكلَّم إلا عن ذوق ، ونحن لسنا برسل ولا أنبياء شريعة ، فبأي شيء نعرف من أيِّ مقـــامٍ سأل موسى الرؤية " [٢] .

وعليه ، فإنَّ افتراءات المتمسلفة على الإمام الأكبر ابن عربي رحمه الله محض كذب ، مع العلم أنَّه لم يسلم من ألسنتهم عالم من علماء الأُمَّة الذين لم يسيروا على منهجهم ، خاصَّة بعد أن حكموا بكفر من سواهم ...

وقال الشَّيْخ ابن باز أيضاً : " ... فإنَّ الصُّوفيَّة في الغالب طريقتهم هي البدع والخرافات ، وكثير منهم يعبدُ شيخه من دون الله !!! ويستغيث به ، وينذر له ، ويطلب منه المدد حيَّاً وميتاً ، وأحوالهم خطيرة ، والنَّاجي منهم قليل ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله " [٣] .

فالشَّيخ ابن باز يصف طريقة الصُّوفيَّة بأنَّها قائمة على البدع والخرافات ، وهذه شنشنة نعرفها من الوهَّابيَّة ، لأنَّ من المعلوم أنَّ المتمسلفة لا يرعوون عن تبديع عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، حتى صار التَّبديع سَنَنَاً وطريقاً لهم

---

[١] انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (ص٧) .

[٢] انظر : الفتوحات المكية (٢/ ٥١) .

[٣] انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٦/ ٣٣٣) .

في كلامهم مع غيرهم ، مع أنَّهم لم يدركوا معنى البدعة أو أنَّهم يَغضُّونَ الطَّرفَ عن المعنى الصَّحيح للبدعة احتراماً لرأي شيخ إسلامهم الذي علَّمهم ...

فقد بيَّن علماء السَّلف والخلف على حدٍّ سواء معنى البدعة ، وأنَّها تنقسم إلى قسمين : بدعة محمودة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة مذمومة ، وهي ما خالف الشَّرع ... وقد سبق بيان ذلك .

وقال الشَّيْخ ابن باز : " أمَّا قول الصُّوفيَّة : (الله الله) ، أو (هو هو) ، فهذا من البدع ، ولا يجوز التقيُّد بذلك ؛ لأنَّه لم ينقل عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم فصار بدعة ؛ لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " [1] .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :" السُّؤال التَّاسع من الفتوى رقم (٦٢٥٠) :

س٩ : في الحيِّ الذي أسكن فيه يوجد مسجد ، وتوجد زاوية تابعة لطريقة صوفيَّة ، هل تجوز الصَّلاة في هذه الزاوية ؟

ج٩ : لا تصلِّ مع هؤلاء الصُّوفيَّة في زاويتهم !!! واحذر صحبتهم والاختلاط بهم !!! لئلَّا يصيبك ما أصابهم ، وتحرَّ الصَّلاة في مسجد جماعة يتحرَّون السُّنَّة ويحرصون عليها .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم [2] .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... وما عرف التَّخذيل عن طلب العلم بهذه الحجَّة الدَّاحضة إلَّا من قبل الصُّوفيَّة الضُّلَّال !!! فالواجب عدم الالتفات لهذا التَّخذيل ، والإقبال على طلب العلم النَّافع [3] .

هذا هو ما قالته اللجنة الدَّائمة ... وقد نسيت أو تناست أنَّ أشهر علماء الأمَّة كانوا من الصُّوفيَّة ... وقد ترجم الإمام الذَّهبي لعشرات منهم ، كما صنَّف الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) . انظر : مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (٨/ ٣٩٩) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٣٠١) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٢/ ٩٧ من الفتوى رقم (١٧٨١١) .

النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السُّلمي المتوفَّى سنة (٤١٢هـ) مصنَّفاً سمَّاه : " طبقات الصُّوفيَّة " ، وصنَّف الإمام المناوي كتاباً بعنوان : " الكواكب الدُّريَّة في تراجم السَّادة الصُّوفيَّة " ، وصنَّف الإمام أبو سعيد النقّاش الحنبلي كتاباً بعنوان : " طبقات الصُّوفيَّة " ، وصنَّف الإمام الحكيم التِّرمذي كتاباً بعنوان : " طبقات الصُّوفيَّة ، وصنَّف الإمام ابن الملقّن الشَّافعي كتاباً بعنوان : " طبقات الصُّوفيَّة " ، وفي موسوعتنا : " الإتحافات المِقْدَادِيَّة فِي تَراجِمِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة " ترجمنا للآلاف ، وقد بلغت إلى الآن : واحداً وأربعين مجلَّداً ... وأتوقع وصولها إلى خمسة وسبعين مجلَّداً ، بإذن الله تعالى ...

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :" السُّؤال الخامس من الفتوى رقم (٢١٧٦٨)

س٥ : ترديد الذِّكر جماعة وبصوت واحد هل هذا من مذهب الصُّوفيَّة أم مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ؟

ج ٥ : الذِّكر الجماعيُّ بدعة ؛ لأنَّه محدث ، وقد قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " كلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، والمشروع ذكر الله تعالى بدون صوت جماعي .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :" ... وأمَّا الأذكار التي وضعها أئمَّة الصُّوفيَّة ، فالغالب عليها أنَّها تشتمل على أذكار غير مشروعة ، أو أذكار شركيَّة ، مثل: التَّوسُّل بالمخلوقين ، أو الاستعانة بهم من دون الله عزَّ وجلَّ ... " (٢) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :" ... أنَّ التَّصوُّف نِحلة مبتدعة في الإسلام ، وكلّ بدعة ضلالة ، وقد يؤول بأصحابه إلى الشِّرك والكفر بالله !!! إذا وصل إلى الغلوِّ في المشائخ ، وأنَّهم ينفعون أو يضرُّون من دون الله ، أو الاستعانة بالأموات والذَّبح لهم ، أو اعتقاد أنَّ أصحاب الطُّرق الصُّوفيَّة يتلقون دينهم من الله مباشرة ، فلا حاجة بهم إلى اتباع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويشرعون لأتباعهم عبادات وأذكاراً ما أنزل الله بها من سلطان ، وقد قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، فلا تجوز مصاحبة

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٤/ ٢٦٨) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٤/ ٢٩٠) .

الصُّوفيَّة !!! ولا حضور مجالسهم !!! ولا يجوز إكرامهم وتشجيعهم !!! بل يجب الإنكار عليهم ، ومنعهم من مزاولة أعمالهم الصُّوفيَّة ونشرها بين النَّاس !!! ويجب هجرهم والتَّحذير منهم .

وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم (١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :" ... ومن اعتنق مذهب الصُّوفيَّة فقد فارق مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ... " (٢) فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... الطُّرق الصُّوفيَّة طرقٌ مخالفةٌ لهدي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والواجب الاقتداء بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سنَّته ، والابتعاد عمَّا خالف هديه وسنَّته ؛ لأنَّه بدعة وكلُّ بدعة ضلالة ... " (٣) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... الغالب على الصُّوفيَّة في هذا الزَّمان أنَّها طائفة ضالَّة !!! لها منهج في العبادة يخالف ما جاء به الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) ...

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة :" ... والطُّرق الصُّوفيَّة جميعها أو ما يُسمَّى بالتَّصوُّف الآن يغلب عليها العمل بالبدع الشِّركيَّة والذَّرائع الموصلة إليها والمعتقدات الفاسدة ، ومخالفة الكتاب والسُّنَّة ، كالاستغاثة بالأموات ... " (٥) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... اعتقاد أنَّ الدَّعاء يُستجاب عند القبور بدعة لا أصل لها في الشَّرع المطهَّر ، وقد تؤول بصاحبها إلى الشِّرك الأكبر إذا دعا المقبور من دون الله أو معه ، أو اعتقد النَّفع والضُّرَّ في المقبور ، فإنَّ النَّافع الضَّارَّ هو الله سبحانه . وكذلك اعتقاد أنَّ الزَّاهد العابد لا يموت بل ينتقل من مكان إلى مكان أخر ، وأنَّه يقضي حاجات النَّاس في قبره ، كما كان يقضي حاجاتهم في حياته ، اعتقاد فاسد من معتقدات الصُّوفيَّة المنحرفة !!! ولا دليل على ذلك ، بل دلَّت الآيات والأحاديث الصَّحيحة على أنَّ كلَّ إنسان في هذه

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٤٦٢ من الفتوى رقم (٢٠٢٣٥) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٧٨ الفتوى رقم (١٦٠١١) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٨٥ الفتوى رقم (١٦٨٦٢) .

(٤) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٨٦ الفتوى رقم (١٧٥٥٨) .

(٥) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٨٩ الفتوى رقم (١٩٥٢١) .

الدُّنيا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] الآية . كما دلَّت الأحاديث الصَّحيحة أنَّ الإنسان إذا مات انقطع عمله إلَّا من ثلاث : علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية ، وأنَّ الميِّت في قبره لا يملك لنفسه ضرَّاً ولا نفعاً ، ومن كانت هذه حاله فإنَّه لا يملك ذلك لغيره من باب أولى ، ولا يجوز طلب قضاء الحاجات إلا من الله وحده فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وطلبها من الأموات شركٌ أكبر ، ومن اعتقد غير ذلك فقد كفر كفراً أكبر يُخرجه من الملَّة ، والعياذ بالله " (١) ...

وجاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ... هذه الضَّلالات المذكورة ليست صادرة عن المدَّعين للتَّصوُّف ، بل هي صادرة عن أئمَّة الصُّوفيَّة المنحرفين ، كابن عربي ، والحلَّاج ، والرِّفاعي ، وابن الفارض ، والشَّعراني في (طبقاته) ، والسَّهروردي في (عوارفه) ، وعبد الكريم الجيلي في (الإنسان الكامل) ، وغيرهم من أقطاب الصُّوفيَّة ، كما هو موجود في كتبهم . ودعوى أنها مدسوسة عليهم دعوى بلا دليل ، وكيف تكون مدسوسة عليهم ، وأتباعهم الآن يطبعون هذه الكتب ويتداولونها ويطبِّقونها في أعمالهم التَّعبديَّة ليلاً ونهاراً " (٢) .

وقال المدعو عمر محمود : " فالصُّوفيَّة مذهبٌ دخيلٌ ليس من الإسلام في شيء ، وهو ديانة مستقلَّة !!! ليس لها وجه قُربة مع الإسلام ، لا في أُصولها ، ولا في فروعها ، فهي لها عقائد خاصَّة بها !!! وأركان عبادات كذلك ، وشرح هـذا الأمر يطول جداً " (٣) .

وفي كتابهم المُسمَّى : " إعصارُ التَّوحيد " ، كفَّروا الصُّوفيَّة ، وأهل الطُّرق ، وأهل البلاد الإسلاميَّة ، كأهل مصر ، وليبيا ، والمغرب العربي ، والهند ، وفارس ، وآسيا الغربيَّة ، وبلاد الشَّام ، ونيجيريا ، وتركيا ، والبلاد الروميَّة ، والأفغانيَّة ، وبلاد تركستان الصينيَّة ، والسودان ، وتونس ، ومراكش ، والجزائر (٤) ...

وهم بهذا يكفِّرون عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، ولم يُبْقُوا على التَّوحيد إلَّا هم ومن شايعهم من الهمج الجهَّال الرِّعاع ، مع العلم أنَّ تكفيرهم الصُّوفيَّة لم يأتِ من عبث ، فما كان إلَّا لأنَّهم يعلمون يقيناً أنَّ الصُّوفيَّة من أشدِّ

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ١٠٠ الفتوى رقم (٢٠٢٣٤) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الثانية ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ١١٠ الفتوى رقم (٢١١١٩) .

(٣) انظر : ملاحظات على البيجوري في شرحه جوهرة التوحيد (ص ٧٧) .

(٤) انظر : إعصار التوحيد يحطّم وثن الصُّوفيّة ، عبد العزيز بن باز واللّجنة الدّائمة للإفتاء ، جمع وترتيب : نبيل محمود ، دار القاسم ، ١٤١٨هـ .

النَّاس محبَّة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ أغلب العلماء الربَّانيين إن لم نقل كلّهم ، من أهل التَّصوُّف ،الذين اشتهر عنهم التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء والصَّالحين ...

فمن العلماء المتصوِّفة : الفضيل بن عِيَاض بن مَسْعُود بن بشر التَّمِيمِي ثمَّ الْيَرْبُوعي (١٨٧هـ) ، ذُو النُّون بن إِبْرَاهِيم الْمصْرِيّ (٢٤٥هـ) ، إِبْرَاهِيم بن أدهم (١٦٢هـ) ، سري بن الْمُغلس السَّقطِي (٢٥١هـ) ، بشر بن الْحَارِث بن عبد الرَّحمن بن عَطاء بن هِلَال بن ماهان بن عبد الله الحافي (٢٢٧هـ) ، الْحَارِث بن أَسد المحاسبي (٢٤٣هـ) ، شَقِيق بن إِبْرَاهِيم أَبُو عَليّ الْأَزْدِيّ البَلْخِي (١٩٤هـ) ، أَبُو يزِيد طيفور بن عِيسَى بن سروشان (٢٦١هـ) ، أَبُو سُلَيْمَان الدَّارَانِي وَهُوَ عبد الرَّحمن بن عَطِيَّة وَيُقَال عبد الرَّحمن بن أَحْمد بن عَطِيَّة (٢١٥هـ) ، مَعْرُوف الْكَرْخِي (٢٠٠هـ) ، حَاتِم الْأَصَم (٢٣٧هـ) ، أَحْمد بن أبي الْحوَارِي (٢٣٠هـ) ، أَحْمد بن خضرويه الْبَلْخِي (٢٤٠هـ) ، يحيى بن معَاذ بن جَعْفَر الرَّازي (٢٥٨هـ) ، حمدون بن أَحْمد بن عمَارَة أَبُو صَالح الْقصار النَّيْسَابُورِي (٢٧١هـ) ، الْجُنَيْد بن محمَّد أَبُو الْقَاسِم الخزاز (٢٩٧هـ) ، أَبُو عُثْمَان سعيد بن إِسْمَاعِيل بن سعيد بن مَنْصُور الْحِيرِي النَّيْسَابُورِي (٢٩٨هـ) ، يُوسُف بن الْحُسَيْن أَبُو يَعْقُوب الرَّازي (٣٠٤هـ) ، شاه الْكرْمَانِي وَهُوَ شاه بن شُجَاع أَبُو الفوارس (مات قبل ٣٠٠هـ) ، سهل بن عبد الله التسترِي (٢٨٣هـ) ، محمَّد بن الْفضل بن الْعَبَّاس بن حَفْص وكنيته أَبُو عبد الله (٣٠٩هـ) ، أَبُو بكر الْوراق ، وَهُوَ محمَّد بن عمر الْحَكِيم (٢٤٠هـ) ، أَبُو سعيد الخراز ، واسْمه أَحْمد بن عِيسَى (٢٨٦هـ) ، أَبُو عبد الله المغربي ، واسْمه محمَّد بن إِسْمَاعِيل (٢٧٩هـ) ، إِبْرَاهِيم الْخَواص ، وَهُوَ إِبْرَاهِيم بن أَحْمد بن إِسْمَاعِيل كنيته أَبُو إِسْحَاق (٢٩١هـ) ، عبد الله بن محمَّد الخراز ، وَهُوَ أَبُو محمَّد عبد الله بن محمَّد (مَاتَ قبل الْعشْر وثلاثمائة) ، أَبُو حَمْزَة الْبَغْدَادِيّ الْبَزَّاز (٢٨٩هـ) ، أَبُو الْحُسَيْن الْوراق ، واسْمه محمَّد بن سعد (مَاتَ قبل الْعشْرين وثلاثمائة) ، أَبُو بكر الوَاسِطِيّ ، واسْمه محمَّد بن مُوسَى وَأَصله من فرغانة وَكَانَ يعرف بِابْن الفرغاني (مَات بعد الْعشْرين وثلاثمائة) ، أَبُو الْحسن بن الصَّائِغ الدينَورِي ، واسْمه عَليّ بن محمَّد ابْن سهل (٣٣٠هـ) ، إِبْرَاهِيم الْقصار ، وَهُوَ إِبْرَاهِيم بن دَاوُد الرقي أَبُو إِسْحَاق (٣٢٦هـ) ، أَبُو بكر الشبلي واسْمه دلف ، يُقَال : ابْن جحدر ، وَيُقَال : ابْن جَعْفَر ، وَيُقَال : اسْمه جَعْفَر بن يُونُس (٣٣٤هـ) ، أَبُو عَليّ الرُّوذَبَارِي ، واسْمه أَحْمد بن محمَّد بن الْقَاسِم ابْن مَنْصُور بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغدد بن كسْرَى (٣٢٢هـ) ، أَبُو بكر طَاهِر الْأَبْهَرِيّ ، اسْمه عبد الله بن طَاهِر بن حَاتِم الطَّائِي (مَاتَ قرب الثَّلَاثِينَ وثلاثمائة) ، أَبُو عَمْرو الزجاجي ، واسْمه محمَّد بن إِبْرَاهِيم بن يُوسُف ابْن محمَّد (٣٤٨هـ) ، جَعْفَر الْخُلْدِيّ ، وَهُوَ جَعْفَر بن محمَّد بن نصير أَبُو محمَّد الْخَواص (٣٤٨هـ) ، أَبُو بكر الدقّي ، وَهُوَ أَبُو بكر محمَّد بن دَاوُد

الدينَوَرِي (مَاتَ بعد الْخمسين وثلاثمائة) ، عبد الله الرَّازي وَهُوَ ، أَبُو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن عبد الرَّحمن الرَّازي الشعراني (٣٥٣هـ) ، أَبُو الْحسن البوشنجي ، واسْمه عَليّ بن أَحْمد بن سهل (٣٤٨هـ) ، أَبُو عُثْمَان المغربي ، وَهُوَ سعيد بن سَلام (٣٧٣هـ) ، وَمِنْهُم أَبُو عبد الله الرُّوذَبَارِي ، واسْمه أَحْمد بن عَطاء بن أَحْمد الرُّوذَبَارِي (٣٦٩هـ) ، أَبُو الْحسن الصَّيْرَفِي ، وَهُوَ عَليّ بن بنْدَار بن الْحُسَيْن الصَّيْرَفِي (٣٥٩هـ) ، محمَّد بن أَحْمد بن حمدون الْفراء أَبُو بكر (٣٧٠هـ) ، أَبُو عبد الله وَأَبُو الْقَاسِم محمَّد وجعفر ابْنا أَحْمد ابْن الْمُقْرِئ (٣٦٦هـ) ، ...

وقد ترجم تلميذ ابن تيمية الإمام الذَّهبي في كتابه " سير أعلام النُّبلاء " لعشرات منهم [1] ...

---

[1] انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٧٨) ، (١٨/ ٤١٩) ، (١٧/ ٥٨٨) ، (١٩/ ١٩) ، (٢٠/ ١٣٩-١٤٠) ، (٩/ ٥٨٩) ، (١٣/ ٣٣٠) ، (١٤/ ١٥٢) ، (١٤/ ١٥٣) ، (١٥/ ٢٣٢) ، (١٥/ ٤٠٨) ، (١٦/ ٤٧) ، (١٦/ ٢٣٥) ، (١٦/ ٣٦٤) ، (١٦/ ٤٦٩) ، (١٧/ ٣٠١) ، (١٧/ ٤١٢) ، (١٧/ ٤٥٣) ، (١٧/ ٥٦٣) ، (١٧/ ٦٥٢) ، (١٨/ ٨٦) ، (١٨/ ٢٢٧) ، (١٨/ ٢٤٨) ، (١٨/ ٣٧٥) ، (١٨/ ٣٨٥) ، (١٨/ ٤١٩) ، (١٨/ ٥٣٠) ، (١٩/ ١١) ، (١٩/ ١٦٢) ، (١٩/ ٢٣٩) ، (١٩/ ٢٨٠) ، (١٩/ ٣٨٩) ، (١٩/ ٤١٢) ، (١٩/ ٤٥٨) ، (٢٠/ ٥٥) ، (٢٠/ ١٦٩) ، (٢٠/ ١٩٦) ، (٢٠/ ٢٤٥) ، (٢٠/ ٣٠٣) ، (٢٠/ ٣٧٨) ، (٢٠/ ٣٩٥) ، (٢٠/ ٤٩١) ، (٢١/ ١٢٤) ، (٢١/ ١٣٥) ، (٢١/ ٢٣٩) ، (٢١/ ٢٦٩) ، (٢١/ ٥٠٢) ، (٢٢/ ١٧) ، (٢٢/ ٢١) ، (٢٢/ ٥٨) ، (٢٢/ ٧٩) ، (٢٢/ ٨٩) ، (٢٢/ ١١١) ، (٢٢/ ١١٤) ، (٢٢/ ٢٤٦) ، (٢٢/ ٢٤٩) ، (٢٢/ ٢٥٩) ، (٢٢/ ٢٦١) ، (٢٢/ ٢٧٧) ، (٢٢/ ٣٣٣) ، (٢٢/ ٣٥٩) ، (٢٢/ ٣٧٤) ، (٢٢/ ٣٨٧) ، (٢٣/ ١٩) ، (٢٣/ ٢٠) ، (٢٣/ ٧٧) ، (٢٣/ ٨٢) ، (٢٣/ ٩٦) ، (٢٣/ ١٢٤) ، (٢٣/ ٢٣٣) ، (٢٣/ ٢٥٨) ، (٢٣/ ٣٤٣) ، (٢٣/ ٣٤٩) .

الفَصْلُ السَّابعُ

تَكْفِيْرُ الوهَّابِيَّة لِلعُثْمانِيِّيْن

ما من أحد ينكر ما للعثمانيين من أيادٍ بيضاء على الإسلام والمسلمين ، فقد قدَّموا العديد العديد من الخدمات للعرب والمسلمين ، وامتدَّت الفتوحات في زمانهم حتى شملت أصقاعاً عديدة انتشرت في ثلاث قارات ، هي : آسيا ، وأوروبا ، وإفريقية ، حيث وصلت مساحتها إلى حوالي ٢٠ مليون كم مربَّع ، وهم أوَّل من وصل من المسلمين بقوَّاته إلى عمق الأراضي الأوروبيَّة حتى وقفوا على أبواب فييِنَّا وحاصروها أكثر من مرَّة ... كما حموا المشرق العربي من الحملات الاستعماريَّة المتكرِّرة ، وكذا حافظوا على المقدَّسات الإسلاميَّة من المخطَّطات الصَّليبيَّة في أوائل القرن السَّادسَ عَشَرَ الميلادي ... كما منعوا نشر المذهب الشِّيعي في الولايات العربيَّة ، وحصروا المذهب الشِّيعي في بلاد فارس ... هذا بالإضافة إلى حدِّهم من هجرة اليهود إلى فلسطين ، وقيامهم بنشر الإسلام في ربوع أوروبا ...

ومع جليل وجميل الجهود العثمانيَّة في خدمة الإسلام والمسلمين أبى البعض إلَّا أن يتنكَّب الطَّريق ، فسعى في تشويه المسيرة العثمانيَّة في عالم الإسلام من خلال تشويه التَّاريخ العثماني ، وإخفاء الجوانب المشرقة في تاريخهم المكلَّل بالانتصارات والتَّضحيات التي استمرت نحو ستَّة قرون خطَّها سلاطينهم ابتداء بعثمان الأوَّل وانتهاءاً ببايزيد ، وقد تمكَّنوا بقيادة البطل محمَّد الفاتح من اختراق عاصمة الدَّولة الرومانيَّة (القسطنطينيَّة) ، لتُصبح فيما بعد عاصمة الخلافة الإسلاميَّة ... فراح البعض إلى تكفير العثمانيين الموحِّدين بلا ذنب ولا سبب ...

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " وسئل أيضاً : الشَّيخ عبد الله أبا بطين ، عن مسلم له ثمرة أخذها جيرانه ، يدعون أنَّهم اشتروها من رجل آخر اشتراها من عدو تغلَّب عليهم ، من أمراء الأتراك المتغلِّبين على البلاد ، وأقام صاحب الثَّمرة بيِّنة : أنَّ هذا الرَّجل الذي باعها على جيرانه ، استوهبها من العدو المتغلِّب فوهبها له ، والبيِّنة تشهد بإقرار البائع لها ، وكذلك تشهد البيِّنة على إقرار المشترين ، الذين باشروا أخذها من رءوس النَّخل ... إلخ؟

فأجاب : الحمد لله ربِّ العالمين ، لا بدَّ من الكلام على أصل هذه المسألة ، وهو ما حكم مال المسلم إذا استولى عليه الكفَّار !!! هل يملكونه بذلك أم لا ؟ ... " (١) .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٦/ ٣٩٨) .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التّبالي ، العسيري ، النَّجدي (١٣٤٩هـ) : " وكذلك قوله – رحمه الله– : " وقد استزلَّ الشَّيطان أكثر النَّاس في هذه المسألـــة فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة والإجماع على كفره " .

قلت : وهؤلاء كأمثال الذين حكموا بإسلام طائفة التُّرك وأشباههم ... " (١) .

وقال الشَّيخ محمد بن الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن : " ... وأقاموا على ذلك مدَّة سنين ، في أمن وعافية ، وعزٍّ وتمكين ، وبنودهم تخفق شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً ، حتى دهمهم ما دهمهم ، من الحوادث العظام ، التي أزعجت القلوب ، وزلزلتهم من الأوطان ، عقوبة قدريَّة ، سببها ارتكاب الذُّنوب والمعاصي ، لأنَّ من عصى الله وهو يعرفه ، سلَّط الله عليه من لا يعرفه .

والفتنة التي حلَّت بهم ، هي فتنة العساكر التُّركيَّة ، والمصريَّة ، فانتثر نظام الإسلام ، وشتّت أنصاره وأعوانه ، وارتحلت الدَّولة الإسلاميَّة ؛ وأعلن أهل النِّفاق بنفاقهم ، فرجع من رجع إلى دين آبائه ، وإلى ما كان عليه سابقاً من الشِّرك والكفر ؛ وثبت من ثبت على الإسلام ؛ وقام بهم من أمور الجاهليَّة أشياء ، لا تخرج من ثبت منهم عن الإسلام (٢) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجو" بة النَّجديَّة " : " فمن لم يكفِّر المشركين من الدَّولة التُّركيَّة ، وعبَّاد القبور ، كأهل مكَّة وغيرهم ، ممَّن عبَدَ الصَّالحين ، وعدل عن توحيد الله إلى الشِّرك ، وبدَّل سنَّة رسوله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بالبدع ، فهو كافرٌ مثلهم ، وإن كان يكره دينهم ، ويبغضهم ، ويحبُّ الإسلام والمسلمين ، فإنَّ الذي لا يكفِّر المشركين ، غير مصدِّق بالقرآن ، فإنَّ القرآن قد كفَّر المشركين ، وأمر بتكفيرهم ، وعداوتهم ، وقتالهم ... وبهذا يتبيَّن لك : أنَّ جهاد أهل حائل ، من أفضل الجهاد ، ولكن لا يرى ذلك إلَّا أهل البصائر " (٣) .

---

(١) انظر : منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع (ص٧٨) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٥٠-٤٥١) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٩١-٢٩٢) .

وقال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب آل الشَّيخ (١٢٩٣هـ) : " إلى الإخوان المكرمين من أهل الحوطة – سلَّمهم الله تعالى وهداهم – سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فأوصيكم بتقوى الله وطاعته والاعتصام بحبله ، وترك التَّفرُّق والاختلاف ، ولزوم جماعة المسلمين . فقد قامت الحجَّة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ... وقد أناخ ساحتكم من الفتن والمحن ما لا نشكوه إلَّا إلى الله ، فمن ذلك : الفتنة الكبرى والمصيبة العظمى ؛ الفتنة بعساكر المشركين أعداء الملة والدِّين – يقصد العثمانيين – وقد اتسعت وأضرت ، ولا ينجو المؤمن منها إلّا بالاعتصام بحبل الله ، وتجريد التَّوحيد ، والتَّحيُّز إلى أولياء الله وعباده المؤمنين ، والبراءة كلّ البراءة ممَّن أشرك ، وعدل به غيره ، ولم ينزهه ممَّا انتحله المشركون ، وافتراه المكذِّبون .

وأفضل القرب إلى الله ، مقت أعدائه المشركين ، وبغضهم وعداوتهم وجهادهم ، وبهذا ينجو العبد من توليهم من دون المؤمنين ، وإن لم يفعل ذلك فله من ولايتهم بحسب ما أخلَّ به وتركه من ذلك " (١) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وسئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، عمن لم يكفر الدولة – يقصد الدَّولة العثمانيَّة – ومن جرهم على المسلمين ، واختار ولايتهم وأنَّه يلزمهم الجهاد معه ؛ والآخر لا يرى ذلك كلّه ، بل الدَّولة ومن جرهم بغاة ، ولا يحلُّ منهم إلَّا ما يحلّ من البغاة ، وأن ما يغنم من الأعراب حرام ؟

فأجاب : من لم يعرف كفر الدولة – العثمانيَّة – ولم يفرِّق بينهم وبين البغاة من المسلمين ، لم يعرف معنى لا إله إلَّا الله ،؛ فإن اعتقد مع ذلك : أنَّ الدَّولة مسلمون ، فهو أشدّ وأعظم ، وهذا هو الشكُّ في كفر من كفر بالله ، وأشرك به ؛ ومن جرهم وأعانهم على المسلمين ، بأي إعانة ، فهي ردة صريحة .

ومن لم يرَ الجهاد مع أئمَّة المسلمين ، سواء كانوا أبراراً أو فجاراً ، فهو لم يعرف العقائد الإسلاميَّة ، إذا استقام الجهاد مع ذوي الإسلام ، فلا يبطله عدل عادل ولا جور جائر ؛ والمتكلِّم في هذه المباحث ، إمَّا جاهل فيجب تعليمه ، أو خبيث اعتقاد ، فتجب منافرته ومباعدته " (٢) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... وبعد ذلك: أتانا النَّبأ الفادح الجليل ، والخطب الموجع العظيم ، الذي طمس أعلام الإسلام ؛ ورفع الشِّرك بالله وعبادة الأصنام ، في تلك البلاد ، التي كانت بالإسلام ظاهرة ،

---

(١) انظر : عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/ ٩٤٠-٩٤١) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٢٩) .

ولأعداء المِلَّة قاهرة ، وذلك بوصول عساكر الأتراك ، واستيلائهم علي الأحساء والقطيف ، يقدمهم طاغيتهم " داود بن جرجيس " داعياً إلى الشِّرك بالله ، وعبادة إبليس .

فانقادت لهم تلك البلاد ، وأنزلوا العساكر بالحصون والقلاع ، ودخلوها بغير قتال ولا نزاع ، فطاف بهم إخوانهم من المنافقين ، وظهر الشِّرك بربِّ العالمين (١) .

وكتب الشَّيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب رسالة !!! في بيان كفر العثمانيين الأتراك وحرمة موالاتهم عنوانها : "الدَّلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ". وفي رسالته نعت العثمانيين بأنَّهم : أهل الشِّرك ، والمشركين ، وعبَّاد القبور والقباب ، وجنود الشِّرك ...

وقد بيَّن الشَّيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري سبب رسالة " الدَّلائل "، فقال : " فإنَّ الشَّيخ سليمان ، صنَّفها لَّما هجمت العساكر التُركيَّة على نجد في وقته ، وأرادوا اجتثاث الدِّين من أصله ، وساعدهم جماعة من أهل نجد ، من البادية والحاضرة ، وأحبُّوا ظهورهم" (٢) .

وممَّا جاء في الرِّسالة : "اعلم ، رحمك الله : أنَّ الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم ، خوفاً منهم ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرِّهم ، فإنَّه كافر مثلهم ، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ، ويحبُّ الإسلام والمسلمين ؛ هذا إذا لم يقع منه إلَّا ذلك ، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ، ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنُّصرة والمال ووالاهم ، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود القباب والشِّرك وأهلها ، بعد ما كان من جنود الإخلاص والتَّوحيد وأهله ؟ فإنَّ هذا لا يشكُّ مسلم أنَّه كافر ، من أشدِّ النَّاس عداوة لله ورسوله " (٣) .

وجاء فيها أيضاً : " فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام ، فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشِّرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التَّوحيد ، وابتغوا غير سبيلهم وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبُّهم وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التَّوحيد ، والصَّبر عليه وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التَّوحيد طوعاً لا كرهاً ، واختياراً لا اضطراراً . فهؤلاء

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٣٩٣) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ١٥٧) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ١٢١) .

أولى بالكفر والنَّار ، من الذين تركوا الهجرة شحّاً بالوطن ، وخوفاً من الكفَّار ، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين " (١) .

وجاء فيها أيضاً : " ... فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة سواء بسواء ، فإنَّهم قبل هذه الفتنة يعبدون الله على حرف ، أي : على طرف ، ليسوا ممَّن يعبد الله على يقين وثبات ، فلمَّا أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين ، وأعطوهم الطَّاعة ، وخرجوا من جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ، فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدُّنيا ، فـ ﴿ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١٥] (٢) .

وجاء فيها أيضاً : " فأخبر الله تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، وفي ضمنه النَّهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين . ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله ، وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة ، أهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات ، أم أهل الإخلاص وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة ؟ فالمتولِّي لضدّهم واضع للولاية في غير محلّها ، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصَّلاة المؤتين للزَّكـــاة على ولاية أهل الشِّرك والأوثان والقباب " (٣) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " نقلاً عن الشَّيخ عبد الله بن عبد الرَّحمن أبا بطين " ... عمارة هذه المشاهد الشِّركيَّة ، أكثرها من تحت أيدي ولاة الأمور ، وأهل الدُّنيا ، ووافقهم على ذلك ، وزيَّنه لهم بعض علماء السُّوء ؛ وبسبب ذلك : استحكم الشرُّ ، وتزايد ، والشَّرُّ في زيادة ، والخير في نقصان .

وفي حديث عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " هلكت بنو إسرائيل على يدي قرائهم وفقهائهم ، وستهلك هذه الأمَّة على يدي قرائها وفقهائها " ؛ فما أصدق قول عبد الله بن المبارك، رحمه الله تعالى :

وهل أفسد الدين إلَّا الملوك　　وأحبار سوء ورهبانها (٤)

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ١٢٦) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ١٣٤).

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ١٤٠) .

(٤) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٣٩٦-٣٩٧) .

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن عبد الله ابن طوق نزيل الأحساء في قصيدة يصف فيها حال الأحساء بعد أن استولى عليها الأتراك أرسلها إلى الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن ، قال فيها :

وأعظم من ذا يا خليلي كتائب ... تهدم من ربع الهدى كل عـــامر
ويبدو بها التَّعطيل والكفر والزِّنا ... ويعلو من التَّأذين صوت المزامر
فقد سامنا الأعداء في كلِّ خطة ... واصل من الإسلام سوم المقامر
أناخ لدنيا للضَّلالة شيعة ... أبا حوا حمى التَّوحيد من كلِّ فاجر
وقابلهم بالسَّهل والرَّحب عصبة ... على أُمَّة التوحيـــد أخبث ثائر
يقولـــــــون لكنَّا رضينا تقيَّة ... تعود على أموالنــــــا والذَّخائر
فضحك ولهو واهتزاز وفرحـــــة ... وألوان مأكـــــول ونشوة ساكر
مجالس كفر لا يعـــــاد مريضها ... يراح إليها في المسا والبواكـــــــر
ويرمون أهل الحقِّ بالزَّيغ ويحهم ... أما رهبـــــوا سيفاً لسطوة قاهر
وأمَّا رباع العلـــــــم فهي دوارس ... تحنُّ إلى أربـــابها والمذاكـــر (١)

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " " " وسئل الشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشَّيخ سليمان بن سحمان ، والشَّيخ : صالح بن عبد العزيز ، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ، وكافة علماء العارض ، عن العجمان ، والدّويش ، ومن تبعهم ، حيث خرجوا من بلدان المسلمين ، يدعون : أنَّهم مقتدون بجعفر بن أبي طالب وأصحابه ، رضي الله عنهم ، حيث خرجوا من مكَّة مهاجرين إلى الحبشة ؟

فأجابوا : هؤلاء الذين ذكرهم السائل ، وهم العجمان والدّويش ومن تبعهم ، لا شكَّ في كفرهم وردَّتهم ، لأنَّهم انحازوا إلى أعداء الله ورسوله ، وطلبوا الدُّخول تحت ولايتهم ، واستعانوا بهم ، فجمعوا بين الخروج من ديار المسلمين ، واللحوق بأعداء الملَّة والدِّين ، وتكفيرهم لأهل الإسلام ، واستحلال دمائهم وأموالهم .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، في " الاختيارات " : من جمز إلى معسكر التتر ولحق بهم ، ارتد ، وحلَّ دمه وماله ؛ فإذا كان هذا في مجرَّد اللحوق بالمشركين ، فكيف بمن اعتقد مع ذلك أنَّ جهادهم ، وقتالهم لأهل الإسلام ، دين يدان به ، هذا أولى بالكفر والردة .

---

(١) انظر : مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٨٨) .

وأمَّا استدلالهم بقصة جعفر وأصحابه ، لما هاجروا إلى الحبشة ، فباطل ؛ فإنَّ جعفراً وأصحابه ، لم يهاجروا من مكة إلا وهي إذ ذلك بلاد كفر ، وقد آذاهم المشركون، وامتحنوهم في ذات الله، وقد عذبوا من عذبوا من الصحابة، كصهيب ، وبلال ، وخباب ، من أجل عبادتهم الله وحده لا شريك له ، ومجانبتهم عبادة اللات والعزَّى ، وغيرهما من الأوثان ؛ فلما اشتدت عليهم الأذيَّة ، أذن لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة إلى الحبشة ، ليأمنوا على دينهم .

وأمَّا هؤلاء : فقد خرجوا من بين ظهراني المسلمين ، وانحازوا إلى الكفَّار والمشركين !! وجعلوا بلاد المسلمين بلاد كفر ، بمنْزلة مكة حين هاجر جعفر وأصحابه منها ؛ ولا يستدلُّ بقصَّة جعفر والحالة هذه ، إلَّا من هو أضلّ النَّاس وأعماهم ، وأبعدهم عن سواء السَّبيل ...

وأمَّا قول السائل: إنَّهم يدعون أنهم رعية الأتراك ... فهذا أيضاً من أعظم الأدلَّة على ردَّتهم ، وكفرهم [١]
.

وذكرت جريدة السَّفير أنَّ الأستاذ محمَّد حسنين هيكل كشف عن وثيقة فيها أنَّ أحد كبار زعماء الوهَّابيَّة ، يقول : لا ينبغي أن يكون هناك قتال بين أخيار المسلمين ، أي : الوهَّابيِّين إلَّا مع المشركين والكفَّار ، وأوَّل الكفَّار المشركين هم : الأتراك العثمانيُّون ، وأيضاً الأشراف الهاشميُّون ، وباختصار كلُّ المحمَّديين فيما عدا الوهَّابيِّين [٢] .

وفي تكفيرهم للعثمانيين ، تكفير للقائد المسلم : السُّلطان محمَّد الفاتح الماتريدي العقيدة ، وفي هذا معارضة لحديث رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يقول فيه : " لتفتحنَّ القسطنطينيَّة ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش " [٣] .

فهذه بعض أقوالهم في تكفير العثمانيين الذين وحَّدوا المسلمين وأعادوا أمجادهم ، وتصدّوا بنجاح كبير للحملات الصَّليبية ، وحافظوا على استقلال الدَّولة السِّياسي وقاوموا بفعاليَّة ملحوظة التَّمدُّد الاقتصادي الغربي ، وحقَّقوا التَّكامل الاقتصادي لدرجة الاكتفاء الغذائي والصِّناعي ، ودقَّت فتوحاتهم أبواب بلجراد

---

[١] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٢٠٩-٢١٠) .

[٢] انظر : جريدة السفير الصادرة يوم السبت بتاريخ ٣٠ حزيران سنة ٢٠٠١ (ص١١) .

[٣] أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٢٨٧ برقم ١٨٩٥٧) .

وردوس وبودابست ووصلوا حتى أسوار فينَّا ... العثمانيُّون الذين رفضوا بيع فلسطين لليهود رغم عرضهم السَّخي بسداد ديون الدَّولة العثمانيَّة وملْء خزينتها التي كانت خاوية ... فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

الفَصْلُ الثَّامِنُ

تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة للمُعْتَزِلَة

المعتزلة فرقة من الفِرق الإسلاميَّة التي نشأت في أواخر العصر الأموي وتطوَّرت وازدهرت خلال العصر العبَّاسي ، وقد تضاربت الأقوال في السَّبب الذي أدَّى لنشأتها ... وقد غلبت عليهم النَّزعة العقليَّة ، حيث اعتمدوا على العقل فقدَّموه على النَّقل ... وقد ذهب الجمهور على اعتبارهم من جملة المسلمين ...

فالإمام الغزالي كان يعتبرهم من أهل الاجتهاد في الدِّين ، وكلُّ مجتهد مأجور ، ومنع من تكفيرهم ، وفي ذلك يقول أثناء ردِّه على الفلاسفة :" ... فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ، ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل

ذلك . وقد ذكرنا في كتاب " فيصل التَّفرقة بين الإسلام والزَّندقة " ما يتبيَّن به فساد رأي من يتسارع إلى التَّكفير في كل ما يخالف مذهبه " [١] .

وقال الإمام أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَقَالَ الْقَفَّالُ وَكَثِيرُونَ مِنْ الْأَصْحَابِ : يَجُوزُ الِاقْتِدَاءُ بِمَنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ . قَالَ صَاحِبُ الْعُدَّةِ : هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ ، (قُلْتُ) : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، فقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله : أَقْبَلُ شَهَادَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إلَّا الْخَطَّابِيَّةَ ، لأنَّهم يَرَوْنَ الشَّهَادَةَ بِالزُّورِ لِمُوَافِقِيهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ يَرَوْنَ الصَّلاة وَرَاءَ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَنَحْوِهِمْ ، وَمُنَاكَحَتَهُمْ ، وَمُوَارَثَتُهُمْ ، وَإِجْرَاءَ سَائِرِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ تَأَوَّلَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُحَقِّقِينَ مَا نُقِلَ عَنْ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ تَكْفِيرِ الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ كُفْرَانُ النِّعمة لا كفران الْخُرُوجِ عَنْ الْمِلَّةِ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا التَّأويل مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ إجْرَاءِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ . قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : أَجَازَ الشَّافِعِيُّ الصَّلاة خَلْفَ مَنْ أَقَامَهَا يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَإِنْ كان غير محمود في دينه أن حاله أَبْلَغُ فِي مُخَالَفَةِ حَدِّ الدِّين هَذَا لَفْظُهُ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : إنْ كَفَرَ بِبِدْعَةٍ لَمْ تَجُزْ الصَّلاة وَرَاءَهُ وَإِلَّا فَتَجُوزُ وَغَيْرُهُ أَوْلَى " [٢] .

وقال الإمام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) : " وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي التَّكْفِيرِ وَسَبَبِهِ ، حَتَّى صُنِّفَ فِيهِ مُفْرَدًا ، وَالَّذِي يَرْجِعُ إلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا : أَنَّ مَآلَ الْمَذْهَبِ : هَلْ هُوَ مَذْهَبٌ أَوْ لَا ؟ فَمَنْ أَكْفَرَ الْمُبْتَدِعَةَ قَالَ : إنَّ مَآلَ الْمَذْهَبِ مَذْهَبٌ فَيَقُولُ : الْمُجَسِّمَةُ كُفَّارٌ؛ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا جِسْمًا، وَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُمْ عَابِدُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ كَفَرَ، وَيَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ كُفَّارٌ ؛ لِأَنَّهُمْ – وَإِنْ اعْتَرَفُوا بِأَحْكَامِ الصِّفَاتِ – فَقَدْ أَنْكَرُوا الصِّفَاتِ وَيَلْزَمُ مِنْ إنْكَارِ الصِّفَاتِ إنْكَارُ أَحْكَامِهَا ، وَمَنْ أَنْكَرَ أَحْكَامَهَا فَهُوَ كَافِرٌ . وَكَذَلِكَ الْمُعْتَزِلَةُ تَنْسِبُ الْكُفْرَ إلَى غَيْرِهَا بِطَرِيقِ الْمَآلِ [٣] .

وقال الإمام أبو الحسن ، علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) : " ... وأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَمُؤَوِّلُونَ ، وَحَاصِلُ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ وُجُودَهُمَا الْآنَ فَإِنْ قَالَهُ عَنْ تَأْوِيلٍ كَالْمُعْتَزِلَةِ فَلَا يُكَفَّرُ " [٤] .

---

[١] انظر : المنقذ من الضلال (ص١٥٠) .

[٢] انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٤/ ٢٥٤) .

[٣] انظر : إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العيد (٢/ ٢١٠) ، مطبعة السنة المحمدية .

[٤] انظر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ، العدوي (١/ ٨٨) .

وقال الإمام أبو الحسن ، علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) أيضاً : " وأمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَلَا يَكْفُرُونَ بَلْ يُؤَدَّبُونَ " (١) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَمُقْتَضَى الْوَجْهِ حِلُّ مُنَاكَحَتِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ عَدَمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، وَإِنْ وَقَعَ إلْزَامًا فِي الْمَبَاحِثِ، بِخِلَافِ مَنْ خَالَفَ الْقَوَاطِعَ الْمَعْلُومَةَ بِالضَّرُورَةِ مِنْ الدِّينِ " (٢) .

ثم إنَّ المسلمين قبلوا تفسير " الكشَّاف " للإمام الزَّمخشري ، وصوَّبوه واتَّبعوه ، واستفادوا ممَّا فيه من فوائد لغوية وبيانيَّة جمَّة ، وما يقال عن المعتزلة أنَّهم ينكرون الحديث فمُجانبٌ للصَّواب ، بل هم يرون أنَّ قول الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّة إذا ثبت ... كما تجد ذلك في " طبقات المعتزلة " للقاضي عبد الجبَّار ، ولا يخفى على ذي لبٍّ أنَّ الشَّيخان رويا عن العديد من رجال المعتزلة ... ومع هذا وغيره الكثير ، فإنَّنا ننكر ما وقع فيه المعتزلة من جنوح عن الجادَّة ، وخطأ في المنهج الذي بنوه على أُصولهم الخمسة ، وهي :

١.التَّوحيد : قال الإمام الأشعري : " أجمعت المعتزلة على أنَّ الله واحد ليس كمثله شيء ، وهو السَّميع البصير ، وليس بجسم ، ولا شبح ، ولا جثَّة ، ولا صورة ، ولا لحم ، ولا دم ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرَض ، ولا بذى لون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، ولا مجسَّة ، ولا بذي حرارة ، ولا برودة ، ولا رطوبة ، ولا يبوسة ، ولا طول ، ولا عرْض ، ولا عُمق ، ولا اجتماعة ، ولا افتراق ، ولا يتحرَّك ، ولا يسكن ، ولا يتبَّعض ، وليس بذي أبعاض ، وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ، ولا بذي يمين وشمال ، وأمام وخلف ، وفوق وتحت ، ولا يحيط به مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسَّة ، ولا العزلة ، ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالَّة على حدثهم ، ولا يوصف بأنَّه متناه ، ولا يوصف بمساحة ، ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يُقاس بالنَّاس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجري عليه الآفات ، ولا تحلُّ به العاهات ، وكل ما خطر بالبال ، وتصوُّر بالوهم ، فغير مُشبه له ، لم يزل أولاً ، سابقاً متقدِّماً للمحدثات ،

---

(١) انكر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ، العدوي (٢/ ٤١٦) .

(٢) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٣/ ٤٥-٤٦) .

موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الأوهام ... " (١) .

٢. العَدل : ويقصدون به : نفي القدر ، فهم يعتقدون بأنَّ الإنسان يخلق أفعال نفسه ... والحامل لهم على هذا الأصل : تنـزيه الله عن الظُّلم ، فالله تعالى يتنزَّه عن الظُّلم ، ومحال عندهم أن يقدِّر الله على العبد ما يعاقبه عليه ...

٣. إنفاذ الوعيد : فهم يعتقدون أنَّ وعيد الله تعالى لا يتخلَّف ، لأنَّ إخلاف الوعيد في حقِّه تعالى قبيح ...

٤. المنزلة بين المنزلتين : ومعنى هذا الأصل عند المعتزلة : أنَّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ، ولا كافراً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، فلا يسمَّى مؤمناً ، ولا كافراً ، وإنَّما يسمَّى فاسقاً . وهو في الآخرة مخلَّد ، وعذابه أخفّ من عذاب الكافر ...

٥. الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر : ويقصدون بهذا الأصل : وجوب الخروج على الأئمَّة الظَّلمة الجائرين الفسقة بالسَّيف ، والعمل على إقصائهم عن حكم المسلمين ...

ومع ذلك نعتقد أنَّ من أهمِّ الأسباب التي وصلت بهم إلى ذلكم الموصل : حرصهم على تنـزيه الله وتوحيده ، وكذا حرصهم على حماية الدِّين وردِّ كيد وشُبه الطَّاعنين والمشكِّكين ...

وبناء على ما قاله المعتزلة : بأنَّ الله تعالى " لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار " ، فقد كفَّر المتمسلفون كلَّ من لم يؤمن بأنَّ الله تعالى لا يُرى الآخرة ... فقد جاء في كتاب طبقات الحنابلة : " وقال أبو بكر المروذي : سمعت أحمد يقول : من زعم أنَّ الله لا يُرى في الآخرة ، فهو كافر " (٢) .

وجاء في طبقات الحنابلة أيضاً :

" وقال حنبل بن إسحاق : سمعت أبا عبد الله ، يقول : من زعم أنَّ الله لا يُرى في الآخرة ، فقد كفر بالله ، وكذَّب بالقرآن ، وردَّ على الله أمره ، يُستتاب فإن تاب وإلَّا قُتل ، والله تعالى لا يُرى في الدُّنيا ، ويُرى في الآخرة " (٣) .

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن (ص١٥٥) .

(٢) انظر : طبقات الحنابله ، القاضي أبو يعلى (١/ ٥٩) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ١٤٥) .

وفي دررهم السَّنيَّة حكموا بتكفير المعتزلة [1] ...

ونسبوا إلى أحمد كذباً عليه أنَّه قال : علماء المعتزلة زنادقة [2] .

وقال ابن تيمية : " وأمَّا " الْمُعْتَزِلَةُ " فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ مُطْلَقاً ، وَيُثْبِتُونَ أَحْكَامَهَا ، وَهِيَ تَرْجِعُ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ إلَى أنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ ، وأمَّا كَوْنُهُ مُرِيداً مُتَكَلِّماً ، فَعِنْدَهُمْ أَنَّهَا صِفَاتٌ حَادِثَةٌ أَوْ إضَافِيَّةٌ أَوْ عَدَمِيَّةٌ . وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاس إلَى " الصَّابِئِينَ الْفَلَاسِفَةِ " مِنْ الرُّومِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ حَيْثُ زَعَمُوا : أَنَّ الصِّفَاتِ كُلَّهَا تَرْجِعُ إلَى سَلْبٍ أَوْ إضَافَةٍ ؛ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْ سَلْبٍ وَإِضَافَةٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ ضُلَّالٌ مُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ . وَمَنْ رَزَقَهُ الله مَعْرِفَةَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَصَراً نَافِذاً وَعَرَفَ حَقِيقَةَ مَأْخَذِ هَؤُلَاءِ ، عَلِمَ قَطْعاً أنَّهم يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ ، وأنَّهم كَذَّبُوا بِالرُّسُلِ وَبِالْكِتَابِ وَبِمَا أُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ ؛ وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ : إنَّ الْبِدَعَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ الْكُفْرِ وَآيِلَةٌ إلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ : إنَّ الْمُعْتَزِلَةَ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ !!! والْأَشْعَرِيَّةُ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ !!! وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ الْجَهْمِيَّة الذُّكُورُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ الْجَهْمِيَّة الْإِنَاثُ " [3] .

وقال ابن تيمية أيضاً : " فَالْمُعْتَزِلَةُ فِي الصِّفَاتِ مَخَانِيثُ الْجَهْمِيَّة ، وأمَّا الْكُلَّابِيَة فِي الصِّفَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْأَشْعَرِيَّةُ ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو إسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ : الْأَشْعَرِيَّةُ الْإِنَاثُ هُمْ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَمِنْ النَّاس مَنْ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ؛ لأنَّه لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جَهْماً سَبَقَهُمْ إلَى هَذَا الْأَصْلِ . أَوْ لأنَّهم مَخَانِيثُهُمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ " [4] .

فابن تيمية هنا يصف المعتزلة بأنَّهم مخانيث الفلاسفة ، والمخنَّث يصفه ابن تيمية بأنَّه ملعون على لسان المصطفى ، فقد قال في كتابه " الاستقامة " :

" الْوَجْه الْخَامِس تَشْبِيه الرِّجَال بِالنِّسَاء ، فَإِنَّ المغاني كَانَ السَّلف يسمُّونهم مخانيث ، لِأَنَّ الْغناء من عمل النِّسَاء ، وَلم يكن على عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغني فِي الأعراس إِلَّا النِّسَاء ، كالإماء والجواري الحديثات السن ، فَإِذا تشبَّه بهم الرجل كَانَ مخنَّثاً ، وَقد لعن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخنَّثين من الرِّجَال

---

[1] انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٧٥) .

[2] انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٢١٣) .

[3] انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩) .

[4] انظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٧) .

والمترجِّلات من النِّسَاء ، وَهَكَذَا فِيمَن يحْضرُون فِي السَّماع من المردان الَّذين يسمُّونهم الشُّهُود ، فيهم من التخنُّث بِقدر مَا تشبَّهوا بِالنسَاء ، وَعَلَيْهِم من اللَّعْنَة بِقدر ذَلِك ، وَقد ثَبت عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أَمر بِنَفْي المخنثين ، وَقَالَ : " أخرجوهم من بُيُوتكُمْ " [١] .

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

الفُصْلُ التَّاسِعُ
تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِلإِبَاضِيَّة

الإباضيَّة فرقة تُنْسَبُ إلى مؤسِّسها عبد الله بن إباض التَّمِيمِي ، ينتشرون الآن في عُمان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، وزنجبار ... يُنكرون رؤية الله في الآخرة ، ويعتقدون أنّ أفعال الإنسان خلق من الله ، واكتسابٌ من الإنسان ، وأنَّ صفات الله ليست زائدة على الذَّات ، ولكنّها عين ذاته . كما يعتقدون بأنَّ مرتكب الكبيرة كافرٌ كفر نعمة أو كفر نفاق لا كفر ملَّة ، وأنَّ العاصي مخلّد في النَّار ، كما أنَّهم يُنكرون الشَّفاعةَ لعُصَاة الموحِّدين ... وهم يتعاطون مع باقي المذاهب الإسلاميَّة بانسجام تامّ ، ويُصلُّون خلف أهل السُّنَّة ، ويتزَّوجون منَّا ونتزوَّج منهم ، ولم أجد من حكم بكفرهم إلَّا من يدَّعون السَّلفيَّة ...

---

[١] انظر : الاستقامة (١/ ٣٢٠) .

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وأمَّا الإباضيَّة في هذه الأزمنة ، فليسوا كفرقة من أسلافهم ، والذي يبلغنا !!! أنَّهم على دين عبَّاد القبور ، وانتحلوا أموراً كُفريَّة ، لا يتَّسع ذكرها هنا ؛ ومن كان بهذه المثابة فلا شكَّ في كفره ، فلا يقول بإسلامهم إلَّا مصاب في عقله ودينه !!! " (١) .

وجاء في فتاوي اللجنة الدَّائمة : هل تعتبر فرقة الإباضيَّة من الفرق الضَّالَّة من فرق الخوارج ، وهل يجوز الصَّلاة خلفهم مع الدَّليل ؟

ج٥: فرقة الأباضيَة من الفرق الضَّالَّة ؛ لما فيهم من البغي والعدوان والخروج على عثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهما ، ولا تجوز الصَّلاة خلفهم .

وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (٢) .

وقال المدعو : خالد بن أحمد الزَّهراني في كتابه : دعوة أهل البدع : " وجاء عن أبي الحسن اللخمي رحمه الله – من أئمَّة المالكيَّة – أنَّه سئل عن قوم من الإباضيَّة سكنوا بين أظهر المسلمين ، وبنوا مسجداً يجتمعون فيه بحلق ، ويظهرون مذهبهم ، فأجاب : إذا أظهر هؤلاء القوم الذين ذكرت مذهبهم ، وأعلنوه ، وابتنوا مسجداً يجتمعون فيه ، وصلُّوا العيد بناحية عن المسلمين بجماعة : فهذا باب عظيم يخشى منه أن تشتدَّ وطأتهم ، ويفسدوا على النَّاس دينهم ، ويميل الجهلة ومن لا تمييز عنده إليهم ، فوجب على من بسط الله قدرته أن يستتيبهم ممَّا هم عليه ، فإن لم يرجعوا ضربوا وسجنوا ، ويبالغ في ضربهم ، فإن أقاموا على ما هم عليه ، فقد اختلف في قتلهم ، وأمَّا هدم المسجد الذي بنوه فحقٌّ ، وجميع ما يتألفون فيه كذلك ... " (٣) .

ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ...

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٣٨) ، (٤/ ٤٠٩-٤١٠) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٣٦٩) .

(٣) انظر : دعوة أهل البدع ، خالد بن أحمد الزهراني ، قدم له : معالي الشَّيْخ صالح بن فوزان الفوزان ، عضو هيئة كبار العلماء ، قرأه وقدم له : فضيلة الشَّيْخ صالح بن عبدالله الدرويش ، القاضي بالمحكمة الكبرى بالقطيف (ص٥٨-٥٩) .

فِهْرِسُ المُحْتَوَيَات

فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

(١) الإبانة الكبرى ، ابن بطة ، تحقيق : رضا معطي ، ورفـاقه ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض .

(٢) أبجد العلوم ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، دار ابن حزم ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، القاضي أبو

(١١٠) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشـامية ، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

(١١١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان ، محمَّد بشير بن محمَّد بدر الدِّين السهسواني الهندي ،

يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف ابن الفراء ، تحقيق : محمَّد بن حمد الحمود النجدي ، دار إيلاف الدولية ، الكويت .
(٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، الزَّبيدي ، مؤسسة التاريخ العربي ، ١٩٩٤م .
(٥) الآثار ، محمَّد بن الحسن الشيباني ، تحقيق : أبو الوفا الأفغاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية ، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٧) إجماع أهل السنه النبويَّة على تكفير المعطلة الجهميَّة ، عبد العزيز بن عبد الله آل حمد ، ط١ ، الرياض .
(٨) الآحاد والمثاني ، ابن أبي عاصم ، تحقيق : د. باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م
(٩) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، الضياء المقدسي ، تحقيق : الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠م .
(١٠) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمَّد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي

المطبعة السلفية ومكتبتها ، الطبعة : الثالثة .
(١١٢) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق ، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي ، تحقيق : عبد السَّلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم ، نشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الخامسة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٢م .
(١١٣) طبقات الأولياء ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق : نور الدِّين شريبه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م.
(١١٤) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السبكي ، تحقيق : د. محمود محمَّد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمَّد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٣هـ .
(١١٥) الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي المعروف بابن سعد ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
(١١٦) العلل ومعرفة الرجال ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال الشيباني ، تحقيق : وصي الله بن

، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي ، ، ترتيب : الأمير علاء الدِّين علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(١١) إحياء علوم الدِّين ، الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .
(١٢) أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي ، تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ .
(١٣) أخبار مكَّة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، بيروت .
(١٤) الآداب الشرعية ، ابن مفلح ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، عمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
(١٥) أدب الكاتب ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري ، تحقيق : محمَّد محيى الدِّين عبدالحميد ، المكتبة التجارية ، مصر ، الطبعة : الرابعة ، ١٩٦٣م .
(١٦) الأدب المفرد ، البخاري ، تحقيق : علي عبد الباسط مزيد ، وعلي عبد المقصود رضوان ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
محمَّد عبَّاس ، دار الخاني ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٢هـ .
(١١٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(١١٨) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ، عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن آل الشَّيخ ، تحقيق : حسين محمَّد بوا ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى .
(١١٩) فتاوى ابن تيمية ، (٦/ ٢٩١-٢٩٢) ، جمع : عبد الرَّحمن بن محمَّد وولده محمد .
(١٢٠) الفتاوى الحديثية ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العباس ، (ص٢٧٠-٢٧١) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
(١٢١) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش.
(١٢٢) فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ، جمعها : الدكتور محمَّد بن سعد الشويعر .
(١٢٣) فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، بعناية : أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن أحمد الطيار ، أبو عبد الله محمَّد بن موسى الموسى .
(١٢٤) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيْخ محمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشَّيْخ ، محمَّد بن إبراهيم بن عبد

(١٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القسطلاني ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة : السابعة ، ١٣٢٣هـ .

(١٨) أساس التقديس ، فخر الدِّين الرَّازي ، تحقيق : الدكتور عبد الله محمَّد إسماعيل ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١١م .

(١٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٢٠) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، تحقيق : علي محمَّد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٢١) الإشارة إلى مذهب أهل الحق ، أبو إسحاق الشيرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

(٢٢) الإشفاق على أحكام الطلاق ، الكوثري ، دار ابن زيدون .

(٢٣) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٢٤) أصول الدِّين ، البزدوي ، تحقيق : د. هانز

اللطيف آل الشَّيْخ ، جمع وترتيب وتحقيق : محمَّد بن عبد الرَّحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ .

(١٢٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

(١٢٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التميمي ، تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة : السابعة ، ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٧م .

(١٢٧) فتوح الشام ، محمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني، أبو عبد الله، الواقدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(١٢٨) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر بن محمَّد بن عبد الله البغدادي التميمي الاسفراييني ، أبو منصور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٧٧م .

(١٢٩) فرقان القرآن للقضاعي بين صفات الخالق وصفات الأكوان ، العزامي ، المكتبة الأهريَّة للتراث ، ط١ ، ١٩٩٩م .

(١٣٠) الفصول في السيرة ، ابن كثير ، تحقيق : محمَّد العيد الخطراوي ، محيي الدِّين مستو ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٣هـ .

بيترلنس ، المكتبة الأزهريَّة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
(٢٥) اعتقاد الإمام أحمد ، أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التميمي البغدادي الحنبلي ، بلا .
(٢٦) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين ، ابن قيِّم الجوزيَّة ، تحقيق : محمَّد عبد السَّلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .
(٢٧) الاقتصاد في الاعتقاد ، الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
(٢٨) أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، مطبوع بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ، ، دار الإمام النووي ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٢م .
(٢٩) إلجام العوام عن علم الكلام ، الغزالي ، ، بلا .
(٣٠) الأمالي ، ابن بشران دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ،
(٣١) أمراء البلد الحرام ، أحمد زيني دحلان ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت .
(٣٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم ، ابن عبد البر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(١٣١) فضائل الأوقات ، تحقيق : عدنان عبد الرَّحمن مجيد القيسي ، مكتبة المنارة ، مكَّة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ .
(١٣٢) فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل ، تحقيق : د. وصي الله محمَّد عبَّاس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
(١٣٣) قاعدة في المحبة ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
(١٣٤) القضاء والقدر ، البيهقي، تحقيق : محمَّد بن عبد الله آل عامر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(١٣٥) قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السنة ، عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني ، بلا .
(١٣٦) القواعد الأربعة (مطبوع ضمن مؤلفات الشَّيْخ مجمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) ، محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التميمي ، تحقيق : عبد العزيز بن عبد الرَّحمن السعيد وغيره ، نشر : جامعة الأمام محمَّد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
(١٣٧) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، تحقيق : عمر عبد السَّلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(١٣٨) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُوَيني

(٣٣) الإيمان ، ابن مندة ، تحقيق: د. علي بن محمَّد بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ .

(٣٤) الإيمان ، محمَّد نعيم ياسين ، مكتبة الرسالة ، عمان ، ١٩٨٥م .

(٣٥) بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت .

(٣٦) البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، طبعة أُخرى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م .

(٣٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت .

(٣٨)البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمَّد بن العباس ، تحقيق : د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٣٩) بغية الطلب في تاريخ حلب ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت

(٤٠) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، الشافعي ، تحقيق : محمَّد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٢م .

(١٣٩) الكتاب الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، القرطبي ، تحقيق : طارق محمَّد ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(١٤٠) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .

(١٤١) الكشاف ، الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(١٤٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١م .

(١٤٣) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب ، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي ، أضواء السلف ، الطبعة : الأولى .

(١٤٤) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس ، عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، ، تحقيق : عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد ، دارا العاصمة للنشر والتوزيع ، الطبعة : ١١٩٣هـ ، ١٢٨٥هـ .

نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .
(٤١) تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) ، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م
(٤٢) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذهبي ، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣م ،
(٤٣ تاريخ المدينة ، ابن شبة، تحقيق : فهيم محمَّد شلتوت ، طبع على نفقة : السيد حبيب محمود أحمد ، جدة ، ١٣٩٩هـ .
(٤٤) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢ م .
(٤٥) تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(٤٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزيلعي الحنفي ، الحاشية : شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ ،
(١٤٥) الكنى والأسماء ، الدولابي ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمَّد الفاريابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠م .
(١٤٦) كيف نفهم التوحيد ، محمَّد بن أحمد باشميل ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
(١٤٧) المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، جمعية التربية الإسلامية (البحرين ، أم الحصم) ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٩هـ .
(١٤٨) مجلة المجلة ، عدد كانون الثاني ، (١٩٩٦) عدد (٨٣٠) .
(١٤٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ، تحقيق : حسام الدِّين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(١٥٠) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .
(١٥١) المجموع اللفيف ، أمين الدولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ .
(١٥٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز ، عبد

المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣١٣هـ .
(٤٧) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الرابعة .
(٤٨) التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
(٤٩) التدوين في أخبار قزوين ، عبد الكريم القزويني ،تحقيق : عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .
(٥٠) تطهير الجنان والإيمان عن درك الشرك والكفران ، أحمد بن حجر آل بو طامي ، ط٣ .
(٥١) التعرُّف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٥٢) تعظيم قدر الصَّلاة ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، تحقيق : د. عبد الرَّحمن عبد الجبار الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .
(٥٣) التعيين في شرح الأربعين ، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري ، أبو الربيع ، نجم الدِّين ، تحقيق : أحمد حَاج محمَّد عثمان ، مؤسسة الريان ، بيروت ، المكتَبة المكيّة ، مكَّة ، الطبعة : الأولى
العزيز بن عبد الله بن باز ، أشرف على جمعه وطبعه : محمَّد بن سعد الشويعر .
(١٥٣) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أشرف على جمعه وطبعه : محمَّد بن سعد الشويعر .
(١٥٤) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن ، دار الثريا ، الطبعة : الأخيرة ، ١٤١٣هـ .
(١٥٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (الجزء الرابع ، القسم الثاني) ، لبعض علماء نجد الأعلام ، تحقيق : الأولى ، بمصر ١٣٤٩هـ ، النشرة الثالثة ، ١٤١٢هـ ، نشر : دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
(١٥٦) مجموعة ؤسائل ابن أبي الدُّنيا كتاب مجابي الدعوة ، ابن أبي الدُّنيا ، تحقيق : المهندس الشَّيْخ زياد حمدان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
(١٥٧) محمَّد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ، أحمد بن حجر بن محمَّد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، الطبعة : ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥م .

، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
(٥٤) تفسير القاسمي ، القاسمي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥م .
(٥٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(٥٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمَّد عبد الكبير البكري ، نشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ .
(٥٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠ه ، ١٩٨٠م .
(٥٨) الثقات ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي ، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣ه ، ١٩٧٣م .
(٥٩) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٤م .
(١٥٨) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية ، اختصره : محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدِّين ، ابن الموصلي ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
(١٥٩) مختصر العلو للعلي العظيم ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، حققه واختصره : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .
(١٦٠) مختصر صحيح مسلم للمنذري ، تعليق الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٧م .
(١٦١) مختصر في الطب (العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب) ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان ، تحقيق : محمَّد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٨م .
(١٦٢) مختصر قيام الليل ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، نشر : حديث أكادمي ، فيصل اباد ، باكستان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
(١٦٣) مختصر كتاب تصحيح المفاهيم العقديَّة في الصفات الإلهيَّة ، عيسى الحميري ، الطبعة : الأولى
(١٦٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن

(٦٠) جامع الرسائل ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : د. محمَّد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(٦١) جريدة القبس الكويتية ، العدد ٨٢٥٢ ، يوم الجمعة ٢٧ محرم .

(٦٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ، أبو عبد الله شمس الدِّين بن محمَّد بن أشرف بن قيصر الأفغاني ، دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية) ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

(٦٣) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع ، القسم الأول) ، أبو سليمان عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، دار العاصمة، الرياض ، السعودية ، الطبعة : الأولى بمصر ، ١٣٤٩هـ ، النشرة الثالثة ، ١٤١٢هـ .

(٦٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجهـ) ، السندي ، دار الجيل ، بيروت .

(٦٥) حاشية السندي على سنن النسائي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

سلطان القاري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(١٦٥) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

(١٦٦) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني ، أبو داود السِّجِسْتاني ، تحقيق : أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمَّد ، مكتبة ابن تيمية ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(١٦٧) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، تحقيق : أبو عبد الرَّحمن مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(١٦٨) مسند ابن الجعد ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(١٦٩) مسند أبي يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

(١٧٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

(١٧١) مسند أحمد ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ،

(٦٦) حاشية الصاوي على الجلالين ، الصاوي ، طبعة جديدة محققة على نسخة خطية للجلالين .

(٦٧) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة ، ابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(٦٨) الحركة الوهَّابيَّة (رد على مقال لمحمد البهى في نقد الوهابية) ، محمَّد بن خليل حسن هرّاس ، تحقيق : أحمد بن عبد العزيز بن محمَّد بن عبد الله التويجري ، دار السنة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ١٤٢٨هـ .

(٦٩) حسن التفهم والدرك لمسألة الترك ، أبو الفضل عبد الله محمَّد الصديقي الغماري ، مطبوع بذيل كتاب : إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة للغماري ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

(٧٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، دار السعادة ، بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

(٧١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي ، تحقيق : د. محمَّد الأمين محمَّد محمود أحمد الجكيني ، طبع على نفقة السيد : حبيب محمود أحمد ، وجعله وقفاً لله تعالى .

(٧٢) الدرر السنية في الأجوبة النجديةتحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

١٩٩٨م .

(١٧٢) مسند إسحاق بن راهويه في المسند ، تحقيق : د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

(١٧٣) مسند الروياني ، تحقيق : أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ .

(١٧٤) مسند الشاشي ، تحقيق : د. محفوظ الرَّحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ .

(١٧٥) المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣هـ .

(١٧٦) المطالب العالية من العلم الإلهي ، الرَّازي ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

(١٧٧) معالم السنن ، الخطابي ، المطبعة العلميَّة ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٣٥١هـ ، ١٩٣٢م .

(١٧٨) المعجم ، ابن الأعرابي في المعجم ، تحقيق : عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(١٧٩) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار الغرب

(٧٣) دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد ، التقي الحصني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

(٧٤) دلائل النبوة ، البهيقي ، تحقيق : الدكتور عبد المعطى قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ودار الريان للتراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٧٥) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٧٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى ، تحقيق : د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، دار السَّلام ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م

(٧٧) رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٧٨) الرد الوافر ، ابن ناصر الدِّين ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣هـ .

(٧٩) الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثالث) ، عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن

الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

(١٨٠) المعجم الأوسط ، الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة .

(١٨١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٩٥م .

(١٨٢) معجم الشيوخ ، ابن عساكر ، تحقيق : الدكتورة وفاء تقي الدِّين ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(١٨٣) معجم الشيوخ ، ابن عساكر ، تحقيق : الدكتورة وفاء تقي الدِّين ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(١٨٤) المعجم الصغير ، الطبراني ، تحقيق : محمَّد شكور محمود الحاج أمرير ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(١٨٥) المعجم الكبير ، الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية .

(١٨٦) معرفة السنن والآثار ، البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، نشر : جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ، باكستان) ، دار قتيبة (دمشق ، بيروت) ، دار الوعي (حلب ، دمشق) ، دار الوفاء

آل الشَّيخ ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، مصر ، ١٣٤٩هـ ، النشرة الثالثة ، ١٤١٢هـ .

(٨٠) سبل السَّلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلَّة الأحكام ، الصنعاني ، دار الحديث .

(٨١) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، الصالحي ، تحقيق : الشَّيْخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشَّيْخ علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(٨٢) سفر نامه ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي ، تحقيق : د. يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م .

(٨٣) السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِيّ ، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري ، دَارُ العَاصِمَة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٨٤) سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدِّين ، بن الحاج نوح بن نجاتي الأشقودري الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى .

(٨٥) السنة ، الخلال ، تحقيق : د. عطية الزهراني ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ .

(المنصورة ، القاهرة) ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

(١٨٧) معرفة الصحابة ، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(١٨٨) معرفة الصحابة ، أبو نعيم الأصبهاني ،تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(١٨٩) المغني ، ابن قدامة المقدسي ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، والدكتور عبد الفتاح محمَّد الحلو ، عالم الكتب ، الرياض ، السعودية ،الطبعة : الثالثة ،١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(١٩٠) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، بلا .

(١٩١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

(١٩٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٩٣) مقالات الكوثري ، الكوثري ، دار الأحناف ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٣م .

(٨٦) السنة ، عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : أبو مالك الرياشي أحمد بن علي القفيلي ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

(٨٧) سنن أبي داود ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت

(٨٨) سنن الدارقطني في السنن ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، ورفاقه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(٨٩) السنن الصغرى ، البيهقي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٩٠) سنن النسائي الصغرى ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٩١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشَّيْخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(٩٢) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ، الكوثري ، ضمن مجموعة رسائل للإمام الكوثري بعنوان : العقيدة وعلم الكلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

(٩٣) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للسبكي ،

(١٩٤) مقدِّمات الإمام الكوثري ، دار الثريَّا ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(١٩٥) مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسُّنَّة وآثار السلف وسرد ما ألحق النَّاس بها من البدع ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، الطبعة : الثالثة ، ١٣٩٧هـ .

(١٩٦) مناقب الإمام أحمد ، ابن الجوزي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٩هـ .

(١٩٧) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(١٩٨) المنثور في القواعد الفقهية ، الزركشي ، نشر : وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(١٩٩) منن الرَّحمن على التَّابعي الجليل أبي حنيفة النُّعمان ، محمد بن محمود الخوارزمي ، عرض وتعليق وهبي سليمان الألباني ، (١+٢) ، دار ابن حزم .

(٢٠٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ .

(٢٠١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، ابن

الكوثري ، مكتبة زهران ، القاهرة .
(٩٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، الشوكاني ، دار ابن حزم ، الطبعة : الأولى .
(٩٥) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
(٩٦) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، بالترتيب .
(٩٧) شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : جماعة من العلماء ، دار السَّلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ، الطبعة المصرية الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
(٩٨) شرح المقاصد ، التفتازاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م .
(٩٩) شرح جوهرة التوحيد ، الباجوري ، بلا .
(١٠٠) شرح صحيح البخارى ، ابن بطال ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
(١٠١) شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ،

تيمية ، مطبوع بهامش منهاج السنة له ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت .
(٢٠٢) المواقف ، عضد الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق : د.عبد الرَّحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٧م .
(٢٠٣) المؤتَلِف والمختَلِف ، الدارقطني ، تحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
(٢٠٤) المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال ، عبد الله بن محمَّد بن أحمد الدويش ، دار العليان ، المملكة العربية السعودية .
(٢٠٥) المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع، القسم الأول) ، عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية ، الطبعة : الأولى ، بمصر ١٣٤٩هـ ، النشرة الثالثة ، ١٤١٢هـ .
(٢٠٦) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ، أبو سهل محمَّد بن عبد الرَّحمن المغراوي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، النبلاء للكتاب ، مراكش ، المغرب ، الطبعة : الأولى .
(٢٠٧) نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوط

٢٠٠٣م .
(١٠٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، مذيلاً بالحاشية المسمَّاة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للشمني ، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .
(١٠٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ، دار الفيحاء ، عمَّان ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٧هـ .
(١٠٤) الصارم المسلول على شاتم الرَّسول ، ابن تيمية ، تحقيق : محمَّد محي الدِّين عبد الحميد ، نشر : الحرس الوطني السعودي ، المملكة العربية السعودية .
(١٠٥) صحيح البخاري ، تحقيق : محمَّد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
(١٠٦) صحيح شرح العقيدة الطحاوية ، حسن السقاف ، دار الإمام النووي ، عمان ، ط٢ ، ١٩٩٨م .
(١٠٧) صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض .
(١٠٨) صحيح مسلم ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(١٠٩) صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي ، دار مناهل العرفان ، دمشق .
، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
(٢٠٨) نشر الصحيفة في ذكر الصحيح من أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي حنيفة ، مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين ، القاهرة .
(٢٠٩) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد ، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، تحقيق : رشيد بن حسن الألمعي ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .
(٢١٠) نهاية المبتدئين في أصول الدِّين ، ابن حمدان الحنبلي ، تحقيق : ناصر بن سعود السلامة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
(٢١١) نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول ، الحكيم الترمذي ، تحقيق : إسماعيل بن إبراهيم متولي عوض ، مكتبة الإمام البخاري ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٨م .
(٢١٢) نيل الأوطار ، الشوكاني ، تحقيق : عصام الدِّين الصبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
(٢١٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن قيم الجوزية ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ط١ : ١٤١٠هـ

مِنْ أَعْمَالِ المؤلِّف الأُسْتَاذ الدُّكْتُوْر عَلِي مِقْدَادِي :

(١) عِظَمُ المِنَّةِ فِي تَوْضِيْحِ عَقِيْدَةِ الشِّيعة بِأَهْلِ السُّنَّةِ .

(٢) التَّقيَّة وَمَكَانَتُهَا العَقَديَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(٣) عقيدة الشِّيعة الإماميَّة بصحابة خير البريَّة .

(٤) الإرتِوَاءُ فِي بَيَانِ مَا عِنْدَ الشِّيعة مِنْ عَقِيْدَةِ البَدَاء .

(٥) شَحْذُ الهِمَّةِ فِي إِثْبَاتِ تَأْلِيْهِ الشِّيعة لِلأَئِمَّة .

(٦) وَاضِحُ البَيَانِ فِي إِثْبَاتِ اعْتِقَادِ الشِّيعة بِتَحْرِيْفِ القُرْآن .

(٧) الإِمَامَةُ وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(٨) عِصْمَةُ الأئمَّة عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة .

(٩) التَّنْفِيْرُ مِمَّا جَاءَ فِي حَدِيْثِ الغَدِيْر .

(١٠) قُرَّة العَيْنِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الشِّيعة هُمْ قَتَلَةُ الحُسَيْن .

(١١) الأَعْمَالُ الشُّعُوْبِيَّةُ وَالإِجْرَامِيَّةُ لِمَهْدِيِّ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٢) خُرَافَةُ المَهْدَوِيَّةِ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٣) أَشْهَرُ الطُّعُوْنِ الشِّيْعِيَّةِ فِيْ صَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّة .

(١٤) الإِمْتَاعُ في بيَانِ مَوْقِفِ الشِّيعة مِنَ الإِجْمَاع .

(١٥) المُتْعَةُ وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٦) أَسْمَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ تَفْرِيْطِ الشِّيعة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب .

(١٧) أَسْنَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ إِفْرَاطِ الشِّيعة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب .

(١٨) تَحْقِيْقُ القَوْلِ فِي نُزُوْلِ كُتُبٍ سَمَاوِيَّةٍ عَلَى أئمَّة الشِّيعة الإماميَّة .

(١٩) إِعْلَامُ النَّبِيْهِ بِتَفْرِيْطِ الشِّيعة الإماميَّة فِي الرَّسول وَأَزْوَاجِهِ وَبَنِيْه .

(٢٠) النَّجْعَة فِي تَوْضِيْحِ مَا عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة مِنْ عَقِيْدَةِ الرَّجْعَة .

(٢١) الأَقْوَالُ الشَّنِيْعَةُ المُوْجِبَةُ لِتَكْفِيْرِ الشِّيعة .

(٢٢) إِنْبَاءُ العَالَمِيْن بِخِيَانَةِ الشِّيعة للإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْن .

(٢٣) إِعْلَامُ الوَسْنَانِ بِأَحْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِيْرَان .

(٢٤) الذَّرِيْعَةُ فِيْ الكَلَامِ عَلَى خُمْسِ الشِّيعة .

(٢٥) تَبْدِيْدُ السِّهَام الطَائِشَةِ عَنْ أُمِّنَا عَائِشَة .

(٢٦) الإِنَافَةُ فِي بيَانِ مَوْقِفِ عَلِيٍّ مِنَ الخُلَفَاءِ الثَّلَاثَة .

(٢٧) الرِّيَاضُ المُسْتَطَابَةُ فِي عَلَاقَةِ آلِ البَيْتِ بالصَّحابة .

(٢٨) إِعْلَامُ الثقلَيْن بِمَوْقِفِ الشِّيعة مِنَ الحَسَنِ وَالحُسَيْن .

(٢٩) كَشْفُ الغَيْبَةِ فِي تَوْضِيْحِ مَا عِنْدَ الشِّيعة مِنْ عَقِيْدَةِ الغَيْبَة .

(٣٠) الإِبَاحِيَّةُ الجِنْسِيَّةُ عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة .

(٣١) مُخَالَفَاتُ الشِّيعة لِلقُرْآنْ .

(٣٢) الأَقْصَى وَفِلَسْطِيْن فِي عَقِيْدَةِ الشِّيعة المَاكِرِيْن .

(٣٣) مُصِيْبَةُ التَّقْرِيْبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيْعَه .

(٣٤) إِعْلَامُ البَرِيَّة بِتَوْضِيْحِ عَقِيْدَةِ الشِّيعة الإماميَّة بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّة .

(٣٥) عَقِيْدَةُ الشِّيعة الإماميَّة بِصَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّةِ .

(٣٦) الوَافِي فِيْ نَقْدِ أُصُوْلِ الكَافِي .

(٣٧)إِعْلَامُ الجُلَسَاءِ بِشَرْحِ حَدِيْثِ الكِسَاءِ .

(٣٨) إِرْشَادُ الكِلَابِ الهَائِمَة المُتَجَنِّيَةِ عَلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَة .

(٣٩) الأَمَدُ الأَقْصَى تَوْضِيْحِ اعْتِقَادِ الشِّيْعَةِ بِالمَسْجِدِ الأَقْصَى .

(٤٠) إعْلامُ الهَائِمِ بِأَنَّهُ لَا جِهادَ عِنْدَ الشِّيْعَةِ حَتَّى يَخْرُجَ القَائِم .

(٤١) الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ وَجُهُوْدُه فِي تَوْضِيْح العَقِيْدَة / رِسَالَة دُكْتُوْرَاه / مُجَلَّدَان .

(٤٢) التَّفْوِيْضُ فِي صِفَاتِ الله تَعَالَى بَيْنَ السَّلَفِ وَالخَلَف / رِسَالَةُ مَاجِسْتِيْر .

(٤٣) التَّرْوِيْضُ فِي تِبْيَانِ حَقِيْقَةِ التَّفْوِيْض .

(٤٤) تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة .

(٤٥) كَشْفُ الخَفَاءِعَنْ عَبَثِ الوهَّابيَّة بِكُتُبِ العُلَمَاءِ .

(٤٦) الإِتْحافَاتُ القُدُسِيَّة فِي نُصْرَةِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّةِ والرَّدِّ عَلَى الوَهَّابيَّة .

(٤٧) نُبُوَّةُ النِّسَاءِ بَيْنَ المَانِعِيْنَ وَالمُجِيْزِيْن .

(٤٨) حَادِثَةُ سِحْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤٩) المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِهُ وَعَلَاقَتُهُ بِالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّة .

(٥٠) مَسْأَلَةُ التَّنَاكحِ بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ بَيْنَ الحَقِيْقَةِ وَالخَيَال .

(٥١) صِفَاتُ الحوْرِ العِيْنِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة .

(٥٢) الجَوَابُ المُخْتَارُ فِي مَسْأَلَةِ فُتُوْرِ الوَحْي وَمَا نُسِبَ لِلنَّبِيِّ مِنْ مُحَاوَلَةِ الانْتِحَار .

(٥٣) كَشْفُ الخَفَا فِي مَصِيْرِ وَالِدَيّ المُصْطَفَى .

(٥٤) مَصِيْرُ أَبْنَاءِ الْمُشْرِكِيْن يَوْم الدِّيْن .

(٥٥) مسألة التبرك بالأنبياء والصَّالحين في الإسلام .

(٥٦) أَقْوَالُ العُلَمَاءِ المَنْثُوْرَةِ فِي تَنْزِيْهِ الله عَنِ الصُّوْرَة .

(٥٧) مَشْرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّة وَالرَّدّ عَلَى الوَهَّابِيَّة .

(٥٨) مَسْأَلَةُ الاحْتِجَاجِ بِالقَدَرِ عَلَى المَعْصِيَة .

(٥٩) إِرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ الله عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل .

(٦٠) إِعْلَامُ الخَلَفِ بِتَأْوِيْلَاتِ السَّلَف .

(٦١) خبر الآحاد ومدى حجيَّته في العقيدة .

(٦٢) العُلُوُّ لِلْعَلِيِّ الغَفَّار عُلُوّ مَكَانَةٍ لَا عُلُوّ مَكَان .

(٦٣) كَشْفُ الغِطَاءِ عَنْ مَسْأَلَةِ الاسْتِوَاء .

(٦٤) إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ السَّاق .

(٦٥) إِعْلَامُ العَبْدِ الأَوَّاه بِحَقِيْقَةِ الوَجْهِ المُضَافِ إِلَى الله .

(٦٦) جَلَاءُ العَيْن بِحَقِيْقَةِ مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ العَيْن .

(٦٧) المَوْرِدُ العَذْب فِي تَوْضِيْحِ مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ الجَنْب .

(٦٨) رَفْعُ السَّارِيَةِ فِي الكَلَامِ عَلَى حَدِيْثِ الجَارِيَة .

(٦٩) بَرْدُ الأَكْبَادِ فِي تَنْزِيْهِ الله تَعَالَى عَنِ اليَدِ وَالأَيَاد .

(٧٠) رَفْعُ الصَّوْتِ بِمَا جَاءَ عَنِ المَوْت .

(٧١) كِفَايَةُ العَبْدِ الأَوَّاه بِمَا جَاءَ عَنْ قُرْبِ الإِلَه .

(٧٢) الشَّفَاعَاتُ الخَاصَّةُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٧٣) إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن .

(٧٤) إِنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ بِمَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنَ المَكْرِ وَالخِدَاعِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالنِّسْيَان .

(٧٥) إِتْقَانُ الصَّنْعَةِ فِي تَحْقِيْقِ مَعْنَى البِدْعَة / وصل إلى الآن ستة مجلَّدات .

(٧٦) الإتحافات المِقْدَادِيَّة بتَرَاجِمِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة / وصل إلى الآن واحداً وأربعين مجلَّداً بحمد الله تعالى .

(٧٧) التَّشْنِيف بِبَعْضُ البِدَعِ الحسنة الُمتَعَلِّقَةِ بِالُمصْحَفِ الشَّرِيْفِ .

(٧٨) تبصير الهُداة بِبَعْض البِدِعِ الحَسَنَة الُمتعلِّقَة بِالصَّلَاةِ .

(٧٩) تَنْوِيْرُ ذَوِيْ الأَلْبَابِ بِبَعْضُ البَدَعِ الحَسَنَةِ الُمتعلِّقَة بِالسُّلُوكِ وَالآدَابِ .

(٨٠) رَفْعُ الصَّوْت بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَة الُمتعلِّقَة بِالَموْتِ .

(٨١) تَذْكِيْرُ الأَكْيَاس بَعْضُ المَسَائِلِ الُمتَعلِّقة بِالزِّيْنَةِ وَاللِّبَاس .

(٨٢) إِعْلَامُ الأَنَامِ بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ الُمتعلِّقَة بِالصِّيَام .

(٨٣) إِعْلَامُ البَرِيَّةِ بِبَعْضِ البِدَعِ العَقَدِيَّةِ التِي ابْتَدَعَهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ .

(٨٤) إِتْحَافُ النُّجبَاء بِبَعْضِ البِدَعِ التِيْ ابْتَدَعَهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ .

(٨٥) الإِفْصاحُ عَنْ مَعْنَى السُّنَّةُ وَالبِدْعَة فِي اللُغَةِ وَالاصْطِلَاح .

(٨٦) غَايَةُ الَمرَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ التِي اسْتَحْدَثَهَا السَّلفُ الصَّالِحُ فِيْ زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام

(٨٧) مِسْكُ الخِتَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ الُمتعلِّقَة بِالرَّسُوْلِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام .

(٨٨) إِقَامَةُ البَرَاهِيْن عَلَى أَنَّ مُحَمَّداً أَفْضَلُ الُمرْسَلِيْن .